

تِفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

لِإِلَمَامِ الْجَلِيلِ الْحَافِظِ عَمَادِ الدِّينِ أَبِي الْفِدَاءِ
إِسْمَاعِيلَ بْنَ كَثِيرَ الدَّمْشِيقِيِّ
الموافق لسنة ٧٧٤ هـ

لهذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأثرية
وَكَذَلِكَ عَلَى نسخة طابعه بالكتاب المصرية

تحقيق

صَفَّيُ الدِّينِ مُحَمَّدِ سَارِي
مُحَمَّدِ فَضْلِ الْعَمَارِي
مُحَمَّدِ عَبَّاسِ قَطْبِ

المُجلُدُ العَاشرُ

طبعتهما في كلية الشیخ للتألیف

٢٣ ش. اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت: ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦٢٤٤٢

هذا نسخة قرطبة

طباعة. نشر. توزيع
جيزة-ت: ٥٨١٥٠٢٧

رقم الإيداع : ٢٠٠٠ / ٩٣٤٩

الترقيم الدولي : I.S.B.N
6 - 33 - 5234 - 977

الطبعة الأولى

م٢٠٠٠ هـ . ١٤٢١

كافحة حقوق الطبع محفوظة

لمؤسسة قرطبة

للطبع والنشر والتوزيع

القاهرة - مصطفى طبلة و النشر - هاتف: ٤٣٧٥٢٦ - ٢٥٥٦٨٨ - القاهرة

تَفْسِيرُ
الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ



تفسير سورة الحج

وهي مدنية

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَوْءٌ عَظِيمٌ ١ يَوْمٌ
تَرَوْنَهَا تَذَهَّلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرَضَعَتْ وَتَضَعُّ كُلُّ ذَاتٍ حَمَلَ
حَمَلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَّرَى وَمَا هُمْ بِسُكَّرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ



يقول تعالى أمراً عباده بتقواه ، ومحبباً لهم بما يستقبلون من أحوال يوم القيمة وزلازلها وأحوالها . وقد اختلف المفسرون في زلزلة الساعة ، هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عرصات القيمة ؟ أو ذلك عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من أجدائهم ؟ كما قال تعالى : ﴿إِذَا زَلَّتِ الْأَرْضُ زَلَّالَهَا﴾ وأخرجت الأرض أفالها ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَفْالَهَا﴾ وقال تعالى : ﴿وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجَبَالُ فَدَكَتِ الْأَرْضَ دَكَّةً وَاحِدَةً فِي يَوْمٍ ثُلُثٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ وقال تعالى : ﴿إِذَا رَجَتِ الْأَرْضُ رَجًا وَبَسَطَتِ الْجَبَالُ بَسًا، فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْتَأِهً﴾ فقال قائلون : هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا ، وأول أحوال الساعة .

وقال ابن جرير ^(١) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا يحيى ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقة في قوله : ﴿إِن زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ . قال : قبل الساعة . ورواه ابن أبي حاتم من حديث التورى ، عن منصور والأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقة ، فذكره . قال : ورُوي عن الشعبي ، وإبراهيم ، وعبيد بن عمير ، نحو ذلك .

وقال أبو كديبة عن عطاء ، عن عامر الشعبي : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم﴾ الآية . قال : هذا في الدنيا قبل يوم القيمة .

وقد أورد الإمام أبو جعفر بن جرير ^(٢) مُشتملاً من قال ذلك في حديث الصور ، من روایة إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القرطي ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ اللَّهَ لَمَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خَلَقَ الصُّورَ فَأَعْطَاهُ إِسْرَافِيلَ ، فَهُوَ

(١) - تفسير ابن جرير (١٠٩/١٧) .

(٢) - تفسير ابن جرير (١٠٩/١٧) ، قال : حدثني سليمان بن عبد الجبار ؛ قال : ثنا محمد بن الصلت قال : ثنا أبو كديبة به ، فذكره .

واضعه على فيه ، شاخص بصره إلى العرش ، يتضرر متى يؤمر » .

قال أبو هريرة : يا رسول الله ، وما الصور ؟ قال : « قُزْنٌ » . قال : فكيف هو ؟ قال : « قرن عظيم ، ينفع فيه^[١] ثلاث نفخات ، الأولى : نفحة الفزع ، والثانية : نفحة الصُّقُق ، والثالثة : نفحة القيام لرب العالمين ، يأمر الله إسرافيل بالنفحة الأولى ، فيقول : انفع نفحة الفزع . فيفزع أهل السماوات وأهل الأرض ، إلا من شاء الله ، ويأمره فيمدها ويطولها ولا يفتر ، وهي التي يقول الله تعالى : «[﴿]وَمَا يَنْظَرُ هُؤُلَاءِ إِلَّا صِحْبَةً وَاحِدَةً مَالَهَا مِنْ فَوْقَهُ[﴾] » فَيَسْتَأْذِنُ اللَّهَ الْجَبَلَ فَتَكُونُ سَرَابًا ، وَتُرْجَعُ الْأَرْضَ بِأَهْلِهَا رَجًا ، وهي التي يقول الله تعالى : «[﴿]وَيَوْمَ تَرْجَفُ الرَّاجِفَةُ[﴾] » تبعها الرادفة * قلوب يومئذ واجفة^[٢] تكون الأرض كالسفينة المُوَبَّة^[٣] في البحر تضر بها الأمواج تكفو عنها^[٤] بأهلهَا ، وكالقديل المعلق بالعرش ترجمه الأرواح ، فيمتد الناس على ظهرها ، فتأذن المراضع ، وتضع الحوامل ، ويشيب الولدان ، وتطير الشياطين هاربة ، حتى تأتي الأقطار ، فتقلاها الملائكة فتضرب جوهرها ، فترجع ، ويولي الناس مدربين ، ينادي بعضهم بعضاً ، وهو الذي يقول الله تعالى : «[﴿]وَيَوْمَ التَّنَادِ[﴾] » يوم تولون مدربين ما لكم من الله من عاصم ومن يضل الله فما له من هاد^[٥] . في بينما هم على ذلك ، إذ تصدعت^[٦] الأرض من قطر إلى قطر ، فرأوا أمراً عظيماً ، فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ، ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهمل ، ثم خسف شمسها وخُسِفَ قمرها ، وانتشرت نجومها ، ثم كُثُّشت عنهم » .

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك » . قال أبو هريرة : ثم^[٧] استثنى الله حين يقول : «[﴿]فَنَزَعَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ[﴾] » قال : « أولئك الشهداء ، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء ، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ، وقام الله شر ذلك اليوم وأمنهم ، وهو عذاب الله يعيشه على شرار خلقه ، وهو الذي يقول الله^[٨] : «[﴿]يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبِّكُمْ إِن زِلْزَلَ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ[﴾] » يوم ترونها تذهب كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد^[٩] » .

وهذا الحديث قد رواه الطبراني ، وأبن جرير^(٣) ، وأبن أبي حاتم ، وغير واحد مطولاً جداً ، والغرض منه أنه دل على أن هذه الزلزلة كانت قبل يوم الساعة ، وأضيفت إلى الساعة

(٣) - تفسير ابن جرير (١١٠/١٧) .

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : الموبنه . غير منقوطة .

[٣] - في ز : تكفها .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - في ت : « فمن » .

لقربها منها ، كما يقال : أشراط الساعة ، ونحو^[١] ذلك ، والله أعلم .

وقال آخرون : بل ذلك هول وفزع ، وزلزال وبلال ، كائن يوم القيمة في العرصات ، بعد القيام من القبور ، واختار ذلك ابن جرير ، واحتجوا بأحاديث :

الأول : قال الإمام أحمد^(٤) : حديثاً يحيى ، عن هشام ، حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال وهو في بعض أسفاره ، وقد [تفاوت بين أصحابه السير]^[٢] ، رفع بهماتين الآيتين صوته : ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ . فلما سمع أصحابه بذلك خلقوا المطى ، وعرفوا أنه عند قوله ، فلما تأشبوا^[٣] حوله قال : « أندرون أي يوم ذاك^[٤] ؟ ذاك يوم ينادى آدم - عليه السلام - فینادیه ربہ - عزوجل - فيقول : يا آدم ، أبعث بعثك إلى النار . فيقول : يارب ، وما بعث النار ؟ فيقول : من كل ألف تسمانة وتسعة وتسعون في النار ، وواحد في الجنة » . قال : فأبلس أصحابه حتى ما أوضحوا بضاحكة ، فلما رأى ذلك قال : « أبشروا واعملوا^[٥] ، فالذي نفس محمد بيده إنكم لمع خليقين ما كانتا مع شيء قط إلا كثراه ، يأجوج وأماجوج ، ومن هلك منبني آدم وبني إيليس ». قال : فسرى عنهم ثم قال : « اعملوا وأبشروا » ، فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير ، أو الرقمة^(٦) في ذراع الدابة » . وهكذا رواه الترمذى والنسائى فى كتاب التفسير من سننهما ، عن محمد بن بشار ، عن يحيى - وهوقطان - عن هشام - وهو الدستوائى - عن قتادة ، به بنحوه . وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٤) - المسند (٤٣٥/٤) (٩٩٥٥) (١) . وأخرجه الترمذى في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الحج ، حديث : (٣١٦٨) ، (٣١٦٩، ٣٢٠/٥) . والنسائى في « السنن الكبرى » في كتاب التفسير ، باب : سورة الحج ، قوله تعالى : ﴿ وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ﴾ ، حديث (١١٣٤٠) (٦/٤١) ، والحميدى في « مسنده » : برقم (٨٣١) ، (٣٦٧/٢) .

والحاكم في المستدرك (٢٩-٢٨/١) . ورواه أحمد برقم : (١٩٩٥٥) .

قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح قد روى من غير وجه عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بطله ، والذي عندي أنهما قد =

[١] - في ز : وهو .

[٢] - ما بين المعکوفین في ز : « تقارب من أصحابه السير » .

[٣] - في ت : « تأشهوا » .

[٤] - في خ ، ز : « ذلك » .

[٥] - في ز : واعملوا .

(طريق آخرٍ لهذا الحديث) قال [١] الترمذى (٥) : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ابن عيينة ، حدثنا ابن جدعان ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت : ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ إلى قوله : ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ . قال : أنزلت عليه هذه [٢] الآية وهو في سفر ، فقال : « أتدرون أي يوم ذلك ؟ » فقالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « ذلك يوم يقول الله لآدم : ابعث بعث النار . قال : يارب ، وما بعث النار ؟ قال : تسعمائة وتسعون إلى النار ، وواحد إلى [٣] الجنة » . فأنشأ المسلمين يكرون ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « قاربوا وسددوا ، فإنها لم تكن نبوة فقط إلا كان بين يديها جاهلية » . قال : « فيؤخذ العدد من الجاهلية ، فإن قمت وإلا كملت من النافقين ، وما مثلكم والأم إلا

= تعرجاً من ذلك خشية الإرسال ، وقد سمع الحسن عن عمران بن حصين ، وهذه الزبيادات التي في هذا المتن أكثرها عند معاشر عن قنادة عن أنس ، وهو صحيح على شرطهما جميعاً ولم يخرجاه ولا واحد منها وللمحدث شاهد في الصحيح عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة .

١ - حديث أبي سعيد الخدري :

أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب : قوله عز وجل : ﴿ إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ ، حديث (٦٥٣٠) ، (١١/٣٨٨). ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : قوله : يقول الله لآدم : « أخرج بعث النار » ، حديث (٣٧٩/٢٢٢/٢٨٠-١٢١/٣). والنسائي في « السنن الكبرى » في كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ﴾ حديث (١١٣٣٩) ، (٦/٤٠٩) . من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري به .

٢ - حديث أبي هريرة : أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب : الحشر ، حديث (٦٥٢٩) ، (١١/٣٧٨) . من طريق سليمان عن ثور عن أبي الغيث عن أبي هريرة .

وله شاهد أيضاً من حديث أنس . أخرجه أبو يعلى في مستنته برقم (٣١٢٢/٥) . والحاكم في « مستدركه » : (١/٢٩) . وابن حبان في صحيحه برقم (١٧٥٢) ، (٥/٤٢٧-٤٣٠) . موارد كلهم من طريق معاشر ، عن قنادة ، عن أنس بن مالك ، وذكره الهيثمي في « مجمع الروايد » (١٠/٣٩٧) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن مهدي وهو ثقة . اهـ

ومحمد بن مهدي هذا الذي وثقه الهيثمي ، ترجم له ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (١/٦٠) برقم : (٤٥٦) وقال عنه : محمد بن مهدي الأيلاني روى عن أبي داود الطیالسي ، روى عنه أبو زرعة رحمة الله . اهـ .

(*) الرؤبة هنا : الْهَوْبَةُ النَّاتِحةُ فِي ذِرَاعِ الدَّالِّةِ مِنْ دَاخِلِهِ ، وَهُمَا رِقْمَتَانِ فِي ذِرَاعِيهَا . نهاية [٢/٢٥٤] .

(٥) - رواه الترمذى كتاب التفسير ، باب ومن سورة الحج ، الحديث (٣١٦٨) .

[٢] - بعده في ت : الآية .

[١] - في ز : وقال .

[٣] - في خ : في .

كمثـل الرقـمة في ذرـاع الدـاية ، أو كالشـامة في جـنب الـبعـير » . ثـم قال : « إـنـي لـأـرجـو أـن تـكـونـوا رـبـع أـهـل الجـنة » . فـكـبـروا ، ثـم قال : « إـنـي لـأـرجـو أـن تـكـونـوا ثـلـث أـهـل الجـنة » . فـكـبـروا ثـم قال : « إـنـي لـأـرجـو أـن تـكـونـوا نـصـف أـهـل الجـنة » . فـكـبـروا ، قال : « وـلـا أـدـرـي أـقـالـوا ثـلـثـين أـم لـا . وـكـذـا روـاه الإـمام أـحـمـد [٣] عـن سـفـيـان بن عـيـنة بـه . ثـم قال التـرمـذـي أـيـضاً : هـذـا حـدـيـث حـسـن [٤] صـحـيـح . »

وقد روـي عن [سـعـيد بن أـبـي [٥] عـروـبة] ، عـن الـحسـن ، عـن عـمـرـان بن الـحـصـين . وـقد روـاه أـبـي حـاتـم من حـدـيـث سـعـيد بن أـبـي عـروـبة ، عـن قـتـادـة ، عـن الـحسـن وـالـعـلـاء بن زـيـاد العـدوـي ، عـن عـمـرـان بن الـحـصـين ، فـذـكـرـه .

وـهـكـذـا روـى أـبـي جـرـير [٦] عـن بـنـدار ، عـن غـنـدر ، عـن عـوف ، عـن الـحسـن ؛ قال : بـلـغـني أـن رـسـول اللـه ، صـلـى اللـه عـلـيـه وـسـلـمـ ، لـما قـفـلـ مـن غـزـوة الـعـسـرـة [٧] وـمـعـه أـصـحـابـه بـعـد ما شـارـفـ الـمـدـيـنة قـرـأ : « يـا أـيـها النـاس اتـقـوا رـبـكـم إـن زـلـزلـة السـاعـة شـيـء عـظـيم » وـذـكـرـهـيـذاـ حـدـيـث ، فـذـكـرـهـيـذاـ حـدـيـث ، فـذـكـرـهـيـذاـ حـدـيـث ، فـالـلـه أـعـلـم . »

(الـحـدـيـث الـثـالـث) قال أـبـي حـاتـم : حـدـثـنا أـبـي ، حـدـثـنا أـبـن الطـيـاع حـدـثـنا أـبـو [٨] سـفـيـان المـعـرـي ، عـن مـعـرـمـ ، عـن قـتـادـة ، عـن أـنـس ؛ قال : نـزـلت : « إـن زـلـزلـة السـاعـة شـيـء عـظـيم » ... وـذـكـرـهـيـذاـ حـدـيـث ، يـعـنـي : نـحـو سـيـاق الـحسـن عـن عـمـرـان ، غـيـرـ أـنـه قال : « وـمـن هـلـكـ من كـفـرـة الـجـنـنـ وـالـإـلـيـسـ » وـروـاه أـبـي جـرـير [٩] بـطـولـهـيـذاـ حـدـيـث مـعـرـمـ بـه [١٠] . »

(الـحـدـيـث الـثـالـثـيـنـ) قال أـبـي حـاتـم : حـدـثـنا أـبـي ، حـدـثـنا سـعـيد بن سـلـيـمان ، حـدـثـنا عـبـاد - يـعـنـي أـبـنـالـوـامـ - حـدـثـنا هـلـلـاـنـ بـنـ خـيـابـ [١١] ، عـن عـكـرـمـة ، عـن أـبـنـ عـيـاسـ ؛ قال : تـلـا رـسـول اللـه ، صـلـى اللـه عـلـيـه وـسـلـمـ ، هـذـه الآـيـة ... فـذـكـرـهـيـذاـ حـدـيـث ، وـقـالـ فـيـهـيـذاـ حـدـيـث : « إـنـي لـأـرجـو أـن تـكـونـوا رـبـع أـهـل الجـنة » . ثـم قال : « إـنـي لـأـرجـو أـن تـكـونـوا ثـلـث أـهـل الجـنة » ، ثـم قال : « إـنـي لـأـرجـو أـن تـكـونـوا شـطـرـ أـهـل الجـنة » . فـفـرـحـوا ، وـزـادـ أـيـضاً : « وـإـنـما أـنـتـمـ

[٦] - المـسـنـد (٤/٤٣٢) (١٩٩٣١) .

[٧] - تـقـسـير أـبـي جـرـير (١٧/١١١) .

[٨] - تـقـسـير أـبـي جـرـير (١٧/١١٢) .

[٩] - سـقطـ منـ خـ .

[١٠] - فـيـ زـ : الـسـيـرـةـ .

[١١] - فـيـ زـ : أـبـنـ .

[١٢] - فـيـ زـ : حـيـابـ .

[٢] - سـقطـ منـ زـ ، خـ .

[٤] - فـيـ خـ : وـذـكـرـهـ .

[٦] - سـقطـ منـ تـ .

جزء من ألف جزء .

(الحديث الرابع) قال البخاري^(٩) عند هذه الآية : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، حدثنا أبو صالح ، عن أبي سعيد ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى يوم القيمة : يا آدم ؛ فيقول : ليك ربنا وسعديك . فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعطا إلى النار . قال : يا رب ؛ وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف » - أراه قال : « تسعمائة وتسعون وتسعين » - « فحيثتد تضع الحامل حملها ويشيب الوليد ، ﴿ وترى الناس سكارى وما هم سكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ » . فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من يأجوج وأmajوج تسعمائة وتسعون وتسعين^[١] ومنكم واحد ، ثم أنت في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض ، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود ، وإنني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة » . فكبّرنا ، ثم قال : « ثلث أهل الجنة » . فكبّرنا ، ثم قال : « شطر أهل الجنة » . فكبّرنا

وقد رواه البخاري أيضاً في غير هذا الموضع^(١٠) ، ومسلم ، والنمسائي في تفسيره ، من طرق ، عن الأعمش ، به .

(الحديث الخامس) قال الإمام أحمد^(١١) : حدثنا عمّار^[٢] بن محمد - ابن أخت سفيان الثوري - وعيادة - المعنى - كلاماً عن إبراهيم بن مسلم ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يبعث يوم القيمة منادياً ينادي^[٣] : يا آدم ؛ إن الله يأمرك أن تبعث بعطا من ذريتك إلى النار . فيقول آدم : يا رب ؛ من هم ؟ فيقال له : من كل مائة تسعة وتسعين » . فقال رجل [من القوم]^[٤] : من هذا الناجي منا بعد هذا يا رسول الله ؟ ! قال : « هل تدرؤون ما أنتم في الناس إلا كالشامة في صدر البعير » .

(٩) - رواه البخاري كتاب التفسير ، باب : ﴿ وترى الناس سكارى ﴾ الحديث (٤٧٤١) (٤٤١/٨) .

(١٠) - رواه أيضاً في كتاب الرفاق ، باب قوله عز وجل : ﴿ إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ الحديث (٦٥٣٠) (٣٨٨/١١) . ومسلم كتاب الإيمان ، باب قوله : « يقول الله يا آدم أخرج بعث النار ... » الحديث (٣٧٩) (٢٢٢/٣) (١٢١) . والنمسائي في التفسير من الكبرى ، باب : ﴿ وترى الناس سكارى وما هم سكارى ﴾ الحديث (١١٣٣٩) (٤٠٩/٦) .

(١١) - المسند (٣٨٨/١) .

[١] - في ت : « تسعين » .

[٢] - في ز : عماره .

[٣] - في خ : « منهم » .

[٤] - سقط من ز .

[١] انفرد بهذا السنن وهذا السياق الإمام أحمد .

(الحديث السادس) قال الإمام أحمد^(١) : حدثنا يحيى ، عن حاتم بن أبي صغيره ، حدثنا ابن أبي مليكة ؛ أن القاسم بن محمد أخبره ، عن عائشة ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « إنكم تخشوون يوم القيمة حفاة عراة غرلاً ». قالت عائشة : يا رسول الله ، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : « يا عائشة ، إن الأمر أشد من أن يهمهم ذاك » أخرجاه في الصحيحين .

(الحديث السابع) قال الإمام أحمد^(٢) : حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ؛ قالت : قلت : يا رسول الله ، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيمة ؟ قال : « يا عائشة ؛ أما عند ثلاث فلا : أما عند الميزان حتى يقل أو يخف فلا ، وأما عند تطاير الكتب فلما يعطى بيمنيه أو يعطى بشماله فلا ، وحين يخرج ثنق من النار فيطوي عليهم ، ويغطي عليهم ، ويقول ذلك العنق : وَكُلْتُ بِثَلَاثَةَ، وَكُلْتُ بِثَلَاثَةَ، وَكُلْتُ بِثَلَاثَةَ : وَكُلْتُ بَنَ ادْعَى مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَى، وَوَكُلْتُ بَنَ لَا يَؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ، وَوَكُلْتُ بِكُلِّ جَبَارٍ عَنِيدٍ ». قال : « فينطوي عليهم ، ويرميهم في غمرات ، وجلهم جسر أدق من الشعر ، وأحد من السيف ، عليه كاللipp وحسك يأخذن من شاء الله ، والناس عليه كالظرف وكالبرق^(٣) وكالريح ، وكاجاوديد الخيل والركاب ، والملائكة يقولون : رب سلم سلم . فجاج مسلم ، ومخدوش مسلم ، ومكتور في النار على وجهه » .

والآحاديث في أهواه يوم القيمة والأثار^(٤) كثيرة جداً ، لها موضع آخر ، ولهذا قال تعالى : ﴿إِن زِلْزَلَ السَّاعَةَ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ . أي : أمر كبير ، وخطب جليل ، وطارق مفزع ، وحدث هائل ، وكائن عجيب .

(١) - رواه أحمد في المسند (٥٣/٦) (٢٤٣٧٦) ، وأخرجته البخاري في كتاب الرفاق ، باب : الحشر (١١/٣٨٥/٦٥٢٧) . ومسلم في كتاب الجننة وصفة نعيها ، باب : فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيمة . (٤/٢١٩٤/٢٨٥٩) . والنسائي في كتاب الجنائز ، باب : البعث (٤/١١٤، ١١٥) . رقم : ٢٠٨٣ ، ٢٠٨٤ (٢٠٨٤) . وفي الكبرى في كتاب التفسير ، باب : سورة عبس (٦/٥٧/٥) . رقم : ١١٦٤٨ . وابن ماجة في كتاب الرهد ، باب : ذكر البعث (٢/١٤٢٩) . رقم : ٤٢٧٦ . كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) - أخرجه أحمد في المسند (٦/١١٠) (٢٤٩٠٥) وإسناده ضعيف من أجل ابن لهيعة . عزاه =

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ز : والبرق .

[٣] - في خ : « والأحاديث » .

والزلزال هو: ما يحصل للنفوس من الرعب والفزع ، كما قال تعالى: ﴿هَنالكَ ابْتِلِي
المُؤْمِنَوْنَ وَزِلْزَلُوا زِلْزَلًا شَدِيدًا﴾ ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ . هذا من باب ضمير
الشأن ، ولهذا قال مفسرا له : ﴿تَدْهَلُ كُلُّ مَرْضَعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ . أي : تشتعل لهول
ما ترى عن أحب الناس إليها ، والتي هي أشفق الناس عليه ، تدهش عنه في حال إرضاعها
له ، ولهذا قال : ﴿كُلُّ مَرْضَعَةٍ﴾ ، ولم يقل : مرضع . وقال : ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ أي :
عن رضيعها قبل فطامه .

وقوله : ﴿ وَتَرْسُعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلَهَا ﴾ . أَيْ : قَبْلَ تَامَهُ لِشَدَّةِ الْهُوَلِ ، ﴿ وَتَرْسُعُ النَّاسَ سَكَارِيًّا ﴾ وَقَرْئٌ ﴿ سَكَرِيًّا ﴾^(*) ، أَيْ : مِنْ شَدَّةِ الْأَمْرِ الَّذِي صَارُوا فِيهِ قَدْ دَهَشَتْ عَقْوَلَهُمْ ، وَغَابَتْ أَذْهَانُهُمْ ، فَمَنْ رَأَهُمْ حَسْبٌ أَنْهُمْ سَكَارِيُّونَ ، ﴿ وَمَا هُمْ بِسَكَارِيٍّ وَلَكِنْ عِذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَدِّلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ
كُلُّبٌ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ قَوَّلَهُ فَإِنَّهُ يُضْلِلُهُ وَهُدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ

يقول تعالى ذاماً لمن كذب بالبعث ، وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى ، معرضاً عما أنزل الله على أنبيائه ، متبعاً في قوله وإنكاره وكفره كل شيطان مريد ؛ من الإنس والجن ، وهذا حال أهل البدع والضلال ، المعرضين عن الحق ، المتبعين للباطل ، يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين ، ويتبعون^[١] أقوال رعوس الضلال ، الدعاة إلى البدع بالأهواء والأراء ، ولهذا قال في شأنهم وأشاههم : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَحَاذِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ . أي : علم صحيح ، ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ . كتب عليه^{هـ} قال مجاهد : يعني الشيطان ، يعني : كتب عليه كتابة قدرية ﴿أَنَّهُ مِنْ تُولَّهُ﴾ . أي : اتبعه وقلده ﴿فَإِنَّهُ يَضْلِلُ وَيَهْدِي إِلَى عِذَابِ السُّعِيرِ﴾ . أي : يضلله في الدنيا ، ويقوده في الآخرة إلى عذاب السعير : وهو الحار المؤلم الملقى المزعج .

وقد قال السدي، عن أبي مالك: نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث، وكذلك قال ابن جرير.

= الهيثمي في مجمع الروايد (٣٥٩/١٠) لأحمد . وقال : « قلت : عند أبي داود طرف منه - رواه أحمد وفيه ابن لهبعة ، وهو ضعيف وقد وثق ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(*) - وهي فراءة حمزة والكسائي .

[١] - في ز : ويتبعوا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو بن سلم^[١] البصري ، حدثنا عمرو بن [الحرم أبو]^[٢] قنادة ، حدثنا أبو كعب المكي ؛ قال : قال خبيث من خباء قريش : أخبرنا عن ربكم ، من ذهب هو ، أو من فضة هو ، أو من نحاس هو ؟ ففعقت السماء فقمعة - والقمعة في كلام العرب : الرعد - فإذا تحفَّ رأسه ساقط بين يديه .

وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد : جاءيهودي فقال : يا محمد ، أخبرني عن ربك : من أي شيء هو ؟ من ذرّ أم من ياقوت ؟ قال : فجاءت صاعقة فأخذته .

يَتَأْيَهَا النَّاسُ إِنْ كَتَنْتُ فِي رَبِّ مِنَ الْبَعْثَ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِنْ نُظْفَقُ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضِغَةٍ مُخْلَقَةٌ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقْرِئُ فِي الْأَرْضِ مَا نَشَاءُ إِلَّا أَجَلٌ شَسَّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طَفْلًا ثُمَّ لَتَبْلُغُوْا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوَّفُ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَّا أَرْذَلُ الْعُمُرِ لِسَكِيْلًا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمِ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْبَرَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ ﴿٦﴾ ذَلِكَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَإِنَّهُ يُنْهِيَ الْحَوْقَ وَلَنَّمُ عَلَى كُلِّ شَفْوٍ قَدِيرٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّ السَّاعَةَ مَاتَيْهُ لَا رَبَّ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُوْرِ ﴿٨﴾

لما ذكر تعالى الخالف للبعث ، المنكر للمعاد ، ذكر تعالى الدليل على قدرته تعالى على المعاد ، بما يشاهد من بدئه للخلق ، فقال : ﴿٦﴾ يا أيها الناس إن كنتم في ربكم . أي : في شك من البعث^[٣] ، وهو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيمة ، ﴿٧﴾ فإننا خلقناكم من ترابكم ، أي : أصل بزؤهم^[٤] لكم من تراب ، وهو الذي خلق منه آدم - عليه السلام - ﴿٨﴾ ثم من نطفة^[٥] ، أي : ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ﴿٩﴾ ثم من علقة ثم من مضفة^[٦] . وذلك أنه إذا استقرت النطفة في رحم المرأة ، مكثت أربعين يوما كذلك ، يضاف إليها ما يجتمع إليها ، ثم تقلب علقة حمراء بإذن الله ، فتمكث كذلك^[٧] أربعين يوما ، ثم تستحيل فتصير مضفة^[٨] : قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط ، ثم

[١] - ما بين المقوفين في ز : « الحرم بن » .

[٢] - في ز : فمكث .

[٣] - في ز : مسلم .

[٤] - في ز : تربة .

يشرع في التشكيل^[١] والتخطيط ، فيصور منها رأس ويدان ، وصدر وبطن ، وفخذان ورجلان ، وسائل الأعضاء . فتارة تسقطها المرأة قبل التشكيل^[٢] والتخطيط ، وتارة تلقىها وقد صارت ذات شكل وتحطيط ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ثُمَّ مِنْ مَضْغَةٍ مُخْلَقَةٌ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ ﴾ . أي : كما شاهدناها ، ﴿ لَبَيْنَ لَكُمْ وَنَفْرَةً فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَيْ أَجْلٍ مُسَمٍّ ﴾ . أي : وتارة تستقر في الرحم لا تلقىها المرأة ولا تسقطها ، كما قال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ مُخْلَقَةٌ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ ﴾ .

قال : هو^[٣] السقط^[٤] مخلوق وغير مخلوق ، فإذا مضى عليها أربعون يوماً وهي مضغة ، أرسل الله تعالى إليها ملائكة فتفتح فيها الروح ، وسوهاها كما يشاء الله - عز وجل - من حسن وقبح^[٥] ، وذكر وأثنى ، وكتب رزقها وأجلها ، وشقى أو سعيد ، كما ثبت في الصحيحين^[٦] من حديث الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن ابن مسعود ؛ قال : حدثنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو الصادق المصدوق : « إن خلق أحدكم يجمع في بطنه أمه أربعين ليلة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه الملك ، فيؤمر بأربع كلمات ؛ بكتب عمله ، ورزقه ، وأجله ، وشقى أو سعيد ، ثم ينفع فيه الروح » .

وروى ابن أبي حاتم وأبن جرير^(١٥) من حديث داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن علقة ، عن عبد الله ؛ قال : النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها^[٦] ملك بكفه ، قال : يارب ، مخلقة أو غير مخلقة ؟ فإن قيل : غير مخلقة . لم تكن نسمة ، وقد نفتها الأرحام دمًا ، وإن قيل : مخلقة . قال : أي رب ، ذكر أو أثنى ؟ شقي أو سعيد ، ما الأجل ؟ وما الآخر ؟ وبأي أرض يموت ؟ قال : فيقال للنطفة : من ربك ؟ فتقول : الله . فيقال : من رازقك ؟ فتقول : الله . فيقال له : اذهب إلى أم^[٧] الكتاب ، فإنك ستتجد فيه قصة هذه النطفة . قال : فتخلق فتعيش في أجلاها ، وتأكل رزقها ، وتطأ^[٨] أثراها ، حتى إذا جاء أجلها ماتت فدفت في ذلك المكان^[٩] . ثم تلا عامر الشعبي : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رِبِّ

(١٤) - تقدم في تفسير سورة مرثيم .

(١٥) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١٧ / ١٠) .

[١] - في خ : التشكيل .

[٢] - في ز ، خ : « هذا » .

[٣] - في خ : قبح .

[٤] - في ز : جاءها .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - في ز : « وتعطى وتعطا » . كذا بهذا الشكل ونفس التكرار .

[٧] - سقط من ز ، خ .

من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ^{هـ} . فإذا بلغت مضغة نكست في الخلق [الرابع فكانت نسمة ، وإن كانت غير مخلقة قدفها الأرحام دما ، وإن كانت مخلقة نكست في الخلق] ^[١] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ابن دينار ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أبي سعيد يبلغ به [^[٢] النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « يدخل الملك على النطفة عندما تستقر في الرحم بأربعين يوماً ^[٣] أو خمس وأربعين ، فيقول : أي رب ، أشقي أم سعيد ؟ فيقول الله ، ويكتبان ، فيقول : أذكر أم أشقي ؟ فيقول الله ، ويكتبان ، ويكتب عمله وأثره ، ورزقه وأجله ، ثم تطوى الصحف ، فلا يزيد على ما فيها ولا يتقصى ». رواه ^[٤] مسلم ^[٥] من حديث سفيان بن عيينة ومن طرق آخر عن أبي الطفيل بنحو معناه .

وقوله : **﴿وَلَمْ نُخْرِجْكُمْ طَفْلًا﴾** . أي : ضعيفاً في بدنك وسمعه وبصره وحواسه ، وبطشه وعقله . ثم يعطي الله القوة شيئاً فشيئاً ، ويلطف به ، ويحتن عليه والديه في آناء الليل وأطراف النهار . ولهذا قال : **﴿وَلَمْ تَبْلُغُوا أَشْدَكُمْ﴾** ، أي : يتكامل القوي ويترأيد ، ويصل إلى عنفوان الشباب وحسن المنظر . **﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّ﴾** ، أي : في حال شبابه وقواه ، **﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْذُلِ الْعُمَرِ﴾** ، وهو الشيخوخة والهرم وضعف القوة والعقل والفهم ، وتناقض الأحوال من الخرف ^[٦] وضعف الفكر ، ولهذا قال : **﴿لَكِي لَا يَعْلَمُ مَنْ بَعْدَ عِلْمِ شَيْئًا﴾** ، كما قال تعالى : **﴿إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضُعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضُعْفِ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفًا وَشَيْءًا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾** .

وقد قال الحافظ [أبو يعلى] ^[٦] أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده ^[٧] : حدثنا منصور بن أبي مزاحم ، حدثنا خالد الزريات ، حدثني داود أبو سليمان ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معتمر بن حزم الأنصاري ، عن أنس بن مالك - رفع الحديث - قال : **« الْمَوْلُودُ حَتَّى يَلْعَجَ الْحَيْثَ، مَا عَمِلَ مِنْ حَسَنَةٍ كَبَتْ لَوَالدُّهُ أَوْ لِوَالدَّتِهِ، وَمَا عَمِلَ مِنْ سَيِّئَةٍ لَمْ تَكْتُبْ عَلَيْهِ وَلَا عَلَى وَالدِّيهِ، فَإِذَا بَلَغَ الْحَنْثَ أَجْرِيَ [٨] اللَّهُ عَلَيْهِ الْقَلْمَ [٩] ، أَمْرَ**

(١٦) - أخرجه مسلم كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ... الحديث (٢٦٤٤) (١٦) - ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(١٧) - مسنده أبي يعلى (٦/٣٥٢ - ٣٥١) رقم (٣٦٧٨) .

- [١] - سقط من خ .
- [٢] - في ز : إلى .
- [٣] - سقط من ز .
- [٤] - في خ : رواه .
- [٥] - في ز ، خ : « الحروف » .
- [٦] - في خ : « أبو على » .
- [٧] - في ز : جرى .
- [٨] - في ز : العلم .

الملكان اللذان معه أن يحفظا ، وأن يشدا ، فإذا بلغ أربعين سنة في الإسلام أمنه الله من البلايا الثلاث : الجنون ، والجذام ، والبرص ، فإذا بلغ الخمسين خفف الله حسابه . فإذا بلغ الستين^[١] رزقه الله الإنابة إليه بما يحب ، فإذا بلغ السبعين أحبه أهل السماء ، فإذا بلغ الثمانين كتب الله حسناته وتجاوز عن سيئاته ، فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وشفعه في أهل بيته ، وكان أسير الله في أرضه ، فإذا بلغ أرذل العمر^[٢] لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً^[٣] ، كتب الله له مثل ما كان يعمل في صحته من الخير ، فإذا عمل سيئة لم تكتب عليه » .

هذا حديث غريب جداً ، وفيه نكارة شديدة ، ومع هذا فقد^[٤] رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده^[٥] موقوفاً ومروغاً . فقال^[٦] : حدثنا أبو النضر ، حدثنا الفرج ، حدثنا محمد بن عامر ، عن محمد بن عبد الله العامري^[٧] ، عن عمرو بن جعفر ، عن أنس قال : إذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنة أمنه الله من أنواع البلايا ؛ من الجنون والجذام والبرص ، فإذا بلغ الخمسين لين الله حسابه ، فإذا بلغ الستين رزقه الله إنابة يحبه عليها ، وإذا بلغ السبعين أحبه الله ، وأحبه أهل السماء ، وإذا بلغ الثمانين تقبل الله حسناته ، ومحا عنه سيئاته ، وإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وسمى أسير الله في الأرضي ، وشفع في أهله . ثم قال : حدثنا هاشم^[٨] ، حدثنا الفرج^[٩] ، حدثني [محمد بن عبد الله]^[١٠] [العامري] ، عن محمد بن عبد الله^[١١] بن عمرو بن عثمان ، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله .

(١٨) - أخرجه أحمد في المسند (٢١٧/٣ - ٢١٨) (١٣٣٠٣) ، يوسف بن أبي ذرة : قال ابن أبي خيثمة عن ابن معين : لا شيء . وقال ابن حبان في الصفعاء : منكر الحديث جداً ، يروي المناكير التي لا أصل لها على قلة حديثه ، لا يجوز الاحتجاج به بحال . قال الحافظ : وقد اختلف عليه في سند الحديث المذكور كما بسطته في كتاب الخصال المكفرة .

وجعفر بن عمرو بن أمية : قال ابن حجر في التعجيل في ترجمة عمرو بن جعفر : عمرو ابن جعفر عن أنس قوله ، وعنده محمد بن عبد الله لا يدرى من هما ؛ كلها قال الحسيني ، وقال ابن شيخنا : كلها وقع في المسند وإنما هو جعفر بن عمرو بن أمية الضميري والراوي عنه محمد ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان وهما ثقان . قلت : ومن رجال التهذيب لكن الحديث في المسند من الطريقين : أما طريق جعفر فهي المستقيمة فأخرجهما أحمد عن أنس بن عياض حدثني يوسف بن أبي ذرة ، عن محمد بن عبد الله بن عمرو ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضميري ، عن أنس ، وأما طريق عمرو بن جعفر المقلوبة فقال أحمد : حدثنا أبو النضر ، =

[١] - في ت ، خ : سبعين .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « العاملية » .

[٤] - في ز ، خ : « هشام » .

[٥] - سقط من خ .

[٦] - في ز ، خ .

[٧] - سقط من ز ، خ .

ورواه الإمام أحمد^[١] أيضًا : حدثنا أنس بن عياض ، حدثني يوسف بن أبي بردة^[٢] الأنصاري ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من معمر يعمر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء : الجنون ، والجذام ، والبرص ». وذكر تمام الحديث كما تقدم سواء .

ورواه الحافظ أبو بكر البزار : عن عبد الله بن شبيب ، عن أبي شيبة ، عن عبد الله بن عبد الملك ، عن أبي قادة الغذري ، عن ابن أخي الزهرى ، عن عمه ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد يعمر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه أنواعًا من البلاء : الجنون ، والجذام ، والبرص ، فإذا بلغ خمسين سنة لين الله له الحساب ، فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة إليه بما يحب ، فإذا بلغ سبعين سنة غفر الله له^[٣] ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وسمى أسيير الله ، وأحبه أهل السماء ، فإذا بلغ الشهرين تقبل الله منه حسناته ، وتجاوز عن سيئاته ، فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وسمى أسيير الله في أرضه ، وشفع في أهل بيته » .

وقوله : « وترى الأرض هامدة » هذا دليل آخر على قدرته تعالى على إحياء الموتى ، كما يحيي الأرض الميتة الهامدة ، وهي القحلاة التي لا نبت فيها ولا شيء .

وقال^[٤] قادة : غبراء متهشمة^[٥] . وقال السدي^[٦] : ميّة .

= ثنا الفرج بن فضالة ، عن عمرو بن جعفر ، عن أنس بن مالك فذكر الحديث ، والفرج بن فضالة ضعيف . وقد وهم في قوله : عمرو بن جعفر ، وإنما هو جعفر بن عمرو ، وهو من رجال التهذيب . وهذا الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ؛ قال ابن الجوزي : وقد خلط فيه الفرج بن فضالة . وقد رد الحافظ ابن حجر على ابن الجوزي وذب عن هذا الحديث في كتابه القول المسدد فقال : « ... فإن له طرقاً عن أنس وغيره يتعلّم الحكم مع مجموعها على المتن بأنه موضوع » . قال : ولا يلزم من تخليط الفرج في السندي أن يكون المتن موضوعاً ، قال : وقد استوّعت طرقه في الجزء الذي سمّيته « الخصال المكففة للذنوب المقدمة والمؤخرة » .

ومن أقوى طرقه ما أخرجه البيهقي في الزهد له عن الحاكم عن الأصم عن بكر بن سهل عن عبد الله بن محمد بن رمح عن عبد الله بن وهب ، عن حفص بن ميسرة ، عن زيد بن أسلم عن أنس فذكر هذا الحديث .

ورواه عن ابن وهب فصاعداً من رجال الصحيح ، والبيهقي والحاكم والأصم لا يسأل عنهم ، وابن رمح ثقة ، وبكر بن سهل قواه جماعة وضعفه النسائي إلى آخر كلامه فراجعه إن شئت .

(١٩) - انظر السابق

[١] - في ز ، خ : « درة » .

[٤] - في خ : « مهشمة » . وغير واضحة في ر .

[٣] - في ر : قال .

﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهْيَجٌ﴾ . أي : ﴿فَإِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْمَطَرَ﴾ اهتزت ، أي : تحركت بالنبات ، فحيث [١] بعد موتها ، ﴿وَرَبَتْ﴾ ، أي : ارتفعت لما سكن فيها الشري ، ثم أنبت ما فيها من الألوان والفنون ، من ثمار وزروع ، وأشنات النباتات في [اختلاف ألوانها][٢] وطعمها وروائحها وأشكالها ومنافعها ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿وَأَنْبَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهْيَجٌ﴾ . أي : [حسن المنظر][٣] طيب الريح .

وقوله : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ . أي : الخالق المدير الفعال لما يشاء ، ﴿وَأَنَّهُ يَحْيِي الْمَوْتَى﴾ . [أي] : كما أحيا الأرض الميتة ، وأنبت منها هذه الأنواع ، ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَهُ حَيْيُ الْمَوْتَى﴾ [٤] ، إله على كل شيء قدير ﴿فَإِنَّمَا أُمُرْهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كَنْ فِي كُونِ﴾ ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَبِّ فِيهَا﴾ ، أي : كائنات [٥] لا شك فيها ولا مرية ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مِنْ فِي الْقُبُورِ﴾ . أي : يعيدهم بعد ما صاروا في قبورهم رمماً [٦] ، ويوجدهم بعد العدم ، كما قال تعالى : ﴿وَوَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مِنْ يَحْيِي الْعَظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يَحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تَوَقَّدُونَ﴾ ... [والآيات في هذا كثيرة][٧] .

وقال الإمام أحمد [٨] : حدثنا يزيد [٩] ، حدثنا حماد بن سلمة ، قال [٩] : أَنْبَأَنَا يَعْلَمُ بَنْ عَطَاءَ ، عَنْ وَكِيعِ بْنِ خُدُّسٍ [١٠] ، عَنْ عَمِّهِ أَبِي رَزِينِ الْعَقِيلِيِّ [١١] - وَاسْمُهُ لَقِيطُ بْنُ عَامِرٍ - أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَكْلَنَا يَرْبُّ رَبِّهِ - عَزْ وَجْلَ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ ؟

(٢٠) - أخرجه أحمد في المسند (١١/٤) (١٦٢٣٤) . وأنخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب : في الرؤيا (٤٧٣١) حدث (٤٢٤/٤) . من طريق موسى بن إبراهيم ، ثنا حماد ، (ح) وعن عبد الله بن معاذ ، ثنا أبي ، ثنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء به . وابن ماجة في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية . (١/٤) (١٨٠) . من طريق أبي بكر بن أبي شيبة ، ثنا يزيد به . وابن حبان كما في الموارد (٣٩) . والطبراني (٢٠٦/١٩) حدث (٤٦٥) ، (٤٦٦) . والحديث حسنة الشيخ الألباني في صحيح أبي داود حدث ٣٩٥٧ ، وصحبي ابن ماجه حدث ١٨٠ .

[١] - في خ : وحيست .

[٢] - في خ : « اختلافها » .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « رم » .

[٨] - في ت : « بهز » .

[١٠] - في ت : « مخدس » .

[٣] - في خ : « منظر حسن » .

[٥] - في ز ، خ : « كائن » .

[٧] - سقط من خ .

[٩] - سقط من خ .

[١١] - في ز : المعقلني .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أليس كلكم ينظر إلى القمر مُخلياً به ؟ ». قلنا : بلـي . قال : « فالله أعلم ». [١] قال : قلت : يا رسول الله ، كيف يحيي الله الموتى ؟ وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : « أما مررت بوادي أهلك محلاً [٢] ؟ ». قال : بلـي . قال [٣] : « ثم مررت به يهتز حضراً ؟ ». قلت [٤] : بلـي . قال : « فكذلك يحيي الله الموتى ، وذلك آيته في خلقه ».

ورواه أبو داود وابن ماجه من [٥] حديث حماد بن سلمة به .

ثم رواه الإمام أحمد [٦] أيضاً : حدثنا علي بن إسحاق ، أئبـأـنا ابن المبارك ، أئبـأـنا عبد الرحمن بن زيرـيدـ بن جابر ، عن سليمان بن موسى ، عن أبي رزـينـ العـقـيلـيـ قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، كيف يحيي الله الموتى ؟ قال : « أمرت بأرض من أرضك مجدهـةـ ، ثم مررت بها مخصبة ؟ ». قال : نـعـمـ . قال : « كذلك النـشـورـ ».

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبيـسـ [٧] بن مرحـومـ ، حدثـناـ بـكـيرـ بـنـ [أـبـيـ] [٨] السـمـسيـطـ ، عن قـتـادـةـ ، عن أبي الحـجـاجـ ، عن مـعاـذـ بن جـبـلـ قال : من علم أن الله هو الحق المـبـيـنـ ، وأن الساعة آتـيـةـ لا ربـ فيهاـ ، وأن الله يـبـعـثـ منـ فـيـ الـقـبـوـرـ ، دـخـلـ الجـنـةـ .

وَمَنِ النَّاسُ مَنْ يُجَدِّلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتْبٍ شَنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَافَ عَطْفِهِ لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَمَّا فِي الدُّنْيَا حَرَقَ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّمٍ لِلْعَبْدِ

لما ذكر تعالى حال الضلالـ الجـهـالـ المـقـلـدـينـ في قوله : « ومن الناس من يجادـلـ في الله بغير علم ويـتـبعـ كلـ شـيـطـانـ مرـيدـ ». ذـكـرـ فيـ هـذـهـ حـالـ الدـعـاـةـ إـلـىـ الضـلـالـ منـ رـءـوـسـ الطـبـرـانـيـ فيـ الـكـبـيرـ (٢٠٨/١٩) حـدـيـثـ (٤٧٠) . وأـبـوـ دـاـدـ الـطـيـالـسـيـ (٢٧٩٥) .

(٢١) - أخرجه أحمد في المسند (١١/٤) (١٦٢٤٢) مطولاً . وسلـيمـانـ بنـ مـوسـىـ : صـدـوقـ فـقـيهـ ، فـيـ حـدـيـثـ بـعـضـ لـيـنـ ، خـوـلـطـ قـبـلـ موـتهـ بـقـلـيلـ . روـيـ لهـ مـسـلـمـ فـيـ الـمـقـدـمـةـ ، الـأـرـبـعـةـ . وـهـذـاـ الطـرـفـ : أـخـرـجـ الطـبـرـانـيـ فـيـ الـكـبـيرـ (٢٠٨/١٩) حـدـيـثـ (٤٧٠) . وأـبـوـ دـاـدـ الـطـيـالـسـيـ (٢٧٩٥) .

[١] - فيـ خـ : « قـلـناـ ».

[٢] - فيـ تـ : « مـحـلـاـ ».

[٣] - سـقطـ منـ خـ .

[٤] - فيـ تـ : « قـالـ ».

[٥] - فيـ خـ : فيـ .

[٦] - سـقطـ منـ زـ ، خـ .

[٧] - فيـ خـ : « عـبـيـسـ ».

[٨] - سـقطـ منـ خـ .

[٩] - فيـ خـ : فيـ .

[١٠] - فيـ خـ : « عـبـيـسـ ».

الكفر والبدع ، فقال : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ . أي : بلا عقل صحيح^[١] ، ولا نقل صحيح صريح ، بل مجرد^[٢] الرأي والهوى .

وقوله : ﴿ ثَانِي عَطْفَهُ ﴾ . قال ابن عباس وغيره : مستكبر عن الحق إذا دعى إليه .

وقال مجاهد ، وقتادة ، ومالك عن زيد بن أسلم : ﴿ ثَانِي عَطْفَهُ ﴾ ، أي : لا ولئن عنقه ، وهي رقبته . يعني : يعرض عما يدعى إليه من الحق ، [٣] ويشني^[٤] رقبته استكباراً ، كقوله تعالى : ﴿ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلَهُ إِلَى فَرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مِّنْنَا فَتَوَلَّ بِرْكَتَهُ وَقَالَ : سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصْدُونَ عَنْكَ صَدْوَدًا ﴾ . [٥] وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْرَا رَعْوَسَهُمْ وَرَأْيَتُهُمْ يَصْدُونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾^[٦] . وقال^[٧] لقمان لابنه : ﴿ وَلَا تَصْرِعْ خَدْكَ لِلنَّاسِ ﴾ أي : تميله عنهم استكباراً عليهم .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا تَلَى عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَلَئِنْ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا [٨] كَأَنْ فِي أَذْيَهِ وَقَرَأَ [٩] فَبِشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

وقوله : ﴿ لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ، قال بعضهم : هذه لام العاقبة ؛ لأنَّه قد لا يقصد ذلك . ويحتمل أن تكون لام التعليل . ثم إنما أن يكون المراد بها المعاذين^[١٠] ، أو يكون المراد بها أن هذا^[١١] الفاعل لهذا إنما جلبناه على هذا الخلق الذي يجعله من يضل عن سبيل الله .

ثم قال تعالى : ﴿ لَهُ فِي الدُّنْيَا خَزِيٌّ ﴾ ، وهو الإهانة والذلة ، كما أنه لما^[١٢] استكبر عن آيات الله لقاء الله المذلة في الدنيا ، وعاقبه فيها قبل الآخرة ؛ لأنها أكبر همه ومبلاع علمه ، ﴿ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْخَرْقَيْقِ ﴾ . ذلك بما قدمت يداك^[١٣] . أي : يقال له هذا تقريراً وتويجاً ، ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ ﴾ . كقوله تعالى : ﴿ خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ . ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم . ذق إنك أنت العزيز الكريم . إن هذا ما كتتم به تغترون^[١٤] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن الصباح ، حدثنا يزيد بن هارون ، أئبنا

[١] - في خ : صحيح .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في خ : قال .

[٤] - سقط من خ .

[٥] - في ز : المعاذون .

[٦] - سقط من ز .

[٧] - سقط من ز .

[٨] - سقط من خ .

[٩] - سقط من ز .

هشام ، عن الحسن ؓ قال : بلغني أن أحدهم يحرق في اليوم سبعين ألف مرة .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَانَ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةً
أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ، حَسِيرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخَسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾
يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضْرُرُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ
يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُرَ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِئَسَ الْمَوْلَى وَلِئَسَ الْعَشِيرُ ﴿١٢﴾

قال مجاهد وقادة وغيرهما : « على حرف » : على شك [١] .

وقال غيرهم : على طرف . ومنه حرف [٢] الجبل ، أي : طرفه ، أي : دخل في الدين على طرف ، فإن وجد ما يحبه استقر ، ولا انشر . وقال البخاري [٣] : حدثنا إبراهيم ابن الحارث ، حدثنا يحيى بن أبي بكر ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : « ومن الناس من يعبد الله على حرف » ، قال : كان الرجل يقدم المدينة ، فإذا [٤] ولدت امرأته غلاما ، وتنبت خيله ، قال : هذا دين صالح . وإن لم تلد امرأته ، ولم تنجب خيله ، قال : هذا دين سوء .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أشعث بن إسحاق القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : كان ناس من الأعراب يأتون النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فيسلمون ، فإذا رجعوا إلى بلادهم فإن وجدوا عام غيث ، وعام خصب ، وعام ولاد حسن ، قالوا : إن ديننا هذا لصالح ، فتمسكوا به ، وإن وجدوا عام مجذوبة ، وعام ولاد سوء ، وعام قحط ، قالوا : ما في ديننا هذا خير . فأنزل الله على نبيه : « ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير أطمأن به وإن أصابه فتنة انقلب على وجهه » .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : كان أحدهم إذا قدم المدينة [وهي أرض وينة] [٥] ، فإن صبح بها جسمه ، وتنبت فرسه مهرا حسنا ، وولدت امرأته غلاما ، رضي به واطمأن

[١] - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : « ومن الناس من يعبد الله على حرف » الحديث (٤٧٤٢ / ٨) (٤٤٢) .

[٢] - في ز ، خ : « طرف » .

[٣] - في ز ، خ : « شدة » .

[٤] - في ز ، خ : « وهم أرض دونه » .

[٥] - في ت : « فإن » .

إِلَيْهِ^[١] ، وَقَالَ : مَا أَصْبَتَ مِنْذَ كُنْتَ عَلَى دِينِي هَذَا إِلَّا خِرْبًا ، وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةً - وَالْفِتْنَةُ : الْبَلَاءُ - [أَيْ] : وَ[٢]^[٣] إِنْ أَصَابَهُ وَجْعُ الْمَدِينَةِ ، وَوُلِدَتْ امْرَأَتُهُ جَارِيَةً ، وَتَأْخَرَتْ عَنْهُ الصَّدْقَةَ ، أَتَاهَا الشَّيْطَانُ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَصْبَتَ مِنْذَ كُنْتَ عَلَى دِينِكَ هَذَا إِلَّا شَرًّاً . وَذَلِكَ الْفِتْنَةُ . وَهَكُذا ذَكَرَ قَاتِدَةُ ، وَالضَّحَّاكُ ، وَابْنُ جَرِيجَ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلْفِ ، فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ .

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدَ بْنِ أَسْلَمَ : هُوَ الْمَنَافِقُ ، إِنْ صَلَحَتْ لَهُ دُنْيَاهُ أَقَامَ عَلَى الْعِبَادَةِ ، وَإِنْ فَسَدَتْ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَتَغَيَّرَتْ أَنْقَلَبَ ، فَلَا يَقِيمُ عَلَى الْعِبَادَةِ إِلَّا مَا صَلَحَ مِنْ دُنْيَاهُ ، فَإِذَا^[٤]^[٥] أَصَابَهُ فِتْنَةً أَوْ شَدَّةً أَوْ اخْتِبَارًا^[٤] أَوْ ضَيْقًا ، تَرَكَ دِينَهُ وَرَجَعَ إِلَى الْكُفَّارِ .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ : ﴿أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أَيْ : ارْتَدَ كَافِرًا .

وَقَوْلُهُ : ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة﴾ ، أَيْ : فَلَا هُوَ حَصَلَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى شَيْءٍ ، وَأَمَا الْآخِرَةَ فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، فَهُوَ فِيهَا فِي غَيْرِهِ الشَّقَاءِ وَالْإِهَانَةِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخَسْرَانُ الْبَيِّن﴾ ، أَيْ : هَذِهِ هِيَ الْخَسْرَانَةُ الْعَظِيمَةُ ، وَالصَّفَقَةُ الْخَاسِرَةُ .

وَقَوْلُهُ : ﴿يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يُضِرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ ، أَيْ : مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ ، يَسْتَغْفِرُ بِهَا وَيَسْتَرْزُرُهَا وَيَسْتَرْزُرُهَا وَهِيَ لَا تَنْفَعُهُ وَلَا تَضُرُّهُ ، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ يَدْعُونَ لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبَ مِنْ نَفْعِهِ^[٦] ، أَيْ : ضَرَّهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ أَقْرَبَ مِنْ نَفْعِهِ فِيهَا ، وَأَمَا فِي الْآخِرَةِ فَضَرُرُهُ مَحْقُوقٌ مُتَيقِّنٌ .

وَقَوْلُهُ : ﴿لِبْسُ الْمُولَى وَلِبْسُ الْعَشِيرِ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ : يَعْنِي الْوَثْنُ ، يَعْنِي : بَشِّسْ هَذَا الَّذِي دَعَا بِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ مُولَى ، يَعْنِي وَلِيًّا وَنَاصِرًا ، ﴿وَلِبْسُ[٧] الْعَشِيرِ﴾ ، وَهُوَ الْمُخَالَطُ وَالْمُعَاشُ . وَاخْتَارَ ابْنَ جَرِيجَ أَنَّ الْمَرَادَ : لِبْسُ ابْنِ الْعِمِّ وَالصَّاحِبِ مِنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حِرْفٍ : ﴿فَلَمَّا أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةً أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ .

وَقُولُ مُجَاهِدٍ : إِنَّ الْمَرَادَ بِهِ الْوَثْنُ - أَوْلَى وَأَقْرَبَ إِلَى سِيَاقِ الْكَلَامِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَمْجَرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَارُ

إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ

[١] - فِي خَ : « بِهِ » .

[٢] - فِي خَ : فَلَانَ .

[٣] - فِي زَ : إِجْبَارٌ .

[٤] - فِي زَ : « وَيَسِّسَ » .

[٥] - فِي زَ : « وَيَسِّسَ » .

لما ذكر أهل الضلالة الأشقياء ، عطف بذكر الأبرار السعداء ، من الذين آمنوا بقلوبهم ، وصدقوا إيمانهم بأفعالهم ، فعملوا الصالحات من جميع أنواع القربات ، [وتركتوا المنكرات]^[١] ، فأورثهم ذلك سكنى الدرجات العالىات ، في روضات الجنات .

ولما [ذكر تعالى]^[٢] أنه أضل أولئك وهدى هؤلاء ، قال : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يُرِيدُ﴾ .

مَنْ كَانَ يَظْنُنُ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلَيَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعَ فَلَيَنْتَرُ هَلْ يُذْهِبَنَ كَيْدُهُ مَا يَغْيِظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ إِذَا نَتَمَ بِيَتْشَتَ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ

﴿١٥﴾

قال ابن عباس : من كان يظن أن لن ينصر^[٣] الله محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، في الدنيا والآخرة ، ﴿فَلَيَمْدُدْ بِسَبَبِ﴾ ، أي : بحمل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ ، أي : سماء بيته ، ثم ليقطع^[٤] ، يقول : ثم ليختنق به . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، وأبو^[٥] الجوزاء ، وقادة ، وغيرهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿فَلَيَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ﴾ ، أي : ليتوصل إلى بلوغ السماء ، فإن النصر إنما يأتي محمدا من السماء ، ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعَ﴾ ذلك عنه ، إن قدر على ذلك .

وقول ابن عباس وأصحابه أولئك وأظهره في المعنى ، وأبلغ في التهكم ؛ فإن المعنى : من كان^[٦] يظن^[٧] أن الله ليس بناصر محمدا وكتابه ودينه ، فليذهب فليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه ، فإن الله ناصره لا محالة ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّا لَنَصْرَ رَسُولَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمًا لَا يَنْفَعُ الظَّالِمُونَ مَعْذِرَتَهُمْ وَلَهُمُ الْعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ولهذا قال : ﴿فَلَيَنْتَرُ هَلْ يُذْهِبَنَ كَيْدُهُ مَا يَغْيِظُ﴾ .

قال السدي: يعني من شأن محمد^[٨] ، صلى الله عليه وسلم .

وقال عطاء الخراساني : فلينظر هل يشفى ذلك ما يجد في صدره من غيظ^[٩] .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « وقد يقال » .

[٣] - في ز ، خ : « وابن » .

[٤] - في ز : ظن .

[٥] - في خ : « الغيظ » .

[٦] - سقط من ز ، خ .

[٧] - في ز : ينصره .

[٨] - سقط من ز ، خ .

[٩] - في ز : محمدا .

وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ ، أي : القرآن ﴿ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ ، أي : واضحات في لفظها ومعناها ، حجة من الله على الناس ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَرِيدُهُ ﴾ ، أي : يصل من يشاء ، ويهدى من يشاء ، وله الحكمة التامة ، وله الحجة القاطعة في ذلك ، و[١] ﴿ لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يَسْأَلُونَ ﴾ أَمَا هُوَ فِلْحَكْمَتِهِ [٢] وَرَحْمَتِهِ وَعَدْلِهِ وَعِلْمِهِ وَقُوَّتِهِ وَعَظِيمَتِهِ لَا مَعْقُبٌ لِحَكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ .

**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالْمُصْرِنَى وَالْمَجْوَسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بِمَا يَنْهَا مِنَ الْقِيمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**

يُخبر تعالى عن أهل هذه الأديان المختلفة من المؤمنين ، ومن سواهم من اليهود و[٣] الصابرين ، وقد قدمنا في سورة البقرة التعريف بهم واختلاف الناس فيهم ، والنصارى والمجوس والذين أشركوا ، فعبدوا [غير الله معه][٤] ، فإنه تعالى : ﴿ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ويفصل بينهم يوم القيمة ﴿ وَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ ﴾ ، فيدخل من آمن به الجنة ، ومن كفر به إلى [٥] النار ، فإنه تعالى شهيد على أفعالهم ، حفيظ لأقوالهم ، عليم بسرائرهم وما تُكِنَّ ضمائركم .

**أَنَّ رَبَّكَ أَنَّ اللَّهَ سَجَدَ لَمَّا مَنَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنِ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ
الْعَذَابُ وَمَنْ يُرِنَ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ شُكْرٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**

يُخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له ؛ فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعاً وكرهاً ، وسجود [كل شيء مما][٦] يختص به ، كما قال تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَرُوَا إِلَى مَا خلقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَغَيَّرُ طَلَالُهُ عَنِ اليمينِ وَالشَّهَادَيْنِ سَجَدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ وقال هاهنا : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، أي : من الملائكة في أقطار السماوات ، والحيوانات في جميع الجهات ؛ من الإنس والجن والدواب والطير ، ﴿ وَإِنْ مَنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسْبِحُ بِحَمْدِهِ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ ﴾ ، إنما ذكر هذه على التفصيص ؛ لأنها قد

[١] - في ز : فلحمته . كذا .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - في ت : « مع الله غيره » .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - في ز ، خ : « كما » .

[٦] - سقط من ت .

عبدت من دون الله ، فين أنها تسجد لخالقها ، وأنها مربوبة مسخرة ، ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إيمانكم بعذابنا ﴾ .

وفي الصحيحين^(٢٣) عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدرى أين تذهب هذه الشمس ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ، ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها : ارجعي من حيث جئت » .

وفي المسند^(٢٤) وسنن أبي داود والنسائي وأبي داود ماجة في حديث الكسوف : « إن الشمس والقمر خلقان من خلق الله ، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكن الله - عزوجل - إذا تجلى لشيء من خلقه خشع له » .

وقال أبو العالية : ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر ، إلا يقع لله ساجدا حين يغيب ، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له ، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه .
وأما الجبال والشجر فسجودها^[١] بفيء ظلالها^[٢] عن اليمين والشمائل .

وعن ابن عباس قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله ؛ إني رأيتني^[٣] الليلة وأنا نائم كأنني أصلی خلف شجرة ، فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي ، فسمعتها [وهي^[٤]] تقول : اللهم اكتب لي بها عندك أجرا ، وضع عني بها وزرا ، واجعلها لي عندك ذخرا ، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود .

(٢٣) - أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب : صفة الشمس والقمر الحديث (٣١٩٩) (٢٩٧/٦)
وأطراه في [٢] ، ٤٨٠٢ ، ٤٨٠٣ ، ٧٤٢٤ ، ٧٤٣٢ . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : بيان الرمن الذي لا يقبل فيه الإيمان الحديث (٢٥١ ، ٢٥٠) (١٥٩) .

(٢٤) - أخرجه أحمد في مسنده (٤/٢٦٩) (١٤٤١٨) بهذا اللفظ من حديث النعمان بن بشير ، ورواه في (٤/٢٦٧) (١٨٤٠٤) . وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب : من قال : يركع ركعين الحديث (١١٩٣) (٣١/٢) بلفظ : « كشفت الشمس على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجعل يصلي ركعين ركعين ويسأل عنها حتى الجلت » . والنسائي في كتاب الكسوف ، باب نوع آخر (١٤١/٣) . وأبي داود ماجة في كتاب إقامة الصلاة ، باب : ما جاء في صلاة الكسوف الحديث (١٢٦٢) (٤٠١/١) . والبيهقي في السنن الكبرى (٣٣٣/٣) . من طرق عن أبي قلابة عن النعمان بن بشير ، فلذكره .

وقال البيهقي : هذا مرسلا ، أبو قلابة لم يسمعه من النعمان بن بشير إنما رواه عن رجل عن النعمان وليس فيه هذه اللفظة الأخيرة . ا.هـ

[١] - في ز : ظلالهما .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : « رأيت » .

قال ابن عباس : فقرأ رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، سجدة ، ثم سجد ، فسمعته [وهو] ^[١] يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة .

رواه الترمذى ^(٢٥) وابن ماجة وابن حبان في صحيحه .

وقوله : **والدواب** ^{هـ} ، أي : الحيوانات كلها .

وقد جاء في الحديث عند ^[٢] الإمام أحمد ^(٢٦) : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلام ، نهى [عن اتخاذ ظهور الدواب ^[٣] منابر] فرب مركوبة خير وأكثر ذكرًا لله من راكلها .

(٢٥) - الترمذى في كتاب الصلاة ، باب ما يقول في سجود القرآن الحديث (٥٧٩) (٤٧٢ / ٣ - ٤٧٣)، وأخرجه في كتاب الدعوات ، باب ما يقول في سجود القرآن الحديث (٣٤٢٤) (٤٥٥ / ٥ - ٤٥٦). وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة ، باب سجود القرآن الحديث (٣) (١٠٥٣). وابن حبان في صحيحه (٤٧٣ / ٦ - ٤٧٤) الحديث (٢٧٦٨) .

(٢٦) - رواه أحمد من حديث معاذ بن أنس عن أبيه (٤٣٩ / ٣) (١٥٦٧١). وهو صحيح - إلا قوله : « فرب مركوبة خير من راكلها ، وأكثر ذكرًا لله منه » - والحديث رواه أحمد حديث (١٥٦٨٩) (٤٤٠ / ٣) وأسناده فيه ابن لهيعة وزيان . ورواه أحمد بلفظ : « اركبوا هذه الدواب سالمة ، وايدعوها سالمة ، ولا تتخذوها كراسى » . ح (٤٤٠ / ٣) من طريق ليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عنه به . وح (١٥٦٨٤) (٤٤٠ / ٣) من طريق ليث عن يزيد بن أبي حبيب . وح (١٥٦٨٣) (٤٤٠ / ٣) من طريق ليث ، عن زيان . وح (١٨٠٨١) (٢٣٤ / ٤) من طريق ليث عن يزيد عنه . والحديث رواه الدارمي من طريق ليث ، عن يزيد في كتاب الاستذان ، باب : في النهي عن أن يتخذ الدواب كراسى ، حديث (٢٥٦٩) . ورواه ابن خزيمة من طريق ليث عن يزيد حديث (٢٥٤٤) . ورواه البيهقي في سنته الكبيرى (٢٢٥ / ٥) . والحاكم في المستدرك (١ / ٤٤) و (١٠٠ / ٢) . والطبراني في الكبير (١٩٣ / ٢٠) حديث (٤٣٢-٤٣١) . ورواه أحمد حديث (١٥٦٩٣) (٤٤١ / ٣) بلفظ : « لا تتخذوا الدواب كراسى ، فرب مركوبة عليها هي أكثر ذكر الله تعالى من راكلها ». وذكره الهيثمى في مجمع الروايد (١٠٧ / ٨) وقال : رواه أحمد والطبراني ، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح ، غير سهل بن معاذ بن أنس ، وثقة ابن حبان ، وفيه ضعف .

وقال الحكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وواقفه الذهبي . وقال الألبانى : وهو كما قالا فإن رجاله كلهم ثقات ، وسهل بن معاذ لا يأس به في غير رواية زيان عنه ، وهذه ليست منها . وقد أخرجه أحمد من طريق ابن لهيعة ، ثنا زيان ، عن سهل به وزاد : « فرب مركوبة خير من راكلها ، وأكثر ذكرًا لله منه ». وهذه الزيادة ضعيفة لما عرفت من حال رواية زيان عن سهل ، لا سيما وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف أيضًا ولا تغرن بقول الهيثمى (١٠٧ / ٨) رواه أحمد والطبراني ، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح ، غير سهل ابن معاذ بن أنس ، وثقة ابن حبان ، وفيه ضعف . فإن السنن الذي ينطبق عليه هذا الكلام إنما هو سند الرواية الأولى التي ليست فيها هذه الزيادة فتنبه . اه . من الصحىحة حديث (٢١) .

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ت : « عن » .

[٣] - في خ : « عن ظهور اتخاذ الدواب » .

وقوله : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسُ هُوَ أَيْ : يسجد^[١] لِلَّهِ طَوعًا مُخْتَارًا مَتَعَدِّدًا بِذَلِكِ ، وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ هُوَ أَيْ : مَنْ امْتَنَعَ وَأَيْ وَاسْتَكْبَرَ ، وَمَنْ يَهْنَ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مَكْرُمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يَشَاءُ هُوَ .

وقال ابن أبي حاتم^[٢] : حدثنا أحمد بن شيبان الرملاني ، حدثنا القداح ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي ؛ قال : قيل لعلي : إن هاهنا رجلاً^[٣] يتكلم في المشيطة . فقال له علي : يا عبد الله ، خلقك الله كما يشاء أو كما^[٤] شئت ؟ قال : [بل كما شاء . قال^[٥] : فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : بل إذا شاء . قال : فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : بل إذا شاء^[٦] . قال : فيدخلك حيث شئت أو حيث يشاء ؟ قال : بل حيث يشاء . قال : والله لو قلت غير ذلك لضررت الذي فيه عيناك بالسيف .

وعن^[٧] أبي هريرة قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يكفي ، يقول : يا ولدي ا أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فأبىت فلي النار » رواه مسلم^[٨] .

وقال الإمام أحمد^[٩] : حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ، وأبو عبد الرحمن المقرئ ؟ قالا : حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا مشرح بن هاعان أبو مصعب المعافري ، قال : سمعت عقبة ابن عامر ، يقول : قلت : يا رسول الله ، أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين ؟ قال : « نعم ، فمن لم يسجد بهما فلا يقرأهما » .

(٢٧) - أخرجه الالكائي في السنة رقم (١٣١٠) .

(٢٨) - أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة الحديث (٨١/١٣٣) (٩٢/٢) .

(٢٩) - أخرجه أحمد (١٥١/٤) (١٧٤١٣) ثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ، و(٤/١٥٥) (١٧٤٥٩) من حديث أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ - كلامها - عن ابن لهيعة وقد حسنها بعض أهل العلم - أعني روایة العبدالله عنه - والحديث رواه أبو داود في الصلاة ، باب : تفريع أبواب السجود حديث ١٤٠٢ . والترمذى حديث ٥٧٨ . وقال الترمذى : هذا حديث ليس إسناده بالقوى . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣٩٠/٢) . وقال : هذا حديث لم نكتبه مسنداً إلا من هذه الوجه ؟ وعبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي أحد الأئمة إماماً نقم عليه اختلاطه في آخر عمره ، وقد صحت الرواية فيه من قول عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي موسى ، وأبي الدرداء ، وعمر رضي الله عنهم . أهد . وقال النهبي في التلخيص : صحت الرواية في هذا من قول عمر وطائفة . والحديث ضعيف شيئاً في ضعيف أبي داود حديث ٢٠٣ ، ووضعيف الترمذى حديث ٨٩ .

[١] - في ز : سجد .

[٤] - ما بين المعقودين في ز : « لما يشاء » .

[٦] - في خ : عن .

[٣] - في ز : لما .

[٥] - سقط من خ .

وروأه أبو داود^(٣٠) والترمذى من حديث عبد الله بن لهيعة به ، وقال الترمذى : ليس بقوى . وفي هذا نظر ؛ فإن ابن لهيعة قد صرخ فيه بالسماع ، وأكثر^[١] ما نعموا عليه تدلیسه .

وقد قال أبو داود في المراسيل^(٣١) : حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح ، أئبنا ابن وهب ، أخبرني معاوية بن صالح ، عن عامر بن جشيب^[٢] ، عن خالد بن معدان ؛ أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « فضلت سورة الحج على القرآن بسجدتين » .

ثم قال أبو داود : وقد أسنده هذا - يعني من غير هذا الوجه - ولا يصح .

وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي : حدثني ابن أبي داود ، حدثنا يزيد بن عبد الله ، حدثنا الوليد ، حدثنا أبو عمرو ، حدثنا حفص بن عنان^[٣] ، حدثني نافع ، حدثني أبو الجهم ؛ أن عمر سجد سجدين في الحج وهو بالجائحة . وقال : إن هذه فضلت بسجدتين .

وروى أبو داود^(٣٢) وابن ماجة ؛ من^[٤] حديث الحارث بن^[٥] سعيد العقفي^[٦] ، عن عبد الله بن مئن ، عن عمرو بن العاص ؛ أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أقر أنه [خمس عشرة]^[٧] سجدة في القرآن ؛ منها ثلاثة في المفصل وفي سورة الحج سجدتان . فهذه شواهد يشد بعضها بعضاً .

﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْصَصُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ شِابٌ مَّنْ تَأْرِيْكَرْ يُصَبِّبُ مِنْ فَوْقِ رُمُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾^[٩]

(٣٠) - أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : تفريغ أبواب السجود وكم سجدة في القرآن الحديث (١٤٠٢) (٥٨/٢) . والترمذى في أبواب الصلاة ، باب : ما جاء في السجدة في المجمع الحديث (٥٧٨) (٤٧١-٤٧٠/٢) .

(٣١) - أخرجه أبو داود في المراسيل رقم (٧٨) .

(٣٢) - أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب تفريغ أبواب السجود وكم سجدة في القرآن الحديث (١٤٠١) (٥٨/٢) . وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة ، باب عدد سجود القرآن الحديث (١٠٥٧) (١) (٣٣٥) .

[١] - في ز : والبس . بلا نقط .

[٢] - في خ : جشيب .

[٤] - في ز ، خ : (في) .

[٦] - في ز : الصفي .

[٣] - في خ : (غيات) .

[٥] - في ز : و .

[٧] - في خ : (خمسة عشر) .

وَلَمْ تَقْعُدْ مِنْ حَيْدِيرٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَيْرِ
أُعِيدُوا فِيهَا وَذُو قُوَّا عَذَابَ الْحَرِيقِ

ثبت في الصحيحين^(٣٣) : من حديث أبي مجلز ، عن قيس بن عباد ، عن أبي ذر ؛ أنه كان يقسم قسمًا أن هذه الآية^[١] : ﴿ هُدًان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ نزلت في حمزة وصاحبيه^[٢] ، وعتبة وصاحبيه ، يوم بارزوا في بدر .

لفظ البخاري عند تفسيرها .

ثم قال البخاري^(٣٤) : حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا^[٣] المعتمر بن سليمان ، [سمعت أبي^[٤] حدثنا أبو مجلز ، عن قيس بن عباد ، عن علي بن أبي طالب أنه قال : أنا أول من يجشو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيمة . قال قيس : وفيهم نزلت : ﴿ هُدًان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ ، قال : هم الذين بارزوا يوم بدر : علي وحمزة وعبيدة ، وشيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة . انفرد به البخاري .

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة^(٣٥) في قوله : ﴿ هُدًان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ ، قال : اختصم المسلمون وأهل الكتاب ، فقال أهل الكتاب : نبينا قبل نبيكم ، وكتابنا قبل كتابكم ، فتحن أولى بالله منكم . وقال المسلمون : كتابنا يقضى على الكتب كلها ، ونبينا خاتم الأنبياء ، فتحن أولى بالله منكم . فأفلج الله الإسلام على من ناوأه ، وأنزل : ﴿ هُدًان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ . وكذلك روئي العوفي ، عن ابن عباس^(٣٦) . وقال شعبة : عن قتادة في قوله : ﴿ هُدًان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ ،

(٣٣) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي ، باب قتل أبي جهل الحديث (٣٩٦٦) وأطراقه في (٣٩٦٨ ، ٣٩٦٩ ، ٤٧٤٣) . وسلم في كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ هُدًان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ الحديث (٣٠٣٢) (١٨ / ٢٢٠ - ٢٢١) .

(٣٤) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير ، باب : ﴿ هُدًان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ الحديث (٤٧٤٤) (٤٤٣ / ٨) .

(٣٥) - عزاه السيوطي في الدر (٦٢٨ / ٤) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .
(٣٦) - أخرجه الطبراني في تفسيره (١٣٢ / ١٧) ، وزاد السيوطي في الدر (٦٢٨ / ٤) نسبته إلى ابن مردوه .

[٢] - في ز ، خ : « وصاحب » .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٣] - بعدها في خ : « ابن » .

قال : مصدق ومكذب .

وقال ابن أبي نبيج ، عن مجاهد^(٣٧) في هذه الآية : مثل الكافر والمؤمن اختصما فيبعث . وقال في رواية هو وعطاء^(٣٨) في هذه الآية : هم المؤمنون والكافرون .

وقال عكرمة^(٣٩) : هذان خصمان اختصموا في ربهم ﷺ قال : هي الجنة والنار ؛
قالت النار : اجعلني للعقوبة . وقالت الجنة : اجعلني للرحمة .

وقول^[١] مجاهد وعطاء : إن المراد بهذا الكافرون والمؤمنون يشمل الأقوال كلها ، ويقتضي
فيه قصة يوم بدر وغيرها ، فإن المؤمنين يريدون نصرة دين الله ، عن وجل ، والكافرون
يريدون إطفاء نور الإيمان ، وخذلان الحق ، وظهور الباطل ، وهذا اختيار ابن جرير ، وهو
حسن ؛ ولهذا قال : ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَطْعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَارٍ﴾^(٤) ، أي : فصلت لهم
مقاطعات من نار ، قال سعيد بن جرير^(٤) : من نحاس ، وهو أشد الأشياء حرارة إذا حمي .

﴿يَصْبَرُ مِنْ فَوْقِ رَعْسِهِمُ الْحَمِيمٌ * يَصْهُرُ بِهِ مَا فِي بَطْوَنِهِمْ وَالْجَلُودِ﴾ ، أَيْ : إِذَا
صَبَ عَلَى رَعْسِهِمُ الْحَمِيمِ ، وَهُوَ الْمَاءُ الْأَحَارُ فِي غَيَّةِ الْحَرَارَةِ .

وقال سعيد : هو النحاس المذاب ، أذاب ما في بطونهم من الشحم والأمعاء . قال ابن عباس^(٤) ومجاحد وسعيد بن جبير^(٥) وغيرهم . وكذلك تذوب جلودهم ، وقال ابن عباس وسعيد : تساقط .

(٣٧) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٢/١٣٢) ، وزاد السيوطي في الدر (٤/٦٢٨) نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

٣٨) - أخرجه ابن حجر (١٧/١٣٢).

(٣٩) - أخرجه ابن جرير (١٢٢/١٧ - ١٣٣) بلفظ : « قالت النار : خلقني الله لعقربته . وقالت الجنة : خلقني الله لرحمته . فقد فص الله عليك من خيرهما ما تسع » .

(٤٠) - أخرجه ابن حجر (١٣٣/١٧) ، وزاد السيوطي في الدر (٦٢٩/٤) نسبة إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٤١) - عزاه السيوطي في الدر (٤/٦٢٩) إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : « يصهر به ما في بطنهم والجلود » قال : يمشون وأماؤه تساقط وجلودهم »

(٤٢) - أخرجه ابن جرير (١٣٥ / ١٧) مطولاً وفيه : « يصهر به ما في بطونهم » يعني أمعاءهم وتساقط جلودهم . ورواه أيضاً أبو نعيم في الحلية (٤ / ٢٨٥) . وزاد السيوطي في الدر (٤ / ٦٢٩) نسبة إلى عبد ابن حميد وابن أبي حاتم .

[١] - في خ : « وقال » .

وقال^[١] ابن جرير^(٤٣) : حدثني محمد بن المثنى ، حدثنا إبراهيم أبو إسحاق الطالقاني ، حدثنا ابن المبارك ، عن سعيد بن يزيد^[٢] ، عن أبي السمح ، عن ابن^[٣] محجيرة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن الحميم ليصب على رءوسهم ، ليُنفَد الججمة حتى يخلص إلى جوفه ، فيسلت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه ، وهو الصهر^[٤] ثم يعاد كما كان » ورواه الترمذى^(٤٤) : من حديث ابن المبارك ، وقال : حسن صحيح . وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أبي نعيم ، عن ابن^[٥] المبارك به .

ثم قال ابن أبي حاتم :

حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، سمعت عبد الله بن السري ؛ قال : يأتيه الملك يحمل الإناء بِكَلْبَتَيْنِ من حرارته ، فإذا أدناه من وجهه تكرهه ، قال : فيرفع مقمعة معه فيضرب بها رأسه ، فيفرغ دماغه ، ثم يفرغ الإناء من دماغه ، فيصل إلى جوف من دماغه ، فذلك قوله : « يصهر به ما في بطونهم والجلود » .

وقوله : « ولهم مقام من حديد » ، قال الإمام أحمد^(٤٥) :

حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « لو أن مقمعاً من حديد وضع في الأرض ، فاجتمع له^[٦] الثقلان ما أفلحو من الأرض » .

وقال الإمام أحمد^(٤٦) : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن لهيعة ، عن^[٧] دراج ، عن

- أخرجه الطبرى في تفسيره (١٧ / ١٣٣ - ١٣٤) .

(٤٣) - أخرجه الترمذى في كتاب صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة شراب أهل النار الحديث (٢٥٨٢) .

(٤٤) - أخرجه الطبرى في تفسيره (٢٩ / ٣) (١١٢٤٩) . وإنستاده ضعيف من أجل دراج وابن لهيعة . وأخرجه أبو يعلى (١٣٨٨) حدثنا زهير حدثنا الحسن بن موسى به . والبيهقي في « البیث والنشر » - (٥٣٧) من طريق يحيى بن يحيى ، أبا ابن لهيعة به . وأخرجه الحاكم (٤ / ٦٠٠) من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به وصححة ووافقة الذهنى . وذكره الهيثمى في « المجمع » (١٠ / ٣٩١) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ، وفيه ضعفاء وقد وثقوا . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٦٣٠) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٤٥) - أخرجه أحمد في المسند (٣ / ٨٣) (١١٨٠٢) . وإنستاده ضعيف كالذى قبله .

[١] - في ز : قال .

[٢] - في خ : زيد .

[٣] - في ز : أبي .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - سقط من خ .

[٦] - في ت : « حدثنا » .

أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لو ضرب الجبل ينفع من حديد لفتت ، ثم عاد كما كان ، ولو أن دلواً من غساق يهراق في الدنيا لأنق أهل الدنيا » .

وقال ابن عباس^(٤٦) في قوله : « ولهم مقامع من حديد » ، قال : يضربون بها ، فيقع كل عضو على حاله ، فيدعون^[١] بالثبور .

وقوله : « كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها » ، قال^[٢] الأعمش ، عن أبي طبيان ، عن سلمان^(٤٨) ؛ قال : النار سوداء مظلمة ، لا يضيء لهبها ولا جمرها ، ثم قرأ : « كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها » .

وقال زيد بن أسلم^(٤٩) في هذه الآية : « كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها » ، قال : بلغني أن أهل النار في النار لا يتفسرون .

وقال الفضيل بن عياض^(٥٠) : والله ما طمعوا في الخروج ، إن الأرجل مقيدة ، وإن الأيدي موثقة ، ولكن يرفعهم لهبها ، وتردهم مقامعها .

وقوله : « وذوقوا عذاب الحريق » ، كقوله : « وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كتم به تكذبون » ، ومعنى الكلام : أنهم يهانون بالعذاب قولًا وفعلًا .

إِنَّ اللَّهَ يُدِخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
آتَاهُنَّهُ رِيحٌ كَوْنٌ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَؤْلُؤٍ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا
حَرِيرٌ ۝ وَهُدُوًّا إِلَى الظَّلَيْبِ مِنْ الْقَوْلِ وَهُدُوًّا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ

ما أخبر تعالى عن حال أهل النار - عيادة بالله من حالهم - وما هم فيه من العذاب

(٤٧) - جزء من ثور ابن عباس المتقدم رقم (٨٩) .

(٤٨) - أخرجه ابن المبارك في الزهد رقم (٣١٠) ، والطبراني في تفسيره (١٧ / ١٣٥) ، والحاكم في المستدرك (٣٨٧/٢) . وزاد السيوطي في الدر (٦٣٠/٤) نسبته إلى سعيد بن منصور وأبن أبي شيبة وهناد عبد بن حميد وأبن المنذر وأبن أبي حاتم .

(٤٩) - عزاه السيوطي في الدر (٦٣٠/٤) إلى ابن أبي حاتم .

(٥٠) - عزاه السيوطي في الدر (٦٣٠/٤) إلى ابن أبي حاتم .

والنkal ، والحرير والأغلال ، وما أعد لهم من ثياب من النار - ذكر حال أهل الجنة - نسأل الله من فضله وكرمه أن يدخلنا الجنة - فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ، أي : تتحقق في أكتافها وأرجائها وجوانبها ، وتحت أشجارها وقصورها ، يصرفنها حيث شاعوا وأين شاءوا ﴿ يَحْلُونَ فِيهَا ﴾ من الخلية ﴿ مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ ، أي : في أيديهم ، كما قال النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في الحديث المتفق عليه^(١) : « بلغ الخلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » .

وقال كعب الأحبار : إن في الجنة ملائكة لو شئت أن تسميه لسميتها ، يصوغ لأهل الجنة الخلية منذ خلقه الله إلى يوم القيمة ، لو أيرز قلب منها - أي : سوار منها - لرد شعاع الشمس ، كما ترد^(٢) الشمس نور القمر .

وقوله : ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ ، في مقابلة ثياب أهل النار التي فصلت لهم ، لباس هؤلاء من الحرير ؛ استبرقه وسندسه ، كما قال : ﴿ عَالِيهِمْ ثِيَابٌ سَنَدَسٌ خَضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحَلَوْا أَسَاوِرٌ مِنْ فَضْلَةٍ وَسَقَاهُمْ رِبَابًا طَهُورًا * إِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيكُمْ مَشْكُورًا ﴾ وفي الصحيح^(٣) : « لَا تلبسو الحرير ولا الديباج في الدنيا ، فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة » قال عبد الله بن الزبير : ومن^(٤) لم يلبس الحرير في الآخرة

(١) - الحديث لم أقف عليه في صحيح البخاري بهذا النطاف ، وقد رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة ، باب : بلغ الخلية حيث يبلغ الوضوء الحديث (٤٠/٤٠) من حديث أبي حازم ، قال : كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلة فكان يمد يده حتى تبلغ إبطه ، فقلت له : يا أبي هريرة ، ما هذا الوضوء ؟ قال : يا بني فروخ ، أنتم هنا ؟ لو علمت أنكم هنا ما توضأتم هذا الوضوء ؟ سمعت خليلي - صلى الله عليه وسلم - يقول : « بلغ الخلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » ورواه أيضًا التسائي في كتاب الطهارة ، باب : حلية الوضوء (٩٣/١) . وأحمد في المسند (٢٢٢/٢) (٣٧١) . وأبو عوانة في صحيحه (٢٤٤/١) . والبيهقي في كتاب الطهارة ، باب : استحباب إمرار الماء على العضد (٥٦/١) (٥٧) . والبغوي في شرح السنة (٤٢٦/١) رقم (٢١٩) . والحديث رواه البخاري في صحيحه ، كتاب اللباس ، باب : نقض الصور ، الحديث (٥٩٥/٣) (٣٨٥/١٠) (٥٧٥٩) من حديث أبي زرعة قال : دخلت مع أبي هريرة داراً بالمدينة فرأى في أعلاها مصورة يصور ؛ قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « وَمَنْ أَظْلَمَ مِنْ ذَهَبٍ يَخْلُقُ كَخْلُقَ فَلَيَخْلُقُوا ذُرْباً » ثم دعا بهور من ماء فحسن يديه حتى بلغ إبطيه فقلت : يا أبي هريرة ، أشيء سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ قال : « مَنْتَهِيَ الْخَلِيلَةِ » .

(٢) - آخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب اللباس ، باب : لبس الحرير للرجال وقدر ما يجوز منه ، الحديث (٥٨٣٢) (١٠/٢٨٤) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب اللباس والزينة ، باب : تحريم استعمال إماء الذهب والفضة الحديث (٢٠٧٣/٢١) (١٤/٧٠) من حديث عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس ، ورواه البخاري في كتاب اللباس ، باب : لبس الحرير للرجال ، الحديث (٥٨٣٤) (١٠/٢٨٤) ومسلم في كتاب اللباس ، باب : تحريم استعمال إماء الذهب والفضة ، الحديث (١١/٢٠٦٩) (١٤/٦٠) .

[٢] - في خ : « يَرُدُّ شَعَاعَ » .

[١] - في خ : « يَرُدُّ شَعَاعَ » .

لم يدخل الجنة ، قال الله تعالى : ﴿ ولباسهم فيها حرير ﴾ .

وقوله : ﴿ وهدوا إلى الطيب من القول ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحبthem فيها سلام ﴾ قوله : ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار ﴾ ، قوله : ﴿ لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيمًا إلا قيلاً سلامًا ﴾ فهدوا إلى المكان الذي يسمعون فيه الكلام الطيب ، ﴿ ويلقون فيها نعيم وسلامًا ﴾ ، لا كما يهان أهل النار بالكلام الذي يُرَوِّعون به ويقرعون به ، يقال لهم : ﴿ ذوقوا عذاب الحريق ﴾ .

وقوله : ﴿ وهدوا إلى صراط الحميد ﴾ ، أي : إلى المكان الذي يحمدون فيه ربهم ، على ما أحسن إليهم وأنعم به وأسداء إليهم ، كما جاء في الصحيح : « إنهم يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس » .

وقد قال بعض المفسرين في قوله : ﴿ وهدوا إلى الطيب من القول ﴾ ، أي : القرآن . وقيل : لا إله إلا الله . وقيل : الأذكار المشروعة . ﴿ وهدوا إلى صراط الحميد ﴾ ، أي : الطريق المستقيم في الدنيا ، وكل هذا لا ينافي ما ذكرناه ، والله أعلم .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَا
لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِيدُ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظْلَمُ نُذَقَةً مِّنْ

عَذَابٍ أَلِيمٍ ⑯

يقول تعالى منكراً على الكفار في صدهم المؤمنين عن إتيان المسجد الحرام ، وقضاء مناسكهم فيه ودعواهم أنهم أولياؤه [١] وما كانوا أولياءه [١] إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون [٢] وفي هذه الآية دليل أنها مدنية ، كما قال في سورة البقرة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قَتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ [٢] عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ، أي [٣] : ومن صفتهم مع كفراهم أنهم يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام ، أي : ويفصلون عن المسجد الحرام من أراده من

[١] - في خ : « وصدوا » .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز .

المؤمنين ، الذين هم أحق الناس به في نفس الأمر ، وهذا التركيب في هذه الآية كقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُ الْفُلُوْبُ﴾ أى : ومن صفتهم أنهم تطمئن قلوبهم بذكر الله .

وقوله : ﴿الَّذِي جَعَلَنَا لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادُ﴾ ، [أى : يمدون الناس عن الوصول إلى المسجد الحرام ، وقد جعله الله شرعاً سواء ، لا فرق فيه بين المقيم فيه والثاني عنه بعيد الدار منه ، ﴿سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادُ﴾^[١]] ومن ذلك استواء الناس في رياض مكة وسكنها ، كما قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادُ﴾ ، [قال : ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام .

وقال مجاهد^(٥٣) : ﴿سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادُ﴾^[٢] ، أهل مكة وغيرهم فيه سواء في المنازل . وكذا قال أبو صالح^(٥٤) ، وعبد الرحمن بن سابط^(٥٥) ، وعبد الرحمن بن زيد^(٥٦) .

وقال عبد الرزاق^(٥٧) ، عن عمر عن قتادة : سواء فيه أهله وغير أهله .

وهذه المسألة اختلف فيها الشافعي وإسحاق بن راهويه بمسجد الخيف ، وأحمد بن حنبل حاضر أيضاً ، فذهب الشافعي رحمة الله إلى أن رياض مكة تملك وتورث وتتجزء ، واحتج بحديث الزهربي ، عن علي بن الحسين ، عن عمرو بن عثمان ، عن أسامة بن زيد ؛ قال : قلت : يا رسول الله ، أتنزل غداً في دارك بمكة ؟ فقال : « وهل ترك لنا عقيل من رياض ؟ » ثم قال : « لا يرث الكافر المسلم ، ولا المسلم الكافر ». وهذا الحديث مخرج في الصحيحين^(٥٨) ، وبما ثبت أن عمر بن الخطاب اشتراه من صفوان بن أمية داراً بمكة فجعلها

(٥٣) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٣٧/١٢) وعزاه السيوطي في الدر (٤/٦٣٢) إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن مجاهد بلفظ : « الناس بمكة سواء ، ليس أحد أحق بالمنازل من أحد » .

(٥٤) - أخرجه الطبرى (١٣٧/١٧) قال : أهله والمنتاب في المنزل سواء .

(٥٥) - أخرجه الطبرى (١٣٧/١٧) بلفظ : « ليس أحد أحق بمنزله من أحد إلا أن يكون أحد سبق إلى منزله » وعزاه السيوطي في الدر (٤/٦٣٢) إلى ابن أبي شيبة .

(٥٦) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٣٧/١٧) قال : العاكف فيه : المقيم بمكة ، والباد : الذي يأتيه ، هم فيه سواء في البيوت .

(٥٧) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٣٧/١٧) من طريق عبدالرزاق .

(٥٨) - أخرجه البخارى في كتاب المغازي ، باب : أين رکز النبي الراية يوم الفتح ، الحديث = (٤٢٨٢، ٤٢٨٣) (١٤-١٣/٨) وأخرجه البخارى في كتاب الفرائض ، باب : لا يرث المسلم الكافر =

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

سجناً ، بأربعة آلاف درهم . وبه قال طاووس وعمرو ابن دينار .

وذهب إسحاق بن راهويه إلى أنها لا تورث ولا تؤجر . وهو مذهب طائفة من السلف ، ونص عليه مجاهد وعطاء ، واحتج إسحاق بن راهويه بما رواه ابن ماجة^(١) ، عن أبي بكر ابن أبي شيبة ، عن عيسى بن يونس ، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن علقة بن نضلة قال : توفي ^[١] رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعمر ، وما تدعى ريع مكة إلا ^[٢] [السوائب] ، من احتاج سكن ، ومن استغنى أسكن ^[٣] .

وقال عبد الرزاق^(٤) : عن ابن مجاهد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو أنه قال : لا يحل بيع دور مكة ولا كراوهَا^[٥] .

وقال أيضاً^(٦) ، عن ابن جريج : [كان عطاء ينهى عن الكراء في الحرم . وأخبرني أن عمر بن الخطاب^[٧] كان ينهى أن [تبوب دور^[٨] مكة] لأن ينزل الحاج في عرصاتها ، فكان أول من بوب داره سهيل^[٩] بن عمرو ، فأرسل إليه عمر بن الخطاب في ذلك ، فقال : أنظرني يا أمير المؤمنين ، لاني كنت امراً تاجراً ، فأردت أن أتخذ بابين يحيسان لي ظهري قال : فذلك إذاً .

وقال عبد الرزاق^(١٠) ، عن معمر ، عن منصور ، عن مجاهد ؛ أن عمر بن الخطاب ، قال : يا أهل مكة ، لا تتحذوا للدوركم أبواباً ، لينزل البادي حيث يشاء .

[قال^(١١) : وأخبرنا معمر عن سمع عطاء يقول : ﴿سواء العاكس فيه والباد﴾ قال :

= ولا الكافر المسلم ، الحديث (١٦٧٤) (٥٠/١٢) ومسلم في أول كتاب الفرائض ، الحديث (١٦١٤/١) مختصرأً .

(٥٩) - أخرجه ابن ماجه في السنن ، كتاب النساء ، باب : أجر بيت مكة ، الحديث (٣١٠٧) (٢) (١٠٣٧) .

(٦٠) - أخرجه في المصنف (١٤٨/٥) رقم (٩٢١٤) .

(٦١) - أخرجه في المصنف (١٤٦/٥) رقم (٢٩١٠) .

(٦٢) - أخرجه في المصنف (١٤٧/٥) رقم (٩٢١١) .

(٦٣) - أخرجه في المصنف (١٤٧/٥) رقم (٩٢١١) .

[١] - في خ : «نزل» . وفي ز : ترك .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من خ .

[٣] - في خ : «كراها» .

[٤] - ما بين المعكوفين مكرر في خ .

[٥] - في ز : «دار بيت» .

[٦] - في خ : سهل .

يتزلون حيث شاءوا .

وروى الدارقطني^(٦٤) من حديث ابن أبي نحيف ، عن عبد الله بن عمرو موقوفاً : من أكل كراء بيوت مكة أكل ناراً^[١] .

وتوسط الإمام أحمد فقال : تملك وتورث ولا تؤجر ، جمعاً بين الأدلة ، والله أعلم .

وقوله : **﴿وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْخَادِ بَظْلَمْ نَذْلَهُ مِنْ عَذَابِ أَلْيَمْ﴾** ، قال بعض المفسرين من أهل العربية : الباء هاهنا زائدة ، كقوله : **﴿تَبَتَّ بِالدَّهْنِ﴾** أي : تبت الدهن ، وكذا قوله : **﴿وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْخَادِ﴾** تقديره : إلحاداً ، وكما قال الأعشى :

ضمنت برزق عيالنا أرماحنا بين الرجال والصریح الأجرد^(٦٢)
وقال الآخر :

بواز يمان ينبع الشت^[٣] صدره وأسفله بالمرخ والشَّبهان^[٤]
والأجود أنه ضمن الفعل هاهنا معنى^[٥] : بهم ، ولهذا عدأه بالباء ، فقال : **﴿وَمَنْ يَرِدْ**
فِيهِ بِالْخَادِ﴾ ، أي : بهم فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار .

وقوله : **﴿بَظْلَمْ﴾** أي : عامداً قاصداً أنه ظلم ليس بمتأنل ، كما قال [ابن جريج^[٦]]
عن ابن عباس^(٦٥) : هو التعمد^[٧] . وقال على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس^(٦٦) :
﴿بَظْلَمْ﴾ بشرك . وقال مجاهد^(٦٧) : أن يعبد فيه غير الله . وكذا قال قتادة^(٦٨) وغير واحد .

(٦٤) - أخرجه الدارقطني في السنن (٢/٢٩٩-٣٠٠).

(٦٥) - أخرجه الطبراني في تفسيره (١٤١/١٧) من طريق ابن جريج قال : قال ابن عباس : الذي يرید استحلاله متعمداً .

(٦٦) - أخرجه الطبراني في تفسيره (١٤٠/١٧) وعزاه السيوطي في الدر (٤/٦٣٣) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم أيضاً .

(٦٧) - أخرجه الطبراني في تفسيره (١٤٠/١٧) .

(٦٨) - أخرجه الطبراني في تفسيره (١٤٠/١٧) .

[١] - سقط من خ . ومكانه ياض في ز .

[٢] - في ز : الأجردا .

[٣] - في ز : الشت .

[٥] - في ز : معنى .

[٤] - في ز : والشَّبهان .

[٦] - سقط من خ . وجريج ، مكانها ياض في ز .

[٧] - سقط من خ . وياض في ز .

وقال العوفي ، عن ابن عباس^(٦٩) : ﴿ بظلم ﴾ : هو أن تستحل من^[١] الحرام ما حرم الله عليك من لسان ، أو قتل ، فتظلم من لا يظلمك ، وقتل من لا يقتلك ، فإذا^[٢] فعل ذلك فقد وجب العذاب الأليم .

وقال مجاهد^(٧٠) : ﴿ بظلم ﴾ ، يعمل فيه عملاً سيئاً^[٣] .

وهذا من خصوصية الحرم : أنه يعاقب البادي فيه الشر ، إذا كان عازماً عليه ، وإن لم يوقعه ، كما قال ابن أبي حاتم^(٧١) في تفسيره :

حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا زيد بن هارون ، أبائنا شعبة ، عن السدي ، أنه سمع مرة^[٤] يحدث عن عبد الله - يعني ابن مسعود - في قوله : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ ﴾ ، قال : لو أن رجلاً أراد فيه بالحاد بظلم ، وهو بعدن أبين^[٥] أذاقه الله من العذاب الأليم . قال شعبة : هو رفعه لنا ، وأنا لا أرفعه لكم . قال زيد : هو قد رفعه . ورواه أحمد^(٧٢) ، عن زيد بن هارون ، به .

[قلت : هذا الإسناد^[٦] صحيح على شرط البخاري ، ووقفه^[٧] أشبه من رفعه ؛ ولهذا صمم شعبة على وقفه^[٨] من كلام ابن مسعود . وكذلك رواه أسباط ، وسفيان الثوري ، عن السدي ، عن مرة ، عن ابن مسعود موقعاً^[٩] والله أعلم .

(٦٩) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٤٠/١٧) .

(٧٠) - أخرجه الطبرى (١٤٠/١٧) .

(٧١) - أخرجه أحمد في مسنده (٤٥١،٤٢٨/١) ، والطبرى في تفسيره (١٤١/١٧) وأبو يعلى في مسنده (٢٦٣،٢٦٢/٩) رقم (٥٣٨٤) ، ورواه الحاكم (٣٨٨/٢) من طريق زيد بن هارون ، أبائنا شعبة عن السدي به فذكه مرفوعاً . وقال : « صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي وعزاه السيوطي في الدر (٤/٦٣٣) إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن راهويه وعبد بن حميد والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردوه « وقال الهيثى في الجمع (٧٣/٧) : « رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح » ا.هـ .

(٧٢) - أخرجه أحمد في المسند (٤٥١،٤٢٨/١) وانظر السابق .

[١] - سقط من ز .

[٣] - سقط من خ .

[٥] - في خ : « اثنين » .

[٧] - في خ : « ورفعه » .

[٩] - في ز ، خ : « مرفوعاً » .

[٢] - في خ : إذا .

[٤] - في خ : « من » .

[٦] - سقط من ز ، خ .

[٨] - في ز ، خ : « رفعه » .

وقال الثوري^[١] عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله قال^(٧٣) : ما من رجل يهم بسيئة فتكتب عليه ، ولو أن رجلاً بعدن أين^[٢] هم [أن يقتل^[٣] رجلاً بهذا البيت لأذاته] الله من العذاب الأليم^[٤] . وكذا قال الضحاك بن مزاحم .

وقال سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « إلحاد فيه » لا والله ، وبلى والله ، وروى عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو مثله^(٧٤) .

وقال سعيد بن جبیر^(٧٥) : شتم الخادم ظلم فما^[٥] فوقه .

وقال سفيان الثوري ، عن عبد الله بن عطاء ، عن ميمون بن^[٦] مهران ، عن ابن عباس^(٧٦) في قوله : « ومن يرد فيه إلحاد بظلم^[٧] » ، [قال^[٧] : [تجارة^[٨] الأمير فيه .

وعن ابن عمر^(٧٧) : بيع الطعام إلحاد .

(٧٣) - أخرجه الطبری في تفسیره (١٤١/١٧) بلفظه واستناده ، ورواه الحاکم في المستدرک (٣٨٧/٢) من طریق سفیان ، عن زید ، عن مرسد ، عن ابن مسعود بلفظ : « لو أن رجلاً هم بخطيئة يعني لم يعملها لم يكتب عليه ، ولو أن رجلاً هم يقتل رجل عند البيت وهو بعد أین أذاته الله عذاباً أیضاً ». ورواه الطبرانی في الكبير (٩٠٧٨) رقم (٢٥٣/٩) حدثنا محمد بن علي الصائغ ، ثنا سعید بن منصور ، ثنا الحکم بن ظہیر ، عن السدی ، عن مرة ، عن عبد الله بن مسعود في تفسیره الآیة قال : « من هم بخطيئة فعلوها في سوی البيت لم يكتب عليهم حتى يعملها ، ومن هم بخطيئة فعلوها في البيت لم يمته الله في الدنيا حتى يذقه من عذاب أیم » عزاه السیوطی في الدر (٤/٦٣٢) إلى سعید بن منصور . قال الهیشی في مجمع الزوائد (٧) : « رواه الطبرانی وفي الحکم بن ظہیر وهو متزوک » ا.هـ

(٧٤) - أخرجه الطبری في تفسیره (١٤٠/١٧) قال : حدثنا ابن المتن ، قال : ثنا محمد بن جعفر قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو قال : كان له فسطاطان : أحدهما في الحل والآخر في الحرم فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل ، فسئل عن ذلك ؟ فقال : كنا نتحدث أن الإلحاد فيه أن يقول الرجل : كلا والله ، وبلى والله . عزاه السیوطی في الدر (٤/٦٣٤) إلى سعید بن منصور ، وابن أبي شيبة وابن منیع وعبد بن حمید وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردیوه .

(٧٥) - عزاه السیوطی في الدر (٤/٦٣٤) إلى ابن أبي حاتم .

(٧٦) - عزاه السیوطی في الدر (٤/٦٣٤) إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حمید وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٧٧) - عزاه السیوطی في الدر (٤/٦٣٤) إلى عبد بن حمید وابن أبي حاتم .

[١] - في ز ، خ : « البار » . [٢] - في خ : « الثنین » .

[٣] - في ز ، خ : « أرسل » . والمبین من الطبری .

[٤] - ما بين المعکوفین في ز : « من عذاب أیم ». [٥] - في ز ، خ : « لما » .

[٦] - في ز : عن .

[٧] - سقط من ز ، خ .

[٨] - سقط من خ .

وقال حبيب^[١] بن أبي ثابت^(٧٨) : ﴿ وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بُطْلَمْ ﴾ ، قال : المحتكر بمكة . وكذا قال غير واحد .

وقال ابن أبي حاتم^(٧٩) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن إسحاق الجوهري ، أبنا أبو عاصم ، عن جعفر بن يحيى ، عن عممه عمارة بن ثوبان^[٢] ، حدثني موسى بن باذان ، عن يعلى بن أمية ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « احتكار الطعام بمكة إلحاد ». .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيى^[٣] بن عبد الله بن بكير ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني عطاء بن دينار ، حدثني سعيد بن جبير ؛ قال : قال ابن عباس في قول الله : ﴿ وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بُطْلَمْ ﴾ قال : نزلت في عبد الله بن أنيس ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعثه مع رجلين ، أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار ، فاقتصرتا في الأنساب ، فقضب عبد الله بن أنيس ، فقتل الأنصاري ثم أرتد عن الإسلام ، ثم^[٤] هرب إلى مكة ، فنزلت فيه : ﴿ وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بُطْلَمْ ﴾ ، يعني : من تجا إلى الحرم بإلحاد ، يعني : بميل عن الإسلام .

وهذه الآثار وإن دلت على أن هذه الأشياء من الإلحاد ، ولكن هو أعم من ذلك ، بل فيها تنبية على ما هو أغلظ منها ، ولهذا لما هم أصحاب الفيل على تخريب البيت ، أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول[﴾] أي : دمّرهم يجعلهم عبرة ونکالاً لكل من أراده بسوء ، ولذلك ثبت في الحديث أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « يغزو هذا البيت جيش ، حتى إذا كانوا بيداء من الأرض ، خسف بأولهم وآخرهم » الحديث .

وقال الإمام أحمد^(٨٠) : حدثنا محمد بن كناسة ، حدثنا إسحاق بن سعيد ، عن أبيه قال : أتى عبد الله بن عمر عبد الله بن الزبير ، فقال : يا ابن الزبير ، إياك والإلحاد في حرم

(٧٨) - أخرجه الطبراني في تفسيره (١٤١/١٧) .

(٧٩) - أخرجه أبو داود في كتاب المنسك ، باب تحريم حرم مكة الحديث (٢٠٢٠) (٢١٣، ٢١٢/٣) والبخاري في تاريخه (٢٥٥/٧) وعزاه السيوطي في الدر (٦٣٣/٤) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه ، والحديث ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف أبي داود رقم (٤٤٠) وفي ضعيف الجامع رقم (١٨٤) .

(٨٠) - أخرجه أحمد في المسند (١٣٦/٢) .

[١] - في ز : حندب . كذلك .

[٢] - في ز : ثروان .

[٤] - في ت : و .

[٣] - في ز : حلبي .

الله ، فإني سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « إنه سيلحد فيه رجل من قريش ، لو وزن ذنبه بذنب الثقلين لرجحت ». فانظر لا [تكن هو]^[١] .

وقال أيضاً^[٢] : حدثنا هاشم ، حدثنا إسحاق بن سعيد ، حدثنا سعيد بن عمرو ؛ قال : أتى [عبد الله بن عمرو عبد الله بن الزبير]^[٣] ، وهو جالس في الحجر فقال : يابن الزبير ، إياك والإلحاد في الحرم ! فإني أشهد^[٤] لسمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول^[٥] : « يحلها ويحل به رجل من قريش ، لو وزنت ذنبه بذنب الثقلين لوزنتهها ». قال : فانظر لا تكن هو .

لم^[٦] يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذين الوجهين .

وَإِذْ بَوَأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَا شُرِيكَ لِشَيْءٍ وَطَهَرَ يَتَّقِيَ
لِلطَّاغِيَنَ وَالْقَاتِلِينَ وَالرُّكْعَةَ السُّجُودُ
وَأَذْنَ فِي الْنَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ
رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجَّ عَمِيقٍ
٢٦
٢٧

هذا فيه تفريع وتبيخ لمن عبد^[٧] غير الله وأشرك به من قريش ، في البقعة التي أست

من أول يوم على توحيد الله ، وعبادته وحده لا شريك له ، فذكر تعالى أنه بوا إبراهيم مكان

البيت ، أي : أرشده إليه ، وسلمه له ، وأذن له في بنائه .

واستدل به كثير من قال إن إبراهيم عليه السلام هو أول من بنى البيت العتيق ، وأنه لم

يُنْ قبله ، كما ثبت في الصحيح^[٨] عن أبي ذر ، قلت : يا رسول الله ، أي مسجد وضع

أول ؟ قال : « المسجد الحرام ». قلت : ثم أي ؟ قال : « بيت المقدس ». قلت : كم

(٨١) - أخرجه أحمد في المسند (٢١٩/٢) ورواه أيضاً في (١٩٦/٢) قال : حدثنا أبو النضر حدثني إسحاق ابن سعيد به .

(٨٢) - أخرج البخاري في كتاب الأنبياء ، باب رقم (١٠) الحديث (٣٣٦٦) ، (٤٠٧/٤) وفي باب قول الله تعالى : « ووبهنا للنادل سليمان » الحديث (٣٤٢٥) (٤٥٨/٤) . ومسلم في أول كتاب المساجد مواضع الصلاة الحديث رقم (٥٢٠/٢٢١) (٣/٥) .

[١] - في المسند : تكونه .

[٢] - ما بين المعقودين في ز : « عبد الله بن عمر ابن الزبير » .

[٣] - في خ : « لأشهد » .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - في ز : ولم .

بینهما ؟ قال : « أربعون سنة » وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أُولَىٰ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي
بِكَةَ مَبَارِكًا وَهَذِي لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ... ﴾ الآية ، وقال تعالى :
﴿ وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهَرَا بَيْتَنَا لِلطَّافِقِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرَّكِعِ السَّاجِدِ ﴾ .

وقد قدمنا ذكر ما ورد في بناء البيت من الصلاح والآثار ، بما أغني عن إعادته هاهنا .

وقال تعالى هاهنا : ﴿ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا ﴾ ، أي : ابنه على اسمي وحدي ،
﴿ وَطَهَرَ بَيْتِي ﴾ ، قال قتادة^(٨١) ومجاهد^(٨٤) : من الشرك ، ﴿ لِلطَّافِقِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرَّكِعِ
السَّاجِدِ ﴾ ، أي : اجعله خالصاً لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده لا شريك له ، فالطائف به
المعروف ، وهو أخص العبادات عند البيت ، فإنه لا يفعل بقعة من الأرض سواها ،
﴿ وَالْقَائِمِينَ ﴾ ، أي : في الصلاة ؛ ولهذا قال : ﴿ وَالرَّكِعِ السَّاجِدِ ﴾ ، فقرن الطواف
بالصلاحة ؛ لأنهما^[١] لا يشرعن إلا مختصين بالبيت ، فالطواف عنده ، والصلاحة إليه في
غالب الأحوال ، إلا ما استثنى من الصلاة عند اشتباه القبلة ، وفي الحرب ، وفي النافلة في السفر ،
وأَللَّهُ أَعْلَمُ .

وقوله : ﴿ وَأَذْنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ ﴾ ، أي : ناد في الناس داعياً لهم إلى الحج إلى هذا
البيت الذي أمرناك^[٢] ببنائه ، فذكر أنه قال : يا رب ، وكيف أبلغ الناس صوتي لا
ينفذهم ؟ فقال^[٣] : ناد علينا البلاغ . فقام على مقامه - وقيل : على الحجر . وقيل : على
الصفا . وقيل : على أبي قبيس - وقال : يا أيها الناس ، إن ربكم قد^[٤] اتخذ بيئاً فحجوه .
فيقال : إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض ، وأسمع من في الأرحام
والأصلاب ، وأجا به كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ، و[من]^[٥] كتب الله أنه يحج
إلى يوم القيمة : لبيك اللهم لبيك .

هذا مضمون ما روی عن ابن عباس^(٨٥)

(٨٣) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٤٣/١٧) عن قتادة قال : من الشرك وعبادة الأوثان .

(٨٤) - أخرجه الطبرى (١٤٣/١٧) .

(٨٥) - أخرجه الطبرى في تفسيره (١٤٤/١٧) والحاكم في المستدرك (٣٨٩/٢) ومن طريقه البىهقى في
السنن ، كتاب الحج ، باب : دخول مكة بغیر إرادة حج و عمرة (١٧٦/٥) . كلهم من طريق جريرا عن
قايوس عن أبيه عن ابن عباس قال : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له : (أذن في الناس بالحج) قال : رب
وما يبلغ صوتي ؟ قال : أذن وعلى البلاغ . فنادى إبراهيم : أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت =

[١] - في ز : فإنهما .

[٢] - في ز : أمرك .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - سقط من خ .

[٥] - سقط من ز .

ومجاهد^[١] وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من^[٢] السلف ، والله أعلم . أوردها ابن جرير وابن أبي حاتم مطولة^[٣] .

وقوله : ﴿ يأْتُوكَ رجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ صَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾^[٤] ، قد يستدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الحج ماشيًا ، لمن قدر عليه أفضل من الحج راكبًا ، لأنه قدمهم في الذكر ، فدل على الاهتمام بهم وقوتهم همهم وشدة عزمهم .

[وقال وكيع ، عن أبي العيس ، عن أبي حلحلة ، عن محمد بن كعب ، عن ابن عباس قال : ما آسى علي شيء ، إلا أنني وددت أنني كنت حججت ماشيًا ، لأن الله يقول : ﴿ يأْتُوكَ رجَالًا ﴾^[٥] .]

والذى عليه الأكثرون : أن الحج راكبًا أفضل ، اقتداء برسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فإنه حج راكبًا مع كمال قوته ، عليه السلام .

وقوله : ﴿ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ ﴾ يعني : طريق^[٦] ، كما قال : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فَجَاجًا سَبَلًا ﴾^[٧] .

وقوله : ﴿ عَمِيقٍ ﴾ أي : بعيد . قاله مجاهد وعطاء والسدي وقناة ومقاتل بن حيان

= = = = = العتيق فحجوا - قال : فسمعه ما بين السماء والأرض أفلأ ترى الناس يجربون من أقصى الأرض يلبون « وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤/٦٣٧) إلى ابن أبي شيبة في المصنف ، وابن منيع وابن المنذر وابن أبي حاتم . قال الحكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجه » وواقه الذهبي وأخرج ابن جرير أيضًا (١٤٤/١٧) والحاكم في المستدرك (٢/٥٥٢) . كلامها من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما بني إبراهيم البيت أوحى الله إليه أن أذن في الناس بالحج قال : فقال إبراهيم : ألا إن ربك قد اتخذ بيتك وأمرك أن تخوجه فاستجاب له ما سمعه من شيء من حجر وشجر وأكمة أو تراب أو شيء ؟ ليك اللهم ليك . رواه البيهقي في سنته ، كتاب الحج ، باب : دخول مكة بغیر إرادة حج ولا عمرة (٥/١٧٦) من طريق عطاء عن ابن جبير ، عن ابن عباس في قوله « وأذن في الناس بالحج » قال : لما أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج قال : يا أيها الناس ! إن ربك اتخذ بيتك وأمرك أن تخوجه . فاستجاب له ما سمعه من حجر أو شجر أو أكمة أو تراب أو شيء ، فقالوا : ليك اللهم ليك . والأثر عزاه السيوطي أيضًا في الدر (٤/٦٣٧) إلى ابن المنذر . كما روی الطبری في تفسيره (١٤٤/١٧) عن ابن عباس في قوله « وأذن في الناس بالحج » قال : قام إبراهيم خليل الله على الحجر فنادى : يا أيها الناس ! كتب عليكم الحج فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فاجابه من آمن من سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيمة : ليك اللهم ليك .

[١] - في خ : « بطولة » .

[٤] - بعدها في خ : « عميق » .

[٢] - في خ : عن .

[٣] - سقط من ز ، خ .

والثوري وغير واحد .

وهذه الآية كقوله تعالى لإخباراً عن إبراهيم حيث قال في دعائه : ﴿فاجعل أفتدة من الناس تهوي إليهم﴾ ، فليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو يحن إلى رؤية الكعبة والطواف ، فالناس يقصدونها من سائر الجهات والأقطار .

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَقْلُومَتِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ
مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَمِ قَلُوْبُهُمْ مِنْهَا وَلَطَعْمُوا الْبَاسِ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾
فَفَتَّهُمْ وَلَمْ يُوقِفُوا نُذُورَهُمْ وَلَيَطْوُفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

قال ابن عباس : ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ ، قال : منافع الدنيا والآخرة ؛ أما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى ، وأما منافع الدنيا فـ^[١] يصيرون من منافع البدن والربح والتجارات . وكذا قال مجاهد ، وغير واحد : إنها منافع الدنيا والآخرة ، كقوله : ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ .

وقوله : ﴿ويذكروا اسم الله﴾ في أيام معلومات ^[٢] على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ^[٣] ، قال شعبة [وهشيم عن أبي بشر ، عن سعيد] ^[٣] ، عن ابن عباس ^[٤] ، رضي الله عنهما الأيام المعلومات : أيام العشر . وعلقه البخاري عنه بصيغة [الجزم به] ^[٤] ، ويروى مثله عن أبي موسى الأشعري ومجاهد ^[٥] وقادة وعطاء وسعيد بن جبير والحسن والضحاك وعطاء الخراصاني وإبراهيم النخعي وهو مذهب الشافعى ، والمشهور عن أحمد بن حنبل .

وقال البخاري ^(٦) : حدثنا محمد بن عرعرة ، حدثنا شعبة ، عن سليمان ، عن مسلم

(٦) - رواه الطبرى في تفسيره (١٤٥/١٧)

(٧) - تقدم في سورة البقرة الآية (٢٠٣).

(٨) - رواه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الحج ، باب الأيام المعلومات والمعدودات (٢٢٨/٥) عن مجاهد قال : الأيام المعلومات العشر ، والأيام المعدودات أيام التشريق . وعزاه السيوطي في الدر (٤٢٠/١) إلى ابن أبي الدنيا والمحاملى في أماله .

(٩) - أخرجه البخاري في كتاب العيددين ، باب : فضل العمل في أيام التشريق الحديث (٩٦٩) (٤٥٧/٢).

[١] - في ز ، خ : « ما » .

[٢] - في ز ، خ : « عن وهيم » . كذا .

[٣] - في ز ، خ : « الخبرية » .

البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « ما العمل في أيام أفضل منها في هذه ». قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل يخرج يخاطر بنفسه وما له فلم يرجع بشيء »^[١] .

ورواه الإمام أحمد^(٩٠) ، وأبو داود^(٩١) ، والترمذى^(٩٢) ، وابن ماجة^(٩٣) ، وقال الترمذى : حديث حسن غريب صحيح ، وفي الباب عن ابن عمر وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو وجابر .

قلت : وقد تقصيت هذه الطرق وأفردت لها جزءاً على حدته . فمن ذلك ما قال الإمام أحمد^(٩٤) :

حدثنا عفان ، أثبأنا أبو عوانة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ؟ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ما من أيام أعظم عند الله ، ولا أحب إليه العمل فيهن ، [من هذه الأيام]^[٢] العشر ؛ فاكتروا فيهن من التهليل والتكمير والتحميد ». وروي من وجه آخر ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، بنحوه .

وقال البخاري^(٩٥) : وكان ابن عمر ، وأبو هريرة يخرجان إلى السوق^[٣] في أيام العشر ، فيكبران ويكبّران الناس بتكبيرهما .

وقد روى أحمد^(٩٦) عن جابر مرفوعاً ، أن هذا هو العشر الذي أقسم الله به في قوله : « والفجر * وليل عشر »^[٤] .

وقال بعض السلف : إنه المراد بقوله : « وأتمناها بعشر »^[٥] وفي سنن أبي داود^(٩٧) : أن رسول

(٩٠) - المسند (١/١) (٣٤٦، ٣٣٩، ٣٣٨، ٢٢٤) .

(٩١) - أخرجه أبو داود في كتاب الصوم ، باب في صوم العشر الحديث (١٤٣٨) (٣٢٥/٢) .

(٩٢) - أخرجه الترمذى في كتاب الصوم ، باب ما جاء في العمل في أيام العشر الحديث (٧٥٧) (١٣٠/٣) .

(٩٣) - أخرجه ابن ماجة في السنن كتاب الصيام ، باب صيام العشر الحديث (١٧٢٧) (٥٥٠/١) .

(٩٤) - أخرجه أحمد في المسند (٢/٢) (١٣٢، ١٣١، ٧٥) .

(٩٥) - علقة البخاري في صحيحه كتاب العيددين ، باب فضل العمل في أيام التشريق (٤٥٧/٢) .

(٩٦) - أخرجه أحمد في المسند (٣٢٧/٣) .

(٩٧) - أخرجه أبو داود في كتاب الصوم ، باب في صوم العشر الحديث (٢٤٣٧) (٣٢٥/٢) من =

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - مكانها ياض في ز .

[٣] - في خ : « أحب من » .

الله ، صلى الله عليه وسلم ، كان يصوم هذا العشر .

وهذا العشر مشتمل على يوم عرفة ، الذي ثبت في صحيح مسلم^(٩٨) عن أبي قتادة قال : سئل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن صيام يوم عرفة ؟ فقال : « احتسب على الله أن يكفر السنة الماضية والآتية ». ويشتمل على يوم النحر الذي هو يوم الحج الأكبر ، وقد ورد في حديث أنه أفضل الأيام عند الله^(٩٩) . وبالجملة فهذا العشر قد قيل : إنه أفضل أيام السنة ، كما نطق به الحديث ، وفضله^[١] كثير على عشر رمضان الأخير ؛ لأن هذا يشرع فيه ما يشرع في ذلك ، من صلاة وصيام وصدقة وغيره ، ويمتاز هذا باختصاصه بأداء فرض الحج فيه .

وقيل : ذاك^[٢] أفضل لاشتماله على ليلة القدر ، التي هي خير من ألف شهر . وتتوسط آخرون فقالوا : أيام هذا أفضل ، وليلي ذاك أفضل . وبهذا يجتمع شمل الأدلة ، والله أعلم .

(قول ثان : في الأيام المعلومات) قال الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : الأيام المعلومات : يوم النحر ، وثلاثة أيام بعده . وبروى هذا عن ابن عمر وأبراهيم التخمي ، وإليه ذهب أحمد بن حنبل في رواية عنه .

(قول ثالث) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن المديني ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا ابن عجلان ، حدثي نافع ، أن ابن عمر كان يقول : الأيام المعلومات والمعدودات هن جميعهن أربعة أيام ، فالأيام المعلومات : يوم النحر ويومان بعده ، والأيام المعدودات : ثلاثة أيام بعد يوم النحر .

= حديث هنية بن خالد عن أمرأته عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت : كان رسول الله ﷺ يصوم تسع ذي الحجة ويوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر : أول الاثنين من الشهر والخميس . قال الماخفظ المنذري في مختصر السنن (٣٢٠/٣) : واختلف على هنية بن خالد في إسناده فروى عنه كما أوردنـه ، وروى عنه عن حفصة زوج النبي ﷺ وروى عنه عن أم سلمة زوج النبي ﷺ مختصراً ، والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود رقم (٢١٢٩) . وحديث حفصة رواه أحمد (٦/٢٨٧) والنسائي كتاب الصيام ، باب كيف يصوم ثلاثة أيام من كل شهر من طريق هنية عن حفصة قالت : أربع لم يكن يدعهن النبي ﷺ : صيام عشوراء وثلاثة أيام من كل شهر وركعتين قبل الغداة .

(٩٨) - أخرجه مسلم في كتاب الصيام ، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عاشوراء والاثنين والخميس الحديث (١٩٦، ١٦٢) (٨/٧١، ٧٢) .

(٩٩) - ورد ذلك من حديث عبد الله بن قرط ، رواه ابن حبان في صحيحه (٧/٥١) رقم (٢٨١١) بهذا اللفظ . وأنترجه أبو داود في كتاب المنسك ، باب في الهدي إذا عطبه قبل أن يبلغ ، الحديث =

[١] - في ز : ففضله .

[٢] - في خ : ذلك .

هذا إسناد صحيح إليه ، وقاله السدي . وهو مذهب الإمام مالك بن أنس ، ويعضد هذا القول والذي قبله قوله تعالى : ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقْتُهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ ، يعني به ذكر الله عند ذبحها .

(قول رابع) أنها يوم عرفة ويوم النحر ويوم آخر بعده ، وهو مذهب أبي حنيفة .

وقال ابن وهب : حدثني ابن زيد بن أسلم ، عن أبيه أنه قال : المعلومات : يوم عرفة و يوم النحر وأيام التشريق .

وقوله : ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقْتُهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ يعني : الإبل والبقر والغنم ، كما فصلها تعالى في سورة الأنعام ، وأنها^[١] : ﴿ثَمَانَيْةُ أَزْوَاجٍ﴾ الآية .

وقوله : ﴿فَكَلُواٰ مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ ، استدل بهذه الآية من ذهب إلى وجوب الأكل من الأضاحي ، وهو قول غريب ، والذي عليه الأكثرون أنه من باب الرخصة أو الاستحباب ، كما ثبت أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لما نحر هديه أمر من كل بدنة ببضعة فتطبخ ، فأكل من لحمها ، وحسى من مرقها^[٢] .

وقال عبد الله بن وهب : [قال لي مالك : أحب أن يأكل من أضحيته ؟ لأن الله يقول : ﴿فَكَلُواٰ مِنْهَا﴾] . قال ابن وهب^[٣] : وسألت الليث فقال لي مثل ذلك .

وقال سفيان الثوري : عن منصور ، عن إبراهيم : ﴿فَكَلُواٰ مِنْهَا﴾ ، قال : كان المشركون لا يأكلون من ذبائحهم ، فرخص لل المسلمين ، فمن شاء أكل ، ومن شاء لم يأكل . وروي عن عطاء ومجاحد نحو ذلك .

= (١٧٦٥) (١٤٨/٢) وأحمد في المسند (٤/٣٥٠) والحاكم (٢٢١/٤) من حديث عبد الله بن قرط مرفوعاً بالفظ : « إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالي يوم النحر ثم يوم القر» وقرب لرسول الله ﷺ بدنات خمس أو ست ينحرهن فلتلقن إليه أيهن يبدأ بها ، فلما وجبت جنوبها قال كلمة خفية لم أفهمها فسألت بعض من يليني ما قال : قالوا : « من شاء اقطع ». ورواه أيضاً السائي في الكبرى كتاب الحج ، باب فضل يوم النحر الحديث (٤٠٩٨) (٤٤٤/٢) ، وابن خزيمة في صحيحه (٤/٢٧٣، ٢٧٤) رقم (٢٨٦٦) ، (٢٩١٦) (١٠٠) بلفظ : « أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر» كلهم رواه من طريق ثور بن يزيد . والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود رقم (١٥٥٢) .

(١٠٠) - رواه مسلم في كتاب الحج حديث (١٢١٨) في حديث جابر رضي الله عنه - الطويل في صفة حجة النبي ﷺ .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - سقط من خ .

قال هشيم : عن حصين ، عن مجاهد في قوله : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا ﴾ : هي كقوله : ﴿ فَإِذَا حَلَّتُمْ فَاصْطادُوا ﴾ ، ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ١ الصَّلَاةُ فَاتَّشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ . وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره ، واستدل من نصر القول بأن الأضاحي يتصدق منها بالنصف ، بقوله في هذه الآية : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَاطْعُمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ ، فجزاها ٢ نصفين : نصف للمضحي ، ونصف للقراء .

والقول الآخر أنها تجزأ ثلاثة أجزاء : ثلث له ، وثلث يهديه ، وثلث يتصدق به ، لقوله تعالى في الآية الأخرى : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَاطْعُمُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْتَرَ ﴾ وسيأتي الكلام عليها عندها إن شاء الله وبه الثقة .

وقوله : ﴿ الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ ، قال عكرمة : هو المضرر الذي عليه البؤس ٣ .
الضعيف ٤ .

وقال مجاهد : هو الذي لا يسطط يده . وقال قتادة : هو الزَّمِنُ .

وقال مقاتل بن حيان : هو الضرير .

وقوله : ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْشِيمَهُ ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هو وضع الإِحْرَام ٥ من حلق الرأس ، وليس الثياب ، وقص الأظفار ، ونحو ذلك . وهكذا روى عطاء مجاهد عنه ، وكذلك قال عكرمة ومحمد بن كعب القرظي ٦ .

وقال عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْشِيمَهُ ﴾ ، قال : التفت : المناسب .

وقوله : ﴿ وَلِيَوْفُوا نَذْوَرَهُمْ ﴾ قال على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يعني ٧ : نحر ما نذر من أمر البدن . وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَلِيَوْفُوا نَذْوَرَهُمْ ﴾ : نذر الحج والهدي وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحج .

وقال إبراهيم بن ميسرة ، عن مجاهد : ﴿ وَلِيَوْفُوا نَذْوَرَهُمْ ﴾ قال : الذبائح .

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : ﴿ وَلِيَوْفُوا نَذْوَرَهُمْ ﴾ : كل نذر إلى أجل .

[١] - في ز : قضيتم .

[٢] - في ز ، خ : المتعفف ، والمثبت من اللبر المثار .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ز : عنه .

[٥] - بعده في ز ، خ : « ما » .

[٦] - سقط من ز ، خ .

[٧] - سقط من ز ، خ .

وقال عكرمة : ﴿ وَلَيُوفُوا نِذْرَهُم ﴾ ، قال : نذر الحج .

[وكذا روى الإمام أحمد وابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان في قوله : ﴿ وَلَيُوفُوا نِذْرَهُم ﴾ قال : نذور الحج ^[١] . فكل من دخل الحج ^[٢] فعليه من العمل فيه : الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ، وعرفة ، والمزدلفة ، ورمي الجamar ، على ما أمروا به . وروي عن مالك [نحو هذا ^[٣]] .

وقوله : ﴿ وَلَيُطْفُلُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ قال مجاهد : يعني الطواف الواجب يوم النحر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن أبي حمزة ؛ قال : قال لي ابن عباس : أتقرأ سورة الحج ؟ يقول ^[٤] اللهم تعالى : ﴿ وَلَيُطْفُلُوا ﴾ ^[٥] بالبيت العتيق ^[٦] ، فإن آخر المناسك الطواف بالبيت العتيق ^[٧] .

قلت : وهكذا صنع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فإنه لما رجع إلى مني يوم النحر بدأ برمي الجمرة ، فرمها بسبع حصيات ، ثم نحر هديه وحلق رأسه ، ثم أضاف فطاف بالبيت .

وفي الصحيح ^(١٠١) عن ابن عباس أنه قال : أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت الطواف إلا أنه خفف عن المرأة الحائض .

وقوله : ﴿ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ ، فيه مستدل ^[٨] لمن [ذهب إلى أنه يجب ^[٩] الطواف من وراء الحجر ، لأنه من أصل البيت الذي بناه إبراهيم ، وإن كانت قريش قد أخرجوه من البيت ، حين قصرت بهم النفقة . ولهذا طاف رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من وراء الحجر ، وأخبر أن الحجر من البيت ، ولم يستلم الركتين الشاميين ؛ لأنهما لم يتمما على قواعد إبراهيم العتيقة ، ولهذا قال ابن أبي حاتم ^(١٠٢) :

حدثنا أبي ، حدثنا ابن ^[٩] أبي عمر العدناني ^[١٠] ، حدثنا سفيان ، عن هشام بن حجر ،

(١٠١) صحيح البخاري ، كتاب الحيض ، حديث (٣٢٩) ، وصحيح مسلم ، كتاب الحج (١٣٢٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

[١] - في ز : بالحج .

[٢] - في ز : فيقول .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في خ : « يوجب » .

[٥] - في ز ، خ : « العتيق » .

[٦] -

[٧] - في خ : « نحوه » .

[٨] - في ز : « فليطوفوا » .

[٩] - في خ : « منزل » .

[١٠] - سقط من ز ، خ .

عن رجل ، عن ابن عباس ؛ قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وَلِيَطْفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ ، طاف رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من ورائه .

وقال قتادة ، عن الحسن البصري في قوله : ﴿ وَلِيَطْفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ ، قال [١] : لأنّ أول بيت وضع للناس . وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وعن عكرمة أنه قال : إنما سمي البيت العتيق ؛ لأنّه أعتق يوم الفرق زمن نوح .

وقال خصيف : إنما سمي البيت العتيق ؛ لأنّه لم يظهر عليه جبار فقط .

وقال ابن أبي نجيح وليث ، عن مجاهد : أعتق من الجبارة أن يسلطوا عليه . وكذا قال قتادة .

وقال حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن بن مسلم ، عن مجاهد : لأنّه لم يرده أحد بسوء إلا هلك .

وقال عبد الرزاق [٢] ، عن معمر ، عن الزهرى [٣] ، عن ابن الزبير ؛ قال : إنما سمي البيت العتيق ، لأن الله أعتقه من الجبارة .

وقال الترمذى [٤] : حدثنا محمد بن إسماعيل وغير واحد ، حدثنا عبد الله بن صالح ، أخبرني الليث ، عن عبد الرحمن بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن محمد بن عروة ، عن عبد الله بن الزبير ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إنما سمي البيت العتيق ؛ لأنّه لم يظهر عليه جبار » وكذا رواه ابن جرير ، عن محمد بن سهل التجارى [٥] ، عن عبد الله بن صالح ، به . وقال : إن كان صحيحًا . وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب » ثم رواه من وجه آخر عن الزهرى مرسلاً .

ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحْلَتْ لَكُمُ الْأَنْعَمُ إِلَّا مَا يُشَلَّ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا

(١٠٢) ورواه ابن مردوه في تفسيره كما في الدر المثور (٤١/٦) .

(١٠٣) تفسير عبد الرزاق (٣٢/٢) .

(١٠٤) سنن الترمذى ، كتاب تفسير القرآن (٣١٧٠) وأخرجه الحاكم في مستدركه والبيهقي في الشعب .

وقال الحاكم : على شرط مسلم .

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز ، خ : « المحاربى » .

[٣] - سقط من ز ، خ .

فَوَكَ أَلْزُور ﴿٣٠﴾ حَنَقَةَ لِلَّهِ عَيْرَ مُشَرِّكِينَ بِهِ وَمَن يُشَرِّكُ بِاللَّهِ فَكَانَمَا خَرَّ

مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطُفُهُ الظَّرِيرُ أَوْ تَهُوي بِهِ الْرَّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيقٍ ﴿٢١﴾

يقول تعالى : هذا الذي^[١] أمرنا به من الطاعات في أداء المناسك ، وما لفاعلها من الثواب الجزيل .

﴿وَمَن يَعْظِمْ حِرْمَاتَ اللَّهِ﴾ . أي : ومن يجتتب معاصيه ومحارمه ، ويكون ارتكابها عظيمًا في نفسه ﴿لَهُ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ . أي : فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل ، فكما على فعل الطاعات ثواب كثير وأجر جزيل ، كذلك على ترك المحرمات والمحظورات .

قال ابن حجر : قال مجاهد في قوله : ﴿ذَلِكَ وَمَن يَعْظِمْ حِرْمَاتَ اللَّهِ﴾ قال : الحرمة : مكة والحج والعمرة ، وما نهى الله عنه من معاصيه كلها . وكذا قال ابن زيد .

وقوله : ﴿وَأَحْلَتْ لَكُمُ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يَتْلُى عَلَيْكُم﴾ . أي : أحللنا لكم جميع الأنعام ، وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام .

وقوله : ﴿إِلَّا مَا يَتْلُى عَلَيْكُم﴾ أي : من تحرم ﴿الميَّةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخَنْزِيرِ وَمَا أَهْلَكَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمَنْعِنَقَةِ وَالْمَلْوَقَذَةِ وَالْمَنْرَدِيَّةِ وَالنَّطِيْحَةِ وَمَا أَكَلَ السَّبْعَ...﴾ الآية . قال ذلك ابن حجر ، وحكاه عن قتادة .

وقوله : ﴿فَاجْتَبَوَا الرَّجُسَ مِنَ الْأُوْثَانِ وَاجْتَبَوَا قَوْلَ الزُّورِ﴾ «من» هاهنا لبيان الجنس ، أي : اجتبوا الرجس الذي هو الأوثان ، وقرن الشرك بالله بقول الزور ، كقوله : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّيِ الْفَوَاحِشُ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِلَّامُ وَالْبَغْيُ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ . ومنه شهادة الزور ، وفي الصحيحين^[١٠٥] عن أبي بكر قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : «ألا أنشكم بأكبر الكبائر ؟» . قلنا : بلـى ، يا رسول الله ؛ قال : «الإشارة بالله ، وعقوبة الوالدين» . وكان متکلاً فجلس فقال : «ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور» . فـما^[١٠٦] زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت .

(١٠٥) صحيح البخاري ، كتاب الشهادات حديث (٢٦٥٤) ، وصحيف مسلم ، كتاب الإيمان حديث (٨٧) .

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز ، خ : «ما» .

وقال الإمام أحمد^(١٠٦) : حدثنا مروان بن معاوية الفزاروي ، أئبنا سفيان بن زياد ، عن فاتك بن فضالة ، عن أبيين بن خريم قال : قام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خطيباً فقال : « يا أيها الناس ؛ عدلت شهادة الزور إشراكاً بالله » - ثلاثاً - ثم قرأ : « فاجتبوا الرجس من الأوثان واجتبوا قول الزور » . وهكذا رواه الترمذى عن أَحْمَدَ أَبْنَ مُنْعِي ، عن مروان^[١] بن معاوية ، به ، ثم قال : غريب ، إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد ، وقد اختلف عنه في روايته^[٢] هذا الحديث ، [ولا نعرف لأَبْيَنَ^[٣] بن خريم سماغاً من النبي ، صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد أيضاً^(١٠٧) : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا سفيان العصفري^[٤] ، عن أبيه ، عن حبيب بن النعمان الأَسْدِي ، عن خريم بن فاتك^[٥] الأَسْدِي قال : صلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الصبح ، فلما انصرف قام قاتلها فقال : « عدلت شهادة الزور بالإشراك^[٦] بالله عز وجل ، ثم تلا هذه الآية : « واجتبوا قول الزور * حفقاء لله غير مشركين به » .

وقال سفيان الثوري : عن عاصم بن أبي التمجود^[٧] ، عن وائل بن ربيعة ، عن ابن مسعود أنه قال : تعذر شهادة الزور بالشرك بالله ، ثم قرأ هذه الآية .

(١٠٦) المسند (١٧٨٤/٤) (١٧٨٥/٤) ، وإسناده ضعيف : فاتك بن فضالة : مجھول الحال . والحديث أخرجه الترمذى في كتاب الشهادات ، باب : ما جاء في شهادة الزور ، عن أبيين بن خريم (٤٧٤ - ٤٧٥/٤) حدیث (٢٢٩٩) ، (٢٣٠٠) . وأبو داود في كتاب الأقضية ، باب : في شهادة الزور (٣٠٦ - ٣٠٥/٣) حدیث (٣٥٩٩) . وابن ماجة في كتاب الأحكام ، باب : في شهادة الزور كلاماً عن خريم بن فاتك مرفوعاً (٧٩٤/٢) حدیث (٢٣٢٢) . وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٦٤٠٢) وعزاه لتخریج الترغیب (١٦٦/٣) .

(١٠٧) المسند (٣٢١/٤) (١٨٩٥١) . زياد ويقال : دينار ، والد سفيان : قال في الترجیب : مقبول من الثالثة . وحبيب : مقبول من الثالثة . والحديث رواه أبو داود في كتاب الأقضية ، باب : في شهادة الزور (٣٥٩٩/٣) . والترمذى في سنته في كتاب الشهادات ، باب : ما جاء في شهادة الزور (٤٧٥ - ٤٧٤/٤) . وقال : هذا عندي أصلح ، وخريم بن فاتك له صحبة ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث وهو مشهور . وابن ماجة في سنته في كتاب الأحكام ، باب : شهادة الزور (٧٩٤/٢) .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ت : « رواية » .

[٣] - في ز ، خ : « ولا يعرف إلا عن » .

[٤] - في ز ، خ : « مقاتل » .

[٥] - في ز ، خ : « المجرد » .

[٦] - في ز ، خ : « بالإشراك » .

[٧] - في ز ، خ : « المجرد » .

وقوله : ﴿ حَفَاءُ اللَّهِ ﴾ . أي : مخلصين له الدين ، منحرفين عن الباطل قصدًا إلى الحق ، ولهذا قال : ﴿ غَيْرُ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ .

ثم ضرب للمشرك مثلاً في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى ، فقال : ﴿ وَمَن يُشَرِّكُ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ؛ أي : سقط منها ﴿ فَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ ﴾ أي : تقطعته الطيور في الهواء ، ﴿ أَوْ تَهُوِي بِهِ إِلَى الْرَّبِيعِ فِي مَكَانٍ سُجِّيقٍ ﴾ ؛ أي : بعيد مهلك لمن هوئ فيه ، ولهذا جاء في حديث البراء^(١٠٨) : « إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا تَوَفَّهُ مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ ، وَصَدَّعُوا بِرُوحِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، فَلَا تَفْتَحْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، بَلْ تُطْرَحْ رُوحُهُ طَرَحًا مِنْ هَنَاكَ ». ثم قرأ هذه الآية ، وقد تقدم الحديث في سورة إبراهيم بحروفه وألفاظه وطريقه . وقد ضرب تعالى للمشرك مثلاً آخر في سورة الأنعام ، وهو قوله : ﴿ قُلْ أَنْدُعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَفْعَلُنَا وَلَا يَضْرُنَا وَنَرِدُ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حِيرَانٌ لِهِ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهَدَىٰ إِنَّمَا قُلْ إِنَّ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ ﴾ . الآية .

ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَّارَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَىِ الْقُلُوبِ **﴿ ٣٢ ﴾**

أَجَلٌ مُسَمٌّ ثُمَّ مَحْلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ **﴿ ٣٣ ﴾**

يقول تعالى : هذا ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَّارَ اللَّهِ ﴾ . أي : أوامره ﴿ فَلِنَاهَا مِنْ تَقْوَىِ الْقُلُوبِ ﴾ . ومن ذلك تعظيم الهدايا والبدن ، كما قال الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : تعظيمها استسمانها واستحسانها .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشعج ، حدثنا حفص بن غياث ، عن ابن أبي ليلى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَّارَ اللَّهِ ﴾ قال : الاستسمان والاستحسان والاستعظام .

وقال أبو أمامة بن سهل^(١) : كنا نسمن الأضحية بالبرية^(٢) ، وكان المسلمون يسمتون . رواه البخاري^(٣) .

وعن أبي هريرة : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال^(٤) : « دم عفراء أحب إلى

(١٠٨) تفسير الطبرى (١٦/١٦).

(١٠٩) صحيح البخاري (٩/١٠) « فتح » معلقاً.

[١] - في ز ، خ : « سهل » .

[٢] - في ت : « بالمدية » .

[٣] - سقط من خ .

الله من دم سوداين » . رواه أحمد وابن ماجة^(١١٠) .

قالوا : والغفراء هي : البيضاء بياضا ليس بناصع ، فالبيضاء أفضل من غيرها ، وغيرها بجزئي أيضا ؛ لما ثبت في صحيح البخاري^(١١١) عن أنس : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ضحى بكبشين أملحين أقرنين .

وعن أبي سعيد^(١١٢) : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ضحى بكبش أقرن فحيل^[١] ، يأكل في سواد ، وينظر في سواد ، ويمشي في سواد . رواه أهل السنن ، [وصححه الترمذى] ، أي^[٢] : بكبش أسود^[٣] في هذه الأماكن .

[وفي^[٤] سن ابن ماجة^(١١٣) ، عن أبي رافع : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ضحى بكبشين عظيمين سمينين أقرنين أملحين موجودين . قيل : هما الخصيائ . وقيل : هما^[٥] اللذان رُضِّ خصياهما ولم يقطعاهما . والله أعلم .

(١١٠) المسند (٤١٧/٢) ولم يقع لي في سنن ابن ماجة .

(١١١) صحيح البخاري ، كتاب الأضاحي حديث (٥٥٥٨) .

(١١٢) سنن أبي داود ، كتاب الضحايا حديث (٢٧٩٦) ، وسنن الترمذى ، كتاب الأضاحي حديث

(١٤٩٦) ، وسنن النسائي ، كتاب الضحايا (٧) ، وسنن ابن ماجة ، كتاب الأضاحي (٣١٢٨) .

(١١٣) حديث أبي رافع رواه أحمد (٨/٦) : ثنا حسين ، ثنا شريك عن عبد الله بن محمد ، عن علي بن حسين ، عن أبي رافع ؛ قال : ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين موجودين خصين فقال : « أخذهما عن شهد بالتوحيد وله بالبلاغ ، والآخر عنه وعن أهل بيته » قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كفانا .

وشريك : ضعيف لسوء حفظه . وعبد الله بن محمد بن عقيل : حسن له الأئمة . والحديث أخرجه الطبراني في الكبير (١/١، ٣١١، ٣١٢، ٣٢١/رقم : ٩٢٣، ٩٢٣، ٩٥٧) . وفي الأوسط كما في مجمع البحرين (٣/٢٩٣، ٢٩٣/رقم : ١٨٤١) . والبزار كما في كشف الأستار رقم (١٢٠٨) . وذكره الهيثمي في مجمع الروايد (٤/٢١، ٢٢/رقم : ١٨٤١) وقال : « رواه أحمد ، وإسناده حسن ، ثم ذكر لفظا آخر وقال : رواه البزار ، وأحمد بنحوه ، ورواه الطبراني في الكبير بنحوه » ثم ذكر لفظ حديث أبي رافع في الأوسط قال : « رواه في الكبير بنحوه ، وإسناد أحمد والبزار حسن » .

وال الحديث لم يقع في سنن ابن ماجة من حديث أبي رافع وإنما هو من حديث عائشة وأبي هريرة حديث (٣١٢٢) .

[١] - في خ : « محل » .

[٢] - في خ : « وضحى اليزيدي أبي قتيبة » . وفي ز : « الترمذى أبي قتيبة » .

[٣] - في ز ، خ : « سواد » .

[٤] - في ز : أى .

[٥] - سقط من ت ، ز .

وكذا روى أبو داود ، وابن ماجة^(١٤) عن جابر : ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتبين أقرنين أملحين موجودتين .

وعن علي - رضي الله عنه - قال : أمرنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن تستشرف ^(*) العين والأذان^[١] ، وأن لا نضحى بمقابلة ولا مدايرة [ولا شرقاء ولا خرقاء^[٢] . رواه أحمد^(١٥) وأهل السنن ، وصححه الترمذى ، ولهم عنه^(١٦) ، قال : نهى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يضحى بأعضب القرن والأذن .

وقال سعيد بن المسيب : [المغضب : المنصف^[٣] فأكثر .

وقال بعض أهل اللغة : إن كسر قرنها الأعلى فهي قسماء ، فاما الغضب ؛ فهو كسر الأسفل ، وغضب الأذن قطع بعضها .

وعند الشافعى : أن التضحية^[٤] بذلك مجزئة ، لكن تكره .

وقال أحمد : لا تجزئ الأضحية بأعضب القرن والأذن لهذا الحديث .

وقال مالك : إن كان الدم يسيل من القرن لم يجزئ ، وإلا أجزأ . والله أعلم .

وأما المقابلة : فهي التي قطع مقدم أذنها ، والمدايرة : من مؤخر أذنها . والشرقاء : هي التي قطعت أذنها طولاً . قاله الشافعى . والخرقاء : هي التي خرقت^[٥] السمة أذنها خرقاً مدوّزاً^[٦] ، والله أعلم .

وعن البراء قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « أربع لا تجوز في الأضحى :

(١٤) - سنن أبي داود ، كتاب الضحايا ، باب : ما يستحب من الضحايا حديث (٢٧٩٥) .

(*) - استشرف الشيء : رفع رأسه ينظر إليه . والمعنى : نبحث عنهم ، وتأمل في حالهما لثلا يكون فيما عيب .

(١٥) المستند (٨٠/١) ، وسنن أبي داود ، كتاب الضحايا (٢٨٠٤) ، وسنن الترمذى ، كتاب الأضحى (١٤٩٨) ، وسنن النسائي (٢١٧/٧) ، وسنن ابن ماجه برقم (٣١٤٢) .

(١٦) المستند (٨٣/١) ، وسنن أبي داود برقم (٢٨٠٥) ، وسنن الترمذى برقم (١٥٠٤) ، وسنن النسائي (٢١٧/٧) ، وسنن ابن ماجه برقم (٣١٤٣) .

[١] - في ت : « والأذن » .

[٢] - في ز ، خ : « ولا برثاء خرثاء » .

[٤] - في ز : الضحية .

[٣] - في خ : « المنصف » .

[٦] - في ز ، خ : « مداراً » .

[٥] - في خ : « قطعت » .

الوراء **البيْن** عَوْرَهَا ، والمريضة الْبَيْن مرضها ، والعرجاء الْبَيْن ظلّعها ، **والكسيرة**^(*) التي لا تُنقِّي^(**) . رواه أَحْمَد^(١١٧) وأهل السنّة ، وصححه الترمذى ، وهذه العيوب تتقصّ اللحم ؛ لضعفها وعجزها عن استكمال الرّعى ؛ لأنّ الشّاء يسبّقونها إلى المرّاعى ، فلهذا لا تُجزئ التّضخيّة بها عند الشافعى وغيره من الأئمّة - كما هو ظاهر الحديث - واختلف قول الشافعى في المريضة مرضًا يسيراً على قولين .

وروى أبو داود^(١١٨) ، عن عتبة بن عبد السّلّمى : أنّ رَسُولَ اللّٰهِ ، صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ

(١١٧) المسند (٤/٢٨٤) (١٨٥٦١) ، ورواه أَحْمَد حديث (١٨٧٢٩) وأخرجه أبو داود في كتاب الأضاحى ، باب : ما يكره من الضحايا حديث (٢٨٠٢) (٩٧/٣) . والترمذى في كتاب الأضاحى (٢٠) ، باب : مالا يجوز من الأضاحى حديث (١٤٩٧) (٧٢/٤) - (٧٣) . والناسائى في كتاب الأضاحى ، باب : العرجاء (٢١٥/٧) . وابن ماجة في كتاب الأضاحى ، باب : ما يكره أن يضحي به حديث (٣١٤٤) (٢/١٠٥١ - ١٠٥١) . والدارمى في كتاب الأضاحى ، باب : ما لا يجوز من الأضاحى حديث (١٩٥٦) (٤/٢) . والطيبالسى (٧٤٩) ، وابن خزيمة (٢٩١٢) . وابن الجارود (٩٠٧) ، والطحاوى في « شرح معانى الآثار » (١٦٨/٤) .

وابن حبان في « صحيحه » حديث (٥٩٢٢) (٢٤٥/١٣) . والحاكم (١/٤٦٨ - ٤٦٧) وعنه البىهقي في « الكبير » (٥/٢٤٢) ، (٩/٢٧٤) من طرق عن شعبة ، عن سليمان بن عبد الرحمن ، عن عبيد بن فیروز قال : سأّلت البراء ، فذكر الحديث مطلقاً ومختصراً وللفظ متقارب . وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح ، لا نعرفه إلا من حديث عبيد بن فیروز عن البراء والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح ، ولم يخرجاه لقلة روایات سليمان بن عبد الرحمن وقد أظهر علي بن المديني فضائله وإتقانه ، ولهذا الحديث شواهد متفرقة بأسانيد صحيحه ولم يخرجها ، ثم ذكر شواهد له فراجعها إن شئت . وأخرجه أيضاً الترمذى حديث (١٤٩٧) (٤/٧٢) من طريق يزيد بن أبي حبيب . وأخرجه الناسائى (٧/٢١٦ - ٢١٥) . والطحاوى في « شرح معانى الآثار » (٤/١٦٨) . وابن حبان في « صحيحه » (٩١٩) ، (٥٩٢١) وعنه البىهقي في « الكبير » (٩/٢٧٤) . من طرق عن عمرو بن الحارث والليث بن سعد . كلهم : عمرو بن الحارث ، والليث بن سعد ، ويزيد بن أبي حبيب عن سليمان بن عبد الرحمن به . وقد رواه عثمان بن علي ، عن الليث ، عن سليمان بن عبد الرحمن ، عن القاسم مولى خالد ابن يزيد بن معاوية عن عبيد بن فیروز به . أخرجه البىهقي (٩/٢٧٤) . وقال : الحديث رواه يزيد بن أبي حبيب ، وشعبة بن الحجاج عن سليمان بن عبد الرحمن وذكر شعبة سماع سليمان من عبيد بن فیروز ، وفيما بلغني عن أبي عيسى الترمذى عن محمد بن إسماعيل البخارى أنه كان يميل إلى تصحيح رواية شعبة ، ولا يرضى رواية عثمان ابن عمر والله أعلم .

(*) الكسير : أي : المنكسرة الرِّجل ، التي لا تقدر على المشي ، فقيل بمعنى مفعول . نهاية [٤/١٧٢].

(**) لا تُنقِّي : أي : التي لا مُخْلٰف لها ، لضيقها وهزالها . نهاية [٥/١١١].

(١١٨) سنن أبي داود ، كتاب الضحايا ، باب : ما يكره من الضحايا حديث (٢٨٠٣) . ورواه أَحْمَد .

وسلم ، نهي عن المضفرة ، والمستأصلة ، والبخفاء ، والمشيئه ، والكسراء^[١] . فالمضفرة قيل : الهزيلة . وقيل : المستأصلة الأذن . والمستأصلة : المكسورة القرن . والبخفاء : هي العوراء ، والمشيئه : هي التي لا تزال تشيع خلف الفم ولا تتبع لضعفها . والكسراء^[٢] : العرجاء .

فهذه العيوب كلها مانعة [من الإجزاء ، فإن طرأ العيب^[٣] بعد تعين الأضحية ، فإنه لا يضر عيوبه عند الشافعي خلافاً لأبي حنيفة .

وقد روى الإمام أحمد^(١) ، عن أبي سعيد قال : اشتريت كبشًا [أضحي به^[٤] ، فعدا الذئب فأخذ الألية ، فسألت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ضح به » .

(١٩) المستند (٣٢/٣) (١١٩٠) . ثنا وكيع ، ثنا سفيان ، عن جابر ، عن محمد بن قرظة ، عن أبي سعيد الخدري ... ذكره ، وهذا إسناد ضعيف جداً من أجل جابر الجعفي ، ومحمد بن قرظة : هو ابن كعب الانصاري ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن القطان : لا يعرف ، وقال عبد الحق يقال : إنه لم يسمع من أبي سعيد ، وقال الذهبي في الميزان : ما روى عنه غير جابر الجعفي ، روى له ابن ماجة .

وجابر ، هو ابن يزيد الجعفي : قال ابن عبد الحكم : سمعت الشافعي يقول : قال سفيان الثوري لشعبة : لعن تكلمت في جابر الجعفي لأنك لمن فيك . قال أحمد بن حنبل : تركه يحيى وعبد الرحمن . وقال محمد بن بشار عن ابن مهدي : لا تتعجبون من سفيان بن عيينة ، لقد تركت جابر الجعفي لما حكى عنه أكثر من ألف حديث ثم هو يحدث عنه . وقال النسائي : مترونك الحديث ، وقال في موضع آخر : ليس بثقة ، ولا يكتب حديثه . وقال الحاكم أبو أحمد : ذاهب الحديث . وقال ابن عدي : له حديث صالح ، وشبة أقل رواية عنه من الثوري ، وقد احتمله الناس وعامة ما قدفوه به أنه كان يؤمن بالرجعة ، وهو مع هذا إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق . وقال ابن سعد : كان يدلّس ، وكان ضعيفاً جداً في رأيه وروايته . وقال العقيلي في الضعفاء : كذبه سعيد بن جبير . وقال العجلبي : كان ضعيفاً يغلو في التشيع ، وكان يدلّس . د ت ق .

وقال عنه الذهبي في الكاشف : من أكبر علماء الشيعة ، وثقه شعبة فشد ، وتركه الحفاظ . قال أبو داود : ليس في كتابي شيء سوى حديث السهو . وقال أحمد : تركه يحيى جابرًا الجعفي ، حدثنا عنه ابن مهدي قدماً عن شيبان أو سفيان ثم تركه بعد . وقال البخاري : تركه يحيى وابن مهدي . وقال النسائي : مترونك .

وقال ابن حزم في الخلوي : كذاب (٢٠٤/٢) . وقال : ساقط (٢٩٤/٩) .

ومحمد بن قرظة ؛ قال عنه في التقريب : مجھول . وقال ابن القطان : لا يعرف . وقال في الميزان : ما روى عنه سوى جابر الجعفي . وقال عبد الحق : لم يسمع من أبي سعيد .

آخر جه ابن ماجه - كتاب الأضاحي ، باب : ما يكره أن يضحي به (٣١٤٦) .

والطيالسي في مستنته (٢٢٣٧) ، والبيهقي في السنن (٢٨٩/٩) ، والمزri في تهذيب الكمال (٣١٦/١٦) .

ترجمة محمد بن قرظة .

وروأه أحمد (١١٨٣٦ ، ١١٧٥٩) (١١٨٣٦ ، ٢٨/٣) (٨٦) .

[١] - في خ : « الكسيرة ». وفي ز : الكثيرة .

[٢] - في ز ، خ : « الكسيرة ». في ز ، خ : أضحة .

[٣] - ياض في ز ، خ . وقبله في ز : أبى .

ولهذا جاء في الحديث : أمرنا رسول الله ، صلی اللہ علیہ وسلم ، أن تستشرف العين والأذن . أي : أن تكون الهدية أو^[١] الأضحية سميّة حسنة ثمينة ، كما رواه الإمام أحمد^(١٢٠) وأبو داود ، عن عبد الله بن عمر قال : أهدي عمر نجبيها [فأعطي بها ثلاثة دينار^[٢]] ، فأنى النبي ، صلی اللہ علیہ وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني أهديت نجبيها ، فأعطيت بها ثلاثة دينار ، أفييعها وأشتري بثمنها بذئنا ؟ قال : « لا^[٣] » ، انحرها إياها » .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : البدن من شعائر الله .

[وقال محمد بن أبي^[٤] موسى : الوقوف ومزدلفة والجمار والرمي والخلق والبدن : من شعائر الله^[٥] .]

وقال ابن عمر : أعظم الشعائر البيت .

وقوله : « لكم فيها منافع » ، أي : لكم في البدن منافع ؛ من لبنيها وصوفها وأوبارها وأشعارها وركوبها .

« إلى أجل مسمى » . قال مقسم ، عن ابن عباس [في قوله^[٦] : « لكم فيها منافع إلى أجل مسمى »] . قال : ما لم تسم بدئنا .

وقال مجاهد في قوله : « لكم فيها منافع إلى أجل مسمى » قال : الركوب واللين

= من طرق عن جابر بن زيد به .

وقال البوصيري في الروايد : في إسناده جابر الجعفي ، وهو ضعيف قد اتهم . قال الدميري : هو أثر روى فيه جابر الجعفي وهو كذاب . وقال الحافظ في التلخيص^(٤/١٥٨) : ... ومداره على جابر الجعفي ، وشيخه محمد بن قرظة غير معروف ، ويقال إنه لم يسمع من أبي سعيد . وسئل الدارقطني عنه ، فقال : يرويه جابر الجعفي ، واختلف عنده ، فرواه الثوري عن جابر ، عن محمد بن قرظة ، عن أبي سعيد ، وخالقه أبو شيبة فرواه عن جابر عن محمد بن كعب القرطبي عن أبي سعيد ، والقول قول الثوري .

وآخرجه عبد بن حميد في « المتتبخ »^(٨٩٩) ، والبيهقي معلقاً . ويأتي^(٤٣/٣) (١١٤٠٤) .

من طريق حماد بن سلمة عن الحجاج عن عطية عن أبي سعيد بن حمزة .

وهذا إسناد ضعيف أيضاً من أجل الحجاج ، وعطية العوفي .

(١٢٠) المسند^(٢/١٤٥) ، وسنن أبي داود ، كتاب المناسك ، باب : تبديل الهدي حديث (١٧٥٦) .

[١] - في خ : « و ». [٢] - في خ : « فأعطيت بها ثلاثة ». [٣]

[٤] - سقط من ز ، خ . [٥] - سقط من ز .

[٦] - جاءت في خ بعد قوله : « لكم فيها منافع ». [٦] - سقط من ز ، خ .

والولد ، فإذا سميت^(١) بدنـة أو هـديـا ذـهـب ذلك [كـلهـ]. وكـذا قال^[٢] عـطـاءـ ، والـضـحـاكـ ، وـقـتـادـ ، وـعـطـاءـ^[٣] الـخـرـاسـانـيـ ، وـغـيرـهـ .

وقـالـ آخـرـونـ : بلـ لـهـ أـنـ يـتـفـعـ بـهـاـ إـنـ كـانـتـ هـدـيـاـ ، إـذـا اـحـتـاجـ إـلـىـ ذـلـكـ ، كـمـاـ ثـبـتـ فـيـ الصـحـيـعـينـ^(٤) عنـ أـنـسـ : أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ ، صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، رـأـىـ رـجـلـاـ يـسـوـقـ بـدـنـةـ قـالـ : « اـرـكـبـهاـ ». قـالـ : إـنـاـ بـدـنـةـ ! قـالـ : « اـرـكـبـهاـ وـيـحـكـ اـ ». فـيـ الثـانـيـةـ أـوـ الثـالـثـةـ .

وـفـيـ روـاـيـةـ لـسـلـمـ^(٥) ، عنـ جـاـبـرـ ، عنـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـهـ قـالـ : « اـرـكـبـهاـ بـالـمـعـرـوفـ إـذـاـ أـجـبـثـ إـلـيـهـاـ ». .

وـقـالـ شـعـبـةـ ، عنـ زـهـيرـ بـنـ أـبـيـ ثـابـتـ الـأـعـمـىـ ، عنـ الـمـغـيـرـةـ بـنـ حـذـفـ ، عنـ عـلـيـ : أـنـ رـأـىـ رـجـلـاـ يـسـوـقـ بـدـنـةـ وـمـعـهـاـ وـلـدـهـاـ قـالـ : لـاـ تـشـرـبـ مـنـ لـبـنـهـاـ إـلـاـ مـاـ فـضـلـ عـنـ^(٦) وـلـدـهـاـ ، فـإـذـاـ كـانـ يـوـمـ النـحـرـ فـاـذـبـحـهـاـ وـوـلـدـهـاـ .

وـقـولـهـ : « لـمـ مـحـلـهـ إـلـىـ الـبـيـتـ الـعـتـيقـ ». أـيـ : مـيـحـلـ الـهـدـيـ وـانتـهـاؤـ إـلـىـ الـبـيـتـ الـعـتـيقـ - وـهـوـ الـكـعـبـةـ - كـمـاـ قـالـ تـعـالـىـ : « هـدـيـاـ بـالـغـ الـكـعـبـةـ ». [وـقـالـ : « وـالـهـدـيـ مـعـكـوـفـاـ أـنـ يـلـغـ مـحـلـهـ ». وـقـدـ تـقـدـمـ الـكـلـامـ عـلـىـ مـعـنـىـ الـبـيـتـ الـعـتـيقـ قـرـيـباـ ، وـالـلـهـ أـعـلـمـ^[٧] .]

وـقـالـ اـبـنـ جـرـيـجـ ، عنـ عـطـاءـ قـالـ^[٨] : كـانـ اـبـنـ عـبـاسـ يـقـولـ : كـلـ مـنـ طـافـ بـالـبـيـتـ فـقـدـ حـلـ ، قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ : « لـمـ مـحـلـهـ إـلـىـ الـبـيـتـ الـعـتـيقـ ». .

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذَكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ
الْأَنْعَمِ فَإِنَّهُمْ إِلَهٌ وَحْدَهُ أَسْلَمُوا وَشَرِّيَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ
اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقْبِرِيَ الْصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

٢٥
يُنْفَقُونَ

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب : ركوب البدن ، (١٦٩٠) ، وصحيف مسلم ، كتاب الحج (١٣٢٣) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الحج حديث (١٣٢٣) .

[٢] - في ز ، خ : « قاله ». .

[١] - في ز : سمنت .

[٤] - في خ : من .

[٣] - في ز : مقاتل .

[٦] - سقط من ز .

[٥] - سقط من خ .

يُخبر تعالى أنه لم ينزل ذبْحَ المُنَاسِك وَلَرَاقَةَ الدَّمَاء عَلَى اسْمِ اللَّهِ مُشْرُوِعاً فِي جَمِيعِ الْمَلَلِ .
قالَ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : [١] وَلَكُلُّ أُمَّةٍ [٢] جَعَلْنَا مَنْسَكًا [٣] : قَالَ : عَيْدًا . وَقَالَ عَكْرَمَةَ : ذَبَحًا . وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ فِي قَوْلِهِ : [٤] لَكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا [٥] : إِنَّهَا مَكَّةُ اللَّهِ لِأَمْمَةِ قَطْ مَنْسَكًا غَيْرَهَا .

وَقَوْلُهُ [٦] : لَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقْتُهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ [٧] . كَمَا ثَبَّتَ فِي الصَّحِيفَتَيْنِ [٨] عَنْ أَنَّسَ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ : أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِكَبِيشِينِ أَمْلَاحِينِ أَقْرَبِينِ ، فَسَمِّيَ وَكِبِيرٌ ، وَوُضِّعَ رَجْلُهُ عَلَى صَفَاحِهِما .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ [٩] : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، أَبْنَائُ سَلَامَ بْنِ مَسْكِينٍ ، عَنْ عَائِدِ اللَّهِ الْجَاشِعِيِّ ، عَنْ أَبِي دَاؤِدَ - وَهُوَ نَفِيعٌ [١٠] بْنِ الْمَحَارِثَ - عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ : قَلْتَ - أَوْ قَالُوا - : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ مَا هَذِهِ الْأَضَاحِي ؟ قَالَ : « سَنَةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ » . قَالُوا [١١] : مَا لَنَا مِنْهَا ؟ قَالَ : « بِكُلِّ شَعْرَةٍ حَسَنَةٌ » . قَالُوا : فَالصَّوْفُ ؟ قَالَ : « بِكُلِّ شَعْرَةٍ مِنَ الصَّوْفِ حَسَنَةٌ » . وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدٍ بْنِ مَاجَةَ فِي سَنَتِهِ مِنْ حَدِيثِ سَلَامَ بْنِ مَسْكِينٍ بِهِ .

وَقَوْلُهُ : [١٢] فِي هُنْكُمِ إِلَهٍ وَاحِدٍ فَلَهُ أَسْلَمُوا [١٣] ، أَيْ : مَعْبُودُكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنْ تَنْوِعْتَ شَرَائِعُ الْأَبْيَاءِ ، وَنَسْخَ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَالْجَمِيعُ يَدْعُونَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ : [١٤] وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نَوْحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ [١٥] . وَلِهَذَا قَالَ : فَلَهُ أَسْلَمُوا [١٦] . أَيْ : أَخْلَصُوا وَاسْتَسْلَمُوا لِحُكْمِهِ وَطَاعَتْهُ .

﴿ وَبِشَرِّ الْخَبِيتَينَ ﴾ ، قَالَ مجَاهِدٌ : الْمَطْمَعَيْنِ . وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَقَنَادَةُ : الْمَتَوَاضِعَيْنِ . وَقَالَ

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأضحى ، باب : من ذبْحِ الأضاحى يلِه حدِيث (٥٥٥٨) ، وصحِّحَ مسلم ، كتاب الأضحى (١٩٦٦).

(٢) المسند (٤/٣٦٨) ، واسناده ضعيف ، أبو داود ، قال الذهبِي : ترکوه وَكَانَ يَرْفُضُ . وَعَائِدُ اللَّهِ الْجَاشِعِي . قال البخاري : لا يَصْحُ حَدِيثُه . وَقَالَ أَبُو حَاتَمَ : مُنْكَرُ الْحَدِيثِ وَلَمْ يَرْوَيْ عَنْهُ غَيْرُ سَلَامَ . قالَ الْدَّهْبِي . وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ أَبْنَ مَاجَةَ فِي كِتَابِ الْأَضَاحِي ، بَابٌ : ثَوَابُ الْأَصْحَاحِ (٢/٤٥٠) حَدِيثٌ ٣١٢٧ . وَرَوَاهُ الطَّرَانِي فِي الْمَعْجمِ الْكَبِيرِ (٥/١٩٧) رَقْمُ الْحَدِيثِ (٥٠٧٥) . وَعَبْدُ بْنِ حَمِيدَ (٩/٢٥٩) . وَأَخْرَجَهُ الْحَاكمُ (٢/٣٨٩) وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ صَحِّحَ الْإِسْنَادُ وَلَمْ يَخْرُجْهُ .

[١] - فِي ز : لَكُلِّ .

[٢] - فِي ز ، خ : « مُنْبِعٌ » .

[٣] - سَقْطٌ مِنْ ز .

[٤] - فِي خ : « قَالٌ » .

الستي : الوجلين^[١] . وقال عمرو بن أوس^[٢] : [المختون^[٣] : الذين لا يظلمون ، وإذا ظلموا لم يتصرروا .

وقال الثوري^[٤] : ﴿ وَبِشَرَ الْمُخْتَنِينَ ﴾ قال : المطهتين الراضين بقضاء الله ، المستسلمين له .

وأحسن ما يفسر بما بعده ، وهو قوله : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجْلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، أي : خافت منه قلوبهم ﴿ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ ﴾ أي : من المصائب .
قال الحسن البصري : والله لتصبرُنَّ أَوْ لتهلُكُنَّ .

﴿ والمقيمي الصلاة﴾ قرأ الجمهور - بالإضافة - السبعة^(١) ، وبقية العشرة أيضاً ، وقرأ ابن^[٥] السميقيع^[٦] : ﴿ والمقيمين الصلاة﴾ بالنصب . وقال الحسن البصري : (والمقيمي الصلاة)^(٧) ، وإنما حذفت التون هنا تخفيفاً ، ولو حذفت للإضافة لوجب خفض الصلاة ، وقيل^[٨] على سبيل التخفيف^[٩] فنصبت أي : المؤذن حق الله فيما أوجب عليهم^[٩] من أداء فرائضه .

﴿ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يَنْفَقُونَ﴾ . أي : وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم^[١٠] وأرقائهم وقربائهم ومحابيهم ، ويحسنون إلى خلق الله مع محافظتهم على حدود الله ، وهذه بخلاف صفات^[١١] المنافقين ، فإنهم بالعكس من هذا كله ، كما تقدم تفسيره في سورة براءة .

وَالْبَدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْبَرَةِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافِقٌ فَإِذَا وَجَيَتْ جِنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَلَا تَعْمَلُوا الْقَاتِنَةَ وَالْمَعْتَدَةَ كَذَلِكَ سَخَرْنَاهَا

(١) المحتسب (٨٠/٢) .

(٢) المحتسب (٨٠/٢) .

[١] - في خ : « الموصلين » .

[٢] - في ز : النروي .

[٣] - في خ : « السميقيع » .

[٤] - بياض في ز ، خ .

[٥] - في خ : « المصحون » .

[٦] - في خ : « المسخنون » .

[٧] - في ت : « ولكن » .

[٨] - في ز : عليه .

[٩] - في خ : « أهليهم » .

[١٠] - في خ : « أهليهم » .

لَكُنْ لَعْلَكُمْ تَشْكُرُونَ

يقول تعالى مثناً على عباده فيما خلق لهم من البدن ، وجعلها من شعائره ، وهو أنه جعلها تهدى إلى بيته الحرام ، بل هي أفضل ما يهدى ، كما قال تعالى : ﴿ لَا تخلوا شعائر الله ولا الشهور الحرام ولا الهدي ولا القلايد ﴾ الآية .

قال ابن جريج : قال عطاء في قوله : ﴿ والبدن جعلناها لكم من شعائر الله ﴾ ، قال : البقرة والبعير . وكذا روي عن ابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن البصري .
وقال مجاهد : إنما البدن من الإبل .

قلت : أما إطلاق البدنة على البعير فمتفق عليه ، واختلفوا في صحة إطلاق البدنة على البقرة على قولين ؛ أصحهما : أنه يطلق عليها ذلك شرعاً كما صح في الحديث .

ثم جمهور العلماء على أنه تجزئ البدنة عن سبعة ، والبقرة عن سبعة ، كما ثبت به الحديث عند مسلم ^(١٢٥) ، من رواية جابر بن عبد الله [وغيره ^(١٢٦)] قال : أمرنا ^(١٢٧) رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن نشترك في الأضاحي : البدنة عن سبعة ، والبقرة عن سبعة .

[وقال إسحاق بن راهويه وغيره : بل تجزئ البقرة عن سبعة والبعير عن عشرة ^(١٢٨) . وقد ورد به حديث في مسنده الإمام أحمد وسنن النسائي وغيرهما ^(١٢٩) ، فالله أعلم .
وقوله : ﴿ لكم فيها خير ﴾ أي : ثواب في الدار الآخرة .

وعن سليمان بن يزيد الكعبي ، عن هشام بن عمرو ، عن أبيه ، عن عائشة : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحب إلى الله من إراقة ^(٤) دم ، وإنه ليأتي يوم القيمة بقرونها وأظلافها وأشعارها ، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع [من] الأرض ، فطيبوا بها نفساً ». رواه ابن ماجة ، والترمذى

^(١٢٥) صحيح مسلم ، كتاب الحج حديث (١٢١٨) .

^(١٢٦) المسندي (١/٢٧٥) ، وسنن النسائي (٧/٢٢٢) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : « كان مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفر فحضر النحر فاشتركتا في البعير عن عشرة والبقرة عن سبعة » .

^[١] - في ز ، خ : « أمر » .

^[٢] - في ز : هرافة .

^[٣] - سقط من ت .

^[٤] - سقط من ز ، خ .

وحسنه^(١٢٧) .

وقال سفيان الثوري : كان أبو حاتم يستدين ويسوق البدن ، فقيل له : تستدين وتسوق البدن ؟ فقال : إني سمعت الله يقول : ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ .

وعن ابن عباس^(١٢٨) قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ما أنفقت الورق^[١] في شيء أفضل من نحيرة في يوم عيد ». رواه الدارقطني في سننه .

وقال إبراهيم النخعي : يركبها ويحلبها إذا احتاج إليها .

وقال مجاهد : ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ قال : أجر ومنافع .

وقوله : ﴿فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ﴾ ، وعن [المطلب بن عبد الله بن حنطسب ، عن]^[٢] جابر بن عبد الله قال : صليت مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عيد الأضحى ، فلما انصرف أتي بكبش فذبحه ، فقال : « بِسْمِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُمَّ هَذَا عَيْنِي وَعَمْنِي لَمْ يَضْعُّ مِنْ أَقْتَلَيْ » .

رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذى^(١٢٩) .

(١٢٧) سنن الترمذى ، كتاب الأضاحى (١٤٩٣) ، وسنن ابن ماجه ، كتاب الأضاحى (٣١٢٦) .

(١٢٨) سنن الدارقطنى (٤/٢٨٢) من طريق إبراهيم بن مزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن طاوس ، عن ابن عباس .

(١٢٩) المسند (٣٥٦/٣) (١٤٨٨١) (١٤٩٣٧) وإسناده ضعيف لانقطاعه : المطلب بن عبد الله بن حنطسب : قال العلائى : قال البخارى : لا أعرف للمطلب عن أحدى من الصحابة سماً ، إلا قوله : حدثني من شهد خطبة النبي صلى الله عليه وسلم . وقال أبو حاتم : المطلب بن حنطسب عاممة أحاديثه مراسيل ، لم يدرك أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا سهل بن سعد ، وأنساً ، وسلمة بن الأكوع ، أو من كان قريباً منهم ، ولم يسمع من جابر ، ولا من زيد بن ثابت ، ولا من عمران بن حصين . وقال مرة أخرى : لم يدرك عائشة ، ويشهى أن يكون أدرك جابرأ .

فإن صح قول أبي حاتم الأخير - أنه يشهى أن يكون أدرك جابرأ - بقيت علة عنعنة المطلب فإنه مدلس ، على ما وصفه به ابن حجر في التقريب ، فإنه قال : صدوق : كثير التدليس والإرسال .

ومعمر بن أبي عمرو مولى المطلب ، قال أحمد : ليس به بأس . وقال ابن معين وأبو داود : ليس بالقوى . وسيأتي قول النسائي فيه : ليس هو بالقوى في الحديث ، وإن كان قد روى عنه مالك في الحديث التالي .

وقال الذهبي : صدوق ، حدبه مخرج في الصحيحين .

[١] - في ز ، خ : « الرزق » .

[٣] - سقط من خ .

[٢] - سقط من ز ، خ .

وقال محمد بن إسحاق^(١٣٠) ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن ابن عباس ، عن جابر قال : ضحى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ببكشين في يوم عيد ، فقال حين وجههما : « وجهت وجهي للذى فطر السماوات والأرض حيناً مسلماً وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي وماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ، اللهم منك ولك ، وعن محمد وأمته » . ثم سمى الله وكبر وذبح الذبائح^(١١) .

وعن علي بن الحسين ، عن أبي رافع : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كان إذا ضحى اشتري كبشين سمينين أقربين أملحين ، فإذا صلى وخطب الناس أمر^(١٢) بأحدهما وهو قائم في مصلاه فذبحة بنفسه بالمدية ، ثم يقول : « اللهم هذا عن أمتي جميعها ، من شهد لك بالتوحيد ، وشهد لي بالبلاغ » . ثم يؤتى بالأخر فذبحة بنفسه ، ثم يقول : « هذا عن محمد وأآل محمد » . فيطعمهما^(١٣) جميعاً المساكين^(١٤) ، ويأكل هو وأهله منها^(١٥) .

[رواه أحمد وابن ماجة^(١٣١) [٦] .]

وقال الأعمش : عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس في قوله : « فاذكروا اسم الله عليها صواف^(١٦) » ، قال : قياماً على ثلاثة قوائم ، معقوله يدها اليسرى ، يقول : باسم الله ، والله أكبر ، اللهم منك ولك . وكذلك روى مجاهد وعلي بن أبي طلحة والعرفي عن ابن عباس نحو هذا .

= والحديث رواه أحمد ، حديث ١٤٨٨١ - (٣٥٦/٣) ، و١٤٩٣٩ - (٣٦٢/٣) .

ورواه أبو داود في كتاب الضحايا ، باب : في الشاة يضحى بها عن الجماعة ، حديث ٢٨١٠ . والترمذى في كتاب الأضاحى ، باب (٢٢) ، ح ١٥٢١ .

وقال الترمذى : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وغيرهم : أن يقول الرجل إذا ذبح بسم الله والله أكبر ، وهو قول ابن المبارك . قال : والمطلب بن عبد الله بن حنطسب يقول : إنه لم يسمع من جابر .

وقال الترمذى في موضع آخر من السنن ، كما سيأتي في الحديث التالي : المطلب لا نعرف له سمعاً من جابر ، والله أعلم .

(١٣٠) تقدم تخریج الحديث عند تفسیر الآية : ١٦٢ من سورة الأنعام .

(١٣١) المسند (٦/٨) وتقدم الحديث في هذه السورة .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « فبلغهما » .

[٣] - في ز ، خ : « منها » .

[٤] - في ت : « أنت » .

[٥] - في ز ، خ : « للمساكين » .

[٦] - ياض في ز ، خ .

وقال ليث : عن مجاهد : إذا عقلت رجلها اليسرى قامت على ثلاث . وروى ابن أبي نجح عن عنه نحوه .

وقال الضحاك : تعقل رجل واحدة فتكون على ثلاث .

وفي الصحيحين^(١٣٢) عن ابن عمر : أنه أتى على رجل قد أنماخ بذاته وهو ينحرها ، فقال : ابتعها قياماً مقيدة ، سنة أبي القاسم ، صلى الله عليه وسلم .

وعن جابر^(١٣٣) : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه كانوا ينحرون البدن معقوله اليسرى ، قائمة على ما بقي من قوائمه . رواه أبو داود .

وقال ابن لهيعة : حدثني عطاء بن دينار ، أن [١] عبد الله قال لسلامان بن عبد الملك : قف من شقها الأيمن ، وانحر من شقها الأيسر .

وفي صحيح مسلم^(١٣٤) ، عن جابر في صفة حجة الوداع قال فيه : فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثلاثة وستين بذنة ، جعل يطعنها بحربة في يده .

وقال عبد الرزاق^(١٣٥) : أخبرنا عمر عن قنادة قال : في حرف ابن مسعود : (صوافن) أي : معقوله^[٢] قياماً .

وقال سفيان الثوري : عن منصور ، عن مجاهد : من قرأها : (صوافن) قال : معقوله . ومن قرأها : ﴿صواف﴾ ، قال : تصف بين يديها .

(١٣٢) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب : نحر الإبل مقيدة حديث (١٧١٣) ، صحيح مسلم كتاب الحج (١٢٢٠) .

(١٣٣) سنن أبي داود ، كتاب المنسك ، باب : كيف تتحر الإبل ، حديث (١٧٦٧) من حديث عثمان بن أبي شيبة ؛ قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن ابن جريج ، عن أبي الزبير ، عن جابر . وأخبرني عبد الرحمن بن سابط أن النبي ﷺ ... فذكره . ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن جريج عن عبد الرحمن بن سابط أن النبي ﷺ ... فذكره مرسلاً .

قال ابنقطان في كتابه - بعد أن ذكره من جهة أبي داود - : القائل : وأخبرني هو ابن جريج ، فيكون ابن جريج رواه عن تابعين - أحدهما أسنده وهو أبو الزبير ، والآخر أرسله وهو عبد الرحمن بن سابط .

(١٣٤) صحيح مسلم ، كتاب الحج حديث (١٢١٨) .

(١٣٥) تفسير عبد الرزاق (٢/٣٣) . وهي أيضاً قراءة ابن عمر وابن عباس وإبراهيم وأبي جعفر محمد بن علي والأعمش ، وانختلف عنهما ، وعطاء بن أبي رياح والضحاك والكلبي . المحسوب (٨١/٢) .

[١] - في ز : معقلة .

[٢] - سقط من خ .

وقال طاوس ، والحسين ، وغيرهما^(**) : (فاذكروا اسم الله عليه صوافى) يعني : خالصة لله عز وجل^(***) ، وكذا رواه مالك عن الزهرى .

وقال عبد الرحمن بن زيد : (صوافى) ليس فيها شرك كشرك الجاهلية لأصنامها^[١] .

وقوله : ﴿فِإِذَا وَجَبَتْ جَنُوبَهَا﴾ قال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : يعني سقطت إلى الأرض . وهو روایة عن ابن عباس ، وكذا قال مقاتل بن حيان .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿فِإِذَا وَجَبَتْ جَنُوبَهَا﴾ يعني : نحرت .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿فِإِذَا وَجَبَتْ جَنُوبَهَا﴾ يعني : ماتت .

وهذا القول هو مراد ابن عباس ومجاهد ، فإنه لا يجوز الأكل من البدنة إذا نحرت حتى تموت وتبرد حركتها ، وقد جاء في حديث مرفوع : « ولا تُعِجِّلُوا النفوس أن تَرْهَقَ »^(١٣٦) . وقد رواه الثوري في جامعه^(١٣٧) ، عن أبوب ، عن يحيى بن أبي^[٢] كثير ، عن فرافصة الخنفي ، عن عمر بن الخطاب أنه قال ذلك ، ويؤيده حديث شداد بن أوس في صحيح^[٣] مسلم^(١٣٨) : « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقَتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ ، وَلَا يَحْدُدُكُمْ شَفَرَتُهُ ، وَلَا يُرِخُ ذِيْحَتَهُ » .

وعن أبي واقد الليثي قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة » . ورواه^[٤] أحمد وأبو داود والترمذى وصححه^(١٣٩) .

(*) وكذا قرأ أبو موسى الأشعري وشقيق بن سلمة وزيد بن أسلم ، وسلامان التيمي ، ورويته عن الأعرج .
المحتب (٨٢/٢) .

(**) المحتب (٨٢/٢) .

(١٣٦) رواه الدارقطني في السنن (٤/٢٨٣) من طريق سعيد بن سلام العطار عن عبد الله بن بديل عن الزهرى عن سعيد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً وسعيد بن سلام العطار كذبه أحمد وابن ثور ، وضعف البيهقي هذا الحديث في السنن الكبرى (٩/٢٧٨) .

(١٣٧) ومن طريقه رواه البيهقي في السنن الكبرى (٩/٢٧٨) .

(١٣٨) صحيح مسلم ، كتاب الصيد والدبائح ، حديث (١٩٥٥) .

(١٣٩) المستند (٥/٢١٨) ، (٩/٢١٩٩٩) ، وأخرجه أبو داود : كتاب الصيد باب في صيد قطع فيه قطعة (٣/١١٠ رقم : ٢٨٥٨) . والترمذى : كتاب الأطعمة باب ما قطع من الحى فهو ميت (٤/٧٤ رقم : ١٤٨٠) . وقال : وهذا حديث حسن غريب لا نعرف إلا من حديث زيد بن أسلم . كلهم =

[١] - في ز ، خ : « وأصنامهم » .

[٤] - في ز : ورواه .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - في ز ، خ : « حديث » .

وقوله : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأطْعُمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَ ﴾ ، قال بعض السلف^[١] : قوله : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا ﴾ أمر إباحة . وقال مالك : يستحب ذلك . وقال غيره : يجب . وهو وجه بعض الشافعية .

وأختلف^[٢] في المراد بالقانع والمعتر ؛ فقال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ الْقَانِعَ ﴾ : المستغنى بما أعطيته وهو في بيته . ﴿ وَالْمُعْتَرَ ﴾ : الذي يتعرض لك ، ويعلم بك أن تعطيه من اللحم ، ولا يسأل . وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ الْقَانِعَ ﴾ : المتعف ، ﴿ وَالْمُعْتَرَ ﴾ : السائل . وهذا قول قادة وإبراهيم النخعي ومجاهد في رواية عنه .

وقال ابن عباس وعكرمة وزيد بن أسلم وابن الكلبي والحسن البصري ومقاتل بن حيان ومالك بن أنس : ﴿ الْقَانِعَ ﴾ : هو الذي يقنع^[٣] إليك ويسألك . ﴿ وَالْمُعْتَرَ ﴾ : الذي يعتريك^[٤] يتضرع ولا يسألك . وهذا لفظ الحسن .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ الْقَانِعَ ﴾ : هو السائل . ثم قال : أما سمعت قول الشماخ
مال^[٥] الماء يصلحه فيغني مفاقره أعناف من القنوع
قال : يغنى من السؤال . وبه قال ابن زيد .

[وقال زيد بن^[٦] أسلم : ﴿ الْقَانِعَ ﴾ : المسكين الذي يطوف . ﴿ وَالْمُعْتَرَ ﴾ :
الصديق والضعيف^[٧] الذي يزور . وهو رواية عن عبد الله بن زيد أيضاً .

وعن مجاهد أيضاً : ﴿ الْقَانِعَ ﴾ : جارك الغني [الذي يصر ما يدخل بيتك^[٨]]
﴿ وَالْمُعْتَرَ ﴾ : الذي يعتريك من الناس . وعنه أن القانع : هو الطامع ، والمعتر : هو الذي
يعتر^[٩] بالبدن من غني أو فقير . وعن عكرمة نحوه ، وعنه : ﴿ الْقَانِعَ ﴾ : أهل مكة .

واختار ابن جرير أن ﴿ الْقَانِعَ ﴾ هو السائل ؛ لأنه من أقنع بيده إذا رفعها للسؤال ،

= من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي واقد به .

[١] - في ز ، خ : « وانختلفوا » .

[٢] - في خ : « الناس » .

[٤] - سقط من خ .

[٣] - في ز : « يتع ». .

[٦] - سقط من خ .

[٥] - في خ : « مال » .

[٨] - سقط من ز ، خ .

[٧] - سقط من خ .

[٩] - في ز ، خ : « يعن » .

﴿ والمُعْتَرُ ﴾ من الاعتراض ، وهو : الذي يتعرض لأكل اللحم .

وقد احتاج بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الأضحية تجزأ ثلاثة أجزاء : ثلث لصاحبتها يأكله ، وثلث يهدى لأصحابه ، وثلث يصدق به على الفقراء ؛ لأنه تعالى قال : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَاطْعُمُوا الْفَقَارَاءِ وَالْمُعْتَرَ ﴾ وفي الحديث الصحيح^(٤٠) أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال للناس : « إِنِّي كُنْتُ نَهِيَّكُمْ عَنِ الدِّخَارِ لِحُومِ الْأَضَاحِيِّ فَوْقَ ثَلَاثَةِ فَكُلُوا وَادْخُرُوا مَا بَدَا لَكُمْ » . وفي رواية^(٤١) : « فَكُلُوا وَادْخُرُوا وَتَصْدِقُوا » . وفي رواية : « فَكُلُوا وَاطْعُمُوا وَتَصْدِقُوا » .

والقول الثاني : أن المضحى يأكل النصف ، ويتصدق بالنصف ؛ لقوله في الآية المقدمة : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَاطْعُمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ . ولقوله في الحديث : « فَكُلُوا وَادْخُرُوا وَتَصْدِقُوا » .

فإن أكل الكل ؛ فقيل : لا يضمن شيئاً ؛ وبه قال ابن سريج من الشافعية .

وقال بعضهم : يضمنها كلها بمثلها أو قيمتها . وقيل : يضمن نصفها . وقيل : ثلثها . وقيل : أدنى جزء منها . وهو المشهور من مذهب الشافعى .

وأما الجلود ففي مسنده أحمد^(٤٢) ، عن قتادة بن النعمان في حديث الأضحى : « فَكُلُوا [١] وَتَصْدِقُوا وَاسْتَمْتَعُوا بِجَلْوَدِهَا وَلَا تَبْيَعُوهَا » . ومن العلماء من رخص في ذلك ، ومنهم من قال : يقاسم الفقراء ثمنها ، والله أعلم .

[مسألة]

عن البراء بن عازب^(٤٣) قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلى ، ثم نرجع فنشعر ، فمن فعل ذلك [٢] فقد أصاب سنتاً ، ومن ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحم عجله^[٣] لأهله ، ليس هو من النسك في شيء » . آخر جاه .

(٤٠) صحيح مسلم برقـم ٩٧٧ من حديث بريدة بن الحصيبة رضي الله عنه .

(٤١) رواه مالك في الموطأ (٤٨٤/٢) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٤٢) المسند (١٥/٤) (١٦٢٥٩) .

(٤٣) صحيح البخاري ، كتاب الأضحى ، باب : سنة الأضحية حديث (٥٥٤٥) ، وصحـيح مسلم كتاب الأضحى حديث (١٩٦١) .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « يهدى » .

فلهذا قال الشافعى وجماعة من العلماء : إن أول وقت الأضحى إذا طلعت الشمس يوم النحر ، ومضى قدر صلاة العيد والخطبتين ، زاد أحمى : وأن يذبح الإمام بعد ذلك ، لما جاء في صحيح مسلم : « وَأَن لَا تذبُّحُوا حَتَّى يُذْبَحَ الْإِمَامُ »^(١٤٤) .

وقال أبو حنيفة : أما أهل السواد من القرى ونحوهم فلهم أن يذبحوا بعد طلوع الفجر ، إذ لا صلاة عيد عنده لهم ، وأما أهل الأمصار فلا يذبحوا حتى يصلى الإمام ، والله أعلم .

ثم قيل : لا يشرع الذبح إلا يوم النحر وحده . وقيل : يوم النحر لأهل الأمصار ؛ لتيسير الأضحى عندهم^(١٤٥) ، وأما أهل القرى فيوم النحر وأيام التشريق بعده ، وبه^(١٤٦) قال سعيد بن جبير .

وقيل : يوم النحر ويوم بعده للجميع^(١٤٧) .

وقيل : ويومان بعده ، وبه قال الإمام أحمد .

وقيل : يوم النحر وثلاثة أيام التشريق بعده . وبه قال الشافعى ؛ لحديث جبير بن مطعم : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « وأيام التشريق كلها ذبح »^(١٤٨) . رواه أحمد وابن حبان .

وقيل : إن وقت الذبح يمتد إلى آخر ذي الحجة . وبه قال إبراهيم التخعي ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن^(١٤٩) وهو قول غريب .

وقوله : « كذلك سخرواها لكم لعلكم تشكرنون » ، يقول تعالى : من أجل هذا سخرواها لكم ، أي : دللناها لكم ، كما في المورد (الحديث ١٠٠٨) . وإن شتم ركبتم ، وإن شتم حلبيتم ، وإن شتم ذبحتم ، كما قال تعالى : « أو لم يروا أننا خلقنا لهم ما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون * ودللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون *

(١٤٤) لم يقع في مسلم هذا اللفظ .

(١٤٥) المسند (٤/٢٢٠١) (١٦٨٠١) . والحديث أخرجه ابن حبان كما في المورد (الحديث ١٠٠٨) . والطبراني (٢/١٣٨) (٤/١٥٨٣) . قال الهيثمى في المجمع (٤/٢٨) : رواه أحمد وروى الطبرانى فى الأوسط عنه : « أيام التشريق كلها ذبح » ورجال أحمى وغيرة ثقات . اهـ . وقال (٣/٢٥٤) : رواه أحمد والizar والطبرانى فى الكبير ؛ إلا أنه قال : « وكل فجاج مكة متخر » . ورجاله موثقون . اهـ . والبيهقى (٥/٢٣٩) . وابن حزم فى الحلى (٧/١٨٨) .

[١] - في خ : « ولهذا » .

[٤] - في ز ، خ : « سمرة » .

[٢] - في خ : « عنده » .

[٣] - في ز : الجميع .

ولهم فيها منافع ومشارب أفلأ يشكرون ﴿٤﴾ وقال في هذه الآية الكريمة : « كذلك سخرواها لكم لعلكم تشكرون ﴿٥﴾ .

لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لَحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْتَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَرُوهَا لَكُمْ
إِشْكَرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَنَكُمْ وَبَشِّرُ الْمُحْسِنِينَ

٣٧

يقول تعالى : إنما شرع لكم نحر هذه الهدايا والضحايا ، لتذكروه عند ذبحها ، فإنه في الواقع الرازق ، [لأنه لا] ^[١] يناله شيء من لحومها ولا دمائها ، فإنه تعالى هو الغني عمما سواه .

وقد كانوا في جاهليتهم إذا ذبحوها لأنهم وضعوا عليها من لحوم قرابينهم ، ونضحوا بها من دمائها ^[٢] ، فقال تعالى : « لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لَحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن أبي حماد ، حدثنا إبراهيم ابن المخار ، عن ابن جرير قال : كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها ، فقال أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : فتحنْ أحق أن تُنضَحْ ، فأنزل الله : « لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لَحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْتَّقْوَىٰ مِنْكُمْ ﴿٤﴾ . أي : يتقبل ذلك ويجزي عليه . كما جاء في الصحيح ^(٤٦) : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظَرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أُمُوالِكُمْ ^[٣] » ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » وما جاء في الحديث : « إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتَقْعُ فِي يَدِ الرَّحْمَنِ قَبْلَ أَنْ تَقْعُ فِي يَدِ السَّائِلِ ، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقِعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقِعَ عَلَى الْأَرْضِ ^(٤٧) . كما تقدم الحديث . رواه ابن ماجة ، والترمذى وحسنه عن عائشة مرفوعاً . فمعناه ^[٤] أنه سيق لتحقيق القبول من الله لمن أخلص في عمله ، وليس له معنى يتบรรد عند العلماء الحقيقين سوى هذا ، والله أعلم .

وقال وكيع : عن [يحيى ^[٥] بن مسلم - أبي ^[٦] الضحاك - : سألت عامراً الشعبي عن جلود الأضحى ؟ فقال : « لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لَحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا [﴾] ، إن شئت فبع ، وإن شئت فأمسك ، وإن شئت فصدق .

(٤٦) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، حديث (٢٥٦٤) .

(٤٧) - رواه الترمذى في الأضحى (١٤٩٣) ، وابن ماجه في الأضحى (٣١٢٦) .

[١] - في ت : « لا أنه » .

[٢] - في خ : « دمائهم » .

[٣] - في ز : « ألوانكم » .

[٤] - في ز ، خ : « بن » .

[٥] - بياض في ز ، خ .

وقوله : ﴿ كُذلِكَ سخْرَهَا لَكُم ﴾ . أي : من أجل ذلك سخر لكم البدن ، ﴿ لَتَكْبِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُم ﴾ . أي : لتعظموه كما هداكم لدينه وشرعه ، وما يحبه وما يرضاه ، ونهاكم عن فعل ما يكرهه ويأبه .

وقوله : ﴿ وَبَشَرَ الْخَسِينَ ﴾ . أي : وبشر يا محمد ؛ الخسين . أي : في عملهم ، القائمين بحدود الله ، المتبعين ما شرع لهم ، المصدقين الرسول فيما أبلغهم وجاءهم به من عند ربهم عز وجل .

[مسألة]

وقد ذهب أبو حنيفة ومالك والثوري [إلى القول^(١)] بوجوب الأضحية على من ملك نصاباً ، وزاد أبو حنيفة اشتراط الإقامة أيضاً ، واحتج لهم بما رواه أحمد^(٤٨) وأبن ماجة بإسناد رجاله كلهم ثقات ، عن أبي هريرة مرفوعاً : « من وجد سعة فلم يضف فلا يقرب مصلاناً ». على أن فيه غرابة ، واستنكره أحمد بن حنبل .

وقال ابن عمر : أقام رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، عشر سنين يضحي . رواه الترمذى^(٤٩) .

وقال الشافعى وأحمد : لا تجب الأضحية ، بل هي مستحبة ؛ لما جاء في الحديث : « ليس في المال حق سوى الزكاة »^(٥٠) . وقد تقدم أنه - عليه السلام - ضحى عن أمته فأسقط ذلك وجوبها عنهم .

وقال أبو سريحة : كنت جاراً لأبي بكر وعمر ، فكانا لا يضحيان خشية أن يقتدي الناس بهما .

وقال بعض الناس : الأضحية سنة كفاية ، إذا قام بها واحد من أهل دار أو محلة سقطت عن الباقين ؛ لأن المقصود إظهار الشعار .

(٤٨) المسند (٣٢١/٢) وسنن ابن ماجة برقم (٣١٢٣) . قال البوصيرى في الروايد (٣٥٠) : في إسناده عبد الله بن عياش وإن روى له مسلم فلما روى له في المتابعات والشواهد وقد ضعفه أبو داود والنسائي ، وقال أبو حاتم صدوق . وأبن يونس : منكر الحديث وذكره ابن حبان في الثقات . ثم نقل عن البيهقي أنه بلغه عن الترمذى : أن الصحيح عن أبي هريرة موقف أهـ .

(٤٩) سنن الترمذى في كتاب الأضاحى (١٥٠٧) وقال الترمذى : حسن .

(٥٠) رواه ابن ماجه في الزكاة حديث (١٧٨٩) من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها .

وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن^(١) ، وحسنه الترمذى ، عن مخنف بن سليم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعرفات : « على كل أهل بيته في كل عام أضحاء وعتيره ، هل تدرؤن ما العتيرة ؟ هي التي تدعونها الوجبة^(٢) ». وقد تكلم في إسناده .

وقال أبو^(٣) أيبوب : كان الرجل في عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يضحى بالشاة الواحدة عنه وعن أهل بيته ، فإذا كانوا ويطعمون [حتى تباهى^(٤)] الناس [فصار كما ترى^(٥)]. رواه الترمذى^(٦) وصححه ، وابن^(٧) ماجة .

وكان عبد الله بن هشام يضحى بالشاة الواحدة عن جميع أهله . رواه البخاري .

فأما مقدار سن الأضحية فقد روى مسلم^(٨) عن جابر أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قال : « لا تذبحوا إلا مسنة إلا أن يعسر^(٩) عليكم ، فذبحوا جذعة من الصان ». .

ومن هاهنا ذهب الزهرى إلى أن الجذع ، لا يجزئ وقابلة الأوزاعى فذهب إلى أن الجذع يجزئ من كل جنس ، وهو غريبان ، وقال الجمهور : إنما يجزئ الشئىء من الإبل والبقر

(١) المسند (٤/٢١٥) (٤٤/١٧٩٤) وإسناده ضعيف : فيه أبي رملة : قال في التقرب : عامر أبو رملة - شيخ لابن عون - لا يعرف .

والحديث أخرجه أبو داود (٣/٩٣) (٢٧٨٨) في كتاب الضحايا ، باب : في ما جاء في إيجاب الأضحى . والترمذى في كتاب الأضحى ، باب : العتيرة ، حدث ١٥١٨ . والنمساني (٧/١٦٧ - ١٦٨) في كتاب الفرع والعتيرة . وابن ماجه (٢/٤٥) حديث (٢٥/٣١) في كتاب الأضحى ، باب : الأضحى واللدية هي أم لا ؟ والبيهقي في سننه الكبرى (٩/٣١٢) . والطبرانى في الكبير (٢٢/١٣) حديث (٩٣/٧٣) . وذكره ابن حجر في الإصابة (٩/١٥١) . قال أبو داود : العتيرة منسوبة ، هذا خبر منسوخ . وقال المثلري : وقال اليحيى : وقال بعض السلف ببقاء حكمها .

وقال الخطابي : العتيرة تفسيرها في الحديث : أنها شاة تذبح في رجب ، وهذا هو الذي يشبه معنى الحديث ويليق به حكم التدين ، فاما العتيرة التي كان يتعذرها أهل الجاهلية ؛ فهي الذبيحة تذبح للصنم ، فينصب دمهما على رأسه ، والمعنى الذبح ، واختلفوا في وجوب الأضحية ؛ فقال أكثر أهل العلم : أنها ليست بواجبة ، ولكنها مندوب إليها . وقال محمد بن الحسن : هي واجبة على الميسير . قلت : هذا الحديث ضعيف المخرج وأبو رملة مجهول . اهـ كلام الخطابي ، رحمة الله تعالى .

(٢) سنن الترمذى ، كتاب الأضحى (٥/١٥٠) ، وسنن ابن ماجة ، كتاب الأضحى (٧/٣١٤) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الأضحى ، حديث (٣/١٩٦٣) .

[١] - في ز ، خ : « المرجة » .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : يهر .

[٤] - في ز ، خ : « ابن » .

[٥] - في ز ، خ : « ابن » .

والمعز ، والجذع من الضأن ، فاما الثاني من الإبل فهو الذي له خمس سنين ودخل في السادسة ، ومن البقر [ماله ستان ودخل في الثالثة ، وقيل : [١] ما له ثلاثة [٢] دخل في الرابعة . ومن المعز ما له ستان [٣] . وأما الجذع من الضأن ؛ فقيل [٤] : ما له سنة ، وقيل : عشرة أشهر ، [٥] وقيل : ثمانية أشهر ، وقيل : ستة أشهر ، وهو أقل ما قيل في سنه ، وما دونه فهو حمل ، والفرق بينهما أن الحمل شعر ظهره قائم ، والجذع شعر ظهره نائم ، قد انعدل صدعين ، والله أعلم .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَيُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَانِيْرَ كُفُورٍ﴾

يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار ، ويحفظهم ويكتؤهم وينصرهم ، كما قال تعالى : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافِ عَبْدِهِ﴾ وقال : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِالْعَمَرِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ .
وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَانِيْرَ كُفُورٍ﴾ . أي : لا يحب من عباده من اتصف بهذا ، وهو الخيانة في العهد والمواثيق ، لا يفي بما قال . والكفر [٦] : الحجد للنعم ، فلا يعترف بها .

﴿أُولَئِنَّ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ إِنَّهُمْ طَلَمُوا وَلَئِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾

﴿أَلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَنَّا لَدُنَّ اللَّهِ أَنَّاسٌ بَعْضُهُمْ يَعْصِي لَهُمْ مَتَّ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَيْرًا وَلَيَسْتَرِنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوْيٌ عَزِيزٌ﴾

قال العوفى ، عن ابن عباس : نزلت في محمد وأصحابه حين أخرجوا من مكة .

وقال غير واحد من السلف : هذه أول آية نزلت في الجهاد ، واستدل بهذه الآية بعضهم على أن السورة مدنية ، وقاله مجاهد والضحاك وقناة وغير واحد .

وقال ابن جرير : حدثني يحيى بن داود الواسطي ، حدثنا إسحاق بن يوسف ، عن

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : وقد .

[٣] - في ز : سنة .

[٤] - قيل .

[٥] - في ز : الكفر .

[٦] - سقط من خ .

سفيان ، عن الأعمش ، عن سلم - هو البطين - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أخرج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، من مكة ، قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم ، إنا لله وإنما إليه راجعون ، ليهلكنّ . قال ابن عباس : فأنزل الله عز وجل : ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ ، قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : عرفت أنه سيكون قتال .

و[١] رواه الإمام أحمد (١٥٤) ، عن إسحاق بن [٢] يوسف الأزرق ، به ، وزاد : قال ابن عباس : وهي أول آية نزلت في القتال .

ورواه الترمذى والنسائى فى التفسير من سننهما (١٥٥) ، وابن أبي حاتم من حديث إسحاق بن يوسف ، زاد الترمذى : ووكيع ، كلاهما عن سفيان الثورى ، به . وقال الترمذى : حديث [٣] حسن . وقد رواه غير واحد عن الثورى ، وليس فيه ابن عباس .

وقوله : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِ عِبَادِهِ﴾ ، أي : هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال ، ولكن هو يريد من عباده أن ييلو جهدهم في طاعته ، كما قال : ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الظَّاهِرِيَّةَ كُفَّارًا فَضْرِبُ الرِّقَابَ حَتَّىٰ إِذَا أَخْتَمُوهُمْ فَشَدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنْ يَرَىٰ فَلَدَاءَ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحُرُبُ أَوْ زَارَهَا ذَلِكُولُو يَشَاءُ اللَّهُ لَا تَنْصُرُهُمْ وَلَكُنْ لَّيْلُو بَعْضَكُمْ بَعْضَ وَالَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يَضُلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ سيدتهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴿﴾ ، وقال تعالى : ﴿فَاتَّلُوْهُمْ بِعذَابِهِمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَبِخَرْبِهِمْ وَبِنَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفُ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينْ * وَيَذْهَبُ غَيْظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ، وقال تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَرْكُوا وَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَجْهَهُ خَيْرُ مَا تَعْمَلُونَ﴾ ، وقال : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ﴾ ، [٤] وقال : ﴿وَلَنَبْلُونَكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُو أَخْبَارَكُمْ﴾ والآيات في هذا كثيرة ، ولهذا قال ابن عباس في قوله : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِ لَقَدِيرٌ﴾ : وقد فعل [٤] .

إنما شرع تعالى الجهاد في الوقت الأنبل به ، لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر

(١٥٤) تفسير الطبرى (١٢٣/١٧) ، والمستند (٢١٦/١) .

(١٥٥) سنن الترمذى ، كتاب تفسير القرآن حديث (٣١٧١) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٣٤٥) .

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

عدها ، فلو أُمِرَّ المسلمين وهم أقل من العشر بقتال الباقيين^[١] لشق عليهم ، [ولهذا لما بايع أهل^[٢] يشرب ليلة العقبة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وكانوا نيفاً وثمانين ، قالوا : يا رسول الله ، ألا نميل على أهل الوادي - يعنون أهل مني - ليالي مني فقتلهم ؟ فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إني لم أُمِرْ بهدا ». فلما بعثي المشركون ، وأخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم ، وهموا بقتله ، وشردوا أصحابه شئراً مئراً ، فذهب منهم طائفة إلى الحبشة ، وأخرون إلى المدينة ، فلما استقروا بالمدينة ، ووافاهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، واجتمعوا عليه ، وقاموا بنصره ، وصارت لهم دار إسلام ، ومعقلأً يلجمون إليه ، شرع الله جهاد الأعداء ، فكانت هذه الآية أول ما نزل في ذلك ، فقال تعالى : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾ .

قال العوفي ، عن ابن عباس : أخرجوا من مكة إلى المدينة بغير حق ، يعني : محمداً وأصحابه .

﴿ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ ، أي : ما كان لهم إلى قومهم إساءة ، ولا كان لهم ذنب ، إلّا أنهم عبدوا الله وحده لا شريك له ، وهذا استثناء منقطع بالنسبة [إلى ما^[٣] في نفس الأمر ، وأما عند المشركين فهو أكبر الذنوب ، كما قال تعالى : ﴿ يَخْرُجُونَ الرَّسُولَ وَإِيمَانَكُمْ أَن تَوْمَنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ وقال تعالى في قصة أصحاب الأخدود : ﴿ وَمَا نَعْمَلُ مِنْهُمْ إِلَّا أَن يَوْمَنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ ولهذا [لما^[٤] كان المسلمين يرتجون في بناء الخندق ويقولون :

لَاهُمْ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصْدَقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَتَرْزَلْنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتَ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقِيْنَا
إِنَّ الْأَلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا
فِي وَاقْعَدِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ، صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَقُولُ مَعْهُمْ آخِرُ كُلِّ قَافِيَّةٍ ، فَإِذَا قَالُوا :
إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا ، قَالَ^[٥] : « أَبَيْنَا » ، يَمْدُّ بِهَا صَوْتَهُ .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِعَضٍ ﴾ ، أي : لو لا أنه يدفع عن قوم بقوم ، ويكشف شر أناس عن غيرهم بما يخلقه ويكدره من الأسباب ، لفسدت الأرض ، وأهلك القوي الضعيف .

[١] - في ز ، خ : « المافقين » .

[٢] - في خ : « ولما بايع هذا أهل » .

[٣] - في ز : « لما » .

[٤] - في قوله .

[٥] - في ز : فيقول .

﴿ لَهُدِمَتْ صَوَامِعٌ ﴾ ، وَهِيَ مَعَابِدُ الصَّفَارِ لِلرَّهَبَانِ ، قَالَهُ [ابن عَبَّاسٌ^[١]] وَمُجَاهِدٌ
أَبُو الْعَالِيَّةِ وَعَكْرَمَةَ وَالضَّحَاكَ وَغَيْرَهُمْ .

وَقَالَ قَتَادَةُ : هِيَ مَعَابِدُ الصَّابِئِينَ ، وَفِي رِوَايَةِ عَنْهُ : صَوَامِعُ الْجَوَسِ .

وَقَالَ مَقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ : هِيَ الْبَيْوَتُ الَّتِي عَلَى الْطَّرِيقِ .

﴿ وَبَيْعٌ ﴾ وَهِيَ أَوْسَعُ مِنْهَا ، وَأَكْثَرُ عَابِدِينَ فِيهَا ، وَهِيَ لِلنَّصَارَى أَيْضًا . قَالَهُ أَبُو الْعَالِيَّةِ
وَقَتَادَةَ وَالضَّحَاكَ وَابْنِ صَخْرٍ وَمَقَاتِلَ بْنَ حَيَّانَ وَخَصْيَفَ وَغَيْرَهُمْ .

وَحَكَى ابْنُ جَرِيرٍ^[٢] عَنْ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ : أَنَّهَا كَنَائِسُ الْيَهُودِ . وَحَكَى السَّدِيِّ عَنْ حَدِيثِهِ
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّهَا كَنَائِسُ الْيَهُودِ . وَمُجَاهِدٌ إِنَّمَا قَالَ : هِيَ الْكَنَائِسُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَصَلَوَاتٌ ﴾ قَالَ الْعُوفِيُّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : الصَّلَوَاتُ : الْكَنَائِسُ . وَكَذَا قَالَ
عَكْرَمَةَ وَالضَّحَاكَ وَقَتَادَةُ : إِنَّهَا كَنَائِسُ الْيَهُودِ . وَهُمْ يَسْمُونُهَا صَلَوَاتٌ .

وَحَكَى السَّدِيِّ عَنْ حَدِيثِهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّهَا كَنَائِسُ النَّصَارَى . وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَّةِ
وَغَيْرُهُ : الصَّلَوَاتُ مَعَابِدُ الصَّابِئِينَ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيْعٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : الصَّلَوَاتُ : مَسَاجِدُ أَهْلِ الْكِتَابِ وَأَهْلِ الْإِسْلَامِ
بِالْطَّرِيقِ . وَأَمَّا الْمَسَاجِدُ فَهُنَّ لِلْمُسْلِمِينَ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ يَذْكُرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ فَقَدْ قِيلَ : الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَذْكُرُ فِيهَا ﴾
عَائِدٌ إِلَى الْمَسَاجِدِ ؛ لِأَنَّهَا^[٣] أَقْرَبُ الْمَذَكُورَاتِ .

وَ[٤] قَالَ الضَّحَاكُ : الْجَمِيعُ يَذْكُرُ فِيهَا اسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا .

وَقَالَ ابْنَ جَرِيرٍ : الصَّوَابُ : لَهُدِمَتْ صَوَامِعُ الرَّهَبَانِ ، وَبَيْعُ النَّصَارَى ، وَصَلَوَاتُ الْيَهُودِ
وَهِيَ كَنَائِسُهُمْ ، وَمَسَاجِدُ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي يَذْكُرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ؛ لِأَنَّهَا هُوَ الْمُسْتَعْلَمُ
الْمَعْرُوفُ فِي كَلَامِ الْعَربِ . وَ[٥] قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءَ : هَذَا تَرَقٌ مِنَ الْأَقْلَلِ إِلَى الْأَكْثَرِ ، إِلَى أَنَّ
يَسْتَهِيَ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَهِيَ أَكْثَرُ عَمَارًا وَأَكْثَرُ عَبَادًا ، وَهُمْ ذُوو[٦] الْقَصْدِ^[٧] الصَّحِيفِ .

[١] - بِياضِ فِي ز ، خ .

[٢] - فِي خ : جَرِيرٌ .

[٣] - فِي ز : لِأَنَّهَا .

[٤] - سَقْطٌ مِنْ خ .

[٥] - فِي ز : الْفَضْلِ .

[٦] - فِي ز ، خ : « دُورٌ » .

[٧] - فِي ز : الْفَضْلِ .

وقوله : ﴿ وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ ﴾ ، كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُو
اللَّهُ يَنْصُرُكُمْ وَبِئْتُ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَعَمِلُتُمْ لَهُمْ وَأَضَلُّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ .

وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقُوْيٌ عَزِيزٌ﴾ وصف نفسه بالقدرة والعزّة ، فبقوته^[١] خلق كل شيء قدره تقديرًا ، وبعزّته لا يقهّره قادر ، ولا يغلبه غالب ، بل كل شيء ذليل لديه فقير إليه ، ومن كان القوي العزيز ناصره فهو المتصور ، وعدوه هو المقهور ، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلْمَاتُنَا لِعَبَادَنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمُنْصُورُونَ * وَإِنْ جَنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ . وقال تعالى : ﴿كَبَّ اللَّهُ لَأَغْلَبْنَا وَرَسَلِي إِنَّ اللَّهَ لَقُوْيٌ عَزِيزٌ﴾ .

الَّذِينَ إِنْ مَكَنُوهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَإِنْوَأُوا الزَّكَوَةَ وَأَمْرُوا
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عِزْبَةُ الْأُمُورِ

قال ابن أبي حاتم : حدثنا [٢٣] أبي ، حدثنا أبو الريبع الزهراني [٢٤] ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب وهشام ، عن محمد قال : قال عثمان بن عفان : فيما نزلت : ﴿الذين إن مكثاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ . فآخر جنا من ديارنا بغير حق ، إلا أن قلنا [٢٥] : ربنا الله ، ثم مكثنا في الأرض ، فاقتنا الصلاة ، وآتينا الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ، ونهينا عن المنكر ، والله عاقبة الأمور ، فهي لي ولأصحابي .

وقال أبو العالية: هم أصحاب محمد ، صلى الله عليه وسلم .

وقال الصباح بن سوادة الكندي : سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول :
﴿الذين إن مكناهم في الأرض ...﴾ الآية ، ثم قال : ألا إنها ليست على الوالي وحده ،
ولكنها على الوالي والملوي عليه ، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم ، وبما للوالى
عليكم منه ؟ إن لكم على الوالي من ذلكم أن يؤاخذكم [٥] بحقوق الله عليكم ، وأن يأخذ
بعضكم من بعض ، وأن يهدىكم للتي هي أقرب ما استطاع ، وإن عليكم من ذلك الطاعة
غير المبوزة ، ولا المستكره ، ولا الخالف سرها علانيتها .

وقال عطية العوفي : هذه الآية كقوله : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

[٢] - سقط من ز.

[۱] - فی ز : بقوته .

[٤] - في خ : « يقولوا » .

[٣] - في ز، خ : « المرهداني » .

٥٠ - فی ز : یأخذكم .

ليستخلفنهم في الأرض ۝ .

وقوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝ ﴾ .

وقال^[١] زيد بن أسلم : ﴿ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝ ﴾ : وعن الله ثواب ما صنعوا .

**الذين إِنْ مَكَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَإَقَوْا الرَّزْكَةَ وَأَمْرُوا
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عِنْقَبَةُ الْأُمُورِ ۝ وَإِنْ يُكَذِّبُوكُمْ فَقَدْ
كَذَّبُتُمْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ۝ وَقَوْمٌ لِإِبْرَاهِيمَ وَقَوْمٌ لُوطٌ ۝
وَأَصْحَبُ مَدِينَةٍ وَكَذَّبُ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكُفَّارِنَّ ثُمَّ أَخْذَتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرٌ ۝ فَكَانُوا مِنْ قَرِيبَةِ أَهْلَكَنَّهَا وَهُنَّ ظَالِمُونَ فَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَىٰ
عُرُوشَهُمَا وَيَتَرِ مُعَطَّلُهُ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ
لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ
تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الْأَصْلُوْرِ ۝**

يقول تعالى مسلياً نبيه محمداً^[٢] ، صلى الله عليه وسلم ، في تكذيب من خالقه من قومه : ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكُمْ فَقَدْ كَذَّبُتُمْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ ۝ إِلَىٰ أَنْ قَالَ : ﴿ وَكَذَّبُ
مُوسَى ۝ ﴾ ، أي : مع ما جاء به من الآيات البينات والدلائل الواضحات .

**﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكُفَّارِنَّ ۝ ﴾ ، أي : أنظرتهم وأخرتهم ، ﴿ ثُمَّ أَخْذَتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرٌ ۝ ، أي : فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي^[٣] لهم .**
ذكر بعض السلف أنه كان بين^[٤] قول فرعون لقومه : أنا ربكم الأعلى . وبين إهلاك الله
له أربعون سنة .

وفي الصحيحين^(١٥٦) عن أبي موسى ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنه

(١٥٦) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن حديث (٤٦٨٦) ، وصحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب (٢٥٨٣) .

[١] - سقط من خ .

[٤] - في ز : من .

[٣] - في ز ، خ : « وعاقبتي » .

قال : « إن الله ليملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ، ثم قرأ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رِبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقَرِيْبَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ [إن أخذه أليم شديد] ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ فَكَأْيُنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكَنَا هَا [أَيْ] ؟ ﴾ أَيْ : كم من قرية أهلكتها ﴿ وهي ظَالِمَةٌ [أَيْ] ؟ ﴾ مكذبة لرسولها ﴿ فهي خاوية على عروشها ﴾ قال الضحاك : سقوفها ، أَيْ : قد [١] خربت منازلها ، وتعطلت حواضرها .

﴿ وَبَثَرَ مَعْتَلَةً [أَيْ] ؟ لا يستنقى منها ولا يردها أحد بعد كثرة وارديها والازدحام عليها .

﴿ وَقَصْرَ مَشِيدَه [أَيْ] ؟ قال عكرمة : يعني المبيض بالجص .

وروي عن علي بن أبي طالب ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وأبي المليح والضحاك نحو ذلك .

وقال آخرون : هو المنيف المرتفع .

وقال آخرون : هو [٣] الشديد المنبع الحصين .

وكل هذه الأقوال متقاربة ، ولا منافاة بينها ، فإنه لم يحم أهله شدة بناه ولا ارتفاعه ، ولا إحكامه ولا حصانته ، عن حلول بأس الله بهم ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مَشِيدَه ﴾ .

وقوله : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ [أَيْ] ؟ أَيْ : بأيديهم وتفكيرهم [٤] أيضاً ، وذلك كاف ، كما قال ابن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار :

حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا سيار ، حدثنا مالك بن دينار قال : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : أن يا موسى اتخذ نعلين من حديد وعصا ، و [٥] ساح في الأرض ، ثم [٦] اطلب الآثار وال عبر ، حتى تخرق النعلان ، وتكسر العصا .

و [٧] قال ابن أبي الدنيا : قال بعض الحكماء : [أَحَى قلبك بالمواعظ] [٨] ، ونوره بالفكرة ، وموته بالزهد ، وقوه باليقين ، وذله [بالموت وقرره بالفناء] [٩] ، وبصره فجائ [١٠] الدنيا ،

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في ز : بن .

[٥] - في ز : و .

[٦] - في ز : و .

[٧] - في ز : مجتمع .

[٨] - في ز : « أَحَى عَلَيْكَ بِالْوَاعِظِ » .

[٩] - في ز : بالقرب وتدبره بالثناء .

[١٠] - في ز : « بالقرب وتدبره بالثناء » .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في ز : بن .

[٥] - في ز : و .

[٦] - في ز : مجتمع .

[٧] - في ز : مجتمع .

[٨] - في ز : مجتمع .

[٩] - في ز : مجتمع .

وَحْذِرُهُ صُولَةُ الدَّهْرِ وَفَحْشُ تَقْلِبِ الْأَيَّامِ ، وَاعْرَضُ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينِ ، وَذَكْرُهُ [ما أَصَابَ [١] مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، وَسَرَ [٢] فِي دِيَارِهِمْ وَأَتَارِهِمْ وَانظَرَ [٣] مَا فَعَلُوا ، وَأَيْنَ حَلَوا وَعِمَ اَنْقَلَبُوا [٤] أَيْ : فَانظُرُوا [٤] مَا حَلَ بِالْأُمَّ الْمَكْذُبَةِ مِنَ النَّقْمَ [٥] وَالنَّكَالَ ، هُنَّ فَنَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا] أَيْ : فَيَعْتَبِرُونَ بِهَا ، هُنَّ فَلَانَّا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ] أَيْ : لَيْسَ الْعِيْنَ عِيْنَ الْبَصَرِ ، وَلَيْسَ الْعِيْنَ عِيْنَ الْبَصِيرَةِ ، وَإِنْ كَانَتِ الْقُوَّةُ الْبَاصِرَةُ سَلِيمَةً ، فَلَانَّا لَا تَنْفَذُ إِلَى الْعِبَرِ ، وَلَا تَدْرِي مَا الْخَبَرُ ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ بَعْضُ الشَّعَرَاءِ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَهُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبْنَى سَارَةَ [٦] الْأَنْدَلُسِيِّ الشَّتَرِيِّيِّ ، وَقَدْ كَانَ وَفَاتَهُ سَنَةُ سَبْعَ عَشَرَةَ وَخَمْسَمَائَةٍ :

يَا مَنْ يُصْبِحُ إِلَى دَاعِيِ الشَّقَاءِ وَقَدْ
إِنْ كَتَتْ لَا تَسْمَعُ الذَّكْرَى فَقِيمُ ثُرَى
فِي رَأْسِكَ الرَّاعِيَانِ : السَّمْعُ وَالْبَصَرُ ؟
لَيْسَ الْأَصْمَ وَلَا الْأَعْمَى سُوَى رَجُلٍ
لَمْ يَهْدِهِ الْهَادِيَانِ : الْعَيْنُ وَالْأَثْرُ
لَا الْدَّهْرُ يَقْنَى وَلَا الدُّنْيَا وَلَا الْفَلَكُ إِلَّا
لِيَرْحَلُنَّ عَنِ الدُّنْيَا وَلَا كَرَهَا
فَرَاقُهَا الشَّاوِيَانِ : الْبَدُو وَالْخَضْرُ
وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعْدُهُ وَلَتَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَالْفَ سَنَتَوْ
عِنْمَانًا تَعْدُونَكَ [٤٧] وَكَائِنٌ مِنْ قَرَيْةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخْذَتُهَا
وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ [٤٨]

يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه : هُنَّ فَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ] أَيْ : هُؤُلَاءِ
الْكُفَّارُ الْمَكْذُبُونَ الْمَلْحُودُونَ بِاللَّهِ وَكَتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : هُوَ إِذَا قَالُوا
اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مَنْ عَنْكَ فَأُمْطِرُ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أَنْتَ بِعَذَابِ
أَلِيمٍ] هُوَ وَقَالُوا رَبُّنَا عَجَلَ لَنَا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ] .

وقوله : هُنَّ فَلَوْنَ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعْدُهُ] أَيْ : الَّذِي قَدْ وَعَدَ ، مِنْ إِقَامَةِ السَّاعَةِ ، وَالْإِنْقَاصِ
مِنْ أَعْدَائِهِ ، وَالْإِكْرَامِ لِأُولَائِهِ .

قال الأصمسي : كُنْتَ عِنْدَ أَبِي عُمَرَ بْنِ الْعَلاءِ ، فَجَاءَهُ عُمَرُ بْنُ عَبِيدٍ ، فَقَالَ : يَا أَبا

[١] - في ز : بِأَمْ كِتَابٍ .

[٢] - في ز : وَسِعِيْ .

[٣] - في ز : اَنْظَرُوا .

[٤] - في ز : فَنَظَرُوا .

[٥] - في ز : السَّقَمُ .

[٦] - في ز : جِبَارَةً .

عمرو ، هل [١] يخلف الله الميعاد ؟ فقال : لا . فذكر آية وعيد ، فقال له : [٢] أمن العجم أنت ؟ إن العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤماً [٣] وعن الإبعاد كرماً ، أو ما سمعت قول الشاعر :

لا يرهب ابن العم مني [٤] سطوة المتهدد [٥]
فإنني وإن أزعجتُه أو [٦] وعدته لخلف إيعادي ومنجز موعدي
وقوله : ﴿ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رِبِّكَ كَأْلَفَ سَنَةً مَا تَعْدُونَ ﴾ ، أي : هو تعالى لا يتعجل ،
فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حكمه ، لعلمه بأنه على الانتقام قادر ، وأنه لا يفوته شيء ، وإن أجل وأنظر وأملئ ، ولهذا قال بعد هذا : ﴿ وَكَأْلَفَينَ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالَّةٌ ثُمَّ أَخْذَهَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : ثنا الحسن بن عرفة ، حدثني عبدة بن سليمان ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمنصف يوم [٧] : خمسمائة عام » .

ورواه الترمذى والنسائى [٨] من حديث الثورى عن محمد بن عمرو ، به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقد رواه ابن جرير [٩] ، عن أبي هريرة موقوفاً فقال : حدثني يعقوب ، ثنا ابن علية ، ثنا سعيد الجريري ، عن أبي نضرة ، عن شمير بن نهار قال : قال أبو هريرة : يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمقدار [١٠] نصف يوم . [١١] قلت : وما نصف يوم ؟ [١٢] قال : أو ما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلـى . قال : ﴿ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رِبِّكَ كَأْلَفَ سَنَةً مَا تَعْدُونَ ﴾ .

وقال أبو داود [١٣] في آخر كتاب الملائم من سنته : حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا

(١٥٧) سنن الترمذى ، كتاب الزهد حديث (٤٢٣٥) ، وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٣٤٨) . وابن ماجه كتاب الزهد (٤١٢٢) .

(١٥٨) تفسير الطبرى (١٢٩/١٧) .

(١٥٩) سنن أبي داود حديث (٤٣٥٠) ورواية أحمد (١٤٦٧ التراث) وقال المناوى : سنه جيد .

[١] - في ز : وهل .

[٢] - ما بين المكوفين في ز : « من العجمة تبيان العرب بعدم الرجوع عن الوعيد يوماً » .

[٣] - في ز : والجار .

[٤] - في ز : المهدد .

[٥] - في ز : سقط من ز .

[٦] - ما بين المكوفين سقط من ز .

أبو المعيرة ، حدثنا صفوان ، عن شريح بن عبيد ، عن سعد بن أبي وقاص ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إني لأرجو أن لا تغجر أمتى عند [١] ربها أن يؤخرهم نصف يوم ». قيل لسعد : وما نصف يوم ؟ قال : خمسمائة سنة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان [٢] ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وَإِن يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مَا تَعْدُونَ » ، قال : من الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض .

ورواه ابن جرير [٣] ، عن ابن بشار [٤] ، عن ابن مهدي . وبه قال مجاهد وعكرمة . ونص عليه أحمد بن حنبل في كتاب « الرد على الجهمية » .

وقال مجاهد : هذه الآية كقوله : « يَدْبِرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارَهُ أَلْفَ سَنَةً مَا تَعْدُونَ » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عارم [٤] - محمد بن الفضل - حدثنا حماد بن زيد ، عن يحيى بن عتيق ، عن محمد بن سيرين ، عن رجل من أهل الكتاب أسلم قال : إن الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، « وَإِن يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مَا تَعْدُونَ » ، وجعل أجل الدنيا ستة أيام ، وجعل الساعة في اليوم السابع ، « وَإِن يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مَا تَعْدُونَ » ، فقد مضت السنة الأيام ، وأنتم في اليوم السابع ، فمثل [٥] ذلك كمثل الحامل إذا دخلت شهرها ، ففي آية لحظة [٦] ولدت كان تماماً .

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مِّنْنِي ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ كَفَرُوا مَأْمُوا وَعَمِلُوا الصَّنْعَاتِ
لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوا فِيَّ إِيمَانَنَا مُعَذِّبُنَّ أُولَئِكَ
أَصْحَبُ الْجَنَّمِ ﴿٥١﴾

يقول تعالى لنبيه ، صلى الله عليه وسلم ، حين طلب منه الكفار وقوع العذاب واستعجلوه به : « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مِّنْنِي » ، أي : إنما أرسلني الله إليكم نذيراً لكم

. (١٦٠) تفسير الطبرى (١٢٩/١٧).

[٢] - في ز : شيئاً .

[٤] - بعده في ز ، خ : « بن » .

[٦] - سقط من خ .

[١] - في ز : عن .

[٣] - في ز : يسار .

[٥] - في ز : بمثل .

بَيْنِ يَدِي عَذَابٍ شَدِيدٍ ، وَلَيْسَ لِي مِنْ حِسَابِكُمْ مِنْ شَيْءٍ ، أَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ ؛ إِنْ شَاءَ عَجَّلَ لَكُمُ الْعَذَابَ ، وَإِنْ شَاءَ أَخْرَهُ عَنْكُمْ ، وَإِنْ شَاءَ تَابَ عَلَى مَنْ يَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَإِنْ شَاءَ أَضْلَلَ مِنْ كِتَابِهِ عَلَيْهِ الشَّقَاوَةَ ، وَهُوَ الْفَعَالُ لِمَا يَشَاءُ وَيَرِيدُ وَيَخْتَارُ ، ﴿٦﴾ لَا مَعْقُبٌ لِحَكْمَهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٧﴾ ، وَ﴿٨﴾ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٩﴾ ، أَيِّ : آمَنْتُ^[١] قُلُوبَهُمْ وَصَدَقُوا إِيمَانَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ ، ﴿١٠﴾ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرَزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ، أَيِّ : مَغْفِرَةٌ لِمَا سَلَفَ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ ، وَمَجَازَاةٌ حَسَنَةٌ عَلَى الْقَلِيلِ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ .

قال محمد بن كعب القرظي : إذا سمعت الله تعالى يقول : ﴿١٢﴾ وَرَزْقٌ كَرِيمٌ فَهُوَ : الجنة .

وقوله : ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ سَعَوا فِي آيَاتِنَا مَعْجَزِينَ ﴿١٤﴾ قال مجاهد : يُبَطِّلُونَ النَّاسَ عَنِ مَتَابِعَةِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وكذا قال عبد الله بن الزبير : مُبَطِّلُونَ .

وقال ابن عباس : ﴿١٥﴾ مَعْجَزِينَ : مُرَاغِمِينَ .

﴿١٦﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٧﴾ ، وَهِيَ النَّارُ الْحَارَةُ الْمُوجَّعَةُ ، الشَّدِيدُ^[٣] عَذَابُهَا وَنَكَالُهَا ، أَجَارَنَا اللَّهُ مِنْهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿١٨﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زَدَنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ عَذَابِهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْسِدُونَ ﴿١٩﴾ .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِنَّمَا تَمَنَّى أَنَّقِيَ الشَّيْطَانُ فِي
أُمَّيَّتِهِ، فَيَسْخُّنَّ أَنَّقِيَ الشَّيْطَانُ ثُمَّ يَمْحُكُمُ اللَّهُمَّ أَيَّتُمْهُ، وَاللَّهُ عَلَيْهِ
حِكْمَةٌ^{٥٢} لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِيَ الشَّيْطَانُ فَتَنَّةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْفَاسِدَةُ
قُلُوبُهُمْ وَإِبْرَاهِيمَ الظَّالِمِينَ لِفِي شَقَاقٍ بَعِيسَى^{٥٣} وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أَوْتُوا
الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ، فَتَخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُادٍ
الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صَرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^{٥٤}

وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنَا قصة الغرانيق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ، ظنًا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ، ولكنها من طرق كلها مرسلة

[١] - في خ : « آمَنُوا » .

[٢] - في ز ، خ : « الشَّدِيدَةَ » .

[٣] - في ز : معجزين .

ولم أرها مسندة من وجه صحيح ، والله أعلم .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قرأ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بمكة « النجم » ، فلما بلغ هذا الموضع : ﴿أَفَرَأَيْتُ الْلَّاتِ وَالْعَزِيزَ﴾ وَمِنَةُ الْثَالِثَةِ الْأُخْرَى﴾ قال : فالقى الشيطان على لسانه : « تلك الغرانيق العلي ، وإن شفاعتهن [١] ترجحى » قالوا : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم . فسجد وسجدوا ، فأنزل الله عز وجل [هذه الآية [٢]] : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا قَنِيَ الْقَوْنِيُّ الشَّيْطَانُ فِي أَمْبِيَتِهِ﴾ الآية [٣] .

و[٤] رواه ابن جرير [٤١] ، عن بندار ، عن غندر ، عن شعبة به نحوه . وهو مرسل .

وقد رواه البزار في مسنده [٦٢] ، عن يوسف بن حماد ، عن أمية بن خالد ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - فيما أحسب ، الشك في الحديث - أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ بمكة سورة « النجم » حتى انتهي [٥] إلى : ﴿أَفَرَأَيْتُ الْلَّاتِ وَالْعَزِيزَ﴾ ، وذكر بقيةه . ثم قال البزار : لا يروى متصلًا إلا بهذا الإسناد . تفرد بوصله أمية بن خالد ، وهو ثقة مشهور . وإنما يروى هذا من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، [عن ابن عباس [٦]] .

ثم رواه ابن أبي حاتم ، عن أبي العالية ، وعن السدي مرسلاً . وكذا رواه ابن جرير [٦٣] ، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس مرسلاً أيضًا .

وقال قتادة : كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عند المقام إذ نعس ، فألقى الشيطان على لسانه : « وإن شفاعتها لترجحى ، وإنها لمع الغرانيق العلي ». فحفظها المشركون ، وأجرى الشيطان أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قد قرأها ، فَزَلَّتْ [٧] بها ألسنتهم ، فأنزل الله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ...﴾ الآية ، فدحر الله الشيطان .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا موسى بن أبي موسى الكوفي ، حدثنا محمد بن إسحاق

(١٦١) تفسير الطبرى (١٣٣/١٧) .

(١٦٢) مسنند البزار برقم (٢٢٦٣) « كشف الأستار » .

(١٦٣) تفسير الطبرى (١٣١/١٧) .

[١] - في ز : شفاعتهم .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - سقط من خ .

[٥] - سقط من خ .

[٦] - سقط من ز ، خ .

[٧] - في ز : فدللت .

المسيبي ، حدثنا محمد بن فليح ، عن موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب قال : أُنزلت « سورة النجم » ، وكان المشركون يقولون : لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقرناه وأصحابه ، ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل^[١] الذي يذكر آلهتنا من الشتم والشر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أشعد عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم وتكذبهم ، وأحرزه ضلالهم ، فكان يتنمى هداهم ، فلما أنزل الله سورة النجم قال : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الْلَّاتِ وَالْعَزِيزِ وَمِنَةَ الْثَالِثَةِ الْأُخْرَى وَالْكَمُ الذَّكْرُ وَلِهِ الْأَنْثَى ﴾ ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت ، فقال : « وَإِنَّهُ لِهِنَّ الْغَرَائِقُ الْعَلَى ، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لِهِنَّ الَّتِي تَرْتَجِي ». وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته ، فوافقت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة ، وزلت^[٢] بها ألسنتهم ، وتبashروا بها ، وقالوا : إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه . فلما بلغ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، [آخر النجم]^[٣] ، سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك ، غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلاً كبيراً ، فرفع على كفه ترايا فسجد عليه ، فعجب الفريقان^[٤] كلاهما من جماعتهم في السجود ، لسجود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما المسلمين فعجبوا لسجود المشركين منهم على غير إيمان ولا يقين - ولم يكن المسلمين سمعوا الآية التي ألقى الشيطان في مسامع المشركين - فاطمأنوا أنفسهم لما ألقى الشيطان في أمنية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحدثهم به الشيطان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قرأها في السورة ، فسجدوا لتعظيم آلهتهم ، فقضت تلك الكلمة في الناس ، وأظهرها الشيطان ، حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين - عثمان بن مظعون وأصحابه - وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم ، وصلوا مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه ، وحدثوا أن المسلمين قد أمنوا بمكة ، فأقبلوا سراعاً وقد نسخ الله ما ألقى الشيطان ، وأحکم الله آياته ، وحفظه الله من الفرية ، وقال الله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا قَنَى الْشَّيْطَانُ فِي أُمَّتِهِ فَيُنْسِخُ اللَّهَ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يَعْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن ظالمن لففي شفاق بعيد^[٥] ، فلما بين الله قضاءه ، وبرأه من سجع الشيطان ، انقلب المشركون بضلالهم وعداوتهم المسلمين ، واستندوا عليهم . وهذا أيضاً مرسل .

وفي تفسير ابن جرير^(٦٤) عن الزهرى عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام نحوه .

[١] - في ز : من .

[٢] - في ز : ودللت .

[٣] - في ز : منها .

[٤] - في ز : من .

[٥] - في ز : ودللت .

وقد رواه الإمام أبو بكر البهقي في كتابه : « دلائل النبوة » فلم يجز به موسى بن عقبة . ساقه في مغازيه بنحوه ، قال : وقد روينا عن ابن إسحاق هذه القصة .

قلت : وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة بنحو من هذا ، وكلها مرسلات ومنقطعات ، فالله أعلم . وقد ساقها البغوي في تفسيره مجموعة من كلام ابن عباس ، ومحمد بن كعب القرظي ، وغيرهما بنحو من ذلك ، ثم سألهما سؤالاً : كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلم عليه ؟ ثم حكى [١] أجوية عن الناس ، من ألطافها : أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك ، فتوهموا أنه صدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وليس كذلك في نفس الأمر ، بل [٢] إنما كان من صنيع الشيطان ، لا من رسول الرحمن صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والله أعلم .

وهكذا تنوّعت أجوية المتكلمين عن هذا بتقدير صحته ، وقد تعرض القاضي عياض - رحمه الله - في كتاب « الشفاء » لهذا وأجاب بما حاصله .

وقوله : ﴿ إِلَّا إِذَا قَنَى الْشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ ، هذا فيه تسليمة له - صلوات الله وسلمه عليه - أي : لا يهيدنك ذلك [٣] فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء .

قال البخاري : قال ابن عباس : ﴿ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ، فيبطل الله ما يلقى الشيطان ، ويحكم الله آياته .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ إِذَا قَنَى [ألقى الشيطان في أُمْنِيَّتِهِ ﴾ ، يقول : إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه .

وقال مجاهد : ﴿ إِذَا قَنَى ﴾ [٤] يعني : إذا قال .

ويقال : ﴿ أُمْنِيَّتِهِ ﴾ قراءته [٥] ، ﴿ إِلَّا أُمَانِي ﴾ : يقولون ولا يكتبون [٦] .

قال البغوي [١٦٥] : وأكثر المفسرين قالوا : معنى قوله ﴿ قَنَى ﴾ ، أي : تلا وقرأ كتاب الله ، ﴿ ألقى الشيطان في أُمْنِيَّتِهِ ﴾ أي : في تلاوته . قال الشاعر في عثمان [حسن]

[١٦٥] معاجم التنزيل للبغوي (٣٩٤/٥) .

[١] - في ز : لي .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - ما بين المعقوفين سقط من ز .

[٥] - في ز : قرأه .

[٦] - في ز : يكتبن .

قول [١] :

تمنى كتاب الله أول ليلة وأخرها لاقى حمام المقادير
وقال الضحاك : ﴿إِذَا تَمَنَّى﴾ : إذا تلا . قال ابن جرير : هذا القول أشبه بتأويل الكلام ، قوله : ﴿فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَان﴾ حقيقة النسخ لغة : الإزالة والرفع .

قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس : أي : فيبطل الله سبحانه وتعالي ما ألقى الشيطان .

وقال الضحاك : نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان ، وأحکم الله آياته .

وقوله : [﴿وَاللَّهُ عَلِيم﴾ أي : بما يكون من الأمور والحوادث ، لا تخفي عليه خافية حكيم] [٢] ، أي : في تقديره وخلقه وأمره ، له الحكمة التامة ، والحججة البالغة ، ولهذا قال : ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَان فَتَّةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْض﴾ ، أي : شك وشرك ، وكفر ونفاق ، كالمسركين حين فرحوا بذلك ، واعتقدوا أنه صحيح ، وإنما كان من الشيطان .

قال ابن جريج : ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ [مَرْض] هُمْ [المنافقون] ، ﴿وَالْقَاسِيةُونَ﴾ قلوبهم هُم [المشركون] .

وقال مقاتل بن حيان : هم اليهود .

﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شَفَّاقٍ بَعِيدٍ﴾ أي : في ضلال ومخالفة وعناد بعيد ، أي : من الحق والصواب .

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أَوْتَوْا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ ، أي : وليعلم الذين أوتوا العلم النافع ، الذي [٥] يفرقون به [٦] بين الحق والباطل ، المؤمنون [٧] بالله ورسوله ، أن ما أوحيناه إليك هو الحق من ربك ، الذي أنزله بعلمه ، وحفظه وحرسه أن يختلط به غيره ، بل هو كتاب حكيم ، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَزِيلُ مِنْ حَكِيم﴾ .

وقوله : ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ ، أي : يصدقونه وينقادوا له ، ﴿فَتَخْبَتْ﴾ له قلوبهم .

[١] - ما بين المukoفين تقرأ في ز : « جبريل ». .

[٢] - ما بين المukoفين في ز : « من كفرهم ». .

[٣] - في ز : الذين . .

[٤] - سقط من ز . .

[٥] - سقط من ز . .

[٦] - في ز : وتخبت . .

[٧] - في خ : المؤمنون . .

أي: تخضع وتذل [له قلوبهم]^[١] ، ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لِهادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ ۚ ۝ ، أي : في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فيرشدهم إلى الحق واتباعه ، ويوقفهم لخالفة الباطل واجتنابه ، وفي الآخرة يهديهم^[٢] الصراط المستقيم ، الموصى إلى درجات الجنات ، ويزحرهم عن العذاب الأليم والدركات .

وَلَا يَرَأُلُ الظَّالِمُونَ كُفَّارًا فِي مَرِيَقَةٍ مِنْهُ حَقَّ تَائِبِهِمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيهِمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِتَائِبَتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكفار أنهم لا يزالون **﴿ في مرية﴾** ، أي : في شك وريب من هذا القرآن . قاله ابن جريج ، واختراه ابن جرير .

وقال سعيد بن جبير وابن زيد : **﴿ منه﴾** أي : **﴿ ما﴾**^[٣] ألقى الشيطان .

﴿ حَتَّى تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ۝ ۝ قال مجاهد : فجأة . وقال قتادة : **﴿ بَغْتَةً ۝ ۝** بفت القوم^[٤] أمر الله ، وما أخذ الله قوماً قط إلا عند سكرتهم^[٥] وغرتهم ونعمتهم ، فلا تغروا بالله ، إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسدون .

وقوله : **﴿ أَوْ يَأْتِيهِمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ۝ ۝** ، قال مجاهد : قال أبي بن كعب : هو يوم بدر . وكذا قال [مجاهد ، و]^[٦] عكرمة ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، وغير واحد ، واختراه ابن جرير .

وقال عكرمة ومجاهد [في رواية عنهما]^[٧] : هو يوم القيمة لا ليلة لهم . وكذا قال الضحاك والحسن البصري .

وهذا القول هو الصحيح ، وإن كان يوم بدر من جملة ما أوعدوا به ، لكن هذا هو

[١] - سقط من ز ، خ : « إلى » .

[٢] - في ز ، خ : « بما » .

[٣] - في ز : سكرتهم .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - سقط من ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « بما » .

[٧] - سقط من ز .

المراد ، ولهذا قال : ﴿الْمَلِكُ يوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ كقوله : ﴿مَالِكُ يوْمَ الدِّينِ﴾ ، وقوله : ﴿الْمَلِكُ يوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِرَحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ .

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ، أي : آمنت قلوبهم ، وصدقوا بالله ورسوله ، وعملوا بمقتضى ما علموا^[١] ، وتافق قلوبهم وأقوالهم وأعمالهم .

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ أي : لهم النعيم المقيم ، الذي لا يحول ولا يزول ولا يبيد .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي : كفرت قلوبهم بالحق ، وجدوا به ، وكذبوا به ، وخالفو الرسل ، واستكروا عن اتباعهم ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ، أي : مقابلة استكبارهم وإعراضهم عن الحق ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِنِي سَيِّدِ خَلْقِنِي جَهَنَّمُ دَاهِرِينَ﴾ أي : صاغرين^[٢] .

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتُلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا
حَسَنًا وَلَكُمْ اللَّهُ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ٥١ ۝ لَيَدْخُلُنَّهُمْ مُدْخَلًا
يَرْضَوْنَهُ وَلَكُمْ اللَّهُ لَعْلَيْهِ حَلِيمٌ ۝ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا
عُوقَبَ بِهِ ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ لَيَسْنُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ ۝

يخبر تعالى عن خرج مهاجرًا في سبيل الله ابتغاء مرضاته ، وطلبًا لما عنده ، وترك الأوطان والأهلين والخلان ، وفارق بلاده في الله ورسوله ، ونصرة الدين الله ، ﴿ثُمَّ قُتُلُوا﴾ ، أي : في الجهاد ، ﴿أَوْ ماتُوا﴾ ، أي : حتف أنفسهم^[٣] ، أي : من غير قتال على فرشهم ، فقد حصلوا على الأجر الجزييل ، والثناء الجميل ، كما قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يَدْرُكَهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ .

وقوله : ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ ، أي : ليخرجن عليهم من فضله ورزقه من الجنة ما تقر به أعينهم .

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لَيَدْخُلُنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ أي : الجنة . كما قال تعالى : ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ . فأخبر أنه يحصل له الراحة والرُّزْقُ وجنة النعيم ، كما قال هاهنا : ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ ثم قال :

[١] - في ز : عملوا .

[٢] - في ز : أنفسهم .

[٣] - في ز : أنفسهم .

﴿ لِيُدْخِلَنَّهُم مَدْخَلًا يَرْضُونَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ ﴾ ، أي : من يهاجر ويجهد في سبيله ، وبن يستحق ذلك ﴿ حَلِيمٌ ﴾ ، أي : يحلم ويصفح ، ويغفر لهم الذنب ، ويكتفوا عنهم بهجرتهم إليه ، وتكلفهم عليه ، فأما من قتل في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر ، فإنه حي عند ربه يرزق ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تُحْسِنَ الَّذِين قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُمَوَاتًا بَلْ أَحْيَاهُ اللَّهُ عِنْدَ رِبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ والأحاديث في هذا كثيرة كما تقدم . وأما من توفي في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر فقد تضمنت هذه الآية الكريمة مع الأحاديث الصحيحة إجراء الرزق عليه ، وعظيم إحسان الله إليه .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا المسيب بن واضح ، حدثنا ابن المبارك ، عن عبد الرحمن بن شريح ، عن ابن الحارث - يعني : عبد الكرييم - عن ابن عقبة - يعني : أبي عبيدة بن عقبة - قال : حدثنا شرحيل بن السمط : طال رباطنا وإقامتنا على حصن بأرض الروم ، فمر بي سلمان - يعني : الفارسي - رضي الله عنه - فقال : إني سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « من مات مرابطا ، أجرى الله عليه مثل ذلك الأجر ، وأجرى عليه الرزق ، وأمن [١] من [٢] الفتانيين » واقرعوا إن شئتم : ﴿ وَالَّذِين هاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتُلُوا أَوْ ماتُوا لِيُرْزَقُنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لِيُدْخِلَنَّهُم مَدْخَلًا يَرْضُونَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ .

وقال أيضاً : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا زيد بن بشر ، أخبرني همام ، أنه سمع أبي قبيل وربيعة بن سيف المعاوري يقولان : كنا بـ«رودس» ، ومعنا فضالة بن عبيد الأنصاري صاحب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فمر بجنازتين ؛ إحداهما قبيل ، والأخرى متوفى ، فمال الناس على القبيل ، فقال فضالة : ما لي أرى الناس مالوا مع هذا وتركوا هذا ؟ فقالوا : هذا قتيل في سبيل الله تعالى . فقال : والله ما أبالي من أي حفريهما بعثت ، اسمعوا كتاب الله : ﴿ وَالَّذِين هاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتُلُوا أَوْ ماتُوا بِهِ حَتَّى آخر الآية .

وقال أيضاً : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان ، أبائنا ابن [٣] المبارك ، أبائنا ابن لهيعة ، حدثنا [٤] سلامان [٥] بن عامر الشعابي ، أن عبد الرحمن بن جحدم الخواري حدثه : أنه حضر فضالة بن عبيد في البحر مع جنازتين ؛ أحدهما : أصيب بمنجنيق ، والآخر توفي ، فجلس فضالة بن عبيد عند قبر المتوفى ، فقيل له : تركت الشهيد فلم تجلس عنده ؟ فقال : ما أبالي من أي حفريهما بعثت ، إن الله يقول : ﴿ وَالَّذِين هاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتُلُوا

[١] - في ز : أؤمن .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في خ : « سليمان » .

أو ماتوا ^{﴿﴾} إلى قوله : **﴿يرضونه﴾** ، فما تبغي أيها العبد إذا أدخلت مدخلاً ترضاه ، ورزقت رزقاً حسناً ، والله ما أبالي من أى حفريهما بعثت .

ورواه [١] ابن جرير (٦٦)، عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، أخبرني عبد الرحمن بن شريح، عن [٢] سلامان بن عامر قال: كان فضالة بـ «رودس» أميراً على الأربع، فخرج بجناري [٣] رجلاً؛ أحدهما قتيل، والآخر متوفى... فذكر نحو ما تقدم.

وقوله : ﴿ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم يغى عليه لينصرنه الله ﴾ ، ذكر مقاتل بن حيان وابن جريج ^[٤] : أنها نزلت في سرية من الصحابة ، لقوا جمعاً من المشركين في شهر محرم ، فناشدهم ^[٥] المسلمين لفلا يقاتلهم في الشهر الحرام ، فأبى ^[٦] المشركون إلا قاتلهم ، وبغوا عليهم ، فقاتلهم المسلمون ، فنصرهم الله عليهم ، ﴿ إن ^[٧] الله لغفور ^[٨] .

ذلِكَ يَأْتِي اللَّهُ يُولِجُ الْيَوْمَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الْيَوْمِ وَأَنَّ
اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦﴾ ذلِكَ يَأْتِي اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَكْذِبُونَ مِنْ
دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ أَعْلَمُ الْكَيْرٌ ﴿٧﴾

يقول تعالى منبهًا على أنه الخالق المتصرف في خلقه بما يشاء ، كما قال : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتزعز الملك من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء يبدك الخير إلنك على كل شيء قادر * تولج الليل في النهار ... ﴾ الآية . ومعنى إيلاجه الليل في النهار ، والنهر في الليل : إدخاله من هذا في هذا ، و[من []^[٨]] هذا في هذا ، فتارة يطول الليل ويقصر النهار - كما في الشتاء - وتارة يطول النهار ويقصر الليل - كما في الصيف .

وقوله : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ، أي : سميع بأقوال عباده ، بصير بهم ، لا يخفى

(١٦٦) تفسير الطبرى (١٧/١٣٦) .

[۱] - فی ز : رواه .

[۲] - فی ز، خ: (و).

[٤] - في ز، خ : « جريرا » .

[٦] - مكررة في ز.

[٨] - سقط من خ.

[٣] - في خ : « بجنازتين » .

[٥] - في ز : فناشدوهم .

۷۲ - فیز : وان .

عليه منهم خافية في أحوالهم وحركاتهم وسكناتهم .

ولما يئن أنه المتصرف في الوجود ، الحاكم الذي لا معقب لحكمه ، قال : ﴿ ذلك بأن الله هو الحق ﴾ ، أي : الإله الحق ، الذي [١] لا تتبغى العبادة إلا له ، لأنه ذو [٢] السلطان العظيم ، الذي ما شاء كان ، وما لم ينشأ لم يكن ، وكل شيء فقير إليه ، ذليل لديه ، ﴿ وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ﴾ ، أي : من الأصنام والأنداد والأوثان ، وكل ما عبد من دونه تعالى فهو باطل ، لأنه لا يملك ضرراً ولا نفعاً .

وقوله : ﴿ وأن الله هو العلي الكبير ﴾ كما قال : ﴿ وهو العلي العظيم ﴾ وقال : ﴿ [٣] الكبير المتعال ﴾ ، فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه ، لأنه العظيم الذي لا أعظم منه ، العلي الذي لا أعلى منه ، الكبير [٤] الذي لا أكبر منه ، تعالى وتقديس وتنزه وعز وجل عما يقول [٥] الظالمون علواً كبيراً .

اللَّهُ تَرَأَسَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَا مَأَتِيَ فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَسِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَمَّا مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ مَا فِي الْعَوْنَى ﴿٦٤﴾ إِنَّ اللَّهَ تَرَأَسَ اللَّهُ سَحَرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَأْمُرُهُ وَيَمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوِيقٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَخْيَأَكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُكُمْ ثُمَّ يُخْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾

وهذا أيضاً من الدلالة على قدرته وعظيم سلطانه ، فإنه [٦] يرسل الرياح فتشير سحاباً ، فيسيطر على الأرض الجوز التي لا بنات فيها ، وهي هامدة يابسة سوداء قحلاً ، ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ﴾ .

وقوله : ﴿ فتصبح الأرض مخضرة ﴾ ، الفاء هنا للتعليق ، وتعليق كل شيء بحسبه ، كما قال تعالى : ﴿ [٧] قُلْ خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ نُطْفَةٍ فَخَلَقْنَا الْعَلْقَةَ مِنْ مَضْغَةٍ فَخَلَقْنَا الْعَظَمَاءَ عَظَاماً ﴾

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « وهو » .

[٤] - في ز : « قوله » .

[٥] - في ز ، خ ، ش : « فخلقنا » .

[٦] - في ز ، خ ، ش : « فخلقنا » .

[٧] - في ز ، خ ، ش : « فخلقنا » .

الآية ، وقد ثبت في الصحيحين : أن ين كل شرين أربعين يوماً ، ومع هذا هو معقب بالفاء ، وهكذا هاهنا قال : ﴿ فتصبح الأرض مخضرة ﴾ ، أي : حضراء بعد [يسها ومحولها]^[١] .

وقد ذكر عن بعض أرض^[٢] الحجاز أنها تصبح عقب المطر حضراء^[٣] ، فالله أعلم .

وقوله : ﴿ إن الله لطيف خبير ﴾ ، أي : عليم بما في أرجاء الأرض وأقطارها وأجزائها من الحب وإن صغر ، لا يخفى عليه خافية ، فيوصل إلى كل منه قسطا^[٤] من الماء فينبتة به ، كما قال لقمان [لابنه]^[٥] : ﴿ يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ﴾ ، وقال : ﴿ ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبر في السماوات والأرض ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمه ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾^[٦] ، وقال : ﴿ وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة ... ﴾ الآية ، ولهذا قال أمية ابن أبي الصلت - أو زيد بن عمرو بن نفيل - في قصيده :

وقولا له من يئسَتِ الحب في الترى فتصبِحُ منه البَقْلُ يهترُّ رابيا
ويخرج منه حبٌ في رعوسه ففي ذاك آياتٌ لمن كان واعيا
وقوله : ﴿ له ما في السماوات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد ﴾ ، أي :
ملكه جميع الأشياء ، وهو غني عما سواه ، وكل شيء فقير إليه ، وعيبد^[٧] لديه .

وقوله : ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض ﴾ ، أي : من حيوان وجmad ، وزروع وثمار ، كما قال : ﴿ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جمِيعاً منه ﴾^[٨] ، أي : من إحسانه وفضله وامتنانه ، ﴿ والفلك تجري في البحر بأمره ﴾^[٩] ، أي^[١٠] : بتسييره وتسييره^[١١] ، أي : في البحر العجاج ، وتلاظم الأمواج ، تجري الفلك بأهلها برياح طيبة ، ورفق وتؤدة ، فيحملون فيها ما شاعوا من تحائر وبضائع ومنافع ، من بلد إلى بلد ، وقطار إلى قطر ، ويأتون بما عند أولئك إلى هؤلاء ، كما ذهبوا بما عند هؤلاء إلى أولئك ، مما يحتاجون إليه ، ويطلبونه ويريدونه .

[١] - في ز : « يسها وطولها .

[٢] - في خ : أهل .

[٤] - في خ : قسطه .

[٦] - في خ : الآية .

[٨] - سقط من خ .

[٣] - في خ : « حضرة » .

[٥] - سقط من ت ، ز .

[٧] - في ت : « عبد » .

[٩] - سقط من خ .

﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقْعُدُ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ ، أَيْ : لَوْ شَاءَ لَأَذْنَ لِلسَّمَاءِ فَسَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ ، فَهَلَكَ مَنْ فِيهَا ، وَلَكِنْ مِنْ لَطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ وَقَدْرَتِهِ ، يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقْعُدُ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَلَهُذَا قَالَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ أَيْ : مَعَ ظُلْمِهِمْ ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى : ﴿ وَإِنْ رَبُّكَ لِذُو مَفْرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنْ رَبُّكَ لِشَدِيدِ الْعَقَابِ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يَمْبَثِكُمْ ثُمَّ يَحِيِّكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴾ كَفْوُلُهُ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أُمَوَّاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يَمْبَثِكُمْ ثُمَّ يَحِيِّكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ﴾ وَقُولُهُ : ﴿ قُلِ اللَّهُ يَحِيِّكُمْ ثُمَّ يَمْبَثِكُمْ ثُمَّ يَجْمِعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَبِّ فِيهِ ﴾ ، وَقُولُهُ : ﴿ قَالُوا رَبُّنَا أَمْتَنَا اثْنَيْنِ وَاحْيَيْتَنَا اثْنَيْنِ ﴾ وَمَعْنَى الْكَلَامِ : كَيْفَ تَعْلَمُونَ [مَعَ اللَّهِ] أَنْدَادًا وَتَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ ، وَهُوَ الْمُسْتَقْلُ بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْتَّصْرِيفِ ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ﴾ ، أَيْ : خَلَقُكُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئًا يَذْكُرُ فَأَوْجَدَكُمْ ، ﴿ ثُمَّ يَمْبَثِكُمْ ثُمَّ يَحِيِّكُمْ ثُمَّ يَحِيِّكُمْ ﴾ ، أَيْ : يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴾ ، أَيْ : جَحُودٌ .

لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يَنْتَرِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَيْكَ إِنَّكَ لَعَلَّكَ هُدَى مُسْتَقِيرٌ ١٧ وَإِنْ جَنَدُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٨ اللَّهُ يَنْحُكُمْ بَيْنَ يَمْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُثُرْتُمْ فِيهِ تَحْتِلَفُونَ

١٩

يَخْبُرُ تَعَالَى أَنَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ قَوْمٍ مَنْسَكًا .

قَالَ ابْنُ جَرِيرَ : يَعْنِي لِكُلِّ أُمَّةٍ نَبِيًّا مَنْسَكًا . قَالَ : وَأَصْلُ الْمَنْسَكِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَعْتَدُهُ الْإِنْسَانُ وَيَتَرَدُّ إِلَيْهِ ، إِمَّا لِحِبْرٍ أَوْ شَرًّا . قَالَ : وَلَهُذَا سَمِيتَ مَنَاسِكَ الْحَجَّ بِذَلِكَ ، لِتَرْدَادِ النَّاسِ إِلَيْهَا وَعَكْفُهُمْ عَلَيْهَا .

فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ مِنْ أَنَّ الْمَرَادَ : لِكُلِّ أُمَّةٍ نَبِيٌّ جَعَلَنَا مَنْسَكًا ، فَيَكُونُ الْمَرَادُ بِقُولِهِ : ﴿ فَلَا يَنْازِعُكَ فِي الْأَمْرِ ﴾ ، أَيْ : هُؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ ، وَإِنْ كَانَ الْمَرَادُ : لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلَنَا مَنْسَكًا جَعْلًا قَدْرًا ، كَمَا قَالَ : ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهٍ هُوَ مُوْلِيهِنَّ ﴾ ، وَلَهُذَا قَالَ هَاهُنَا : ﴿ هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ ، أَيْ : فَاعْلُوهُ فَالْضَّمِيرُ هَاهُنَا عَائِدٌ عَلَى هُؤُلَاءِ الَّذِينَ لَهُمْ مَنَاسِكَ وَطَرَائقَ ، أَيْ : هُؤُلَاءِ إِنَّمَا يَفْعَلُونَ هَذَا عَنْ قَدْرِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ ، فَلَا تَأْثِيرٌ بِمَنَازِعِهِمْ لَكَ ، وَلَا يَصْرِفُكَ ذَلِكَ عَمَّا

[١] - فِي تَ : « اللَّهُ » .

أنت عليه من الحق ، ولهذا قال : ﴿ وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم ﴾ ، أي : طريق واضح مستقيم موصل إلى المقصود .

ومنه كقوله : ﴿ ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ﴾ .

وقوله : ﴿ وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون ﴾ ، كقوله : ﴿ وإن كذبوا فقل لي عملي ولكم عملكم أنت بريئ مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ﴾ .

وقوله : ﴿ الله أعلم بما تعملون ﴾ تهديد شديد ، ووعيد أكيد ، كقوله : ﴿ هو أعلم بما تفiproون فيه كفى به شهيداً بيني وبينكم ﴾ ولهذا قال : [﴿ الله [١] يحكم بينكم يوم القيمة فيما كتم فيه تخلعون ﴾] . وهذه كقوله تعالى : ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكن أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير ﴾ .

الَّمَّا تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ



يخبر تعالى عن كمال علمه بخلقه ، وأنه محيط بما في السماوات وما في الأرض ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، وأنه تعالى علم الكائنات كلها قبل وجودها ، وكتب ذلك في كتابه اللوح المحفوظ ، كما ثبت في صحيح مسلم ^(١٦٧) ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إن الله قدر مقادير الخالقين قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء » .

وفي السنن ^(١٦٨) من حديث جماعة من الصحابة : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « أول ما خلق الله القلم قال له : أكتب . قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن . فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيمة » .

(١٦٧) مسلم ، كتاب القدر ، باب : حجاج آدم موسى (٢٦٥٣) بلفظ : « كتب الله مقادير الخالقين » .

(١٦٨) ورد من حديث عبادة بن الصامت : أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب : القدر (٤٧٠٠) ، والترمذني في تفسير القرآن (٣٣١٩) وفي القدر (٢١٥٥) . وقال الترمذني : « هذا حديث حسن غريب » . ورواه البهقي في الأسماء والصفات من حديث ابن عباس (ص ٣٧٨) .

[١] - ما بين الم Kutuوفين في ز : « الله يحكم بيني وبينكم ولهذا قال » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا ابن بكر ، حدثني ابن لهيعة ، حدثني عطاء بن دينار ، حدثني سعيد بن جبير قال^[١] : قال ابن عباس : خلق الله اللوح المحفوظ مسيرة مائة عام ، وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى : اكتب . فقال القلم : وما أكتب ؟ قال : علمي في خلقي إلى يوم تقوم الساعة . فجرى القلم بما هو كائن في علم الله إلى يوم القيمة ، فذلك قوله النبي ، صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَلم تعلم [٢] أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

وهذا من تمام علمه تعالى أنه علم الأشياء قبل كونها ، وقدرها وكتبها أيضا ، فما العباد عاملون قد علمه تعالى قبل ذلك ، على الوجه الذي يفعلونه ، فيعلم قبل الخلق أن هذا يطبع باختياره ، وهذا يعصي باختياره ، وكتب ذلك عنده ، وأحاط بكل شيء علمًا ، وهو سهل عليه يسير لديه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ .

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُلَئِي عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيَّنَتِي تَعْرِفُ فِي وُجُورِ الظَّالِمِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالظَّالِمِينَ يَتَلَوَّنُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ كُمْ يُشَرِّقُونَ ذَلِكُمُ الظَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الظَّالِمِينَ كَفَرُوا وَيَسِيرُ

المصير ﴿٧٢﴾

يقول تعالى مخبرا عن المشركين فيما جهلوه وكفروا ، وعبدوا من دون الله ﴿ ما لم ينزل به سلطانا ﴾ يعني : حجة وبرهانا ، كقوله : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا آخِرَ لَا يَرْهَبُنَاهُ لَهُ فِيمَا حَسَبَهُ إِنَّ رِبَّهُ إِنَّهُ لَا يَفْلُحُ الْكَافِرُونَ ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ، أي : ولا علم لهم فيما اختلقوا واتفقوه ، وإنما هو أمر^[٣] تلقوه عن آبائهم وأسلافهم ، بلا دليل ولا حجة ، وأصله مما سُؤل لهم الشيطان وزينه لهم ، ولهذا توعدهم تعالى بقوله : ﴿ وَمَا لِظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ ، أي : من ناصر ينصرهم من الله ، فيما يحل بهم من العذاب والنكل .

ثم قال : ﴿ وَإِذَا تُلَئِي عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ ، أي : وإذا ذكرت لهم آيات^[٤] القرآن ، والحجج والدلائل الواضحات على توحيد الله ، وأنه لا إله إلا هو ، وأن رسلاه الكرام حق

[١] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في خ : « آي » .

[٣] - سقط من خ .

وصدق ﴿ يَكادُون يَسْطُون بِالَّذِين يَتْلُون عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ ، أي : يكادون يبادرون الذين يحتاجون إليهم بالدلائل الصحيحة [من القرآن]^[١] ، ويستطون إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء ﴿ قُل ﴾ ، أي : يا محمد ، لهؤلاء : ﴿ أَفَأَنْتُمْ بِشَرٍ مِّنْ ذَلِكُمُ النَّارِ وَعَدُهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، أي : النار وعذابها ونkalالها أشد وأشق وأطم وأعظم مما تخوفون [٢] به أولياء الله المؤمنين في الدنيا ، وعذاب [٣] الآخرة على صنيعكم هذا أعظم مما تنالون منهم ، إن نلت بزعمكم وإرادتكم .

وقوله : ﴿ وَيَسِّنَ الصِّيرَ﴾ أي : وبئس النار منزلًا ومقيلًا ومرجعاً وموئلاً ومقاماً ، ﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقْرَأً وَمَقَامًا ﴾ .

يَتَأْمِنُهَا النَّاسُ ضَرَبَ مَثَلٌ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلِبُوهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَقْدِمُهُ مِنْهُ ضَعْفُكَ الظَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ

لَقَوْيٌ عَزِيزٌ

يقول تعالى منها على حقاره الأصنام وسخافة عقول عابديها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرَبَ مَثَلٌ ﴾ ، أي : لما يعبده الجاهلون بالله المشركون به ، ﴿ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ ، أي : أنصتوا وتفهموا . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلِبُوهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَقْدِمُهُ مِنْهُ ضَعْفُكَ الظَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْرِهِ ﴿٧٤﴾ : كما قال الإمام أحمد^(٦٩) :

حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا شريك ، عن عمارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة - رفع الحديث - قال : « وَمَنْ أَظْلَمَ مِنْ خَلْقٍ [٤] كَخَلْقِي ! فَلَيَخْلُقُوا مِثْلَ خَلْقِي ذَرَةً أَوْ ذَبَابَةً أَوْ جَبَةً » .

وأنخرجه صاحبا الصحيح^(١٧٠) ، من طريق [٥] عمارة ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَمَنْ أَظْلَمَ مِنْ ذَهَبٍ يَخْلُقُ

[١] (١٦٩) المسند (٣٩١/٢) .

[٢] (١٧٠) صحيح البخاري ، كتاب اللباس حديث (٥٩٥٣) ، صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة (٢١١١) .

[٣] - في خ : « بالقرآن » .

[٤] - في ز : عذاب .

[٥] - في ز : طرق .

كخلقي ، فليخلقوا ذرة ، فليخلقوا ذرة ، فليخلقا ذرة [١] شعيرة .

ثم قال تعالى أيضًا : ﴿ وَإِن يُسلِّبُهُمُ الظَّبَابُ شَيْئًا لَا يُسْتَقْدِهُ مِنْهُ ﴾ ، أي : هم عاجزون عن خلق ذباب واحد ، بل أبلغ من ذلك ، عاجزون عن مقاومته والانتصار منه ، ولو سلبها شيئاً [٢] من الذي عليها من الطيب ، ثم أرادت أن تستنقذه منه ، لما قدرت على ذلك . هذا ، والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقها ، ولهذا قال : [﴿ ضُعْفُ الطَّالِبِ وَالْمُطْلُوبِ ﴾] .

قال [٣] ابن عباس : الطالب : الصنم ، والمطلوب : الذباب . واختاره ابن جرير ، وهو ظاهر السياق . وقال السدي وغيره : ﴿ الطَّالِبُ ﴾ : العابد ، ﴿ وَالْمُطْلُوبُ ﴾ : الصنم .

ثم قال : ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ أي : ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره ، من هذه التي لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغُورٌ عَزِيزٌ ﴾ ، أي : هو القوي الذي بقدرته وقوته خلق كل شيء [٤] وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه [٥] ﴿ إِنْ بَطَشَ رِبُّكَ لِشَدِيدٍ إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيَعِيدُ ﴾ ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّازِقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَّنِّعُ ﴾ .

وقوله : ﴿ عَزِيزٌ ﴾ أي : عز كل شيء فقهه وغله ، فلا يمانيع ولا يغالب ؛ لعظمته سلطانه ، وهو الواحد القهار .

اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ



يخبر تعالى أنه يختار من الملائكة رسلاً فيما يشاء من شرعه وقدره ، ومن الناس لإبلاغ رسالته ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ، أي : سميع لأقوال عباده ، بصير بهم ، عليم بمن يستحق ذلك منهم ، كما قال : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حِيثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ .

وقوله : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ ، أي : يعلم ما يفعل برسله فيما أرسلهم به ، فلا يخفى عليه شيء من أمورهم ، كما قال : ﴿ عَالَمُ الْغَيْبَ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولِهِ إِلَيْهِ قَوْلُهُ : وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ ، فهو سبحانه رقيب عليهم ، شهيد على ما يقال لهم ، حافظ لهم ، ناصر

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز : شيء .

لجنابهم ، ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ الآية .

يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ إِيمَانُهُمْ كَعُوا وَسَجَدُوا وَأَعْبَدُوا رَبَّهُمْ وَفَعَلُوا الْخَيْرَ
لَعَلَّكُمْ تَقْبِلُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهُهُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَىكُمْ
وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قَلَّةٌ أَيُّكُمْ لِإِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ
مِنْ قَبْلٍ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَىَ النَّاسِ
فَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَاتُّوِّلُ الزَّكُوْةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَانُكُمْ فَتَعَمَّ الْمُؤْمَنُ وَنَعَمْ

النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

اختلف^[١] الأئمة - رحمهم الله - في هذه السجدة الثانية من سورة الحج : هل هي مشروع السجود فيها أم لا ؟ على قولين ، وقد قدمنا عند الأولى حديث عقبة بن عامر ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم : « فضلت سورة الحج بسجدين ، فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما » .

وقوله : ﴿ وَجَاهُهُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ ، أي : بأموالكم وأسلحتكم وأنفسكم ، كما قال تعالى : ﴿ انْقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ .

وقوله : ﴿ هُوَ اجْتَبَىكُمْ ﴾ ، أي : يا هذه الأمة ، الله اصطفاكم واحتاركم على سائر الأمم ، وفضلكم وشرفكم وخصكم بأكرم رسول ، وأكمل شرع .

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ ، أي : ما كلفكم ما لا تطقوون ، وما ألزمكم^[٢] بشيء فشق عليكم إلا جعل لكم فرجاً ومحاجاً ، فالصلوة - التي هي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين - تجب في الحضر أربعاً ، وفي السفر تقصر إلى ثنتين ، وفي الخوف يصلحها بعض الأئمة ركعة ، كما ورد به الحديث ، وتصلح في رجلاً ورثباتاً ، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها . وكذا في النافلة في السفر [إلى القبلة]^[٣] وغيرها ، والقيام فيها يسقط بعد المرض ، فيصلحها المريض جالساً ، فإن لم يستطع فعل جنبه ، إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات ، في سائر الفرائض والواجبات ، ولهذا قال عليه السلام : « بعثت

[١] - في خ : اختلاف .

[٢] - في خ : « وما أكرمكم » .

[٣] - في خ : « في السلسلة » .

بالخنفية السمححة ^(١٧١) وقال لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما أميرين إلى اليمن : « بشرا ولا تفرا ، ويسرا ولا تعسرا » ^(١٧٢) والأحاديث في هذا كثيرة ، ولهذا قال ابن عباس في قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْتُ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ ﴾ ، يعني : من ^[١] ضيق .

وقوله : ﴿ مَلَةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ، قال ابن جرير : نصب على تقدير : ﴿ مَا جَعَلْتُ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ ﴾ ، أي : من ضيق ، بل وسعه عليكم كملة أبيكם إبراهيم . قال : ويحتمل أنه منصوب على تقدير : الزموا ملة أبيكם إبراهيم ^[٢] .

قلت : وهذا المعنى في هذه الآية كقوله : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ الآية . وقوله : ﴿ هُوَ سَمَّاكمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا ﴾ ، قال الإمام عبد الله بن المبارك : عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ هُوَ سَمَّاكمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ ﴾ قال : اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَكَذَا قَالَ مجاهد وعطاء والضحاك والسدي ومقاتل بن حيان وقتادة .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ هُوَ سَمَّاكمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ ﴾ ، يعني : إبراهيم؛ وذلك لقوله : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذَرْتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ . قال ابن جرير : وهذا لا وجه له ؛ لأنَّه من المعلوم أنَّ إبراهيم لم يسم هذه الأمة في القرآن مسلمين ، وقد قال الله تعالى : ﴿ هُوَ سَمَّاكمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا ﴾ . قال مجاهد : الله سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة ، وفي الذكر ، ﴿ وَفِي هَذَا ﴾ يعني : القرآن . وكذا قال غيره .

قلت ^[٣] : وهذا هو الصواب ؛ لأنَّه تعالى قال : ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلْتُ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ ﴾ ثم حثهم وأغراهم على ما جاء به الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بأنه ملة أبיהם إبراهيم الخليل ، ثم ذكر متنه تعالى على هذه الأمة بما نَوَّهَ به من ذكرها ، والثناء عليها في سالف الدهر وقديم الزمان ، في كتب الأنبياء ، يتلَّى على الأخبار والرهبان ،

(١٧١) رواه أحمد (٢٢٣٩١) / (٥٢٦٦)، من حديث علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة مرفوعاً في حديث طوبيل ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/٢٥٧) / رقم: ٧٨٦٨) من نفس طريق أحمد ، وذكره البيشمي في مجمع الزوائد (٥/٢٧٩) وعزاه لأحمد والطبراني في الكبير وقال : « وفيه على بن يزيد الألهاني ، وهو ضعيف ». وأخرجه ابن سعد في الطبقات (١/١٩٢) من حديث حبيب بن أبي ثابت مرفوعاً - وهو مرسل ، وفي إسناده برد الحريري لا يعرف .

(١٧٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٠٣٨) ، ومسلم في صحيحه برقم (١٧٣٢) .

[١] - سقط من خ .

[٢] - سقط من خ . وفي ز : بل .

فقال : ﴿ هُوَ سَمَاكِمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ ، أي : من قبل هذا القرآن ، ﴿ وَفِي هَذَا ﴾ ، وقد قال النسائي^[١] عند تفسير^[٢] هذه الآية :

أنبأنا هشام بن عمار ، حدثنا محمد بن شعيب ، أنبأنا معاوية بن سلام ، أن أخاه زيد بن سلام أخبره ، عن أبي سلام أنه أخبره قال : أخبرني الحارث الأشعري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جهنم^[٣] ». قال رجل : يا رسول الله ، وإن صام وصلى ؟ قال : « نعم ، وإن صام وصلى ، فادعوا بدعة الله التي سماكم بها : المسلمين ، المؤمنين ، عباد الله ». .

وقد قدمنا هذا الحديث بطوله عند تفسير قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعْلَكُمْ تَتَّقَوْنَ ﴾ من سورة البقرة ، ولهذا قال : ﴿ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ، وَتَكُونُوا شَهَادَةً عَلَى النَّاسِ ﴾ ، أي : إنما جعلناكم هكذا أمة وسطًا ، عدولاً^[٤] ، خياراً ، مشهودًا بعد التكملة عند جميع الأمم ؛ لتكونوا يوم القيمة شهادة على الناس^[٥] لأن جميع الأمم معترفة يومئذ [بسيادتها وفضلها]^[٦] على كل أمة سواها ، فلهذا قبل شهادتهم عليهم يوم القيمة ، في أن الرسل بلغتهم رسالة ربهم ، والرسول يشهد على هذه الأمة أنه بلغها ذلك . وقد تقدم الكلام على هذا عند قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَةً وَسَطًا لَتَكُونُوا شَهَادَةً عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ . وذكرنا حديث نوح وأمته بما أغني عن إعادته .

وقوله : ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ، أي : قابلوا هذه النعمة العظيمة بالقيام بشكرها ، وأدوا حق الله عليكم في أداء ما افترض ، وطاعة ما أوجب ، وترك ما حرم ، ومن أهم ذلك إقام الصلاة ، وإيتاء الزكوة : وهو الإحسان إلى خلق الله ، بما أوجب للفقير على الغني ، من إخراج جزء نزر^[٧] من ماله في السنة للضعفاء والمحاويح ، كما تقدم بيانه وتفصيله في آية الزكوة من سورة التوبه قوله : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ ﴾ ، أي : اعتضدوا بالله واستعينوا [واتكلوا]^[٨] عليه وتآيدوا به ﴿ هُوَ مَوْلَاكُم ﴾ ، أي : حافظكم وناصركم ، ومظفركم على أعدائكم ، ﴿ فَنَعَمُ الْمَوْلَى وَنَعَمُ النَّصِيرُ ﴾ ، [يعني : نعم^[٩] الولي^[١٠]] ، نعم الناصر من الأعداء .

(١٧٣) سنن النسائي الكبير برقم (١١٤٤٩) .

[١] - في خ : تفسيره .

[٢] - في خ : جنى .

[٤] - في خ : « بسيادتهم وفضلهم » .

[٦] - ما بين المعقودين في خ : « وتكلوا » .

[٨] - ما بين المعقودين سقط من خ .

[٣] - في ت : « عدولاً » .

[٥] - سقط من خ .

[٧] - سقط من ز .

قال وهب بن الورد^[١] : يقول الله تعالى : ابن آدم ، اذكرني إذا غضبت اذكري إذا غضبت ، فلا أمحقك فيما أمحق ، وإذا ظلمت فاصبر ، وارض بنصرتي ، فإن نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك . رواه ابن أبي حاتم .

والله تعالى أعلم ، وله الحمد والمنة ، والثناء الحسن والنعم ، وأسئلته التوفيق والعصمة ، في سائر الأفعال والأقوال .

هذا^[٢] آخر تفسير سورة الحج ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبة وسلم وشرف وكرم ، ورضي الله تعالى عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين [٣] .

[١] - في ز : الزرد .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - في ز : [وهو آخر الجزء الرابع يتلوه في الخامس إن شاء الله تعالى سورة المؤمنين ، والحمد لله وحسبنا الله ونعم الوكيل] .

سورة المؤمنون

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ
 الْلَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِرِزْكَهُ فَاعْلَوْنَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
 حَفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكُتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ
 فَمَنِ ابْتَغَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ هُرُ لِأَمْيَانِهِمْ
 وَعَهْدِهِمْ رَعُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُرُ عَلَىٰ صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٨﴾ أُولَئِكَ هُمُ
 الْأَوْرُثُونَ ﴿٩﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَدِيلُونَ ﴿١٠﴾

قال الإمام أحمد^(١) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرني يونس بن سليم قال : أملأى عليَّ يونس ابن يزيد الأيلي ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان إذا نزل^[١] على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي ، يسمع عند وجهه كدوبي التحل ، فمكثنا ساعة ، فاستقبل القبلة ورفع يديه ، فقال : « اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تخربنا ، وآثرنا ولا تؤثر [علينا ، وارض عنا^[٢] وأرضنا » ثم قال : « لقد أنزلت على عشر آيات ، من أقامهن دخل الجنة ». ثم قرأ : « قد أفلح المؤمنون » حتى ختم العشر .

وكذا رواه^[٣] الترمذى في تفسيره^[٤] ، والنمسائى في الصلاة ، من حديث عبد الرزاق به ، وقال الترمذى^[٥] : منكر ، لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم ، ويونس لا نعرفه .

(١) - رواه أحمد حديث ٢٢٣ - (٣٤/١). ورواه الترمذى في كتاب التفسير من السنن حديث (٣٧٢١) من طريق عبد الرزاق ، عن يونس بن سليم ، عن الزهرى ، ثم رواه من طريق عبد الرزاق أيضاً ، عن يونس ابن سليم ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهرى ثم قال : هذا أصبح من الحديث الأول ، سمعت إسحاق بن منصور يقول : روى أحمداً بن حنبل وعلي بن المدينى وإسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق ، عن يونس بن سليم ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهرى هذا الحديث ، قال أبو عيسى : « ومن سمع من عبد الرزاق =

[١] - ما بين المukoفين سقط من : خ .

[٢] - في ز : أنزل .

[٣] - في خ : روى .

[٤] - لعل هذا سهو من الحافظ ، وصوابه النمسائى كما في السنن الكبرى (٤٥٠/١) ، ولم نقف عليه من قول الترمذى في السنن .

وقال النسائي في تفسيره^(٢) : أَبْنَا نَافِيَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا جَعْفَرٌ ، عَنْ أَبِي عُمَرَانَ ، عَنْ يَزِيدَ بْنَ بَابِتُوسَ قَالَ : قَلَّنَا لِعائِشَةَ : يَا أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ ! كَيْفَ كَانَ خَلْقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَتْ : كَانَ خَلْقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ ، فَقَرَأَتْ : هُوَ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنَوْنَ هُوَ حَتَّى انتَهَى إِلَيْهِ هُوَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صِلَوَاتِهِمْ يَحْفَظُونَ هُوَ قَالَتْ : هَكُذا كَانَ خَلْقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

= قدِيمًا فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَذَكُرُونَ فِيهِ يُونُسَ بْنَ يَزِيدَ ، وَبَعْضُهُمْ لَا يَذَكُرُ فِيهِ "عَنْ يُونُسَ بْنَ يَزِيدَ" وَمَنْ ذَكَرَ فِيهِ "عَنْ يُونُسَ بْنَ يَزِيدَ" فَهُوَ أَصَحُّ ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّزَاقَ رَجُلًا ذَكَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ "يُونُسَ بْنَ يَزِيدَ" ، وَرَبِّمَا لَمْ يَذْكُرْهُ ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْهُ فَهُوَ مُرْسَلٌ » وَلَمْ يَقُلْ غَيْرُ هَذَا .

ورواه النسائي في الكبرى في كتاب الوتر، باب : رفع اليدين في الدعاء، حدیث ١٤٣٩ - (٤٥٠/١) .
وقال أبو عبد الرحمن النسائي : هذا حديث منكر ، لا نعلم أحدًا رواه غير يُونس بن سليم ويُونس بن سليم لا نعرفه ، والله أعلم .

ويُونس بن سليم ذكره ابن حبان في الثقات (٩/٢٨٨) . وذكره البخاري في التاريخ الكبير (٤١٣/٤) .
وقال : قال أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ : سَأَلَتْ عَبْدُ الرَّزَاقَ عَنْهُ قَالَ : كَانَ خَيْرًا مِنْ عَيْنِ بَقَةٍ . فَظَنَّتْ أَنَّهُ لَا شَيْءَ . - وَ « عَيْنِ بَقَةٍ » هَذَا غَلطٌ ، فَاتَّتْ عَلَى مَصْحَحِيِّ الْكِتَابِ ، وَصَحَّفَهَا بَعْضُهُمْ إِلَيْهِ « غَيْرُ ثَقَةٍ » - وَ فِي التَّارِيخِ الصَّغِيرِ (٤٢) : خَيْرٌ مِنْ بَرْقٍ - يَعْنِي عُمَرُ بْنُ بَرْقٍ - قَالَ أَحْمَدٌ : فَلَمَّا ذَكَرَ هَذَا عِنْدَ ذَاكَ عَلِمَ أَنَّ ذَاكَ لَيْسَ بِشَيْءٍ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ : مَا أَعْرَفُ بِهِ بَرْقًا عَنْ عَبْدِ الرَّزَاقِ (الْمَخْرُجُ ٩/٤٠) . وَقَالَ النَّسَائِيُّ : لَا أَعْرَفُهُ (التَّهْذِيبُ ٣٢/٥٠٨ - ٥١٠) . وَقَالَ الْعَقِيلِيُّ : لَا يَتَابِعُ عَلَى حَدِيثِهِ وَلَا يَعْرَفُ إِلَّا بِهِ .

والحديث المزي يأسناده إلى عبد الرزاق ، وقال : آخر جاه - يعني الترمذى والنمسائى - من حديث عبد الرزاق عنه ، فوقع لنا بذلك عاليًا ، وذكر قول النسائي فيه .

وأورده السيوطى في الدر المشور (٥/٣) وزاد نسبة إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والعقيلى ، والبيهقي في الدلالات ، والضياء في المختارة .

(٢) - حسن ، والحديث رواه النسائي في كتاب التفسير من سنته الكبرى ١١٣٥٠ - (٤١٢/٦) ورواه البخاري في الأدب المفرد حديث ٣٠٨ ، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص ٢٩ ، والحاكم في مستدركه (٣٩٢/٢) وصححه ووافقه الذهبى ، والبيهقي في الدلالات (٣٠٩/٢) . جميعهم من حديث جعفر بن سليمان عن أبي عمران به . وزاد السيوطى في الدر (٣/٥) نسبة إلى ابن المنذر . وهذا إسناد حسن من أجل يزيد بن يابوس ، قال البخاري : كان من الدين قاتلوا عاليًا . وقال ابن عدي : أحاديث مشاهير . وقال الدارقطنى : لا يأس به . وذكره ابن حبان في الثقات . وقال أبو حاتم : مجہول . وقال أبو داود : كان شيئاً . وفي التقریب : مقبول .

وشطره الأول صحيح ، رواه مسلم في صحيحه في حديث طويل ، وأبو داود حديث ١٣٤٢ ، والنمسائى في الصغرى حديث ١٦٠١ ، وابن ماجه في كتاب الأحكام ، حديث ٢٣٣٣ ، والدارمي في سنته (١/٣٤٥) ، وأحمد (٦/٥٤ ، ١١١ ، ٩١ ، ١٦٣ ، ١٨٨) .

وقد رُوي عن كعب الأحبار ، ومجاهد ، وأبي العالية ، وغيرهم : لما خلق الله جنة عدن ، وغرسها بيده ، نظر إليها ، وقال لها : تكلمي . فقالت : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ . قال كعب الأحبار : لما أعد لهم من الكرامة فيها . وقال أبو العالية : فأنزل الله ذلك في كتابه .

وقد رُوي ذلك عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً ، فقال أبو بكر البزار^(٣) : حدثنا محمد بن المشي ، حدثنا [أبو]^[١] المغيرة بن سلمة ، حدثنا وهيب ، عن الجريري ، عن أبي نصرة ، عن أبي سعيد قال : خلق الله الجنة لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وغرسها ، وقال لها تكلمي : فقالت : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ ، فدخلتها الملائكة فقالت : طوبى لك ، منزل الملوك ! .

ثم قال^(٤) : وحدثنا بشر بن آدم ، وحدثنا يونس بن عبيد الله العمري^[٢] ، حدثنا عدي ابن الفضل ، حدثنا الجريري ، عن أبي نصرة ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خلق الله الجنة لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وملأطها^[٣] المسك » . قال أبو بكر البزار^[٤] : ورأيت في موضع آخر في هذا الحديث : « حافظ الجنة لبنة ذهب ، ولبنة

(٣) - الحديث في مختصر زوائد البزار حديث ٢٢٥٣ - (٤٨٠/٢) . وإسناده هكذا : حدثنا محمد بن المشي ، ثنا الحجاج بن المهايل ، ثنا حماد بن سلمة ، عن الجريري ، عن أبي نصرة ، عن أبي سعيد رضي الله عنه ذكره . وأورده في كشف الأستار حديث ٣٥٧ . وذكره في مجمع الروايد^(٣٩٧/١٠) . وقال : رواه البزار مرفوعاً وموقعاً ، والطبراني في الأوسط إلا أنه قال : عن النبي ﷺ قال : « إن الله خلق جنة عدن بيده لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة » وبالباقي بنحوه . ورجال الموقف رجال الصحيح ، وأبو سعيد لا يقول هذا إلا بتوقف .

(٤) - إسناده ضعيف - وهو في مختصر زوائد البزار حديث ٢٢٥٤ - (٤٨٠/٢) . وكشف الأستار حديث ٣٥٠٨ .

ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عثمان بن عمر الضبي ، عن أبي عمر الضمير ، عن عدي به [حديث ٣٧٠ - (٩٩/٤)] وهو في مجمع البحرين حديث ٤٨٦٠ . وقال : لم يرو هذا الحديث عن الجريري إلا عدي بن الفضل .

وعدي بن الفضل : رُوي عن يحيى بن معين أنه قال : ضعيف ، وقال مرة : ليس بشيء . وفي موضع آخر : سئل يحيى بن معين : يكتب حديثه ؟ فقال : لا ، ولا كرامة . وعنه : ليس بشقة . وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه فقال : متترك الحديث ، وترك أبو زرعة حديثه . وقال أبو داود : ضعيف . وقال في موضع آخر : لا يكتب حديثه . وقال النسائي : ليس بشقة .

[١] - زيادة من ز .

[٢] - في ز ، وخ : « العبير » . وفي تهذيب الكمال : العميري .

[٣] - في خ : « بلاطها » .

[٤] - سقط من خ .

فضة ، وملاطها المسك ، فقال لها : تكلمي . فقلت : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ . فقالت الملائكة : طوبى لك ، منزل الملوك » .

ثم قال البزار : لا نعلم أحداً رفعه إلا عدى بن فضل ، وليس هو بالحافظ ، وهو شيخ متقدم الموت .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني^(٥) : حدثنا أحمد بن علي ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا بقية ، عن ابن جرير ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لما خلق الله جنة عدن ، خلق فيها مالاً عين رأت ، [ولا أذن سمعت]^[٦] ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها : تكلمي . فقلت : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ » .

بقية : - عن الحجازيين - ضعيف .

وقال الطبراني^(٧) : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا منجاح بن الحارث ، حدثنا حماد بن عيسى العبسي ، عن إسماعيل السدي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس يرفعه : « لما خلق الله جنة عدن بيده ، ودلّي فيها ثمارها ، وشق فيها أنهارها ، ثم نظر إليها فقال : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ قال : وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخييل » .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا^(٨) : حدثنا محمد بن المثنى البزار ، حدثنا محمد بن زياد الكلبي ، حدثنا يعيش بن حسين ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلق الله جنة عدن بيده ، لبنته من ذرة بيضاء ، ولبنته من ياقوتة حمراء ، ولبنته من زرجدَةَ خضراء ، ملاطها المسك ، وحصباوَهَا اللؤلؤ ، وحشيشها الزعفران ، ثم قال لها : انطقي . قالت : ﴿ قد أفلح

(٩) - رواه الطبراني في الكبير حديث ١١٤٣٩ - ١٨٤/١١ ، وفي الأوسط حديث ٧٣٨ - ٢٢٤/١ .

وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن ابن جرير ، إلا بقية ، تفرد به هشام بن خالد . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٩٨ - ٣٩٧/١٠) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وأحد إسنادي الطبراني في الأوسط جيد .

(١٠) - إسناده ضعيف من أجل أبي صالح ، واسمه باذان ، ويقال : باذان ، مولى أم هانئ بنت أبي طالب ، قال النسائي : ليس بشقة . وقال أبو أحمد بن عدي : عامة ما يرويه تفسير ، روى ابن أبي خالد عنه تفسيراً كثيراً ، في ذلك التفسير ما لم يتابعه أهل التفسير عليه ، ولم أعلم أحداً من المتقدمين رضيه . ، والمحدث رواه الطبراني في الأوسط ٥٥١٨ - ٣٤٩/٥ . وقال : لم يرو هذا الحديث عن السدي إلا حماد بن عيسى ، تفرد به منجاح .

(١١) - صفة الجنة لابن أبي الدنيا رقم (٢٠) ومحمد بن زياد الكلبي : ويعيش بن حسين .

[١] - ما بين المukoفين سقط من : خ .

المؤمنون ﴿ ، فقال الله : وعزتي وجلالي ، لا يجاورني فيك بخيل ﴾ . ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ .

فقوله تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ ، أي : قد فازوا وسعدوا ، وحصلوا على الفلاح ، وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف .

﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس :
 ﴿ خاشعون ﴾ : خائفون ، ساكتون . وكذا روي عن مجاهد ، والحسن ، وقادة ، والزهرى . وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : الخشوع : خشوع القلب . وكذا قال إبراهيم التخعي . وقال الحسن البصري : كان خشوعهم في قلوبهم ، فغضوا بذلك أبصارهم ، وخفضوا الجناح .

وقال محمد بن سيرين : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة ، فلما نزلت هذه الآية : ﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ خفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم .

قال ابن سيرين : وكانوا يقولون : لا يجاوز بصره مصلاه ، فإن كان قد اعتاد النظر فليغمض . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

ثم روى ابن جرير عنه وعن عطاء بن أبي رباح أيضاً مرسلاً : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ، حتى نزلت هذه الآية .

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها ، واشتغل بها عمداً ، وأثرها على غيرها ، وحيثند تكون راحة له وقرة عين ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي ، عن أنس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تحب إلى الطيب والنسائي وجعلت قرة عيني في الصلاة »^(٨) .

وقال الإمام أحمد^(٩) : حدثنا وكيع ، حدثنا مسعود ، عن عمرو بن مرة ، عن سالم بن أبي الجعد ، [عن رجل من أسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا بلال ، أرحنا بالصلاه]^[١] ».]

(٨) - رواه النسائي (٦١/٧) . ورواه أحمد (٣٩٤٠، ٣٩٣٩) .

(٩) - رواه أحمد حديث (٣٦٤/٥) . ورواه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في صلاة العتمة .

[وقال الإمام أحمد أيضًا^(١) : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، ثنا إسرائيل ، عن عثمان بن المغيرة ، عن سالم بن أبي الجعد^(٢) ، أن [عبد الله بن محمد بن الحنفية^(٣)] قال : دخلت مع أبي على صهر لنا من الأنصار ، فحضرت الصلاة ، فقال : يا جارية ، اثنين بوضوء لعلى أصلي فأستريح . فرآنا أنكرنا عليه ذلك ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قم يا بلال ، فأرجنا بالصلاحة ».]

وقوله : ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ ، أي : عن الباطل ، وهو يشمل الشرك - كما قاله بعضهم - والمعاصي^(٤) - كما قاله آخرون - وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال ، كما قال تعالى : ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كراماً ﴾ قال قتادة : أتاهم والله من أمر الله ما وقذهم^(٥) عن ذلك .]

وقوله : ﴿ والذين هم للزكاة فاعلون ﴾ الأكثرون على أن المراد بالزكاة هاهنا زكاة الأموال ، مع أن هذه الآية^(٦) مكية ، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة ، في سنة النتين من الهجرة ، والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النصب والمقدادر الخاصة ، وإنما فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجباً بمكة ، كما قال تعالى في سورة الأنعام وهي مكية : ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ .]

وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة هاهنا زكاة النفس من الشرك والدنس ، كقوله : ﴿ قد أفلح من زاكها * وقد خاب من دساها ﴾ وكقوله : ﴿ وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ﴾ على أحد القولين في تفسيرها .]

وقد يحتمل أن يكون كلاً الأمرين مراداً ، وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال ، فإنه من جملة زكاة النفوس ، والمؤمن الكامل هو الذي يتعاطى هذا وهذا ، والله أعلم .]

وقوله : ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتنى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ ، أي : والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام ، فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا أو لواط ، ولا يقربون سوى أزواجهم

(١) - الحديث في المسند برقم ٢٣٦٠ - (٣٧١/٥) . ورواه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : صلاة العتمة ، حديث ٤٩٨٦ - (٢٩٨/٤) . من طريق محمد بن كثير ، عن إسرائيل به .]

[١] - ما بين المukoفين سقط من : خ .]

[٢] - في الأصول التي بين أيدينا " محمد بن الحنفية " والمشتبه من المسند وسنن أبي داود .]

[٣] - في خ : « والعاصي » .]

[٤] - سقط من : خ .]

[٥] - سقط من : خ .]

التي أحلها الله لهم ، وما ملكت أيمانهم من السراري ، ومن تعاطى ما أحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج ، ولهذا قال : ﴿فَلِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ أي : غير الأزواج والإماء ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ ، أي : المعتدون .

وقال ابن جرير^(١) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا سعيد ، عن قتادة - أن امرأة اتخذت ملوكها^[١] ، وقالت : تأولت آية من كتاب الله : ﴿أَوْ مَا مَلَكَ أَيْمَانُهُمْ﴾ فأتى بها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال له ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : تأولت آية من كتاب الله - عز وجل - على غير وجهها . قال : فغرب العبد وجز رأسه ، وقال : أنت بعده حرام على كل مسلم .

هذا أثر غريب منقطع ، ذكره ابن جرير في أول تفسير سورة المائدة ، وهو هاهنا أليق ، وإنما حرمتها على الرجال معاملة لها بتفاوض قصدها ، والله أعلم .

وقد استدل الإمام الشافعي رحمة الله ومن وافقه على تحرير الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لَفْرُوجُهُمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَ أَيْمَانُهُمْ﴾ ، قال : فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين ، وقد قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ .

وقد استأنسوا بحديث رواه الإمام الحسن بن عرفة في جزئه المشهور^(٢) حيث قال : حدثني علي بن ثابت الجزري ، عن مسلمة بن جعفر ، عن حسان بن حميد ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيمة ، ولا يذكرهم ، ولا يجمعهم مع العاملين^[٢] ، ويدخلهم النار أول الداخلين ، [إلا أن يتوبوا^[٣]] ، فمن تاب ، تاب الله عليه : ناكح يده ، والفاعل والمفعول به ، ومدمن الخمر ، والضارب والديه حتى يستغشا ، والمؤذن جيرانه حتى يلعنوه ، والناكح حلية جاره ». هذا حديث غريب ، وإسناده فيه من لا يعرف لجهالته ، والله أعلم .

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لَأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ ، أي : إذا ائتمنا لم يخونوا ، بل يؤدونها إلى أهلها ، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك ، لا كصفات المنافقين ، الذين قال

(١) - تفسير الطبراني حديث ١١٢٧٧ - ٥٨٦/٩) .

(٢) - إسناده ضعيف ، علته مسلمة هذا ، قال الذهبي : مسلمة بن جعفر ، عن حسان بن حميد ، عن أنس في سب الناكح يده ، يجهل هو وشيخه ، وقال الأزدي : ضعيف .

[١] - اتخذت ملوكها : أي أملكنته من نفسها ، وتسرت به كأنه زوج لها .

[٢] - في [خ] : « العاملين » .

[٣] - ما بين المعقوفين مكرر في [خ] .

فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اثمن خان » ^(١٣).

وقوله : ﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ ، أي : يواطئون عليها في مواقفها ، كما قال ابن مسعود : سألت رسول الله صلی الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ! أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : « الصلاة على وقتها ». قلت : ثم أي ؟ قال : « بروالدین ». قلت : ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » .

آخر جاه في الصحيحين ^(١٤) . وفي مستدرك الحاكم قال : « الصلاة في أول وقتها » ^(١٥) .

وقال ابن مسعود ومسروق في قوله : ﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ يعني : مواقف الصلاة ، وكذا قال أبو الضحى ، وعلقمة بن قيس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة . وقال قتادة : على مواقفها وركوكها وسجودها .

وقد افتح الله ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاحة ، واختتمها بالصلاحة ، فدل على أفضليتها ، كما قال رسول الله صلی الله عليه وسلم : « استقيموا ولن تمحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » ^(١٦) .

ولما وصفهم تعالى بالقيام بهذه الصفات الحميدة ، والفعال الرشيدة ، قال : ﴿ أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾ .

وثبت في الصحيحين ^(١٧) أن رسول الله صلی الله عليه وسلم قال : « إذا سأتم الله الجنة

(١٣) - رواه البخاري في الإيمان (٣٣) ، ومسلم في الإيمان (٥٩) .

(١٤) صحيح البخاري كتاب الأدب (٥٩٧٠) ، وصحيف مسلم ، كتاب الإيمان (٨٥) .

(١٥) المستدرك (١٨٨/١) وقال الحاكم : « فقد صحت هذه اللفظة باتفاق القتلين بندار - محمد بن بشار - والحسن بن مكرم على روایتهما عن عثمان بن عمرو ، وهو صحيح على شرط الشیخین ولم يخرجه » .

(١٦) ورد من حديث ثوبان : رواه أحمد (٢٤٢٧٩) (٢٢٦/٥ - ٢٢٧) وابن ماجة في كتاب الطهارة وسننها ، باب : المحافظة على الوضوء (٢٢٧) . من طريق سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عنه به . وقال البوصيري : رجال إسناده ثقات أثبات ؛ إلا أن فيه انقطاعاً بين سالم وثوبان ، فإنه لم يسمع منه بلا خلاف ، ولكن آخر جاه الدارمي ، وابن حبان في صحيحه من طريق ثوبان متصلة .

ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص : رواه ابن ماجه في كتاب الطهارة حديث (٢٧٨) من طريق المعتمر ، عن ليث ، عن مجاهد عنه ، به ، وإسناده ضعيف لأجل ليث . بن أبي سليم .

ومن حديث أبي أمامة : رواه ابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها (٢٧٩) من طريق إسحاق بن أسميد عن أبي حفص الدمشقي عنه به ، وضعفه البوصيري في الرواية .

(١٧) البخاري في كتاب الجهاد والسير (٢٢٩٠) ، وفي التوحيد (٧٤٢٣) عن أبي هريرة ، ولم يعزه صاحب التحفة إلى غير البخاري .

فأسأله الفردوس ، فإنه أعلى الجنة ، وأوسط الجنة ، ومنه تَفَجُّر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن » .

وقال ابن أبي حاتم^(١٨) : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [« ما منكم ^[٢] من أحد إلا وله منزلان : منزل في الجنة ومنزل في النار ، فإن مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله ، فذلك قوله : ﴿أولئك هم الوارثون﴾] .

وقال ابن جريج : عن ليث ، عن مجاهد : ﴿أولئك هم الوارثون﴾ قال : ما من عبد إلا وله منزلان : منزل في الجنة ، ومنزل في النار ، فأما المؤمن فيبني بيته الذي في الجنة ، وبهدم بيته الذي في النار ، وأما الكافر فيهدم بيته الذي في الجنة ، ويبني بيته الذي في النار . وروي عن سعيد بن جبیر نحو ذلك .

فالمؤمنون يرثون منازل الكفار ؛ لأنهم خلقوا لعبادة الله تعالى ، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة ، وترك أولئك ما أمروا به مما خلقوا له ، أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل ، بل أبلغ من هذا أيضًا ، وهو ما ثبت في صحيح مسلم^(١٩) ، عن أبي بردة بن أبي موسى [عن أبيه ^[٢] ، عن النبي صلى الله عليه وسلم] : « إذا كان يوم القيمة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال ، فيغفرها الله لهم ، ويضعها على اليهود والنصارى » . وفي لفظ له : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم القيمة دفع الله لكل مسلم يهوديًا أو نصاريًّا ، فيقول ^[٣] : هذا فكاكك من النار » . فاستحلف عمر بن عبد العزيز أبا بردة بالله الذي لا إله إلا هو - ثلاث مرات - أن أباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فاحلف له .

قلت : هذه الآية كقوله تعالى : ﴿ تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾ .

وك قوله : ﴿ وتلك الجنة التي أورثموها بما كنتم تعملون﴾ وقد قال مجاهد وسعيد بن جبیر : الجنة بالرومیة : هي ^[٤] الفردوس . وقال بعض السلف : لا يسمى البستان فردوسًا إلا إذا كان فيه عنب ، فالله أعلم .

(١٨) رواه ابن ماجه في كتاب الرهد ، باب : صفة الجنة (٤٣٤١) عن أبي بكر بن أبي شيبة وأحمد بن سنان ، كلامهما عن أبي معاوية ، به . وقال البوصيري في الروايد (٣٢٧/٣) : « هذا إسناد صحيح على شرط الشيفيين » .

(١٩) صحيح مسلم في كتاب التوبة حدث (٢٧٦٧) .

[١] - سقط من : [خ] .

[٢] - مكررة في خ .

[٣] - في ت : « فيقال » .

[٤] - سقط من : ت .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ
 ﴿٢﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ
 عَظِيمًا فَكَسَوْنَا الْعَظِيمَ لَهُمَا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا مَّا خَرَّ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
 الْخَلَقَيْنَ ﴿٣﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يَتَّسُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 تُبَعَّثُونَ ﴿٥﴾

يقول تعالى مخبراً عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين ، وهو آدم عليه السلام ،
 خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون .

وقال الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن أبي يحيى ، عن ابن عباس : ﴿٦﴾ من سلالة
 من طين ﴿٧﴾ . قال : صفة الماء . وقال مجاهد : ﴿٨﴾ من سلالة أي : من مني آدم . وقال
 ابن جرير : إنما سمي آدم طينا لأنّه مخلوق منه . وقال قادة : استل آدم من الطين . وهذا
 أظهر في المعنى ، وأقرب إلى السياق ، فإن آدم - عليه السلام - خلق من طين لازب ، وهو
 الصلصال من الحمأ المسنون ، وذلك مخلوق من التراب ، كما قال تعالى : ﴿٩﴾ ومن آياته أن
 خلقكم من تراب ثم إذا أتمت بشر تنتشرون ﴿١٠﴾ .

وقال الإمام أحمد ^(٢٠) : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا عوف ، حدثنا قسامه بن زهير ،
 عن أبي موسى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها
 من جميع الأرض ، فجاء بني آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأحمر والأسود
 والأبيض ، وبين ذلك ، والخيث والطيب ، وبين ذلك ». وقد رواه أبو داود والترمذى من
 طرق عن عوف الأعرابي به نحوه ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٢٠) المسند (٤٠/٤) (١٩٦٣٦) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب : في القدر ، حديث (٤٦٩٣)
 (٤/٤٢٢) . والترمذى في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة البقرة ، حديث (٢٩٥٥)
 (٥/١٨٧) . وعبد بن حميد (٤٩) . وابن سعد في الطبقات (١/٢٣) . وابن خزيمة في التوحيد ص (٦٤) .
 والحاكم (٢/٢٦١-٢٦٢) . والطبرى (١/٤٢١) عند تفسير قوله تعالى : ﴿٦﴾ وعلم آدم الأسماء
 كلها ... ﴿٧﴾ من سورة البقرة . وابن حبان في صحيح في كتاب التاريخ ، باب : بدئ الخلق (٦٦٠)
 (٨/١٤) . وأبو نعيم في الحلية (٨/١٣٥) . كلهم من طريق عوف ، عن قسامه بن زهير ، عن أبي موسى
 - رضي الله عنه ... فذكره . قال الترمذى : حديث حسن صحيح . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم
 يخرجه ، ووافقه الذهبي . وصححه الألبانى في الصحيحه برقم (١٦٣٠) . وزاد نسبته إلى ابن عساكر
 (٢/٣٠٧) . والبهقى في الأسماء والصفات (٣٢٧، ٣٨٥) .

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَطْفَةً ﴾ هـذا الضمير عائد على جنس الإنسان ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وَبِدأ خَلْقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سَلَالَةٍ مِّنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ هـ ، أي : ضعيف ، كما قال : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ هـ يعني : الرحم معد لذلك مهياً له ، ﴿ إِلَى قَدْرِ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنَعَمُ الْقَادِرُونَ ﴾ هـ ، أي : مدة معلومة وأجل معين ، حتى استحكم ، وتنقل من حال إلى حال ، وصفة إلى صفة ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلْقَةً ﴾ هـ ، أي : ثـم^[۱] صبرنا النطفة ، وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل ، وهو ظهره - وترائب المرأة - وهي عظام صدرها ما بين الترقوة إلى الشذوة فصارت علقة حمراء على شكل العلقة ، مستطيلة . قال عكرمة : وهي دم ﴿ فَخَلَقْنَا الْعَلْقَةَ مَضْغَةً ﴾ هـ ، وهي قطعة كالبضعة من اللحم ، لا شكل فيها ولا تخطيط ، ﴿ فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عَظَاماً ﴾ هـ ، يعني : شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين ، بعظماتها وعروقها .

وقرآ آخرون : ﴿ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عَظِيمًا ﴾ قال ابن عباس : وهو عظم الصلب .

وفي الصحيح [٢١] من حديث أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل جسد ابن آدم يلئ إلا عجبُ الذنب ، منه خلق ، ومنه [٢] ثيركب ». ﴿ فكسونا العظام حمّا ﴾ أي : وجعلنا على ذلك ما يسْتَره ويُشَدِّه ويقويه ﴿ ثم أنشأناه خلقاً آخر ﴾ ، [أي : ثم نفخنا فيه الروح ، فتحرك وصار خلقاً آخر [٣] ، ذا سمع وبصر ولدراك وحركة واضطراب ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا جعفر بن مسافر ، حدثنا يحيى بن حسان ، حدثنا النضر - يعني ابن كثير مولىبني هاشم - حدثنا زيد بن علي ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : إذا قمت النطفة^[٤] أربعة أشهر ، بُعث^[٥] إليها ملك^[٦] فنفح فيها الروح في الظلمات الثلاث ، فذلك قوله : ثم أشأناه خلقا آخر^[٧] ، يعني : [نفخنا فيه^[٨] الروح . وروي عن أبي سعيد الخدري أنه [نفح^[٩] الروح .

(٢١) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن برقم (٤٨١٤ ، ٤٩٣٥) ، صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة حديث (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[٢] - في خ : « وفيه » .

• [١] - سقط من : [خ]

٤٣ - فيت : للنطفة .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

٦٦ - فِتْ : مَلْكًا .

٢٥ - فِتْ : يَعْثُ اللَّهُ .

[٨] - سقط من نز.

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « به » .

[قال ابن عباس : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأَهُ خَلْقًا آخَرٌ ﴾ ، يعني به الروح [١] . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، والشعبي ، والحسن ، وأبو العالية ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، والسدسي ، وابن زيد ، واحتاره ابن جرير . وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأَهُ خَلْقًا آخَرٌ ﴾ ، يعني : نقله [٢] من حال إلى حال ، إلى أن خرج طفلاً ، ثم نشا صغيراً ثم احتلم ، ثم صار شاباً ، ثم كهلاً ، ثم شيئاً [٣] هرماً . وعن قتادة والضحاك نحو ذلك ، ولا منافاة ؛ فإنه من ابتداء نفح الروح شرع في هذه التنقلات والأحوال ، والله أعلم .

قال الإمام أحمد في مسنده [٤] : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الله - هو ابن مسعود قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدق : « إن أحدكم ليجمع خلقه [٤] في بطن أمه في أربعين يوماً ، ثم يكون علة مثل ذلك ، ثم يكون مضافة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك ، فينفح فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : رزقه ، وأجله ، وعمله ، وهل هو شقي أو سعيد . فوالذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا دراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيختتم له بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا دراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيختتم له بعمل أهل الجنة فيدخلها ». آخر جاه من حديث سليمان بن مهران الأعمش .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن خيしゃمة قال : قال عبد الله - يعني ابن مسعود - : إن النطفة إذا وقعت في الرحم ، طارت في كل شعر وظفر ، فتمكث أربعين يوماً ، ثم تتحدر [٥] في الرحم ف تكون علة .

وقال الإمام أحمد أيضاً [٦] : حدثنا حسين بن الحسن ، حدثنا أبو كذينة ، عن عطاء ابن السائب ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عبد الله قال : مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه ، فقالت قريش [٦] : يا يهودي ! إن هذا يرغم أنهنبي . فقال : لأسأله عن شيء لا يعلمه إلانبي . قال : فجاءه حتى جلس ، فقال : يا محمد ! م يخلق الإنسان ؟ فقال : « يا يهودي ! من كلٍ يُخلقُ ، من نطفة الرجل ومن

[١] تفسير الطبرى (٨١/٨) .

[٢] المسند (٣٨٢/١) ، وصحیح البخاری ، كتاب القدر حديث (٦٥٩٤) ، وصحیح مسلم ، كتاب القدر (٢٦٤٣) .

[٣] - في ز : ينقله .

[٤] - ما بين المعکوفین سقط من : خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - بعده في ت : « ثم » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في خ : « تحد » .

نطفة المرأة ، فاما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب ، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم » . [ققام اليهودي فقال : هكذا كان يقول من قبلك]^[١] .

وقال الإمام أحمد^(٤) : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن أبي الطفيلي ، عن حذيفة بن أسميد الغفاري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين ليلة ، فيقول : يا رب ! ماذا ؟ أشقي أم سعيد ؟ أذكر أم أنتي ؟ فيقول الله ، [فيكتبان ، فيقولان : ماذا ؟ أذكر أم أنتي ؟ فيقول الله عز وجل]^[٢] ، فيكتبان ، ويكتب عمله وأثره ، ومصيته ورزقه ، ثم تطوى الصحيفة فلا يزداد على ما فيها ولا ينقص » .

وقد رواه مسلم في صحيحه^(٥) من حديث سفيان بن عيينة ، عن عمرو - وهو ابن دينار - به نحوه ، ومن طرق أخرى ، عن أبي الطفيلي عامر بن وائلة ، عن حذيفة بن أسميد أبي سريحة الغفاري ب نحوه ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار^(٦) : حدثنا أحمد بن عبدة ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا عبيد الله بن أبي بكر ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله وكل بالرحم ملكا ، فيقول : أي رب ! نطفة . أي رب ! علقة . أي رب ! مضفة . فإذا أراد الله خلقها قال : يا رب ! ذكر أو أنتي ؟ شقي أو سعيد ؟ فما الرزق والأجل ؟ قال : فذلك يكتب في بطن أمه » .

آخر جاه في الصحيحين^(٧) من حديث حماد بن زيد به .

وقوله : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ، يعني : حين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة من حال إلى حال ، وشكل إلى شكل ، حتى تصورت إلى ما صارت إليه من الإنسان السوئي الكامل الخلق قال : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا علي بن زيد ، عن أنس قال : قال عمر - يعني ابن الخطاب رضي الله عنه - : وافتقت ربي ووافقتني في أربع ؛ نزلت هذه الآية : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْنَا مِنْ سَلَالَةِ مِنْ

(٤) المسند (٤٦٥/١) .

(٥) المسند (٦/٤) (١٦١٨٩) ، صحيح مسلم ، كتاب القدر حديث (٢٦٤٤) .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب القدر حديث (٢٦٤٥) .

[١] - ما بين المukoفين سقط من : ز ، خ .

[٢]

طين ﴿ . الآية . قلت أنا : فتبارك الله أحسن الخالقين ، فنزلت : ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾)

وقال أيضاً : حدثنا أبي ، حدثنا آدم بن أبي إبراهيم ، حدثنا شيبان ، عن جابر الجعفي ، عن عامر الشعبي ، عن زيد بن ثابت الأنباري (٢٨) قال : أملئ على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ إلى قوله : ﴿ خلقنا آخر ﴾ فقال معاذ : فتبارك الله أحسن الخالقين ! فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له معاذ : مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : « بها ختمت : ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ » .

جابر بن زيد الجعفي ضعيف جداً ، وفي خبره هذا نكارة شديدة ، وذلك أن هذه السورة مكية . وزيد بن ثابت إنما كتب الوحي بالمدينة ، وكذلك إسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة أيضاً ، فالله أعلم .

قوله : ﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميتون ﴾ يعني : بعد هذه النشأة الأولى من العدم تصيرون إلى الموت ﴿ ثم إنكم يوم القيمة تعثرون ﴾ يعني : النشأة الآخرة ﴿ ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ﴾ يعني : يوم المعد ، وقيام الأرواح والأجساد ، فيحاسب الخالقين ويوفى كل عامل عمله ، إن خيراً فخير ، وإن شرًا فشر .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كَانَ عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

لما ذكر تعالى خلق الإنسان ، عطف بذكر خلق السموات السبع ، وكثيراً ما يذكر تعالى خلق السموات والأرض مع خلق الإنسان ، كما قال تعالى : ﴿ خلق السموات والأرض ﴾ أكبر من خلق الناس ﴾ وهكذا في أول (الم السجدة) التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها صبيحة يوم الجمعة ، في أولها خلق السموات والأرض ، ثم بيان خلق الإنسان من سلالة من طين ، وفيها أمر المعد والجزاء ، وغير ذلك من المقاصد .

قوله : ﴿ سبعة طرائق ﴾ قال مجاهد : يعني السموات السبع . وهذه كقوله تعالى : ﴿ تسبع له السموات السبع والأرض ومن فيهن ﴾ ، ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طبقاً ﴾ ﴿ الله الذي خلق سبعة سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن .

(٢٧) صحيح البخاري ، كتاب الحيض ، حديث (٣١٨) ، صحيح مسلم ، كتاب القدر (٢٦٤٦) .

(٢٨) رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٣٣٦٧) « مجمع البحرين » عن أبي زرعة عن آدم بن إبراهيم به وجابر الجعفي ضعيف .

لتعلموا أن الله على كل شيء قادر وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا ﴿٤﴾ .

وهكذا قال ها هنا : ﴿٥﴾ ولقد خلقنا فوّقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين ﴿٥﴾ ، أي : ويعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير ، وهو سبحانه لا يحجب عنه سماء سماء ، ولا أرض أرضًا ، ولا جبل إلا يعلم ما في وغره ، ولا بحر إلا يعلم ما في قفره ، يعلم عدد ما في الجبال والتلال والرمال ، والبحار والقفار والأشجار ، ﴿٦﴾ وما تسقط من ورقة إلا يعلمه ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴿٧﴾ .

وأنزلنا من السماء ماء يقدر فأسكته في الأرض وإنما على ذهاب يده لقادرون ﴿٨﴾
 فانشأنا لكم به جناتٍ مِنْ نَخْلٍ وَأَعْنَبْ لَكُمْ فِيهَا فَوْكَهٌ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُونَ
 شَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سِيَّنَاهُ تَبَتُّ بِالدُّهُنِ وَصَبَغَ لِلْأَكْلِينَ ﴿٩﴾ وَلَكُنَّ
 لَكُنْ فِي الْأَنْعَمِ لَعْرَةٌ تُشَقِّيكُرْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُنْ فِيهَا مَنْفَعٌ كَثِيرٌ وَمِنْهَا
 تَأْكُونَ ﴿١٠﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَكِ تَحْمِلُونَ

يدرك تعالى نعمه على عبده^[١] التي لا تعد ولا تحصى ، في إزاله القطر من السماء
 بقدر ﴿١﴾ ، أي : بحسب الحاجة ، لا كثيراً فيفسد الأرض وال عمران ، ولا قليلاً فلا يكفي
 الزروع والشمار ، بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به ، حتى إن الأرضي
 التي تحتاج ماء كثيراً لزرعها ، ولا تحتمل دميتها^[٢] إزالة المطر عليها يسوق إليها الماء من بلاد
 أخرى ، كما في أرض مصر ، ويقال لها : (الأرض الجرز) يسوق الله إليها ماء النيل ، معه
 طين أحمر يجترفه من بلاد الحبشة في زمان أمطارها ، فيأتي الماء بحمل طيناً أحمر ، فيisciي أرض
 مصر ، ويقر الطين على أرضهم ليزدراعوا فيه ، لأن أرضهم ساخن يغلب عليها الرمال ، فسبحان
 اللطيف الخبير ، الرحيم الغفور .

وقوله : ﴿٣﴾ فأسكتنا في الأرض ﴿٣﴾ ، أي : جعلنا الماء إذا نزل من السحاب يخلد في
 الأرض ، وجعلنا^[٣] في الأرض قابلية له ، تشربه ويتغذى به ما فيها من الحب والتوى .

وقوله : ﴿٤﴾ وإنما على ذهاب به لقادرون ﴿٤﴾ ، أي : لو شئنا أن لا تمطر^[٤] لفعلنا ، ولو

[١] - سقط من : [خ] .

[٤] - في ز : نهر .

[٢] - في ز : عبده .

[٣] - في ز : وجعل .

شئنا لصرفناه عنكم إلى السياخ والبراري والقفار لفعلنا ، ولو شئنا لجعلناه أجاججا لا ينتفع به لشرب ولا لستقي لفعلنا ، ولو شئنا لجعلناه لا ينزل في الأرض بل ينجر على وجهها لفعلنا ، ولو شئنا لجعلناه إذا نزل فيها يغور إلى مدى لا تصلون إليه ولا تنتفعون به لفعلنا ، ولكن بلطفه ورحمته ينزل عليكم الماء من السحاب عذباً زللاً ، فيسكنه في الأرض ويسلكه ينابيع في الأرض ، فيفتح العيون والأنهار ، فيسقي به الزروع والثمار ، وتشربون منه ودوايكم وأنعامكم ، وتغسلون منه وتطهرون وتتنظرون ، فله الحمد والمنة .

وقوله : ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ ، يعني : فآخرجنا لكم بما أنزلنا من السماء ﴿جَنَّاتٍ﴾ أي : بساتين ﴿وَحَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ﴾ ، أي : ذات منظر حسن .

وقوله : ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ ، أي : فيها نخيل وأعناب ، وهذا ما كان يألف أهل الجاز ، ولا فرق بين الشيء وبين نظيره ، وكذلك في حق كل أهل إقليم ، عندهم من الشمار من نعمة الله عليهم ما يعجزون عن القيام بشكره .

وقوله : ﴿لَكُمْ فِيهَا فَواكه كثيرة﴾ ، أي : من جميع الشمار ، كما قال : ﴿بَنَتْ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الْشَّمَرَاتِ﴾ وقوله^[١] : ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ كأنه معطوف على شيء مقدر ، تقديره : تنتظرون إلى حسنة ونضجه ، ومنه تأكلون .

وقوله : ﴿وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سِينَاء﴾ ، يعني : الزيونة . والطور : هو الجبل ، وقال بعضهم : إنما يسمى طوراً إذا كان فيه شجر ، فإن عربي عنها سمي جيلاً لا طوراً ، والله أعلم . وطور سيناء : هو طور سينين ، وهو الجبل الذي كُلِّمَ عليه موسى بن عمران عليه السلام ، وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون .

وقوله : ﴿تَبَتَّ بِالدَّهْنِ﴾ قال بعضهم : الباء زائدة ، وتقديره : تبت الدهن ، كما في قول العرب : ألقى فلان بيده ، أي : يده . وأما على قول من يضم الفعل فتقديره : تخرج بالدهن ، أو تأتي بالدهن ؛ ولهذا قال : ﴿وَصَبَغَ﴾ ، أي : أدم ، قاله قتادة ، ﴿لِلْأَكْلِينَ﴾ ، أي : فيها ما ينتفع به من الدهن والاصطباح .

كما قال الإمام أحمد^(٢) : حدثنا وكيع ، عن عبد الله بن عيسى ، عن عطاء الشامي ، عن أبي أسد - واسم مالك بن ربيعة الساعدي الأنصاري - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلوا الزيت وادهنو به ، فإنه من شجرة مباركة » .

(٢) المستند (٤٩٧/٣) (١٦١٠١) . وهو حديث صحيح - إسناده ضعيف . عطاء الشامي الأنصاري : قال = الحافظ في التقريب : مقبول ، من الرابعة . ت . س .

وقال عبد بن حميد في مسنده^(٣٠) وتفصيره : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن زيد ابن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ائتموا بالزيت وادهنو به ، فإنه يخرج من شجرة مباركة ». .

ورواه الترمذى وابن ماجة ، من غير وجه عن عبد الرزاق . قال الترمذى : ولا يعرف إلا من حديثه ، وكان يضطرب فيه ، فربما ذكر فيه عمر ، وربما لم يذكره .

قال أبو القاسم الطبرانى^(٣١) : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أبي ، حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثني الصعب بن حكيم بن شريك بن نمیله ، عن أبيه ، عن جده قال^[١] : ضفت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - [ليلة عاشوراء ، فأطعمنى^[٢]] من رأس بعير بارد ، وأطعمنا زينا ، وقال : هذا الزيت المبارك الذي قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ وَإِن لَّكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعْبَرَةٌ نَسْقِيكُمْ مَا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكِلُونَ * وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَكِ تَحْمِلُونَ ﴾ يذكر تعالى ما جعل خلقه في الأنعام من المนาفع ، وذلك أنهم يشرون من ألبانها الخارجة من بين فرت ودم ، ويأكلون من حملانها ، ويلبسون من أصوافها وأوبارها وأشعارها ، ويركبون ظهورها ، ويحملونها الأحمال الثقال إلى

= وقال في التهذيب : قال البخاري : لم يقم حديثه . وذكره العقيلي في الضعفاء . وذكره ابن حبان في الثقات . والحديث أخرجه الترمذى في كتاب الأطعمة ، باب : ما جاء في أكل الزيت (٤/٢٥١) . حديث (١٨٥٢) . والدارomi في سنته (٢/١٠٢) . والحاكم في المستدرك (٢/٣٩٧-٣٩٨) . والطبرانى في الكبير (١٩/١٩٦٩-٢٦٩) حديث (٥٩٧) . والخطيب في الموضوع (٢/١٩٤) . والبغوي في شرح السنة (١١/١١ ، ٣١٠ ، ٣١١) رقم ٢٨٧٠ ، ٢٨٧١ ، ٢٨٧٢ . والعقيلي في الضعفاء (٣/٤٠١) . والبخاري في الكوى من تاريخه ص ٦ رقم ٣١ . وقال الترمذى : حديث غريب من هذا الوجه إنما نعرف من حديث سفيان الثورى عن عبد الله بن عيسى . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . اهـ .

وضعف الشيخ الألبانى هذا الطريق تحت حديثه في السلسلة الصحيحة (٢٧٩) . وذكر الشيخ له ثلاثة طرق غير هذا ، فصحح الحديث بمجموع طرقه عن عمر وأبي هريرة وعبد الله بن عباس .

(٣٠) المتخب لعبد بن حميد برقم (١٣) ، وسنن الترمذى ، كتاب الأطعمة (١٨٥١) ، سنن ابن ماجه ، كتاب الأطعمة (٣٣١٩) .

(٣١) المعجم الكبير (١/٧٤) والصعب بن حكيم لا يعرف كما قال الذهبي ، وقال الحافظ : مقبول ، وكذلك جده ، وأبو مستور .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « ليلة ، فأطعمنى عشوراً » .

البلاد النائية عنهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَتَحْمِلُ أَنْقَالَكُمْ إِلَى بَلْدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْرِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنْ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ أَوْلَمْ يَرَوَا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مَا عَمِلُتُ أَيْدِيهِنَّ أَعْنَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونْ * وَذَلِكُنَّا لَهُمْ فَمِنْهَا رُكوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُولُونَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ قَنْ إِلَّهٌ غَيْرُهُ أَفَلَا

تَنْقُولُونَ ﴿ ٢٣ ﴾ فَقَالَ الْمُلَوُّذُونَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مُّتَلَكِّثٌ يُرِيدُ أَنْ

يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا يَهْنَدَا فِي أَبَابِيتِنَا

الْأَوَّلِينَ ﴿ ٢٤ ﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يَهْ جِنَّةً فَتَرَبِصُوا بِهِ حَقَّ حِينَ حِينَ

يخبر تعالى عن نوح عليه السلام حين بعثه^[١] إلى قومه ؛ ليذرهم عذاب الله وبأسه الشديد ، وانتقامه من أشرك به ، وخالف أمره وكذب رسle ﴿ فَقَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْقُولُونَ ﴾ أي : ألا تخافون من الله في إشراككم به ؟ ! ﴿ فَقَالَ الْمُلَوُّذُونَ وَهُمُ السَّادَةُ وَالْأَكَابِرُ مِنْهُمْ ﴾ ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ﴿ ٢٣ ﴾ يعنيون : يترفع عليكم ، ويتعاظم بدعوى النبوة ، وهو بشر مثلكم ، فكيف^[٢] أوحى إليه دونكم ؟ ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً ﴾ ، أي : لو أراد أن يبعث نبيا ، لبعث ملكا من عنده ولم يكن بشرا ! ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهِنَا ﴾ ، أي : يبعث البشر^[٣] في آبائنا الأولين ﴾ يعنيون بهذا أسلافهم^[٣] وأجدادهم والأم الماضية .

وقوله : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يَهْ جِنَّةً ﴾ ، أي : مجتون فيما يزعمونه ، من أن الله أرسله إليكم ، وانحصره من بينكم بالوحي^[٤] فترتصوا به حتى حين^[٥] ، أي : انتظروا به رب المئون ، واصبروا عليه مدة حتى تستريحوا منه .

قَالَ رَبِّنَا أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَبْنُونَ ﴿ ٢٥ ﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ أَصْنَعَ الْفَلَكَ يَأْعِيْنَا وَوَحِيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرَنَا وَفَكَارَ الْشَّوْرُ فَأَسْلَكْتُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ أَثْنَيْنِ وَاهْلَكْتُ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبَنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ

[١] - في ز : بعثه الله .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : آباءهم .

﴿٢٧﴾ **شَرِّفُوكُنْ** فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكِ فَقُلْ لَهُمْ أَنْعُدُ لِلَّهِ الَّذِي بَخَنَّا مِنَ
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزَلَنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لِمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

[يقول تعالى مخبراً ^[١] عن نوح عليه السلام أنه دعا ربها يستنصره على قومه ، كما قال تعالى مخبراً عنه ^[٢] في الآية الأخرى : ﴿فَدُعَا رَبَّهُ أَنِّي مُغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ وقال هاهنا : ﴿رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَبْتُونَ﴾ فعند ذلك أمره الله تعالى بصنعة السفينة واحكامها واتقانها ، وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين ، أي : ذكرها وأنثى من كل صنف من الحيوانات والنباتات والثمار ، وغير ذلك ، وأن يحمل فيها أهله ^{﴿إِلَّا مِنْ سُبْقِ عَلِيهِ الْقَوْلِ مِنْهُمْ﴾} ، أي : سبق فيه القول من الله بالهلاك ، وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله ؛ كابنه وزوجته ، والله أعلم .

وقوله : ﴿وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرِقُونَ﴾ أي : عند معاينة إنزال المطر العظيم ، لا تأخذنى رأفة بقومك ، وشفقة عليهم ، وطعم في تأخيرهم ^[٣] لعلهم يؤمنون ، فإني قد قضيت أنهم مغرقون على ما هم عليه من الكفر والطغيان ، وقد تقدمت القصة ببساطة في سورة هود بما يغني عن إعادة ذلك هاهنا .

وقوله : ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكِ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَخَانَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ كما قال : ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ مِنَ الْفَلَكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرَكَبُونَ * لَتَسْتَوُوا عَلَى ظَهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةِ رَبِّكُمْ إِذَا أَسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سَبَّحَنَ الَّذِي سَخَرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرَنِينَ * وَإِنَّا إِلَيْ رَبِّنَا لَمُتَّقْلِبُونَ﴾ وقد امتنل نوح - عليه السلام - هذا . كما قال تعالى : ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ مُجَرَّاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ فذكر الله تعالى عند ابتداء سيره وعند انتهاءه . وقال تعالى : ﴿وَقُلْ رَبِّي أَنْزَلَنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ﴾ .

وقوله : ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي : إن في هذا الصنيع - وهو إنجاء المؤمنين ، وإهلاك الكافرين - ﴿لَآيَاتٍ﴾ أي : لحجج ودلائل واضحات على صدق الأنبياء فيما جاءوا به عن الله تعالى ، وأنه تعالى قادر لما يشاء ، قادر ^[٤] على كل شيء ، عالم بكل شيء .

[١] - ما بين المعقودتين في ت : « يخبر تعالى ». [٢] - سقط من ز .

[٤] - في ز : قادر .

[٣] - في ز : تأخيرهم .

وقوله : ﴿ وَإِن كُنَا لَمُبْتَلِين ﴾ أي : لختبرين للعباد بإرسال المرسلين .

فَإِنْ شَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ فَرَأَوْا أَخْرَيْنَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٣٢﴾ أَفَلَا يَنْقُونَ وَقَالَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
يُلْقَائُهُمُ الْآخِرَةُ وَأَرْفَهُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا
تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرُبُ مِمَّا تَشْرُبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَيْسَ أَطْعَمُهُمْ بَشَرًا مِثْلُكُمْ إِنْ كُمْ إِذَا
لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعْدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِمْشُوكُمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعَظَمًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ
هَيَّاهَاتٌ هَيَّاهَاتٌ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٥﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حِيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا
وَمَا نَحْنُ بِمَعُونَينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَبُّ الْأَفْرَادِ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبِّنِي أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبْنَا ﴿٣٨﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُونَ
فَلَخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُشَّاءً بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾



يُخبر تعالى أنه أنشأ بعد قوم نوح قرناً آخرين^[١] - قيل : المراد بهم عاد ؛ فإنهم كانوا مستخلفين بعدهم ، وقيل : المراد بهؤلاء ثمود ؛ لقوله : ﴿فَأَخْذُتُهُم الصِّحَّةَ بِالْحَقِّ﴾ وأنه تعالى أرسل فيهم رسولاً منهم ، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، فكذبوا وخالفوه ، وأبوا عن^[٢] اتباعه ؛ لكونه بشراً مثلهم ، واستنكفوا عن اتباع رسول بشري ، فكذبوا بلقاء الله في القيمة ، وأنكروا المعاد الجismanي ، وقالوا : ﴿أَيُعَدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مُتُمْ وَكُتُمْ تَرَابًا وَعَظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ * هَيَّاهُاتٌ هَيَّاهُاتٌ لَا تَوْعِدُنَّ﴾ ، أي : بعيد بعید ذلك ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ، أي : فيما جاءكم به من الرسالة والندارة والإِخبار بالمعاد[﴾] وما نحن له بمؤمنين * قال رب انصرنـي بما كذبـون[﴾] ، أي : استفتح عليهم الرسول ، واستنصر ربه عليهم ، فأجاب دعاءه ، ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيَصْبِحُ نَادِيْمِ﴾ ، أي : بمخالفتك وعنادك فيما جتنـتم به ، ﴿فَأَخْذُتُهُم الصِّحَّةَ بِالْحَقِّ﴾ ، أي : وكانوا يستحقـون ذلك من الله لکفرـهم وطغيـانـهم .

[٢] - فِي زَمَانِ

[١] - في ز، خ : «آخر».

والظاهر أنه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصرصار العاصف القوي البارد^[١] ، ﴿ تدمـرـ كل شيء بأمر ربها فأصبـحـوا لا يـرـى [٢] إـلا مـساـكـنـهـمـ﴾ وقوله : ﴿ فـجـعـلـنـاـهـمـ غـشـاءـ﴾ ، أي : صرعى هلكى كغشاء السبيل ، وهو : الشيء الخير النافع الحالك الذي^[٣] لا يتفع بشيء منه ، ﴿ فـبـعـدـاـ لـقـوـمـ الـظـالـمـينـ﴾ ، كقوله : ﴿ فـوـما ظـلـمـنـاهـمـ وـلـكـنـ كـانـواـهـمـ الـظـالـمـينـ﴾ أي : بکفرهم وعنادهم ، ومخالفة رسول الله ، فليحذر السامعون أن يکذبوا رسولهم .

ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْوَافًا مَّا حَرَبَنَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْقِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَاهَا وَمَا يَسْتَخْرُجُونَ
ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَرْقِيًّا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذِبَهُ فَأَتَبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا
وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٣﴾

يقول تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا [من بعدهم] [٤] قَرْوَافًا آخَرَينَ ﴾ ، أي : أممًا وخلائق ، ﴿ ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ﴾ ، يعني : بل [يوجدون على] [٥] حسب ما قدر لهم تعالى في كتابه المحفوظ وعلمه قبل كونهم ، أمة بعد أمة ، وقرنا بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل ، وخلفاً بعد سلف .

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَرْقِيًّا ﴾ قال ابن عباس : يعني : يطبع بعضهم بعضاً ، وهذه كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعْثَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَوْا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ وقوله : ﴿ كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذِبَهُ ﴾ يعني : جمهورهم وأكثرهم ، كقوله تعالى : ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعَبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِنُونَ ﴾ وقوله : ﴿ فَأَتَبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا ﴾ ، أي : أهلكتناهم ، كقوله : ﴿ وَكُمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقَرْوَافَ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ أي : أخباراً وأحاديث للناس ، كقوله : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزْقَاتَهُمْ كُلُّ مُزْقٍ إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَعْلَمُ ﴾ [كلل صبار شكور]^[٦]

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَرُونَ بِإِيمَانِنَا وَسُلْطَانِنِ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ
وَمَلَائِكَتِهِ فَأَسْتَكَبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِيًّا ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنْتُمُ أَنْقُنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا

[١] - في ز : ترى .

[٢] - سقط من ز . وفوق الآية كتب : (كذا) .

[٣] - في ز : لقوم يؤمنون .

[٤] - في ز : الباردة .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز : يوجدون .

عَيْدُونَ ﴿٦٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَافُوا مِنَ الْمُهَلَّكِينَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

يخبر تعالى أنه بعث رسوله موسى - عليه السلام - وأخاه هارون إلى فرعون وملائمه ،
بالآيات والحجج الدامغات ، والبراهين القاطعات ، وأن فرعون وقومه استكروا عن اتباعهما ،
والانقياد لأمرهما ؛ لكونهما بشرين ، كما أنكرت الأمم الماضية بعثة الرسل من البشر ،
تشابهت قلوبهم ، فأهلك الله فرعون وملأه ، وأغرقوهم في يوم واحد أجمعين ، وأنزل على
موسى الكتاب ، وهو : التوراة ، فيها أحكامه وأوامره ونواهيه ، وذلك بعدهما قسم الله
فرعون والقبط ، وأنخذهم أحذ عزيز مقتدر ، وبعد أن أنزل الله التوراة لم يهلك أمة بعامة ،
بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين ، كما قال تعالى : ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا
أَهْلَكَنَا الْقُرُونُ الْأُولَى بِصَافَرٍ لِلنَّاسِ وَهَذِي وَرَحْمَةٌ لِعَلَمَنِ يَذَكَّرُونَ ﴿٧٠﴾ [ثم قال تعالى] [١]

وَجَعَلْنَا أَبْنَى مَرْيَمَ وَأَمْمَهُءَاءِيَّةَ وَأَوْيَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٧١﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم - عليهما السلام - أنه جعلهما آية
للناس ، أي : حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء ، فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم ،
وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، وخلق بقية الناس من ذكر
وأنثى .

وقوله : ﴿٧٢﴾ وَأَوْيَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٧٣﴾ ، قال الضحاك عن ابن عباس :
الربوة : المكان المرتفع من الأرض ، وهو أحسن ما يكون فيه النبات . وكذا قال مجاهد
وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة .

قال ابن عباس : قوله : ﴿٧٣﴾ ذات قرار يعني ماء طاهرا .

وقال مجاهد وقتادة : ربوة مستوية .

[وقال سعيد بن جبير : ﴿٧٤﴾ ذات قرار ومعين ﴿٧٥﴾ استوى الماء فيها] [٢] .

وقال مجاهد وقتادة : ﴿٧٥﴾ ومعين : الماء الجاري .

ثم اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة في أي أرض هي ؟ فقال عبد الرحمن بن زيد

[١] - ما بين المعقودين سقط من : خ .

[٢] - سقط من ت ، خ .

ابن أسلم : ليس الربي إلا بصر ، والماء حين يرسل يكون الربي عليها القرى ، ولو لا الربي غرفت القرى . وروي عن وهب بن منبه نحو هذا ، وهو بعيد جدًا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب في قوله تعالى : ﴿وَأَوْيَاهُمَا إِلَى رِبْوَةِ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال : هي دمشق .

قال : وروي عن عبد الله بن سلام ، والحسن^[١] ، وزيد بن أسلم ، وخالد بن معدان نحو ذلك .

وقال ابن أبي حاتم^[٢] : حدثنا أبو سعيد الأشعج ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال : أنها دمشق .

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : ﴿وَأَوْيَاهُمَا إِلَى رِبْوَةِ﴾ قال : عيسى ابن مرريم وأمه ، حين أويَا إلى غوطة دمشق وما حولها .

وقال عبد الرزاق : عن بشر بن رافع ، عن أبي عبد الله بن عم أبي هريرة قال : سمعت أبي هريرة يقول في قول الله تعالى : ﴿إِلَى رِبْوَةِ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال : هي الرملة من فلسطين .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الغريابي ، حدثنا رؤاد بن الجراح ، حدثنا عباد^[٣] بن عباد الخواص أبو عتبة ، حدثنا الشيباني^[٤] ، عن ابن وعلة ، عن كريب السحولي ، عن مرة البهزي قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لرجل : « إنك ميت بالربوة ». فمات بالرملة^[٥] . وهذا حديث غريب جدًا .

وأقرب الأقوال في ذلك : ما رواه العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿وَأَوْيَاهُمَا إِلَى رِبْوَةِ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال : المعين : الماء الجاري ، وهو النهر الذي قال الله تعالى : ﴿قَدْ جَعَلَ رِبِّكَ تَحْتَكَ سَرِيًّا﴾ . وكذلك قال الضحاك وقتادة : ﴿إِلَى رِبْوَةِ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ : هو بيت المقدس . فهذا والله أعلم هو الأظاهر ؛ لأن المذكور في الآية الأخرى ، والقرآن يفسر [بعضه ببعضاً] ، وهو^[٦] أولي ما^[٧] يفسر به ، ثم الأحاديث الصحيحة ، ثم الآثار .

[١] - في خ : « الحسين » .

[٢] - في ز : عبد الله .

[٣] - في ز : الشيباني .

[٤] - في خ : « بالربلة » .

[٥] - في ت : وهذا .

[٦] - ما بين المعقودتين سقط من : خ .

[٧] - ما بين المعقودتين سقط من : خ .

يَأَيُّهَا الرَّسُولُ كُلُّوْنِ مِنَ الظَّبَابِتِ وَأَعْمَلُوْنِ صَنْلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُوْنَ عَلِيمٌ^(٥١) وَلَئَنَّ
هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَنِجَادَةٌ وَإِنَّا رَبُّكُمْ فَانْقُوْنَ^(٥٢) فَتَقْطَعُوْنَ أَمْرَهُرُ بَيْنَهُمْ زِيرًا كُلُّ
حِزْبٍ بِمَا لَدَّهُمْ فَرِحُوْنَ^(٥٣) فَذَرُهُرُ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينَ^(٥٤) أَيْخَسْبُوْنَ أَنَّمَا
نُفِدُهُرُ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ^(٥٥) شَارِعُهُمْ فِي الْخَيْرَتِ كُلُّ لَا يَشْعُرُوْنَ^(٥٦)

يأمر تعالى عباده المسلمين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالأكل من الحلال ، والقيام بالصالح من الأعمال ، فدل هذا على أن الحلال عنون على العمل الصالح ، فقام الأنبياء - عليهم السلام - بهذا أتم القيام ، وجمعوا بين كل خير قوله وعمله ودلالة ونصحا ، فجزاهم الله عن العباد خيرا .

قال الحسن البصري في قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ كُلُّوْنِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ قال : أَمَا وَاللَّهُ مَا أَمْرَوْنَا بِأَصْفَرِكُمْ وَلَا أَحْمَرِكُمْ ، وَلَا حَلْوَكُمْ وَلَا حَامِضَكُمْ ، وَلَكِنْ قَالَ^[١] : انتهوا إلى الحلال منه .

وقال سعيد بن جبیر والضحاک : ﴿ كُلُّوْنِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ يعني : الحلال .

وقال أبو إسحاق السباعي ، عن أبي ميسرة عمرو بن شربيل : كان عيسى ابن مریم يأكل من غزل أمه .

وفي الصحيح^(٣٢) : « ما من نبی إلا رعنی الغنم ». قالوا : وانت يا رسول الله ؟ قال : « نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة ». .

وفي الصحيح^(٣٣) : « إن داود عليه السلام كان يأكل من كسب يده ». .

وفي الصحيحين^(٣٤) : « إن أحب الصيام إلى الله صيام داود ، وأحب القيام إلى الله قيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثة ، وينام سدسه ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، ولا يفتر إذا لاقى ». .

(٣٢) صحيح البخاري ، كتاب الإجارة حديث (٢٢٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣٣) صحيح البخاري ، كتاب البيوع حديث (٢٠٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه نحوه .

(٣٤) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة حديث (١١٣١) ، وصحیح مسلم ، كتاب الصيام (١١٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، حدثنا أبو بكر بن أبي مريم ، عن ضمرة بن حبيب : أن أم عبد الله أخت^[١] شداد بن أوس ، بعثت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقدح لبن عند فطره ، وهو صائم ، وذلك في أول النهار وشدة الحر فرد إليها رسولها : « أئن كانت لك الشاة ؟ ». فقالت : اشتريتها من مالي . فشرب منه ، فلما كان من الغد أتته أم عبد الله أخت^[٢] شداد فقالت : يا رسول الله ! بعثت إليك بلبن مرثية^[٣] لك من طول النهار وشدة الحر ، فرددت إلى الرسول فيه ؟ فقال لها : « بذلك أمرت الرسل ، [أن لا تأكل]^[٤] إلا طيبا ولا تعمل إلا صالحا»^[٥] .

وقد ثبت في صحيح مسلم^(٦) وجامع الترمذى ومسند الإمام أحمد - واللفظ له - من حديث فضيل بن مزروق ، عن عدي بن ثابت ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس ! إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ كُلُوا مِنَ الطَّيَّابَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيَّابَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ . ثم ذكر الرجل بطر السفر أشعث أغير ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، يمد يديه إلى السماء : يا رب ! يا رب ! فإني يستجاب لذلك ؟ ! . وقال الترمذى : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث فضيل ابن مزروق .

وقوله : ﴿ وَإِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ ، أي : دينكم يا معاشر الأنبياء دين واحد ، وملة واحدة ، وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ؛ ولهذا قال : ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاقْتُلُونِي ﴾ وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الأنبياء ، وأن قوله : ﴿ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ منصوب على الحال .

وقوله : ﴿ فَقَطَّعُوا أُمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زِبْرًا ﴾ ، أي : الأُمُّ الَّذِينَ بعثت^[٦] إليهم الأنبياء

(٣٥) ورواه الحاكم في المستدرك (٤/١٢٥) من طريق المعاذى بن عمران عن أبي بكر بن أبي مريم به نحوه ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وتقبه الذهبي : « قلت : وابن أبي مريم واه » .

(٣٦) صحيح مسلم برقم (١٠١٥) ، وسنن الترمذى برقم (٢٩٨٩) ، والمسند (١٥٩/٦) .

[١] - في ز ، خ : « بنت » .

[٢] - سقط من : خ . ومعنى مرثية : ترجمة لك وإشفاها . من رثى له : إذا رق وتوجع . وهي من أبيات المصادر ، نحو المغفرة والمعلنة . وقيل : الصواب أن يقال : مرثة لك . من قولهم : رثيت للحي زينا ومرثة ورثيت الميت مرثية . النهاية (٢/١٩٦) .

[٤] - في خ : « لا يأكلن » .

[٥] - في ز : بعث .

﴿ كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدِيهِمْ فَرَحُونَ ﴾ أي : يفرحون بما هم فيه من الضلال ، لأنهم يحسبون أنهم مهتدون ؛ ولهذا قال متهدداً لهم ومتوعداً : ﴿ فَلَدُرُّهُمْ فِي غُمَرَتِهِمْ ﴾ ، أي : في غيهم وضلالهم ﴿ حَتَّىٰ حِينَ ﴾ ، أي : إلى حين حيهم وهلاكهم ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رَوِيدًا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ذُرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيَلْهُمُ الْأَمْلَ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴾ .

وقوله : ﴿ أَيَحْسِبُونَ أَنَّا نَغْدِهِمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ، يعني : أينظن هؤلاء المغرورون أن ما نعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا ؟ ! كلا ، ليس الأمر كما يزعمون في قولهم : ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمُعْذِبِينَ ﴾ ، لقد أخطأوا في ذلك وخطاب رجاؤهم ، بل إنما نفعل بهم ذلك استدراجاً وإنظاراً وأملاء ؛ ولهذا قال : ﴿ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَا تَعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهِقُ أَنفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَغْلِي لَهُمْ لِيُزَدَّادُوا إِثْمًا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثَ سَنَسْتَدِرُ جَهَنَّمَ مِنْ حِيثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأَمْلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مُتِينٌ ﴾ وقال : ﴿ ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيدًا ، وَجَعَلْتَ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شَهُودًا * وَمَهْدَتْ لَهُ قَهْيَدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تَقْرِبُكُمْ عَنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مِنْ آمِنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْمُضْعُفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ ﴾ . والآيات في هذا كثيرة .

قال قنادة في قوله : ﴿ أَيَحْسِبُونَ أَنَّا نَغْدِهِمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ قال : تذكر والله بالقوم في أموالهم وأولادهم ، يا بن آدم ، فلا تعتبر الناس بأموالهم وأولادهم ، ولكن اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح .

وقال الإمام أحمد (٣٧) : حدثنا محمد [بن عبيد ، حدثنا أبان بن إسحاق ، عن الصباح ابن محمد ، عن مرة الهمданى] [١] ، حدثنا عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قسم بينكم أخلاقكم ، كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا من أحب ، فمن أعطاوه الله الدين فقد أحبه ، والذي نفسي بيده ، لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يؤمن جاره بوائقه ». قالوا : وما بوائقه يا نبي الله ؟ قال :

[١] (٣٧) المستند (٣٨٧/١).

[١] - ما بين المعقوفين ياض في ز ، خ .

« غشمـه وظـلـمـه ، وـلا يـكـسـبـ عـبـدـ مـالـاـ منـ حـرـامـ فـيـنـقـ منهـ فـيـارـكـ لـهـ فـيـهـ ، وـلا يـتـصـدـقـ بـهـ فـيـقـلـ منهـ ، وـلا يـتـرـكـهـ خـلـفـ ظـهـرـهـ إـلـاـ كـانـ زـادـهـ إـلـىـ النـارـ ، إـنـ اللهـ لـاـ يـحـوـ السـيـئـ بالـسـيـئـ ، وـلـكـنـ يـحـوـ السـيـئـ بـالـحـسـنـ ، إـنـ الحـيـثـ لـاـ يـحـوـ الـخـيـثـ » .

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَّةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِأَيَّاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُتَشَكَّرُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مَا أَتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجْهَةُ أَنْتُمْ إِنَّ رَبَّهُمْ رَجِيعُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِنَّ اللَّهَ يُعِزِّزُ بِمَا يَرَوْنَ فِي الْحَيَاةِ وَهُمْ لَا يُسِيقُونَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَّةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴾ ، أي : هم مع [١] إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح ، مشفقون من الله خائفون منه ، وجلون من مكره بهم ؛ كما قال الحسن البصري : إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة ، وإن المنافق جمع إساءة وأمناً .

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، أي : يؤمنون بآياته الكونية والشرعية ؛ كقوله تعالى إخباراً عن مريم عليها السلام : ﴿ وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكَتَبَهُ ﴾ ، أي : أيدت أن ما كان فائماً [٢] هو عن قدر الله وقضائه ، وما شرعه الله فهو إن كان أمراً فمما يحبه ويرضاه ، وإن كان نهياً فهو مما يكرهه ويأباه ، وإن كان خيراً فهو حق ، كما قال الله : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُتَشَكَّرُونَ ﴾ ، أي : لا يبعدون معه غيره ، بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله ، أحداً صمدأ ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وأنه لا نظير له ولا كفء له .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مَا أَتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجْهَةُ أَنْتُمْ إِنَّ رَجِيعَكُمْ رَجِيعُونَ ﴾ . أي : يعطون العطاء [٣] وهو خائفون أن لا يتقبل منهم ، لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء ، وهذا من باب الإشراق [٤] والاحتياط .

كما قال الإمام أحمد [٣٨] : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا مالك بن مغول ، حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن وهب ، عن عائشة أنها قالت : يا رسول الله ! ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مَا أَتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجْهَةٌ ﴾ [٥] هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر ، وهو يخاف الله عز وجل ؟ قال : « لا يا بنت أبي بكر يا بنت الصديق ، ولكنه الذي [يصلى [٦]] بصوم

[٣٨] المسند (١٥٣٧٠) (١٥٩/٦) والحديث أخرجه الترمذى في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن =

[١] - في ز : من .

[٢] - في خ : إنما .

[٣] - في ز : فيه .

[٤] - في ز : الأشراق .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - يا رسول الله .

ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل» .

وهكذا رواه الترمذى وابن أبي حاتم من حديث مالك بن مغول به بفتحه . وقال : « لا ، يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل [١] منهم » **﴿ أولئك يسارعون في الحirيات ﴾** . وقال الترمذى : روى هذا الحديث من حديث عبد الرحمن بن سعيد ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا .

وهكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظى والحسن البصري فى تفسير هذه الآية .

وقد قرأ آخرون هذه الآية : **(والذين يأتون ما أتوا وقلوبهموجلة)** ، أي : يفعلون ما يفعلون وهم خائفون . وروي هذا مرفقا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ كذلك .

قال الإمام أحمد [٢] : حدثنا عفان ، حدثنا صخر بن جويرية ، حدثنا إسماعيل المكي ، حدثنا أبو خلف مولى بني جمع ، أنه دخل مع عبيد بن عمر على عائشة - رضي الله عنها - فقالت : مرحباً بآبى عاصم ، ما يمنعك أن تزورنا أو ثلثة بنا ؟ فقال : أخشى أن أملأك . قالت : ما كنت لتفعل . قال : جئت لأسائلك [٣] عن آية في [٤] كتاب الله عزوجل ، كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها . قالت : آية آية ؟ فقال : **﴿ الذين يؤتون ما عاتوا﴾** أو **﴿ الذين يأتون ما أتوا﴾** قالت : أيتهما أحب إليك ؟ فقلت : والذى نفسي بيده ، لإحداهما أحب إلى من الدنيا جميعاً - أو الدنيا وما فيها -. قالت : وما هي ؟ فقلت : **﴿ الذين يأتون ما أتوا﴾** قالت : أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك [٤] كان يقرؤها ، وكذلك أنزلت ، ولكن الهجاء حرف .

إسماعيل بن مسلم المكي [٥] ضعيف . والمعنى على القراءة الأولى - وهي قراءة الجمهور : السبعة وغيرهم - أظهره ؛ لأنه قال : **﴿ أولئك يسارعون في الحirيات وهم لها سابقون ﴾**

= سورة «المؤمنون» . (٥/٣٢٧، ٣٢٨/رقم : ٣١٧٥) . وابن ماجة في كتاب الرهد ، باب : التوفيق على العمل (٢/٤٠٤/رقم : ٤١٩٨) . والحاكم في مستدركه (٣٩٣/٢-٣٩٤) . كلهم من طريق مالك بن مغول به . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٣٩) المسند (٩٥/٦) (٢٤٧٥٣) وإسماعيل المكي : قال الحافظ في التعجيل في ترجمة أبي خلف : إسماعيل المكي هو ابن أمية ، أحد الثقات المشهورين من رجال الصحيح ، وظن شيخنا الهيثمي =

[١] - في ز : يقبل .

[٢] - في ز : لأسأل .

[٤] - في ز : كنا .

[٣] - في خ : من .
[٥] - في ت : « وهو » .

فجعلهم من السابقين ، ولو كان المعنى على القراءة الأخرى لأوشك أن لا يكونوا من السابقين ، بل من المقصرين أو المقصرين ، والله تعالى أعلم .

وَلَا يُكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطَقُ بِالْحَقِّ وَهُرُزٌ لَا يُظْلَمُونَ ٦٧
 قَلْوَاهُمْ فِي عَمَرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَنِيلُونَ ٦٨ حَقَّ إِذَا
 أَخْذَنَا مُتَرَفِّهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَبْخَرُونَ ٦٩ لَا يَجْتَرِرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِّنَ الْأَنْصَارِ
٦٥ فَذَ كَانَتْ عَائِدَتِي نُتَلَّ دَلِيلَكُمْ فَكَسْتُرَ عَلَى أَعْقَلِكُمْ ثَنَكُصُونَ
٦٦ مُشْتَكِرِينَ يِه سِمِّرَا تَهْجِرُونَ

يقول تعالى مخبراً عن عده في شرعيه على عباده في الدنيا : أنه لا يكلف نفسه إلا وسعها ، أي : إلا ما تطيق حمله والقيام به ، وأنه يوم القيمة يحاسبهم بأعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور لا يضيع منه شيء ، ولهذا قال : ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطَقُ بِالْحَقِّ ﴾ ، يعني : كتاب الأعمال ﴿ وَهُرُزٌ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ، أي : لا يغسرون من الخير شيئاً ، وأما السيئات فيعفو ويصفح عن كثير منها لعباده ^[١] المؤمنين .

ثم قال منكراً على الكفار والمرشكين ، من قريش : ﴿ بِلْ قَلْوَاهُمْ فِي عَمَرَةٍ ﴾ ، أي : في غفلة وضلاله ^[٢] من هذا ^[٣] ، أي : القرآن الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم .
 قوله : ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَنِيلُونَ ﴾ قال الحكم بن أبيان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَالٌ ﴾ ، أي : سيئة ^[٤] من دون ذلك ^[٥] ، يعني :

— في مجمع الزوائد له أنه إسماعيل بن مسلم المكي ، وليس كما ظن . (التعجيل ترجمة ١٢٦٤) .
 أبو خلف ؛ قال في التعجيل : لا يعرف ، وذكره أبو أحمد الحاكم في الكني فيمن لم يقف له على اسم . قال الحافظ : وقد تابع عفان وبيهيد ؛ عبد الوهاب بن عطاء عن صخر ، أخرجه أبو العباس السراج في تفسيره ، وقد تابع إسماعيل على روايته عن أبي خلف المذكور طلحة بن عمرو المكي ، آخرجه إسحاق بن راهويه في مستنه عن عبد الله بن ثمير ، عن طلحة ، وأخرجه الحاكم أيضًا من طريق وكيع عن طلحة ، فصار أبو خلف بذلك مشهوراً بعد أن كان مجاهلاً ، لكن بقي بيان حاله . التعجيل ت ١٢٦٤ .

والحديث عزاه الهشمي في مجمع الزوائد (٧٢/٧) لأحمد ، وقال : « وفيه إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف » .

[١] - في ز : بعباده .

الشرك ﴿ هم لها عاملون ﴾ قال : لا بد أن يعملاها . وكذا روی عن مجاهد والحسن وغير واحد .

وقال آخرون : ﴿ لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ﴾ ، أي : قد كتب عليهم أعمال سيئة لابد أن يعملاها قبل موتهما لا محالة ، لتحق عليهم كلمة العذاب .

روي نحو هذا عن مقاتل بن حيان والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهو ظاهر قوي حسن . وقد قدمنا في حديث ابن مسعود : « فوالذي لا إله غيره ، إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ». .

وقوله : ﴿ حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون ﴾ ، يعني : حتى إذا جاء مترفيهم - وهم : السعداء المنعمون في الدنيا - عذاب الله وبأسه ونقمته بهم ﴿ إذا هم يجأرون ﴾ ، أي : يصرخون ويستغيثون ، كما قال تعالى : ﴿ وذرني والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا إن الدين أنكالا وجحيمًا وطعامًا ذا غصة وعداها أليمًا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ كم أهلکنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص ﴾

وقوله : ﴿ لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنتصرون ﴾ ، أي : لا نخيركم مما حل بكم ، سواء جأرتم أو سكتم ، لا مجيد ولا مناص ولا وزر لوم الأمر ، ووجوب العذاب . ثم ذكر أكبر ذنوبهم فقال : ﴿ قد كانت آياتي تتلى عليكم فكتم على أعقابكم تنكصون ﴾ ، أي : إذا ذُعِيتُمُ أَيْسِتُمْ ، وإن طُلُبْتُمُ امْتَعْتُمْ ﴿ ذلكم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تَؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ .

وقوله : ﴿ مستكبرين به سامراً تهجرون ﴾ في تفسيره قوله ، أحدهما : أن ﴿ مستكبرين به ﴾ حال منهم حين نكوصهم عن الحق وإبائهم إياه ، استكباراً عليه واحتقاراً له وأهله ، فعلى هذا الضمير في ﴿ به ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه الحرم بمكة ، ذموا لأنهم كانوا يسمرون^[١] به الهجر من الكلام .

والثاني : أنه ضمير القرآن ، كانوا يسمرون ويدكرون القرآن بالهجر من الكلام : إنه سحر ، إنه شعر ، إنه كهانة ، إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة .

والثالث : أنه محمد صلى الله عليه وسلم ، كانوا يذكرون في سرورهم بالأقوال الفاسدة ، ويضربون له الأمثال الباطلة ، من أنه شاعر ، أو كاهن ، أو ساحر ، أو كذاب ، أو مجنون ،

[١] - في خ : « يمرون » .

وكل ذلك باطل ، بل هو عبد الله رسوله ، الذي أظهره الله عليهم وأخرجهم من الحرم صاغرين أذلاء .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ﴾ أي : بالبيت ، يفتخرون به ، ويعتقدون أنهم أولياؤه ، [وليسوا بهم]^[١] . كما قال النسائي في التفسير من سننه :

أخبرنا أحمد بن سليمان ، أخبرنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، أنه سمع سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس أنه قال : إنما كره السمر حين نزلت هذه الآية : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ ، فقال : مستكبرين بالبيت ، يقولون : نحن أهله ، ﴿ سَامِرًا ﴾ ، قال : كانوا يتکبرون ويسموون فيه ، ولا يعمرونه وبهجرونه [^[٢]] (٤٠) . وقد أطرب ابن أبي حاتم هاهنا ، بما ذا حاصله .

أَفَلَمْ يَدْبِرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءُهُ مَا تَرَىٰ يَأْتِي أَبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ حِنْنَةً بَلْ جَاءُهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَفِرُهُنَّ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ أَتَبَعُ الْحَقَّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ الْأَسْمَوَاتِ وَالْأَرْضُ وَنَّ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُغَرَّبُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَشَلُّهُمْ حَرَاجًا فَخَرَاجٌ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرِّزْقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الْصِرَاطِ لَنَكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِنْتُهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضَرِّ لَلَّهُجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾

يقول تعالى منكرا على المشركين في عدم تفهمهم للقرآن العظيم ، وتدبرهم له ، و[٣] إعراضهم عنه ، مع أنهم قد خصوا بهذا الكتاب الذي لم ينزل الله على رسول أكمل منه ولا أشرف ، لا سيما آباءهم [٤] الذين ماتوا في الجاهلية ، حيث لم يلفهم كتاب ولا أتاهم نذير ، فكان اللائق بهؤلاء أن يقابلوا النعمة التي أسدتها الله إليهم بقبولها ، والقيام بشكرها

(٤٠) سنن النسائي الكبرى برقم (١١٣٥١) .

[١] - ما بين المعقوفين في خ : « ولست به » .

[٢] - ما بين المعقوفين في خ : « يتکبرون يعمرونه وبهجرونه » .

[٣] - في ز : وفي . [٤] - في ز : آباءهم .

وتفهمها ، والعمل بمقتضاهما آناء الليل وأطراف النهار ، كما فعله النجباء منهم من أسلم واتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم .

وقال قتادة : ﴿ أَفَلَمْ يَدْبِرُوا الْقَوْلَ ﴾ : إِذَا وَاللهُ يَجِدُونَ فِي الْقُرْآنِ زَاجِرًا عَنْ مُعْصِيَةِ اللهِ لَوْ تَدْبِرُهُ الْقَوْمُ وَعَقْلُهُمْ أَخْذَوْا بِمَا تَشَابَهَ بِهِ فَهَلْكُوا عِنْدَ ذَلِكَ .

ثم قال منكراً على الكافرين من قريش : ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرُفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾ ، أي : أَفَهُمْ^[١] لَا يَعْرُفُونَ مُحَمَّداً وَصَدِيقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَصَيَّانَتَهُ الَّتِي نَشَأَ بِهَا فَيَهُمْ ؟ أَيْ : أَفَيَقْدِرُونَ عَلَى إِنْكَارِ ذَلِكَ وَالْمَبَاهِثَ فِيهِ ؟ وَلِهَذَا قَالَ جَعْفُرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لِلنَّجَاشِي مَلِكَ الْجِشَّةِ : أَيْهَا الْمَلِكُ ؛ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولًا نَعْرَفُ نِسْبَهُ وَصَدِيقَهُ وَأَمَانَتَهُ .

وهكذا قال المغيرة بن شعبة لنائب كسرى حين بارزهم . وكذلك قال أبو سفيان صخر ابن حرب ملك الروم هرقل ، حين سأله وأصحابه عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه وصدقه وأمانته ، وكانوا بعد كفاراً لم يسلموا ، ومع هذا ما أمكنهم إلا الصدق فأعترفوا بذلك .

وقوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جَنَّةً ﴾ يُحَكِّي^[٢] قولَ الْمُشَرِّكِينَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ تَقُولُ الْقُرْآنَ ، أَيْ : افْتَرَاهُ مِنْ عِنْدِهِ ، أَوْ أَنَّهُ بِهِ جَنَّوْنَا لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ ، وَأَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّ قُلُوبَهُمْ لَا تَؤْمِنُ بِهِ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ بِطَلَانَ مَا يَقُولُونَ فِي الْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ قَدْ أَثَاهُمْ مِنْ كَلَامِ اللهِ مَا لَا [يَطِقُ وَلَا^[٣] يَدْافِعُ] ، وَقَدْ تَحْدَاهُمْ وَجَمِيعُ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَأْتُوا بِهِنَّهُ ، فَمَا اسْتَطَاعُوا وَلَا يَسْتَطِيُّونَ أَبْدِ الْأَبْدِينَ ؛ وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ بَلْ جَاءُهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ جَمِيلَةُ حَالِيَّةٍ ، أَيْ : فِي حَالَةٍ^[٤] كُرَاهَةُ أَكْثَرِهِمْ لِلْحَقِّ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ خَبْرِيَّةُ مُسْتَأْنَفَةٍ ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

وقال قتادة : ذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ رَجُلًا فَقَالَ لَهُ : « أَسْلَمَ » . فقال الرجل : إِنِّي لَتَدْعُونِي إِلَى أَمْرٍ أَنَا لَهُ كَارِهٌ . فَقَالَ نَبِيُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ كَتَتْ كَارَهًا » . وَذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ لَقِيَ رَجُلًا فَقَالَ لَهُ : « أَسْلَمَ » . فَنَصَعَّدَهُ ذَلِكَ وَكَبَرَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ نَبِيُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَرَأَيْتَ لَوْ كَتَتْ فِي طَرِيقٍ وَغَرْ وَغُثْ ، فَلَقِيتَ رَجُلًا تَعْرَفُ وَجْهَهُ وَتَعْرَفُ نِسْبَهُ ، فَدَعَاكَ إِلَى طَرِيقٍ وَاسِعٍ سَهْلٍ^[٥] ، أَكَتَتْ مَتَّبِعِهِ ؟ » . قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : « فَوَالَّذِي^[٦] نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنِّي لَفِي أَوْعَرِ مِنْ

[١] - في ز : فهم .

[٢] - بياض في ز .

[٣] - في ز : حال .

[٤] - في ز : والذى .

[٥] - في ت : أسهل .

ذلك الطريق لو قد كنت عليه ، واني لأدعوك [إلى أسهل]^[١] من ذلك لو دعيت إليه ». . وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم لقى رجلاً فقال له^[٢] : « أسلم ». فصعده ذلك ، فقال له نبى الله صلى الله عليه وسلم : « أرأيت فتنيك ؟ أخذهما إذا حدثك صدفك ، وإذا ائتمته أدى إليك ، أهو أحب إليك أم فاك الذي إذا حدثك كذبك ، وإذا ائتمته خانك ؟ ». قال : بل فتاي الذي إذا جدثني صدقني ، وإذا ائتمته أدى إليء . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كذاكم أنتم^[٣] عند ربكم » .

وقوله : ﴿ وَلَوْ اتَّبَعُ الْحَقَّ أَهْوَاهُمْ لِفَسْدِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ قال مجاهد وأبو صالح والسدي : الحق هو الله عز وجل ، والمراد : لو أجبتهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى ، وشرع الأمور على وفق ذلك ، ﴿ لِفَسْدِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ ، أي : لفساد أهواهم واحتلafها .

كما أخبر عنهم في قوله : ﴿ لَوْلَا نَزَلَ ﴾^[٤] هذا القرآن على رجل من القرتيين عظيم[﴾] ، ثم قال : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكُمْ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَمْ سَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَوْرًا ﴾ ، وقال : ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ ، ففي هذا كله تبين عجز العباد ، واختلاف آرائهم وأهواهم ، وأنه تعالى هو الكامل في جميع صفاته ، وأقواله وأفعاله ، وشرعه وقدره ، وتديره لخلقه ، تعالى وتقديره ، فلا إله غيره ، ولا رب سواه . ثم قال : ﴿ بَلْ أَنْتُمْ بَدَّلُوكُمْ بِذِكْرِهِمْ ﴾ يعني القرآن . ﴿ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مَعْرُضُونَ ﴾ .

وقوله : ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ حَزْجًا ﴾ ، قال الحسن : أجزا . وقال قتادة : جعل[﴾] فخرج ربك خير[﴾] أي : أنت لا تسألكم أجرًا^[٥] ولا جعلًا ولا شيئاً على دعوتك إياهم إلى الهدى ، بل أنت في ذلك تحسب عند الله جزيل ثوابه ، كما قال : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ وقال : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنْ التَّكَلَّفِينَ ﴾ وقال : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا المُودَةُ فِي الْقُرْبَى ﴾ ، وقال : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمَ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبَعُوا مِنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مَهْتَدُونَ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴾ . قال الإمام أحمد :

[١] - في خ : أسهل .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : أجرة .

حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه - فيما يرى النائم - ملكان ، فقعد أحدهما عند رجليه ، والآخر عند رأسه ، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه : اضرب مثل هذا ومثل أنته . فقال : إن [مثل هذا]^[١] ومثل أنته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مفازة ، فلم يكن معهم من الراد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به ، فيينا هم كذلك ؟ إذ أتاهم رجل في حالة حبرة ، فقال : أرأيتم إن وردت بكم^[٢] رياضًا معشبة ، وحياضًا رواء ، تتبعوني ؟ فقالوا : نعم . قال : فانطلق بهم ، فأوردهم رياضًا معشبة وحياضًا رواء ، فأكلوا وشربوا وسمعوا ، فقال لهم : ألم الفكم على تلك الحال ، فجعلتهم لي إن وردت بكم رياضًا معشبة وحياضًا رواء أن تتبعوني ؟ قالوا : بلى . قال : فإن بين أيديكم رياضًا أعشب من هذه ، وحياضًا هي أروى من هذه ، فاتبعوني . قال : فقال طائفة : صدق والله ، لتبتعته . وقالت طائفة : قد رضينا بهذا نقيم عليه^(٤) .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا زهير ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا يعقوب ابن عبد الله الأشعري ، حدثنا حفص بن حميد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني مسكت بمحجزكم : هلئم عن النار ! هلئم عن النار ! وتغلبني ، وتقاهمون فيها تقاصم الفرائش والجنادب ، فأوشك أن أرسل حجزكم ، وأنا فرطكم على الحوض ، فتردون على معا وأشتاتا ، أعرفكم بسيماكم وأسمائكم ، كما يعرف الرجل الغريب من الإبل في إبله ، فيذهب بكم ذات اليمين وذات الشمال ، فأناشد فيكم رب العالمين : أي رب ، قومي أي رب ، أمتى ! فيقال : يا محمد ؛ إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدهك ؛ إنهم كانوا يمشون بعدك القهقرى على أعقابهم . فلأعرفن^[٣] أحدكم يأتي يوم القيمة يحمل شاة لها ثغاء ينادي : يا محمد ؛ يا محمد ؛ فأقول : لا أملك لك [من الله^[٤] شيئاً ، قد بلغت . ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيمة يحمل بغيرها له رغاء ينادي : يا محمد ؛ يا محمد ؛ فأقول : لا أملك لك شيئاً قد بلغت . ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيمة يحمل فرساً له حمامة ، فينادي : يا محمد ؛ يا محمد ؛ فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد بلغت . ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيمة يحمل سقاء^[٥] من أدم ينادي : يا محمد ؛ يا محمد ،

٤١) المستند (٢٦٧/١) .

[١] - في ز : مثله .

[٢] - في خ : « فلاغن » .

[٤] - في ز ، خ : « شيئاً » .

[٢] - سقط من ز .

[٤] - سقط من ز .

فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد بلغت (٤٢) .

وقال علي بن المديني : هذا حديث حسن الإسناد ، إلا أن حفص بن حميد مجهول ، لا أعلم روى عنه غير يعقوب بن عبد الله الأشعري القمي .

قلت : بل قد^[١] روى عنه أيضاً أشعث بن إسحاق ، وقال فيه يحيى بن معين : صالح . ووثقه النسائي وابن حبان .

وقوله : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَا كُبُونٌ ﴾ ، أي : لعادلون حائزون منحرفون . تقول العرب : نكب فلان عن الطريق : إذا زاغ عنها .

وقوله : ﴿ وَلَوْ رَحْمَنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بَيْهُمْ مِنْ ضُرٍّ لِلْجَوَافِي طَغْيَانَهُمْ يَعْمَلُونَ ﴾ يخبر تعالى عن غلظتهم في كفرهم ، بأنه لو أزاح عللهم وأفههم القرآن ، لما انقادوا له ، ولا استمرروا على كفرهم وعنادهم وطغيانهم . كما قال تعالى : [﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْعَهُمْ وَلَوْ أَسْعَهُمْ لَتَرَلُوا وَهُمْ مَعْرُضُونَ ﴾] .

وقال : [٢] ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى الدَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نَرَدْ وَلَا نَكْذِبْ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يَخْفَوْنَ مِنْ قَبْلِهِ وَلَوْ رَدَوْ لَعَادُوا لَمَا نَهَوْا عَنْهِ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاةُ الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمُعْوَذَتِهِنَّ ﴾ فهذا من باب علمه تعالى بما لا يكون لو كان كيف كان^[٣] يكون .

قال الضحاك : عن ابن عباس : كل ما فيه « لو » فهو مما لا يكون أبداً .

وَلَقَدْ أَخْذَنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا أَسْتَكَنُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَرُّونَ  **حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا**

(٤٢) أورده الحافظ في المطالب العلية (٣٧٥/٥) ، والبصيري في الإتحاف ، وقال : هذا إسناد فيه مقال ، حفص بن حميد قال فيه ابن المديني : مجهول ، لا أعلم روى عنه غير يعقوب . وقال النسائي : ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات ، ويعقوب بن عبد الله ؛ قال الطبراني : ثقة . وقال النسائي : ليس به بأس . وقال الدارقطني : ليس بالقوي ، وذكره ابن حبان في الثقات . وبباقي رجال الإسناد ثقات . وله شاهد في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة .

وقال الهيثمي في المجمع (٨٥/٣) : « رواه أبو يعلى في الكبير والبزار إلا أنه قال : حمل قشطاً مكان سقاء . ورجال الجميع ثقات ». .

[١] - سقط من ز .

[٢] - ما بين المukoفين سقط من : [خ] .

[٣] - سقط من : م .

عَلَيْهِمْ بَأْبَا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِنَّا هُنْ فِيهِ مُتَّسِعُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئَدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحِبِّي وَيُمِيِّزُ وَلَهُ اخْتِلَافُ أَيَّلٍ وَالنَّهَارِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَاتُلُوا مِثْلَ مَا قَاتَلَ الْأَوْلَوْنَ ﴿٨١﴾ قَاتُلُوا أَءَذَا مِنْتَنَا
وَكُنَّا نُرَأِيَا وَعَظَلَنَا أَعْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَخْنُ وَإَبَأْتُنَا هَذَا مِنْ قَبْلِ
إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

يقول تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَخْذَنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ ، أي : ابتليناهم بالمصائب والشدائد ،
﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ ، أي : مما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر
والخالفة ، بل استمرروا على غيهم وضلالهم ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾ ، أي : ما^[١] خشعوا ،
﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ ، أي : ما^[٢] دعوا ، كما قال تعالى : ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْتَنَا
تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسْتَ قُلُوبَهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن حمزة المروزي ، حدثنا
علي بن الحسين ، حدثنا أبي ، عن يزيد - يعني النحوى - ، عن عكرمة ، عن ابن عباس
أنه قال : جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ؟ أنشدك الله
والرحم ، فقد أكلنا العلوز - يعني : الوبر والدم - ، فأنزل الله : ﴿وَلَقَدْ أَخْذَنَاهُمْ بِالْعَذَابِ
فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ .

وهكذا رواه النسائي^(٤٣) عن محمد بن عقيل ، عن علي بن الحسين ، عن أبيه ، به .
وأصل هذا الحديث في الصحيحين ، أن^[٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش
حين استعصوا فقال : « اللهم ؟ أعني عليهم بسبع كسبع يوسف^(٤٤) ». .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا عبد الله

(٤٣) سنن النسائي الكبير برقم (١١٣٥٢) .

(٤٤) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن (٤٦٩٣) ، وصحيف مسلم ، كتاب صفة القيامة (٢٧٩٨) من
حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

[١] - سقط من ز .

[٣] - في ز : عن .

[٢] - سقط من ز .

ابن إبراهيم بن عمر بن كيسان ، حدثني وهب بن عمر بن كيسان قال : حبس وهب بن منبه ، فقال له رجل من الأبناء : ألا أنشدك ييتا من شعر يا أبا عبد الله ؟ فقال وهب : نحن في طرف من عذاب الله ، والله تعالى يقول : ﴿ وَلَقَدْ أَخْذَنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْظَرُونَ ﴾ . قال : وسام وهب ثلثاً متواصلة ، فقيل له : ما هذا الصوم يا أبا عبد الله ؟ قال : أحدث لنا فأحدثنا . يعني : أحدث لنا [الحبس فأحدثنا]^[١] زيادة عبادة .

وقوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَأْيَا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ . أي : حتى إذا جاءهم أمر الله ، وجاءتهم الساعة بغتة ، وأخذهم من عقاب الله ما لم يكونوا يحتسبون ، فعند ذلك أُبْلَسُوا^[٢] من كل خير ، وأيسوا من كل راحة ، وانقطعت آمالهم ورجاؤهم .

ثم ذكر تعالى نعمته على عباده في أن جعل لهم السمع والأبصار والأفداء ، وهي العقول والفهم ، التي يدركون بها الأشياء ، ويعتبرون بما في الكون من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى ، وأنه الفاعل المختار لما يشاء .

وقوله : ﴿ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ ، أي : وما أقل شكركم لله على ما أنعم به عليكم !
قوله : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ لَوْلَا حَرَصُتْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

ثم أخير تعالى عن قدرته العظيمة وسلطانه القاهر في بدئه الخلية ، وذرئه لهم في سائر أقطار الأرض ، على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم ، ثم يوم القيمة يجمع الأولين منهم والآخرين لملاقات يوم معلوم ، فلا يترك منهم صغيراً ولا كبيراً ، ولا ذكراً ولا أنثى ، ولا جليلاً ولا حقيراً ، إلا أعاده كما أبداه ، ولهذا قال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَحْيِي وَيَمْتِتْ ﴾ ، أي : يحيي الرم ويفتت الأمم ، ﴿ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ ﴾ ، أي : وعن أمره تسخير الليل والنهار ، كل منها يطلب الآخر طلبًا حينما ، يتغابان لا يفتران ، ولا يفترقان بزمان غيرهما ؛ كقوله تعالى : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْلَّيلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلُّ فِي فَلْكٍ يَسْبِحُونَ ﴾ .

وقوله : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ، أي : أليس لكم عقول تدللكم على العزيز العليم ، الذي قد قهر كل شيء ، وعز كل شيء وخضع له كل شيء ؟

ثم قال مخبراً عن منكريبعث ، الذين أشبهوا من قبلهم من المكذبين : ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلُ مَا قَالَ الْأُولَوْنَ * قَالُوا أَنَّا مَتَّا وَكَنَا تَرَابًا وَعَظَامًا أَنَّا لَمْ يُعْوَذُونَ ﴾ ، يعني : يستبعدون وقوع ذلك بعد صيرورتهم إلى البَيْعِ ، ﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلِ إِلَّا

[١] - في ز : أيسوا .

[٢] - بياض في ز .

أساطير الأولين ﴿٢﴾ ، يعنيون : الإعادة محال ، إنما يخبر بها من تلقاها عن كتب الأولين واختلافهم . وهذا الإنكار والتکذيب منهم كقوله تعالى إخباراً عنهم : ﴿إِنَّا كُنَّا عَظَامًا نَخْرَةٌ * قَالُوا تَلَكَ إِذَا كُرَةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ وقال تعالى : ﴿أَوْلَمْ يَرَى إِنَّ اهْلَنَارٍ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نَطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مِّنْنَا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعَظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَةٍ وَهُوَ بَكْلَ خَلْقٌ عَلِيمٌ﴾

قُلْ لَمَّا نَبَتَ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَشْعُرُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَعْرَوْ وَهُوَ يُبْشِّرُ وَلَا يُمْحِي كُلُّ أَنْوَارٍ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَإِنَّ شَرَوْتُ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَلَأَنَّهُمْ لَكَذَّابُونَ ﴿٨٩﴾

يقرر تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ؛ ليرشد إلى أنه الذي لا إله إلا هو ، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ، ولهذا قال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين العابدين معه غيره ، المعرفين له بالربوبية ، وأنه لا شريك [١] له فيها ، ومع هذا فقد أشركوا معه في الإلهية ، عبدوا غيره معه ، مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئاً ، ولا يملكون شيئاً ، ولا يستبدلون بشيء ، بل اعتقادوا أنهم يقربونهم إليه زلفى : ﴿[٢] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيَقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زَلْفَى﴾ فقال : ﴿قُلْ لَمَّا نَبَتَ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ ، أي : مَنْ مَالَكُها الَّذِي خَلَقَهَا وَمَنْ فِيهَا مِنَ الْحَيَاةِ وَالنَّباتِ وَالثَّمَرَاتِ ، وَسَائِرَ صُنُوفِ الْخَلْقَاتِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ ، أي : فيعترفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له ، فإذا كان ذلك ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أنه لا تنبغي العبادة إلا للخالق الرازق لا لغيره .

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ أي : من هو خالق العالم العلوي بما فيه من الكواكب النيرات ، والملائكة الخاضعين له في سائر الأقطار منها والجهات ، ومن هو رب العرش العظيم ، يعني : الذي هو سقف المخلوقات ، كما جاء في الحديث الذي

[١] - في ز : إنما نعبدهم .

[٢] - في ز : شرك .

رواه أبو داود^(٤٥) ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « شأن الله أعظم من ذلك ، إن عرشه على سمواته هكذا » - وأشار بيده مثل القبة .

وفي الحديث الآخر^(٤٦) : « ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاء بأرض فلاة ، وإن الكرسي بما فيه بالنسبة إلى العرش كذلك الحلقة في تلك الفلاة » ولهذا قال بعض السلف : إن مسافة ما بين قطري العرش من جانب إلى جانب مسيرة خمسين ألف سنة ، [وارتفاعها عن الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة]^[١] . قال الضحاك عن ابن عباس : إنما سمى عرضاً لارتفاعه . وقال الأعمش : عن كعب الأحبار : إن السماوات والأرض^[٢] في العرش ؛ كالقنديل المعلق بين السماء والأرض .

وقال مجاهد : ما السماوات والأرض في العرش إلا كحلقة في أرض فلاة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا العلاء بن سالم ، حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان الثوري ، عن عماد الدُّهْنِي ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : العرش لا يقدر أحد قدره . وفي رواية : إلا الله عز وجل .

وقال بعض السلف : العرش من ياقوتة حمراء .

ولهذا قال هاهنا : ﴿ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ، يعني : الكبير ، وقال في آخر السورة : ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ ، أي : الحسن البهوي ، فقد جمع العرش بين العظمة في الاتساع ، والعلو والحسن الباهر ، ولهذا قال من قال : إنه من ياقوتة حمراء .

(٤٥) سنن أبي داود حديث (٤٧٢٦) من حديث محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، عن جده جبير بن مطعم رضي الله عنه . وقال المنذري : هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ من وجهه من الوجوه إلا من هذا الوجه . ولم يقل به محمد بن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة ، ومحمد بن إسحاق مدلس ، وإذا قال المدلس : عن فلان ، ولم يقل : حدثنا - أو سمعت ، أو أخبرنا - لا يحتاج بحديثه . وقال الحافظ أبو القاسم الدمشقي : وقد تفرد به يعقوب بن عتبة بن المنizer بن الأخنس التقفي ، عن جبير بن محمد بن مطعم القرشي التوفلي ، وليس لهما في الصحيحين رواية . وإنفرد به محمد بن إسحاق ، عن يعقوب وابن إسحاق لا يحتاج بحديثه . وقال البيهقي في الأسماء والصفات : وهذا حديث يتفرد به محمد بن إسحاق عن يعقوب ، وصاحبوا الصحيح لم يحتاجا به .

(٤٦) تقدم تخریجه (سورة البقرة / آية ٢٥٥) ، (سورة النساء / آية ١٦٤) .

وقال ابن مسعود : إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار ، نور العرش من نور وجهه .

وقوله : ﴿ سِيَقُولُونَ لِلَّهِ[١] قُلْ أَفَلَا تَتَقَوَّنَ ﴾ ، أي : إذا كنتم تعرفون بأنه رب السماوات ورب العرش العظيم ، أفلأ تختلفون عقابه وتحذرون عذابه ، في عبادتكم معه غيره وإشراككم به ؟

قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتاب « التفكير والاعتبار » : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا عبد الله بن جعفر ، أخبرني عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يحدث عن امرأة كانت في الجاهلية على رأس جبل ، معها ابن لها يرعى غنماً ، فقال لها ابنها : يا أمّاه ، من خلقك ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق أبي ؟ قالت : الله . قال : فمن خلقي ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق السماوات ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق الأرض ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق الجبل ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق هذه الغنم ؟ قالت : الله . قال : فإني أسمع لله شأنًا ، ثم ألقى نفسه من الجبل فتقطع . قال ابن عمر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يحدثنا هذا الحديث . قال عبد الله بن دينار : كان ابن عمر كثيراً ما يحدثنا بهذا الحديث .

قلت : في إسناده عبد الله بن جعفر المديني والد الإمام على بن المديني ، وقد تكلموا فيه . فالله أعلم .

﴿ قُلْ مَنْ يَدْعُ كُلَّ شَيْءٍ[٢] ، أَيْ : يَدْعُ الْمَلَكَ ﴾ ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، أي : متصرف فيها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا والذى نفسي بيده » ، وكان إذا اجتهد في اليمين قال : « لا ومقلب القلوب » ، فهو سبحانه الخالق المالك المتصرف ، ﴿ وَهُوَ يَجْرِي وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ[٣] ﴾ كانت العرب إذا كان السيد فيهم فأجار أحداً ، لا يُحقر في جواره ، وليس من دونه أن يجير عليه ؛ لولا يفتات عليه ، ولهذا قال الله : ﴿ وَهُوَ يَجْرِي وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ[٤] ، أَيْ : وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه ، الذي له الخلق والأمر ، ولا معقب لحكمه ، الذي لا يمانع ولا يخالف ، وما شاء كان ، وما لم يشاً لم يكن ، وقال الله : ﴿ لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يَسْأَلُونَ[٥] ﴾ أي : لا يسأل عما يفعل لعظمته وكبرياته وقهره وغلبته وعزته ، وحكمته وعدله [٦] ، والخلق كلهم يسألون عن أعمالهم ، كما قال تعالى : ﴿ فَوْرِيكَ لِنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ[٧] ﴾ .

وقوله : ﴿ سِيَقُولُونَ لِلَّهِ [١] ﴾ ، أي : سيعترفون أن السيد العظيم الذي يجير ولا يحار عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له ، ﴿ قُلْ فَإِنِّي تَسْحَرُونَ ﴾ ، أي : فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره ، مع اعترافكم وعلمكم بذلك ؟

ثم قال تعالى : ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ [٢] ﴾ وهو الإعلام بأنه لا إله إلا الله ، وأقمنا الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ، أي : في [٣] عيادتهم مع الله غيره ، ولا دليل لهم على ذلك ، كما قال في آخر السورة ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابَهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يَفْلُحُ الْكَافِرُونَ ﴾ فالمشركون لا يفعلون [٤] ذلك عن دليل قادهم إلى ما هم فيه من الإفك والضلالة ، وإنما يفعلون ذلك [٥] اتباعاً لآباءهم وأسلافهم الحيارى الجهال ، كما [قال الله عنهم] [٦] : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةً وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقتَدُونَ ﴾

مَا أَنْخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَيْلٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَيْهِ بِمَا خَلَقَ
وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيهِمُ الْغَيْبُ
وَالشَّهَدَةُ فَتَعَلَّمُوا عَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴿٩٢﴾

ينزه تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك ، فقال تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ
مِنْ وَلَدٍ [٧] ﴾ وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ﴿ ﴾ ،
أي : لو قدر تعدد الآلهة ، لأنفرد كل منهم بما يخلق ، فما كان يتنظم الوجود ، والشاهد أن
الوجود منتظم متتسق ، كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض في غاية الكمال
﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوتٍ ﴾ . ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافة ،
فيعلو بعضهم على بعض ، والمتكلمون ذكروا هذا المعنى وعبروا عنه بدليل التمانع ، وهو أنه لو
فرض صانعان فصاعدا ، فأراد واحد تحريك جسم وأراد الآخر سكونه ، فإن لم يحصل مراد كل
واحد [٨] منها كانا عاجزين ، والواجب لا يكون عاجزا ، ويتحقق اجتماع مراديهم للتضاد ،
وما جاء هذا الحال إلا من فرض التعدد ، فيكون محالا ، فاما إن حصل مراد أحدهما دون
الآخر ، كان الغالب هو الواجب ، والآخر المغلوب محكما ، لأنه [٩] لا يليق بصفة الواجب أن

[١] - في ز : الله .

[٢] - ما بين المقوفين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : قالوا .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - في ز : لصفة .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

يكون مقهوراً ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلِعْلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سَبَّانُ اللَّهِ عَمَّا يَصْفُونَ ﴾ ، أي : عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد أو الشريك علواً كبيراً .

﴿ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ ﴾ ، أي : يعلم [ما يغيب]^[١] عن المخلوقات وما يشاهدونه ، ﴿ فَعَالَمَ عِمَّا يُشَرِّكُونَ ﴾ ، أي : تقدس وتنزه تعالى وعز وجل [عما يقول الظالمون والجادلون]^[٢] .

قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيكَ مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
 ۚ وَلَوْلَا عَلَّقَ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعْدُهُمْ لَقَدْرُونَ ﴿٩٤﴾ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ
 نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصْفُونَ ﴿٩٥﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ
 وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ ﴿٩٦﴾

يقول تعالى أمراً [نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم]^[٣] أن يدعوه^[٤] بهذا الدعاء عند حلول النقم : ﴿ رب إما تربني ما يوعدون ﴾ ، أي : إن^[٥] عاقبتهم - وإنني شاهد ذلك - فلا تجعلني فيهم ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد^[٦] والترمذى وصححه : « وإذا أردت بقوم فتنة فتو уни إليك غير مفتون ». .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَا عَلَى أَنْ نُرِيكَ مَا نَعْدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴾ ، أي : لو شئنا لأربيناكم ما نحل^[٧] بهم من النقم والبلاء والمحن .

ثم قال مرشدًا له إلى الترائق النافع في مخالطة الناس ، وهو الإحسان إلى من يسيء ، ليستجلب خاطره ، فتعود عداوته صدقة ، وبغضه محبة ، فقال تعالى : ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾ ، وهذا كما قال في الآية الأخرى : ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فِيمَا يُحْكَمُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةً كَأَنَّهُ وَلِي حَمِيمٍ * وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ ﴾ ، أي : ما يلهم هذه الوصية أو هذه^[٨] الخصلة أو الصفة ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ ،

(٤٧) المسند (٥/٢٤٣)(٨/٢٢٢٠) ، أخرجه الترمذى في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة « ص » (٥/٣٦٨، ٣٦٩/رقم: ٣٢٣٥) . من طريق محمد بن بشار ، عن معاذ بن هانئ ، عن جهضم بن عبد الله اليمامي به وقال : هذا حديث حسن صحيح .

[١] - ما بين المعقوفين سقط من : خ .

[٢] - في ز : بغيض .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في ز : يدعى .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز : يحل .

[٧] - سقط من ز .

أي : على أذى الناس ، فعاملوهم بالجميل مع إسدائهم إليهم القبيح ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ ﴾ أي : في الدنيا والآخرة .

وقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّنَا أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ أمره الله^[١] أن يستعيد من الشياطين ؛ لأنهم لا تنفع معهم الحيل ، ولا ينقادون بالمعروف .

وقد قدمنا عند الاستعادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيَاطِينِ الرَّجِيمِ ، مِنْ هَمَزَهُ وَنَفْخَهُ »^[٤٨] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّنَا يَحْضُورُونَ ﴾ ، أي : في شيء من أمري ، ولهذا أمر بذكر الله في ابتداء الأمور ، وذلك مطردة للشياطين ، عند الأكل والجماع والذبح ، وغير ذلك من الأمور ؛ ولهذا روى أبو داود^[٤٩] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَرَمِ ، أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدَمِ وَمِنَ الْغَرَقِ ، أَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيَاطِينُ عَنْ دَارِ الْمَوْتِ » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم من الفزع : « بِسْمِ اللَّهِ ، أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَةِ مِنْ غَضَبِهِ وَعَقَابِهِ ، وَمِنْ شَرِّ عَبَادِهِ ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَنْ يَحْضُورُونَ »^[٥٠] .

قال : فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه ، ومن كان منهم صغيراً - لا يعقل أن يحفظها - كتبها له فعلقها في عنقه ، ورواه أبو داود والترمذى والنمسائى من حديث محمد بن إسحاق ، وقال الترمذى : حسن غريب .

حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتَ قَالَ رَبِّ أَرْجِعُونَ ﴿٩٩﴾ لَعَلَّنِي أَعْمَلُ صَلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَالِهَا وَمَنْ وَرَأَهُمْ بَرَزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبَعَّثُونَ ﴿١٠٠﴾

يخبر تعالى عن حال المختضر عند الموت ، من الكافرين أو المفرطين في أمر الله تعالى ،

(٤٨) انظر تفسير الاستعادة في تفسير سورة الفاتحة .

(٤٩) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة برقم (١٥٥٢) . والنمسائي في الاستعادة (٥٥٣٢ ، ٥٥٣١) .

(٥٠) المسند (١٨١/٢) ، وسنن أبي داود ، كتاب الطه (٣٨٩٣) ، وسنن الترمذى ، كتاب الدعوات (٣٥٢٨) ، والنمسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٦٠١) .

وقيلهم عند ذلك ، وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ؛ ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته ؛ ولهذا قال : ﴿ رب ارجعون * لعلني أعمل صالحاً فيما تركت كلاماً ﴾ كما قال الله تعالى : ﴿ وأنفقو ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدهم الموت فيقول رب لو لا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكثن من الصالحين * ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خير بما تعملون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب تُحبب دعوتك وتتبع الرسل أولئك تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يوم يأتي تأويله [١] يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسائل ربنا بالحق فهل لنا من شفاء فيشفعوا لنا أو نردد فنعمل غير الذي كنا نعمل ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربيهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقتون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نردد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكافرون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولو ترى الظالمن لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبل ﴾ وقال تعالى : ﴿ قالوا [٢] ربنا أمتنا اثنين وأحيستنا اثنين فاعترفنا بذنبينا فهل إلى خروج من سبل * ذلکم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحکم لله العلي الكبير ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وهو يسطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أولئك نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا بما للظالمن من نصير ﴾ ، فذكر تعالى أنهم يسألون الرجعة فلا يجاوبون ؛ عند الاحتضار ، ويوم الشور ، ووقت العرض على الجبار ، وحين يعرضون على النار ، وهم في غمرات [العذاب في [٣] الجحيم .

وقوله هاهنا : ﴿ كلامها هو قاتلها ﴾ وكلا : حرف ردع وجزر ، أي : لا نحبه إلى ما طلب ، ولا نقبل منه .

وقوله تعالى : ﴿ إنها كلمة هو قاتلها ﴾ قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أي : لا بد أن يقولها لا محالة كل محضر ظالم . ويحتمل أن يكون ذلك [علة لقوله [٤]] ﴿ كلامها ﴾ ، أي : لأنها كلمة ، أي : سؤاله الرجوع ليعمل صالحاً هو كلام منه ، وقول لا عمل [٥] معه ، ولو رد لما عمل صالحاً ، ولكن يكذب في مقالته هذه ، كما قال تعالى : ﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكافرون ﴾ .

[١] - سقط من ز .

[٢] - في خ : عذاب .

[٣] - في [خ] : « أعمل » .

[٤] - في ز : علمه كقوله .

وقال محمد بن كعب القرظي : ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحا فيما تركت ﴾ قال : فيقول الجبار : ﴿ كلا إنها كلمة هو قاتلها ﴾ .

وقال عمر بن عبد الله مولى غفرة : إذا سمعت الله تعالى يقول : ﴿ كلا ﴾ : فإنما يقول : كذب .

وقال قنادة في قوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت ﴾ قال : كان العلاء بن زياد يقول : ليثرون أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت ، فاستقال ربه فأقاله فليعمل بطاعة الله عز وجل وقال قنادة : والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة ، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله ، فانظروا أمنية الكافر المفترط فاعملوا بها ، ولا قوة إلا بالله . وعن محمد بن كعب القرظي نحوه .

وقال أبو محمد بن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن يوسف ، حدثنا فضيل - يعني ابن عياض - عن ليث ، عن طلحة بن مصرف ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : إذا وضع - يعني : الكافر - في قبره ، فيرى مقعده من النار ، قال : فيقول : رب ، ارجعون أتوب وأعمل صالحا . قال : فيقال : قد عمرت ما كتت معمرا . قال : فيضيق عليه قبره ، قال : فهو كالمنهوش ينام ويفرغ ، تهوي إليه هواء الأرض وحياتها وعقاربها^(٥١) .

وقال أيضاً : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو^[١] بن علي ، حدثني سلمة بن تمام ، حدثنا علي ابن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : ويل لأهل المعاصي من أهل القبور ! تدخل عليهم في قبورهم حيات سود - أو : ذئب - حية عند رأسه ، وحية عند رجليه ، يصرانه حتى يلتقيا في وسطه ، فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى : ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يعشون ﴾ .

وقال أبو صالح وغيره في قوله تعالى : ﴿ ومن ورائهم ﴾ يعني : أمامهم .

وقال مجاهد : البرزخ : الحاجز^[٢] بين الدنيا والآخرة .

وقال محمد بن كعب : البرزخ ما بين الدنيا والآخرة ، ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون ، ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم .

(٥١) - رواه الترمذى في السنن برقم (١٠٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال : « حديث حسن غريب » .

[١] - في ز : عمر .

[٢] - بعده في خ : ما .

وقال أبو صخر : البرزخ : المقابر ، لام في الدنيا ولاهم في الآخرة ، فهم مقيمون إلى يوم يبعثون .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ ۚ ۝ تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ ، كما قال تعالى : ﴿ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ۚ ۝ وقال : ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِظٌ ۚ ۝ .

وقوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ يَوْمٍ يَعْشُونَ ۚ ۝ ، أَيْ : يستمر به العذاب إلى يوم البعث ، كما جاء في الحديث : « فلا يزال معدباً فيها » أَيْ : في الأرض

فَإِذَا نَفَخْنَا فِي الْأَصْوَرِ فَلَا أَنْسَابَ يَتَّهَمُونَ ۝ وَلَا يَسْأَلُونَ ۝ فَمَنْ نَفَخْنَا مَوَازِينَهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُمْ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفَسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَلِدُونَ ۝ تَفَعُّلٌ وَجُوهُهُمْ أَنَارٌ وَهُمْ فِيهَا كَالْمَحْوَنَ ۝

يخبر تعالى أنه إذا نفح في الصور نفحة النشور ، وقام الناس من القبور ﴿ فَلَا أَنْسَابٌ بَيْنَهُمْ ۚ ۝ ، أَيْ : لا تنفع الأنساب يومئذ ولا يرثي والد لولده ولا يلوى عليه ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا يَصْرُونَهُمْ ۚ ۝ ، أَيْ : لا يسأل القريب عن قريبه وهو يصره ، ولو كان عليه من الأوزار ما قد أنقل ظهره وهو أعز الناس عليه - كان - في الدنيا ما التفت إليه ولا حمل عنه وزن جناح بعوضة ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَوْمٌ يَفْرَغُ الرُّءُوفُ مِنْ أَخْيَهُ وَأَمْهُ وَأَيْهِ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرَأٍ مِنْهُمْ يَوْمئذٌ شَأنٌ يَغْنِيهِ ۚ ۝ .

وقال ابن مسعود : إذا كان يوم القيمة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد : ألا من كان له مظلمة فليأخذ حقه . قال : فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيراً ؛ ومصدق ذلك في كتاب الله : قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا نَفَخْنَا فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ فَلَا يَسْأَلُونَ ۚ ۝ . رواه ابن أبي حاتم .

وقال الإمام أحمد^(٥٢) : حدثنا أبو سعيد مولىبني هاشم ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثتنا أم بكر بنت المسور بن محرمة ، عن عبيد^[١] الله بن أبي رافع ، عن المسور - هو

(٥٢) المسند (٤/٣٢٣) (١٨٩٦٠) ، رواه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب فاطمة - عليها السلام - (٣٧٦٧) . وسلم في صحيحه بشرح النووي في كتاب فضائل =

ابن مخرمة - رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فاطمة بضعة مني ، [يقظني ما يغتصبها] ^[١] ، وينشطني ما ينشطها ، وإن الأنساب تقطع يوم القيمة غير ^[٢] نسيبي وسيبي وصهري ». وهذا الحديث له أصل في الصحيحين ^[٣] عن المسور ابن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فاطمة بضعة مني ، يريني ما رأبها ، ويؤذيني ما آذاها » .

وقال الإمام أحمد ^[٤] : حدثنا أبو عامر ، حدثنا زهير ، عن عبد الله بن محمد ، عن حمزة بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول على هذا النبر : « ما بال رجال يقولون : إن رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنفع قومه ؟ بلني والله ، إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة ، وإنني - أيها الناس - فرط لكم إذا جئتم . قال رجل : يا رسول الله ، أنا فلان بن فلان ، [وقال أخوه : أنا

= الصبحية ، باب : فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام (١٦ / ٣ / ٢٤٤٩ ح) . وأبو داود في كتاب النكاح ، باب : ما يكره أن يجمع بينهن من النساء (٢ / ٢٢٤ ح) . والنسائي في الكبرى في كتاب المناقب ، باب : مناقب فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم (٥ / ٩٧ ح) . والترمذي في كتاب المناقب ، باب : ما جاء في فضل فاطمة رضي الله تعالى عنها (٥ / ٦٥٥ ح) . وقال : حديث حسن صحيح . وابن ماجه في سننه في كتاب النكاح ، باب : الغيرة (١ / ٦٤٣ ح) .

(٥٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب (٣٧١٤) ، وصحح مسلم ، فضائل الصحابة (٢٤٤٩) .

(٥٤) المستند (٣ / ١١١٥٢) . وحمزة بن أبي سعيد الخدري ، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣ / ٢١١) رقم ٩٢٥ ولم يذكر فيه جرح ولا تعديلاً ، وقال ابن حجر في التعجيز : وثقة ابن حبان ، ولم يذكر فيه ابن أبي حاتم جرحًا ، ولا ذكر له روايًّا غير ابن عقيل .

وأخرجه عبد بن حميد في المتنب - (٩٨٦) . ورواه أحمد (١١١٥٣ ، ١١٦٠٢) (٣ / ٦٢ ، ١٨) . من طريق زكريا بن عدي أنا عبد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد به .

وتتابع حمزة :

١ - عبد الرحمن بن أبي سعيد ؛ أخرجه أبو يعلى في مستنته - (١٢٣٨ / ٢) (٤٣٣ - ٤٣٤) حدثنا زهير ، حدثنا أبو عامر عن زهير ، عن عبد الله بن محمد عنه به .

٢ - سعيد بن المسيب : رواه أحمد (١١٣٦١) (٣ / ٣٩) من طريق شريك عن عبد الله بن محمد عنه به نحوه . لكن شريك بن عبد الله القاضي سيء المحفظ .

والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (٣٦٧ / ١٠) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله ابن محمد بن عقيل وقد وثق .

ويشهد له حديث أبي هريرة عند البخاري في الرفاق ، باب : في الحوض . (٦٥٨٦ ، ٦٥٨٥) .

[١] - ما بين المقوفين في ت : « يغطياني ما يغتصبها » [٢] - في ت ، خ : إلا .

فلان بن فلان [١]. فأقول لهم : أما النسب فقد عرفت ، ولكنكم أحدثتم بعدي وارتدتم الفهقري » .

وقد ذكرنا في مستند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من طرق متعددة عنه - رضي الله عنه - أنه لما تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب - رضي الله عنها - قال : أما والله ما بي إلا أنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل سبب ونسب فإنه ينقطع يوم القيمة ، إلا سببي ونبي » [٢] .

رواه الطبراني [٣] ، والبزار ، والهيثم بن كليب ، والبيهقي ، والحافظ الضياء في « المختار » وذكر أنه أصدقها أربعين ألفاً إعظاماً وإكراماً رضي الله عنه .

فقد روى الحافظ ابن عساكر [٤] في ترجمة أبي العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق أبي القاسم [٥] البغوي ، حدثنا سليمان بن عمر [٦] الأقطع ، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن محمد بن عباد بن جعفر ، سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل نسب وصهر ينقطع يوم القيمة إلا نسيبي وصهري » .

روى فيها [٧] من طريق عمارة بن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله ابن عمرو مرفوعاً : « سألت ربي - عز وجل - أن لا أتزوج إلى أحد من أمتى ، ولا يتزوج إلي أحد منهم ؛ إلا كان معه في الجنة ، فأعطاني ذلك » . ومن حديث عمارة بن سيف ، عن إسماعيل عن عبد الله بن عمرو [٨] .

[١] مستند عمر بن الخطاب لابن كثير (٣٨٩/١) .

[٢] المعجم الكبير (٤٥/٣) ، ومستند البزار برقم (٢٤٤٥) « كشف الأستار » ، وسنن البيهقي الكبرى (٧/٦٤) ، والمخاترة للمقدسي برقم (٢٨١) .

[٣] تاريخ دمشق (١١٩/١٩) « المخطوط » ورواه علي بن سعيد ، عن سليمان بن عمر الرقي ، عن إبراهيم ابن عبد السلام ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن محمد بن عباد بن جعفر ، عن عبد الله بن الزبير مرفوعاً ، وأخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٣٩٦٣) .

[٤] تاريخ دمشق (١١٩/١٩) « المخطوط » ورواه الطبراني في الأوسط برقم (٣٩٦١) « مجمع البحرين » من طريق يزيد بن الكعبي ، عن عمارة بن سيف ، به ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٨٥/٧) : « إسناده واؤ » وفي الباب عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - ياض في : ز ، خ .

[٧] - بعده في خ : « بن » .

[٨] - بعده في ز : « بن » .

وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ ثَقِلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي : من رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة ، قاله ابن عباس .

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي : الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة . وقال ابن عباس : أولئك الذين فازوا بما طلبوا ، ونجوا من شر ما منه هربوا .

﴿وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي : ثقلت سيئاته على حسناته ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسَرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ أي : خابوا وهلكوا ، وباءوا^[١] بالصفرة الحاسرة .

وقال الحافظ أبو بكر البزار^[٢] : حدثنا إسماعيل بن أبي^[٣] الحارث ، حدثنا داود بن الخبر ، حدثنا صالح المري ، عن ثابت الباني وجعفر بن زيد ومنصور بن زاذان ، عن أنس بن مالك يرفعه قال : « [إِنَّ لِلَّهِ مُلْكًا مُوكلاً]^[٤] بالميزان ، فَيُؤْتَى بَابَنَ آدَمَ فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ^[٥] الْمِيزَانِ ، فَإِنْ تَقْلِي مِيزَانَهُ نَادَى مَلَكُ بَصُوتٍ يَسْمَعُ الْخَلَائِقَ : سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبْدًا ، وَإِنْ خَفَ مِيزَانَهُ نَادَى مَلَكُ بَصُوتٍ يَسْمَعُ الْخَلَائِقَ : شَقَّى فَلَانَ شَقاوةً لَا يَسْعَدُ بَعْدَهَا أَبْدًا 】 .

إسناده ضعيف ، فإن داود بن الخبر ضعيف^[٦] متrox.

ولهذا قال تعالى : ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ أي : ما كثون فيها ، دائمون ، مقيمون لا^[٧] يطعنون

﴿تَلْفُحُ وُجُوهِهِمُ النَّارُ﴾ كما قال تعالى : ﴿وَتَغْشَى وُجُوهِهِمُ النَّارُ﴾ وقال تعالى : ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارِ وَلَا عَنْ ظَهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا فروة بن أبي المغرا ، حدثنا محمد بن سليمان ابن الأصبhani ، عن أبي سنان ضرار بن مرة ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال^[٨] : « إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَا سِيقَ لَهَا^[٩] أَهْلَهَا يَلْقَاهُمْ لَهُبَّاً ثُمَّ تَلْفُحُهُمْ لَفْحَةً فِلْمَ^[١٠] يَقِنُ لَهُمْ لَحْمٌ إِلَّا سَقطَ عَلَى الْعَرْقَوْبِ » .

(٥٩) ورواه أبو نعيم في الحلية كما في تخريج الإحياء (٤٠٩٨) ، وقال : « تفرد به داود بن الخبر » .

[١] - في ز : وفازوا .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : ملك موكل .

[٤] - في ت : « كفتني » .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - سقط من : ز - خ .

[٧] - في ز : لم .

وقال ابن مردوه : حدثنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ يَحْيَى الْقَازَّ ، حدثنا الْخَضْرُ بْنُ عَلَى بْنِ يُونُسِ الْقَطَانَ ، حدثنا عَمْرُ بْنُ أَبِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَضْرِ الْقَطَانَ ، حدثنا سَعْدٌ^[١] بْنُ سَعِيدِ الْمَقْبَرِيِّ ، عَنْ أَخِيهِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي الدَّرَدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : « تَلْفُعُ وجوهِهِمُ النَّارُ » قَالَ : « تَلْفُعُهُمُ الْفُحْكَةُ فَتَسْيِيلُ لَهُمُ الْأَعْقَابَهُمْ ». .

وقوله تعالى : « وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوْنَ » قَالَ عَلَيْ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ : يعني : عَابِسُونَ .

وقال الثوري عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود : « وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوْنَ » قَالَ : أَلَمْ تَرِ إِلَى الرَّأْسِ الْمُشَيْطِ الَّذِي قَدْ بَدَا أُسْنَاهُ وَقَلَصَتْ شَفَتَاهُ .

وقال الإمام أحمد^(٦٠) : أخبرنا علي بن إسحاق أخبرنا عبد الله - هو ابن المبارك رحمه الله - أخبرنا سعيد بن يزيد ، عن أبي السمع ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ : « وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوْنَ » ، قَالَ : تشويه النار ، فنقلا شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفته السفلية حتى تضرب^[٢] سرتها » .

ورواه الترمذى عن سويد بن نصر ، عن عبد الله بن المبارك به ، وقال : حسن غريب .

أَلَمْ تَكُنْ مَا يَنْقِي ثُنَلَ عَيْنَكُمْ فَكُتُرٌ بِهَا شُكَّبُوتُ  قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا

شَقْوَتْنَا وَكُثُرًا قَوْمًا ضَالِّينَ  رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا إِنَّا مُعْذَنَا فَإِنَا ظَلَمُونَ

(٦٠) - المستند (١١٨٥٢) إسناده ضعيف لضعف رواية دراج عن أبي الهيثم . وأخرجه عبد الله بن المبارك - زواائد نعيم بن حماد - (٢٩٢) ومن طريقه عبد الله بن أحمد في « الزهد » (ص ٢٧) . والترمذى ، كتاب صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة طعام أهل النار (٢٥٩٠) . وكتاب التفسير ، باب : « ومن سورة المؤمنين » (٣١٧٥) . وأبو يعلى في « مستدرك » (١٣٦٧/٢) ، وأبو نعيم في « الحليلة » (١٨٢/٨) . والحاكم في « المستدرك » (٣٥٩، ٢٤٦/٢) وصححه وسكت عنه الذهبي . والبيهقي في « البعث » (٥٠٧) ، والبغوي في « شرح السنة » (٤٤١٦/١٥) . وقال الترمذى : حديث حسن صحيح غريب . قلت : وغرابةه لنفرد أبي شجاع به عن أبي الهيثم . وأما تصحيح الترمذى والحاكم له فليس بشيء ، لأن رواية دراج عن أبي الهيثم ضعيفة ، كما تقدم بيانه في غير موضع من هذا الكتاب . والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنشور » (٣١/٥) إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في « صفة النار » وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردوه . وعزاه الهندي أيضاً في « كنز العمال » (٣٩٧٩٠/١٤) إلى ابن عساكر وسعيد بن منصور .

[١] - في ز : سعيد .

[٢] - في ت : « تبلغ » .

١٧
قَالَ أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ

هذا تقرير من الله ، [تعالى لأهل النار وتوييخ لهم]^[١] على ما ارتكبوا^[٢] من الكفر واللائم والحرام والعظائم التي أوبقتهم في ذلك ، فقال تعالى : ﴿ أَلمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتَلَقَّى عَلَيْكُمْ فَكَتَمْتُ بِهَا تَكْذِيبَنَّ ﴾ أي : قد أرسلت إليكم الرسل ، وأنزلت عليكم^[٣] الكتب ، وأزلت شيمكم ، ولم يبق لكم حجة تدلون بها^[٤] ؛ كما قال تعالى : ﴿ ثُلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ مَعْذِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَلْقَيْنَا فِيهَا فَوْجًا سَأَلَهُمْ خَرْزَتَهَا أَلْمَ يَأْتُكُمْ نَذِيرًا ﴾ إلى قوله : ﴿ فَسَحَقَنَا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ولهذا قالوا : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شَقْوَتُنَا وَكَانَ قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾ أي : قد قامت علينا الحجة ، ولكن كنا أشقي من أن نقاد لها وتبعها ، فضلنا عنها ولم نرزقها .

ثم قالوا : ﴿ رَبَّنَا أَخْرَجْنَا مِنْهَا فَلَمَّا عَدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ أي : رَدَّنَا إلى الدار الدنيا ، فإن عدنا إلى ما سلف منا فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة ، كما قالوا : ﴿ فَاعْتَرَفْنَا بِذَنْبِنَا * فَهَلْ إِلَى خَرْجَةٍ مِّنْ سَبِيلِنَا إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَالْحَكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ أي : لا سبيل إلى الخروج ، لأنكم كتمتُم تشركون بالله إذا وحده المؤمنون .

قَالَ أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿ إِنَّمَا كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا
ءَمَّا مَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَرَحْمَنَا وَأَنَّتَ خَيْرُ الرَّازِيمَنَ ﴾^[١٩] فَلَنَخْذِنُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْنُوكُمْ
ذِكْرِي وَكُشْمُرْ مِنْهُمْ تَضْبِحُكُونَ ﴿ إِنَّ جَزِيَّهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمْ
الْفَارِزُونَ ﴾^[٢٠]

هذا جواب من الله تعالى للكفار ، إذا سألوا الخروج من النار ، والرجعة إلى هذه الدار . يقول : ﴿ أَخْسَرُوا فِيهَا ﴾ أي : امكثوا فيها صاغرين مهانين أذلاء ﴿ وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴾ أي : لا تعودوا إلى سؤالكم هذا فإنه لا جواب لكم عندي ، قال العوفي عن ابن عباس : ﴿ أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴾ قال : هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان المروزي ، حدثنا عبد الله بن

[١] - ما بين المukoفين في ت : « وتوييخ لأهل النار » .

[٢] - في ز : ارتكبوا .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

المبارك ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أبي أبوب ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : إن أهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيئهم أربعين عاماً ، ثم يرد عليهم : إنكم ما كتون . قال : هانت دعوتهم - والله - على مالك ورب مالك ، ثم يدعون ربهم فيقولون : ﴿رَبِّنَا غَلَبْتَ عَلَيْنَا شَفَوْتَنَا وَكَنَا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبِّنَا أَخْرَجْنَا مِنْهَا فَإِنَّ عَدْنَا فِيْنَا ظَالِّمُونَ﴾ قال : فيسكنت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم : ﴿أَخْسَئُوكُمْ فِيهَا وَلَا تَكْلُمُون﴾ قال : فوالله ما نيس القوم بعدها بكلمة واحدة^[١] ، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم ، قال : فشبّهت أصواتهم بأصوات الحمير ، أولها زفير وآخرها شهيق .

وقال [ابن أبي حاتم^[٢] أيضًا] : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، حدثنا أبو الزعراء قال : قال عبد الله بن مسعود : إذا أراد الله تعالى أن لا يخرج منهم أحداً - يعني من جهنم - غير وجههم والأوانهم ، فيجيء الرجل [من المؤمنين^[٣]] فيشفع فيقول : يا رب ؛ فيقول الله : من عرف أحداً فليخرجه ، فيجيء الرجل من المؤمنين فينظر فلا يعرف أحداً ، [فيناديه الرجل : يا فلان^[٤] ، أنا فلان . فيقول : ما أعرفك ! قال^[٥] : فعند ذلك يقولون^[٦] : ﴿رَبِّنَا أَخْرَجْنَا مِنْهَا فَإِنَّ عَدْنَا فِيْنَا ظَالِّمُونَ﴾ فعند ذلك يقول الله تعالى : ﴿أَخْسَئُوكُمْ فِيهَا وَلَا تَكْلُمُون﴾ فإذا قال ذلك أطبقت عليهم النار^[٧] ، فلا يخرج منهم أحد^[٨] .

ثم قال تعالى مذكرا لهم بذنبهم في الدنيا وما كانوا يستهزئون بعباده المؤمنين وأوليائه ؛ فقال تعالى : ﴿إِنَّهُ كَانَ فِرِيقٌ مِّنْ عَبْدِنِي يَقُولُونَ رَبِّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخِذُوهُمْ سَخِرِيًّا﴾ أي : فسخرتم منهم في دعائهم إياي ، وتضرعهم إلىي ﴿حَتَّىٰ أَنْسُوكُمْ ذَكْرِي﴾ أي : حملتم بغضهم على أن نسيتم معاملتي ﴿وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضَحَّكُونَ﴾ أي : من صنيعهم وعبادتهم ؛ كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الظَّالِمِينَ أَمْنَوْا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَتَغَامِزُونَ﴾ أي : يلمزونهم استهزاء .

ثم أخبر تعالى عما جازى به أولياءه وعباده الصالحين ، فقال تعالى : ﴿إِنِّي جَزِيَّهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ أي : على أذاكم لهم ، واستهزيائكم بهم^[٩] ﴿أُنْهِمْ هُمُ الْفَاثِرُونَ﴾ [أي جعلناهم هم الفائزون^[١٠]] بالسعادة والسلامة والجنة والنجاة^[١١] من النار .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - ما بين المعرفتين في ز ، خ : « فيقول » .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - في ز : يقول .

[٦] - في ز ، خ : « بشر » .

[٧] - ما بين المعرفتين سقط من : ت .

[٨] - في ز ، خ : « منهم » .

[٩] - في ز ، خ : « الناجون » .

قَلَّ كُمْ لِتَشْتَرُ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِينِينَ ﴿١٢﴾ قَالُوا لِتَشْتَرَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَتَشَكَّلَ
 الْعَادِينَ ﴿١٣﴾ قَلَّ إِنْ لِتَشْتَرُ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
 أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١٤﴾ فَتَعَلَّمَ اللَّهُ
 الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١٥﴾

يقول تعالى منها لهم على ما أضعاعوه في عمرهم القصير في الدنيا من طاعة الله تعالى ، وعبادته وحده [١] ، ولو صبروا في مدة الدنيا القصيرة لفازوا كما فاز أولياؤه المتقدون قال كم لبئس في الأرض عدد سينين أي : كم كانت إقامتكم في الدنيا قالوا لتنا يوماً أو بعض يوم فسائل العادين أي : الحاسبين [٢] قال إن لبئس إلا قليلاً أي : مدة يسيرة على كل تقدير لو أنكم كنتم تعلمون أي : لما آثرتم الفاني على الباقى ، ولما تصرفتم لأنفسكم هذا التصرف السيء ، [ولا استحققت [٣] من الله سخطه في تلك المدة اليسيرة ، فلو أنكم صبرتم على طاعته وعبادته كما فعل المؤمنون لفازتم كما فازوا .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن الوزير ، حدثنا الوليد ، حدثنا صفوان ، عن أبيفع بن عبد الكلاعي ، أنه سمعه يخطب الناس ، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله إذا أدخل أهل الجنة ، وأهل النار النار ، قال : يا أهل الجنة ، كم لبئس في الأرض عدد سينين ؟ قالوا : لبئسا يوماً أو بعض يوم ، قال : لنعم ما اخترتم في يوم أو بعض يوم ! رحمتي ورضوانني وجنتي امكثوا فيها خالدين مخلدين ، ثم يقول : يا أهل النار ، كم لبئس في الأرض عدد سينين ؟ قالوا لبئسا يوماً أو بعض يوم ، فيقول : بئس ما اخترتم في يوم أو بعض يوم ! ناري وسخطي امكثوا فيها خالدين مخلدين » :

وقوله تعالى : أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبْثًا [٤] أي : أفظنتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ، ولا إرادة منكم ، ولا حكمة لنا ! [٥] وقيل : للعبث ، أي : لتعلموا وتبعوا ، كما خلقت البهائم ، لا ثواب لها ولا عقاب ، وإنما خلقناكم لل العبادة ، وإقامة أوامر الله عز وجل [٦] وأنكم إلينا لا ترجعون [٧] أي : لا تعودون في الدار الآخرة كما قال تعالى : أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَرَكَ سَدِي [٨] يعني هملا [٩] .

وقوله : فَتَعَلَّمَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ [١٠] أي : تقدس أن يخلق شيئاً عبثاً ، فإنه الملك الحق ،

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : إن استحققيتم .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « مهملاً .

المنزه عن ذلك ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ فذكر العرش ؛ لأنَّه سقف جميع المخلوقات ، ووصفه بأنه كريم أي : حسن المنظر بهي الشكل ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَأَبْتَأْتَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زوجٍ كَرِيمًا ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا إسحاق بن سليمان - شيخ من أهل العراق - أباً شعيب بن صفوان ، عن رجل من آل سعيد بن العاص قال : كان آخر خطبة خطبها^[١] عمر بن عبد العزيز ؛ أنَّ حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، [أيها الناس^[٢]] فإنكم لم تخلقو عبئاً ، ولن تتركوا سدى ، وإن لكم معاذًا ينزل الله فيه للحكم بينكم والفصل بينكم ، فخاب وخسر وشقى [عبد آخرجه الله من رحمته^[٣]] ، وحرم جنة عرضها السماوات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر هذا^[٤] اليوم وخفاه ، وباع نافذاً بياقاً ، و^[٥] قليلاً بكثير ، وخوفاً بأمان ؟ ألا ترون أنكم من أصلاب الهاكين ، وسيكون من بعدكم الباقين ، حتى تردوا إلى خير الوارثين ؟ ثم إنكم في كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله عز وجل قد قضى نحبه ، وانقضى أجله ، حتى تغيبوه في صدع من الأرض ، في بطن صدع غير مهد ولا موسد ، قد فارق الأحباب وباشر التراب ، وواجه الحساب ، مرتهن بعمله ، غني عمما ترك ، فقير إلى ما قدم ، فاتقوا الله عباد الله قبل انتصاء مواثيقه ، ونزول الموت بكم ، ثم رفع^[٦] طرف ردائه على وجهه ، فبكى وأبكى من حوله .

قال ابن أبي حاتم : ثنا يحيى بن نصیر^[٧] الخواراني ، ثنا ابن وهب ، أخبرني ابن لهيعة ، عن أبي^[٨] هبيرة ، عن حنش بن عبد الله ، أنَّ رجلاً مصاباً مر به على^[٩] عبد الله ابن مسعود ، فقرأ في أذنه هذه الآية : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَّاً وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾ حتى ختم السورة فبراً ، [فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم^[١٠] فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « بماذا قرأت في أذنه ؟ » فأخبره ، [فقال له : « إنها إذا قرئت في أذنه أحرقه^[١١] » ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « والذِّي نفْسِي بِيده ، لَوْ أَنْ رَجُلًا مُوقَنًا قَرَأَهَا عَلَى جَبَلِ لَزَالٍ ».]

[١] - في ز : خطب .

[٢] - ما بين المukoفين سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المukoفين في ز ، خ : « من خرج من رحمة الله ». .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ت : « جعل ». .

[٦] - سقط من : خ .

[٧] - في ز ، خ : « نصر ». .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

وروى أبو نعيم من طريق خالد بن نزار ، عن سفيان بن عيينة ، عن محمد بن المذکور ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبيه ، قال : بعثنا رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم في سرية ، وأمرنا أن نقول إذا نحن أمسينا وأصبحنا : ﴿ أَفَحْسِبْتُمْ أَنَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبْدًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجِعُونَ ﴾ قال : فقرأنها فغمتنا وسلمنا .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا^(١) : حدثنا إسحاق بن وهب العلاف الواسطي ، حدثنا أبو المسيب سلمة بن سلام ، حدثنا بكر بن خنيس^[١] ، عن نهشل بن سعيد ، عن الضحاك بن مزاحم ، عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم : « أمان أمتى^[٢] من الغرق إذا ركبوا في السفن^[٣] : باسم الله الملك الحق ، وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميًعا قبضته يوم القيمة ، والسماءات مطروبات بيديه ، سبحانه وتعالى عما يشركون ، بسم الله مجرهاها ومرساها إن ربى لغفور رحيم ». .

وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِنَّهَا لَا يَرَهُنَ لَوْلَيْهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّمَا لَا يُقْلِعُ الْكَافِرُونَ ١١٧ وَقُلْ رَبِّ أَغْفِرْ وَأَرْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاجِهِينَ

يقول تعالى متوعدًا من أشرك به غيره ، وعبد معه سواه ، ومخبراً أن من أشرك بالله^{﴿ لا برهان له ﴾} ، أي : لا دليل له على قوله ، فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِنَّهَا لَا يَرَهُنَ لَوْلَيْهِ وَهَذِهِ جَمْلَةٌ مُعْتَرَضَةٌ ، وَجَوَابُ الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ أَيْ : اللَّهُ يَحْسِبُهُ عَلَى ذَلِكَ

ثم أخبر^{﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾} أي : لديه يوم القيمة لا فلاح لهم ولا نجاة .

قال قتادة : ذكر لنا أن نبي الله صلی اللہ علیہ وسلم قال لرجل [:] « ما تعبد ؟ » قال : أعبد الله وكذا وكذا ، حتى عد أصناما ، فقال رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم : « فأليهم إذا أصابك ضر فدعوه كشفه عنك ؟ » قال : الله عز وجل [قال : « فأليهم إذا كانت لك حاجة فدعوه أعطاكمها ؟ » قال : الله عز وجل^[٤] [قال : « فما يحملك على أن تعبد هؤلاء معه ؟ » قال : أردت شكره بعبادة هؤلاء معه أم حسبت أن يغلب عليه ، فقال رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم : « تعلمون ولا يعلمون ». فقال^[٥] الرجل [بعد^[٦] ما

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٤/١٢٤) ، وفي كتاب الدعاء برقم (٨٠٤) من طرق عن عبد الحميد الهلاكي ، عن نهشل به ، وقال الهيثمي في المجمع (١٣٢/١٠) : « نهشل بن سعيد متزوج ». .

[٢] - في ز : لأمتى .

[١] - في ز : حبيش .

[٤] - ما بين المعقوفين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : السفينة .

[٦] - في ز : بعد و .

[٥] - في ز : قال .

أسلم : لقيت رجلاً خصمني .

هذا مرسل من هذا الوجه ، وقد روى أبو عيسى الترمذى في جامعه مسنداً^(٦٢) عن عمران ابن الحصين عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ذلك .

وقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ هذا إرشاد من الله تعالى إلى هذا الدعاء ، فالغفر إذا أطلق معناه : محوه الذنب ، وستره عن الناس ، والرحمة معناها : أن يسدده ويوقفه في الأقوال والأفعال .

آخر تفسير سورة المؤمنون



^(٦٢) سنن الترمذى برقم (٣٤٨٣) وقال : « هذا حديث غريب » .

تفسير سورة النور

وهي مدنية

سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتِنَا بِئْتَنِتْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الْزَّانِيَةُ وَالْزَّانِي
 فَاجْلِدُوا كُلَّ مَنْ يَرَى مِنْهُمَا مائَةً جَلَدًا وَلَا تَأْخُذُوهُ بِمَا رَأَفْتُمُوهُ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَقْوِيْنُونَ
 بِاللَّهِ وَاللَّهُمَّ الْآخِرَةُ وَلَيَشَهَدَ عَذَابَهُمَا طَالِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

يقول تعالى : هذه **﴿سورة أنزلناها﴾** فيه تنبية إلى ^[١] الاعتناء بها ، ولا ينفي ما عداها **﴿وفرضناها﴾** قال مجاهد وقتادة : أي : بينا الحلال والحرام ، والأمر والنهي والحدود .

وقال البخاري : ومن قرأ **﴿فرضناها﴾** يقول : فرضناها عليكم ، وعلى من بعدكم ، **﴿ وأنزلنا فيها آيات بینات﴾** أي : مفسرات واضحات **﴿لعلكم تذكرون﴾** .

ثم قال تعالى : **﴿الزانة والزانى فاجلدوا كل واحد منها مائة جلدة﴾** ^[٣] [٤] هذه الآية الكريمة فيها حكم الزاني في الحد ، وللعلماء فيه تفصيل ونزاع ، فإن الزاني لا يخلو إما أن يكون بكرًا وهو الذي لم يتزوج ، أو محصناً وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح ، وهو حر بالغ عاقل ، فأئمًا إذا كان بكرًا لم يتزوج ، فإن حده [جلد مائة]^[٥] ، كما في الآية ، ويزاد على ذلك أن يغ رب عاماً [عن بلده]^[٦] عند جمهور العلماء ، خلافاً لأبي حنيفة رحمة الله ؛ فإن عنده : أن التغريب إلى رأي الإمام ، إن شاء غرب ، وإن شاء لم يغرب .

وحجة الجمهور في ذلك ما ثبت في الصحيحين ^(١) من رواية الزهرى ، عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهنمى في الأعرابيين اللذين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما : يا رسول الله ؛ إن ابني ^[٧] [٨] كان عسيفاً - يعني : أجيراً - على هذا ، فزنا بأمراته ، فافتديت ^[٩] [٦] منه بمائة شاة ووليدة ، فسألت أهل العلم ؛ فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام ، وأن على امرأة هذا الرجم ؛ فقال

(١) - صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب : إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، حديث (٢٦٩٦) وأطرافه حديث (٢٢٢٥) في الشروط ، و(٦٦٣٣) في الأمان والندور ، و(٦٨٢٨) ، و(٦٨٣٦) ، و(٦٨٤٣) ثلاثتهم في الحدود ، و(٧١٩٥) في الأحكام ، و(٧٢٦٠) في أخبار الآحاد . وصحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب : من اعترف على نفسه بالزناء حديث (١٦٩٨) .

[١] - في ت : « على » .

[٢] - ما بين المعقوفين في ت : « مائة جلدة » .

[٣] - في ت : « ابنى » .

[٤] - في ت : هذا .

[٥] - في ت : « ابنى » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسي بيده لا قضين بينكما بكتاب الله تعالى ، الوليدة والغنم رد عليك ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام . واغد يا أنيس - لرجل من أسلم - إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها ». فغدا عليها فاعترفت فرجمها .

وفي هذا دلالة على تغريب الزاني مع جلد مائة إذا كان يكررا لم يتزوج ، فأما إن كان محضنا [وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل]^[١] فإنه يرجم .

كما قال الإمام مالك : حديثي محمد^[٢] بن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود : أن ابن عباس أخبره : أن عمر - رضي الله عنه - قام : فحمد الله ، وأنهى عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ؛ فإن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها ووعيناها ، ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، فأخشى أن يطول بالناس زمان أن يقول قائل : لا نجد آية الرجم في كتاب الله ؛ فيفضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله ، فالرجم في كتاب الله حق على [٤] من زنى إذا أحصن من الرجال و[٥] النساء ، إذا قامت البينة أو الجبل أو الاعتراف .

آخر جاه في الصحيحين^(٣) من حديث مالك مطولاً . وهذه^[٦] قطعة منه فيها مقصودنا لهما .

وروى الإمام أحمد^(٣) عن هشيم ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ، حديثي عبد الرحمن بن عوف : أن عمر بن الخطاب خطب الناس فسمعته يقول : ألا وإن ناساً يقولون : ما بال الرجم وفي كتاب الله [٧] الجلد ، وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، ولو لا أن يقول [قائلون أو يتكلّم متكلّمون]^[٨] : أن عمر زاد في كتاب الله ما ليس منه^[٩] لأنّيّتها كما نزلت [١٠] .

(٢) - رواه البخاري في المحدود ، باب : الاعتراف بالزنا ، حديث (٦٨٢٩) ، وباب : رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت ، حديث (٦٨٣٠) ، ورواه مسلم حديث (١٦٩١) في المحدود ، باب : رجم التيب في الزنا . وأبو داود حديث (٤٤١٨) في المحدود ، باب : الرجم . ورواه الترمذى ، حديث (١٤٣٢) في المحدود ، باب : ما جاء في تحقيق الرجم ، وابن ماجه حديث (٢٥٥٣) في المحدود ، باب : الرجم ، وأحمد حديث (٣٩٣) ، والدارمى حديث (٢٣٢٢) في المحدود ، باب : حد المحسنين في الزنا .

(٣) - رواه أحمد حديث (١٩٨) .

[١] - في ت : من حديث .

[٢] - في ت : « أخبرنا » .

[٣] - في ت : من .

[٤] - ما بين المقوفين في ت : وإنما فيه .

[٥] - في ز : « فيه » .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - في ت : كل .

[٨] - في ز : « هذا » .

[٩] - في ت : « فيه » .

[١٠] - في ت : به .

وأخرجها النسائي من حديث عبيد الله بن عبد الله [١].

وقد روى الإمام أحمد [٢] أياً عن هشيم ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال : خطب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فذكر الرجم ، فقال : إنا لا نجد من الرجم بدّ [٣] لاتخذعن عنه ، فإنه حد من حدود الله تعالى ، ألا وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم ، ورجمنا بعده ، ولو لا أن يقول قائلون : [زاد عمر] [٤] في كتاب الله ما ليس فيه ؛ لكتبت في ناحية من [٥] المصحف : وشهد عمر بن الخطاب وبعد الرحمن بن عوف وفلان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم ورجمنا بعده ، ألا وإنه سيكون من بعدكم قوم يكذبون بالرجم وبالدجال وبالشفاعة ، وبعذاب القبر ، ويقوم يخرجون من النار بعدما امتحنوا .

وروى أحمد [٥] أياً عن يحيى القطان ، عن يحيى الأنصاري ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر بن الخطاب : « إياكم أن تهللوا عن آية الرجم ... » الحديث

رواه الترمذى من حديث سعيد ، عن عمر ، وقال : صحيح .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِبِيُّ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زَرِيعٍ ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنَ ، عَنْ مُحَمَّدٍ هُوَ ابْنُ سِيرِينَ قَالَ : نَبَّتَ عَنْ كَثِيرٍ بْنِ الصَّلْتِ قَالَ : كَنَا عِنْدَ مَرْوَانَ ، وَفِيهَا زَيْدٌ ، فَقَالَ زَيْدٌ : كَنَا نَقْرَأُ : (الشَّيْخُ [٦] وَالشِّيخَةُ [٧] إِذَا زَنِيَا) فَأَرْجَمُوهُمَا أَبْلَتْهُ) ، قَالَ مَرْوَانٌ : أَلَا كَتَبْتُهَا فِي الْمَصْحَفِ ؟ قَالَ : ذَكَرْنَا ذَلِكَ وَفِيهَا عَمَرُ بْنُ الخطاب ؛ فَقَالَ : أَنَا أَشْفِيكُمْ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : قَلْنَا : فَكِيفُ ؟ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَيَّ نَبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قَالَ : فَذَكَرَ كَذَا وَكَذَا ، وَذَكَرَ الرَّجْمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أَكْبَنِي آيَةُ الرَّجْمِ ، قَالَ : « لَا أَسْتَطِعُ الْآنَ » هَذَا أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ .

(٤) - رواه أحمد حديث (١٥٧) .

(٥) - رواه أحمد حديث (٢٥١) . ورواه الترمذى حديث (١٤٣١) في الحدود ، باب : ما جاء في تحقيق الرجم .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من : ز .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - ما بين المعقوفين سقط من : ز .

[٦] - في ز : « والشيخ » .

وقد رواه النسائي^(١) [عن] محمد بن المثنى ، عن غندر ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن يونس بن جبير ، عن كثير بن الصلت ، عن زيد بن ثابت به^[٢] ، وهذه طرق كلها متعددة متعاضدة^[٣] ، ودالة على أن آية الرجم كانت مكتوبة فنسخ تلاوتها ، وبقي حكمها عموماً به ، [ولله الحمد]^[٤] .

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بترجم هذه المرأة ، وهي زوجة الرجل الذي استأجر الأجير ، لما زنت مع الأجير ، ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماءعاً والغامدية ، وكل هؤلاء لم ينقل عن^[٥] رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه^[٦] جلدhem قبل الرجم ، وإنما وردت الأحاديث^[٧] [الصحاح]^[٨] المتعددة الطرق والألفاظ بالاقتصار على رجمهم ، وليس فيها ذكر الجلد ، ولهذا كان هذا مذهب جمهور العلماء ، وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي - رحمهم الله - وذهب الإمام أحمد - رحمه الله - إلى أنه يجب أن يجمع على الواني الحchein بين الجلد للآية والرجم للسنة ، كما روى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه لما أتى بشراحة ، وكانت قد زنت وهي محصنة ، فجلدها يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة ، ثم قال : جلدت她们 بكتاب الله ، ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى الإمام أحمد ، ومسلم ، وأهل السنن الأربعه من حديث قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت^(٩) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذلوا عنِي ، خذلوا عنِي ، قد جعل الله لهن سبيلاً ، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب سنة^[١٠] ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم »

(٦) - رواه النسائي في الكبرى (٤/٢٧٠) حديث ٧١٤٥ .

(٧) - رواه مسلم حديث (١٦٩٠) في الحدود ، باب : حد الزنى ، وأبو داود حديث (٤٤١٥) في الحدود ، باب : الرجم ، والترمذى حديث (١٤٣٤) في الحدود ، باب : ما جاء في الرجم على الثيب ، والنسائي في الكبرى حديث (٧١٤٢) ، (٧١٤٣) ، (٧١٤٤) (٤/٢٧٠) في كتاب الرجم ، وأبن ماجه حديث (٢٥٥٠) ، في الحدود ، باب : حد الزنى ، وأحمد حديث (٢٢٧٦٩) ، والدارمي حديث (٢٢٢٧) في الحدود ، باب : تفسير قول الله تعالى : ﴿وَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ .

[١] - في ت : « من حديث » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « أن » .

[٤] - في ت : « الصححة المتعاضدة » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - ما بين المعقوفين في ت : « والله أعلم » .

[٧] - سقط من : ز .

[٨] - في ت : « عام » .

وقوله تعالى : ﴿٤٠﴾ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ﷺ أي : في حكم الله ، لا ترجموهما [وترثوا لهما]^[١] في شرع الله ، وليس المنهي عنه الرأفة الطبيعية [على إقامة الحد ، وإنما هي الرأفة التي تحمل الحكم]^[٢] على ترك الحد ، فإنه لا^[٣] يجوز له ذلك .

قال مجاهد : ﴿٤١﴾ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ﷺ قال : إقامة الحدود إذا رفعت إلى السلطان ، فتقام ولا تعطل ، وكذا رُوي عن سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وقد جاء في الحديث : « تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغني من حد فقد وجّب »^(٤) وفي الحديث الآخر : « حد يقام في الأرض خير لأهلها من أن يمطروا أربعين صباحاً »^(٥) .

وقيل المراد : ﴿٤٢﴾ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ﷺ فلا تقيموا الحد كما ينبغي من شدة الضرب الزاجر عن المأثم ، وليس المراد الضرب المبرح . قال عامر الشعبي : ﴿٤٣﴾ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ﷺ قال : رحمة في شدة الضرب ، وقال عطاء : ضرب ليس بالمرح ، وقال سعيد بن أبي عروبة عن حماد بن أبي سليمان : يجلد القاذف وعليه ثيابه ، والزاني تخلع ثيابه ، ثم تلا ﴿٤٤﴾ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ﷺ فقلت : هذا في الحكم ؟ قال : هذا في الحكم والجلد . يعني : في إقامة الحد وفي شدة الضرب .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَوْدِي ، حَدَّثَنَا وَكِيع ، عَنْ نَافِعِ بْنِ عَمْرٍ ، عَنْ أَبِي مَلِيْكَةَ ، عَنْ عَبِيدِ[٤] اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ : أَنْ جَارِيَةً لَابْنِ عَمْرٍ زَنَتْ ، فَضُرِبَ رَجُلُهَا . قَالَ نَافِعٌ : أَرَاهُ قَالَ : وَ[٥] ظَهَرُهَا . قَالَ : قَلْتَ : ﴿٤٥﴾ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ﷺ قال : يَا بْنِي ؛ وَرَأَيْتِي أَخْذَتِنِي بِهَا رَأْفَةً ؟ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنِي أَنْ أَقْتُلَهَا ، وَلَا أَنْ أَجْعَلَ جَلْدَهَا فِي رَأْسِهَا ، وَقَدْ أَوْجَعْتَ حِيثَ ضُرِبَتْ .

وقوله تعالى : ﴿٤٦﴾ إِنْ كُتُمْ تَوْمَنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﷺ أي : فافعلوا ذلك ، أقيموا

(٨) - رواه أبو داود حديث (٤٣٧٦) في الحدود ، باب : العفو عن الحدود ما لم تبلغ السلطان ، والنمساني حديث (٤٨٨٦) في قطع السارق ، باب : ما يكون حرزاً وما لا يكون . كلامهما من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده به .

(٩) - رواه أحمد حديث (٨٥٢١) ، وأiben ماجه حديث (٢٥٣٨) في الحدود ، باب : إقامة الحدود ، كلامهما من حديث جرير بن يزيد ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة به مرفوعاً . وجرير بن يزيد ضعيف ، والراوي عنه عيسى بن يزيد : مقبول .

[١] - ما بين المعقوفين في ت : « وَتَرَأَفُوا بِهِمَا ».

[٢] - ما بين المعقوفين سقط من : ز .

[٣] - في ت : « فَلَا » .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - في ز : « عَدْ » .

[٦] - في ت : وَأَقِيمُوا .

الحدود على من زنى ، وشددوا عليه الضرب ، ولكن ليس مبرحًا ؛ ليتردع هو ومن يصنع مثله بذلك ، وقد جاء في المسند^(١) عن بعض الصحابة أنه قال : يا رسول الله ؛ إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها فقال : « ولك في ذلك أجر ». .

وقوله تعالى : ﴿ وَلِيُشَهِّدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ هذا فيه تنكيل للزانيين إذا جلدا^(٢) بحضور الناس ؛ فإن ذلك يكون أبلغ في ذرجهما ، وأنجع في ردعهما ؛ فإن في ذلك تقريراً وتوبيناً وفضيحة إذا كان الناس حضوراً . .

قال الحسن البصري في قوله : ﴿ وَلِيُشَهِّدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني : علانية ، ثم قال علي بن أبي طلحة [عن ابن عباس]^(٣) ﴿ وَلِيُشَهِّدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الطائفة : الرجل فما فوقه ، و[٤] قال مجاهد : الطائفة : [رجل]^(٤) إلى الألف ، وكذا قال عكرمة ، ولهذا قال الإمام أحمد : إن الطائفة تصدق على واحد . وقال عطاء بن أبي رياح اثنان ، وبه قال إسحاق بن راهويه ، وكذا قال سعيد بن جبير ﴿ طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [قال : يعني الرجال فصاعداً] ، وقال الزهرى : ثلاثة نفر فصاعداً ، وقال عبد الرزاق : حدثني ابن وهب عن الإمام مالك في قوله ﴿ وَلِيُشَهِّدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٥] قال الطائفة أربعة نفر فصاعداً ؛ لأنه لا يكون شهادة في الزنا دون^(٦) أربعة شهداء فصاعداً وبه قال الشافعي . .

(١) - رواه أحمد (١٥٦٣٤) (٤٣٦/٣) عن معاوية بن قرة ، [عن أبيه] : أن رجلاً قال : يا رسول الله ! إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها ، [أو] قال : إني لأرحم الشاة أن أذبحها ؛ فقال : « [و] الشاة إن رحمتها رحمك الله [] ». وحديث ٢٠٤١٥ (٣٤/٥) . والبخاري في « الأدب المفرد » حديث (٣٧٣) . ورواه الطبراني في « الصغير » (١٠٩/١) . وفي الأوسط (٢٥٥/٣) (٣٧٠) . وفي « الكبير » (٢٣/١٩) (٤٥-٤٦) . والبزار كما في كشف الأستار (٦٨/٢) حديث ١٢٢١ . وأبو نعيم في الحلية (٣٤٣/٦) . من طريق زياد بن مخراق ، عن معاوية بن قرة ، عن أبيه به . وأخرجه الحاكم (٥٨٧/٣) . من حديث عدي بن الفضل ، عن يونس بن عبيد ، عن معاوية عن أبيه به . وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/٣٠٢٢/٢) (٢٤٣) . والطبراني في الأوسط (١٤٢/٣) حديث (٢٧٣٦) . وفي الكبير (٢٤/١٩) حديث (٤٧) . من طريق يونس بن عبيد ، عن معاوية بن قرة . والحديث سكت عنه الحاكم ، وقال الذهبي : فيه عدي بن الفضل وهو هالك . والحديث صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد وهو عنده في الصحيحية حديث (٢٦) . وذكره الهيثمي في مجمع الروايد (٤/٣٥ - ٣٦) وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والصغير كلهم من غير شك قالوا : قال : يا رسول الله ! إني لأذبح الشاة فأرحمها . وله ألفاظ كثيرة ورجاله ثقات . اهـ .

[١] - في ز : « جلدوا » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من : ز .

[٤] - في ت : الرجل الواحد .

[٥] - ما بين المعقوفين سقط من : ز .

وقال ربيعة : خمسة ، وقال الحسن البصري : عشرة ، وقال قتادة : أمر الله أن يشهد عذابهما طائفه من المؤمنين أي : نفر من المسلمين ، ليكون ذلك موعدة وعبرة ونکالاً .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يعني بن عثمان ، حدثنا بقية قال : سمعت نصر بن علقة [١] في قوله تعالى ﴿وليشهد عذابهما طائفه من المؤمنين﴾ قال : ليس ذلك للفضيحة ، إنما ذلك ليدعى الله تعالى لهم بالتنوب والرحمة .

الرَّافِ لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالْزَانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِمَ

ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

هذا خبر من الله تعالى بأن الزاني لا يطأ إلا زانية [أو مشركة أي [٢] : لا يطأه على مراده من الزنا إلا زانية عاصية ، أو مشركة لا ترى حرمة ذلك ، وكذلك ﴿الزنية لا ينكحها إلا زان﴾ أي : عاص بزناه ﴿أو مشرك﴾ لا يعتقد تحريره ، قال سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي عمارة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ﴿الزنبي لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾ قال : ليس هذا بالنكاح إنما هو الجماع ، لا يزني بها إلا زان أو مشرك ، وهذا إسناد صحيح عنه ، وقد روی عنه من غير وجه أيضاً .

وقد رُوی عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وعروة بن الزبير ، والضحاك ، ومكحول ، ومقاتل بن حيان ، وغير واحد ؛ نحو ذلك .

وقوله تعالى : ﴿وَحْرَمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي : تعاطيه ، والتزويج بالبغایا أو تزویج العفاف [بالفجار من الرجال] [٣] .

و[٤] قال أبو داود الطیالسی : حدثنا قيس ، عن أبي حصین ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿وَحْرَمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال : حرم الله الزنا على المؤمنين .

وقال قتادة ومقاتل بن حيان : حرم الله على المؤمنين نكاح البغایا ، وتقديم في ذلك فقال : ﴿وَحْرَمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿مَحْصَنَاتٍ غَيْرَ مَسَافَحَاتٍ وَلَا مَتَخَذَاتٍ أَخْدَانٍ﴾ قوله ﴿مَحْصَنَاتٍ﴾ غير مسافحين ولا متخذات أخدان ﴿الآية﴾ ، ومن هنها ذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - إلى أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف

[١] - في ت : ويقول .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعقوفين في ت : « بالرجال الفجار » .

[٤] - سقط من : ز .

على المرأة البغي ، ما دامت^[١] كذلك حتى^[٢] تستتاب ، فإن تابت صح العقد عليها وإلا فلا ، وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافع حتى يتوب توبة صحيحة لقوله تعالى ﴿ وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ .

وقال الإمام أحمد^(١) : حَدَّثَنَا عَارِمُ ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سَلَيْمَانٍ ؛ قَالَ : قَالَ أَبِيهِ : حَدَّثَنَا الْحَضْرَمِيُّ ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَجُلًا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ^[٣] اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا : أُمٌّ مَهْرُولٌ ، كَانَتْ تَسَافِعُ وَتَشْتَرِطُ لَهُ أَنْ تَنْفَقْ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَاسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ ذَكَرَ لَهُ أَمْرَهَا قَالَ : فَقَرَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالْزَانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانَ أَوْ مُشْرِكَ وَحْرَمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقال النسائي^(٤) : أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ عَلَيِّ^[٤] ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سَلَيْمَانٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الْحَضْرَمِيِّ ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : كَانَتْ امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا : أُمٌّ مَهْرُولٌ ، وَكَانَتْ تَسَافِعُ ، فَأَرَادَ رَجُلٌ مِّنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالْزَانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانَ أَوْ مُشْرِكَ وَحْرَمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

قال^[٥] الترمذى^(٦) : حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنَ حَمِيدٍ ، حَدَّثَنَا رُوحُ بْنِ عَبَادَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَخْنَسِ ، أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ شَعْبَى ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِهِ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : مَرِثَدُ ابْنِ أَبِيهِ مَرِثَدٍ ، وَكَانَ رَجُلًا يَحْمِلُ الْأَسْرَارِ مِنْ مَكَّةَ حَتَّى يَأْتِي بِهِمُ الْمَدِينَةَ ، قَالَ : وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغَى بَكَةً يُقَالُ لَهَا : عَنَاقٌ ، وَكَانَتْ صَدِيقَةً لَهُ ، وَإِنَّهُ وَاعِدٌ^[٧] رَجُلًا مِّنْ أَسْرَارِ مَكَّةَ يَحْمِلُهُ ، قَالَ : فَجَئْتُ حَتَّى انتَهَيْتُ إِلَى ظَلِّ حَائِطٍ مِّنْ حَوَائِطِ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ مَقْمُرَةٍ ، قَالَ : فَجَاءَتِي عَنَاقٌ فَأَبْصَرْتُ سَوْدَ ظَلَّ تَحْتَ^[٨] الْحَائِطِ ؛ فَلَمَّا انتَهَيْتُ إِلَيْيَ عَرْفَتِي^[٩] ؛ فَقَالَتْ : مَرِثَدٌ ؟ فَقَلَتْ : مَرِثَدٌ ؛ فَقَالَتْ : مَرْجَبًا وَأَهْلًا ، هَلْمَ فَبَتْ عَنْدَنَا الْلَّيْلَةَ . قَالَ : فَقَلَتْ^[٩] يَا عَنَاقٌ ؟ حَرَمَ اللَّهُ الزَّنَا ، فَقَالَتْ^[١٠] : يَا أَهْلَ الْخَيَامِ هَذَا الرَّجُلُ يَحْمِلُ أَسْرَاكُمْ . قَالَ : فَتَبَعَنِي

(١١) - المستند (٢/٥٩٠) .

(١٢) - النسائي في الكبرى حديث (٥٩٣١) .

(١٣) - رواه الترمذى حديث (٧٧٣) في تفسير القرآن ، تفسير سورة النور .

[١] - في ز : « دامها » .

[٢] - في ت : « المؤمنين » .

[٣] - في ز : « وقال » .

[٤] - في ز : « وعد » .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - في ز : « قلت » .

[٧] - في ز : « دامها » .

[٨] - في ز : « عرفت » .

[٩] - في ز : « قال » .

[١٠] - في ز : « قلت » .

ثمانية وسلكت [١] الخدمة [٢] فانتهيت إلى غار أو كهف فدخلت فيه فجاءوا حتى قاموا على رأسي فبالوا ، فظل بولهم على رأسي ، فأعماهم [٣] الله عنى ، قال : ثم رجعوا ، ورجعت [٤] إلى صاحبي فحملته ، وكان رجلاً ثقيلاً حتى انتهيت إلى الإذنخ [٥] ، ففككت عنه أكبده [٦] ، فجعلت أحمله ويعيني حتى أتيت به المدينة ، فأتتني رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقلت : يا رسول الله ! أنكح عناقاً ، أنكح عناقاً - مرتين - فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد علي شيئاً حتى نزلت ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ [٧] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا مرثد ! الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك [٨] فلا تنكحها ». .

ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقد [٩] رواه أبو داود والنمسائي في كتاب النكاح من سننهما [١٠] من حديث عبد الله بن الأحسن به .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أَبُو حَمْزَةُ ، حَدَّثَنَا مُسْدَدُ أَبُو الْحَسْنِ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ ، عَنْ حَبِيبِ الْعَلَمِ ، حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَعْبَ ، عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبَرِيِّ ، عَنْ أَبِي هَرِيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا ينكح الزاني المخلود إلا مثله ». .

وهكذا أخرجه أبو داود [١١] في سنته عن مسدد، وأبي معمر [٩] - عبد الله بن عمرو - كلّاهما عن عبد الوارث به .

وقال الإمام أحمد [١٢] : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ ، حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ زِيدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

(١) - رواه أبو داود حديث (٢٠٥١) في باب : قوله تعالى : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية ﴾ والنمسائي حديث ٣٢٢٨ في باب : تزويج الزانية .

(٢) - رواه أبو داود حديث (٢٠٥٢) في باب : قوله تعالى : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية ﴾ .

(٣) - رواه أحمد (١٣٤/٢) .

[١] - في ت : « ودخلت » .

[٢] - في خ : « ونحاجم » .

[٣] - الإذنخ : موضع خارج مكة ينبع فيه الإذنخ .

[٤] - أكبده : جمع - قلة - كبل ، وهو القيد الضخم .

[٥] - ما بين المعقوتين سقط من : خ ، ز . [٦] - سقط من : ز .

[٧] - في خ ، ز : « عن » .

عمر بن الخطاب ، عن أخيه عمر بن محمد ، عن عبد الله بن يسار - مولى ابن عمر - قال: أشهد لسمعت سالماً يقول : قال عبد الله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيمة : العاق لوالديه ، والمرأة المترجلة المشبهة بالرجال ، والديوث . وثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيمة : العاق لوالديه ، ومدمن الخمر ، والمنان بما أعطى » .

ورواه النسائي^(١٧) عن عمرو بن علي الفلاس ، عن يزيد بن زريع ، عن عمر بن محمد العمري ، عن عبد الله بن يسار به .

وقال الإمام أحمد أيضاً^(١٨) : حَدَّثَنَا يعقوب ، حَدَّثَنَا أُبِي ، حَدَّثَنَا الوليد بن كثير ، عن قطن بن وهب ، عن عوير بن الأجدع ، عن حدثه ، عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: حديثي عبد الله بن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر ، والعاق [١٩] ، والديوث الذي يقر في أهله الخبث » .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده^(١٩) : حديثي شعبة ، حديثي رجل من آل سهل بن حنيف ، عن محمد بن عمارة ، عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة ديوث » يستشهد به لما قبله من الأحاديث .

وقال ابن ماجة^(٢٠) : حَدَّثَنَا هشام بن عمارة ، حَدَّثَنَا سلامة بن سوار ، حَدَّثَنَا كثير بن سليم ، عن الضحاك بن مزاحم ، سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول^(٢١) : « من أراد أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليتزوج الحرات » في إسناده ضعف .

قال^(٢٣) الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري في كتاب^(٤) « الصحاح في اللغة » : الديوث : القئد وهو الذي لا غيره له .

(١٧) - رواه النسائي حديث ٢٥٦٢ في الزكاة ، باب : المنان بما أعطى .

(١٨) - رواه أحمد (٦٩/٢) وذكره الهيثمي في مجمع الروايات (١٤٧/٨) وقال : فيه راوٍ لم يسم .

(١٩) - مسنـد الطيالـسي رقم ٦٤٢ .

(٢٠) - رواه ابن ماجة حديث (١٨٦٢) في النكاح ، باب : تزويج الحرائر ، وهذا إسناداً ضعيف ، سلام بن سوار ضعيف ، وكثير بن سليم ضعيف ، والضحاك : صدوق كثير الإرسال ، وهشام بن عمارة : صدوق كبير فصار يتلقن ، فحديثه في القدم أصح .

[١] - في ت : لوالديه .

[٢] - في ت : و قال .

[٤] - في ت : « كتابه » .

فاما الحديث الذي رواه الإمام أبو عبد الرحمن النسائي^(٢١) في كتاب النكاح من سنته : أخبرنا محمد بن إسماعيل بن علي ، عن يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، وغيره ، عن هارون بن رئاب ، عن عبد الله بن عمير - وعبد الكريم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن ابن عباس^[١] - عبد الكريم رفعه إلى^[٢] ابن عباس ، وهارون لم يرفعه - قالا : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال^[٣] : إن عندي امرأة^[٤] من أحب الناس إلى وهي لا تمنع يد . لامس قال : « طلقها ». قال : لا صبر لي عنها ، قال : استمتع بها^[٥] .

ثم قال النسائي : هذا الحديث غير ثابت ، وعبد الكريم ليس بالقوى ، وهارون أثبت منه وقد أرسل الحديث وهو ثقة ، وحديثه أولى بالصواب من حديث عبد الكريم .

قلت : وهو ابن أبي المخراق البصري المؤدب ، تابعي ضعيف الحديث ، وقد خالفه هارون ابن رئاب وهو تابعي ثقة من رجال مسلم ، فحديثه المرسل أولى ، كما قال النسائي ، لكن قد رواه النسائي^(٢٢) في كتاب الطلاق عن إسحاق بن راهويه ، عن النضر بن شمبل ، عن حماد بن سلمة ، عن هارون بن رئاب ، عن عبد الله بن عمير ، عن ابن عباس^[٦] ، من سلسلة ، فذكره . [فهذا^[٧] بهذا الإسناد رجاله^[٨] على شرط مسلم ؛ إلا أن النسائي بعد روايته له قال : « وهذا خطأ والصواب مرسل . ورواه غير النضر على الصواب » .

وقد رواه النسائي^(٢٣) أيضاً وأبو داود عن الحسين بن حرث ، أخبرنا الفضل بن موسى ، أخبرنا الحسين بن واقد ، عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره . وهذا^[٩] إسناد^[١٠] جيد .

وقد اختلف الناس في هذا الحديث ما بين مضعف له كما تقدم عن النسائي ، ومنكر^[٧] كما قال الإمام^[٨] أحمد : هو حديث منكر ، وقال ابن قتيبة : إنما أراد أنها سخية لا تمنع

(٢١) - رواه النسائي حديث (٣٢٢٩) في النكاح ، باب : تزويج الزانية .

(٢٢) - رواه النسائي حديث (٣٤٦٥) في الطلاق ، باب : ما جاء في الخلع .

(٢٣) - رواه النسائي حديث (٣٤٦٤) في الطلاق ، باب : ما جاء في الخلع . أن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن امرأتي لا تمنع يد لامس فقال : « غربتها إن شئت » قال : إنني أخاف أن تنتقم منها^[١] قائل : « اشتفيها بها » .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المقوفين في ت : وهي .

[٣] - في خ : « فرجاله » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في خ : « الإسناد » .

[٧] - سقط من : خ .

[٨] - سقط من : ز .

سائلًا ، وحكاه النسائي في سنته عن بعضهم فقال : وقيل : سخية تعطى ، وردة هذا بأنه لو كان المراد لقال [١] : لا ترد يد ملتمس ، وقيل : المراد إن سجيتها لا ترد يد لامس ، [لا أن] [٢] المراد أن هذا واقع منها وأنها تفعل الفاحشة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأذن في مصاحبة من هذه صفتها ؛ فإن زوجها والحالة هذه يكون ديوثا ، وقد تقدم الوعيد على ذلك ، ولكن لما كانت سجيتها هكذا ليس فيها ممانعة ولا مخالفة لمن أرادها لو خلا بها أحد ، أمره [٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرارها ، فلما ذكر أنه يحبها أباح له البقاء معها ، لأن محبته لها محققة ووقوع [٤] الفاحشة منها متوهّم [٥] ، فلا يصار إلى الضرر العاجل ، لتوهم الآجل ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

قالوا : فأما إذا حصلت توبة فإنه يحل التزويج ، كما قال الإمام أبو محمد بن أبي حاتم - رحمه الله - : حَدَّثَنَا أَبُو سعيد الأشج، حَدَّثَنَا أَبُو خالد ، عن ابن أبي ذئب قال : سمعت شعبة [٦] - مولى ابن عباس - رضي الله عنه - قال : سمعت ابن عباس وسأله رجل فقال [٧] له : إني كنت ألم بأمرأة آتني منها ما حرم الله - عز وجل - علي ، فرزق الله - عز وجل - من ذلك توبة ، فأردت أن أتزوجها ، فقال أنس : إن الزانية لا ينكح إلا زانية [٨] . فقال ابن عباس : ليس هذا في هذا ، انكحها فما كان من إثم فعله .

وقد ادعى طائفة آخرون من العلماء أن هذه الآية منسوخة .

قال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أَبُو سعيد الأشج ، حَدَّثَنَا أَبُو خالد ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب قال : ذكر عنده : الزانية لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك [٩] قال : كان يقال : نسختها التي بعدها [١٠] وأنكحوا الأيامى منكم [١١] قال : كان يقال : الأيامى من المسلمين .

و[١٢] هكذا رواه الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ، عن سعيد بن المسيب [١٣] .

ونص على ذلك أيضا الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله .

(٢٤) - الناسخ والمنسوخ ص (١٠٠) ، أثر (١٧١) وروى نحوه الشافعي في الأم (١٤٨ ، ١٢/٥) والبيهقي في الكبير (١٥٤/٧) .

[١] - ما بين المقوفين في ز : « لأن » .

[١] - في ز : « فقال » .

[٤] - في خ : « ووقع » .

[٣] - سقط من : خ .

[٦] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز : « متوهّمة » .

[٨] - ما بين المقوفين في ت : أو مشركة .

[٧] - في ز : « قال » .

[٩] - سقط من : ز .

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ فَاجْلِدُوهُنَّ ثَمَنِيْنَ جَلَدَةً وَلَا تَقْبِلُوا لَهُنَّ
شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُنَ الْفَاسِقُونَ ﴿٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَاصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

هذه الآية الكريمة فيها بيان حكم جلد القاذف للمحصنة ، وهي الحرة البالغة العفيفة ، فإذا كان المقدوف رجلاً فكذلك يجلد قاذفه أيضاً ، وليس في هذا نزاع بين العلماء ، فأما إن أقام القاذف بينة على صحة ما قاله رد^[١] عنه الحد ، ولهذا قال تعالى ﴿٦﴾ ثم لم يأتوا بأربعة شهادة فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ﴿٧﴾ فأوجب على القاذف إذا لم يقم بينة^[٢] على صحة ما قاله^[٣] ثلاثة أحكام : (أحدها) أن يجلد ثمانين جلدة ، (الثاني) أنه تردد شهادته دائمًا^[٤] ، (الثالث) أن يكون فاسقاً ليس بعدل ، لا عند الله ولا عند الناس ، ثم قال تعالى : ﴿٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَاصْلَحُوا [فإن الله غفور رحيم]^[٩] . واحتلَّ العلماء في هذا الاستثناء ، هل يعود إلى الجملة الأخيرة فقط ؛ ترفع التوبية الفسق فقط ، ويبقى مردود الشهادة دائمًا وإن تاب ، أو يعود إلى الجملتين الثانية والثالثة ؟ وأمّا^[٧] الجلد : فقد ذهب وانقضى ، سواء تاب أو أصر ، ولا حكم له بعد ذلك بلا خلاف ، فذهب الإمام مالك والشافعي وأحمد بن حنبل إلى أنه إذا تاب قبلت شهادته ، وارتفاع عن حكم الفسق ، ونص عليه سعيد بن المسيب سيد التابعين ، وجماعة من السلف أيضاً ، وقال الإمام أبو حنيفة : إنما يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فقط ، فيرتفع الفسق بالتوبية ويبقى مردود الشهادة أبداً ، ومن ذهب إليه من السلف : القاضي شريح وإبراهيم التخمي وسعيد بن جبير ومكحول وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر . وقال الشعبي والضحاك : لا تقبل [شهادته وإن تاب إلا أن يعترف على نفسه بأنه^[٨] قد قال البهتان ، فحيثئذ تقبل^[٩] شهادته والله أعلم .

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَرَبَّ يَكُنْ لَهُنَّ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةٌ أَحَدُهُمْ أَتَيَّ شَهَادَاتِ
بِاللَّهِ إِنَّمَا لَمْ يَرْمِ لِمَنِ الْصَّدِيقَيْنَ ﴿٨﴾ وَالْخَمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

[١] - في خ : « درأ ». [٢] - في خ : « البينة » .

[٤] - في ت : « أبداً » . [٣] - في خ : « قال » .

[٦] - سقط من : ز . [٥] - ما بين المعقوفين في ت : « الآية ». [٧] - سقط من : ز .

[٨] - في ت : « أنه » . [٩] - ما بين المعقوفين سقط من : خ .

﴿٧﴾ وَيَرْدُقُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشَهِّدَ أَرْبَعَ شَهَادَتِي بِاللَّهِ إِنَّمَا لَمَنِ الْكَاذِبِينَ
 وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
 وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَابُ حَكِيمٌ ﴿٩﴾

هذه الآية الكريمة فيها فرج للأزواج ، وزيادة مخرج إذا قذف أحدهم زوجته وتعسر عليه إقامة البينة أن يلاعنها كما أمر الله - عز وجل - وهو أن يحضرها إلى الإمام فيدعى عليها بما رماها به ، فيحلفه الحاكم أربع شهادات بالله في مقابلة أربعة شهداء ، إنه من الصادقين ، أي : فيما رماها به من الزنا هـ والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين هـ فإذا قال ذلك باتت منه بنفسه هذا اللعن عند الشافعي ^[١] وطائفة كبيرة من العلماء ، وحرمت عليه أبداً ، ويعطيها مهرها ويوجه عليها حد الزنا ، ولا يدرأ عنها العذاب ^[٢] إلا أن تلاعن فتشهد أربع شهادات بالله إنه من الكاذبين ، أي : فيما رماها به هـ والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين هـ ولهذا قال هـ ويدرأ عنها العذاب هـ يعني : الحد هـ أن تشهد أربع شهادات بالله إنه من الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين هـ فخصها بالغضب [كما] أن الغالب أن الرجل لا يتجمعش ^[٣] فضيحة أهله ورميها بالزنا ، إلا وهو صادق معدور ، وهي تعلم صدقه فيما رماها به ، ولهذا كانت الخامسة في حقها أن غضب الله عليها ، والمفضوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يحيد عنه .

ثم ذكر تعالى [لطفه بخلقه ورأفته بهم وشرعه لهم] الفرج والمخرج من شدة ما يكون بهم من الضيق ، فقال تعالى : هـ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ هـ أي : لترجم ^[٤] ولشق عليكم كثير من أموركم هـ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَابٌ هـ [^[٥]] : على عباده ، وإن كان [^[٦]] بعد الحلف والأيمان المغفلة هـ حكيم هـ فيما يشرعه ، ويأمر به وفيما ينهى عنه ، وقد وردت الأحاديث بمقتضى العمل بهذه الآية ، وذكر سبب نزولها وفيمن نزلت فيه ^[٧] من الصحابة .

قال الإمام أحمد ^[٨] : حَدَّثَنَا يَزِيدٌ ، أَخْبَرَنَا عَبَادُ بْنُ مُنْصُورٍ ، عَنْ عَكْرَمَةَ ، عَنْ أَبِي عَبَاسٍ قَالَ : مَا نَزَّلَتْ : هـ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةَ شَهَادَةَ فَاجْلِدُوهُمْ

(٢٥) - رواه أحمد (٢٣٨/١)

[١] - في ز : « الشافعية » .

[٢] - في ز : « يتحشم » .

[٣] - ما بين المukoفين في ت : اي .

[٤] - سقط من : ز .

ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً) قال سعد بن عبادة - وهو سيد الأنصار رضي الله عنه - : أهكذا أنزلت يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معاشر الأنصار لا تسمعون ما يقول سيدكم ؟ » فقالوا : يا رسول الله ! لا تلمه فإنه رجل غيور والله ما تزوج امرأة قط [١] فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته ، فقال سعد : والله يا رسول الله ؛ إني لأعلم أنها حق [٢] ، وأنها من الله ، ولكنني قد تعجبت أنني لو وجدت لكاً قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه ، حتى آتي بأربعة شهداء فوالله [٣] لا آتي بهم حتى يقضى حاجته !! قال : فما ليثوا إلا يسيروا حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ، فجاء من أرضه عشاء ، فوجد عند أهله رجلاً فرأى بعينيه وسمع بأذنيه فلم يبهجه حتى أصبح فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ إني جئت أهلي عشاءً فوجدت عندها رجلاً فرأيت بعيني وسمعت بأذني ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به ، واشتد عليه ، واجتمعت [٤] الأنصار ، وقالوا [٥] : قد ابتعلينا بما قال سعد بن عبادة ، الآن يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال بن أمية ويطرد شهادته في الناس ، فقال هلال : والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً . وقال هلال : يا رسول الله ؛ إني [٦] قد أرئي ما اشتد عليك مما جئت به ، والله يعلم إني لصادق . فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربي إذ [٧] أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم الوحي ، وكان إذا نزل [٨] عليه الوحي عرفوا ذلك في تربد [٩] وجهه ، يعني فامسكونا عنه حتى فرغ من الوحي فنزلت [١٠] الآية ، فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أبشر يا هلال ، فقد [١١] جعل الله لك فرجاً ومخرجاً » فقال هلال : قد كنت أرجو ذلك من ربى - عز وجل - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرسلوا إليها » فأرسلوا إليها فجاءت ، فقل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ، وذكرهما [١٢] وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا ، فقال هلال : والله يا رسول الله لقد صدقتم عليها فقالت : كذب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاعنوا بينهما » فقبل لهلال : أشهد ،

[١] - ما بين المكوفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ت : « لحق » .

[٣] - في ت : إني .

[٤] - في ت : عليه .

[٥] - في ت : « فائي » .

[٦] - في ت : « أنزل » .

[٧] - سقط من : ز .

[٨] - في ز : « تربد » .

[٩] - في ز : « تربد » .

[١٠] - في ت : « ذكرهما » .

فتشهد أربع شهادات بالله إن أنه من الصادقين ، فلما [كان في [١] الخامسة قيل له : يا هلال ؛ اتق الله ، فإن عذاب الدنيا أهون من الآخرة وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب ، فقال : والله لا يعذبني الله عليها ، كما لم يجعلني عليها ، فتشهد في الخامسة : أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، ثم قيل [للمرأة : اشهدي أربع شهادات بالله إنه من الكاذبين ، وقيل لها عند الخامسة [٢] : اتقى الله ، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب ، فتكلأت ساعة ، ثم قالت : والله لا أفضح قومي ، فتشهدت في الخامسة : أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ، وقضى أن لا يدعى ولدتها لأب ولا يرمي ولدتها ، ومن رماها أو رمى ولدتها فعليه الحد ، وقضى [أن لا بيت لها عليه [٣] ، ولا قوت لها ، من أجل أنها يتفرقان [٤] من غير طلاق ولا متوفى عنها ، وقال : « إن جاءت به أصيبهب [أريصح حمس][٥] الساقين » فهو لهلال ، وإن جاءت به أورق جعداً جمالاً خدلج الساقين سايع الألبيتين فهو الذي رميته به » .

فجاءت به أورق جعداً جمالاً خدلج الساقين سايع الألبيتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو لا الأيمان لكان لي ولها شأن » .

قال عكرمة : فكان بعد ذلك أميراً على مصر وكان يدعى لأمه ولا يدعى لأب .

ورواه أبو داود [٦] عن الحسن بن علي ، عن يزيد بن هارون به نحوه مختصراً .

ولهذا الحديث شواهد كثيرة في الصحاح وغيرها من وجوه كثيرة ، فمنها ما

قال البخاري [٧] : حدثني محمد بن بشار ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن هشام بن

(*) أما الجعد ففتح الحليم وإسكنان العين ، قال الهروي : الجعد في صفات الرجال يكون مدحاً ويكون ذمـاً ، فإذا كان مدحـاً فله معنـيـان : أحدهـما أـن يـكـون مـعـصـوبـ الـحـلـقـ شـدـيدـ الـأـسـرـةـ ، والـثـانـيـ أـن يـكـون شـعـرـهـ غـيرـ سـبـطـ لـأـنـ السـبـوـطـةـ أـكـثـرـهـاـ فـيـ شـعـورـ الـعـجـمـ . وأـمـاـ الجـعـدـ الـمـذـمـومـ فـلـهـ معـنـيـانـ : أحـدـهـماـ التـصـيـرـ التـرـددـ ، وـالـآخـرـ الـبـخـلـ يـقـالـ : جـعـدـ الـأـصـابـعـ وـجـعـدـ الـيـدـيـنـ أـيـ بـخـيلـ . وأـمـاـ حـمـنـشـ السـاقـينـ أـيـ رـقـيـهـمـ ، وـالـحـمـوـشـ الدـقـةـ .

(٦) - رواه أبو داود حدث [٢٢٥٦] في كتاب الطلاق في اللعان .

(٧) - رواه البخاري حدث [٤٧٤٧] في كتاب التفسير ، ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات .. وأطرافه عنده حدث [٢٦٧١] في الشهادات ، و [٥٣٠٧] في الطلاق .

[١] - ما بين المukoفين في ت : « كانت » .

[٢] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ت : « يتفرقان » .

[٥] - ما بين المukoفين في ز : « أريصح خمس » .

حسان ، حديثي عكرمة ، عن ابن عباس : أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « البينة أو حد في ظهرك » فقال : يا رسول الله ! إذا رأى أحدهنا على^[١] امرأته رجلاً ينطلق يتهمس البينة ؟ فجعل^[٢] النبي صلى الله عليه وسلم يقول^[٣] : « البينة ولا حد في ظهرك » فقال هلال : والذي يبعث بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد ، فنزل جبريل وأنزل عليه^[٤] والذين يرمون أزواجاهم^[٥] - فقرأ حتى بلغ - « إن كان من الصادقين^[٦] » فانصرف النبي صلى الله تعالى عليه وأله وسلم ، فأرسل إليهما فجاء هلال فشهد ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن^[٧] الله يعلم^[٨] أن أحدكم كاذب ، فهل منكم تائب ؟ » ثم قامت فشهادت ، فلما كان عد^[٩] الخامسة وقوها وقالوا : [إنها موجبة]^[١٠] . قال ابن عباس : فتكلأت ونكشت حتى ظتنا أنها ترجع ، ثم قالت : لا أفضح قومي سائر اليوم ، فمضت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين ساغ الألتين ، خدلاج الساقين فهو لشريك بن سحماء » فجاءت به كذلك . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو^[١١] ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن » .

انفرد به البخاري من هذا الوجه ، وقد رواه من غير وجه عن ابن عباس وغيره .

وقال ابن أبي حاتم : حديثنا أحمد بن منصور الزيادي ، حديثنا يونس بن محمد ، حديثنا صالح - وهو ابن عمر - حديثنا عاصم - يعني ابن كلبي - عن أبيه ، حديثي ابن عباس قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى امرأته برجل ، فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم ينزل بيردهه حتى أنزل الله تعالى : « والذين يرمون أزواجاهم ولم يكن لهم شهداء^[١٢] » فقرأ حتى فرغ من الآيتين ، فأرسل إليهما فدعاهما ، فقال : « إن الله تعالى قد أنزل فيكما^[١٣] » فدعا الرجل فقرأ عليه فشهادت أربع شهادات بالله إنه لم الصادقين ، ثم أمر به فأمسك على فيه فوعظه ، فقال له : كل شيء أهون عليك من لعنة الله ، ثم أرسله ، فقال : لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، ثم [دعا بها]^[١٤] فقرأ عليها فشهادت أربع شهادات بالله إنه لم^[١٥] الكاذبين ، ثم أمر بها فأمسك على فيها فوعظها وقال : ويحك ! كل شيء أهون من غضب الله ، ثم أرسلها فقالت : غضب الله عليها إن كان من الصادقين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما والله لأقضين بينكمما قضاء »

[١] - في خ ، ز : « مع » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في خ ، ز : « يشهد » .

[٤] - في ت : « في » .

[٥] - ما بين المعقوفين في ز : « بها موجب » .

[٦] - في ت : « من » .

[٧] - في ت : « دعاها » .

[٨] - في ت : « دعاها » .

فصلأ

قال : فولدت فما رأيت مولوداً بالمدينة أكثر^(١) غاشية^(٢) منه ، فقال : « إن جاءت به لكذا وكذا فهو لكذا ، وإن جاءت به لكذا وكذا فهو لكذا » فجاءت به يشبه الذي قدف به .

وقال الإمام أحمد^(٣) : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان ، قال : سمعت سعيد بن جبیر قال : سئلت عن الملاعنين أيفرق بينهما ؟ - في إمارة ابن الزبير - فما دريت ما أقول ، فقمت من مكانی إلى منزل ابن عمر ، قلت : يا^(٤) عبد الرحمن ؛ الملاعنان أيفرق بينهما ؟ فقال : سبحان الله ، إن أول من سأله عن ذلك فلان بن فلان ، فقال : يا رسول الله ! أرأيتك الرجل يرى امرأته على فاحشة فإن تكلم بأمر عظيم ، وإن سكت سكت على^(٥) مثل ذلك ؟ فسكت فلم يجهه ، فلما كان بعد ذلك ، أتاه فقال الذي سألك عنه قد أبليت به ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآيات في سورة النور ﴿والذين يرمون أزواجهم هن حتى بلغ ﴾ أَنْ غَضْبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ فبدأ بالرجل فوعظه ، وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ؛ فقال : والذي بعثك بالحق ما كذبتك ، ثم ثني بالمرأة فوعظها وذكرها ، وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقالت المرأة^(٦) : والذي بعثك بالحق إنه لكافر . قال : فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات بالله إنه من الصادقين ، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، ثم ثني بالمرأة ، فشهدت أربع شهادات بالله إنه من الكاذبين ، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين . ثم فرق بينهما

رواه النسائي^(٧) في التفسير من حديث عبد الملك بن أبي سليمان به

وآخر جاه في الصحيحين^(٨) من حديث سعيد بن جبیر عن [ابن عباس] .

وقال الإمام أحمد^(٩) : حدثنا يحيى بن حماد ، حدثنا أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن

(١) الغاشية هبنا : الناس الذين ذهبا ليروا المولود .

(٢) - الحديث في المسند (١٩/٢)

(٣) - النسائي في الكبرى رقم (١١٣٥٧) .

(٤) - البخاري (٥٣١٢) في الطلاق ، باب : إن أحد كما كاذب ، ومسلم (١٤٩٣) في كتاب اللعان كلاماً من حديث سعيد بن جبیر ، عن ابن عمر .

(٥) - المسند (٤٢١/١) ، ومسلم حديث (١٤٩٥) في كتاب : اللعان .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « عن » .

إبراهيم ، عن علقة ، عن عبد الله قال : كنا جلوسًا عشية الجمعة في المسجد ، فقال رجل من الأنصار : أحننا إذا رأى مع امرأته رجلاً [فقتله]^[١] قتلتموه ، وإن تكلم جلدتموه ، وإن سكت سكت على غيط^[٢] . والله لإن أصبحت صالحًا^[٣] لأسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فسألَه ، فقال : يا رسول الله إنا أحننا إذا رأى مع امرأته رجلاً [فقتله]^[٤] قتلتموه ، وإن تكلم جلدتموه ، وإن سكت سكت على غيط ، اللهم احكم ، قال : فأنزلت^[٥] آية اللعان ، فكان ذلك الرجل أول من^[٦] أبلي به .

انفرد بآخر اوجه مسلم ، فرواه من طرق عن سليمان بن مهران الأعمش به .

وقال الإمام أحمد أيضًا^(٣٢) : حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلْ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدَ، حَدَّثَنَا أَبْنَ شَهَابٍ ، عن سهيل بن سعد قال : جاء عويم إلى عاصم بن عدي ، فقال له^[٧] : سل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيتك رجلاً وجد رجلاً مع امرأته ، فقتله أيقتل به ، أم كيف يصنع ؟ فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل ، قال : فلقيه عويم فقال : ما صنعت ؟ قال : ما صنعت ! إنك لم تأتني بخير ، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاب المسائل ، فقال عويم : والله^[٨] لا ين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأسأله . فأتاه فوجده قد أنزل عليه فيها . قال : فدعها بهما ولاعن^[٩] بينهما . قال عويم : إن انطلقت بها يا رسول الله لقد كذبت عليها . قال : فقارقها قبل أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فصارت ستة المتلاعنين . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبصروها ؛ فإن جاءت به أحسم أدعع العينين عظيم الألتين ، فلا أراه إلا قد صدق ، وإن جاءت به أحىمر كأنه وحرة^[١٠] فلا أراه إلا كاذبًا » فجاءت به على النعت المكروه .

آخر جاه في الصحيحين^(٣٣) وبقية الجماعة إلا الترمذى . من طرق عن الزهرى به

. (٣٢) - المسند (٣٢٤/٥) (٢٢٩٣٧) .

(٣٣) - البخاري حديث (٤٧٤٥) في التفسير ، باب : قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنفُسُهُمْ...﴾ ، ومسلم رقم (١٤٩٢) في اللعان ، وأبُو داود حديث (٢٢٤٥) في كتاب الطلاق ، باب : في اللعان ، والنسائي (١٤٣/٦) رقم (٣٤٠٢) كتاب الطلاق ، باب : الرخصة في ذلك =

[١] - في خ : « فقتله » ، وفي ت : « إن قتله » . [٢] - في خ : « صحيحاً » .

[٣] - في خ : « فقتله » ، وفي ز : « إن قتله » . [٤] - في خ : « فنزلت » .

[٥] - في ز : « ما » .

[٦] - سقط من : خ ، ز .

[٧] - في خ : « ولاعن » .

[٨] - في ز : « وجرة » .

[٩] - في ز : « وجرة » .

[ورواه البخاري^(٣٤) أيضًا من طرق عن الزهري به ، فقال : حَدَّثَنَا سليمان بن داود أَبُو الربيع ، حَدَّثَنَا فليح ، عن الزهري ، عن سهل بن سعد ، أَنْ رجلاً أتى رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَرَأَيْتَ رجلاً رَأَى مَعَ امْرَأَتِهِ رجلاً أَيْقُلَتْهُ فَتَقْتُلُوهُ ، أَمْ كَيْفَ يَفْعُلُ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا مَا ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ التَّلَاعِنِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « قَدْ قُضِيَ فِيكَ وَفِي امْرَأَتِكَ » قَالَ : فَتَلَاعَنَا وَإِنَا شَاهِدُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَارِقَهَا ، فَكَانَتْ سَنَةً أَنْ يَفْرَقَ بَيْنَ الْمُتَلَاعِنِ . وَكَانَتْ حَامِلًا فَأَنْكَرَ حَمْلُهَا وَكَانَ ابْنَهَا يَدْعُ إِلَيْهَا . ثُمَّ جَرَتِ السَّنَةُ فِي الْمِيرَاثِ أَنْ يَرْثُهَا وَتَرَثُ مِنْهُ مَا فَرَضَ اللَّهُ لَهَا^[١] .]

وقال الحافظ أبو بكر البزار^(٣٥) : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الضَّيْفِ ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ شَمْيلٍ ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ يَشْعَى ، عَنْ حَذِيفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ : « لَوْ رَأَيْتَ مَعَ أُمِّ رُومَانَ رجلاً مَا كُنْتَ فَاعْلَمَ بِهِ ؟ » قَالَ : كُنْتَ وَاللَّهُ فَاعْلَمَ بِهِ شَرِقاً ، قَالَ : « فَأَنْتَ يَا عُمَرَ ؟ » قَالَ : كُنْتَ وَاللَّهُ فَاعْلَمَ ، كُنْتَ أَقُولُ : لَعْنَ اللَّهِ الْأَعْجَزَ فَإِنَّهُ^[٢] خَيْثٌ . قَالَ : فَنَزَلَتْ هُوَ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهِداءٌ إِلَّا أَنفُسُهُمْ^[٣] » ثُمَّ قَالَ : لَا نَعْلَمُ أَحَدًا أَسْنَدَهُ إِلَّا النَّضْرُ بْنُ شَمْيلٍ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقِ ، ثُمَّ رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ الثُّورِيِّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقِ عَنْ زَيْدِ بْنِ يَشْعَى مَرْسَلًا ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وقال الحافظ أبو يعلى^(٣٦) : حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِي مُسْلِمِ الْجَرْمِيِّ ، حَدَّثَنَا مُخْلَدُ بْنُ الْحَسِينِ ، عَنْ هَشَامٍ ، عَنْ أَبِنِ سِيرِينَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : لَأُولَئِنَّ كَانُ فِي الْإِسْلَامِ : أَنْ شَرِيكَ بْنُ سَحْمَاءَ قَذَفَهُ هَلَالَ بْنَ أُمِّيَّةَ بِامْرَأَتِهِ ، فَرَفَعَتْهُ^[٣] إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَرْبَعَةُ شَهُودٍ وَالْأَفْدَدُ فِي ظَهْرِكَ » فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ إِنِّي لصادِقٌ وَلِيَنْزَلَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ مَا يَبْرُئُ بِهِ ظَهْرِيِّ مِنَ الْجَلْدِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةً الْلَّعَنِ هُوَ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ [وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهِداءٌ إِلَّا

= وابن ماجه حديث (٢٠٦٦) في الطلاق ، باب : اللعنة .

(٣٤) - رواه البخاري حديث (٤٧٤٦) في التفسير ، تفسير قوله تعالى : هُوَ والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين^[٤] .

(٣٥) « كشف الأستار » (٢٢٣٧) ، وقال الهيثمي في الجموع (٧٤/٧) : « رجاله ثقات » .

(٣٦) مستند أبي يعلى (٢٠٧/٥) ، ورواه مسلم حديث (١٤٩٦) من طريق هشام عن محمد ، به .

[١] - ما بين المعکوفین سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز : « وإنه » .

[٣] - في خ : « فرفعه » .

أنفسهم [١]) إلى آخر الآية، قال: فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال: «أشهد بالله إنك من الصادقين فيما رميتها به من الزنا» فشهاد بذلك أربع شهادات، ثم قال له في الخامسة: « ولعنة الله عليك إن كنت من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا »، ففعل ثم دعاها [٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « قومي فأشهدي بالله إنه لم يكذب في فيما رماك به من الزنا » فشهدت بذلك أربع شهادات ، ثم قال لها في الخامسة: « وغضب الله عليك إن كان من الصادقين فيما رماك به من الزنا » قال [٣]: فلما [كان في] [٤] الرابعة أو الخامسة سكتت سكتة حتى ظنوا أنها ستعترف ، ثم قالت: لا أُفصح قومي سائر اليوم ، فمضت على القول ، ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال: « انظروه ، فإن جاءت به جدعاً حمش الساقين فهو لشريك بن سحماء ، وإن جاءت به أيض سبطاً [٥] قضى [٦] العينين فهو لهلال بن أمية » فجاءت به آدم [٧] جدعاً حمش [٨] الساقين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لولا ما نزل فيهما من كتاب الله لكان لي ولها شأن ». .

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْلَكِ عَصْبَيَةً مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ
أَمْرٍ يُقْتَلُونَ مَا أَكْتَسَبُ مِنَ الْأَثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّ كِبَرُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت ، والفرية التي غار الله - عز وجل - لها ولنبيه صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْلَكِ عَصْبَيَةً مِنْكُمْ ﴾ أي : جماعة منكم - يعني : ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة ، فكان المقدم في هذه اللعنة: عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين ، فإنه كان يجمعه ويستوشيه ، حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين ، فتكلموا به وجوهه آخرون منهم ، وبقي الأمر كذلك قريباً من شهر حتى نزل القرآن ، وسياق [٨] ذلك في الأحاديث الصحيحة . .

وقال الإمام أحمد [٩]: حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معاذ ، عن الزهرى قال: أخبرني سعيد

(٩) أي فاسد العين . وهو من قضى الثوب يقضى فهو قضى: إذا تقرئ وتشقق . النهاية (٤/٢٦) .

(١٠) - المسند (٦/١٩٤ - ١٩٧) (٢٥٢٣١) .

[١] - ما بين المعقوفين من : ز .

[٢] - في خ ، ز : « رماها » .

[٣] - في ز : « فقلت » .

[٤] - كانت .

[٥] - سقط من : ت .

[٦] - ما بين المعقوفين في ز : « قصير » .

[٧] - في ز : « خمس » .

[٨] - في ت : « بيان » .

ابن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وعلقمة بن وقارص ، وعبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها الله تعالى ، وكلهم قد حدثني بطائفة من حديثها ، وبعضهم كان أوعنى لحديثها من بعض ، وأثبتت له اقتصاصاً ، وقد [١] وعيت عن كل واحد منهم [٢] الحديث الذي حدثني ، [٣] وبعض حديثهم يصدق بعضاً : ذكروا أن عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج لسفر أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهتمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه . قالت عائشة - رضي الله عنها - : فأقرع بيننا في غروة غزاه فخرج فيها سهمي ، وخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بعد ما أنزل الحجاب ، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من [غروه] [٤] ، ووقف ودتنا من المدينة ، آذن ليلة بالرحيل ، فقمت حين آذنوا بالرحيل ، فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني ، أقبلت إلى الرحل [٥] ، فلمست صدري ، فإذا عقد [٦] من جزع ظفار قد انقطع ، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا [٧] هودجي ، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهو يحسبون أني فيه . قالت : وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن [٨] ولم يغشنن اللحم ؛ إنما يأكلن العلقة من الطعام ، فلم يستذكر القوم خفة [٩] الهودج [حين رفعوه وحملوه] [١٠] ، وكانت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش ، فجئت منازلهم ، وليس بها [١١] داع ولا مجيب ، فتيممت منزلتي الذي كنت فيه ، وظلت [أن القوم سيفقدونني] [١٢] ، فيرجعون إلىي ، فبينا أناجالسة في منزلني غلبتني عيني [١٣] فنمت ، وكان صفوان بن المuttle السلمي ثم الذكوانى قد عرس من وراء الجيش ، فأدلج فأصبح عند منزلني فرأى سواد إنسان نائم فأتأتني فعرفني حين رأني ، وكان قد رأني ، قبل [أن يضرب على] [١٤] الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فغمضت وجهي بجلبابي ، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى [١٥] أanax راحلته ، فوطئ على يدها فركبتها ، فانطلق يقود بي

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في خ ، ز : « غزوته تلك ». .

[٣] - في خ ، ز : « وبعضهم ». .

[٤] - في خ : « رحلي ». .

[٥] - في خ : « فاحتملوا ». .

[٦] - في خ ، ز : « ثقل ». .

[٧] - في خ ، ز : « فيها ». .

[٨] - في خ : « عيناي ». .

[٩] - في خ : « حين ». .

[١٠] - في خ ، ز : « حتى رحلوه ورفعوه ». .

[١١] - في خ ، ز : « فيها ». .

[١٢] - ما بين المukoفين سقط من : ت .

[١٣] - في خ : « عيناي ». .

[١٤] - في خ : « حين ». .

الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة ، فهلك من هلك في شأني ، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول ، فقدمت المدينة فاشتكيت حين قدمنا [١] شهرًا ، والناس يفِضُّون في قول أهل الإفك ، ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يربيني في وجيبي أنني لا أعرف [٢] من رسول الله صلى الله عليه وسلم [اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي] ، إنما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] فيسلم ثم يقول : « كيف تيكم ؟ » فذلك الذي [٤] يربيني ، ولا أشعر بالشر حتى [٥] خرجت بعدهما نقها ، وخرجت معه أم مسطوح قبل المناسع - وهو متبرزنا - ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخد الكتف [٦] قريباً من بيتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول في التزه [في البرية] [٧] ، وكنا نتأذى بالكتف أن نتخدنا في بيتنا ، فانطلقت أنا وأم مسطوح ، وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد المطلب [بن عبد مناف] [٨] ، وأمها ابنة صخر بن عامر ، حالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطوح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب ، فأقبلت أنا وابنة أبي رهم [أم مسطوح] [٩] قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعترت أم مسطوح في مرطتها [١٠] ، فقالت : تعس مسطوح ! فقلت لها : بعسما قلت أتسين رجلاً شهد بدراً ؟ قالت [١١] : أي هناء ألم تسمع ما قال ؟ قلت : وماذا قال ؟ قالت : فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازدادت مرضًا إلى مرضي ، فلما رجعت إلى بيتي ، فدخلت [١٢] على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم [١٣] ثم قال : « كيف تيكم ؟ » [١٤] قلت [١٥] : أتأذن لي أن آتي أبويا ؟ قالت : وأنا حيتذر أريد أن أتلين الخبر من قبلهما ، فأذن لي [١٦] رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبويا فقلت لأمي : يا أمياه ؛ ما [١٧] يتحدث الناس [١٨] ؟ فقالت : أي بنية هوني عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيحة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها . قالت : قلت [١٩] : سبحان الله ،

(*) الكثف : الكنيف : الساتر ويسمى الترسى (كنيفاً) لأنه يستر صاحبه ، وقيل للمرحاض : (كنيف) .
المصباح المنير [٥٤٢/٢] .

(**) مرطتها : المروط : كساء من صوف أو خزير تزر به ، وتتلعف المرأة به ، والجمع (مرووط) . المصباح المنير [٥٦٩/٢] .

[١] - في خ : « قدمناها » .

[٢] - في ت : « أرى » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[١٠] - في خ : « دخل » .

[١٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « فقلت له » .

[١٤] - في ت : « ماذا » .

[١٦] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - في خ : « حين » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٩] - في خ : « قالت » .

[١١] - في ز : « فسلم ثم » .

[١٣] - في ز : « يا » .

[١٥] - بعده في ت : به .

أو قد تحدث الناس بها ؟ قالت : فبكى تلك الليلة ، حتى أصبحت لا يرقا لي دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت أبكي ، قالت^[١] : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم [علي بن أبي طالب]^[٢] ، وأسامه بن زيد حين استثبت الوحي ، يسألهما^[٣] ويستشيرهما في فراق أهله ، قالت : فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذى يعلم من براءة أهله وبالذى يعلم في نفسه لهم من الود ، فقال^[٤] : يا رسول الله ؛ هم أهلك ، ولا نعلم إلا خيرا . وأما علي بن أبي طالب فقال^[٥] : لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصدقك الخبر ، قالت : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببريرة فقال^[٦] : « أي ببريرة ؛ هل رأيت من شيء يربيك من عائشة » فقالت له^[٧] ببريرة : والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أغصصه^[٨] عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تمام عن عجبن أهلها فتأتي الداجن فتأكله . فقام رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم [من يومه]^[٩] واستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلوان . قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر : « يا معاشر المسلمين ، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في [أهل بيتي]^[١٠] ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجالاً ما علمت عليه إلا خيرا ، وما كان يدخل على أهلي إلا معنى » فقام سعد بن معاذ الأنصاري - رضي الله عنه - فقال^[١١] : أنا أعذرك منه يا رسول الله ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا من^[١٢] الخزرج أمرتنا بأمرك^[١٣] . قالت^[١٤] : فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً ، ولكن احتملته^[١٥] الحمية ، فقال لسعد بن معاذ^[١٦] ! كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتلها^[١٧] ، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ ، فقال لسعد بن عبادة^[١٨] : كذبت ، لعمر الله لقتلته فإليك منافق تجادل عن المنافقين ، فشاور الحيان^[١٩] : الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم [قائم على المنبر ، فلم ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم^[٢٠] يخوضهم حتى سكتوا ، وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(*) أغصصه ؛ أي : أعيتها به وأطغئها عليه . نهاية [٣٨٦/٣] .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعقوفين في ز : « عائضاً » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - بعده في ت : أسامه .

[٥] - بعده في ت : « يارسول الله » .

[٦] - سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز : « أغصصه » .

[٨] - ما بين المعقوفين سقط من : خ .

[٩] - في ت : « أهلي » .

[١٠] - سقط من : ز .

[١١] - في ز : « أمرك » .

[١٢] - في المسند : اجهله .

[١٣] - بعده في ت : كذبت .

[١٤] - بعده في ت : ولو كان من رهطك ما أحبت أن يقتل .

[١٥] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

قالت : وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، وأبواي يظنن أن البكاء فالق كبدى . قالت [١] : في بينما هما جالسان عندي وأنا أبكي [٢] ، استأذنت علي امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكي معي ، فيينا نحن على ذلك إذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلم ثم [٣] جلس . قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل ، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شائي شيء ، قالت : فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال : « أما بعد ، يا عائشة ؛ فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسييرئك الله ، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفرى الله ، ثم [٤] توبى إليه ، فإن العبد إذا اعترف [بذنب ثم] [٥] تاب ، تاب الله عليه » قالت : فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة ، فقللت [٦] لأبي : أجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقللت لأمي : أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : فقلت - وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ [٧] كثيراً من القرآن - : والله لقد [عرفت أنكم قد] [٨] سمعتم بهذا الحديث [٩] ، حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ، فلعن قلت لكم : إني بريئة - والله يعلم إني بريئة - لا تصدقونني ، [١٠] ولعن اعترفت بأمر - والله عز وجل يعلم إني منه بريئة - تصدقونني ، فوالله ما [١١] أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف [١٢] فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴿ قالت : ثم تحولت ، فاضطجعت [١٣] على فراشي ، قالت : وأنا والله حيثند أعلم إني بريئة ، وأن الله تعالى مبرئي براءتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شائي وحي يتلى ، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها . قالت : فوالله [١٤] ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ، ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى أنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق [في اليوم الثاني] [١٥] من نقل القول الذي أنزل عليه . قالت : فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان [١٦] أول كلمة تكلم بها أن قال : « أبشرني يا

[١] - سقط من : ت .

[٢] - بعده في ت : إذ .

[٤] - في م : « و » .

[٦] - في ز : « قلت » .

[٨] - ما بين المعقودين في ت : « علمت لقد » . [٩] - سقط من : ز .

[١٠] - ما بين المعقودين سقط من : خ ، وفي ز : « واني والله لا » .

[١١] - في خ : « فاضجعت » .

[١٤] - في م : « وهو في يوم شات » .

[١٣] - في ز : « كان » .

عائشة، أما الله عز وجل فقد برأك » قالت [١] : فقلت لي أمي : قومي إليني، فقلت : والله لا أقوم إليني ولا أحمد إلا الله عز وجل هو الذي أنزل براءتي وأنزل الله - عز وجل - ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوكُمْ بِالْإِلْفَكَ عَصْبَةً مِنْكُمْ﴾ [العاشر الآيات كلها] ، فلما أنزل الله هذا في [٢] لقراءته براءتي، قالت : فقال [٣] أبو بكر رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح [بن أثاثة] [٤] لقراءته منه وقره - : والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة . فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا يَأْتِيَ أَلْوَلُ الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعْدَ أَنْ يُؤْتَوْا أُولَئِي الْقُرْبَى﴾ - إلى قوله [٥] - ﴿أَلَا تَخِبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فقال أبو بكر : بلى [٦] والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، يغفر الله لكم والله غفور رحيم - فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : والله [٧] لا أنزعها منه أبداً .

قالت عائشة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن أمري [٨] ، ما [٩] علمت أو ما [١٠] رأيت ؟ » قالت : يا رسول الله ؛ أحمي سمعي وبصري ، والله ما علمت إلا خيراً . قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمتها الله تعالى بالورع ، وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك . قال ابن شهاب : لهذا ما انتهينا إلينا من أمر هؤلاء الرهط .

أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما [١١] من حديث الزهرى .

وهكذا رواه ابن إسحاق عن الزهرى كذلك قال : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة - رضي الله عنها - وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري عن عمرة عن عائشة بنحو ما تقدم ، والله أعلم .

ثم قال البخاري [١٢] ، وقال أبوأسامة ، عن هشام بن عروة قال [١٣] : أخبرني أبي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : لما ذكر من شأني الذي ذكر وما علمت به . قام رسول الله

[١١] - رواه البخاري في الشهادات (٢٦٦١) ، وفي التفسير (٤٧٥٠) ، ومسلم في كتاب التوبه (٢٧٧٠) .

[١٢] - صحيح البخاري ، كتاب التفسير حديث (٤٧٥٧) .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعقوفين في ز : « عشر آيات فأنزل الله هذه الآيات ». .

[٣] - في خ : « قال ». .

[٤] - ما بين المعقوفين سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - سقط من : ز .

[٨] - بعده في ت : قال : يازينب .

[٩] - في ت : « ماذا ». .

[٩] - سقط من : ت .

[١١] - سقط من : خ .

صلى الله عليه وسلم في خطبتي فتشهد محمد الله وأثنى عليه بما هو أهله . ثم قال : « أما بعد ، أشيروا على في أناس أربوا أهلي ، وام الله ، ما علمت على أهلي من سوء [١] وأربواهم بمن ، والله ما علمت عليه من سوء فقط ، ولا يدخل [٢] بيتي فقط إلا وأنا حاضر ، ولا غبت في سفر إلا غاب معي » فقام سعد بن معاذ [٣] الأنباري فقال [٤] : ائذن [٥] لي يارسول الله أن أضرب [٥] أعناقهم ، فقام رجل من الخزرج ، وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل ، فقال : كذبت [٦] ! أما والله لو كانوا [٧] من الأوس ، ما أحبيت أن تضرب أعناقهم . حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج شر في المسجد وما علمت . فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي ومعي أم مسطح ، فعثرت فقالت : تعس مسطح ! فقلت لها : أي أم ؛ تسرين ابنك ؟ فسكتت [٨] ثم عثرت الثانية فقالت : تعس مسطح ! فقلت لها : أي أم ؛ تسرين ابنك ؟ ثم عثرت الثالثة فقالت : تعس مسطح ! [٩] . فانهارتها . فقالت : والله ما أسبه إلا فيك . فقلت : في أي شأني ؟ قالت : فقررت [١٠] لي الحديث ، فقلت : وقد كان هذا ؟ قالت : نعم والله . فرجعت إلى بيتي ، كأن الذي خرجت له لا أجد منه [١١] قليلاً ولا كثيراً ، ووعكت ، وقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلني إلى بيت أبي ، فأرسل معي الغلام ، فدخلت الدار ، فوجدت أم رومان في السفل ، وأبا بكر فوق البيت يقرأ . فقالت [أمي] [١١] : ما جاء بك يا بنتي ؟ فأخبرتها ، وذكرت لها الحديث ، وإذا هو لم يبلغ منها ما [١٢] بلغ مني ، [قالت] : يا بنتي حففي عليك الشأن ، فإنه والله لقل ما كانت امرأة قط حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر ، إلا حسدناها ، وقيل فيها . فقلت [١٣] : وقد علم به أبي ؟ قالت : نعم . قلت : ورسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : نعم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستعرت وبكيت ، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فنزل ، فقال لأمي : ما شأنها ؟ قالت : بلغها الذي ذكر من شأنها ففاضت عيناه - رضي الله عنه - فقال [١٤] : أقسمت عليك أي [١٥] بنتية إلا [ما] [١٦] رجعت

[١] - بعده في ت : ما علمت على أهلي إلا خيراً .

[٢] - في ز : « دخل ». .

[٤] - بعده في خ : يارسول الله .

[٦] - في ز : « كذب ». .

[٨] - في ز : « يا أم ؛ تسرين ؟ وسكت ». .

[١٠] - في ز : « لا ». .

[١٢] - في ت : « مثل الذي ». .

[١٤] - في ز : « وقال ». .

[١٦] - سقط من خ ، ت .

[٣] - في خ ، ز : « عبادة ». .

[٥] - في ت : « لنا أن نضرب ». .

[٧] - في ز : « كان ». .

[٩] - ما بين المعكوفين سقط من : خ .

[١١] - في ت : أم رومان .

[١٣] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

[١٥] - في خ ، ت : « يا ». .

إلى بيتك . فرجعت ، ولقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتي فسأل عن خادمي ، فقالت : [يا رسول الله ، لا]^[١] ، والله ما علمت عليها عيناً إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها أو عجينها ، وانتهراها بعض أصحابه فقال : أصدقني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسقطوا لها به . فقالت : سبحان الله ! والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصانع على تبر الذهب الأحمر ، وببلغ الأمر ذلك الرجل الذي قيل له . فقال : سبحان الله ! والله ما كشفت كف أثني قط . قالت عائشة رضي الله عنها فقتل شهيداً في سبيل الله .

قالت : وأصبح أبوابي عندي فلم يزلا حتى دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صلى العصر ، ثم دخل وقد اكتفي أبوابي عن يبني وعن شمالي ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد ، يا عائشة ؛ إن كنت قارفت سوءاً أو [٢] ظلمت فتوب إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده » قالت : وقد [٣] جاءت امرأة من الأنصار وهي جالسة بالباب ، فقالت : ألا تستحيي من هذه المرأة أن تذكر شيئاً فوعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت إلى أبي فقلت له : [أجبه]^[٤] . قال : فماذا أقول ؟ فالتفت إلى أمي فقلت : [أجيبيه]^[٥] . قالت : ماذا أقول ؟ فلما لم يجيءه شهدت فحمدت الله وأثنت عليه بما هو أهل ، ثم قلت : أما بعد فوالله إن قلت لكم : إني لم أفعل - والله عز وجل يشهد إني لصادقة - ما ذاك بنا في عندكم ، لقد تكلمت به وأشارته قلوبكم ، وإن قلت لكم : إني قد فعلت - والله يعلم إني لم أفعل - لتقولن قد باءت [به]^[٦] على نفسها ، وإن الله ما أجد لي ولكم مثلًا - والتسمى اسم يعقوب فلم أقدر عليه - إلا أبا يوسف حين قال [٧] فصبر جميل والله المستعان على ما يصفون [٨] وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من ساعته فسكننا فرفع عنه ، وإن لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه ، ويقول : « أبشرني يا عائشة ، فقد أنزل الله براءتك » قالت : وكنت [٩] أشد ما كنت غضباً ، فقال لي أبوابي : قومي إليه^[٩] ، فقلت : لا والله لا أقوم إليه [١٠] ولا أح مد [١١] ، ولا أح مد كما ، ولكن أح مد الله الذي أنزل براءتي ، لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه ، وكانت عائشة تقول : أما زينب بنت جحش فعصمتها^[١١] الله بدينها فلم تقل إلا خيراً ، وأما أختها حمنة

[١] - ما بين المكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « و ». .

[٤] - في ز : « وهي ». .

[٥] - في ت : « أجب رسول الله عليه ». .

[٧] - سقط من خ ، ت .

[٩] - سقط من : ز .

[١١] - في ز : « فقد عصمتها ». .

[٦] - في ت : « أجيبي رسول الله عليه ». .

[٨] - في ز : « فكنت ». .

[١٠] - سقط من خ ، ت .

بنت جحش فهلكت فيمن هلك ، وكان الذي يتكلم فيه : مسطوح وحسان بن ثابت ، و [١] المناق عبد الله بن أبي ابن سلول ، وهو [٢] الذي كان [٣] يستوشيه ويجمعه ، وهو الذي تولى كبره منهم هو وحمنة ، قالت : فحلف [٤] أبو بكر أن لا ينفع مسطحاً بنافة أبداً ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَلَا يأْتِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ [٥] يعني : أبو بكر ﴿وَالسَّعْدَةَ أَنْ يَؤْتِيَا أُولَئِي الْقَرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ﴾ يعني : مسطحاً ، إلى قوله ﴿أَلَا تَخْبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ؟ فقال أبو بكر : بل والله يا ربنا ، إنا لنحب [٦] أن تغفر لنا ، وعاد له بما كان يصنع .

هكذا رواه البخاري من هذا الوجه معلقاً بصيغة الجزم عن أبيأسامة حماد بن أسامة [٧] أحد الأئمة الثقات . وقد رواه ابن جرير [٨] في تفسيره عن سفيان بن وكيع عن أبيأسامة [٩] به مطولاً مثله أو نحوه .

ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن أبيأسامة ببعضه .

وقال الإمام أحمد [١٠] : حدثنا هشيم ، [١١] أخبرنا عمر [٩] بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : لما نزل عذري من السماء ، جاءني النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرني بذلك ، فقلت : نحمد الله لا نحمدك .

وقال الإمام أحمد [١٢] : حدثي ابن أبي عدي ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبي بكر عن ، عمرة عن عائشة قالت : لما نزل عذري ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا القرآن ، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم .

وأنخرجه أهل السنن الأربع . وقال الترمذى : هذا حديث حسن . ووقع عند أبي داود تسميتهم : حسان بن ثابت ، ومسطوح بن ثابة ، وحمنة بنت جحش .

[١] - تفسير الطبرى (٧٤/١٨) .

[٢] - المسند (٣٠/٦) (٢٤١٢٢) وأخرجه الطبراني في الكبير : (١٢١/٢٣) (رقم : ١٥٥، ١٥٦) من طرق عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه به .

[٣] - المسند (٣٥/٦) (٢٤١٧٥) ، وأنخرجه أبو داود في سننه في كتاب الحدود ، باب : حد القذف (٤) / (٤) (رقم : ٤٤٧٤، ٤٤٧٥) . والترمذى في جامعه في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة =

[٤] - في ز : « وأما » .

[٥] - في ز : « فهو » .

[٦] - في ز : « وحلف » .

[٧] - في ز : « نحب » .

[٨] - في المسند : عن منصور .

[٩] - سقط من : ز .

[١٠] - في ز : « إلى آخر الآية » .

[١١] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[١٢] - في ز ، خ : عمرو . والثبت من المسند .

فهذه طرق متعددة عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - في المسانيد والصحاح والسنن وغيرها^[١].

وقد روي من حديث أمها أم رومان - رضي الله عنها - فقال الإمام أحمد^(٤٣) : حدثنا علي بن عاصم ، أخبرنا حصين ، عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن أم رومان ؛ قالت : بينما أنا عند عائشة إذ دخلت علينا امرأة من الأنصار ؛ فقالت : فعل الله بابنها وفعل ، فقالت عائشة : ولم ؟ قالت : إنه كان فيما حدث الحديث ، قالت [عائشة]^[٢] وأي حدث^[٣] ؟ قالت^[٤] : كذا وكذا . قالت : وقد بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : نعم ، قالت^[٥] : وبلغ أبو بكر ؟ قالت : نعم . فخررت عائشة - رضي الله عنها - مغشيًا عليها فما أفاق إلا وعليها حمى بنافس . قالت : فقمت فدثرتها . قالت : وجاء النبي صلى الله عليه وسلم قال^[٦] : « ما^[٧] شأن هذه ؟ » قلت : يا رسول الله ؛ أخذتها حمى بنافس قال : « فلعله في الحديث تحدث به » قالت : فاستوت له^[٨] عائشة قاعدة فقالت : والله لئن حلفت لكم لا تصدقوني لشن اعتذرتم إليكم لا تعذروني ، فمثلي ومثلكم كمثل يعقوب وبنيه^[٩] « والله المستعان على ما تصفون »^[١٠] قالت : وخرج^[١١] رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل^[١٢] الله عزيرها ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر [دخل فقال : يا عائشة ؛ « إن الله تعالى قد أنزل عدرك »^[١٣] قالت : بحمد الله لا بحمدك ، فقال لها أبو بكر ، تقولين هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : نعم ، قالت : وكان فيما حدث هذا الحديث رجل كان يعلوه أبو بكر^[١٤] فحلف [أبو بكر]^[١٥] أن لا يصله فأنزل الله « ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة^[١٦] إلى آخر الآية قال^[١٧] أبو بكر : بلى ، فوصله .

= النور/٥(٣٣٦/رقم: ٣١٨١) . والنمسائي في الكبرى كتاب التعزيزات والشهود ، باب : حد القذف (٤) رقم: ٣٢٥/رقم: ٧٣٥١) . وابن ماجة في سننه في كتاب الحدود ، باب : حد القذف (٢/٨٥٧/رقم: ٢٥٦٧) . كلهم من طريق ابن أبي عدي به .

(٤٣) المستند (٦/٣٦٧) (٢٢١٨٣) ، وأخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : « لقد كان في يوسف وآخوه آيات للسائلين »^[١] . (٦/٤٨٢/رقم: ٣٣٨٨) . وأطرافه في (٤٤٣، ٤٦٩١، ٤٧٥١) . من طرق عن حصين ، عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، عن مسروق بن الأجدع ، عن أم رومان .

[١] - في ز : « وغيرهم » .

[٢] - في خ : « الحديث » .

[٣] - في ز : « قال » .

[٤] - سقط من خ ، ت .

[٥] - في ز : « فخرج » .

[٦] - سقط من خ ، ز .

[٧] - ما بين المعقوفين سقط من خ ، ز .

[٨] - سقط من خ ، ت .

[٩] - في خ ، ت : « قال » .

[١٠] - في ز : « فأنزل » .

[١١] - سقط من خ ، ت .

[١٢] - في خ ، ت : « قال » .

تفرد به البخاري دون مسلم من طريق حصين ، وقد رواه البخاري عن موسى بن إسماعيل ، عن أبي عوانة ، وعن محمد بن سلام ، عن محمد بن فضيل - كلاهما - عن حصين به^(٤٤) . وفي لفظ أبي عوانة : حدثني أم رومان ، وهذا صريح في سماع مسروق منها وقد أنكر ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي ، وذلك لما ذكره أهل التاريخ أنها ماتت في زمان^(١) النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الخطيب : وقد كان مسروق يرسله ، فيقول : سئلت أم رومان ، ويسوقة ، فلعل بعضهم كتب : سئلت بألف . فاعتقد^(٤٢) الرواوي أنها سألت فظنه متصلة ، قال الخطيب : وقد رواه البخاري ، كذلك ولم تظهر له علته . كذا قال والله أعلم . [وروايه بعضهم عن مسروق عن عبد الله بن مسعود عن أم رومان فالله أعلم^(٤٣)] .

فقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوكُمْ بِالْكَذْبِ وَالْبَهْتِ وَالْأَفْرَادِ﴾ عصبة^(٤٥) أي : جماعة منكم ﴿لَا تَحْسِبُوهُ شَرًا لَّكُمْ﴾ أي : يا آل أي بكر^(٤٦) بل هو خير لكم^(٤٧) أي : في الدنيا والآخرة ، لسان صدق في الدنيا ورفعة منازل في الآخرة ، وإظهار شرف لهم باعنتاء الله تعالى بعائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - حيث أنزل الله تعالى براءتها في القرآن العظيم^(٤٨) الذي لا يأبهه الباطل من بين يديه ولا من خلفه^(٤٩) ولهذا لما دخل عليها ابن عباس - رضي الله عنه - وعنها^(٥٠) وهي في سياق الموت ، قال لها : أبشرني ؟ فإنك زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحبك ، ولم يتزوج بكرًا غيرك ، ونزلت^(٥١) براءتك من السماء^(٤٥) .

وقال ابن جرير في تفسيره^(٤٦) : حدثني محمد بن عثمان الواسطي ، حدثنا جعفر بن عون ، عن المعلى بن عرفان ، عن محمد بن عبد الله بن جحش قال : تفاحرت عائشة وزينب - رضي الله عنهما - فقالت زينب : أنا التي نزل تزويجي من السماء قال وقالت عائشة : أنا التي نزل عنري في [كتاب الله]^(٦) ، حين حملني صفوان^(٧) بن المuttle على

(٤٤) صحيح البخاري (٤٤٣) من رواية موسى بن إسماعيل ، وحديث (٣٣٨٨) من رواية بن سلام .

(٤٥) رواه البخاري في صحيحه حديث (٤٧٥٣) .

(٤٦) تفسير الطبرى (١٨/٧٠) .

[١] - في خ ، ت : « ز من » .

[٢] - في خ ، ت : « اعتقاد » .

[٣] - ما بين المعکوفین سقط من : خ ، ز .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز : « أنزل » .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - ما بين المعکوفین في ز : « كتابه » .

الراحلة. فقالت لها زينب: يا عائشة؛ ما قلت حين ركبتيها؟ قالت: قلت^[١]: حسبي الله ونعم الوكيل، قالت: قلت كلمة المؤمنين.

وقوله تعالى : ﴿ لَكُلُّ امْرَأٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ ۝ أَيْ : لِكُلِّ مَنْ تَكَلَّمَ فِي هَذِهِ
الْقَضِيَّةِ وَرَمَى أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بِشَيْءٍ مِّنَ الْفَاحِشَةِ نَصِيبُ عَظِيمٍ مِّنَ
الْعَذَابِ . ۝

﴿وَالَّذِي تُولِي كُبَرَهُ مِنْهُمْ﴾ قيل: ابتدأ به ، وقيل : الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه ويشيعه .

﴿ لِهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ أي : على ذلك ، ثم الأكثرون على أن المراد بذلك إنما هو عبد الله بن أبي ابن سلول ، قبحه الله ولعنه ، وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث ، وقال ذلك مجاهد وغير واحد .

وقيل : [بل [٢] المراد به حسان بن ثابت . وهو قول غريب ، ولو لا أنه وقع في صحيح البخاري بما قد يدل على إيراد [٣] ذلك ، لما كان لإيراده كبير فائدة ، فإنه كان [٤] من الصحابة الذين كان لهم فضائل ومناقب ومأثر ، وأحسن مأثره [٥] ؛ أنه كان يذهب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعرة [٦] ، وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هاجهم وجربيل معك » [٧] .

وقال الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ؛ قال : كنت عند عائشة - رضي الله عنها - فدخل حسان بن ثابت فأمرت فألقى له وسادة ، فلما خرج ، قلت لعائشة : ما تصبنين بهذا ؟ يعني يدخل عليك ، وفي رواية قيل لها : أئذنين لهذا يدخل عليك وقد قال الله : ﴿وَالَّذِي تُولِي كُبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [٧] ؛ وأي عذاب أشد من العمى - وكان قد ذهب بصره - لعل الله أن يجعل ذلك هو العذاب العظيم . ثم قالت : إنه كان ينافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية أنه أنسد لها عندما دخل عليها شعرًا [٨] يمتدحها به فقال :

حصان رزان ما تزن بربة وتصبح غرثى من لحوم الغواطل

(٤٧) - رواه البخاري حديث (٣٢١٣) ، كتاب بدء الخلق .

٢ - سقط من خ ، ت .

١ - سقط من : ت .

٤ - سقط من : ت .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في خ، ز: «محاسن».

٨ - سقط من : ز.

[٧] - في نه ، ت : « قالت » .

قالت : أما أنت فلست كذلك ، وفي رواية : لكنك لست كذلك ^(٤٨) .

وقال ابن جرير ^(٤٩) : حدثنا الحسن بن قرعة ، حدثنا سلمة بن علقمة ، حدثنا داود عن عامر ، عن عائشة أنها قالت : ما سمعت بشعر ^[١] أحسن من شعر حسان ، ولا ^[٢] تثلث به إلا رجوت له الجنة ، قوله لأبي سفيان بن الحارث ^[٣] بن عبد المطلب :

هجوت ^[٤] محمدا فأجيب ^[٥] عنه وعند الله في ذاك الجزاء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وفاء
أتشتمه ولست له بكفاء؟ فشر كما لغيركما الفداء
لساني صارم لا عيب فيه وبحرى لا تکدره الدلاء
فقيل : يا أم المؤمنين ؟ أليس هذا لغوا؟ قالت : لا ، إنما اللغو ما قيل عند النساء . قيل : أليس الله يقول : **﴿وَالَّذِي تُولِي كُبُرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** قال : أليس قد أصابه عذاب ^[٦]
عظيم ، أليس ^[٧] قد ذهب بصره وك Tun ^[٨] بالسيف ؟ تعني : الضربة التي ضربه إياها صفوان
ابن المعطل السلمي ^[٩] حين بلغه عنه ^[١٠] أنه يتكلم في ذلك فعله بالسيف ، وكاد أن يقتله .

**﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْلُكٌ شَيْءٌ﴾
﴿لَوْلَا جَاءُوكُمْ عَيْنَهُ بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاتٍ فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأُفْلِتُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾**

﴿٢٢﴾
هم الْكَذِبُونَ

هذا تأديب من الله تعالى للمؤمنين في قصة عائشة - رضي الله عنها - حين أفاض بعضهم في ذلك الكلامسوء ^[١١] وما ذكر من شأن الإفك ، فقال تعالى : **﴿لَوْلَا﴾**

(٤٨) صحيح البخاري حديث (٤١٤٦) حدثني بشير بن خالد ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الأعمش ، به .

(٤٩) تفسير الطبرى (٦٩/١٨) .

- [١] - في خ ، ز : « شيء » .
- [٢] - في ز : « ما » .
- [٣] - في خ ، ز : « حرب » .
- [٤] - في ز : « هجرت » .
- [٥] - في ز : « وأجبت » .
- [٦] - سقط من : خ ، ز .
- [٧] - سقط من : ز .
- [٨] - في ز : « كتع » .
- [٩] - سقط من : خ ، ز .
- [١٠] - سقط من خ ، ت .
- [١١] - في ز : « السيء » .

يعني [١] : هلا ﴿إذ سمعتموه﴾ أى : ذلك الكلام أى [٢] الذي رميت به أم المؤمنين - رضي الله عنها - ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا﴾ أى : قاسوا [٣] ذلك الكلام على أنفسهم ، فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى و [٤] الأخرى .

وقد قيل: إنها نزلت في أبي أنيوب خالد بن زيد الأنصاري وامرأته - رضي الله عنهمَا كما قال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار ، عن أبيه ، عن بعض رجال بني التجار: إن أباً أنيوب خالد بن زيد الأنصاري^[٥] قالت له امرأته أم أنيوب: يا أباً أنيوب؛ أما تسمع ما يقول الناس في عائشة - رضي الله عنها -؟ قال: نعم، و^[٦] ذلك الكذب ، أكنت فاعلة ذلك يا أم أنيوب؟ قالت: لا ، والله ما كنت لأفعله . قال: فعائشة والله خير منك . قال: فلما نزل القرآن ذكر الله - عز وجل - من قال في الفاحشة ما قال من أهل الإفك : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عَصَبَةً مِنْكُمْ﴾ وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا ، ثم قال تعالى : ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظُنِّ الْمُؤْمِنِونَ...﴾ الآية أى: كما قال أبو أنيوب وصاحبته^[٧] .

وقال محمد بن عمر الواقدي : حدثني ابن أبي حبيب ، عن داود بن الحصين ، عن أبي سفيان ، عن أفلح مولى أبي أيوب أن أم أيوب قالت لأبي أيوب : ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب أفكتن - يا أم أيوب - [فاعلة ذلك]^[٧] قالت : لا والله . قال : فعائشة والله خير منك . فلما نزل [القرآن]^[٨] ، وذكر أهل الإفك ، قال الله عز وجل : لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين ^{﴿﴾} يعني : أبا أيوب حين قال لأم أيوب ما [٩]^[٩] قال .

ويقال: إنما قالها أبي بن كعب.

وقوله تعالى : ﴿[ظُنِّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرٌ]﴾ أي : هلا ظنوا الخير ، فإن أُم المؤمنين أهلها وأولى به ، هذا ما يتعلّق بالباطن ، ﴿وَقَالُوا﴾ أي : بالسّتّهم : ﴿هذا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ أي : كذب ظاهر على أُم المؤمنين - رضي الله عنها - فإن الذي وقع له يكن ريبة ، وذلك أن مجىء أُم المؤمنين راكبة جهرة على راحلة صفوان بن المظعون في وقت

[١] - في ز : « بمعنى » .

٢ - سقط من خ ، ت .

٤١ - سقط من خ ، ت .

٦٣ - سقط من خط

جامعة الملك عبد الله

[٨] يَعْلَمُ كُلُّ فِتْنَةٍ

[١٠] - ما بين المعكوفتين في ز : « وقالوا هذا إفك مبين ».

الظهيرية ، والجيش بكماله يشاهدون ذلك ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، ولو^[١] كان هذا الأمر فيه ريبة لم يكن هكذا^[٢] جهراً ، ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رءوس الأشهاد ، بل كان [يكون هذا]^[٣] لو قدر - خفية مستوراً ، فتعين أن ما جاء به أهل الإفك مما رموا به أم المؤمنين هو الكذب البخت ، والقول الزور ، والرعنون الفاحشة الفاجرة^[٤] ، والصفقة الخاسرة .

قال الله تعالى : ﴿ لَوْلَا هُنَّ أَيُّهُمْ جَاءُوا عَلَيْهِ أَيُّهُمْ مَا قَالُوهُ بِأَرْبِعَةِ شَهَادَاتِهِ يَشْهُدُونَ عَلَىٰ صَحَّةِ مَا جَاءُوا بِهِ فَلَذَا لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ أَيُّهُمْ فِي حُكْمِ اللَّهِ كَذِبَةٌ فَاجْرُونَ .

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمْ سَكُنْ فِي مَا أَفْضَيْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِذْ تَلْقَوْنُهُ بِالسِّتْكِ وَتَقُولُونَ يَا فَوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هَيْنَا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ

يقول تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ هُنَّ أَيُّهَا الْخَائِضُونَ فِي شَأْنِ عَائِشَةَ ؛ بَأْنَ قَبْلَ تَوبَتُكُمْ وَإِنَّابَتُكُمْ إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا ، وَعَفَا عَنْكُمْ لِإِيمَانِكُمْ بِالنِّسَابِ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ هُنَّ لَمْ سَكُمْ فِيمَا أَفْضَيْتُمْ فِيهِ هُنَّ مِنْ قَضِيَّةِ الْإِفْلَكِ هُنَّ عَذَابٌ عَظِيمٌ هُنَّ وَهُنَّ فِي مِنْ عَنْدِهِ إِيمَانٌ رَزَقَ اللَّهُ بِسَبِيلِ التَّوْبَةِ إِلَيْهِ ، كَمْسَطْحٌ وَحَسَانٌ وَحَمْنَةٌ بَنْتُ جَحْشٍ أُخْتُ زَيْنَبِ بَنْتِ جَحْشٍ ، فَأَمَا مِنْ خَاطِرِهِ فِي مِنْ الْمَنَافِقِينَ ، كَعْدَةُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلْوَلْ وَأَصْرَابِهِ ، فَلَيْسَ أُولَئِكَ مَرَادِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ؛ لَأَنَّهُ لَيْسَ عَنْهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مَا يَعْدَلُ هَذَا وَلَا مَا يَعْارِضُهُ ، وَهَكَذَا شَأْنُ مَا يَرِدُ مِنَ الْوَعِيدِ عَلَى فَعْلِ مَعِينٍ يَكُونُ مَطْلَقاً مَشْرُوطاً بَعْدِ التَّوْبَةِ ، أَوْ مَا يَقَابِلُهُ^[٧] مِنْ عَمَلِ صَالِحٍ يُوازِنُهُ أَوْ يُرْجِعُ عَلَيْهِ .

ثم قال تعالى : ﴿ إِذْ تَلْقَوْنَهُ بِالسِّتْكِ هُنَّ قَالَ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدٌ بْنُ جَبِيرٍ : أَيُّهُمْ يَرُوِيهِ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ ، يَقُولُ هَذَا : سَمِعْتُهُ مِنْ فَلَانٍ وَقَالَ فَلَانٌ : كَذَا ، وَذَكَرَ بَعْضَهُمْ كَذَا . وَقَرَا آخَرُونَ : (إِذْ تَلْقَوْنَهُ^[٨] بِالسِّتْكِ) وَفِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ^(١) عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا كَانَتْ

[١] - في ز : « لو » .

[٢] - في خ ، ت : « هذا » .

[٣] - ما بين المعقودتين في خ ، ت : « هذا يكون » . [٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز : « في » . [٦] - في خ ، ت : « كاذبون » .

[٧] - في خ ، ت : « يقبله » .

[٨] - في ز : « ثَلِيقُونَ » .

تقرؤها كذلك ، وتقول : هو من ولق القول^[١] يعني : الكذب الذي يستمر صاحبه فيه^[٢] ، تقول العرب : ولق فلان في السير إذا استمر فيه ، والقراءة الأولى أشهر ، وعليها الجمهور ، ولكن الثانية مروية عن أم المؤمنين عائشة.

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشعج ، حدثنا أبوأسامة ، عن نافع بن عمر ، عن ابن أبي مليكة [عن عائشة أنها كانت تقرأ (إذ تلقونه) وتقول : إنما هو ولق القول - واللون : الكذب . قال ابن أبي مليكة^[٣] : هي أعلم به من غيرها .

وقوله تعالى : ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي : تقولون ما لا تعلمون .

ثم قال تعالى : ﴿وَتَخْسِبُونَهُ هُنَّا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ أي : تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين ، وتخسبون ذلك يسيراً سهلاً ، ولو لم تكن زوجة النبي صلى الله عليه وسلم لما كان هنّا ، فكيف وهي زوجة النبي الأمي خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ؟ فعظيم عند الله أن يقال في زوجة [نبيه] [رسوله ما قبل ، [فإن الله سبحانه وتعالى]^[٤] يغافل لهذا ، وهو سبحانه وتعالى لا يقدر على زوجة نبي من أنبيائه ذلك ، حاشا وكلاً ، وما [لم يكن ذلك]^[٥] فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء ، زوجة سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة ! ولهذا قال تعالى : ﴿وَتَخْسِبُونَهُ هُنَّا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ .

وفي الصحيحين^(٥٢) : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يدرى ما تبلغ ، يهوي بها في النار أبعد مما^[٧] بين السماء والأرض » . وفي رواية « لا يلقى لها بالاً » .

وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قَلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ تَكَلَّمَ بِهَذَا سَبِّحْنَكُمْ هَذَا بِهَنْئَجُ عَظِيمٌ
يَعْلَمُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَبِإِنْ اللَّهُ لَكُمُ
الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حِكْمَةٌ

(٥٠) رواه الطبرى في تفسيره (٧٧/١٨) .

(٥١) صحيح البخارى ، كتاب المغازي (٤١٤٤) ، وطرفة حديث (٤٧٥٢) .

(٥٢) صحيح البخارى ، كتاب الرفاق (٦٤٧٨) ، وصحيح مسلم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة رض .

[١] - في ت : « اللسان » .

[٤] - ما بين المعکوفین سقط من : ز ، ز .

[٦] - ما بين المعکوفین سقط من : ز .

[٧] - في ز : « ما » .

هذا تأديب آخر بعد الأول : الأمر بالظن خيراً أي : إذا ذكر ما لا يلقي من القول في شأن الخيرة ، فأولى ينبغي الظن بهم خيراً ، وأن لا يشعر نفسه سوى ذلك ، ثم إن علق بنفسه شيء من ذلك - وسوسة أو خبلاً - فلا ينبغي أن يتكلّم به ، فإن^[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى تجاوز لأمتى بما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل ». آخر جاه في الصحيحين^[٢] .

وقال الله تعالى : « ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلّم بهذا » أي ما ينبغي لنا أن نتفوّه بهذا الكلام ولا نذكره لأحد « سبحانك هذا بهتان عظيم » أي : سبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسوله وحليله خليله !

ثم قال تعالى : « يعظكم الله أن تعودوا لثله أبداً » أي : ينهاكم الله متوعداً أن يقع منكم ما يشبه هذا^[٣] ، أي : فيما يستقبل ؛ ولهذا^[٤] قال : « إن كنتم مؤمنين » أي : إن كنتم تؤمنون بالله وشرعه ، وتعظمون رسوله صلى الله عليه وسلم ، فأما من كان متصفاً بالكفر [فذاك له]^[٥] حكم آخر .

ثم قال تعالى : « ويبين الله لكم الآيات » أي : يوضح لكم الحكم^[٦] الشرعية ، والأحكام القدرة « والله عالم حكيم » أي : عالم بما يصلح عباده ، حكيم في شرعة وقدره .

**إِنَّ الَّذِينَ يُحْبِّبُونَ أَنْ تَشْيِعَ الْفَحْشَةَ فِي الْأَنْوَارِ إِنَّمَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا
وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** (١٩)

وهذا تأديب ثالث لم يسمع شيئاً من الكلام السريع فقام بذنهه [منه شيء وتكلّم به]^[٧] فلا يكثر منه ، ولا يشيّعه ويدفعه ، فقد قال تعالى : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم » أي : يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح « لهم عذاب أليم في الدنيا » أي : بالحد . وفي الآخرة بالعذاب « والله يعلم وأنتم لا تعلمون » أي : فردو الأمور إليه ترشدوا .

(٥٣) صحيح البخاري ، كتاب الطلاق حديث (٥٢٦٩) ، وصحيح مسلم (١٢٧) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

[١] - سقط من : ز .

[٤] - في ت : « فلهذا » .

[٥] - ما بين المعقودتين في ت : « شيء به » .

وقال الإمام أحمد ^(٤) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ ، حَدَّثَنَا مِيمُونُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدِ الْمَرْئَى ^[١] ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَادَ الْمَخْرُومِيُّ ، عَنْ ثُوْبَانَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تَؤْذُوا عِادَ اللَّهُ ، وَلَا تَعِرُوهُمْ ، وَلَا تَطْلُبُوا عُورَاتَهُمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ طَلَبَ [٢] عُورَةَ أُخْيِيهِ الْمُسْلِمِ طَلَبَ اللَّهُ عُورَتَهُ حَتَّى يَفْضُّلَهُ فِي بَيْتِهِ » .

﴿ ٢١ ﴾
وَلَوْلَا فَضَلَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُمْ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعَ خُطُواتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْتِي
بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضَلَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُمْ مَا زَكَرَ مِنْكُمْ فَنِّ أَهْدَى أَبَدًا
وَلَا كَنَّ اللَّهُ يُنْزِي مَنْ يَشَاءُ وَلَلَّهُ سَعِيعٌ عَلَيْهِمْ

يقول الله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضَلَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي : لو لا هذا ؛ لكنه أمر آخر ، ولكنه تعالى رعوف بعباده ، رحيم بهم ، فتاب على من تاب إليه من هذه القضية ^[٣] ، وظهر من طهر منهم ، بالحمد الذي أقيم عليهم ^[٤] .

ثم قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتَ الشَّيْطَانِ ﴾ يعني : طرائقه ومساركه وما يأمر به ^[٥] ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ^[٦] هذا تغير وتحذير من ذلك بألفاظ [عبارة وأبلغها وأوجزها] ^[٧] وأحسنها .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ^[٨] خطوات الشيطان ^[٩] : عمله ، وقال عكرمة : نرغاته . وقال قتادة : كل معصية فهي من خطوات الشيطان . وقال أبو مجلز : النذور في المعاشي من خطوات الشيطان .

وقال ^[١٠] مسروق : سأله رجل ابن مسعود ؛ فقال : إني حرمت أن آكل طعاماً فقال : هذا من نزغات الشيطان : كَفَرُوا عَنْ يَمِينِكُمْ وَكُلُّكُمْ .

(٤) المسند (٥/٢٧٩) (٣/٢٢٥٠) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٨٦، ٨٧) وعزاه لأحمد وقال : « ورجاله رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان ، وهو ثقة » .

[١] - في ز : « المائي » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في خ ، ب : « عليه » .

[٤] - ما بين المعقوفين في ز : « العبارة وأوجزها وأبلغها » .

[٥] - ياض في : ز .

وقال الشعبي في رجل نذر ذبح ولده : وهذا من نزغات الشيطان ، وأفناه أن يذبح كبشًا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا حسان بن عبد الله المصري ، حدثنا السري بن يحيى ، عن سليمان التيمي ، عن أبي رافع ؛ قال : غضبت على امرأتي فقالت^[١] : هي يوم يهودية ، ويوم نصرانية ، وكل ملوك لها حرإن لم تطلق امرأتك ، فأتيت عبد الله بن عمر ؛ فقال : إنما هذه من نزغات الشيطان . وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة ، وهي يومئذ أفقه امرأة بالمدينة ، وأتيت عاصم بن عمر فقال مثل ذلك .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبْدَأَهُ أَيْ : لَوْلَا هُوَ يَرْزُقُ مِنْ [٢] يَشَاءُ التَّوْبَةَ [٣] وَالرَّجُوعَ إِلَيْهِ ، وَيُزَكِّيُ الْفَوْسَ مِنْ شَرِّكُهَا وَفُجُورِهَا وَدُنْسِهَا وَمَا فِيهَا مِنْ أَخْلَاقِ رَدِيقَةٍ ، كُلُّ بَحْسَبِهِ - لَا حَصْلَ أَحَدٌ لِنَفْسِهِ زَكَاةً وَلَا خَيْرًا ﴾ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مِنْ يَشَاءُهُ أَيْ : مِنْ خَلْقِهِ ، وَيُبْلِلُ مِنْ يَشَاءُ ، وَيُرْدِيهِ فِي مَهَالِكِ الْضَّلَالِ وَالْغَيْبِ .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ أَيْ : سَمِيعٌ لِأَقْوَالِ عَبَادِهِ ، عَلِيمٌ بِهِمْ ، مِنْ يَسْتَحْقُّ مِنْهُمْ الْهُدَىُّ وَالضَّلَالُ .

وَلَا يَأْتِي أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةُ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَيَعْفُوا وَلَيَصْفَحُوا لَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ



يقول تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتِي أَيْلَامٌ مِنَ الْأُلْيَا [٤] ، أَيْ : لَا يَحْلِفُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ أَيْ : الطَّوْلُ وَالصَّدَقَةُ وَالإِحْسَانُ وَالسَّعَةُ أَيْ : الْجَدَةُ ﴾ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَيْ : لَا تَحْلِفُوا أَنْ لَا تَصْلِلُوا قِرَابَاتِكُمُ الْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ، وَهَذَا^[٥] فِي غَايَةِ التَّرْفِقِ^[٦] وَالْعَطْفِ عَلَى صَلَةِ الْأَرْحَامِ ؛ وَهَذَا قَالَ : ﴿ وَلَيَعْفُوا وَلَيَصْفَحُوا أَيْ : عَمَّا تَقْدِمُ مِنْ الْإِسَاعَةِ وَالْأَذْنَى ، وَهَذَا^[٧] مِنْ حَلْمِهِ تَعَالَى وَكَرْمِهِ ، وَلَطْفِهِ بِخَلْقِهِ مَعَ ظَلَمِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ .

[١] - في ز : « قلت ». .

[٢] - ما بين المعقوفين في ز : « إليه ». .

[٣] - في ز : « هذه ». .

[٤] - في ز : « هذا ». .

[٥] - في ز : « من ». .

[٦] - ما بين المعقوفين سقط من : ز .

[٧] - في ز : « الترقب ». .

وهذه الآية نزلت في الصديق - رضي الله عنه - حين حلف أن لا ينفع مسطوح بن أثاثة بنافعة ، بعد ما قال في عائشة ما قال ، كما تقدم في الحديث ، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة ، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت ، وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك ، وأقيم الحد على من أقيمت عليه - شرع تبارك وتعالى - قوله الفضل والثنة - يعطى الصديق على قريبه ونسبيه ، وهو مسطوح بن أثاثة ، فإنه كان ابن خالة الصديق ، وكان مسكيناً لا مال له ؛ إلا ما ينفق عليه أبو بكر - رضي الله عنه - وكان من المهاجرين في سبيل الله ، وقد ولق ولقة تاب الله عليه منها ، وضرب الحد عليها . وكان الصديق - رضي الله عنه - معروفاً بالمعروف ، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب ، فلما نزلت هذه الآية إلى قوله : ﴿أَلَا تَخْبُونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أى : كان^[١] الجزاء من جنس العمل ، فكما تغفر ذنب من أذنب^[٢] إليك [يغفر الله]^[٣] لك ، وكما تصفح يصفح^[٤] عنك ، ففند ذلك قال الصديق : بلى ، والله إننا نحب أن تغفر لنا يا ربنا . ثم رجع إلى مسطوح ما كان يصله من النفقة ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً . في مقابلة ما كان قال : والله لا أنفعه بنافعة أبداً ؛ فلهذا كان الصديق هو الصديق - رضي الله عنه - [ومن بنته]^[٥] .

إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَلَّاتِ الْمُؤْمَنَاتِ لَعْنًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَئِمَّا

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشَهِّدُ عَلَيْهِمْ أَسْنَتِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوقَّنُهُمُ اللَّهُ دِيْنُهُمُ الْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ

هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحسنات الغافلات المؤمنات^[٦] ، خرج مخرج الغالب^[٧] ، فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محسنة ، ولا سيما التي كانت سبب التزول ، وهي عائشة بنت الصديق رضي الله عنها .

وقد أجمع العلماء - رحمهم الله - قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورمها بما رماها به [الذين ذكروا]^[٨] في هذه الآية ، فإنه كافر ، لأنه معاند للقرآن ، وفي بقية أمهات المؤمنين قولهان : أصححهما أنهن كهني ، والله أعلم .

[١] - في ت : « فإن » .

[٢] - ما بين المعقوفين في خ ، ز : « عن المذنب » . [٣] - ما بين المعقوفين في ز : « نغفر » .

[٤] - في ز : « نصفح » .

[٥] - ما بين المعقوفين سقط من : ز .

[٦] - سقط من : ز .

[٨] - ما بين المعقوفين في ت : « بعد هذا الذي ذكر » .

وقوله^[١] : ﴿لَعْنَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ كقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَعْنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعْدَ لَهُمْ عَذَابًا مُهِمَّا﴾ .

وقد ذهب بعضهم إلى أنها خاصة بعائشة - رضي الله عنها - فقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أَبُو سعيد الأشجع، حَدَّثَنَا عبد الله بن خراش ، عن العوام ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمَنَاتِ﴾ نزلت في عائشة خاصة .

و[٢] كذا قال مقاتل بن حيان ، وقد ذكره ابن جرير عن عائشة فقال^(٥٥) : حَدَّثَنَا أَحْمَدَ أَبْنَ عَبْدَةَ الْضَّبْيَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلْمَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَتْ عَائِشَةُ : رَمَيْتَ بِمَا رَمَيْتَ بِهِ وَأُنَا غَافِلَةٌ ، فَبَلَغَنِي بَعْدَ ذَلِكَ ، قَالَتْ : فَيَقُولُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ عَنْدِي ؛ إِذَا أُوحِيَ إِلَيْهِ ، قَالَتْ : وَكَانَ إِذَا أُوحِيَ إِلَيْهِ أَخْذَهُ كَهْيَةُ السَّبَابَاتِ ، وَإِنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ عَنْدِي ، ثُمَّ اسْتَوَى جَالِسًا يَسْعُحُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَقَالَ : « يَا عَائِشَةً ؛ أَبْشِرِي أَنَّ قَاتِلَ : فَقَلَّتْ^[٣] : بِحَمْدِ اللَّهِ لَا بِحَمْدِكَ ، فَقَرَا^[٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمَنَاتِ﴾ - حَتَّى قَرَا^[٥] - ﴿أُولَئِكَ مُبَرِّءُونَ مَا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ .

هكذا أورده وليس فيه أن الحكم خاص بها ، وإنما فيه أنها سبب النزول دون غيرها ، وإن كان الحكم يعمها كغيرها ، ولعله مراد ابن عباس ومن قال كقوله ، والله أعلم .

وقال الضحاك وأبو الجوزاء وسلمة بن نبيط : المراد بها أزواج النبي خاصة دون غيرهن من النساء .

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمَنَاتِ ...﴾ الآية يعني : أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، رمأنهن أهل التفاق فأوجب الله لهم اللعنة والغضب ، وباءوا بسخط من الله ، فكان ذلك في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم نزل بعد ذلك^[٦] ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهِيدَاتٍ﴾ إلى قوله^[٧] ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فأنزل الله الجلد والتوبه ، فالنوبة تقبل ، والشهادة ترد .

وقال ابن جرير^(٥٦) : حَدَّثَنَا القاسم ، حَدَّثَنَا الحسين ، حَدَّثَنَا هشيم ، أَخْبَرَنَا العوامُ بْنَ حوشب ، عن شيخ من بني أسد ، عن ابن عباس قال : فسر سورة النور ، فلما أتى على هذه

(٥٥) تفسير الطبرى (٨٢/١٨) .

(٥٦) تفسير الطبرى (٨٣/١٨) .

[١] - يراضى في : ز .

[٢] - سقط من خ ، ت .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في خ ، ت : « بلغ » .

[٥] - في ز : « قلت » .

[٦] - سقط من : ز .

الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمَنَاتِ لَعْنَا ... ﴾ الآية . قال : في شأن عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي مبهمة وليس لهم توبه ، ثم قرأ : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءٍ ۖ إِلَى قَوْلِهِ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ... ﴾ الآية . قال : فجعل لهؤلاء توبه ^[١] لم يجعل من قذف أولئك توبه . قال : فهم بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر به ^[٢] سورة النور .

قوله : وهي مبهمة ؟ أي : عامة في تحريم قذف كل محصنة ، ولعنته في الدنيا والآخرة

وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هذا في عائشة ، ومن صنع مثل هذا أيضًا اليوم في المسلمات فله ما قال الله تعالى ، و^[٣] لكن عائشة كانت [إمامًا في]^[٤] ذلك .

وقد اختار ابن جرير عمومها وهو الصحيح ، وبع ضد العموم ما رواه ابن أبي حاتم :

حدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَخْيَرِ أَبْنِ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي عُمَيْ، حَدَّثَنَا سَلِيمَانَ بْنَ بَلَالَ، عَنْ ثُورِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هَرِيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « اجْتَبِيوا السَّبْعَ الْمُوْبِقَاتِ » قَيْلٌ: يَارَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنْ؟ قَالَ: « الشُّرُكُ بِاللَّهِ، وَالسُّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتَمِّ، وَالتَّوْلِي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمَنَاتِ ». »

أخرجاه في الصحيحين ^(٥٧) من حديث سليمان ابن بلال به .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني ^(٥٨) : حدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنُ خَالِدَ الْحَذَّاءِ الْخَرَانِيَّ، حدَّثَنِي أَبِي حَمْزَةَ ^[٥] . وَحدَّثَنَا أَبُو شَعِيبُ الْخَرَانِيَّ، حَدَّثَنَا جَدِّي أَحْمَدَ بْنَ أَبِي شَعِيبٍ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَعْيُنٍ ^[٦] ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ صَلَةَ بْنِ زَفْرٍ، عَنْ حَذِيفَةَ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « قَذْفُ الْمُحْصَنَةِ يَهْدِمُ مَعْلَمَ مائةِ سَنَةِ ». »

و^[٧] قوله : ﴿ يَوْمَ تُشَهَّدُ عَلَيْهِمْ أَسْتَهْمُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ قال ابن

(٥٧) صحيح البخاري حديث (٢٢٦٦) وصحيح مسلم (٨٩) .

(٥٨) المعجم الكبير للطبراني (١٩٦/٣)، وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٩/٦) : « وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف وقد يحسن حديثه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

[١] - سقط من خ ، ت .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - سقط من خ ، ت .

[٤] - ما بين المعرفتين في ز : « إمام » .

[٥] - في خ : « حيثنة » .

[٦] - سقط من خ ، ت .

[٧] - في ز : « عين » .

أبي حاتم : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدُ الْأَشْجَعُ ، حَدَّثَنَا أَبُو يَحْيَى الرَّازِيُّ ، عَنْ عُمَرِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ ، عَنْ مَطْرُوفٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبَيرٍ ، عَنْ أَبِي عَبَاسٍ قَالَ : إِنَّهُمْ - يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ - إِذَا رَأَوْا أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا أَهْلُ الصَّلَاةِ ، قَالُوا : تَعَالَوْا حَتَّى نَجْعَلَ فِي جَهَنَّمَ ، فَيَخْتَمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ ، وَتَشَهَّدَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلَهُمْ ، وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا .

وقال ابن حجرير^(٥٩) وابن أبي حاتم أيضًا : حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ الْحَارِثَ ، عَنْ دَرَاجٍ ، عَنْ أَبِي الْهَيْمِنَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ . عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، عَرَفَ الْكَافِرُ بِعَمَلِهِ ، فَيَجْهَدُ وَيَخْاصِمُ ، فَيَقَالُ لَهُ [١] : هُؤُلَاءِ جِرَانِكُ يَشْهَدُونَ عَلَيْكُ . فَيَقُولُ : كَذَبُوا . فَيَقُولُ : أَهْلُكَ وَعَشِيرَتَكَ ، فَيَقُولُ : كَذَبُوا . فَيَقَالُ : احْلَفُوا فِي حَلْفَوْنَ ثُمَّ [يَصْمَمُهُمُ اللَّهُ] ، فَتَشَهَّدُ [٢] عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَسْتِتْهُمْ ، ثُمَّ يَدْخُلُهُمُ النَّارَ ». .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا : حَدَّثَنَا أَبُو شَيْبَةَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ [٣] عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ الْكُوفِيِّ ، حَدَّثَنَا مُنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيَّ [٤] ، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرِ الْأَسْدِيُّ ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ [٥] عَبِيدُ الْمَكْتَبِ ، عَنْ فَضِيلِ بْنِ عَمْرُو الْفَقِيمِيِّ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضْحَكٌ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ ثُمَّ قَالَ : « تَدْرُونَ [٦] مِمَّ أَضْحَكَ؟ » قَلَّا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « مِنْ مَجَادِلَةِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ [٧] يَوْمَ الْقِيَامَةِ [٨] ، يَقُولُ : يَا رَبِّ ؎ أَلَمْ تَجْرِنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ فَيَقُولُ : بَلِي ؎ فَيَقُولُ : لَا أَجِيزُ عَلَيِّ [إِلَّا شَاهِدًا] مِنْ نَفْسِي [٩] . فَيَقُولُ : كَفَى بِنَفْسِكِ الْيَوْمِ [عَلَيْكَ شَهِيدًا] [١٠] ، وَبِالْكَرِيمِ عَلَيْكَ شَهِيدًا [١١] ، فَيَخْتَمُ عَلَيْهِ ، وَيَقَالُ لِأَرْكَانِهِ : انْطَقِي أَفْسَطْقَ بِعَمَلِهِ ، ثُمَّ يَخْلُى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ ، فَيَقُولُ : بَعْدًا لَكَنَّ وَسْحَقًا أَفْنَكْنَ كَتَنَ أَنَاضِلَّ ». .

وقد رواه مسلم^(٦٠) والنمسائي جميًعا عن أبي بكر بن أبي النضر ، عن أبيه ، عن عبد الله

(٥٩) تفسير الطبراني (١٨/١٥٠) ، ورواه أبو يعلى في مسنده حديث (١٣٩٢) من طريق ابن لهيعة ، عن دراج ، عن أبي الهيثم به ، ورواية دراج عن أبي الهيثم فيها ضعف .

(٦٠) صحيح مسلم حديث (٢٩٦٩) .

- [١] - سقط من : ت .
- [٢] - ما بين المعقودين في ز : « يضمهم » .
- [٣] - في خ و ت : « عن » .
- [٤] - في خ ، ت : « التميمي » .
- [٥] - ما بين المعقودين في ز : « بن » .
- [٦] - في خ ، ت : « أندرون » .
- [٧] - سقط من خ ، ت .
- [٨] - ما بين المعقودين في ز : « شاهد مني من نفسي » .
- [٩] - ما بين المعقودين سقط من : ز .
- [١٠] - في ز : « شهيداً » .

الأشجعي ، عن سفيان الثوري به ، ثم قال النسائي : لا أعلم أحداً روى هذا الحديث عن سفيان الثوري غير الأشجعي ، وهو حديث غريب ، والله أعلم ، هكذا قال .

وقال قتادة : ابن آدم ، والله إن عليك لشهوداً ، غير [متهمة من]^[١] بذلك ، فراقبهم واتق الله في سرك^[٢] وعلانينك ، فإنه لا يخفى عليه خافية ، والظلمة عنده ضوء ، والسر عنده علانية ، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسنظن فليفعل ، ولا قوة إلا بالله .

وقوله تعالى : ﴿ يوْمَئذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمْ ﴾ قال ابن عباس : ﴿ دِينَهُمْ ﴾ ، أي : حسابهم ، وكل ما في القرآن دينهم أي : حسابهم ، وكذا قال غير واحد .

ثم إن قراءة الجمهور بتنصب الحق على أنه صفة لدينهم ، وقرأ مجاهد بالرفع على أنه نعت الجلالة ، وقرأها بعض السلف في مصحف أبي بن كعب : (يومئذ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ الْحَقَّ دِينَهُمْ) .

وقوله ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمَبِينُ ﴾ أي : وعده ووعيده ، وحسابه هو العدل الذي لا جور فيه .

الْخَيْثَتُ لِلْخَيْثِينَ وَالْخَيْثُونَ لِلْخَيْثَتِ وَالْطَّبَيْتُ لِلْطَّبِينَ وَالْطَّبِيُونَ لِلْطَّبَيْتِ
أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ

قال ابن عباس : الخيثات^[٣] من القول للخيثين من الرجال ، والخيثون من الرجال للخيثات من القول . والطبيات من القول للطبيين من الرجال ، والطبيون من الرجال للطبيات من القول . قال : ونزلت في عائشة وأهل الإفك .

وهكذا روى عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والشعبي والحسن بن أبي الحسن البصري وحبيب بن أبي ثابت والضحاك واختهاره ابن جرير ، ووجهه بأن الكلام القبيح أولى بأهل القبيح من الناس ، والكلام الطيب أولى بالطبيين من الناس ، فما^[٤] نسبه أهل النفاق إلى عائشة [من كلام]^[٥] هم أولى به ، وهي أولى بالبراءة والتزاهة منهم ، ولهذا قال : ﴿ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الخيثات من النساء للخيثين من الرجال ، والخيثون من الرجال للخيثات^[٦] من النساء ، والطبيات من النساء للطبيين من الرجال ، والطبيون من الرجال للطبيات من النساء .

[١] - ما بين المعقودتين في ز : « متهمة في » .

[٢] - في ز : « الخجاث » .

[٣] - في ت : « الخجاث » .

[٤] - ما بين المعقودتين سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز : « للخيثين » .

وهذا أيضاً يرجع إلى ما قاله أولئك باللازم، أي : ما كان الله^[١] ليجعل عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهي طيبة؛ لأنَّه أطيب من كل طيب من البشر، ولو كانت حبيبة لما صلحت له^[٢] ، لا شرعاً ولا قدرًا؛ ولهذا قال : «أولئك مبرءون مما يقولون»^[٣] أي : هم بعداء عما يقوله أهل الإلْفَكَ والْعَدُوانَ «لهم مغفرة»^[٤] أي : بسبب ما قيل فيهم من الكذب^[٥] ورُزقَ كريم^[٦] أي : عند الله في جنات النعيم، وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة .

و^[٧] قال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامَ بْنَ حَرْبٍ . عن بَيْزَدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنِ الْحَكْمَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْجَزارِ ؛ قَالَ : جَاءَ أَسِيرَ بْنَ جَابِرَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ : لَقَدْ سَمِعْتُ الْوَلِيدَ بْنَ عَقْبَةَ^[٨] الْيَوْمَ تَكَلَّمُ^[٩] الْيَوْمَ بِكَلَامٍ أَعْجَبَنِي ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِنَّ الرَّجُلَ الْمُؤْمِنَ يَكُونُ فِي قَلْبِهِ [الكلمة غير الطيبة]^[١٠] تَجْلِجْلٌ فِي صَدْرِهِ [ما تستقر حتى يلفظها]^[١١] ، فَيَسْمَعُهَا الرَّجُلُ عِنْدَهُ يَتَلَهَا فِي ضَمْمَهَا إِلَيْهِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ الْفَاجِرَ يَكُونُ فِي قَلْبِهِ الْكَلْمَةُ الطَّيِّبَةُ تَجْلِجْلٌ فِي صَدْرِهِ مَا تَسْتَقِرُ حَتَّى يَلْفَظَهَا ، فَيَسْمَعُهَا الرَّجُلُ الَّذِي عِنْدَهُ يَتَلَهَا فِي ضَمْمَهَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ^[١٢] الْخَيْبَاتَ لِلْخَيْبَاتِ وَالْخَيْبَاتِ لِلْطَّيِّبَاتِ وَالْطَّيِّبَاتِ لِلْطَّيِّبِينَ وَالْطَّيِّبِينَ لِلْطَّيِّبَاتِ^[١٣] .

ويشبه هذا ما رواه الإمام أحمد^(١) في المسند مرفوعاً : « مثل الذي يسمع الحكمة^[٤] ثم لا ي يحدث إلا بشَّرَ ما سمع ، كمثل رجل جاء إلى صاحب غنم ، فقال : [أجزوني]^[٩] شاة ، فقال : اذهب فخذ بأذن أيها شت فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم ».^[١٤]

وفي الحديث الآخر : « الحكمة ضالة المؤمن من^[١٥] حيث وجدها أخذها»^(٢) .

^(١) المسند (٣٥٣/٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

^(٢) رواه الترمذى حديث (٤١٦٩) ، وابن ماجة حديث (٢٦٨٧) ، وابن ماجة حديث (٤١٦٩) من طريق عبد الله بن ثمير ، عن إبراهيم ابن الفضل ، عن سعيد المقبرى ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه . وقال الترمذى : « هذا حديث غريب لا نعرف إلا من هذا الوجه ، وإبراهيم بن الفضل المدنى الخزومى ، يضعف في الحديث من قبل حفظه ».^[٣]

^[١] - سقط من : ز .

^[٢] - سقط من خ ، ت .

^[٣] - بعده في خ ، ت : الْيَوْمَ .

^[٤] - ما بين المعکوفین في خ ، ز : « غير طابل » .

^[٥] - ما بين المعکوفین في خ ، ز : « حتى يخرجها » .^[٦] - في خ ، ز : « الكلمة » .

^[٧] - في ت : اجز لى ، ومعنى : « أجزوني » أعطني شاة تصلح للذبح .

^[٨] - سقط من : خ .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بَيْوَاتًا غَيْرَ بَيْوَاتِكُمْ حَقَّ أَسْتَأْنِسُوا وَسَلِّمُوا عَلَىٰ
أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا
تَدْخُلُوهَا حَقَّ يَوْنَدَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَرْجِعُوهَا فَأَرْجِعُوهَا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بَيْوَاتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَّعٌ
لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُوُنَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين، وذلك في الاستئذان، [أمر الله المؤمنين]^[١]
أن لا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا [أي : يستأذنا] ^[٢] قبل الدخول ويسلموا
بعده، وينبغي أن يستأذن [ثلاثاً]^[٣] ، فإن أذن له ولا انصرف ، كما ثبت في الصحيح^[٤]
أن أبي موسى حين استأذن على عمر ثلاثة فلم يؤذن له انصرف ، ثم قال عمر: ألم أسمع
صوت عبد الله بن قيس يستأذن؟ أذنوا له . فطلبوه فوجدوه قد ذهب ، فلما جاء بعد
ذلك ؛ قال : ما رجعك^[٤] ؟ قال : إني استأذنت ثلاثة فلم يؤذن لي ، وإنني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إذا^[٥] استأذن أحدكم ثلاثة فلم يؤذن له فلينصرف ».
فقال عمر^[٦] : لتأتين^[٧] على هذا ببيته ولا أوجعوك ضرباً . فذهب إلى ملا من الأنصار
فذكر لهم ما قال عمر ؛ فقالوا : لا يشهد لك إلا أصغرنا ، فقام معه أبو سعيد الخدري فأخبر
عمر بذلك ؛ فقال : ألهاني عنه الصفق بالأسواق .

وقال الإمام أحمد^[٨] : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معاذ ، عن ثابت ، عن أنس أو غيره :
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن على سعد بن عبادة فقال : «السلام عليك
ورحمة الله ». فقال سعد : وعليك السلام ورحمة الله . ولم يسمع النبي صلى الله عليه
وسلم حتى سلم ثلاثة ورد عليه سعد ثلاثة ، ولم يسمعه؛ فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه

(١) صحيح البخاري ، كتاب الاستئذان ، باب : التسليم والاستئذان ثلاثة حديث (٦٤٥) ، وصحيف
مسلم حديث (٢١٥٣) .

(٢) المسند (١٣٨/٣) .

[١] - في خ ، ت : «أمرهم» .

[٢] - ما بين المعقودتين سقط من : ت .

[٣] - ما بين المعقودتين في ت : «ثلاث مرات» .

[٤] - في خ ، ت : «أرجعك» .

[٥] - في ت : «إن» .

[٦] - سقط من : خ ، ز .

[٧] - في خ ، ت : «لأتيني» .

سعد فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي! ما سلمت تسليمة إلا وهي بأذني ، ولقد ردت عليك ولم أسمعك ؛ وأردت أن أستكثر من [سلامك ومن]^[١] البركة ، ثم دخله البيت ، فقرب إليه زبينا ، فأكل نبي الله ، فلما فرغ قال: « أكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة ، وأفطر عندكم الصائمون ! » .

وقد روى أبو داود^(٦٥) والنسائي من حديث أبي عمرو الأوزاعي : سمعت يحيى بن أبي كثير يقول : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زراة ، عن قيس بن سعد - هو ابن عبادة - قال: زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزلنا فقال: « السلام عليكم ورحمة الله ». فرد سعد رداً خفياً . قال قيس: فقلت: ألا تأذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: دعه^[٢] يكثر علينا من السلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « السلام عليكم ورحمة الله ». فرد سعد رداً خفياً . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « السلام عليكم ورحمة الله ». ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعه سعد . فقال: يا رسول الله؛ إني كنت أسمع تسليمك وأرد عليك رداً خفياً لتكثر علينا من السلام . قال^[٣]: فانصرف معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر له سعد بغسل ، فاغتسل ، ثم ناوله بملحفة مصبوغة^[٤] بزعران أو ورس فاشتمل بها ، ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وهو يقول: « اللهم اجعل صلاتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة ». قال: ثم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطعام ، فلما أراد الانصراف قرب إليه^[٥] سعد حماراً قد وطيء عليه بقطيفية ، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال سعد: يا قيس؛ أصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال قيس: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اركب » فأبى^[٦] فقال: « إما أن تركب وإما أن تنصرف » . قال: فانصرفت .

وقد روى هذا من وجه آخر ، فهو حديث جيد قوي ، والله أعلم .

ثم ليعلم أنه ينبغي للمستأذن على أهل المنزل أن لا يقف تلقاء الباب بوجهه ، ولكن ليكن

(٦٥) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان حديث (٥١٨٥) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (١٠١٥٧) ، (١٠١٥٩) من طريق عبد الله ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى سعد بن عبادة زالوا ، فذكر الحديث .

[١] - ما بين المukoتفين في خ ، ز: « سماعك و ». .

[٢] - في ز: « ودعه ». .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المukoتفين سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز: « له ». .

الباب عن يمينه أو يساره ؛ لما رواه أبو داود^(٦٦) : حَدَّثَنَا مُؤْتَلُ بْنُ الْفَضْلِ الْخَرَانِيَّ فِي أَخْرِينَ قَالُوا : حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشَّرٍ^[١] قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلْ الْبَابَ مِنْ تَلَقَّاهُ وَجْهَهُ وَلَكِنْ مِنْ رَكْنِهِ الْأَمِينِ أَوْ الْأَيْسِرِ وَيَقُولُ^[٢] : « السَّلَامُ عَلَيْكُمُ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ». وَذَلِكَ أَنَّ الدُّورَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ سَتُورٌ . تَفَرَّدَ^[٣] بِهِ أَبُو دَاؤِدُ .

وَقَالَ أَبُو دَاؤِدُ^(٦٧) أَيْضًا : حَدَّثَنَا عُثْمَانَ بْنَ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ حَرَّ . قَالَ أَبُو دَاؤِدُ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنَ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا حَفْصَةَ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ طَلْحَةَ ، عَنْ هَزِيلٍ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ - قَالَ عُثْمَانُ : سَعْدٌ - فَوَقَفَ عَلَى بَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْذِنُ ، فَقَامَ عَلَى الْبَابِ - قَالَ عُثْمَانُ : مُسْتَقْبِلُ الْبَابِ - فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَكُذا عَنْكَ - أَوْ هَكُذا ؛ فَإِنَّمَا الْاسْتِذَانَ مِنَ النَّظَرِ » .

وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو دَاؤِدُ الطِّيَالِسِيُّ ، عَنْ سَفِيَّانَ الثُّوْرِيِّ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ طَلْحَةَ بْنَ مَصْرُوفَ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ سَعْدٍ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَوَاهُ أَبُو دَاؤِدُ^(٦٨) مِنْ حَدِيثِهِ .

وَفِي الصَّحِيفَيْنِ^(٦٩) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَوْ أَنْ امْرَءًا اطَّلَعَ عَلَيْكَ بَغْرِيْبٍ إِذْنَ ؛ فَحَذَفَهُ^[٤] بِحَصَّةٍ ؛ فَفَقَاتَ عَيْنِهِ مَا كَانَ عَلَيْكَ مِنْ جَنَاحٍ » .

وَأَخْرَجَ الْجَمَاعَةُ^(٧٠) مِنْ حَدِيثِ شَبَّةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَنْكَدِرِ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ : أَتَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دِينِكَانَ عَلَى أَبِي فَدْقَتِ الْبَابِ فَقَالَ : « مَنْ ذَاهِبٌ ؟ ». قَلَتْ^[٥] : أَنَا . قَالَ : « أَنَا أَنَا ؟ ». كَأَنَّهُ كَرِهَهُ . وَإِنَّمَا كَرِهُ ذَلِكَ ؛ لَأَنَّ هَذِهِ الْلَّفْظَةَ لَا يَعْرِفُ صَاحِبَهَا حَتَّى يَفْصُحَ بِاسْمِهِ أَوْ كَنْيَتِهِ الَّتِي هُوَ مُشْهُورٌ بِهَا ، وَلَا فَكِلَّ أَحَدٌ يَعْبُرُ عَنْ نَفْسِهِ بِ« أَنَا » فَلَا يَحْصُلُ بِهَا الْمَقْصُودُ مِنَ الْاسْتِذَانِ الَّذِي هُوَ الْاسْتِنَاسُ الْمَأْمُورُ بِهِ فِي الْآيَةِ .

[٦٦] سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : كم مرة يسلم الرجل في الاستذان حديث (٥١٨٦) .

[٦٧] سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : الاستذان ، حديث (٥١٧٤) .

[٦٨] سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : الاستذان ، حديث (٥١٧٥) .

[٦٩] صحيح البخاري ، كتاب الديات حديث (٦٩٠٢) ، وصحيح مسلم ، كتاب الأدب (٢١٥٨) .

[٧٠] صحيح البخاري ، كتاب الاستذان ، (٦٢٥٠) ، وصحيح مسلم ، كتاب الأدب (٢١٥٥) ، وسنن أبي داود ، كتاب الأدب (٥١٨٧) ، وسنن الترمذى ، كتاب الاستذان حديث (٢٧١١) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (١٠١٦٠) ، وسنن ابن ماجة حديث (٣٧٠٩) .

[١] - في ز : « بَشَرٌ » .

[٢] - في ت : « انْفَرَدٌ » .

[٣] - في خ ، ت : « فَخَذَفَهُ » .

[٤] - في خ ، ت : « فَخَذَفَهُ » .

وقال العوفي عن ابن عباس : الاستئذان . وكذا قال غير واحد . وقال ابن جرير : حَدَّثَنَا ابن بشار ، حَدَّثَنَا محمد بن جعفر ، حَدَّثَنَا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد ابن جبیر ، عن ابن عباس في هذه الآية ﴿ لَا تدخلوا بيوتاً غِيرَ بَيْوَكُمْ حَتَّى تَسْأَلُوكُمْ وَتَسْلِمُوا ﴾ قال : إِنَّمَا هِيَ خُطَا مِنَ الْكَاتِبِ (حتى تستأذنوا^[١] وَتَسْلِمُوا) .

وهكذا رواه^[٢] هشيم عن أبي بشر ، وهو جعفر بن إیاس ، [به . وروى معاذ^[٣] بن سليمان ، عن جعفر بن إیاس^[٤] عن سعيد ، عن ابن عباس بثله ، وزاد : وكان ابن عباس يقرأ : (حتى تستأذنوا وَتَسْلِمُوا) وكان يقرأ على قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه وهذا غريب جدًا عن ابن عباس .

وقال هشيم : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم قال : في مصحف ابن مسعود : (حتى تسلموا على أهلها وَتَسْأَلُوكُمْ) وهذا أيضًا روایة عن ابن عباس وهو اختيار ابن جرير .

وقد قال الإمام أحمد^(١) : حَدَّثَنَا روح ، حَدَّثَنَا ابن جريج ، أخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي سفيان : أَنَّ عُمَرَ بْنَ أَبِي صَفَوَانَ أَخْبَرَهُ : أَنَّ كَلْدَةَ بْنَ الْحَنْيلَ أَخْبَرَهُ : أَنَّ صَفَوَانَ بْنَ أَمِيَّةَ بْنَ شَعْبَةَ فِي الْفَتْحِ بَلَّا وِجْدَانَةً وَضَغَائِيسَ^[٥] وَالشَّيْءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَعْلَى الْوَادِيِّ قَالَ : فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ^[٦] وَلَمْ أَسْلِمْ وَلَمْ أَسْتَأْذِنْ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ارْجِعْ فَقْلَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُ ؟ » . وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ صَفَوَانَ^[٧] ، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالترْمِذِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ جَرِيجِهِ^[٨] ، وَقَالَ التَّرْمِذِيُّ : حَسْنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِهِ .

(١) - رواه أحمد حديث ١٥٤٦٦ - (٤١٤/٣) .

وقوله : ليأ : اللبا ؛ مهموز وزان عنب : أول اللبن عند الولادة ، وقال أبو زيد : وأكثرا ما يكون ثلاث حلبات ، وأقله حلبة . المصباح المنير ٢/[٥٤٨] .

والجداءة : بفتح الجيم وكسرها : أولاد الظباء ذكرها كان أو أثني ما بلغ ستة أشهر أو سبعة أشهر منزلة الجدي من المعرز كذا في النهاية « ينظر عن المبود » ٧/[٥٥٥] (٥١٦٥) .

وضغايس : جمع ضغافوس - بفتح الضاد وسكون الغين المعجمتين - وهو صغير القثاء . « ينظر عن المبود » ٧/[٥٥] .

(٢) - رواه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : كيف الاستئذان (٤/٣٤) حديث ١٧٦ . والترمذني في كتاب الاستئذان ، باب : ما جاء في التسليم قبل الاستئذان (٥/٦٢) حديث ٢٧١٠ .

[١] - في م : « تستأنسو » .

[٢] - في ز : « سعاد » .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من : خ .

[٤] - سقط من : ت .

[٥] - في ز : « ضغايس » .

وقال أبو داود ^(٧٣) : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصُ، عَنْ مُنْصُورٍ، عَنْ رَبِيعِيٍّ . قَالَ : حَدَّثَنَا ^[١] رَجُلٌ مِّنْ بَنِي عَامِرٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ قَالَ : أَلَّاجُ ^[٢] قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِخَادِمِهِ : « اخْرُجْ إِلَى هَذَا، فَعِلْمَهُ الْاسْتَأْذَنَ فَقَلَ لَهُ : قَلْ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُ ؟ ». فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ . قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُ ؟ فَأَذْنَنَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ .

وقال هشيم : أخبرنا منصور ، عن ابن سيرين ، وأخبرنا يونس بن عبد ، عن عمرو ^[٣] بن سعيد الثقفي : أن رجلاً استأذن على النبي صلّى الله عليه وسلم فقال : ألاج ؟ أو أتلج ؟ فقال النبي صلّى الله عليه وسلم لأمة له - يقال لها : روضة - : « قومي إلى هذا فعلميه ، فإنه لا يحسن يستأذن ، فقولي له : يقول : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُ ؟ » فسمعها ^[٤] الرجل فقال لها : فقال : « ادخل ». ^{*}

وقال الترمذى ^(٤) : حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ الصَّبَاحِ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ زَكْرِيَا، عَنْ عَبْنَسَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَادَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « السَّلَامُ قَبْلُ الْكَلَامِ ». ^{*}

ثم قال الترمذى ^(*) : عَبْنَسَةَ ضَعِيفَ الْحَدِيثِ ذَاهِبٌ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ زَادَةَ مُنْكِرُ الْحَدِيثِ .

وقال هشيم ^(٧٥) : قال مغيرة : قال مجاهد : جاء ابن عمر من حاجة وقد أذأه الرمضاء ؛ فأتى فسطاط امرأة من قريش فقال : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُ ؟ قالت : ادخل بسلام ، فأعاد ، فأعادت وهو يراوح ^[٥] بين قدميه قال : قولي : ادخل . قالت : ادخل . فدخل .

[وقال ابن ^[٦] أبي حاتم : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدُ الْأَشْجَعِ، حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمُ الْأَحْوَلِ ، حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ إِيَّاسٍ ، حَدَّثَنِي جَدِّي أُمِّ إِيَّاسٍ قَالَتْ : كُنْتُ فِي أَرْبِعِ نِسْوَةٍ يَسْتَأْذِنُنِي ^[٧] [على]

(٧٣) تفسير الطبرى (٨٧/١٨) .

(٧٤) سنن الترمذى ، كتاب الاستاذان والأدب ، حديث (٢٦٩٩) .

(*) في السنن : هذا حديث منكر لا تعرفه إلا من هذا الوجه وسمعت محمداً يقول فذكره .

(٧٥) تفسير الطبرى (٨٧/١٨) .

[١] - في خ ، ز : « جاء ». ^{*}

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « عمر ». ^{*}

[٤] - في ز ، ت : « يروح ». ^{*}

[٧] - في خ ، ت : « استاذن ». ^{*}

[٥] - في خ ، ت : « لابن ». ^{*}

عائشة [١] ، فقلت [٢] : ندخل ؟ قالت [٣] : لا ، قلن [٤] لصاحبكن : تستأذن [٥] . فقالت : السلام عليكم أندخل ؟ قالت : ادخلوا ، ثم قالت : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوْبَيْوَنَّا غَيْرَ بَيْوَنَكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوْ وَتَسْلِمُوْ عَلَى أَهْلِهَا﴾ .

وقال هشيم [٧٦] : أخبرنا أشعث بن سوار ، عن كردوس ، عن ابن مسعود قال : عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم . وقال [٦] أشعث عن عدي بن ثابت : أن امرأة من الأنصار قالت : يا رسول الله ، إني أكون في منزلتي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها ولا [٧] والد ، ولا ولد ، وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي ، وأنا على تلك الحال . قال : فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوْبَيْوَنَّا غَيْرَ بَيْوَنَكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوْ وَتَسْلِمُوْ عَلَى أَهْلِهَا﴾ [٨] .

وقال ابن جريج : سمعت عطاء بن أبي رباح يخبر عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : ثلاث آيات جحدها الناس ؛ قال الله تعالى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاقُكُم﴾ قال ويقولون : إن أكرمهم عند الله أعظمهم بيته . قال : والإذن [٩] كله قد [١٠] جحده الناس . قال : قلت : أستأذن على أخواتي أيتام في حجري معى في بيت واحد ؟ قال : نعم . فرددت عليه [١١] ليشخص لي فأبي ، فقال : تحب أن تراها عريانة ؟ قلت : لا ، قال : فاستأذن . قال : فراجعته أيضا فقال : تحب أن تطيع الله ؟ قال [١٢] : قلت : نعم . [١٣] قال : فاستأذن .

قال ابن جريج : وأخبرني ابن طاوس عن أبيه قال : ما من امرأة أكره إلى أن أرى عورتها من ذات محرم . قال : وكان يشدد في ذلك .

وقال ابن جريج عن الزهرى : سمعت هزيل بن شرجيل الأودي الأعمى أنه سمع ابن مسعود يقول : عليكم الإذن [١٤] على أمهاتكم .

(٧٦) تفسير الطبرى (٨٧/١٨) .

- [١] - ما بين المعقوفين سقط من : ز .
- [٢] - في ز : « فقلت » .
- [٣] - في خ ، ت : « فقلن » .
- [٤] - في خ ، ت : « فقلت » .
- [٥] - في ز : « تستأذن » .
- [٦] - في ز : « قال » .
- [٧] - سقط من : ز .
- [٨] - سقط من ت .
- [٩] - في ز : « الأدب » .
- [١٠] - سقط من : ز .
- [١١] - سقط من : خ ، ز .
- [١٢] - سقط من : ز .
- [١٣] - ما بين المعقوفين في ز : « قال » .
- [١٤] - سقط من : خ .

وقال ابن جريج : قلت لعطاء : أىستأذن الرجل على امرأته ؟ قال : لا . وهذا محمول على عدم الوجوب ، وإلا فالأولى أن يعلمها بدخوله ولا يفاجئها^[١] به^[٢] لاحتمال أن تكون على هيئة لا تحب أن يراها عليها .

وقال أبو جعفر بن جرير^(٧٧) : حَدَّثَنَا القاسم، حَدَّثَنَا الحسين، حَدَّثَنَا محمد بن حازم ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن يحيى بن الجزار ، عن ابن أخي زينب امرأة عبد الله ابن مسعود عن زينب - رضي الله عنها - قالت : كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تتحنن وبرق ؛ كراهة^(٧٨) أن يهجم منا على أمر يكرهه : إسناده صحيح .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَنَانَ الْوَاسِطِيَّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَمِيرٍ، حَدَّثَنَا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي هبيبة قال : كان عبد الله إذا دخل الدار استأنس بكلم ورفع صوته .

وقال مجاهد : حتى تستأنسو قال : تتحنحوا أو تنخموا .

وعن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - أنه قال : إذا دخل الرجل بيته استحب له أن يتتحنن أو يحرك نعليه . ولهذا جاء في الصحيح^(٧٩) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه نهى أن يطرق الرجل أهله طرفة . وفي رواية: «لِيَلًا يَتَخَوَّهُمْ» .

وفي الحديث الآخر^(٧٩) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة نهاراً فأناخ بظاهرها وقال «انتظروا حتى تدخل عشاء - يعني آخر النهار - حتى تتمشط الشعثة وتستحد المغيبة » .

وقال ابن أبي حاتم^(٨٠) : حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ

(٧٧) تفسير الطبرى (٨٨/١٨).

(٧٨) صحيح البخاري ، كتاب النكاح حديث (٥٢٤٣) ، (٥٢٤٤) ، صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصوها حديث (٧١٥) من حديث جابر ، رضي الله عنه .

(٧٩) رواه البخاري في صحيحه حديث (٥٢٤٧) من حديث جابر ، رضي الله عنه .

(٨٠) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/٦٠٧) ومن طريقه ابن ماجة في السنن حديث (٣٧٠٧) ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٤/١٧٨) ، حدثنا عبيد بن غنم عن أبي بكر بن أبي شيبة ، به . قال البوصيري في الزوائد (١٧١/٣) : « هذا إسناد ضعيف » .

[١] - في ز : « يخافصها » .

[٢] - سقط من : ز .

ابن سليمان ، عن واصل بن السائب ، حديثي أبي سورة^[١] ابن أخي أبي أبوب ، عن أبي أبوب قال : قلت : يا رسول الله ؛ هذا السلام فما الاستئناس ؟ قال « يتكلم الرجل^[٢] بتسبيبة أو^[٣] تكبيره أو^[٤] تحميدة ويتحجج ؛ فيؤذن أهل البيت ». هذا حديث غريب .

وقال قادة في قوله : ﴿ حتى تستأنسوا ﴾ [٥] قال [٦] هو الاستئنان [٧] . [قال : وكان يقال^[٨] : الاستئنان ثلاثة . فمن لم يؤذن له فيهن^[٩] فليرجع ، أما الأولى فليسمع الحي ، وأما الثانية فليأخذوا حذرهم ، وأما الثالثة فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا ، ولا تقنن على باب قوم ردوك عن بابهم ؛ فإن للناس حاجات ولهم أشغال ، والله أولى بالعذر .

وقال مقاتل بن حيان في قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾ كان الرجل في الجاهلية إذا لقي صاحبه لا يسلم عليه ويقول : حيثت صباحاً ! وحيثت مساء ! وكان ذلك تحية القوم بينهم ، وكان أحدهم ينطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يقتصر ويقول : قد دخلت [١٠] ونحو ذلك^[١١] ؛ فيشق ذلك على الرجل ، ولعله يكون مع أهله ، فغير الله ذلك كله في ست^[١٢] وعفة وجعله [نقائباً نزيهاً]^[١٣] من الدنس والقذر والدرن ، فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾ .

وهذا الذي قاله مقاتل حسن ؛ ولهذا قال : ﴿ ذلكم خير لكم ﴾ يعني الاستئنان ، خير لكم ، بمعنى هو خير من الطرفين للمستأذن ولأهل البيت ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ . قوله : ﴿ فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ﴾ وذلك لما فيه من التصرف في ملك الغير بغير إذنه ، فإن شاء أذن ، وإن شاء لم يأذن ﴿ وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكي لكم^[١٤] [أي : إذا ردوك من الباب قبل الإذن أو بعده ﴾ فارجعوا هو أزكي لكم^[١٥] [أي : رجوعكم أزكي وأطهر لكم ﴿ والله بما تعملون ع عليم ﴾ .

[١] - في خ ، ت : « ثورة » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « و » .

[٤] - سقط من : ت .

[٥] - سقط من خ ، ت .

[٦] - في خ ، ز : « منهم » .

[٧] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٨] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٩] - في ز : « نبياً نزها » .

[١٠] - ما بين المعقوفين سقط من : خ .

[١١] - في ز : « شر » .

[١٢] - ما بين المعقوفين سقط من : خ .

[١٣] - ما بين المعقوفين سقط من : خ .

وقال قتادة : قال بعض المهاجرين : لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركها أن استأذن على بعض إخواني ، فيقول لي : ارجع ، فأرجع وأنا مغتبط ﴿ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَرْجِعُوكُمْ فَارْجِعُوهُمْ هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْهِ ﴾ .

وقال سعيد بن جبير [﴿ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَرْجِعُوكُمْ فَارْجِعُوهُمْ ﴾ آي [١]] : لا تقفوا على أبواب الناس .

وقوله : ﴿ لِيْسَ عَلَيْكُمْ جَنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بَيْوَاتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ هذه الآية الكريمة أخص من التي قبلها ، وذلك أنها تقتضي جواز الدخول إلى البيوت التي ليس فيها أحد إذا كان له متعاف فيها بغير إذن ، كالبيت المعد للضيف إذا أذن له فيه أول مرة كفى . قال ابن جريج : قال ابن عباس : ﴿ لَا تَدْخُلُوا بَيْوَاتًا غَيْرَ بَيْوَاتِكُمْ ﴾ ثم نسخ واستثنى فقال : ﴿ لِيْسَ عَلَيْكُمْ جَنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بَيْوَاتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ﴾ وكذا روی عن عكرمة والحسن البصري . وقال آخرون : هي بيوت التجار كالحانات ومتازل الأسفار وبيوت مكة وغير ذلك . واختار ذلك ابن جرير وحكاه عن جماعة ، والأول أظهره ، والله أعلم . وقال مالك عن زيد بن أسلم : هي بيوت الشعر .

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَخْفَظُوا فِرْوَاجَهُمْ ذَلِكَ أَزَكَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ

خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ



هذا أمر من الله تعالى لعباده [٢] المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا إلا [إلى [٣] ما أباح لهم النظر إليه ، وأن يغضوا أبصارهم عن المحaram ، فإن اتفق أن وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعاً ، كما رواه مسلم في صحيحه [٤] من حديث يونس بن عبيد ، عن عمرو بن سعيد ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن جده [٥] جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظره الفجأة ؟ فأنزلني أن أصرف بصرى .

وكذا رواه الإمام أحمد ، عن هشيم ، عن يونس بن عبيد به . ورواه أبو داود والترمذى

[١] - ما بين المukoftin في ت : « في الآية » .
[٢] - في ز : « عباده » .
[٣] - سقط من خ .

[٤] - ما بين المukoftin في ز : « عن » .

[٥] - وسنن الترمذى ، كتاب الأدب (٢١٤٨) ، وسنن أبي داود (٣٦١/٤) ، ومسند (٢٧٧٦) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (٩٢٣٣) .

والنسائي من حديثه أيضاً، وقال الترمذى: حسن صحيح. وفي رواية لبعضهم فقال: «أطرق بصرك». يعني انظر إلى الأرض ، والصرف أعم ؛ فإنه قد يكون إلى الأرض وإلى جهة أخرى ، والله أعلم .

وقال أبو داود^(٨٢) : حدثنا إسماعيل بن موسى الفزارى ، حدثنا شريك ، عن أبي ربيعة الإيادى عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى : « يا على ؛ لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليس لك الآخرة ». .

ورواه الترمذى من حديث شريك ، وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديثه .

وفي الصحيح^(٨٣) عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والجلوس على الطرقات ». قالوا يا رسول الله ؛ لا^[١] بد لنا من مجالسنا نتحدث^[٢] فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أبitem فأعطوا الطريق حقه ». قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : « غض البصر وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المكر ». .

وقال أبو القاسم البغوى : حدثنا طالوت بن عباد ، حدثنا فضيل^[٣] بن جبير ، سمعت أبا إمامه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول^[٤] : « أكفلوا لي بست^[٥] أكفل لكم بالجنة ، إذا حدث أحدكم فلا يكذب ، وإذا اثنمن فلا يخن ، وإذا وعد فلا يخلف ، وغضوا^[٦] أبصاركم ، وكفوا أيديكم ، واحفظوا فروجكم »^(٨٤) .

وفي صحيح البخاري^(٨٥) : « من يكفل لي ما بين حييه و[ما بين]^[٧] رجليه أكفل له الجنة ». .

(٨٢) سنن أبي داود ، كتاب النكاح حديث (٢١٤٩) ، وسنن الترمذى ، كتاب الأدب حديث (٢٢٧٧) وشريك ضعف لسوء حفظه .

(٨٣) صحيح البخاري ، كتاب المظالم والغضب حديث (٢٤٦٥) ، وصحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة حديث (٢١٢١) من حديث أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه .

(٨٤) رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣٩٢/٧) من طريق أبي القاسم البغوى ، به . ورواوه الطبراني في المعجم الكبير (٣١٤/٨) ، وأبن حبان في المجموعين (٢٠٤/٢) من طريق فضال بن جبير . ويقال: ابن زبير ، به . وقال ابن حبان : « فضال بن جبير لا يحل الاحتجاج به ». .

(٨٥) صحيح البخاري حديث (٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد ، رضي الله عنه .

[١] - في ز : « ما ». .

[٢] - في خ ، ز : « تقد ». .

[٣] - في ز : « فضل ». .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز : « لست ». .

[٦] - في ز : « غضوا ». .

[٧] - ما بين المعکوفین سقط من : ز .

وقال عبد الرزاق : أتَيْنَا مُعْمَرَ عَنْ أَيُوبَ عَنْ أَبْنَى سِيرِينَ عَنْ عَبِيدَةَ قَالَ : كُلُّ مَا عَصَى اللَّهُ بِهِ فَهُوَ كَبِيرٌ ، وَقَدْ ذُكِرَ الطَّرْفَيْنَ فَقَالَ : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ .

وَلَا كَانَ النَّظَرُ دَاعِيًّا إِلَى فَسَادِ الْقَلْبِ ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلْفِ : النَّظَرُ سَهَمٌ^[١] إِلَى الْقَلْبِ . وَلَذِكْ أَمْرُ اللَّهِ بِحَفْظِ الْفَرْوَجِ كَمَا أَمْرَ بِحَفْظِ الْأَبْصَارِ الَّتِي هِيَ بِوَاعِثٍ إِلَى ذَلِكَ فَقَالَ : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُونَ فَرْوَجَهُمْ ﴾ وَحَفْظُ الْفَرْجِ تَارِيْخٌ يَكُونُ بِعِنْدِهِ مِنَ الرِّزْنَ ، كَمَا قَالَ : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لَفْرُوجُهُمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكُتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ . وَتَارِيْخٌ يَكُونُ بِحَفْظِهِ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ ؛ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ فِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ وَالسِّنَنِ^[٢] « احْفَظْ عُورَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينَكَ ». ﴿ ذَلِكَ أَذْكَرُ لَهُمْ أَيِّ أَطْهَرَ لَقْوَبِهِمْ وَاتِّقَى لَدِينِهِمْ ، كَمَا قِيلَ : مِنْ حَفْظِ بَصَرِهِ أُورَثَهُ اللَّهُ نُورًا فِي بَصِيرَتِهِ ، وَبِرَوْيِيْ : فِي قَلْبِهِ .

وَقَدْ^[٣] قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ^[٤] : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَبَارِكَ ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُوبَ ، عَنْ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زَحْرَ ، عَنْ عَلَى بْنِ يَزِيدٍ عَنْ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظَرُ إِلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ [أُولَى مَرْأَةٍ]^[٥] ثُمَّ يَغْضُبُ بَصَرُهُ إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلَاوَتَهَا ». »

وَرُوِيَّ هَذَا مَرْفُوعًا عَنْ أَبْنَى عُمَرَ وَحْدِيْفَةَ^[٦] وَعَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَلَكِنْ فِي إِسْنَادِهَا ضَعْفٌ ؛ إِلَّا أَنَّهَا فِي التَّرْغِيبِ وَمُثْلِهِ يَتَسَامَحُ فِيهِ .

(٨٦) المسند (٤، ٣/٥) ، وسنن أبي داود حديث (٤٠١٧) ، وسنن ابن ماجة حديث (١٩٢٠) من حديث معاوية بن حيطة ، رضي الله عنه .

(٨٧) المسند (٥/٤٦) . وفي إسناده عبيد الله بن زحر ، قال ابن حبان : « يَرُوِيُّ الْمُوْضُوْعَاتُ عَنِ الْأَثَيْنَاتِ وَإِذَا رُوِيَ عَنْ عَلَى بْنِ يَزِيدٍ أَنَّهُ بِالْطَّامَاتِ ، وَإِذَا اجْتَمَعَ فِي إِسْنَادِ خَبْرِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زَحْرَ وَعَلَى بْنِ يَزِيدٍ وَالْقَاسِمِ أَبْوَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْخَبْرُ إِلَّا مَا عَمِلَهُ أَيْدِيهِمْ ». »

(٨٨) أَمَّا حَدِيثُ حَذِيفَةَ ، فَرَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدِرِكِ (٤/٣١) مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقِ الْقَرْشِيِّ عَنْ هَشَمِيْمِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ إِسْحَاقِ عَنْ مُحَارِبِ عَنْ صَلَةِ بْنِ زَفْرٍ عَنْ حَذِيفَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ ، وَتَعَقَّبَهُ الْذَّهَبِيُّ . قَلَتْ : إِسْحَاقُ وَاهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ هُوَ الْوَاسِطِيُّ ضَعْفُوهُ .

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبْنَى عُمَرَ ، فَرَوَاهُ أَبُو نَعِيمَ فِي الْحَلِيَّةِ (١٠١/٦) مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْيَمَانِ عَنْ أَبِي الْمَهْدِيِّ عَنْ أَبِي الْزَّاهِرِيَّةِ عَنْ كَبِيرِ بْنِ مَرْيَمَ عَنْ أَبْنَى عُمَرَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ جَدًا .

[١] - فِي زِيْرِهِ : « سَهَمٌ ». - سَقْطٌ مِنْ خَلْفِهِ ، تَرْكِهِ .

[٢] - ما بين المعکوفین سقط من خلفه ، زيره .

وفي الطبراني^(٨٩) من طريق عبيد الله بن زحر^[١] عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة مرفوعاً : « لتفضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم ولتقين وجهكم أو لتكشفن وجهكم »

وقال الطبراني^(٩٠) : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زَهِيرَ التَّسْتَرِيُّ، قَالَ : قَرَأْنَا عَلَى مُحَمَّدٍ بْنِ حَفْصٍ أَبْنَعْ أَبْنَعَ الْمَقْرَبِيِّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بَكْرٍ، حَدَّثَنَا هَرِيمُ بْنُ سَفِيَّانَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَيْمَهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْعُودَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ النَّظَرَ سَهْمٌ مِّنْ سَهَامِ إِبْلِيسِ مَسْمُومٌ ، مِنْ تَرْكَهَا مَخَافِتِي أَبْدَلَهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلَوَتَهُ فِي قَلْبِهِ » .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مَا يَصْنَعُونَ﴾^[٢] كما قال تعالى : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تَخْفِي الصُّدُورُ﴾ .

وفي الصحيح^(٩١) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كتب على ابن آدم حظه من الزنا ، أدرك ذلك لا محالة ؛ فزنا العينين النظر ، وزنا اللسان النطق ، وزنا الأذنين الاستماع ، وزنا اليدين البطش ، وزنا الرجلين الخطيء ، والنفس قتني وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه ». و^[٣] رواه البخاري تعليقاً ومسلم مستداً من وجه آخر بعنوان ما تقدم^[٤] .

وقد قال كثير من السلف : إنهم كانوا ينهون أن يُجحد الرجل نظره^[٥] إلى الأمد ، وقد شدد كثير من أئمة الصوفية في ذلك ، وحرمه طائفة من أهل العلم ؛ لما فيه من الافتتان ، وشدد آخرون في ذلك كثيراً جداً .

وقال ابن أبي الدنيا^(٩٢) : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدُ الْمَدْنِيُّ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو^[٦] بْنُ سَهْلِ الْمَازِنِيِّ ،

(٨٩) المعجم الكبير (٢٤٦/٨) وعيبد الله بن زحر وعلي بن يزيد والقاسم ضعفاء .

(٩٠) المعجم الكبير (٢١٤/١٠) ، وقال الهيثمي في الجمع (٦٣:٨) : « وفي عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي وهو ضعيف » .

(٩١) صحيح البخاري ، كتاب الاستذان حديث (٦٣٤٣) ، وصحيح مسلم ، كتاب القدر حديث (٢٦٥٧) .

(٩٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١٦٣/٣) من طريق داود بن عطاء عن عمر بن صهبان ، عن صفوان عن =

[١] - في خ ، ز : « يزيد » .

[٢] - سقط من خ ، ت .

[٣] - في ز : « ذكر » .

[٤] - في خ : « بصره » .

[٥] - في ز : « عمر » .

حدثني عمر بن محمد بن صهبان^[١] ، عن صفوان بن سليم ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل عين باكية^[٢] يوم القيمة إلا عيناً غضت عن محaram الله ، وعيناً سهرت في سبيل الله ، وعيناً يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله عز وجل ».

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضِضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبَدِّلْنَ زِينَتَهُنَّ
 إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهُنَّ وَلِيَضْرِبُنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبَدِّلْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا
 لِبُعْوَلَتِهِنَّ أَوْ لَبَابَهِنَّ أَوْ مَابَلَهُ بُعْوَلَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ
 بُعْوَلَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخْوَتِهِنَّ أَوْ نِسَاءِهِنَّ أَوْ مَا
 مَلَكْتَ أَيْمَانَهُنَّ أَوْ الْتَّشِيعَنَ غَيْرِ أُولَئِكَ الْأُرْدِيَّةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفَلِ الَّذِينَ
 لَمْ يَظْهِرُوا عَلَى عَوَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَصْرِفُنَّ إِلَيْرَجْلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ
 زِينَتَهُنَّ وَتُوَبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفَلُّحُونَ (٢١)

هذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات ، وغيره منه لأزواجهن عباده المؤمنين ، وتمييز لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركيات . وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة^[٣] ما ذكره مقاتل بن حيان قال : بلغنا - والله أعلم - أن جابر بن عبد الله الأنباري حدث أن أسماء بنت مرشدة ، كانت في محل لها في بني حارثة ، فجعل النساء يدخلن عليها غير متازرات فيبدو ما في أرجلهن من الخلاخل^[٤] ، وتبدو صدورهن وذوابنهن ، فقالت أسماء : ما أقبح هذا ! فأنزل الله تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضِضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبَدِّلْنَ زِينَتَهُنَّ وَتُوَبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفَلُّحُونَ ﴾ الآية .

فقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضِضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ أي : عما^[٥] حرم الله عليهن من النظر إلى غير أزواجهن ؛ ولهذا ذهب [كثير من العلماء إلى^[٦]] أنه لا يجوز للمرأة أن = أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، به . فلا أدرى أسقط أبو سلمة من إسناد ابن أبي الدنيا أم لا ؟ وعمر بن صهبان منكر الحديث اتفق الأئمة على تضعيفه .

[١] - في ز : « هبهان ».

[٢] - في خ ، ز : « زانية ».

[٤] - في خ ، ت : « الخلاخل ».

[٣] - سقط من : ز .

[٦] - ما بين المukoofin سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز : « ما ».

تنظر إلى الأجانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلًا . واحتاج كثير منهم بما رواه أبو داود والترمذى^(٩٣) من حديث الزهرى عن نبهان مولى أم سلمة أنه حدثه أن أم سلمة حدثته أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة قالت : فيبينما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه - وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احتجبا منه ». قلت : يا رسول الله ؟ أليس هو أعمى لا يصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أو عميا وان أنتما ؟ ألسنتما تبصرانه ؟ ». ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

وذهب آخرون من العلماء إلى جواز نظرهن إلى الأجانب بغير شهوة ، كما ثبت في الصحيح^(٩٤) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ينظر إلى الحبشة وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد في المسجد وعائشة أم المؤمنين تنظر إليهم من ورائه وهو يسترها منهم حتى ملت ورجعت .

وقوله^[١] : ﴿ ويحفظن فروجهن ﴾ قال^[٢] سعيد بن جبير : عن الفوادش . وقال قتادة وسفيان : عما لا يحل لهن . وقال مقاتل : عن الزنا . وقال أبو العالية : كل آية أنزلت^[٣] في القرآن يذكر فيها حفظ الفروج فهو من الزنا إلا هذه الآية ﴿ ويحفظن فروجهن ﴾ أن لا يراها أحد . قال : ﴿ ولا يدین زیتهن إلا ما ظهر منها ﴾ أي : و^[٤] لا يظهرن شيئاً من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه . قال^[٥] ابن مسعود : كالرداء والثياب . يعني على ما كان يتعاناه نساء العرب من المقنعة التي تجلل ثيابها وما يedo من أسفل الثياب فلا حرج عليها فيه ؛ لأن هذا لا يمكن إخفاؤه . [ونظيره في زي النساء ما يظهر من إزارها وما لا يمكن إخفاؤه . وقال^[٦] بقول^[٧] ابن مسعود الحسن وابن سيرين وأبو الجوزاء وإبراهيم النخعي وغيرهم ، وقال الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ ولا يدین زیتهن إلا ما ظهر منها ﴾ قال : وجهها وكفيها والخاتم . وروي عن ابن عمر وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير ، وأبي^[٨] الشعثاء والضحاك ، وإبراهيم النخعي وغيرهم نحو ذلك ، وهذا يتحمل أن يكون تفسيراً للزينة التي نهان عن إبدائها ، كما قال أبو إسحاق السبيبي عن أبي الأحوص

(٩٣) سنن أبي داود ، كتاب اللباس حديث (٤١١٢) ، وسنن الترمذى ، كتاب الأدب حديث (٢٧٧٨) .

(٩٤) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة حديث (٤٥٤) .

[١] - سقط من : ز .

[٣] - في خ ، ت : « نزلت » .

[٥] - في ز : « و قال » .

[٧] - في ز : « يقول » .

[٢] - في ز : « و قال » .

[٤] - سقط من خ ، ت .

[٦] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٨] - في ز : « أبو » .

عن عبد الله قال^[١] في قوله: ﴿وَلَا يَدِينَ زَيْتَنَه﴾ الزينة القرط والمدلوج والخلخال^[٢] والقلادة . وفي رواية عنه بهذا الإسناد قال : الزينة زيتان ؛ فزينة لا يراها إلا الزوج : الخاتم والسوار ، [وزينة يراها الأجانب^[٣] وهي الظاهر من الثياب .

وقال الزهرى : [لا يدين^[٤] لهؤلاء الذى سمى الله من لا تخل^[٥] له إلا الأسوره والأحمره والأقرطه من غير حسر ، وأما عامة الناس فلا ييدو منها إلا الخواتم .

وقال مالك عن الزهرى : ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ الخاتم والخلخال .

ويحتمل أن ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير ما ظهر منها بالوجه والكفين ، وهذا هو المشهور عند الجمهور ، ويستأنس له بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه^(٩٥) :

حدثنا يعقوب بن كعب الانطاكي ، ومؤمل بن الفضل الحراني^[٦] قالا : حدثنا الوليد عن سعيد بن بشير عن قنادة عن خالد بن دريك عن عائشة - رضي الله عنها - أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب راق فاعرض عنها وقال : « يا أسماء ؛ إن المرأة إذا بلغت الحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا ». وأشار إلى وجهه وكفيه ، لكن قال أبو داود وأبو حاتم الرازي : هذا^[٧] مرسل . خالد بن دريك لم يسمع من عائشة ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿وَلِيُضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جِيوبِهِنَّ﴾ يعني المقانع يعمل لها ضيقات ضاربات على [صدور النساء^[٨] لتواتري ما تحتها من صدرها وترابتها ليخالفن شعار نساء أهل الجاهلية ، فإنهن لم يكن يفعلن ذلك بل كانت المرأة منها تمر بين الرجال مسقحة بصدرها لا يواريه شيء ، وربما أظهرت عنقها وذواب شعرها وأقرطة آذانها ، فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هياتهن وأحوالهن ، كما قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبِنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يَدِينِنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيَّهُنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَعْرَفَنَّ فَلَا يُؤْذِنُنَّ﴾ وقال في هذه الآية الكريمة ﴿وَلِيُضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جِيوبِهِنَّ﴾ والخمر جمع خمار ، وهو ما يخمر^[٩] ، أي يغطي به الرأس وهي التي تسميتها الناس المقانع .

(٩٥) سنن أبي داود ، كتاب اللباس حديث (٤١٠٤) .

[١] - سقط من : ت .

[٢] - في ز : « الدملج » .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز : « يحل » .

[٦] - في خ : « الجوانبي » .

[٧] - بعده في خ ، ت : « هو » .

[٨] - ما بين المعقوفين في ت : « صدورهن » .

قال سعيد بن جبير : ﴿ وَلِيُضْرِبَنَّ بَخْرَمَهُنَّ عَلَى جِيوبِهِنَّ ﴾ يعني على التحر والصدر فلا يرى منه شيء .

وقال البخاري^(٩٦) : وقال^(١) أحمد بن شبيب : حَدَّثَنَا أَبِي ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : يرحم الله نساء المهاجرات الأولى ! لما أنزل الله : ﴿ وَلِيُضْرِبَنَّ بَخْرَمَهُنَّ عَلَى جِيوبِهِنَّ ﴾ شققن مروطهن فاختمن بهما^(٢) .

وقال أيضاً^(٩٧) : حَدَّثَنَا أَبُو نعيم ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمَ بْنَ نَافعَ ، عن الْحَسْنِ بْنِ مُسْلِمَ ، عن صفيه بنت شيبة أن عائشة - رضي الله عنها - [كانت تقول^(٣) : لما نزلت هذه الآية ﴿ وَلِيُضْرِبَنَّ بَخْرَمَهُنَّ عَلَى جِيوبِهِنَّ ﴾ أخذن أزرهن فشققنهما من قبل الحواشي فاختمن بها] .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا أَحْمَدَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونَسَ ، حَدِيثُ الرَّنْجِيِّ بْنِ خَالِدٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنُ خَثِيمٍ^(٤) ، عن صفيه بنت شيبة قالت : بينما نحن عند عائشة قالت : فذكرون نساء قريش وفضلهن ، فقالت عائشة رضي الله عنها : إن لنساء قريش لفضلًا ، وإنِّي وَاللَّهِ مَا رأيْتُ أَفْضَلَ مِنْ نَسَاءِ الْأَنْصَارِ أَشَدَّ تَصْدِيقًا لِكِتَابِ^(٥) اللَّهِ وَلَا إِيمَانًا بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور^(٦) وَلِيُضْرِبَنَّ بَخْرَمَهُنَّ عَلَى جِيوبِهِنَّ^(٧) انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله^(٨) إليهم فيها ويتلوا الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته ، فما منها امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل^(٩) فاعتبرت به ، تصديقا وإيمانا بما أنزل الله من كتابه ، فأصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح معتجرات ، كأن على رءوسهن الغربان . ورواه أبو داود^(١٠) من غير وجه عن صفيه بنت شيبة به .

وقال ابن جرير^(١١) : حَدَّثَنَا يُونَسَ ، أَخْبَرَنَا أَبِي وَهْبٍ : أَنْ قَرْةَ^(٨) بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَخْبَرَهُ

(٩٦) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن حدث (٤٧٥٨) .

(٩٧) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن حدث (٤٧٥٩) .

(٩٨) سن أبي داود ، كتاب اللباس حدث (٤١٠١ ، ٤١٠٠) .

(٩٩) تفسير الطبراني (٩٤/١٨) ، وسنن أبي داود ، كتاب اللباس حدث (٤١٠٢) . وقرة بن عبد الرحمن : صدوق له مناكر .

[١] - في خ ، ز : « وَهَدَنَا » .

[٢] - في ز : « بَهَ » .

[٣] - ما بين المعقوفين في خ ، ز : « قَالَتْ » .

[٤] - في خ ، ت : « خَثِيمٌ » .

[٥] - في ز : « بَكْتَابٌ » .

[٦] - في خ ، ز : « قَرْفَةٌ » .

[٧] - في ز : « الْمَاجِلُ » .

عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أنها قالت : يرحم الله النساء المهاجرات الأول ! لما أنزل الله ﷺ ولি�ضرن بخمرهن على جيوبهن ﴿ شقعن أكف مروطهن فاختمن به ﴾^[١] . ورواه أبو داود من حديث ابن وهب به .

وقوله تعالى : ﴿ ولا يدین زیتنهن إِلَّا بِعولتهن ﴾ يعني ^[٢] : أزواجهن ﴿ أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى آخواتهن ﴾ كل هؤلاء محارم للمرأة يجوز لها أن تظهر عليهم ^[٣] بزيتها ولكن من غير [اقتصاد] وتبهرج ^[٤] .

وقال ^[٥] ابن المذر : حَدَّثَنَا مُوسَى - يعني : ابن هارون - حَدَّثَنَا أُبُو بَكْر - يعني ابن أبي شيبة - حَدَّثَنَا عَفَانَ ، حَدَّثَنَا حَمَادَ بْنَ سَلْمَةَ ، أَخْبَرَنَا دَاؤِدَ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ وَعَكْرَمَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ ولا يدین زیتنهن إِلَّا بِعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن ﴾ حتى فرغ منها قال : لم يذكر العم ولا الحال لأنهما يتبعان لأبائهما ، ولا تضع خمارها عند العم والحال ، فاما الزوج فإنما ذلك كله من أجله فتصنعن له ما لا يكون بحضوره غيره .

وقوله : ﴿ أو نسائهم ﴾ يعني تظهر زيتها ^[٦] أيضاً للنساء المسلمات دون نساء ^[٧] أهل ^[٨] الذمة لغلا تصفهن لرجالهن ، وذلك وإن كان محدوداً في جميع النساء ، إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد فائيهن ^[٩] لا يمنعهن ^[٩] من ذلك مانع ، وأما ^[١٠] المسلمة فإنها تعلم أن ذلك حرام فتنزجر عنه ^[١١] ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تباشر المرأة تتعتها لزوجها كأنه ينظر إليها ». أخرجاه في الصحيحين عن ابن مسعود ^(١٠٠) .

وقال سعيد بن منصور في سنته ^(١٠١) : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشَ ، عَنْ هَشَامِ بْنِ الْفَارِ ، عَنْ عَبَادَةَ بْنِ نَسِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : كَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ إِلَى أَبِي عَبِيدَةَ : أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ نِسَاءَ الْمُسْلِمِينَ يَدْخُلْنَ الْحَمَامَاتِ

(١٠٠) صحيح البخاري حديث (٥٢٤١) .

(١٠١) ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٩٥/٧) من طريق سعيد بن منصور ، به .

[٢] - في خ ، ت : « أَيْ » .

[١] - في خ ، ت : « بِهَا » .

[٤] - ما بين المعقوفين في ت : « تبرج » .

[٣] - سقط من : ت .

[٦] - في خ ، ت : « بِزِيَّتِهَا » .

[٥] - في ز : « قَالَ » .

[٨] - سقط من : خ ، ز .

[٧] - في خ ، ت : « النِّسَاءُ » .

[١٠] - في خ ، ت : « فَأَمَّا » .

[٩] - سقط من : ز .

[١١] - ما بين المعقوفين سقط من : خ .

مع نساء أهل الشرك ، فإنه من قبلك ، فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملتها .

وقال مجاهد في قوله : **﴿أو نسائهم﴾** قال : نسائهم المسلمات ليس المشرفات من نسائهم ، وليس للمرأة المسلمة أن تكشف بين يدي المشرفة^[١] .

وروى عبد في تفسيره عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس **﴿أو نسائهم﴾** قال : هن المسلمات لا تبديه ليهودية ولا نصرانية ، وهو التحر والقرط والوشاح وما لا^[٢] يحل أن يرآه إلا محرم .

وروى سعيد : حَدَّثَنَا جُرَيْرٌ ، عَنْ لِيثٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ قَالَ : لَا تَضْعِفِي الْمُسْلِمَةَ خَمَارَهَا عِنْدَ مَشْرَكَةٍ ؛ لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : **﴿أو نسائهم﴾** فَلَيَسْتَ^[٣] مِنْ نسائهم .

وعن مكحول وعبادة بن نسي ، أنهما كرها أن تقبل النصرانية واليهودية والمجوسية المسلمة .

فأما ما رواه ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسِينِ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمِيرٍ ، حَدَّثَنَا ضَمْرَةً قَالَ : قَالَ أَبْنُ عَطَاءِ عَنْ أَيْهَ^[٤] قَالَ : لَمَّا^[٥] قَدِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ كَانَ قَوَابِلَ نِسَائِهِمْ^[٦] الْيَهُودِيَّاتِ وَالنَّصَارَىيَّاتِ ، فَهَذَا إِنْ صَحَّ مَحْمُولُ^[٧] عَلَى حَالِ الْمُضْرُورَةِ ، أَوْ أَنْ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْإِمْتِهَانِ ، ثُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ كَشْفُ عُورَةٍ^[٨] وَلَابِدُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وقوله : **﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾** قال ابن جريج^[٩] : يعني من نساء المشركين ، فيجوز لها أن تظهر [زينتها لها] ، وإن كانت مشرفة لأنها أمتها . ولعليه ذهب سعيد بن المسيب ، وقال الأكثرون : بل يجوز لها أن تظهر^[١٠] على رقيقها من الرجال والنساء واستدلوا بالحديث الذي رواه أبو داود^[١١] : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَىٰ ، حَدَّثَنَا أَبُو جَعْيْدَةَ سَالِمَ بْنَ دِينَارٍ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى فَاطِمَةَ

(١٠٢) سنن أبي داود ، كتاب اللباس حديث (٤١٠٦) .

[١] - في خ ، ت : « مشرفة » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « فليس » .

[٤] - بعده في خ ، ت : قال .

[٥] - في ز : « ولما » .

[٦] - في خ ، ت : « نسائهم » .

[٧] - في خ ، ت : « فمحمل » .

[٨] - في خ ، ت : « عرة » .

[٩] - في ت : « جرير » .

[١٠] - ما بين المقوفين سقط من : خ ، ز .

بعد قد وبه لها قال : وعلى فاطمة ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال : « إنه ليس عليك بأس ، إنما هو أبوك وغلامك ». .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر^[١] في تاريخه في [١] ترجمة [خديج الحصى]^[٢] مولى معاوية أن عبد الله بن مسعدة الفزاري كان أسود شديد الأدمة ، وأنه قد كان النبي صلى الله عليه وسلم ومه لابنته فاطمة فربته ثم أعتقه ، ثم قد كان بعد ذلك كله مع معاوية أيام صفين ، وكان من [٣] أشد الناس على علي^[٤] بن أبي طالب رضي الله عنه .

وقال الإمام أحمد^[٥] : حَدَّثَنَا سُفيانُ بْنُ عِيَّنَةَ ، عَنِ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ نِيهَانَ ، عَنْ أَمْ سَلْمَةَ ذَكَرَتْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا كَانَ لِإِحْدَاكُنْ مَكَاتِبَ ، وَكَانَ لَهُ مَا يُؤْدِي فَلْتَحْجِبْ مِنْهُ ». وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ سُفِيَّانَ بْنِ هَبَّةَ^[٦] .

وقوله: أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال يعني كالاجراء والاتباع الذين ليسوا^[٧] بأكفاء ، وهم مع ذلك في عقولهم ولة وحوت ، ولا هم لهم إلى النساء ولا يشتهونهن . قال ابن عباس : هو المغفل الذي لا شهوة له .

وقال مجاهد : هو الأبله .

وقال عكرمة : هو المخنث الذي لا يقوم زبه^[٨] . وكذلك قال غير واحد من السلف ، وفي الصحيح^[٩] من حديث الزهرى عن عروة عن عائشة أن مخنثًا^[١٠] كان يدخل على أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت يعودونه من غير أولي الاربة ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم : وهو ينعت امرأة يقول^[١١] : إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع ، وإذا أدبرت أدبرت بثمان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أرى هذا يعلم ما ها هنا لا يدخلن

(١) تاريخ دمشق (٤/٢٧٨) « المخطوط » .

(٢) المسند (٦/٢٨٩) ، وسن أبي داود ، كتاب العنق حديث (٣٩٢٨) .

(٣) صحيح مسلم حديث (٢١٨١) وزيادة : « فكان بالبيداء يدخل كل يوم جمعة الحديث » . أخرجها أبو داود ، كتاب اللباس حديث (٤١٠٩) من طريق الزهرى ، به ، وليس في صحيح مسلم .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المكونتين في خ ، ت : « خديج الحصى ». [٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ت : « ذكره » .

[٦] - في ز : « ليس » .

[٧] - سقط من : ز .

[٨] - في ز : « موئلاً » .

عليكم ». فأخرجـه فكان بالبيداء يدخل [كل يوم]^[١] جمـعة يستطـعـم .

وقـال الإمام أـحمد^(١٠٦) : حـدـثـنا أـبو مـعاـوـيـة : حـدـثـنا هـشـامـ بن عـرـوـة ، عـنْ أـبـيه ، عـنْ زـينـبـ بـنـتـ أـبـي سـلـمـة ، عـنْ أـمـ سـلـمـة [أـنـهـ قـالـتـ]^[٢] : دـخـلـ [عـلـيـنـا رـسـولـ اللـهـ صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ]^[٣] وـعـنـدـها مـخـنـثـ وـعـنـدـها عـبـدـ اللـهـ بنـ أـبـي أـمـيـةـ [يـعـنـي أـخـاهـ وـمـخـنـثـ يـقـولـ] يـا عـبـدـ اللـهـ بنـ أـبـي أـمـيـةـ^[٤] ؛ إـنـ فـتـحـ اللـهـ عـلـيـكـ الطـائـفـ غـدـاـ فـلـيـكـ بـابـةـ غـيـلـانـ ، إـنـهـ تـقـبـلـ بـأـرـبـعـ وـتـدـبـرـ بـشـمـانـ ». قـالـ : فـسـمـعـهـ رـسـولـ اللـهـ صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـقـالـ لـأـمـ سـلـمـ : « لـا يـدـخـلـنـ هـذـا عـلـيـكـ ». أـخـرـجـاهـ فـي الصـحـيـحـيـنـ مـنـ حـدـيـثـ هـشـامـ بنـ عـرـوـةـ بـهـ .

وقـالـ الإمام أـحمد^(١٠٧) : حـدـثـنا عـبـدـ الرـزـاقـ ، حـدـثـنا مـعـمـرـ ، عـنـ الزـهـرـيـ ، عـنـ عـرـوـةـ بنـ الرـبـيرـ ، عـنـ عـائـشـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـا قـالـتـ : كـانـ رـجـلـ يـدـخـلـ عـلـى أـزـوـاجـ النـبـيـ صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـخـنـثـ ، وـكـانـوا يـعـدـونـهـ مـنـ غـيـرـ أـوـلـيـ الـمـرـيـةـ ، فـدـخـلـ النـبـيـ صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ

(١٠٦) المسند (٢٩٠/٦) (٢٦٦٠) وأـخـرـجـهـ الـبـخـارـيـ فـي كـتـابـ الـمـغـازـيـ ، بـابـ : غـزـوـةـ الـطـائـفـ . الفـتـحـ : (٦٢٩/٧) (رـقـمـ : ٤٣٢٤) وـطـرـفـاهـ في (٥٢٣٥) (٥٨٨٧) . وـمـسـلـمـ فـي صـحـيـحـهـ فـي كـتـابـ السـلـامـ ، بـابـ : مـنـعـ المـخـنـثـ مـنـ الدـخـولـ عـلـى النـسـاءـ الـأـجـانـبـ . (٤/١٧١٥) (رـقـمـ : ٢١٨٠) . وـأـبـ دـاـوـدـ فـي سـنـتـهـ فـي كـتـابـ الـأـدـبـ ، بـابـ : فـي الـحـكـمـ فـي الـخـنـثـينـ . (٤/٤٨٤) (رـقـمـ : ٤٩٢٩) . وـالـنـسـائـيـ فـي الـكـبـرـيـ فـي كـتـابـ عـشـرـةـ الـأـدـبـ ، بـابـ : دـخـولـ المـخـنـثـ عـلـى النـسـاءـ . (٥/٣٩٥) (رـقـمـ : ٩٢٤٥) ، (٥/٣٩٦) (رـقـمـ : ٩٢٤٩) . وـابـنـ مـاجـةـ فـي سـنـتـهـ فـي كـتـابـ الـنـكـاحـ ، بـابـ : فـي الـخـنـثـينـ (١/١٣) (رـقـمـ : ١٩٠٢) . وـكـاتـبـ الـحـدـودـ ، بـابـ : الـخـنـثـينـ (٢/٨٧٢) (رـقـمـ : ٢٦١٤) . كـلـهـمـ مـنـ طـرـيقـ هـشـامـ بنـ عـرـوـةـ بـهـ .

(*) المـخـنـثـ - بـكـسـرـ الـنـونـ وـفـتـحـهـ - : هـوـ الـذـي يـشـبـهـ النـسـاءـ فـي أـخـلـاقـ وـكـلـامـهـ وـحـرـكـاتـهـ ، وـالـفـعـلـ : مـخـنـثـ ، بـتـشـدـيدـ الـنـونـ . شـرـحـ الـنـوـويـ عـلـى صـحـيـحـ مـسـلـمـ بـتـصـرـفـ (١٤/٢٣٣) .

(**) تـقـبـلـ بـأـرـبـعـ وـتـدـبـرـ بـشـمـانـ : قـالـ أـبـو عـيـدـ وـسـائـرـ الـعـلـمـاءـ : مـعـنـي قـولـهـ : « تـقـبـلـ بـأـرـبـعـ وـتـدـبـرـ بـشـمـانـ ». أـبـي : أـرـبـعـ عـكـنـ - وـالـلـكـنـ جـمـعـ عـكـنـةـ وـهـيـ الطـيـعـ فـي الـبـطـنـ مـنـ السـمـنـ - وـثـمـانـ عـكـنـ . قـالـواـ : وـمـعـنـاهـ : أـنـ لـهـ أـرـبـعـ عـكـنـ تـقـبـلـ بـهـنـ ، مـنـ كـلـ نـاـحـيـةـ ثـنـانـ ، وـلـكـلـ وـاحـدـةـ طـرـفـانـ ، فـإـذـا أـدـبـرـ صـارـتـ الـأـطـرـافـ ثـمـانـةـ . قـالـواـ : وـلـمـا ذـكـرـ قـفـالـ : « بـشـمـانـ ». وـكـانـ أـصـلـهـ أـنـ يـقـولـ : « بـشـمـانـيـةـ » ؛ فـإـنـ الـمـرـادـ الـأـطـرـافـ ، وـهـيـ مـذـكـرـ ؛ لـأـنـهـ لـمـ يـذـكـرـ لـفـظـ الـمـذـكـرـ ، وـمـتـىـ لـمـ يـذـكـرـهـ جـازـ حـذـفـ الـهـاءـ ، كـوـلـهـ - صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - : « مـنـ صـامـ رـمـضـانـ وـأـتـيـعـ بـسـتـ مـنـ شـوـالـ ». شـرـحـ الـنـوـويـ عـلـى صـحـيـحـ مـسـلـمـ (١٤/٢٣٣) ، (٢٣٤/١٤) ، (٤٢٤/٢) .

(١٠٧) المسند (١٥٢/٦) (٢٥٢٩٤) ، وأـخـرـجـهـ مـسـلـمـ فـي كـتـابـ السـلـامـ ، بـابـ : مـنـعـ المـخـنـثـ مـنـ الدـخـولـ عـلـى النـسـاءـ الـأـجـانـبـ . (٤/١٧١٦) (رـقـمـ : ٢١٨١) . وـأـبـ دـاـوـدـ فـي كـتـابـ الـلـبـاسـ ، بـابـ : فـي قـولـهـ (غـيـرـ أـلـيـ الـمـرـيـةـ) . (٤/٤١١٠) ، (٦٢/٦١) (رـقـمـ : ٤١٠٧) . وـالـنـسـائـيـ فـي الـكـبـرـيـ فـي كـتـابـ عـشـرـةـ النـسـاءـ ، بـابـ : دـخـولـ المـخـنـثـ عـلـى النـسـاءـ . (٥/٣٩٥) (رـقـمـ : ٩٢٤٦) ، (٥/٩٢٤٧) . كـلـهـمـ مـنـ طـرـيقـ عـرـوـةـ بـهـ .

- [١] - ما بـيـنـ الـمـعـكـوـفـيـنـ فـيـ زـ : « يـوـمـ كـلـ » . [٢] - ما بـيـنـ الـمـعـكـوـفـيـنـ فـيـ خـ ، زـ : « قـالـ » .
 [٣] - ما بـيـنـ الـمـعـكـوـفـيـنـ فـيـ خـ ، زـ : « عـلـيـهـ » . [٤] - ما بـيـنـ الـمـعـكـوـفـيـنـ سـقطـ مـنـ خـ ، زـ .

يوماً^[١] ، وهو عند بعض نسائه ، وهو ينعت امرأة فقال : إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا أرى هذا يعلم ما هننا لا يدخلن عليكم هذا ». فحجبوه .

ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من طريق عبد الرزاق به .

وقوله : « أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء » يعني : لصغرهم لا يفهمون أحوال^[٢] النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيص ، وتعطفهن في المشية ، وحركاتهن وسكنياتهن ، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك ، فلا بأس بدخوله على النساء ، فاما إن كان مراهقاً أو قريباً منه بحيث يعرف ذلك ويدريه ويفرق بين الشوهاء والحسناه ، فلا يمكن من الدخول على النساء ، وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إياكم والدخول على النساء ». قالوا^[٣] يا رسول الله ؟ أفرأيت الحمو ؟ قال : « الحمو الموت » .

وقوله : « ولا يضرن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زيهن » كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخل صامت لا يسمع صوته ، ضربت برجلها الأرض فيعلم الرجال طبيته ، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك . وكذلك إذا كان شيء من زيهنها مستوراً فتحركت بحركة لظهور ما هو خفي دخل في هذا النهي ؛ لقوله تعالى : « ولا يضرن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زيهن » ومن ذلك أيضاً^[٤] أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها ليشتم الرجال طيبها ، فقد قال أبو عيسى الترمذى^(١٠٨) : حديثنا محمد بن بشار ، حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن ثابت بن عمارة الحنفى ، عن غنيم بن قيس ، عن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالجلس فهي كذا وكذا ». يعني : زانية ، قال : وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حسن صحيح ، ورواه أبو داود والنسائي من حديث ثابت بن عمارة به^(١٠٩) .

وقال أبو داود^(١٠) : حديثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان ، عن عاصم بن عبيد الله ،

(١٠٨) سنن الترمذى ، كتاب الأدب حديث (٢٧٨٦) . وثبتت بن عمارة : صدوق فيه لين .

(١٠٩) سنن أبي داود حديث ، كتاب الرجل (٤١٧٣) ، وسنن النسائي (١٥٣/٨) .

(١١٠) سنن أبي داود ، كتاب الرجل حديث (٤١٧٤) ، وسنن ابن ماجة حديث (٤٠٠٢) . وعاصم بن عبيد الله : ضعيف .

[١] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في خ ، ت : « لأحوال » .

[٣] - في خ ، ت : « قيل » .

عن عبيد مولى أبي رهم ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : لقيته امرأة وجد منها ريح الطيب ولذتها إعصار فقال : يا أمّة الجبار ، جئت من المسجد ؟ قالت : نعم . قال لها : وله^[١] تطيبت ؟ قالت نعم . قال : ألمي سمعت حبي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يقبل الله صلاة امرأة^[٢] تطيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتقتسل غسلها من الجنابة » ورواه ابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان هو ابن عبيدة به .

وروى الترمذى أيضاً^(١) من حديث موسى بن عبيدة عن أبوبن خالد عن ميمونة بنت سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الرافلة في الزينة في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيمة لا نور لها ». ومن ذلك أيضاً أنهن ينهين عن المشي في وسط الطريق لما فيه من التبرج .

قال أبو داود^(٢) : حدثنا الععنبي : حدثنا عبد العزيز - يعني ابن محمد - عن أبي اليمان ، عن شداد بن أبي عمرو بن حماس ، عن أبيه ، عن حمزة بن أبي أسد الأنصارى ، عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم [٣] وهو خارج من المسجد ، وقد احتاط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء : « استأخرن فإنه ليس لكن أن تخفقن الطريق ، عليكن بحافات الطريق ». فكانت المرأة تلتصق^[٤] بالجدار حتى إن ثوبها لتعلق بالجدار من لصوتها به .

وقوله : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾ أي : افعروا ما أمركم به ، من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة ، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة ، فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهاها عنه ، والله تعالى هو المستعان .

وَأَنِكِحُوهُ الْأَيْمَنَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِعٌ عَلِيهِ ﴿٢٧﴾ وَلَسْتَ عَنِّيْفٌ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَقَّ

(١) سنن الترمذى ، كتاب الرضاع حديث (١١٦٦) وقال الترمذى : « وهذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة ، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث من قبل حفظه وهو صدوق ، وقد رواه بعضهم عن موسى بن عبيدة ولم يرفعه » .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأدب حديث (٥٢٧٢) .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز : « لامرأة » .

[٣] - ما بين المعقوفين في ز : « يقول » .

يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَنْغُونَ الْكِتَابَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَلَا يَرْهُمُ إِنْ عِلِّمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَمَا شَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي مَا تَمَكَّنُمْ وَلَا يُمْكِرُهُمْ فَيَنْتَهُمْ عَلَى الْإِعْلَاءِ إِنَّ أَرْدَنَ تَحْصَنَا لِتَبْغُوا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكَرِّهُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤﴾

اشتملت هذه الآيات الكريمة المبينة على جمل من الأحكام المحكمة والأوامر المبرمة ، فقوله تعالى : ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامِي مِنْكُمُ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَانِكُمْ﴾ هذا أمر بالترويج . وقد ذهب طائفة من العلماء إلى وجوبه على كل من قدر عليه ، واحتجوا بظاهر قوله صلى الله عليه وسلم : « يا معاشر الشباب ا من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحسن للفرج ، ومن لم يستطع فعله بالصوم فإنه له وجاء ». أخرجاه [في الصحيحين^[١]] من حديث ابن مسعود^[١١] ، وقد^[٢] جاء في السنن من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تزوجوا توالدوا تناسلاوا فإنني مباهي^[٣] بكم الأمم يوم القيمة »^[٤] . وفي رواية : « حتى بالسقوط ». والأيامي جمع أيام ، ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها وللرجل الذي لا زوجة له ، وسواء كان قد تزوج ثم فارق ، أو لم يتزوج واحد منها . حكاها الجوهري عن أهل اللغة ، يقال رجل أيام وأمرأة أيام أيضاً .

وقوله تعالى : ﴿إِنْ يَكُونُوا فَقَرَاءٍ يَغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ واسعٌ عَلَيْهِمْ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : رغبهم الله في الترويج ، وأمر به الأحرار والعييد ، ووعدهم عليه الغنى فقال : ﴿إِنْ يَكُونُوا فَقَرَاءٍ يَغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدِ الْأَزْرَقِ ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ ، عَنْ سَعِيدٍ - يعنى ابن عبد العزيز - قال : بلغني أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - قال : أطِيعُوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز ما وعدكم من الغنى ، قال : ﴿إِنْ

(١١٣) صحيح البخاري ، كتاب النكاح حديث (٥٠٦٦) ، وصحيح مسلم ، كتاب النكاح (١٤٠٠) .

(١١٤) سنن أبي داود ، كتاب النكاح حديث (٢٠٥٠) ، وسنن النسائي ، كتاب النكاح (٦٥/٦) .

[١] - ما بين المukoفين سقط من : ز ، ز .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في خ ، ت : « مباهي » .

يكونوا فقراء يغفهم الله من فضله ﴿ وَعِنْ أَبْنَى مُسْعُودٍ : وَالْمُتَمْسِّوْنَ الْغَنِيْ فِي الْكَاهْ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنْ يَكُونُوا فَقَرَاءً يَغْفِلُهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [١] . رواه ابن جرير ، وذكر البغوي [عن عمر بن حزوة] [٢] .

وعن الليث ، عن محمد بن عجلان ، عن سعيد المقربي ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنَاهُ [٣] : الناکح بِرِيدِ الْعَفَافِ ، وَالْمَكَاتِبِ بِرِيدِ الْأَدَاءِ ، وَالْغَازِيُّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » . رواه الإمام أحمد والترمذى ، و السنائى و ابن ماجة [٤] [٥] .

وقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي لم يجد عليه [٦] إلا إزاره ، ولم يقدر على خاتم من حديد [٧] ، ومع هذا فروجه بتلك المرأة ، وجعل صداقها عليه أن يعلمها ما يحفظه من القرآن . والمعهود من كرم الله تعالى ولطفه أن يرزقه ما فيه كفاية لها وله ، وأما ما يورده كثير من الناس على أنه حديث : « تزوجوا فقراء يغنمكم [٨] الله » فلا أصل له ، ولم أره [٩] بإسناد قوي ولا ضعيف إلى الآن ، وفي القرآن غنية عنه ، وكذا [هذه الأحاديث التي أوردنها] [١٠] ، والله الحمد واللهم [١١] .

وقوله : ﴿ وَلَيَسْتَعْفَفُ الَّذِينَ لَا يَجْدُونَ نَكَاحًا حَتَّى يَغْنِيْهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ هذا أمر من الله تعالى لمن [١٢] لَا يجد تزويجا بالعنف [١٣] عن الحرام ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « يا معاشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحسن للفرج ، ومن لم يستطع فعله بالصوم فإنه له وجاء » .

[١٥] المستند (٢٥١/٢) ، و السن الترمذى ، كتاب فضائل الجهاد (١٦٥٥) ، و السن النسائي (٦٦/٦) ، و السن ابن ماجة ، كتاب الأحكام حديث (٢٥١٨) .

[١٦] - رواه البخارى في كتاب فضائل القرآن حديث (٥٠٣٠) ، مسلم في (١٤٢٥) .

[١] - ما بين المukoتفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المukoتفين في : خ ، ز « بنحوه » .

[٣] - في ز : « ثلث » . [٤] - في خ : « عقد » .

[٥] - في خ ، ت : « عونهن » . [٦] - سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز : « يغنمكم » . [٨] - في خ ، ت : « أراه » .

[٩] - ما بين المukoتفين في ز : « هذا الحديث الذي أوردناه » .

[١٠] - سقط من : ز . [١١] - في ز : « أَنْ » .

[١٢] - سقط من : ز .

وهذه الآية مطلقة والتي في سورة النساء أخص منها ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يُسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَا مَلِكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِيَّاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ إلى أن قال : ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعُنْتُ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرًا لَكُمْ ﴾ أي : صبركم عن تزوج [١] الإماماء خير لكم [٢] لأن الولد يجيء رقيقاً ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ قال عكرمة في قوله : ﴿ وَلَيَسْتَعْفِفُ الظَّالِمُونَ لَا يَجِدُونَ نَكَاحًا ﴾ قال : هو الرجل يرى المرأة فكأنه يشتئي ، فإن كانت له امرأة فليذهب إليها وليقض [٣] حاجته منها ، وإن لم يكن له امرأة فلينظر في ملكوت السموات والأرض [٤] حتى يغنيه الله .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَتَغَوَّلُونَ الْكِتَابَ مَا مَلِكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ هذا أمر من الله تعالى للسادة إذا طلب منهم عبادهم الكتابة أن يكتبوهم ، بشرط أن يكون للعبد حيلة وكسب يؤدي إلى سيده المال الذي شارطه على أدائه ، وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن هذا الأمر أمر إرشاد واستحباب [٥] لا أمر ثقتم وإيجاب ، بل السيد مخير إذا طلب منه عبده الكتابة إن شاء كاتبه وإن شاء لم يكتبه .

قال الشوري ، عن جابر ، عن الشعبي : إن شاء كاتبه وإن شاء لم يكتبه . وقال ابن وهب ، عن إسماعيل بن عياش ، عن رجل ، عن عطاء بن أبي رباح : إن يشاً كاتبه وإن لم يشاً لم يكتبه . وكذا قال مقاتل بن حيان والحسن البصري .

وذهب آخرون إلى أنه يجب على السيد إذا طلب منه عبده ذلك أن يجيئه إلى ما طلب أخذًا بظاهر [هذا] [٦] الأمر .

و[٧] قال البخاري [١٨] : وقال روح ، عن ابن جرير قلت لعطاء : [أوأجب علىي إذا علمت له مالاً أكاثبه؟] قال : ما أراه إلا واجباً . وقال عمرو بن دينار : قلت لعطاء [٨] : أتأثره [٩] عن أحد؟ قال : لا . ثم أخبرني أن موسى بن أنس أخبره أن سيرين سأله المكاتبة وكان كثير المال فأتأثره فانطلق إلى عمر - رضي الله عنه - فقال كاته فأتأثره فضربه بالدرة ويتلو عمر [بن الخطاب] [١٠] - رضي الله عنه - ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ

. (١٨) صحيح البخاري (١٨٤/٥) «فتح» .

[٢] - سقط من : ز .

[١] - في ز : « تزويج » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « فليقض » .

[٦] - سقط من خ ، ت .

[٥] - في خ : « واستجلاب » .

[٨] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٧] - سقط من : ز .

[١٠] - سقط من : ت .

[٩] - في ز : « أتأثر » .

خيراً فكتابه . هكذا ذكره البخاري تعليقاً .

ورواه عبد الرزاق^(١١٩) : أخبرنا ابن جرير قال : قلت لعطا : أواجب علي إذا علمت له مالاً أن أكتابه ؟ قال : ما أراه إلا واجباً . [وقالها عمرو^[١] [بن دينار ، قال : قلت لعطا : أناثره عن أحد ؟ قال : لا^[٢] .

وقال ابن جرير^[٣]^(١٢٠) : حديثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن بكر ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك أن سيرين أراد أن يكتبه فتكلماً عليه ، فقال له عمر : لكتابته .
إسناد صحيح .

وقال^[٤] سعيد بن منصور ، حدثنا هشيم بن جوير ، عن الضحاك قال : هي عزمة ، وهذا هو القول القديم من قول الشافعي - رحمة الله - وذهب في الجديد إلى أنه لا يجب لقوله - عليه الصلاة والسلام - : « لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب من نفسه »^(١٢١) .

وقال ابن وهب ، قال مالك : الأمر عندنا أنه^[٥] ليس على سيد العبد أن يكتبه إذا سأله ذلك ، ولم أسمع أحداً من الأئمة أكره أحداً على أن يكتب عبده . قال مالك : وإنما ذلك أمر من الله وإذن منه للناس وليس بواجب .

وكذا قال الثوري ، وأبو حنيفة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم ، واختار ابن جرير قول الوجوب لظاهر الآية .

وقوله : « إن علمتم فيهم خيراً » قال بعضهم : أمانة وقال بعضهم : صدقاً ، [وقال بعضهم : مالا^[٦] . وقال بعضهم : حيلة وكتباً .

وروى أبو داود في كتاب المراسيل ، عن يحيى بن أبي كثیر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فكتابوهم إن علمتم فيهم خيراً » قال : « إن علمتم فيهم حرفة ولا ترسلوهم كلاماً^[٧] على الناس » .

(١١٩) ورواه الطبری في تفسیره (٩٨/١٨) من طریق عبد الرزاق به .

(١٢٠) تفسیر الطبری (٩٨/١٨) .

(١٢١) رواه أحمد في مسنده (٧٢/٥) من حديث عم أبي حرة الرقاشي ، وفي (٤٢٥/٥) من حديث أبي حميد الساعدي ، وفي (٤٢٣/٣) من حديث عمرو بن يثرب .

[١] - في ز : « وقال عمر » .

[٢] - ما بين المukoفين سقط من : خ .

[٣] - في ز : « جرير » .

[٤] - في ت : « وروى » .

[٥] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٦] - في ز : « كلاماً » .

وقوله : ﴿ وَأَتُوهُم مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي أَتَاكُمْ ﴾ اختلاف المفسرون فيه فقال قائلون : معناه اطروحوا لهم من الكتابة بعضها ثم قال بعضهم : مقدار الربع ، وقيل : الثالث ، وقيل : النصف ، وقيل : جزءاً^[١] من الكتابة من غير حد ، وقال آخرون : بل المراد من قوله : ﴿ وَأَتُوهُم مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي أَتَاكُمْ ﴾ هو التصييب الذي فرض الله لهم من أموال الزر��ات ، وهذا قول الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأبيه ، ومقاتل بن حيان ، واختاره ابن جرير .

وقال إبراهيم النخعي في قوله ﴿ وَأَتُوهُم مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي أَتَاكُمْ ﴾ قال : حد الناس على^[٢] مولاه وغيره ، وكذلك^[٣] قال بريدة بن الحصيب الإسلامي وقتادة .

وقال ابن عباس : أمر الله المؤمنين أن يعيدوا في الرقاب ، وقد تقدم في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاثة حق على الله عونهم » فذكر منهم « المكاتب يريد الأداء » والقول الأول أشهر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا وكيع ، عن ابن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن عمر أنه كاتب [عبيداً له]^[٤] يكنى أباً أمية ، فجاء بنجمه حين حل فقال : يا أبا أمية ، اذهب فاستعن به في مكاتبتك ، فقال^[٥] : يا أمير المؤمنين ، لو تركته حتى يكون من آخر نجم ؟ قال : أخاف أن لا أدرك ذلك ثم قرأ ﴿ فَكَاتَبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خِيرًا وَأَتُوهُم مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي أَتَاكُمْ ﴾ قال عكرمة : فكان^[٦] أول نجم أدى في الإسلام .

وقال ابن جرير^(١) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا هارون بن المغيرة ، عن عنبسة ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير قال : كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبته لم يضع عنه شيئاً من أول نجومه مخافة أن يعجز فترجع^[٧] إليه صدقته ، ولكنه إذا كان في آخر مكاتبته وضع عنه ما أحب .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وَأَتُوهُم مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي أَتَاكُمْ ﴾ قال : يعني^[٨] ضعوا^[٩] [٩] عنهم مكاتبتهم . وكذلك^[١٠] قال مجاهد وعطاء والقاسم بن أبي برة

 (١٢٢) تفسير الطبراني (١٠١/١٨).

[١٢] - في ت : « عليه » .

[١] - في خ ، ت : « جزء » .

[٤] - ما بين المعقوفين في ز : « عبد البر » .

[٢] - في ز : « وكذلك » .

[٦] - في ز : « قال » .

[٥] - في ز : « قال » .

[٨] - سقط من : ت .

[٧] - في ز : « فرجع » .

[١٠] - في خ ، ت : « كذا » .

[٩] - ما بين المعقوفين في ز : « من » .

وعبد الكريم بن مالك الجوزي والستي .

وقال محمد بن سيرين في قوله : ﴿ وَأَتُوهُم مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي أَتَاكُمْ ﴾ : كان يعجبهم أن يدع الرجل لمكتبه طائفة من مكاتبه .

وقال ابن أبي حاتم ^(١٢٣) : أخبرنا الفضل بن شاذان المقربي، أخبرنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، عن ابن جريج، أخبرني عطاء بن السائب أن عبد الله بن جندب أخبره عن علي - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ربع الكتابة » وهذا حديث غريب ورفعه منكر، والأشبه أنه موقوف على علي - رضي الله عنه - كما رواه عنه ^[١] أبو عبد الرحمن السلمي رحمة الله ^(١٢٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكْرِهُوْ فِيَاتِكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرْدَنَ تَخْصِّنَ لَتَبْغُوْ عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ الآية ، كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم أمة أرسلها تزني وجعل عليها ضرية يأخذها منها كل وقت ، فلما جاء الإسلام نهى الله المسلمين ^[٢] عن ذلك .

وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة - فيما ذكره غير واحد من المفسرين من السلف والخلف - في شأن عبد الله بن أبي ابن سلول ؛ فإنه كان له إماء فكان يكرههن على البغاء طليباً لخراجهن ورغبة في أولادهن ورياسته منه فيما يزعم .

(ذكر الآثار الواردة في ذلك)

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الحالق البزار ^(١٢٥) - رحمة الله - في مسنده : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ دَاؤِدَ الْوَاسْطِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ الْلَّخْمِيُّ - يعنى محمد بن الحاجاج - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الزَّهْرِيِّ قَالَ : كَانَتْ جَارِيَةً لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ابْنِ سَلْوَلَ يُقَالُ لَهَا : مَعَاذَهُ ، يَكْرَهُهَا عَلَى الرِّزْنَةِ فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ نَزَّلَتْ : ﴿ وَلَا تَكْرِهُوْ فِيَاتِكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمْ الْغُفْرَانَ رَحِيمٌ ﴾ .

(١٢٣) ورواه عبد الرزاق في المصنف حديث (١٥٥٨٩) من طريق ابن جريج به . وقال : « قال ابن جريج : وأخبرني غير واحد عن عطاء بن السائب أنه كان يحدث بهذا الحديث ، لا يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم » .

(١٢٤) ورواه عبد الرزاق في مصنفه حديث (١٥٥٩٠) من طريق عمر ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، به .

(١٢٥) « كشف الأستار » حديث (٢٢٤٠) ، وقال الهيثمي في المجمع (٨٣/٧) : « فيه محمد ابن الحاجاج اللخمي وهو كذاب » .

[٢] - في ت : « المؤمنين » .

[١] - سقط من : ز .

وقال الأعمش^(١٢٦) : عن أبي سفيان ، عن جابر في هذه الآية : ﴿لَا تکرھوا فیتاتکم علی البغاء﴾ قال : نزلت في أمة عبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها : مسيكة ، كان يكرهها على الفجور وكانت لا بأس بها فنأى ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿لَا تکرھوا فیتاتکم علی البغاء﴾ إلى قوله : ﴿وَمَن يکرھن فَلَنَّ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وروى النسائي من حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر نحوه^(١٢٧) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلَيْ، حَدَّثَنَا الأعمش حدثني أبو سفيان عن جابر قال : كان عبد الله بن أبي ابن سلول جارية يقال لها : مسيكة ، وكان يكرهها على البغاء فأنزل الله : ﴿لَا تکرھوا فیتاتکم علی البغاء﴾ إلى قوله : ﴿وَمَن يکرھن فَلَنَّ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

صرح الأعمش بالسماع من أبي سفيان طلحة بن نافع ، فدل على بطلان قول من قال : لم يسمع منه إنما هو صحيحة . حكاہ البزار .

و[١] قال أبو داود الطيالسي^(١٢٨) : عن سليمان بن معاذ ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن جارية لعبد الله بن أبي كاتن تزني في الجاهلية فولدت أولاداً من الزنا فقال لها : مالك لا تزنين ؟ قالت : والله لا أزني ؛ فضربها ؛ فأنزل الله عز وجل : ﴿لَا تکرھوا فیتاتکم علی البغاء إن أردن تحصنا﴾ .

وقال عبد الرزاق^(١٢٩) : أخبرنا معمر ، عن الزهرى : أن رجلاً من قريش أسر يوم بدر وكان عند^[٢] عبد الله بن أبي أسيرا ، وكانت لعبد الله بن أبي جارية يقال لها : معادة ، وكان القرشي الأسير يريدها على نفسها ، وكانت مسلمة ، وكانت تتنزع منه لإسلامها ، وكان عبد الله بن أبي يكرهها على ذلك ، ويضربها رجاءً أن تحمل [من القرشي]^[٣] فيطلب فداء ولده . فقال تبارك وتعالى : ﴿لَا تکرھوا فیتاتکم علی البغاء إن أردن تحصنا﴾ .

وقال السدي : أنزلت هذه الآية الكريمة في عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين ،

(١٢٦) رواه الطبرى في تفسيره (١٠٣/١٨) من طريق الأعمش به .

(١٢٧) النسائي في السنن الكبرى حديث (١١٣٦٥) من طرق عن ابن جريج عن أبي الزبير به .

(١٢٨) ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/٢٨٤) من طريق أبي داود الطيالسي ، به .

(١٢٩) تفسير عبد الرزاق (٥٠/٢) .

[١] - سقط من خ ، ت .

[٢] - ما بين المukoتفين في ز : « للقرشي » .

[٣] - ما بين المukoتفين في ز : « للقرشي » .

وكانَتْ لَهُ جَارِيَةً تَدْعُى معاذَةً، وَكَانَ إِذَا نَزَلَ بِهِ ضَيْفُ أَرْسَلَهَا إِلَيْهِ لِيُوَاقِعُهَا إِرَادَةُ التَّوَابِ مِنْهُ وَالْكَرَامَةُ لَهُ، فَأَقْبَلَتِ الْجَارِيَةُ إِلَى أُبَيِّ بْكَرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَشَكَتْ إِلَيْهِ ذَلِكَ، فَذَكَرَهُ أُبَيُّ بْكَرٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمْرَهُ بِقِبْضِهَا، فَصَاحَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيِّ : مَنْ يَعْذِنُنِي مِنْ مُحَمَّدٍ ؟ يَغْلِبُنَا عَلَى مُلْوَكَتِنَا ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ هَذَا .

وَقَالَ مُقاَطِلُ بْنُ حَيَّانَ : بَلَغْنَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَّلَتْ فِي رَجُلَيْنِ كَانَا يَكْرَهَانِ أُمَّتِنَا لَهُمَا ، إِحْدَاهُمَا اسْمُهَا مَسِيقَةٌ وَكَانَتْ لِلْأَنْصَارِ ، وَكَانَتْ أُمِّيَّةٌ أُمِّ مَسِيقَةٍ لَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيِّ ، وَكَانَتْ مَعَاذَةً وَأَرْوَى بِتْلُكَ الْمَنْزَلَةِ فَأَتَتْ مَسِيقَةٌ وَأُمِّهَا النَّبِيُّ [١] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتَا ذَلِكَ لَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ : ﴿ لَا تَكْرُهُوا فِيَاتِكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ ﴾ يَعْنِي : الزَّنَا ، وَقَوْلُهُ : ﴿ إِنَّ أَرْدَنَ تَحْصَنًا ﴾ هَذَا خَرْجٌ مُخْرِجٌ لِلْفَالِبِ فَلَا مَفْهُومٌ لَهُ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ لَتَتَغْفِلُوا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ أَيْ : مَنْ خَرَاجَهُنَّ [٢] وَمَهْوَرُهُنَّ وَأَوْلَادُهُنَّ وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ كَسْبِ الْحِجَامَ [٣] وَمَهْرِ الْبَغَى وَحَلْوَانِ الْكَاهِنِ [٤] .

وَفِي رَوَايَةٍ : « مَهْرُ الْبَغَى خَبِيثٌ وَكَسْبُ الْحِجَامَ [٣] خَبِيثٌ ، وَثَمَنُ الْكَلْبِ خَبِيثٌ » [٥] .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَمَنْ يَكْرَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٦] أَيْ : لَهُنَّ . كَمَا تَقْدِمُ فِي الْحَدِيثِ عَنْ جَابِرِ .

وَقَالَ أَبُو أَبْيَاضُ عَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ : إِنَّ فَعْلَتْمِ فَإِنَّ اللَّهَ لَهُنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [٧] وَلَائِمَهُنَّ عَلَى أَكْرَاهِهِنَّ ، وَكَذَا قَالَ مجَاهِدٌ وَعَطَاءُ الْخَرَاسَانِيُّ وَالْأَعْمَشُ وَقَاتِدَةُ .

وَقَالَ أَبُو عَبِيدَ : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الْأَرْقَقُ ، عَنْ عَوْفٍ ، عَنِ الْحَسْنِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قَالَ : لَهُنَّ اللَّهُ ، لَهُنَّ اللَّهُ .

(١٣٠) رواه البخاري في البيوع حديث (٢٢٣٧) ، ومسلم في المساقاة حديث (١٥٦٧) من حديث أبى مسعود الأنصارى رضي الله عنه : « أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ وَمَهْرِ الْبَغَى وَحَلْوَانِ الْكَاهِنِ » ، وأما كسب الْحِجَامَ ، فروى ابن ماجة في السنن حديث (٢١٦٥) من حديث عقبة بن عمرو : « نَهَى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ كَسْبِ الْحِجَامَ » .

(١٣١) رواه أحمد في مستنه (٤٦٤/٣) من حديث رافع بن خديج ، رضي الله عنه .

[١] - فِي خ ، ت : « لِلنَّبِيِّ » .

[٢] - فِي ز : « خَرَاجَهُنَّ » .

[٣] - مَا يَنْعَلَقُ مِنْ سَقْطِهِ : خ ، ز .

[٤]

وعن الزهري قال : غفور لهن ما أكرههن عليه . وعن زيد بن أسلم قال : غفور رحيم للمركريات . حكاهن ابن المنذر في تفسيره بأسانيده .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أَبُو زَرْعَةَ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، حَدَّثَنِي أَبْنُ لَهِيْعَةَ ، حدثني عطاء عن سعيد بن جبير قال : في قراءة عبد الله بن مسعود : (إِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لَهُنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنَّهُنَّ عَلَىٰ مِنْ أَكْرَاهِهِنَّ) .

وفي الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروا عليه »^[١] .

ولما فصل تبارك وتعالى هذه الأحكام وبينها قال : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ﴾ يعني : القرآن في آيات واضحاً مفسرات ﴿ وَمِثْلًا مِنَ الَّذِينَ خَلُوا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ أي : خبراً عن الأمم الماضية وما حل بهم في مخالفتهم [١] أَوْامِرُ اللَّهِ تَعَالَى ، كما قال تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمِثْلًا لِلآخَرِينَ وَمِوْعِظَةً ﴾ أي : زاجراً عن ارتكاب المأثم والمحارم ﴿ وَمِوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي : لمن اتقى الله وخافه . قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صفة القرآن : فيه حكم ما بينكم ، وخبر ما قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابغى الهدى في [٢] غيره أضلله الله .

﴿ أَللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثُلُّ نُورِهِ كَمَشْكُوفٍ فِيهَا مِضَبَّاثُ الْمِضَبَّاثِ فِي زِيَاجَةِ الْزِيَاجَةِ كَمَنَّا كَوْكِبُ دُرِّي ۝ يُوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةِ مُبَرَّكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقَةَ وَلَا غَرْبَةَ يَكَادُ زَيْنَهَا يُضِيءُ ۝ وَلَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۝ وَاللَّهُ يُكْلِلُ شَيْءًا عَلَيْهِ ۝ ۲۵ ﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يقول : هادي أهل السموات والأرض .

قال [٣] ابن جريج : قال مجاهد وابن عباس في قوله : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ

(١) رواه ابن ماجة في السنن حديث (٤٣٠) وقد سبق الكلام عليه في سورة الأعراف .

[١] - ما بين المعقوفتين في ز : « في » . [٢] - في خ ، ت : « من » .

[٣] - سقط من خ ، ت .

والأرض ﴿ : يدبر الأمر فيهما نجومهما وشمسهما وقمرهما .

وقال ابن جرير : حَدَّثَنَا سليمان بن عمر بن خالد الرقي، حَدَّثَنَا وهب بن راشد، عن فرقد، عن أنس بن مالك قال : إِنَّ اللَّهَ^[١] يَقُولُ : نُورٌ هُدَىٰ^[٢] .

واختار هذا القول ابن جرير - رحمه الله - ، وقال أبو جعفر الرازبي ، عن الريبع بن أنس عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب في قول الله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ^[٣] قَالَ هُوَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي^[٤] جَعَلَ اللَّهُ^[٥] الإِيمَانَ وَالْقُرْآنَ فِي صَدْرِهِ، فَضَرَبَ اللَّهُ مِثْلَهُ فَقَالَ : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ^[٦] فَبِنُورِ نَفْسِهِ ثُمَّ ذَكَرَ نُورَ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ : مِثْلُ نُورِ مَنْ آمَنَ بِهِ ، قَالَ : فَكَانَ أَبِي بن كعب يَقُولُ^[٧] هُوَ الَّذِي جَعَلَ الْإِيمَانَ وَالْقُرْآنَ فِي صَدْرِهِ .

وهكذا قال سعيد بن جبير وفيض بن سعد ، عن ابن عباس أنه قرأها كذلك : (مثلك^[٨] نور من آمن بالله) وقرأ بعضهم : (الله نور السموات والأرض) .

وعن الضحاك : (الله نور السموات والأرض) . وقال السدي في قوله : ﴿ اللَّهُ نُورٌ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ^[٩] فَبِنُورِهِ أَضَاءَتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيرَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ فِي دُعَائِهِ يَوْمَ آذَاهُ أَهْلَ الطَّائِفِ « أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقْتَ لَهُ الظُّلُماتِ ، وَصَلَحْتَ عَلَيْهِ أُمُرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، أَنْ يَحْلُّ بِي غُضْبُكَ أَوْ يَنْزِلُ بِي سُخْطَكَ^[١٠] ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تُرْضِيَ لَوْلَا حُولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ^[١١] » .

وفي الصحيحين^[١٢] عن ابن عباس : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيلِ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ ، أَنْتَ قَيْمَ^[١٣] السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ [١٤] وَلَكَ الْحَمْدُ^[١٥] أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ » . الْحَدِيثُ .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أَنَّهُ^[١٦] قال : إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ عِنْدَهُ لَيلٌ وَلَا نَهَارٌ ، نُورٌ

(١٣٣) السيرة النبوية (٤٢٠/١).

(١٣٤) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ح (١١٢٠) ، صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ح (٧٦٩) .

[١] - في ز : « إلاهي » .

[٢] - سقط من خ ، ت .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « سخط » .

[٥] - ما بين المعقوفين سقط من : ت .

[٦] - في ز : « قيم » .

[٧] - سقط من : ت .

[٨] - في ز : « هدى » .

[٩] - سقط من : ت .

العرش من نور وجهه .

وقوله : ﴿ مِثْلُ نُورٍ ﴾ في هذا الضمير قوله ؛ (أَحَدُهُمَا) أَنَّهُ عَائِدٌ إِلَى اللَّهِ - عز وجل - أَيْ : مِثْلُ هَذَا فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ قَالَهُ [١] ابْنُ عَبَّاسَ - كَمْشَكَةً .

(والثاني) أَنَّ الضمير عَائِدٌ إِلَى الْمُؤْمِنِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ سِياقُ الْكَلَامِ ، تَقْدِيرُهُ : مِثْلُ نُورِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ كَمْشَكَةً ، فَشَبَهَ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ وَمَا هُوَ مُفْطُرٌ عَلَيْهِ مِنَ الْهَدَىٰ وَمَا يَتَلَقَّاهُ مِنَ الْقُرْآنِ الْمُطَابِقُ لِمَا هُوَ مُفْطُرٌ عَلَيْهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَفَمِنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَتَلَوَّهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ فَشَبَهَ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ فِي صَفَائِهِ فِي نَفْسِهِ بِالْقَنْدِيلِ مِنَ الرِّجَاجِ الشَّفَافِ الْجَوَهِرِيِّ وَمَا يَسْتَهِدِيهِ [٢] مِنَ الْقُرْآنِ وَالشَّرِعِ بِالزَّرِيزِ الْجَيْدِ الصَّافِيِّ الْمُشْرَقِ الْمُعْتَدِلِ الَّذِي لَا كَدْرٌ فِيهِ وَلَا اتْحَرَافٌ .

فَقَوْلُهُ [٣] : ﴿ كَمْشَكَةً ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسَ وَمُجَاهِدٌ وَمُحَمَّدٌ بْنُ كَعْبٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ : هُوَ مَوْضِعُ الْفَتِيْلَةِ مِنَ الْقَنْدِيلِ . هَذَا هُوَ الْمَشْهُورٌ؛ وَلَهُذَا قَالَ بَعْدَهُ : ﴿ فِيهَا مَصْبَاحٌ ﴾ وَهُوَ الْذِبَالَةُ [٤] الَّتِي تَضَيِّعُ .

وَقَالَ الْعُوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي [٥] قَوْلِهِ : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمْشَكَةٌ فِيهَا مَصْبَاحٌ ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا لَمَّا حَمَدَ اللَّهَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَيْفَ يَخْلُصُ نُورُ اللَّهِ مِنْ دُونِ السَّمَاوَاتِ؟ فَضَرَبَ اللَّهُ [٦] لِنُورِهِ فَقَالَ : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمْشَكَةً ﴾ وَالْمَشْكَةُ كُوَّةٌ فِي الْبَيْتِ، قَالَ : وَهُوَ مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهِ لِطَاعَتِهِ، فَسُمِّيَ اللَّهُ طَاعَتِهِ نُورًا، ثُمَّ سُمِّاهَا أَنْوَاعًا شَتَّى .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي نُجَيْحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ : الْكُوَّةُ بِلْغَةِ الْجَبَشِيَّةِ، وَزَادَ غَيْرُهُ فَقَالَ : الْمَشْكَةُ الْكُوَّةُ الَّتِي لَا مَنْذُلٌ لَّهَا . وَعَنْ مُجَاهِدٍ : الْمَشْكَةُ الْحَدَائِدُ الَّتِي يَعْلُقُ بِهَا الْقَنْدِيلُ .

وَالْقَوْلُ الْأُولَى : وَهُوَ أَنَّ الْمَشْكَةَ هِيَ مَوْضِعُ الْفَتِيْلَةِ مِنَ الْقَنْدِيلِ؛ وَلَهُذَا قَالَ ﴿ فِيهَا مَصْبَاحٌ ﴾ وَهُوَ النُّورُ الَّذِي فِي الْذِبَالَةِ [٧] .

قَالَ أَبِي بْنِ كَعْبٍ : الْمَصْبَاحُ النُّورُ وَهُوَ الْقُرْآنُ وَالإِيمَانُ الَّذِي فِي صَدْرِهِ .

وَقَالَ السَّدِيْدِيُّ : هُوَ السَّرَّاجُ .

[١] - فِي خَ ، تَ : « قَالَ » .

[٢] - فِي زَ ، تَ : « بَقَوْلُهُ » .

[٣] - سَقْطٌ مِّنْ تَ .

[٤] - فِي خَ ، تَ : « الْرِّبَالَةُ » .

[٥] - فِي زَ ، تَ : « مِثْلُ ذَلِكُ » .

﴿المصباح في زجاجة﴾ أي : هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية . وقال أبي بن كعب وغير واحد : وهي نظير قلب المؤمن .

﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ قرأ بعضهم بضم الدال [بغير همز^[١] من الدر ، أي : كأنها كوكب من در . وقرأ آخرون دريّة وذرّيّة ، بكسر الدال وضمها مع الهمزة^[٢] من الدرء وهو الدفع ، وذلك أن النجم إذا رمي به يكون أشد استنارة منسائر الأحوال ، والعرب تسمى ما لا يعرف من الكواكب دراري .

قال أبي بن كعب : كوكب مضيء . وقال قتادة : مضيء مبين ضخم ﴿يُوقد من شجرة مباركة﴾ أي : يستمد من زيت زيتون شجرة مباركة ﴿زيتونة﴾ بدل أو عطف بيان ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ أي : ليست في شرقية بقعتها فلا تصل إليها الشمس من أول النهار ، ولا في [غريبها ، فيقلص]^[٣] عنها الفيء قبل الغروب ، بل هي في مكان وسط تفرعه الشمس من أول النهار إلى آخره ، فيجيء زيتها صافية معتدلاً مشرقاً .

وقال^[٤] ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ ، أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ أَبِي قَيْسٍ ، عَنْ سَمَّاْكَ بْنِ حَرْبٍ ، عَنْ عَكْرَمَةَ ، عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ قَالَ : هِيَ^[٥] شَجَرَةٌ بِالصَّحْرَاءِ لَا يَظْلِمُهَا شَجَرٌ وَلَا جَبَلٌ وَلَا كَهْفٌ وَلَا يَوْارِيهَا شَيْءٌ ، وَهِيَ^[٦] أَجْوَدُ لِرِيْتَهَا .

وقال يحيى بن سعيد القطان ، عن عمران بن حذير ، عن عكرمة في قوله : ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ قَالَ : هِيَ بِصَحَرَاءِ^[٧] ذَلِكَ أَصْفَى لِرِيْتَهَا .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمَ ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ فَرُوخَ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ الزَّيْرِ عَنْ عَكْرَمَةَ وَسَأْلَهُ^[٨] رَجُلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ قَالَ : تَلَكَ زَيْتُونَةَ^[٩] بِأَرْضِ فَلَلَةِ إِذَا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ أَشْرَقَتْ عَلَيْهَا ، وَإِذَا^[١٠] غَرَبَتِ غَرَبَتْ عَلَيْهَا فَذَاكَ^[١١] أَصْفَى مَا يَكُونُ مِنَ الْرِّيْتِ .

[١] - ما بين المعروفين في خ ، ت : « من غير همزة » .

[٢] - في خ ، ت : « الهمزة » .

[٣] - ما بين المعروفين في ز : « غربها فيقلص ». [٤] - في ز : « قال » .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - سقط من خ ، ت .

[٧] - في ز : « سأله » .

[٨] - سقط من : خ ، ز .

[٩] - في خ ، ت : « فإذا » .

[١١] - في خ ، ت : « فذلك » .

[١٠] - في خ ، ت : « فإذا » .

وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴾ قال : ليست بشرقية لا تصيبها الشمس إذا طلعت [١] ولا غربية لا تصيبها الشمس [٢] إذا غربت [٣] ولكنها شرقية وغربية تصيبها إذا طلعت وإذا غربت [٤] .

وقال سعيد بن جبير في قوله : ﴿ زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ﴾ قال : هو أجود الزيت . قال : إذا طلعت الشمس أصابتها من صوب المشرق ، فإذا أخذت في الغروب أصابتها الشمس ، فالشمس تصيبها بالغدأة والعشي ، فذلك لا تعد شرقية ولا غربية .

وقال السدي قوله : ﴿ زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴾ يقول : ليست بشرقية يحوزها المشرق ولا غربية يحوزها المغرب دون المشرق ، ولكنها على رأس جبل أو في صحراء تصيبها الشمس النهار كله .

وقيل : المراد بقوله تعالى : ﴿ زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴾ أنها في وسط الشجر و [٤] ليست بادية للمشرق ولا للمغرب .

و [٥] قال أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، في قول الله تعالى : ﴿ زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴾ قال : هي [٦] خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس على أي حال كانت ، لا إذا طلعت ولا إذا غربت . قال : فكذلك هذا المؤمن قد أجير من أن يصله [٧] شيء من الفتنة وقد ابتلى [٨] بها فينبئه الله فيها ، فهو بين أربع خلال ؛ إن قال صدق ، وإن حكم عدل ، وإن ابتلي صبر ، وإن أعطي شكر ، فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الأموات .

قال [٩] ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا مسدد قال : حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد [١٠] بن جبير في قوله : ﴿ زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴾ قال : هي وسط الشجر لا تصيبها الشمس شرقاً ولا غرباً .

وقال عطية العوفي : ﴿ لا شرقية ولا غربية ﴾ قال : هي شجرة في موضع من الشجر يرى ظل ثمرها في ورقها وهذه من الشجر لا تطلع عليها الشمس ولا تغرب .

[١] - في ز : « غربت » .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز : « إذا طلعت و » .

[٣] - سقط من خ ، ت .

[٤] - سقط من خ ، ت .

[٥] - في خ ، ت : « يصبه » .

[٦] - في خ ، ت : « ابتلي » .

[٧] - في ز : « وقال » .

[٨] - في خ ، ز : « عبد » .

[٩] - في ز : « عبد » .

[١٠] - في خ ، ز : « عبد » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عمار ، حدثنا عبد الرحمن الدشتكي ، حدثنا عمرو ابن أبي قيس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى : ﴿ لَا شرقيَّةٌ وَلَا غربِيَّةٌ ﴾ ليست شرقية ليس فيها غرب ، ولا غربية ليس فيها شرق ولكنها شرقية غربية .

وقال محمد بن كعب القرظي : ﴿ لَا شرقيَّةٌ وَلَا غربِيَّةٌ ﴾ قال : هي القبلية .

وقال زيد بن أسلم : ﴿ لَا شرقيَّةٌ وَلَا غربِيَّةٌ ﴾ قال : الشام .

وقال الحسن البصري : لو كانت هذه الشجرة في الأرض وكانت شرقية أو غربية ، ولكن مثل ضربه الله لنوره .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ تُوقدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ ﴾ قال : رجل صالح ﴿ زَيْتُونَةٌ لَا شرقيَّةٌ وَلَا غربِيَّةٌ ﴾ قال : لا يهودي ولا نصراني .

وأولى هذه الأقوال القول الأول وهو : أنها في مستوى من الأرض في مكان فسيح بارز^[١] ظاهر صاح للشمس ، تقعه من أول النهار إلى آخره ؛ ليكون ذلك أصنفي لزيتها وألطاف كما قاله^[٢] غير واحد من تقدم ؛ ولهذا قال ﴿ يَكَادُ زَيْتَهَا يَضِيءُ وَلَوْلَمْ تَقْسِمْهُ نَارٌ ﴾ قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعني كضوء إشراق الزيت .

وقوله تعالى : ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ قال العوفي ، عن ابن عباس : يعني بذلك إيمان العبد وعمله .

وقال^[٣] مجاهد والسدي يعني : نور النار ونور الزيت . وقال أبي بن كعب : ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ فهو يتقلب في خمسة من التور ، فكلامه نور ، وعمله نور ، ومدخله نور ، ومخرجته نور ، ومصيره إلى التور يوم القيمة إلى الجنة .

وقال شمر بن عطية : جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار ، فقال : حدثني عن قول الله تعالى : ﴿ يَكَادُ زَيْتَهَا يَضِيءُ وَلَوْلَمْ تَقْسِمْهُ نَارٌ ﴾ قال : يكاد محمد صلى الله عليه وسلم يبين للناس وإن لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت أن^[٤] يضيء .

وقال السدي في قوله : ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ قال : نور النار ونور الزيت حين اجتمعا أضاءا ، ولا يضيء واحد بغير صاحبه [كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا فلا يكون واحد منهمما إلا بصاحب^[٥]] .

[١] - في خ ، ت : « باد » .

[٢] - في ز : « أنه » .

[٣] - ياض في ز .

[٤] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

وقوله تعالى : ﴿ يَهْدِي اللَّهُ نُورٌ مِّنْ يَشَاءُ ﴾ أي : يرشد^[١] الله إلى هدايته من اختاره ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد^[٢] :

حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا إبراهيم بن محمد الفزاربي ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني ربيعة ابن يزيد^[٣] ، عن عبد الله الديلمي^[٤] ، عن عبد الله بن عمرو ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ، ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ فمن أصحابه^[٥] من نوره يومئذ ، اهتدى ، ومن أخطأه ضل ؛ فلذلك^[٦] أقول : جف القلم على علم الله عز وجل ». .

(طريق آخر عنده) قال البزار^(٧) : حدثنا أبوبن سعيد ، عن يحيى بن أبي عمرو^[٨] الشيباني ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم نوراً من نوره ، فمن أصحابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل ». [ورواه البزار ، عن عبد الله بن عمرو من طريق آخر بلفظه وحروفه^[٩]]. .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ لما ذكر تعالى هذا مثلاً لنور هداه في قلب المؤمن ختم الآية بقوله : ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ أي : هو أعلم من يستحق الهدایة من يستحق الإضلal .

قال الإمام أحمد^(١٠) : حدثنا أبو النصر ، حدثنا أبو معاوية - يعني^[١١] شيبان - عن ليث ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البخري ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله

(١٢) المسند (٢/١٧٦).

(١٣) المسند البزار حديث (٢١٤٥) « كشف الأستار » ، ورواه أحمد في مسنده (١٩٧/٢) من طريق محمد بن مهاجر عن عروة بن رويه عن ابن الديلمي عن عبد الله بن عمرو ، به .

(١٤) المسند (١٧/٣) (١١٤٣) . وإسناده ضعف لعلتين : الأولى : الإرسال ؛ فإن أبي البخري لم يسمع من أبي سعيد ، قاله أبو داود ، عقب إخراج حديث له عن أبي سعيد - كتاب الزكاة ، باب : ما تجب فيه الزكوة ، حديث ١٥٥٩ - : « وأبو البخري لم يسمع من أبي سعيد ». ونقله عنه ابن حجر في التهذيب .

[١] - في ز : « يرسل » .

[٢] - في خ ، ز : « زيد » .

[٣] - في ز : « الديلي » .

[٤] - في خ : « أصحاب » .

[٥] - في ز : « فلذلك » .

[٦] - في ز : « عن » .

[٧] - في ز : « كثير » .

[٨] - ما بين المعرفتين سقط من : خ ، ز .

[٩] - في ز : « ثنا » .

صلى الله عليه وسلم : «القلوب أربعة : قلب أجرد^(*) فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف^(**) مربوط على غلافه ، وقلب منكوس ، وقلب مصفح^(***) ، فاما القلب الأجرد فقلب المؤمن^[١] سراجه فيه نوره . وأما القلب الأغلف فقلب الكافر ، وأما القلب المنكوس فقلب المافق^[٢] ؛ عرف ثم انكر ، وأما القلب المصفح : قلب فيه إيمان ونفاق ، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يدها الماء الطيب ، ومثل المافق فيه كمثل القرحة يدها الدم والقبح . فائي المدين غلت على الأخرى غلت عليه ». [إسناده^[٣]] جيد ولم يخرجوه .

فِي بُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيَذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا يَالْغُدُوِّ وَالآصَالِ
 ٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ تَجَنَّبَهُ وَلَا يَبْعُدُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَلَاقِمُ الْصَّلَوةِ وَلِيَنْهَا الْزَّكْوَةُ
 يَخَافُونَ يَوْمًا لَنْقَلَبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا
 وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٨)

= وأبو البختري ، اسمه سعيد بن فیروز بن أبي عمران الطائي الكوفي .

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه - في المراسيل - : لم يدرك أبا ذر ، ولا أبا سعيد . وذكره ابن حبان في الثقات وقال : سعيد بن فیروز ، وبقال : سعيد بن عمران ، وقيل غير ذلك ، وقال ابن سعد : كان كبير الحديث ، يرسل حدبه ، ويروي عن الصحابة ، ولم يسمع من كثير أحد ، فما كان من حدبه سمعاً فهو حسن ، وما كان غيره فهو ضعيف . وقال عنه في التقريب : ثقة ثبت ، فيه تشيع قليل ، كثیر الإرسال .

والعملة الثانية : هي أنه من طريق ليث وهو ابن أبي سليم ، واسم أبيه أئم ، وقيل : أئس ، وقيل غير ذلك ، وهو صدوق اختلط جداً ، ولم يتميز حدبه ، فترك ، قاله ابن حجر . وقال الذهبي : فيه ضعف يسير من سوء حفظه ، كان ذا صلاة وصيام ، وعلم كثیر ، وبعضهم احتاج به . روی له مسلم مقوتنا .

وأما عمرو بن مرة ، فهو ثقة .

والحديث أخرجه الطبراني في الصغير (١٠٩/٢ - ١١٠) وأبو نعيم في الحلية (٣٨٥/٤) . وقال أبو نعيم : وقد رواه جرير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن حذيفة مرسلاً . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٣/١) وقال : رواه أحمد والطبراني في الصغير ، وفي إسناده ليث بن أبي سليم .

(*) أجرد ؛ أي : ليس فيه غلُّ ولا غشٌّ ، فهو على أصل الفطرة ، فنور الإيمان فيه يزهر . نهاية [١/٢٥٦]

(**) أغلف ؛ أي : عليه غشاء عن سماع الحق وقبوله . نهاية [٣٧٩/٣]

(***) مُضْفَحَ: المُضْفَحَ: الذي له وجهان يلقى أهل الكفر بوجه وأهل الإيمان بوجه . وصفح كل شيء : وجهه وناحيته . نهاية [٣٤/٣]

[٢] - سقط من : ز .

[١] - بعده في خ ، ت : من .

[٣] - في ز : «إسناد» .

لما ضرب الله تعالى مثل^[١] قلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم بالمصباح في الزجاجة الصافية المتقد من زيت طيب وذلك كالقنديل ؛ ذكر محلها وهي المساجد التي هي أحب البقاء إلى الله تعالى من الأرض ؛ وهي بيوته التي يعبد فيها ويوحد ، فقال : ﴿فِي بَيْوَتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ﴾ أي : أمر الله تعالى برفعها أي : بتطهيرها من الدين واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها ، كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية الكريمة . ﴿فِي بَيْوَتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ﴾ قال : نهى الله سبحانه عن اللغو فيها .

وكذا قال عكرمة وأبو صالح والضحاك ونافع بن جبير وأبو بكر بن سليمان بن أبي حشمة^[٢] ، وسفيان بن حسين وغيرهم من علماء المفسرين .

وقال قتادة : هي هذه المساجد ، أمر الله سبحانه وتعالى بيانها [ورفعها وأمر بعمارتها]^[٣] وتطهيرها ، وقد ذكر لنا أن كعباً كان يقول : [إن في التوراة مكتوبأ^[٤]] : ألا إن بيتي في الأرض المساجد ، وإنه من توضأ فأحسن وضوءه ، ثم زارني في بيتي ، أكرمه حق على المزور كرامة الزائر . رواه عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره .

وقد وردت أحاديث كثيرة في بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطيبها وتبخيرها ، وذلك له محل مفرد يذكر فيه ، وقد كتبت في ذلك جزءاً على حدة والله الحمد والمنة . ونحن بعون الله تعالى نذكر له هنا طرفاً من ذلك إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلال .

فعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من بنى مسجداً ينتهي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة » أخرجاه الصحاحين^(١٣٨) .

وروى ابن ماجة عن عمر بن الخطاب^(١٣٩) - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من بنى مسجداً يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتاً في الجنة »

(١٣٨) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة حديث (٤٥٠) ، صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواقع الصلاة حديث (٥٣٣) .

(١٣٩) سنن ابن ماجة ، كتاب المساجد والجماعات حديث (٧٣٥) من طريق الوليد بن أبي الوليد عن عثمان ابن عبد الله عن عمر . وقال البوصيري في الروايد (١/٢٦٠) : « هذا إسناد مرسلاً ، عثمان بن عبد الله بن سراقة روى عن عمر وهو جده لأمه ، ولم يسمع منه . قاله المزي » . رواه بان حبان في صحيحه .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ ، ت : « خشمة » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ ، ت : « عماراتها ورفعها » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ ، ت : « مكتوب في التوراة » .

[وللننسائي]^(١) عن عمرو بن عبسة^(١) مثله ، والأحاديث في هذا كثيرة جداً^(٢) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : أمر^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يبناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب . رواه أحمد وأهل السنن إلا النسائي^(٤) ، وأحمد وأبي داود عن سمرة بن جندب نحوه^(٥) .

وقال البخاري^(٦) : قال عمر : ابن للناس ما يكتنهم ، وإياك أن تحرر أو تصفر فتفتن^(٧) الناس . وروى ابن ماجة^(٨) [عنه^(٩)] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ساء عمل قوم قط^(١٠) إلا زخرفوا مساجدهم » . وفي إسناده ضعف .

وروى أبو داود^(١١) ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أمرت بتشييد المساجد » . قال ابن عباس : لتزخرفتها كما زخرفت اليهود والنصارى .

وعن أنس^(١٢) - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد » . رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا الترمذى .

وعن بريدة^(١٣) : أن رجلاً أنشد في المسجد ، فقال : من دعا إلى الجمل الأحمر ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا وجدت إنما بنيت المساجد لما بنيت له » . رواه مسلم .

(١) سنن النسائي (٣١/٢) .

(٢) سنن أبي داود حدث (٤٥٥) ، وسنن الترمذى حدث (٥٩٤) ، وسنن ابن ماجه حدث (٧٥٩) .

(٣) سنن (١٧/٥) ، وسنن أبي داود حدث (٤٥٦) .

(٤) صحيح البخاري (٥٣٩/١) « فتح » .

(٥) سنن ابن ماجة حدث (٧٤١) من طريق جباره بن المغليس عن عبد الكريم بن عبد الرحمن عن عمرو ابن ميمون عن عمر بن الخطاب ، به . قال البوصيري في الرواية (١) : « هذا إسناد فيه جباره بن المغليس وقد اتهم » .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب : بناء المساجد حدث (٤٤٨) .

(٧) سنن (١٣٤/٣) ، وسنن أبي داود حدث (٤٤٩) ، سنن النسائي (٢/٢٣) ، وسنن ابن ماجه حدث (٧٣٩) .

(٨) صحيح مسلم ، كتاب المساجد وموضع الصلاة حدث (٥٦٩) .

[١] - ما بين المقوفين سقط من : خ .

[٢] - في ز : « عبسة » .

[٣] - في ت : « أمرنا » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - سقط من خ ، ت .

وعن عمرو بن شعيب^(١٤٨) ، عن أبيه ، عن جده قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن البيع والابتاع ، وعن تناشد الأشعار في المساجد . رواه أحمد وأهل السنن ، وقال الترمذى : حسن .

وعن أبي هريرة^(١٤٩) - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا : لا أربح الله تجارتكم ، وإذا رأيتم من ينشد ضالة^[١] فقولوا : لا رد الله عليك ا ». رواه الترمذى وقال : حسن غريب .

وقد روى ابن ماجة^(١٥٠) وغيره من حديث ابن عمر مرفوعاً قال : « خصال لا تبغي^[٢] في المسجد : لا يتخذ طريقة ، ولا يشهر فيه سلاح^[٣] ، ولا يبوض فيه بقوس ، ولا ينشر^[٤] فيه نبل ، ولا يمر فيه بلحام نيء ، ولا يضرب فيه حد ، ولا [يقتضي فيه من]^[٥] أحد ، ولا يتخذ سوقاً ». .

وعن واثلة بن الأسعق^(١٥١) ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه^[٦] قال : « جنبوا مساجدكم صبيانكم ، ومجانينكم ، وشراءكم وبيعكم ، وخصوماتكم ، ورفع أصواتكم ، وإقامة حدودكم ، وسل سيوفكم ، واتخذوا على أبوابها المظاهر وجمروها في الجمع ». ورواه ابن ماجة أيضاً وفي إسنادهما ضعف .

أما أنه لا يتخذ طريقة فقد كره بعض العلماء المرور فيه إلا لحاجة إذا وجد مندوحة عنه ، وفي الأثر : إن الملائكة لتعجب من الرجل يمر بالمسجد^[٧] لا يصلى فيه !

(١٤٨) المسند (٢/١٧٩) ، وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة حديث (١٠٧٩) ، وسنن الترمذى ، كتاب الصلاة حديث (٣٢٢) ، وسنن النسائي ، كتاب المساجد (٤٧/٢) ، وسنن ابن ماجة ، كتاب المساجد والجماعات حديث (٧٤٩) .

(١٤٩) سنن الترمذى ، كتاب البيوع ، باب : النهي عن البيع في المسجد حديث (١٣٢١) .
(١٥٠) سنن ابن ماجة ، كتاب المساجد والجماعات ، باب : ما يكره في المساجد حديث (٧٤٨) ، وقال البوصيري في الرواية (١/٢٦٤) : « هذا إسناد فيه زيد بن جبيرة . قال ابن عبد البر : أجمعوا على أنه ضعيف » .

(١٥١) سنن ابن ماجة ، كتاب المساجد والجماعات حديث (٧٥٠) ، وقال البوصيري في الرواية (١/٢٦٥) : « هذا إسناد ضعيف ، أبو سعيد هو محمد بن سعيد المصلوب ، قال أحمد : عمدًا كان يضع الحديث =

[١] - بعده في ت : في المسجد .

[٢] - في ز : « تبغي ». .

[٣] - في ز : « بسلاح ». .

[٤] - في ز : « ينشر ». .

[٥] - ما بين المعکوفین في ز : « يقص في ». .

[٦] - سقط من خ ، ت .

[٧] - في ز : « في المسجد ». .

وأما أنه لا يشهر فيه بسلاخ ولا ينبع فيه نيل؛ فلما يخشى من إصابة بعض الناس به لكررة المصلين فيه، ولهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا مرت أحد^[١] بسهام أن يقبض على نصالها لغلا يؤدي أحداً. كما ثبت ذلك^[٢] في الصحيح^(١٥٢)

وأما النهي عن المرور باللحام النئ فيه، فلما يخشى من تقاطر^[٣] الدم منه، كما نهيت الحائض عن المرور فيه إذا خافت التلوث.

وأما أنه لا يضرب فيه حد [أو يقتضى^[٤]] فلما يخشى من إيجاد النجاسة^[٥] فيه من المضروب أو المقطوع.

وأما أنه لا يتخذ سوقاً؛ فلما تقدم من النهي عن البيع والشراء فيه، فإنه إنمابني لذكر الله والصلة فيه^[٦] كما قال النبي^[٧] عليه الصلة والسلام لذلك الأعرابي الذي بال في طائفة المسجد: «إن المساجد لم تبن لهذا، إنما بنيت لذكر الله والصلة فيها»^(٨).

ثم أمر بسجل من ماء فاهرق على بوله. وفي الحديث الثاني: «جنعوا مساجدكم صبيانكم». وذلك لأنهم يلعبون فيه ولا يناسبهم. وقد كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إذا رأى صبياً يلعبون في المسجد ضربهم بالمحففة - وهي الدرة - وكان يعن المسجد بعد العشاء فلا يترك فيه أحداً «ومجانيكم» يعني لأجل ضعف عقولهم وسخر الناس بهم فيؤدي إلى اللعب فيها ولما يخشى من تقديرهم [[٩] المسجد ونحو ذلك «وبيعكم وشراءكم» كما تقدم.

= ثم قال: والحارث بن نبهان متفق على ضعفه . وعتبة بن يقطان: ضعيف .

. (١٥٢) رواه مسلم في البر والصلة والأدب حديث (٢٦١٥) من حديث أبي موسى الأشعري .

(١٥٣) حديث الأعرابي الذي بال في المسجد أصله عند البخاري (٢٢٠، ٦١٢٨، ٦٠١٠)، ومسلم (٢٨٤)، وأبن ماجه، كتاب الطهارة وستتها حديث (٥٢٩) وليس فيه: «أن المساجد لم تبن لهذا» وإنما هذه اللحظة وردت في حديث من ينشد الصلاة في المسجد رواه مسلم في ، في المساجد وموضع الصلاة حديث (٥٦٨) .

[١] - في ت: «رجل» . [٢] - سقط من: ز .

[٣] - في خ، ز: «تطاير» .

[٤] - ما بين المعقوفين في خ، ت: «ولا يقتضى منه» .

[٥] - في ز: «نجاسة» . [٦] - سقط من: خ، ز .

[٧] - سقط من: ز . [٨] - سقط من: خ، ز .

[٩] - ما بين المعقوفين في ز: «في» .

« وخصوصاتكم » يعني : التحاكم والحكم فيه ، ولهذا نص كثير من العلماء على أن المحاكم لا ينتصب لفصل الأقضية في المسجد بل يكون في موضع غيره ؛ لما فيه من كثرة الحكومات والتشاجر والعياط الذي لا يناسبه ؛ ولهذا قال بعده : « ورفع أصواتكم » .

وقال البخاري^(١٥٤) : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا الْجَعْدِيُّ^[١] بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ [قَالَ : حَدَّثَنِي]^[٢] يَزِيدُ بْنُ خَصِيفَةَ^[٣] ، عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدِ الْكَنْدِيِّ قَالَ : كُنْتُ فَائِتًا فِي الْمَسْجِدِ فَحَصَبْنِي رَجُلٌ ، فَنَظَرَتْ إِلَيَّ ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَابِ ؛ فَقَالَ : اذْهَبْ فَأَنْتِي بِهَذِينِ ، فَجَعَلَهُ بَهْمَانِ فَقَالَ : مَنْ أَنْتَمَا ؟ أَوْ مَنْ أَنْتَمَا ؟ قَالَا : مَنْ أَهْلُ الطَّائِفَ . قَالَ : لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلْدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا ، تَرْفَعَنَ أَصْوَاتُكُمَا^[٤] فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !!

وقال النسائي^(١٥٥) : حَدَّثَنَا سَوِيدُ بْنُ نَصْرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَبْارِكِ ، عَنْ شَعْبَةَ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ؛ قَالَ : سَمِعْ عُمَرُ صَوْتَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : أَتَدْرِي أَنَّ أَنْتَ ؟ وَهَذَا أَيْضًا صَحِيحٌ .

وقوله : « وإقامة حدودكم وسل سيوفكم » تقدما .

وقوله : « واتخذوا على أبوابها المظاهر » يعني : المراحيض التي يستعان بها على الوضوء وقضاء الحاجة . وقد كانت قريباً من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم آثار يستقون منها فيشربون ، ويتطهرون ويتوضعون وغير ذلك .

وقوله : « وجمروها في الجمع » يعني : بخوها في أيام الجمع لكثرة اجتماع الناس يومئذ .

وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلي^(١٥٦) : حَدَّثَنَا عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَمْرٍ كَانَ يَجْمُرُ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كُلُّ جُمْعَةٍ . إِسْنَادُهُ حَسَنٌ لَا يَأْسَ بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١٥٤) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب : رفع الصوت في المسجد حديث (٤٧٠) .

(١٥٥) ذكره المزي في تحفة الأشراف (٤/٨) وعزاه للنسائي في السنن الكبرى في المعاذ .

(١٥٦) مستند أبي يعلى (١٧٠/١) .

[١] - في خ ، ت : « الجعد » .

[٢] - ما بين المعقوفين في ز : « بن » .

[٣] - في ت : « حفصة » .

[٤] - في ز : « أصواتكم » .

وقد ثبت في الصحيحين^(١٥٧) : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه^[١] قال : « صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً ؛ وذلك أنه إذا^[٢] توضأ فأحسن الوضوء^[٣] ، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة ، لم يخط خطوة ، إلا رفع له بها درجة ، وحط عنه بها خطيبة ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه^[٤] ما دام في مصلاه : اللهم صل علیه ، اللهم ارحمه . ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة » .

وعند الدارقطني مرفوعاً : « لا صلاة لجأ المسجد إلا في المسجد »^(١٥٨) ، وفي السنن : « بشر المثائين إلى المساجد في الظلم بالتور تمام يوم القيمة »^(١٥٩) .

ويستحب من دخل المسجد : أن يبدأ برجله اليمنى وأن يقول - كما ثبت في صحيح البخاري ، عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه كان إذا دخل المسجد ؛ قال - : « أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَبِوْجْهِهِ الْكَرِيمِ ، وَسَلَطَانِهِ الْقَدِيمِ ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ قَالَ : [أَفَطَ ? قَالَ : نَعَمْ . قَالَ [٥] : إِذَا قَالَ ذَلِكَ ، قَالَ الشَّيْطَانُ : حَفَظْتَ مِنِي سَائِرَ الْيَوْمِ »^(١٦٠) .

(١٥٧) صحيح البخاري ، كتاب الأذان حديث (٦٤٧) ، وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (٦٤٩) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

(١٥٨) سنن الدارقطني (٤٢٠/١) من طريق سليمان بن داود اليعامي عن يحيى بن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً ، به .

وقد رواه الحاكم في المستدرك (٢٤٦/١) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٥٧/٣) من طريق سليمان بن داود ، وسليمان بن داود مجتمع على تضعيه . ومن حديث جابر ، رواه الدارقطني أيضاً في السنن (٤٢٠/١) من طريق محمد بن مسكين عن عبد الله بن بكير عن محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعاً ، به . وقال أبو الطيب في التعليق : « فيه محمد بن مسكين ، قال الذهبي : لا يعرف وخبره منكر . وقال البخاري : في إسناد حديثه نظر » .

(١٥٩) رواه أبو داود في الصلاة حديث (٥٦١) ، والترمذى في الصلاة حديث (٢٢٣) من حديث بريدة بن الحصيف ، رضي الله عنه ، وقال الترمذى : « هذا حديث غريب من هذا الوجه مرفوع ، وهو صحيح مستند وموقوف إلى أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يسند إلى النبي - صلى الله عليه وسلم » .

(١٦٠) لم أجده في صحيح البخاري ، وقد ذكره المزي في تحفة الأشراف وابن الأثير في جامع الأصول ولم يزروا إلا لأبي داود ، كتاب الصلاة حديث (٤٦٦) .

[١] - سقط من خ ، ت .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « وضوءه » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وروى مسلم بسنده عن أبي حميد - أو أبي أسميد - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك . وإذا خرج فليقل : اللهم [إني أسألك من] ^[١] فضلك » ^(١٦١) .

ورواه النسائي عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن أبي هريرة ^(١٦٢) - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل أحدكم المسجد، فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليلقى الله افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج، فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليلقى الله اعصمني من الشيطان الرجيم » .

ورواه ابن ماجة ، وابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحهما .

وقال الإمام أحمد ^(١٦٣) : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا لَيْثُ بْنُ أَبِي سَلِيمٍ، عَنْ [عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسْنٍ] ^[٢] عَنْ أَمِهِ فَاطِمَةَ بْنَتِ حَسْنٍ، عَنْ جَدِّهَا فَاطِمَةَ بْنَتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَاقْبِعْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ » وَإِذَا خَرَجَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَاقْبِعْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ » .

ورواه الترمذى وابن ماجة ، وقال الترمذى : هذا حديث حبىن ، وإن ساده ليس بمتصل ؛ لأن فاطمة بنت الحسين الصغرى لم تدرك فاطمة ^[٣] الكبرى .

فهذا الذي ذكرناه - مع ما تركناه من الأحاديث الواردة في ذلك [حال الطول] ^[٤] -

(١٦١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها حديث (٧١٣) ، وأبو داود كتاب الصلاة (٤٦٥) وسنن النسائي ، كتاب المساجد (٥٣/٢) . وابن ماجه في المساجد (٧٧٢)

(١٦٢) سنن ابن ماجة ، كتاب المساجد حديث (٧٧٣) ، وصحیح ابن خزیمه حديث (٤٥٢) ، وصحیح ابن حبان حديث (٢٠٤٨) « الإحسان » کلهم من طريق أبي بکر الخنفی عن الضحاک بن عثمان عن المقربی عن أبي هریرة ، به . وقال البوصیری في الروایات (٩٧/١) : « هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات » .

(١٦٣) المسند (٢٨٢/٦) ، وسنن الترمذى حديث (٣١٤) ، وسنن ابن ماجة حديث (٧٧١) .

[١] - ما بين المعقوفين في ت : « افتح لي أبواب ». .

[٢] - ما بين المعقوفين في خ : « عبد الرحمن بن حبىن » ، وفي ز : « عبد الله بن حبىن » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعقوفين في ز : « حال القول » .

كله داخل في قوله تعالى : ﴿ فِي بَيْتِ أَذْنَ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَيَذْكُرُ فِيهَا اسْمَهُ ﴾ [١] أي : اسم الله [١] كقوله : ﴿ يَا بْنِي آدَمَ خَذُوا زَيْتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مسْجِدٍ ﴾ وقوله : ﴿ وَأَقِيمُوا وَجْهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينَ ﴾ وقوله : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَذْكُرُ فِيهَا اسْمَهُ ﴾ قال ابن عباس يعني : يتلى فيما [٢] كتابه .

وقوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغَدوِ وَالآصَالِ ﴾ أي : في البارات والعشيات .
وآصال جمع أصيل وهو آخر النهار .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : كل تسبيح في القرآن هو الصلاة .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يعني بالغدو : صلاة العدالة ، ويعني بالآصال : صلاة العصر ، وهما أول ما افترض الله من الصلاة ؛ فأحب أن يذكرهما ، وأن يذكر بهما عباده .

وكذا قال الحسن والضحاك : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغَدوِ وَالآصَالِ ﴾ يعني : الصلاة ، ومن قرأ من القراء (يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغَدوِ وَالآصَالِ)^(*) بفتح الباء من (يُسَبِّحُ) على أنه مبني لما لم يسم فاعله ، وقف على قوله ﴿ وَالآصَالِ ﴾ وقفًا تاما ، وابتدا بقوله : ﴿ رَجُلٌ لا تلهيَّهُمْ تجَارةٌ وَلَا يَعْنِي ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ وكأنه مفسر للفاعل المحنوف كما قال الشاعر :
لِبَيْكَ يَزِيدُ ضَارِعَ لَحْصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ^[٣] مَا تُطِيعُ الطَّوَاحِ^(١٦٤)
كانه قال : من يكبه ؟ قال : هذا يكبه ، وكأنه قيل : من يسبح له فيها ؟ قال : رجال .

وأما على قراءة من قرأ ﴿ يُسَبِّحُ ﴾ بكسر الباء^(**) ، فجعله فعلًا وفاعله ﴿ رَجُلٌ ﴾ فلا يحسن الوقف إلا على الفاعل لأنه تمام الكلام ، فقوله تعالى : ﴿ رَجُلٌ ﴾ فيه إشعار بهمهم السامية ونياتهم وعزائمهم العالية ، التي بها صاروا عُتَّاراً للمساجد التي هي بيوت

(*) وهي قراءة ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر . (السبعة في القراءات ص ٤٥٦) .

(١٦٤) نسبة سيويه للحارث بن نهيك (١٤٥/١) ، ونسبة الأعلم للبيه . وقال البغدادي في الخزانة (١٥٠/١)
هذا البيت لنھشل بن حری على ما في شرح أبيات الكتاب لابن خلف .

(**) وهي قراءة ابن كثیر ونافع ، وأبي عمرو وحمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم . (السبعة ص ٤٥٦) .

[١] - ما بين المukoتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « مخبط » .

[٢] - في ز : « فيها » .

الله في أرضه ، ومواطن عبادته وشكوه وتوحيده وتزريبه ؛ كما قال تعالى : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلٌ صَدَقَ مَا عاهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ .

وأما النساء ، فصلاتهن في بيتهن أفضل لهن ؛ لما رواه أبو داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها ، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها » ^(١٦٥) .

وقال الإمام أحمد ^(١٦٦) : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ غِيلَانَ، حَدَّثَنَا رَشْدِينَ، حَدَّثَنِي عُمَرُ، عَنْ أَبِي السَّمْعَ، عَنِ السَّائِبِ مُولَى أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « خَيْرُ مَسَاجِدِ النِّسَاءِ قَعْدَ بَيْتِهِنَّ » .

وقال الإمام [١] أحمد أيضاً ^(١٦٧) : حَدَّثَنَا هَارُونَ أَخْبَرَنِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا دَاؤِدَ ابن قيس ، عن عبد الله بن سعيد الأنصاري ، عن عمته أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي : أنها جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ، إني أحب الصلاة معك ؟ قال : « قد علمت أنك تخفين الصلاة معي ، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك ، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي » . قال : فأمرت فبني لها مسجد في أقصى بيت من بيوتها وأظلمه فكان تصلى فيه حتى لقيت الله تعالى ^(٢) . لم يخرجوا هذا .

ويجوز لها شهود جماعة الرجال بشرط ^[٣] أن لا تؤذى أحداً من الرجال بظهور زينة ولا

(١٦٥) سنن أبي داود حديث (٥٨٠) ، ورواه ابن ماجه (١٩٨٣) . وفي إسناده عبد الرحمن بن حرمدة ضعفه غير واحد ، وأخرج له مسلم ، وأخرج له البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم ، وإن أخطئوا فلهم ولهم » .

(١٦٦) المسند (٢٩٧/٦) (٢٦٦٥١) صحيح - إسناده ضعيف من أجل رشدين بن سعد . إلا أنه توبع من عبد الله بن وهب كما عند البيهقي وغيره . والحديث أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٤/١٢) / رقم : ٧٠٢٥ . والطبراني في الكبير (٢١٣/٢٢) ، (٣١٤/٢١٣) / رقم : ٧٠٩ . كلامهما من طريق ابن لهيعة به . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٣/٢) وعزاه لأحمد والطبراني وأبي يعلى ، وقال : « وفيه ابن لهيعة ، وفيه كلام » . وأخرجه أيضاً الحاكم في المستدرك (١/٢٠٩) . والبيهقي في السنن (١٣١/٣) . وابن خزيمة في صحيحه (٣/٩٢) / رقم : ١٦٨٣ . كلهم من طريق عمرو بن الحارث به .

(١٦٧) المسند (٣٧١/٦) (٢٧٢٠٢) . ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٣٣، ٣٤) ، وعزاه لأحمد وقال : « ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن سعيد الأنصاري ، وثقة ابن حبان » .

[١] - سقط من : ت .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « بشرطه » .

ريح طيب ، كما ثبت في الصحيحين^(١٦٨) عن عبد الله بن عمر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تنعوا إماء الله مساجد الله ». رواه البخاري ومسلم ، وأحمد وأبي داود : « وبيوتها خير لهن »^(١٦٩) . وفي رواية : « وليخرون وهن تفلاط »^(١٧٠) . أي لا ريح لهن . وقد ثبت في صحيح مسلم^(١٧١) عن زينب امرأة [عبد الله]^[١] بن مسعود قالت : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا شهدت إحداكم المسجد فلا تمس طيباً » .

وفي الصحيحين^(١٧٢) عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : كان نساء المؤمنات^[٢] يشهدن الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يرجعن متلعنات ببروطهن ما يعرفن من الغلس .

وفي الصحيحين^(١٧٣) عنها أيضًا أنها قالت : لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن من المساجد ، كما منعت نساءبني إسرائيل .

وقوله تعالى : ﴿رَجُالٌ لَا تَلْهِيهِمْ بَخَارَةٌ وَلَا يَعْنِي عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَلْهِيهِمْ أُمُوْرُكُمْ وَلَا أُولَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّاهِرُونَ﴾ . وقال^[٣] تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجَمْعَةِ فَاسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

يقول تعالى : لا تشغلكم الدنيا وزخرفها وزينتها وملاذ يعيشها وربحها عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم ، والذين يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم ، لأن ما

= والحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٣/٩٥) رقم : ١٦٨٩ . من طريق أبي الطاهر عن أبي بكر ، عن عيسى بن إبراهيم ، عن ابن وهب به .

(١٦٨) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة حديث (٩٠٠) ، صحيح مسلم ، كتاب الصلاة حديث (٤٤٢) .

(١٦٩) المسند (٢/٧٦) ، وسنن أبي داود حديث (٥٦٧) من حديث عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهما .

(١٧٠) وهي في المسند (٢/٤٣٨) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

(١٧١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة حديث (٤٤٣) .

(١٧٢) صحيح البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، حديث (٥٧٨) ، صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (٦٤٥) .

(١٧٣) صحيح البخاري ، كتاب الأذان حديث (٨٦٩) ، صحيح مسلم ، كتاب الصلاة حديث (٤٤٥) .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ ، ز : « المؤمنين » .

[٣] - في خ ، ت : « قوله » .

عندهم ينفد وما عند الله باق ، ولهذا قال تعالى : ﴿ لَا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاة وإيتاء الزكوة ﴾ أي : يقدمون طاعته و مراده و محبتهم على مرادهم و محبتهم . قال هشيم^(١٧٤) : عن سيار قال^[١] : حديث عن ابن مسعود أنه رأى قوماً من أهل السوق حيث نودي للصلوة المكتوبة^[٢] تركوا يباعتهم^[٣] ، ونهضوا إلى الصلاة ، فقال^[٤] عبد الله [بن مسعود]^[٥] : هؤلاء من الذين ذكر الله في كتابه : ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ .

وهكذا روى عمرو بن دينار القيهرياني^(١٧٥) ، عن سالم ، عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه كان في السوق ، فأقيمت الصلاة ، فأغلقوا حواناتهم ودخلوا المسجد ؛ فقال ابن عمر : فيهم نزلت : ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكْرٍ الصَّنْعَانِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو سعيد مولى بني^[٦] هاشم ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَحْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ^[٧] قال : قال أبو الدرداء - رضي الله عنه - إني أقامت على هذا الدرج أبايع عليه أربع كل يوم ثلاثة أيام دينار ، أشهد الصلاة في كل يوم في المسجد ، أما إني لا أقول : إن ذلك ليس بحلال ، ولكنني أحب أن أكون من الذين قال الله : ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ .

وقال عمرو بن دينار الأعور : كنت مع سالم بن عبد الله ونحن نريد المسجد فمررنا بسوق المدينة وقد قاموا إلى الصلاة وخرموا متابعتهم ، فنظر سالم إلى متابعتهم ليس معها أحد فتلا سالم هذه الآية : ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ ثم قال : هم هؤلاء .

وكان روى سعيد بن أبي الحسن ، والضحاك : لا تلهيهم التجارة والبيع أن يأتوا الصلاة في وقتها .

وقال مطر الوراق : كانوا يبيعون ويشربون ولكن^[٨] كان أحدهم إذا سمع النداء وميزانه

(١٧٤) رواه الطبرى فى تفسيره (١١٣/١٨) .

(١٧٥) تفسير الطبرى (١١٣/١٨) .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ ، ت : « يباعتهم » .

[٣] - ما بين المكوفين سقط من : ز .

[٤] - في ز : « رب » .

[٥] - في خ ، ز : « لكن » .

في يده خفظه وأقبل إلى الصلاة .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ لَا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾
يقول : عن الصلاة المكتوبة . وكذا قال مقاتل بن حيان والريبع بن أنس .

وقال السدي : عن الصلاة في جماعة .

وعن مقاتل بن حيان : لَا يلهيهم ذلك عن حضور الصلاة وأن يقيمواها كما أمرهم الله ،
وأن يحافظوا على مواقيتها وما استحفظهم الله فيها .

وقوله تعالى : ﴿ يخالفون يوماً تقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ أي [١] : يوم القيمة الذي
تقلب فيه القلوب والأبصار ، أي : من شدة الفزع وعظمته الأهوال ؛ كما قال تعالى :
﴿ وأنذرهم يوم الآفة إذ القلوب لدى الخاجر كاظمين ﴾ وقال تعالى : ﴿ إنما يؤخرهم
ليوم شخص فيه الأبصار ﴾ وقال تعالى : ﴿ ويطعمون الطعام على جبه مسكوناً ويتينا
وأسيراً * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً * إنما تخاف من ربنا يوماً
عبوساً قطريباً * فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نصرة وسروراً * وجزاهم بما صبروا
جنة وحريراً ﴾ .

وقال [٢] تعالى هاهنا : ﴿ ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ﴾ أي :
هؤلاء من الذين يتقبل [عنهم أحسن ما عملوا من فضله] [٣] ويتجاوز عن سيئاتهم ، وقوله :
﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ أي : يتقبل منهم الحسن ويضاعفه لهم ؛ كما قال تعالى : ﴿ إن
الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنها أجراً عظيماً ﴾ ، وقوله
تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة [٤] فله عشر أمثالها ﴾ وقال : ﴿ من ذا الذي يفرض الله
قرضاً حسناً فتضاعف له أضعافاً كثيرة ﴾ وقال : ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ و [٥] قال
هاهنا : ﴿ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ .

وعن ابن مسعود أنه جيء بين فعرضه على جلسايه واحداً واحداً، فكلهم لم يشربه؛ لأنَّه
كان صائماً فتناوله ابن مسعود، [وكان مفترضاً فشربه] [٦] ، ثم تلا قوله : ﴿ يخالفون يوماً
تقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ . رواه النسائي [٧] وابن أبي حاتم، من حديث الأعمش،

(١٧٦) ذكره المزي في تحفة الأشراف حديث (٩٤٣٥) وعزاه للنسائي في الموعظ .

[١] - في خ ، ت : « قوله » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المكوفين في ت : « حسنتهم » .

[٤] - ما بين المكوفين في ز : « فله خير منها » . [٥] - في خ ، ت : « و » .

[٦] - ما بين المكوفين في خ ، ت : « فشربه لأنه كان مفترضاً » .

عن إبراهيم ، عن علقة عنه .

وقال أيضاً^(١٧٧) : حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا سُوِيدُ بْنُ سَعِيدٍ^[١] ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مَسْهُرٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حُوشَبٍ ، عَنْ أَسْمَاءِ بْنَتِ يَزِيدَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَرْبَلِينَ وَالآخَرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَاءَ مَنَادٌ فَنَادَى بِصَوْتٍ يَسْمَعُ الْخَلَاقَ : سَيَعْلَمُ أَهْلُ الْجَمْعِ مِنْ أُولَئِي الْكَرْمِ ; لِيَقُولَ الَّذِينَ لَا تَلَهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ . فَيَقُولُونَ وَهُمْ قَلِيلٌ ، ثُمَّ يَحَاسِبُ سَائِرَ الْخَلَاقَ » .

وروى الطبراني من حديث بقية^(١٧٨) ، عن إسماعيل بن عبد الله الكندي ، عن الأعمش ، عن أبي وايل ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله^[٢] : ﴿ لِيُوفِيهِمْ أَجُورَهُمْ وَيُزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ قال : « أَجُورُهُمْ يَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ وَيُزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ الشَّفَاعةُ لِمَنْ وَجَتْ لَهُ الشَّفَاعةُ لِمَنْ صَنَعَ لَهُمُ الْمَعْرُوفَ فِي الدُّنْيَا » .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كُثُرًا يَقِيعَةٌ يَحْسَبُهُمُ الظَّمَانُ مَاءً حَقَّ إِذَا حَاءَهُ لَهُ
يَحْمِدُهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَلَهُ حِسَابٌ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٦﴾ أَوْ
كَظُلْمَتِ فِي بَحْرٍ لَعِيَ يَغْشِي مَوْجًا مَوْجًا مَنْ فَوْقَهُ، سَحَابٌ ظُلْمَتِ
بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُلُهُ لَرِ يَكْدُلُهُ بَرَثَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَلَمْ
يَرِدْهُ شَيْئًا ﴿٧﴾

من نور

هذا مثلان ضربهما الله تعالى لنوعي الكفار ، كما ضرب للمنافقين في أول البقرة مثلياً نارياً وماياً ، وكما ضرب لما يفتر في القلوب من الهدى والعلم في سورة الرعد مثلياً مائية ونارياً ، وقد تكلمنا على كل منها في موضعه بما أغني عن إعادةه ، ولله الحمد والمنة .

فأما الأول من هذين المثلين : فهو للكفار الدعاة إلى كفرهم ، الذين يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والاعتقادات ، وليسوا في نفس الأمر على شيء ، فمثلهم^[٣] في ذلك

(١٧٧) ورواه هناد في الرهد حديث (١٧٦) من طريق أبي معاوية عن عبد الرحمن بن إسحاق ، به . وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف .

(١٧٨) المعجم الكبير للطبراني (١٠/٢٤٨) ، وتقدم قول الحافظ ابن كثير عند تفسير الآية : ١٨٣ من سورة النساء : « هَذَا إِسْنَادٌ لَا يَثْبُتُ ، وَإِذَا رُوِيَ عَنْ أَبْنَى مَسْعُودٍ مُوْقُوفًا فَهُوَ جَيْدٌ » .

[١] - في ز : « شعبة » .

[٢] - في ز : « قولهم » .

[٣] - في ز : « فَمَثَالُهُمْ » .

كالسراب الذي يرى في القيعان من الأرض عن بعد ، كأنه بحر طام ، والقيقة : جمع قاع كجار وجيرة ، والقاع أيضاً واحد القيعان كما يقال : جار وجيران وهي الأرض المستوية المنسعة المنبسطة ، وفيه يكون السراب ، وإنما يكون ذلك بعد نصف النهار ، وأما الأول فإنما يكون أول النهار يرى كأنه ماء بين السماء والأرض ، فإذا رأى السراب من هو محتج إلى الماء فحسبه^[١] ماء فقصده ليشرب منه ، فلما انتهى إليه **﴿لم يجده شيئاً﴾** فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملاً وأنه قد حصل شيئاً ؛ فإذا وافي الله يوم القيمة وحاسبه عليها ، ونونتش على أفعاله لم يجد له شيئاً بالكلية قد قبل ، إنما لعدم الإخلاص ، أو لعدم سلوك الشرع ؛ كما قال تعالى : **﴿وَقَدْمَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَباءً مُّتَشَوِّراً﴾** وقال هاهنا : **﴿وَوْجَدَ﴾** الله عنده فرفاخ حسابه والله سريع الحساب^[٢] وهكذا روي عن أبي ابن كعب وابن عباس ومجاحد وفتادة وغير واحد .

وفي الصحيحين^[٣] أنه يقال يوم القيمة لليهود : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد عزير ابن الله . فيقال : كذبتم ! ما اتخذ الله من ولد ماذا تبغون ؟ فيقولون : أى ربنا عطشنا ، فاستنا . فيقال : ألا ترون ؟ فتمثل لهم النار كأنها سراب يحطم بعضها ببعض ، فينطلفون فيها .

وهذا المثال مثال لنذوي الجهل المركب ، فأما أصحاب الجهل البسيط وهم الطماطم الأغشام المقلدون لأنمة الكفر الصنم البكم الذين لا يعقلون فمثلهم^[٤] كما قال تعالى : **﴿هُوَ أَوْ كَظُلَمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَّهُ﴾** قال قنادة : و^[٥] **﴿هُوَ الْعَيْقَ﴾** يغشاهم موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها^[٦] أي : لم يقارب روبيتها من شدة الظلام ، فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يعرف أين يذهب ولا هو يعرف حال من يقوده [ولا يدرى^[٧]] ، بل كما يقال في المثل للجاهل : أين تذهب ؟ قال : معهم . قيل : فلئن أين يذهبون ؟ قال : لا أدرى .

وقال^[٨] العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما **﴿يغشاهم موج من فوقه موج من فوقه سحاب﴾** يعني بذلك : الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر ، وهي كقوله : **﴿هُوَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غُشاوةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** ، وكقوله :

(١٧٩) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن حديث (٤٥٨١) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث

(١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه .

[١] - في خ : يحسبه .

[٢] - في خ : لحي .

[٣] - في ز : « مثلكم » .

[٤] - ما بين المحکوفین سقط من : خ ، ز .

﴿ أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هُوَاهُ وَأَضْلَلَ اللَّهَ عَلَىٰ عِلْمَ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعَهُ وَقَلْبَهُ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرَهُ غُشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

وقال أبي بن كعب في قوله تعالى: ﴿ ظَلَمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقُ بَعْضٍ ﴾ فهو يتقلب في خمسة من الظلم ، كلامه^[١] ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومحرجه ظلمة ، ومصيره يوم القيمة إلى الظلمات إلى النار .

وقال السدي والريبع بن أنس نحو ذلك أيضاً .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ أي: من لم يهدئ الله فهو هالك جاهل حائر بائر كافر ، كما قال تعالى: ﴿ مَنْ يَضْلِلُ اللَّهُ فَلَا هَادِي لَهُ ﴾ وهذا في مقابلة ما قال في مثل المؤمنين: ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لَوْرَهُ مِنْ يَشَاءُ ﴾ فسأل الله العظيم أن يجعل في^[٢] قلوبنا نوراً ، وعن أيقاننا نوراً ، وعن شمائنا نوراً ، وأن يعظم لنا نوراً .

**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَيِّحُ لَهُ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٌ كُلُّ قَدْ عِلِّمَ
صَلَانُهُ وَتَسِيِّحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ**

اللَّهُ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

يخبر تعالى أنه^[٣] [يسبح له]^[٣] من في السموات والأرض أي: من الملائكة والأنساني^[٤] والجان والحيوان حتى الحمد ، كما قال تعالى: ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبِيلُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ [وَإِنْ مَنْ شَيْءٌ إِلَّا يَسْبِحُ بِحَمْدِهِ] وَلَكُنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحُهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا^[٥] ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ وَالطَّيْرُ صَافَاتٌ ﴾ أي في حال طيرانها تسبيح ربها وتعبده بتسبيح ألهما ، وأرشدها إليه ، وهو يعلم ما هي فاعلة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ كُلُّ قَدْ عِلِّمَ صَلَاتَهُ
وَتَسِيِّحَهُ ﴾ أي: كل قد أرشده إلى طريقته ومسلكه^[٦] في عبادته الله عز وجل .

ثم أخبر أنه عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء ، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ .

[١] - في خ: « فكلامه » .

[٢] - ما بين المعقوفين في ز: « الأناسين » .

[٣] - في خ: « ملكه » .

[٤] - سقط من خ .

ثم أخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض فهو الحاكم المتصرف لا معقب لحكمه وهو الإله المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمُصِيرُ﴾ أي : يوم القيمة ، فيحكم فيه بما يشاء ﴿لِيَجزِي الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسْنَى﴾ . فهو الخالق المالك [١] له الحكم في الدنيا والآخرة [٢] ، ولهم الحمد في الأولى والآخرة .

أَنَّ رَبَّنَا إِنَّ اللَّهَ يُزَيْجِي سَحَابَاتٍ مِّنْ يَوْلِفٍ بَيْنَهُمْ فَيَجْعَلُهُمْ رَكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلْلِهِ، وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جَبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَّ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذَهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٣٤﴾ يُقْلِبُ اللَّهُ الْأَيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لِعْبَرَةً لِأُولَئِكَ الْأَبْصَرِ

يدرك تعالى أنه بقدرته يسوق السحاب أول ما ينشئها وهي ضعيفة ، وهو الإجزاء ﴿ثُمَّ يَوْلِفُ بَيْنَهُ﴾ أي : يجمعه بعد تفرقه ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رَكَاماً﴾ أي : متراكما ، يركب بعضه بعضا ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ أي : المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خَلْلِهِ﴾ أي : من خلله . وكذلك قرأها ابن عباس والضحاك .

قال عبيد بن عمير الليشي : يبعث الله المثيرة فتقمم الأرض قياما ، ثم يبعث الله الناشئة فتنتشئ السحاب ، ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف بينه ، ثم يبعث الله الواقع فتلحق السحاب . رواه ابن أبي حاتم وأبن جرير رحمهما الله .

وقوله : ﴿وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جَبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَّ﴾ قال بعض النحاة : (من) الأولى لابتداء الغاية ، والثانية للتبعيض ، والثالثة لبيان الجنس . وهذا إنما يحيى على قول «من» ذهب من المفسرين إلى أن قوله : ﴿مِنْ جَبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَّ﴾ معناه أن في السماء جبال برد ينزل الله منها [٣] البرد ، وأما من جعل الجبال هاهنا عبارة كناية [٤] عن السحاب ، فإن من الثانية عند هذا لابتداء الغاية أيضا لكنها بدل من الأولى والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ يتحمل أن يكون المراد بقوله : ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾ [٥] أي : بما ينزل من السماء من نوع المطر والبرد ، فيكون قوله : ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ رحمة بهم [٦] ﴿وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي : يؤخر عنهم

[١] - ما بين المكوفتين في ز : « له » .

[٣] - في ز : « منه » .

[٤] - سقط من : ت .

[٦] - في خ : « لهم » .

[١] - ما بين المكوفتين في ز : « له » .

[٣] - في ز : « منه » .

[٥] - ما بين المكوفتين سقط من : ز .

الغيث ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله : ﴿فَيُصِيبُهُ أَيْ : بالبرد نسمة على من يشاء لما فيه من نثر^[١] ثمارهم وإتلاف زروعهم وأشجارهم ،﴾ ويصرفة عنم يشاء ﴿أَي^[٢] : رحمة بهم .﴾

وقوله : ﴿يَكَادُ سَابِرُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ أَيْ : يَكَادُ ضوء برقه من شدته يخطف الأبصار إذا ابتعته وتراءاته^[٣] .

وقوله : ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ الْلَّيلَ وَالنَّهَارَ﴾ أَيْ : يتصرف فيما فيأخذ من طول هذا في قصر هذا حتى يعتدلا ، ثم يأخذ من هذا في طبول الذي كان قصيراً ويقصر الذي كان طويلاً ، والله هو المنصرف في ذلك بأمره وقوته وعزته وعلمه ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَعْرَةً لِأُولَئِكَ الْأَبْصَارِ﴾ أَيْ : لدليل على عظمته تعالى ؛ كما قال الله تعالى : ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخَلْفَ لَلَّيلُ وَالنَّهَارُ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ وما بعدها من الآيات الكريمات .

وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فِيهِمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْهِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

يدرك تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه أنواع المخلوقات^[٤] على اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها من ماء واحد ﴿فِيهِمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ كالحية وما شاكلها ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْهِ﴾ كالإنسان والطير ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾ كالأنعام وسائر الحيوانات ؛ ولهذا قال : ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ أَيْ بقدرته لأنها ما شاء كان وما لم يشاً لم يكن ، ولهذا قال : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

لَقَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ تِبْيَانَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ

يقرر تعالى أنه أنزل في هذا القرآن من الحكم [٥] والأمثال البينة المحكمة كثيراً جداً ، وأنه يرشد إلى تفهمها وتعلماها أولى الأباب والبصائر والنهاي ؛ ولهذا قال : ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾ .

وَقَوْلُوكُمْ أَمَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطْعَنَا ثُمَّ يَتَوَلَّ فِيْقَ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا

[١] - في خ : « شر ». .

[٤] - سقط من : ت .

[٣] - في ز : « أرادته ». .

[٥] - ما بين المukoوفتين في ز : « والحكم ». .

أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيُحْكَمْ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَّهُمُ الْعُقْبَةُ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذَعِّنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفَ قُلُوبُهُمْ مَرْضٌ أَمْ
أَرْتَابٌ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾
إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيُحْكَمْ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقَهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾

يخبر تعالى عن صفات المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يطنون ، يقولون قولًا بالستهم : ﴿١﴾ آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك ﴿٢﴾ أي : يخالفون أقوالهم بأعمالهم ، فيقولون ما لا يفعلون ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿٣﴾ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ [وقوله تعالى : ﴿٥﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيُحْكَمْ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُعْرِضُونَ] أي : إذا طلبوا إلى اتباع الهدى فيما أنزل الله على رسوله أعرضوا عنه ، واستنكروا في أنفسهم عن اتباعه ، وهذه كقوله تعالى : ﴿٦﴾ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴿٧﴾ إلى قوله : ﴿٨﴾ رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً [١].

وفي الطبراني^(١٨٠) من حديث روح بن عطاء ، عن أبي ميمونة ، عن أبيه ، عن الحسن ، عن سمرة مرفوعاً : « من دعى إلى سلطان فلم يجب فهو ظالم لا حق له ».

وقوله : ﴿٩﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذَعِّنِينَ ﴿١٠﴾ أي : إذا كانت الحكومة لهم لا عليهم جاءوا سامعين مطعمين وهو معنى قوله : ﴿١١﴾ مُذَعِّنِينَ ﴿١٢﴾ وإذا كانت الحكومة عليه أعرض ودعا إلى غير الحق وأحب أن يتحاكم إلى غير النبي صلى الله عليه وسلم ليروج باطله ثم ، فإذا عانه أولاً لم يكن عن اعتقاد منه أن ذلك هو الحق ، بل لأنه موافق لهواء ، ولهذا لما خالف الحق قصده عدل عنه إلى غيره ، ولهذا قال تعالى : ﴿١٣﴾ أَفَقُلُوبُهُمْ مَرْضٌ أَمْ أَرْتَابٌ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ﴿١٤﴾ يعني : لا يخرج أمرهم عن أن يكون في القلوب

(١٨٠) المعجم الكبير للطبراني (٢٢٥/٧) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٩٨/٤) : « فيه روح بن عطاء ، وثقة ابن عدي وضعفه الأئمة ».

[١] - ما بين المukoفين متأخر بعد الفقرة التي تليها .

مرض لازم لها أو قد عرض لها شك في الدين ، أو يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم ، وأيًّا ما كان فهو كفر محض ، والله علِيم بكل منهم وما هو منطوي عليه من هذه الصفات .

وقوله : ﴿ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ أي : بل [١] هم الظالمون الفاجرون ، والله ورسوله مبرآن مما يظلون ويتوهمون من الحيف والجور ، تعالى الله ورسوله عن ذلك .

قال ابن أبي حاتم [٢] : حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا مُبَارَكٌ ، حَدَّثَنَا الْحَسْنُ قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ إِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّجُلِ مُنَازِعَةً فَدُعِيَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، [٣] وَهُوَ مُحَقِّقٌ أَذْعَنَ وَعْلَمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٤] سِيقَاضِي لَهُ بِالْحَقِّ ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَظْلِمَ فَدُعِيَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَعْرَضَ وَقَالَ : أَنْطَلَقْ إِلَى فَلَانَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَيْءٌ فَدُعِيَ إِلَى حُكْمٍ [٥] مِنْ حُكَّامٍ [٦] الْمُسْلِمِينَ فَأَبْيَأَ أَنْ يَجِيبَ فَهُوَ ظَالِمٌ لَا حَقَ لَهُ » .

وهذا حديث غريب وهو مرسل .

ثم أخبر تعالى عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ، الذين لا يغون ديناً سوى كتاب الله وسنة رسوله فقال : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دَعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيُحَكَمَ بِيَنْهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ أي : سمعًا وطاعة ، ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح وهو نيل المطلوب والسلامة من الرهوب [٧] فقال تعالى : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وقال قتادة في هذه الآية : ﴿ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ ذكر لنا أن عبادة بن الصامت وكان عقيبياً بدريراً أحد نقباء الأنصار - أنه لما حضره الموت قال لابن أخيه جنادة بن أبي أمية : ألا أُبَيِّكَ بماذا عليك وبماذا [٨] لك؟ قال : بلى . قال : فإن عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنتسطك ومكرهك وأثرة عليك ، وعليك أن تقيم لسانك بالعدل ، وأن لا تنازع الأمر أهله إلا أن يأمروك بمعصية الله بُواحا ، فما أمرت به من شيء يخالف [٩] كتاب الله فاتبع كتاب الله .

و[٧] قال قتادة : وذكر لنا أن أبا الدرداء قال : لا إسلام إلا بطاعة الله ، ولا خير إلا في

(١٨١) ورواه عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن مرسلاً كما في الدر المشور (٢١٣/٦) .

[٢] - ما بين المukoوفين سقط من : خ .

[٤] - في ز : « المرهوب » .

[٦] - في خ : « يخالف » .

[١] - سقط من : ز .

[٣] - في ت : « أحكام » .

[٥] - في خ : « بماذا » .

[٧] - سقط من : ز .

جماعة والتوصيحة ولرسوله وللخليفة والمؤمنين^[١] عامه .

قال : وقد^[٢] ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول : عروة الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإنما الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لمن ولاه الله أمر المسلمين .

رواہ ابن أبي حاتم والأحاديث والآثار في وجوب الطاعة لكتاب الله [وسنة رسوله وللمخلفاء الراشدين والأنتم إذا أمروا بطاعة الله^[٣] كثيرة^[٤]] جداً أكثر من أن تحصر في هذا المكان .

وقوله ﴿ وَمَنْ يَطِعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [قال قتادة : يطع الله ورسوله^[٥] فيما أمراه به وترك ما نهياه عنه ، ويخشى الله فيما مضى من ذنبه ويتقنه فيما يستقبل .

وقوله ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ يعني : الذين فازوا بكل خير وأمنوا من كل شر في الدنيا والآخرة .

﴿ وَاقْسِمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَنِنِيمْ لَيْنَ أَمْرِتُهُمْ لِيُخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلُّو فَإِنَّمَا عَلَيْهِمَا مَا حَمَلُ وَعَلَيْكُمْ مَا حِلَّتْمُ وَلَا تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ۝ ۵۴﴾

يقول تعالى مخبرا عن أهل النفاق الذين كانوا يحلفون للرسول صلى الله عليه وسلم لعن أمرهم بالخروج ليخرجون ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَا تُقْسِمُوا ﴾ أي لا تختلفوا ، وقوله : طاعة معروفة^[٦] قيل معناه : طاعتكم طاعة معروفة ، أي قد علمت طاعتكم إنما هي قول لا فعل معه ، وكلما حلفتم كذبتم ؛ كما قال تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَلَمَّا تَرْضُوا عَنْهُمْ فَلَمَّا اللَّهُ لَا يُرْضِي عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جَنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءُ مَا كَانُ يَعْمَلُونَ ﴾ ، فهم من سجيتهم الكذب حتى فيما يختارونه كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْرَانِهِمُ الَّذِينَ

[١] - في خ : « المؤمنين » .

[٢] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز . [٤] - في ز : « كثير » .

[٥] - مكانه في ت : « قال قتادة : يطع الله ورسوله » .

[٦] - في ز : « علمتم » .

كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتمن
لتنصرنكم والله يشهد إنهم لكافرون * لئن أخرجو لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا
ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ^{هـ} .

وقيل : المعنى في قوله : ﴿ طاعة معروفة ﴾ أي : ليكن أمركم طاعة معروفة أي :
بالمعروف من غير حلف ولا إقسام كما يطيع الله ورسوله المؤمنون بغير حلف [١] ولا إقسام ،
فكونوا [٢] أنتم مثلهم ﴿ إن الله خير بما تعلمون ﴾ أي : هو خير بكم ، وبين [٣] يطيع من
يعصي ، فالحلف وإظهار الطاعة والباطن بخلافه وإن راج على المخلوق فالخالق تعالى يعلم السر
وأخفى لا يروج عليه شيء من التدليس ، بل هو خير بضمائر عباده ، وإن أظهروا خلافها .
ثم قال تعالى : ﴿ قل أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ أي : اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تُولُوا مَا جاءَكُمْ وَتَرْكُوا مَا فَلَّا مَا عَلِيهِ مَا
حُمِّلُ ﴾ أي إبلاغ الرسالة وأداء الأمانة ﴿ وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ ﴾ أي : [من قبول] [٤] ذلك
وتعظيمه والقيام بمقتضاه ﴿ وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ وذلك لأنه يدعو إلى صراط مستقيم
﴿ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا بَلَاغُ الْمَبِينِ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ فَلَّا مَا عَلِيكَ
البَلَاغُ وَعَلَيْكَ الْحِسَابُ ﴾ قوله : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّا أَنْتَ مَذْكُورٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِعَصِيرٍ ﴾ .
و [٥] قال وهب بن منبه : أوحى الله إلى نبي من أنبياءبني إسرائيل - يقال له : شعيباء - أن
قم في بني إسرائيل فإني سأطلق لسانك بمحبي . فقام فقال : يا سماء اسمعي ويا أرض
أنصتي ، فإن الله يريد أن يقضي شيئاً ويدبر أمراً هو منفده ، إنه يريد أن يجعل الريف إلى
الفلة ، والآجام في الغيطان ، والأنهار [٦] في الصحاري ، والنعمة [٧] في الفقراء ، والمملك في
الرعاة ، و يريد أن يبعث أمياً من الأميين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب [٨] في الأسواق ، لو
يمر [إلى جنب] [٩] السراج لم يطفئه من سكينته ، ولو يمشي على القصب واليابس لم
يسمع من تحت قدميه ، أبعشه بشيراً [١٠] ونديراً ، لا يقول الخنا ، أفتح به أعيناً عمياً وآذاناً
صمماً وقلوباً غلباً ، وأسدده لكل [١١] أمر جميل ، وأهاب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة

[١] - ما بين المعرفتين في ز : « وكونوا » .

[٢] - في ز : « من » .

[٣] - في ز : « ترکون » .

[٤] - في خ : « بقبول » .

[٥] - سقط من خ .

[٦] - في خ ، ز : « والنهر » .

[٧] - في ز : « النعمة » .

[٨] - في خ : « سخاب » .

[٩] - في خ : « على » .

[١٠] - في ت : « بشيراً » .

[١١] - في خ : « بكل » .

لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة منطقه ؛ والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو المعروف خلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدي به بعد الضلال ، وأعلم به من الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأعرف به بعد النكرة ، وأكثر به^[١] بعد القلة ، وأغنى به^[٢] بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقه ، وأؤلف به بين أمم متفرقة ، وقلوب مختلفة ، وأهواء مشتتة^[٣] ، وأستنقذ به فاتما من الناس عظيما من الهلكة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، يأمرن بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، موحدين مؤمنين ، مخلصين مصدقين بما جاءت به رسلي . رواه ابن أبي حاتم^(١٨٢) .

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ دِيْنُ الَّذِي أَرْتَضَى لَهُمْ وَلَيَسْبِدَنَّهُمْ
مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمَّا يَعْبُدُونَ فَلَا يُشْرِكُونَ بِإِيمَانِهِمْ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيقُونَ



هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض ، أي^[٤] أئمة الناس والولاة عليهم ؛ وبهم تصلاح البلاد ، وتخضع لهم العباد . [وليبدلهم من]^[٥] بعد خوفهم [من الناس]^[٦] أمناً وحكمها فيهم ، وقد فعل تبارك وتعالى ذلك وله الحمد والمنة : فإنه صلى الله عليه وسلم لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب ، وأرض اليمن بكمالها ، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام ، وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والإسكندرية وهو المقوقس ، وملوك عمان والنجاجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد أصحمة ، رحمه الله وأكرمه .

ثم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالأمر^[٧] بعده خليفة أبو بكر الصديق فلم شعث ما وهى عند موته صلى الله عليه وسلم ، وأخذ^[٨] جزيرة العرب ومهدها ، وبعث [الجيوش الإسلامية]^[٩] إلى بلاد فارس^[٩] صحبة خالد بن (١٨٢) وروى عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار كما في الشفاء للقاضي عياض (١٥/١) .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « مشتتة » .

[٣] - ما بين المعقوفين في ز : « ليبدلن » .

[٤] - في خ : « أحد » .

[٥] - بعده في خ : في .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - في خ : ز ، ز .

[٨] - ما بين المعقوفين في ز : « ليبدلن » .

[٩] - في خ : « جيوش الإسلام » .

الوليد - رضي الله عنه - ففتحوا طرفا منها وقتلوا خلقا من أهلها . وجيشا آخر صحبة أبي عبيدة رضي الله عنه ومن معه^[١] من الأمراء إلى أرض الشام ، وثالثا صحبة عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بلاد مصر ؛ ففتح الله للجيش الشامي في أيامه^[٢] بصرى ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها ، وتوفاه الله ، عز وجل ، واختار له ما عنده من الكراهة ومن على^[٣] الإسلام [وأهلها]^[٤] بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق فقام بالأمر^[٥] بعده قياما تاما لم يدور الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله . وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها ، وديار مصر إلى آخرها ، وأكثر إقليم فارس . وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان وتقهقر إلى أقصى مملكته ، وقصر قيصر وانتزع يده عن بلاد الشام فانحاز^[٦] إلى القدسية ؛ وأنفق أموالها^[٧] في سبيل الله ، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله ؛ عليه من ربه أتم سلام وأذكي صلاة .

ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت المالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ؛ ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس وقبرص ؛ وببلاد القิروان وببلاد سبتة مما يلي البحر الحيط ، ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين ؛ وقتل كسرى وبايد^[٨] ملكه بالكلية ؛ وفتحت مدنائين العراق وخراسان والأهواز ، وقتل المسلمين من الترك مقتلة عظيمة جدا ؛ وخذل الله^[٩] ملوكهم الأعظم خاقان ، ومجيئ الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان [بن عفان]^[١٠] رضي الله عنه ، وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن ؛ ولهذا ثبت في الصحيح عن^[١١] رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه^[١٢] قال : « إن الله زوى لي^[١٢] الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمري ما زوي لي منها »^[١٣] ، فها نحن نقلب فيما وعدنا الله رسوله وصدق الله رسوله ، فتسأله^[١٤] الله الإيمان به وبرسوله والقيام بشكره على الوجه الذي يرضيه عنا .

قال الإمام مسلم بن الحجاج [في صحيحه]^[١٥] : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ،

(١٨٣) صحيح مسلم حديث (٢٨٨٩) من حديث ثوبان ، رضي الله عنه .

- [١] - في ز : « أيام » .
- [٢] - سقط من خ ، ت .
- [٣] - في ز : « أهل » .
- [٤] - سقط من خ ، ت .
- [٥] - في ز : « في الأمر » .
- [٦] - في ت : « وانحدر » .
- [٧] - في خ : « أموالهما » .
- [٨] - في ز : « بلاد » .
- [٩] - سقط من : ز .
- [١٠] - ما بين المعقوفين سقط من : ز .
- [١١] - في خ : « أن » .
- [١٢] - سقط من : ت .
- [١٣] - في ز : « ونسأل » .
- [١٤] - سقط من : ز .
- [١٥] - ما بين المعقوفين سقط من : ز .

عن عبد الملك بن عمير ، عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يزال أمر الناس ماضياً ما ولهم اثنا عشر رجلاً » ثم ^[١] تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفية عنى فسألت أبي ماذا قال رسول الله ؟ فقال : قال ^[٢] ، « كلهم من قريش » .

ورواه البخاري من حديث شعبة عن عبد الملك بن عمير به ^(١٨٤) .

وفي رواية لمسلم أنه قال ذلك عشية رجم ماعز بن مالك ، وذكر معه أحاديث أخرى ^(١٨٥) .

وفي هذا الحديث دلالة على أنه لابد من وجود اثنى عشر خليفة عادل ، وليسوا هم بأئمة الشيعة الإثنى عشر ، فإن كثيراً من أولئك لم يكن ^{لهم} ^[٣] من الأمر شيء ، فأما هؤلاء فإنهم يكونون من قريش يلون فيعدلون ، وقد وقعت البشرة بهم في الكتب المتقدمة ، ثم لا يشترط أن يكونوا متابعين ، بل يكون وجودهم في الأمة متتابعاً ومتفرقاً ، وقد وُجد منهم أربعة على الولاء وهم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم علي رضي الله عنهم ، ثم كانت ^[٤] بعدهم فترة بينهم ^[٥] ثم وجد منهم من ^[٦] شاء الله ، ثم قد يوجد منهم من يبقى في [الوقت الذي] ^[٧] يعلمه [الله تعالى] ^[٨] ، ومنهم المهدى الذي [يطابق اسمه] اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنيته كنيته ، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً.

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث سعيد بن جمهان ^[٩] عن سفيينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم [أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^[١٠] قال : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ^[١١] ملكاً عوضواً » ^(١٨٦) .

• صحيح مسلم حديث (١٨٢١) ، وصحيح البخاري حديث (٧٢٢٢) .

• صحيح مسلم حديث (١٨٢٢) .

^(١) المسند (٢٢٠/٥) (٢٢٠/١٤) ، أخرجه أبو داود : كتاب السنة باب في الخلفاء (٤/١٠) .
^(٢) رقم : ٤٦٤٦ . والترمذى : كتاب الفتن باب ما جاء في الخلافة (٤/٥٠٣) / رقم : ٢٢٢٦ .
^(٣) وقال : وهذا حديث حسن ، قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان ، ولا نعرف إلا من حديث سعيد بن جمهان . والنسائى في الكبرى : كتاب المناقب باب أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم أجمعين =

^[٤] - سقط من : ز .

^[١] - في ز : « و » .

^[٥] - في ز : « لهم » .

^[٦] - في ز : « ما » .

^[٢] - سقط من : ت .

^[٧] - ما بين المعقوفين في ز : « وقت » .

^[٨] - ما بين المعقوفين سقط من : خ .

^[٩] - ما بين المعقوفين في ز : « جيهان » .

^[١٠] - ما بين المعقوفين سقط من : ز .

^[١١] - في ز : « يكون » .

وقال الريبع بن أنس عن أبي العالية في قوله : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيُسْتَخْلِفُوهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيمْكَنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُدْلِلُهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ الآية ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يمكرون من عشر سنين يدعون إلى الله وحده وعبادته وحده لا شريك له سرًا ، وهم خائفون لا يؤمنون بالقتال حتى أمروا بعد بالهجرة إلى المدينة ، فقدموها [١] فأمرهم الله بالقتال ، فكانوا بها خائفين يمسون في السلاح ويصبعون في السلاح ، فغيروا بذلك ما شاء الله ثم إن رجلاً من الصحابة قال : يا رسول الله ؛ أبد الدهر نحن خائفون هكذا ؟ أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن تغروا إلا يسيروا حتى يجلس الرجل منكم في الملاعظيم محتياً [٢] ليست فيه حديدة ». وأنزل الله هذه الآية فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فآمنوا ووضعوا السلاح . ثم إن [٣] الله تعالى قبض نبيه صلى الله عليه وسلم ، فكانوا كذلك آمنين في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان ، حتى وقعا فيما وقعوا فيه [٤] فأدخل عليهم الخوف [فَادْخُلُوا] [٥] الحجز والشرط وغيره بهم .

وقال بعض السلف : خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهمما حق في كتابه ، ثم تلا هذه الآية .

وقال البراء بن عازب : نزلت هذه الآية ونحن في خوف شديد .

وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى : ﴿ واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الأرض ﴾ إلى قوله : ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كما قال تعالى عن موسى - عليه السلام - أنه قال لقومه: ﴿عُسَيْ رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوكُمْ وَيُسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيُنَظِّرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَرَنَّدَ أَنْ ثَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَعْفَفُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلُوهُمْ

= ۴۷ / ۵ / رقم : ۸۱۰۵). کلهم من طریق سعید بن جمهان به .

ولم ترد لفظة : « عضوضاً » في أي من هذه المصادر ، وإنما وردت في حديث آخر عن أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الله تعالى بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة ، وكانت خلافة ورحمة ، وكانت عنوة وجبرية وفساداً في الأمة الحديث » أخرجه البهقي في السنن الكبيرى (١٥٩/٨) .

[٢] - في خ : « محتسباً » .

[١] - في ز : « قدموا المدينة ». .

[٤] - سقط من : ز.

٣ - سقط من : ز.

[٥] - في ت : «فاتخذوا» .

أئمَّةً وجعلهم الوارثين [ونُكِنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ونُرِي فَرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجَنودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذِرُونَ]^[١] .

وقوله : ﴿ وَلَيْمَكِنْ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ [وَلَيَدْلِنَهُمْ مِنْ بَعْدِ خُوفِهِمْ أَمْنًا]^[٢] ﴾ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعدي بن حاتم حين وفدي عليه : « أَتَعْرِفُ الْحَيْرَةَ ؟ » قال : لم أعرفها ولكن قد سمعت بها قال : « فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيدهِ لِيَتَمَّنَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى تَخْرُجُ الظُّبْعِنَةَ مِنَ الْحَيْرَةِ حَتَّى تَطْرُفَ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جَوَارِ أَحَدٍ ، وَلَنْفَتَحَنَ كَوْزَ كَسْرَى بْنَ هَرْمَزٍ » . قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : « نَعَمْ ، كَسْرَى بْنَ هَرْمَزٍ ، وَلَيَدْلِنَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبِلَهُ أَحَدٌ » . قال عدي بن حاتم : فهذه الظُّبْعِنَةُ تَخْرُجُ مِنَ الْحَيْرَةِ فَتَطْرُفُ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جَوَارِ أَحَدٍ ، وَلَقَدْ كَنْتَ فِيمَنْ افْتَحْتَ كَوْزَ كَسْرَى بْنَ هَرْمَزٍ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيدهِ لِتَكُونَ الْثَالِثَةَ ؛ لَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَهَا^(١٨٧) .

وقال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَاقَ ، أَخْبَرَنَا سَفِيَّاً ، عَنْ أَبِيهِ سَلْمَةَ ، عَنِ الرِّبِيعِ بْنِ أَنْسٍ ، عَنْ أَبِيهِ الْعَالِيَةِ ، عَنْ أَبِيهِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَشَّرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ^[٣] بِالسَّنَاءِ وَالرَّفْعَةِ وَالنَّصْرِ وَالْتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلَّدْنِيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ »^(١٨٨) .

وقوله تعالى : ﴿ يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ قال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا عَفَانَ ، حَدَّثَنَا هَمَامٌ ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ ، عَنْ أَنْسٍ ، أَنَّ مَعَاذَ بْنَ جَبَلَ حَدَّثَهُ قَالَ : بَيْنَا^[٤] أَنَا رَدِيفُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [عَلَى حَمَارٍ]^[٥] لَيْسَ بِيَمِنِهِ إِلَّا آخِرَةُ الرَّاحِلَةِ ، قَالَ : « يَا مَعَاذَ ». قَلتَ : لَبِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيْكَ . قَالَ : [ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : « يَا مَعَاذَ بْنَ جَبَلَ ». قَلتَ : لَبِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيْكَ^[٦] . ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : « يَا مَعَاذَ بْنَ جَبَلَ ». قَلتَ : لَبِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيْكَ قَالَ : « هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى

(١٨٧) رواه البخاري في صحيحه حديث (٣٥٩٥).

(١٨٨) المسند (١٣٤/٥٠٠) (٢١٣٠٠) . رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣١٨/٦) من طريق المغيرة بن مسلم السراج ، عن الريبع به . ورواه الحاكم في المستدرك (٣١١/٤) من طريق زيد بن الحباب ، عن سفيان به وصححه الحاكم ووافقه الذهبي . وذكره الهيثمي في مجمع الروايد (١٠/٢٢٠) وقال : « رواه أحمد وابنه من طرق ، ورجال أحمد رجال الصحيح » .

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ز : « الرفة » .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

العبد ؟ » . قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً » . قال : ثم سار ساعة ثم قال : « يامعاذ بن جبل ». قلت : ليك يا رسول الله وسعديك قال : « فهل تدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ » . قال : قلت الله ورسوله أعلم . قال : « فإن حق العباد على الله أن لا يعذبهم » .

آخر جاه في الصحيحين ، من حديث قتادة^(١٨٩) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنۤ [١] كُفَّرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ أي : فمن خرج عن طاعتي بعد ذلك فقد سقى^[٢] عن أمر ربه وكفى بذلك ذنبًا عظيمًا ، فالصحابة رضي الله عنهم لما كانوا أقوم الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم بأوامر الله - عز وجل - وأطوعهم لله كان نصرهم بحسبهم أظهروا كلمة الله في المشرق والمغارب ، وأيدهم الله تأييدها عظيمًا ، وتحكموا فيسائر العباد والبلاد ; وما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم ، ولكن قد ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيمة » وفي رواية - « حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » - وفي رواية - « حتى يقاتلون الدجال » - وفي رواية - « حتى ينزل عيسى ابن مريم وهم ظاهرون » . وكل هذه الروايات صحيحة ولا تعارض بينها .

وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكُوْنَةَ وَأَطْبِعُوْنَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ ٥٧ لَا تَحْسِبُوْنَ

الَّذِيْنَ كَفَرُوا مُعْجِزِيْنَ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَدُهُمُ النَّارُ وَلَيَشَدَّدَ الصَّيْرُ

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بإقامة الصلاة ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى المخلوقين ضعفائهم وفقرائهم ، وأن يكونوا في ذلك مطيعين [للرسول]^[٣] صلى الله عليه وسلم أي : سالكين وراءه فيما به^[٤] أمرهم ، وتاركين^[٥] ما عنه زجرهم ، لعل الله يرحمهم بذلك ، ولا شك أن من فعل هذا أن الله سيرحمه كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ أُولَئِكَ سِيرَحُهُمُ اللَّهُ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسِبُوْنَ ﴾ أي : [لا تظن^[٦] يا محمد أن^[٧]] ﴿ الَّذِيْنَ كَفَرُوا ﴾

(١٨٩) المستند (٢٤٢/٥) ، وصحيح البخاري حديث (٥٩٦٧) ، وصحيح مسلم حديث (٣٠) .

[١] - في ز : « فمن » .

[٢] - في ت : « خرج » .

[٣] - في خ : « لرسول الله » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في خ : « ترك » .

[٦] - ياض في ز .

[٧] - ياض في ز .

أي خالفوك وكذبوك ﴿معجزين في الأرض﴾ أي لا يعجزون الله ، بل الله قادر عليهم وسيغذبهم على ذلك أشد العذاب ، ولهذا قال تعالى : ﴿ومأواهم﴾ أي : في الدار الآخرة ﴿النار ولبسٌ [١] المصير﴾ أي : ببس المال مآل الكافرين ، وببس القرار وببس المهد !

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَغْدِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكُتَ أَيْمَانَكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْفُوا الْحَلْمَ مُنْكِرٌ
ثُلَّثَ مَرَّتِ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ
الْعِشَاءِ ثُلَّثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَنِسَكٌ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جَنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّفُونَ
عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحَلْمَ فَلِيَسْتَغْدِنُوْ كَمَا أَسْتَغْدِنَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ مَا يَدْعُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [٥٩] وَالْقَوْاعِدُ
مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَنِسَكٌ عَلَيْهِنَّ جَنَاحٌ أَنْ يَضْعُفَ
ثِيَابَهُنَّ بَغْرِيْبَةً مُسَبِّحَةً بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ
[٦٠]

هذه الآيات الكريمة اشتغلت على استذدان الأقارب ببعضهم على بعض ، وما تقدم في أول السورة فهو [٢] استذدان الأجانب ببعضهم على بعض ، فأمر الله تعالى المؤمنين أن يستذذنهم خدمهم مما ملكت أيديهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم ، في ثلاثة أحوال ؛ الأول : من قبل صلاة الغداة ؛ لأن الناس إذ ذاك يكونون نياما في فرشهم ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ
مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾ أي : في وقت القيلولة لأن الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله
﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ لأنه وقت النوم ، فيُغمر الخدم والأطفال أن لا يهجموا على
أهل البيت في هذه الأحوال ؛ لما يخشى أن يكون الرجل على أهله أو نحو ذلك من
الأعمال ، ولهذا قال : ﴿ثُلَّاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَنِسَكٌ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جَنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ أي
إذا دخلوا في حال غير هذه الأحوال فلا جناح عليكم في تمكنكم إياهم من ذلك ، ولا
عليهم إن رأوا شيئا في غير تلك الأحوال ؛ لأنه قد أذن لهم في الهجوم ، ولأنهم طواوفون
عليكم أي : في الخدمة وغير ذلك . ويعتبر في الطواوفين ما لا يغفر في غيرهم ؛ ولهذا روى

[٢] - في ز : « ببس » .

[١] - في ز : « ببس » .

الإمام مالك وأحمد بن حنبل، وأهل السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الهرة : « إنها ليست بمنجسة ؛ إنها من الطوافين عليكم والطوافات »^(١٩٠) .

ولما كانت هذه الآية محكمة ولم تنسخ بشيء ، وكان عمل الناس بها قليلاً جداً ، أنكر عبد الله بن عباس ذلك على الناس ، كما قال ابن أبي حاتم :

حدَّثَنَا أبو زرعة، حدَّثَنَا يحيى بن عبد الله بن بكير، حدَّثَنِي عبد الله بن لهيعة، حدَّثَنِي عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير ؛ قال : قال ابن عباس : ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بهن : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مُلِكْتُ أَمْيَانَكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْفُغُوا الْحَلْمَ ﴾ إلى آخر الآية ، والآية التي في سورة النساء ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقُسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ [وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ] فَارْزُقُوهُمْ مِّنْهُ ﴾^(١٩١) ، والآية التي في الحجرات : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَاقُكُمْ ﴾ .

وروى أيضاً من حديث إسماعيل بن مسلم - وهو ضعيف - عن عمرو بن دينار ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : غلب الشيطان الناس على ثلاث آيات فلم يعملوا بهن ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مُلِكْتُ أَمْيَانَكُمْ ﴾ إلى آخر الآية .

وروى^(١٩٢) أبو داود ، حدَّثَنَا ابن الصباح بن^(١٩٣) سفيان وابن عبدة - وهذا حديثه - أخبرنا سفيان ، عن^(١٩٤) عبد الله بن أبي زيد ، سمع ابن عباس يقول : لم يؤمن بها أكثر الناس آية الإِذْن ، وإنِّي لَأَمْرُ جَارِيَتِي هَذِهِ تَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ . قال أبو داود : وكذلك رواه عطاء عن ابن عباس يأمر به^(١٩١) .

وقال الثوري ، عن موسى بن أبي عائشة ، سألت الشعبي : ﴿ لِيَسْتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مُلِكْتُ أَمْيَانَكُمْ ﴾ ؟ قال : لم تنسخ . قلت : فإن الناس لا يعملون بها . فقال : الله المستعان .

(١٩٠) الموطأ (١/٢٣)، ورواه أحمد في المسند (٥/٢٩٦٢٠) (٢٢٦٣٠) وأبو داود في كتاب الطهارة ، باب : في سورة الهرة (١/٢٠ رقم : ٧٥) . والترمذني في كتاب الطهارة ، باب : ما جاء في سورة الهرة (١/١٥٣، ١٥٤ رقم : ٩٢) . وقال : هذا حيث حسن صحيح . والنمسائي في كتاب الطهارة ، باب : سورة الهرة (١/٥٥ رقم : ٦٨) . وكتاب المياه ، باب : سورة الهرة (١/١٧٨ رقم : ٣٤٠) . وابن ماجة في كتاب الطهارة ، باب : الوضوء بسورة الهرة والرخصة في ذلك (١/١٣١ رقم : ٣٦٧) . وابن خزيمة في صحيحه (٥٥/١٠٤ رقم : ١٠٤) . كلهم من طريق مالك بن أنس به .

(١٩١) سنن أبي داود ، كتاب الأدب حديث (٥١٩١) .

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ز : « قال » .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في خ : « وابن » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنا سليمان بن بلل ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رجلاً سأله عن الاستئذان في الثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن ؟ فقال ابن عباس : إن الله ستر يحب الستر ، كان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ولا حجال في بيوتهم ، فربما فاجأ [١] الرجل خادمه أو ولده أو يتيمه [٢] في حجره وهو على أهله ، فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمى الله ، ثم جاء الله بعد بالستور فبسط الله عليهم [في] [٣] الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الحجال ، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي [٤] أمروا به .

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ، ورواه أبو داود عن القعنبي عن الدراوردي عن عمرو ابن أبي عمرو به [٥٩٢] .

وقال السدي : كان أناس من الصحابة رضي الله عنهم يجرون أن يوافعوا نسائهم في هذه الساعات ليقتسلوا ثم يخرجوا إلى الصلاة فأمرهم الله أن يأمروا الملوكين والعلماء أن لا يدخلوا عليهما بغیر إذن . فأنزل الله في ذلك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَنَا لِيَسْأَذْنَكُمُ الَّذِينَ مَلَكْتُمُ أَيْمَانَكُمْ [وَالَّذِي لَمْ يَلْغُوا الْحَلْمَ مِنْكُمْ] [٦] ﴾ ، وما يدل على أنها محكمة لم [٧] تنسخ قوله : ﴿ كَذَلِكَ يَبْيَنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحَلْمَ فَلَا يَسْأَذْنُوا كَمَا اسْتَأْذَنُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ يعني : إذا بلغ الأطفال منكم الحلم إنما كانوا يستأذنون [٨] في العورات الثلاث إذا بلغوا الحلم وجب عليهم أن يستأذنوا على كل حال ، يعني بالنسبة إلى أجنبيهم وإلى الأحوال التي يكون الرجل على أمراته ، وإن لم يكن في الأحوال الثلاث .

(١٩٢) سن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : الاستئذان في العورات ثلاث حديث (٥١٩٢) .

[١] - في ز : « جاء ». .

[٢] - في ز : « قيمه ». .

[٤] - في ز : « الباقي ». .

[٦] - سقط من خ . .

[٨] - في خ : « يستأذنوا ». .

[٣] - سقط من خ . .

[٥] - في ز : « مرشد ». .

[٧] - في ز : « لن ». .

قال الأوزاعي: عن يحيى بن أبي كثير: إذا كان الغلام رباعيا فإنه يستأذن في العورات الثلاث على أبويه ، فإذا بلغ الحلم فليستأذن على كل حال . وهكذا قال سعيد بن جبير . وقال في قوله : ﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾ يعني: كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقاربه .

وقوله : ﴿والقواعد من النساء﴾ قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والضحاك وقتادة : هن اللواتي انقطع عنهن الحيض ويسن من الولد ﴿اللاتي لا يرجون نكاحا﴾ أي : لم يق لهن تشفو^[١] إلى الزوج^[٢] ﴿فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير مترجات بزينة﴾ أي : ليس عليهن^[٣] من الحجر في التستر كما على غيرهن^[٤] من النساء .

قال أبو داود : حدثنا أحمد بن محمد المروزي ، حدثني علي بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿وقل للمؤمنات يغضبن من أبصارهن﴾ الآية ، فنسخ واستثنى من ذلك ﴿القواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا﴾ الآية .^(٩٣)

قال ابن مسعود [في قوله]^[٥] : ﴿فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن﴾ قال : الجلباب أو الرداء . وكذلك^[٦] روي عن ابن عباس وابن عمر ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والزهربي والأوزاعي وغيرهم .

وقال أبو صالح : [تضيع الجلباب]^[٧] وتقوم بين يدي الرجل في الدرع والخمار . وقال سعيد بن جبير وغيره : في قراءة عبد الله بن مسعود (أن يضعن من ثيابهن) وهو الجلباب من فوق الخمار ، فلا بأس أن يضعن عند قريب أو غيره بعد أن يكون عليها خمار صفيق .

وقال سعيد بن جبير [في الآية]^[٨] ﴿غير مترجات بزينة﴾ يقول: لا يتبرجن بوضع الجلباب [ليرى ما عليهن]^[٩] من الزينة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عبد الله ، حدثنا ابن المبارك ، حدثني

(٩٣) سنن أبي داود ، كتاب اللباس حديث (٤١١١) . وقال المنذري : في إسناده على بن الحسين بن واقد وفيه مقال .

[١] - في ز : « تشفو » .

[٢] - في ز : « غيرها » .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعقوفين في ز : « اتضاع الجلباب » .

[٥] - ما بين المعقوفين في ز : « أن يرى ما عليها » .

سوار بن ميمون ، حَدَّثَنَا [١] طلحة بن [٢] عاصم ، عن أم الصباء [٣] أنها قالت : دخلت على عائشة [٤] رضي الله عنها فقلت : يا أم المؤمنين ، ما تقولين في الخضاب والنفاض والصياغ والقرطين والخلخال وحاتم الذهب وثياب الرفاق ؟ فقالت : يا عشر النساء ، قستكن [٥] كلها واحدة ، أحل الله لكن الزينة غير متبرجات ، أي : لا يحل لكن أن يروا منكهن محربما .

وقال السدي : كان شريك لي يقال له : مسلم ، وكان مولى لامرأة حذيفة بن اليمان ، فجاء يوما إلى السوق وأثر الحناء في يده ، فسألته عن ذلك ؟ فأخبرني أنه خصب رأسه مولاته وهي امرأة حذيفة ! فأنكرت ذلك . فقال : إن شئت أدخلتك عليها . قالت : نعم . فأدخلني عليها فإذا هي [٦] امرأة جليلة . قلت لها : إن مسلماً حدثني أنه خصب رأسك . فقالت : نعم يابني ، إني من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحا ، وقد قال الله تعالى في ذلك ما سمعت .

وقوله : **﴿وَأَنْ يُسْتَعْفِفُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾** أي : وترك وضعهن لثيابهن - وإن كان جائزًا - خير وأفضل لهن والله سميع عليم .

لَئِنْ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَغْرَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمُرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى
أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَبْرَارِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ إِخْرَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أَخْوَلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَلَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاسِدَهُ أَوْ
صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَأْنًا فَإِذَا
دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسِلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحْيَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَّكَةً طِبَّةً
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

اختلاف المفسرون - رحمهم الله - في المعنى الذي رفع [من أجله] [٧] الحرج عن

[١] - في خ ، ز : « حدثنا » .

[٢] - في ز : « بنت » .

[٣] - ما بين المعقودتين في ز : « عن عائشة » .

[٤] - ما بين المعقودتين في ز : « عليها » .

[٥] - في ز : « فصلن » .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - في خ : « لأجله » .

الأعمى ، والأعرج والمريض هاهنا ، فقال عطاء الخراصاني ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : [يقال إنها]^[١] نزلت في الجهاد . وجعلوا هذه الآية هاهنا [كالآية التي]^[٢] في سورة الفتح ، وتلك في الجهاد لا محالة ، أي : أنهم لا إثم عليهم في ترك الجهاد ، لضعفهم وعجزهم ، وكما قال تعالى في سورة براءة : ﴿لَيْسَ عَلَى الْمُعْذِفَةِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنفَقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْخَسِنَيْنِ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتُوكُمْ لِتَحْمِلُهُمْ قُلْتُ لَا أَجُدُ مَا أَحْمَلُكُمْ [عليه تولوا وأعينهم تفيس من الدمع حزناً]^[٣] أَنْ لَا يَجِدُوا مَا يَنفَقُونَ﴾ .

وقيل : المراد هاهنا^[٤] أنهم كانوا يتحرجون من الأكل مع الأعمى ، لأنه لا يرى الطعام وما فيه من الطبيات ، فربما سبقه غيره إلى ذلك ، ولا مع الأعرج ، لأنه لا يمكن من الجلوس ، فيفتات عليه جليسه ، والمريض لا يستوفي من الطعام كغيره ، فكرهوا أن يأكلوهم لئلا يظلموهم ، فأنزل الله هذه الآية رخصة في ذلك . هذا^[٥] قول سعيد بن جبير ، ومقسم .

وقال الضحاك : كانوا قبل المبعث^[٦] يتحرجون من الأكل مع هؤلاء تقذراً وتقززاً ، ولئلا يتفضلوا عليهم ، فأنزل الله هذه الآية .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن ابن^[٧] أبي ثجیح ، عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾ الآية ، قال : كان الرجل يذهب بالأعمى ، أو الأعرج^[٨] ، أو المريض^[٩] إلى بيت أخيه ، أو بيت^[١٠] أخيه ، أو بيت أخته ، أو بيت عمته ، أو بيت خالته . فكان الزماني يتحرجون من ذلك ، يقولون : إنما يذهبون بنا إلى بيت عشيرتهم^[١١] . فنزلت هذه الآية رخصة لهم^(١٩٤) .

وقال السدي : كان الرجل يدخل بيت أخيه أو ابنه أو أخيه أو ابنته ؛ فتشحّه المرأة بالشيء^[١٢] من الطعام ؛ فلا يأكل من أجل أن رب البيت ليس ثمّ . فقال الله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى

(١٩٤) تفسير عبد الرزاق (٢/٥٣).

[١] - ما بين المعقودين سقط من : ز .

[٢] - في خ : « كالتي » .

[٤] - سقط من : ز .

[٦] - في خ : « البعثة » .

[٨] - في خ : « بالأعرج » .

[١٠] - سقط من : ت .

[١٢] - في خ : « بشيء » .

[٣] - سقط من ت .

[٥] - في خ : وهذا .

[٧] - سقط من : ز .

[٩] - في خ : « بالمريض » .

[١١] - في خ ، ز : غيرهم .

حَرْجٌ [١] وَلَا عَلَى الْأَعْرُجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بَيْوَتِكُمْ أَوْ بَيْوَاتِ أَبَائِكُمْ [٢] - إِلَى قَوْلِهِ : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جَنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَانًا﴾ [٣].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ إِنْمَا ذَكَرْ هَذَا ، وَهُوَ مَعْلُومٌ ، لِيُعَطِّفُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ فِي الْلَّفْظِ﴾ [٤] ، وَلِيُسْتَأْدِيهِ مَا بَعْدُهُ فِي الْحُكْمِ ، وَتَضَمِّنُ هَذَا بَيْوَاتُ الْأَبْنَاءِ ، لَأَنَّهُ لَمْ يَنْصُ عَلَيْهِمْ ، وَلِهَذَا اسْتَدَلَ بِهَذَا مِنْ ذَهَبِ إِلَى أَن [٥] مَالُ الْوَلَدِ بِمَنْزِلَةِ مَالِ أُبْيِهِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْمُسْنَدِ وَالسِّنَنِ ، مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : «أَنْتَ وَمَالُكُ لَأَبِيكَ» [٦].

وَقَوْلُهُ [٧] : ﴿أَوْ بَيْوَاتُ أَبَائِكُمْ أَوْ بَيْوَاتُ أَمَهَاتِكُمْ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ : ﴿أَوْ مَا مَلْكُتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ هَذَا ظَاهِرٌ : وَقَدْ يَسْتَدِلُّ بِهِ مِنْ يَوْجُبِ نَفْقَةِ الْأَقْارِبِ ، بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَبِي حِنْفَةِ وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، فِي الْمَشْهُورِ عَنْهُمَا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿أَوْ مَا مَلْكُتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ قَالَ [٨] سَعِيدُ بْنُ جَبَيرٍ وَالسَّدِيْرِ : هُوَ [٩] خَادِمُ الرَّجُلِ ، مِنْ عَبْدِ وَقْهَرْمَانٍ ، فَلَا يَأْكُلُ مَا اسْتَوْدَعَهُ مِنَ الطَّعَامِ بِالْمَعْرُوفِ .

وَقَالَ الزَّهْرِيُّ ، عَنْ عُرُوْةَ ، عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَرْغَبُونَ فِي التَّفَيْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَيَدْفَعُونَ مَفَاتِحَهُمْ إِلَى ضُمَنَاهُمْ ، وَيَقُولُونَ : قَدْ أَحْلَلْنَا لَكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مَا احْتَجْتُمْ إِلَيْهِ . فَكَانُوا يَقُولُونَ : إِنَّهُ لَا يَحْلُّ لَنَا أَنْ تَأْكُلَ ، إِنَّهُمْ أَذْنَوْنَا لَنَا عَنْ غَيْرِ طَبِّ أَنفُسِهِمْ ، وَإِنَّا نَحْنُ أَمْنَاءُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿أَوْ مَا مَلْكُتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ .

وَقَوْلُهُ : ﴿أَوْ صَدِيقَكُمْ﴾ . أَيْ : بَيْوَاتُ أَصْدِقَائِكُمْ وَأَصْحَابِكُمْ ، فَلَا جَنَاحٌ عَلَيْكُمْ فِي الْأَكْلِ مِنْهَا ، إِذَا عَلِمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَشْقَى عَلَيْهِمْ ، وَلَا يَكْرَهُونَ ذَلِكَ .

وَقَالَ قَاتِدٌ : إِذَا دَخَلْتَ بَيْتَ صَدِيقِكَ ، فَلَا يَأْكُلْ بِغَيْرِ إِذْنِهِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جَنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَانًا﴾ قَالَ عَلَيْ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ ،

[١] الْمُسْنَدُ (١٧٩/٢) ، وَسَنْ أَبِي دَاؤِدَ ، كِتَابُ الْبَيْوَعِ ، حَدِيثُ (٣٥٣٠) ، وَسَنْ أَبِي مَاجَةَ ، كِتَابُ

الْبَيْوَعِ حَدِيثُ (٢٢٩٢) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

[٢] - فِي زِ : «الْلَّفْظَةِ» .

[٣] - سَقْطٌ مِنْ زِ .

[٤] - سَقْطٌ مِنْ زِ .

[٥] - فِي زِ : «فَقَالَ» .

عن ابن عباس في هذه الآية : وذلك لما أنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ قال المسلمين : إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بينما بالباطل ، والطعام هو أفضل [١] الأموال ، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد ، ففكَّ الناس عن ذلك . فأنزل الله : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حِرْجٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَوْ صَدِيقَكُمْ ﴾ . وكانوا أيضاً يأنفون ويترحجون أن يأكل الرجل الطعام وحده ، حتى يكون معه غيره ، فرخص الله لهم في ذلك ، فقال : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ﴾ .

وقال قتادة : وكان هذا الحبي منبني كثانة ، يرى أحدهم أن مخراة عليه أن يأكل وحده في الجاهلية ، حتى إن كان الرجل ليشوق الذود الحفل وهو جائع ، حتى يجد من يؤاكله ويشاربه ، فأنزل الله : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ﴾ .

فهذه رخصة من الله تعالى في أن يأكل الرجل وحده ، ومع الجماعة ، وإن كان الأكل مع الجماعة أفضل وأبرك ؛ كما رواه الإمام أحمد : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ ابْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ وَحْشَى بْنِ حَرْبٍ ، عَنْ أَيْيَهِ ، عَنْ جَدِّهِ ؛ أَنْ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ؟! قَالَ : « فَلَعْلَكُمْ [٢] تَأْكُلُونَ مُتَفَرِّقِينَ ، اجْتَمَعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ يَئَارِكُ لَكُمْ فِيهِ ». .

ورواه أبو داود وابن ماجة من حديث الوليد بن مسلم به^(١٩٦) .

وقد روى ابن ماجة أيضاً ، من حديث عمرو بن دينار القيصراني ، عن سالم ، عن أبيه ، عن عمر ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « كُلُوا جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّقُوا ؛ فَإِنَّ الْبَرَكَةَ مَعَ الْجَمَاعَةِ »^(١٩٧) .

(١٩٦) المسند (٥٠١/٣) (١٦١٢٦) وإسناده ضعيف ؛ وحشى بن حرب : قال صالح جزرة : لا يشتغل به ، ولا بأبيه « الميزان » وفي التقريب : مستور . وحرب بن وحشى بن حرب : ذكره ابن حبان في الثقات . وقال البزار : مجھول في الرواية معروف في النسب . روی له د ، ق حدیثاً واحداً . وفي التقریب : مقبول . والحديث رواه أبو داود في كتاب الأطعمة ، باب : الاجتماع على الطعام (٣٤٦/٣) حديث (٣٧٦٤) . وابن ماجه في كتاب الأطعمة ، باب : الاجتماع على الطعام (٣٤٦/٣) حديث (١٠٩٣) حدیث (٣٢٨٦) . والطبراني في الكبير (٣٩/٢٢) حدیث (٣٦٨) . وابن حبان كما في الموارد (١٣٤٥) . والحاکم (٢/١٠٣) . شاهداً ، وسكت عنه . وحسنه الشیخ الألبانی بشواهدہ کما فی السلسلة الصحيحة (٦٦٤) . وصحیح أبي داود ٣١٩٩ . وصحیح ابن ماجه (٢/٢٢٨) حدیث (٢٦٥٧) .

(١٩٧) سنن ابن ماجه حدیث (٣٢٨٧) ، وقال البيوصیری في الروایات (٣/٧٧) : « هذا إسناد ضعیف ». .

[٢] - في خ : « لعلكم ». .

[١] - بعده في خ : من .

وقوله : ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بَيْوَاتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُم﴾ . قال سعيد بن جبير والحسن البصري وقتادة والزهري : يعني [١] فليس لم بعضكم على بعض .

و[٢] قال ابن حريج : حدثنا أبو الزبير : سمعت جابر بن عبد الله يقول : إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة . قال : ما رأيته إلا يوجبه . قال ابن حريج : وأخبرني زياد ، عن ابن طاوس أنه كان يقول : إذا دخل أحدكم [٣] بيته فليس له .

قال ابن حريج : قلت لعطا : أواجب إذا خرجت ثم دخلت أن أسلم عليهم ؟ قال : لا ، [٤] ولا أثر وجوبه عن أحد ، ولكن هو أحب إلى ، وما أدعه إلا ناسيا .

وقال مجاهد : إذا دخلت المسجد فقل : السلام على رسول الله ، وإذا دخلت على أهلك فسلم عليهم ، وإذا دخلت بيتك ليس فيه أحد فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

[وروى الثوري ، عن عبد الكريم الجزار ، عن مجاهد : إذا دخلت بيتك ليس فيه أحد فقل : بسم الله ، والحمد لله السلام علينا من ربنا ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين [٥] .]

وقال قتادة : إذا دخلت على أهلك ، فسلم عليهم ، وإذا دخلت بيتك ليس فيه أحد ، فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإنه كان يؤمر بذلك ، وحدثنا أن الملائكة ترد عليه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا عَوْبَدُ بْنُ أَبِي عَمْرَانَ الْجَوَانِيَّ ، عن أبيه ، عن أنس قال : أوصاني النبي - صلى الله عليه وسلم - بخمس خصال ، قال : « يا أنس ، أسبغ الوضوء يَرَدُ في عمرك ، وسلّم على من لقيك من أمتي تكثُر حسانتك ، وإذا دخلت - يعني : بيتك - فسلم على أهل بيتك ، يكثُر خير بيتك ، وصل صلاة الشخصي فإنها صلاة الأولين قبلك ، يا أنس ، ارحم الصغير ، ووقر الكبير ، تكُن من رفقاء يوم القيمة » (١٩٨) .

(١٩٨) ورواه ابن عدي في الكامل (٣٨٢/٥) من طريق موسى عن عوبد بن أبي عمران الجوني ، به . ونقل عن البخاري : « عوبد بن أبي عمران ، عن أبيه منكر الحديث » ثم قال ابن عدي : « وعوبد بين على حد بيته الضعف » .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من خ .

[٥] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿ تَحْيَةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ قال محمد بن إسحاق^[١] : حدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه كان يقول : ما أخذت التشهد إلا من كتاب الله ، سمعت الله يقول : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بَيْوَنًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحْيَةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ ، فالشهد في الصلاة : التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبد ورسوله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . ثم يدعو لنفسه ويسلم .

هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث ابن إسحاق .

والذي في صحيح مسلم^[١٩٩] ، عن ابن عباس ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخالف هذا ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ كَذَلِكَ يَبْيَنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعْلَكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ، لما ذكر تعالى ما في هذه السورة الكريمة من الأحكام الحكمة ، والشرائع المتقدمة البرمة ، نبه تعالى على أنه يُبيّن لعباده الآيات بياناً شافياً ، ليتدبروها ويتعلّمُونها [لعلهم يعقلون]^[٢] .

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُمْ عَلَيْهِمْ جَامِعٌ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَغْفِرُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَغْفِرُونَ لَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْتَلُوكُمْ بِعِصْرٍ شَأْنِهِمْ فَأَذْنَ لَمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ اللَّهُ أَكْ أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ



وهذا أيضاً أدب أرشد الله عباده المؤمنين إليه ، فكما أمرهم بالاستدanza عند الدخول ، كذلك أمرهم بالاستدanza عند الانصراف ، لا سيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - من صلاة الجمعة أو عيد أو جماعة ، أو اجتماع [لمشورة]^[٣] ونحو

(١٩٩) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة حديث (٤٠٣) ولفظه : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلّم الشهد كما يعلّمها السورة من القرآن ، فكان يقول : « التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » .

[١] - في خ : « الحسين » .

[٢] - ما بين المقوفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في خ : « في مشورة » .

ذلك ، أمرهم الله تعالى أن لا يتصرفوا^[١] عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته ، وإن من يفعل ذلك فهو^[٢] من المؤمنين الكاملين .

ثم أمر رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - إذا استأذن أحد منهم في ذلك أن يأذن له إن شاء ، ولهذا قال : ﴿فَإِذَا مَنْ شَتَّتْ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ [إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]^[٣] .﴾

وقد قال أبو داود^(٤) : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَبْيَلٍ وَمُسْتَدْدَ قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرٌ - هُوَ ابْنُ الْمُفْضَلِ - عَنْ ابْنِ عَجْلَانَ ، عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبَرِيِّ ، عَنْ أَبِي هَرِيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا اتَّهَمْتُمْ أَحَدَكُمْ إِلَى الْجَلْسِ فَلِيَسْلِمْ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ فَلِيَسْلِمْ ، فَلَيَسْتَ [٤] الْأُولَى بِأَحْقَنَ مِنَ الْآخِرَةِ ». وَهَكُذا رَوَاهُ التَّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَجْلَانَ بِهِ ، وَقَالَ التَّرْمِذِيُّ : حَسْنٌ .

لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءً بَعْضُكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ
الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَادِأَ فَلَيَخْذُرِ الَّذِينَ يَخْالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبُهُمْ
فِتْنَةً أَوْ يُصِيبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا



قال الضحاك ، عن ابن عباس : كانوا يقولون : « يا محمد » ، « يا أبا القاسم » ، فنهاهم الله - عز وجل - [عن ذلك]^[٥] ، إعطاءً لنبيه - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : فقالوا : يا رسول الله ، يا نبي الله . وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير . وقال قتادة : أمر الله أن يهاب نبيه - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأن يتتجَّل ، وأن يعظم ، وأن يسود^[٦] . وقال مقاتل [ابن حيان^[٧]] في قوله : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءً بَعْضُكُمْ بَعْضًا^[٨] » ، يقول : لَا تُسْمِّهُ إِذَا دَعَوْتُمْهُ « يا محمد » ، ولا تقولوا : « يا ابن عبد الله » ، ولكن شرفوه فقولوا : « يا نبي الله » ، « يا رسول الله » .

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءً

(٢٠٠) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : في السلام إذا قام من المجلس حدث (٥٢٠٨) ، وسنن الترمذى في الاستئذان حدث (٢٧٠٦) ، والنسائي في السنن الكبرى حدث (١٠٢٠١) .

[١] - في خ : « ينفرقوا » .

[٢] - مكانها في ت : « الآية » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - ما بين المukofoatin سقط من : ز .

[٥] - في ز : « يود » .

[٦] - ما بين المukofoatin سقط من : ت .

[٧] - ما بين المukofoatin سقط من : ت .

بعضكم بعضاً) ، قال : أمرهم الله [١] أن يشرفوه . هذا قول ، وهو الظاهر من السياق ، كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظروا واسمعوا) .

وقوله : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجبروا له بالقول كجهر بعضكم البعض أن تحيط أعمالكم وأتتم لا تشعرون) إلى قوله : (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم) الآية [٢] وهذا [٣] كله من باب الأدب [٤] [٥] في مخاطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - والكلام معه ، وعنده ، كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته [٦] .

والقول الثاني في ذلك : أن المعنى في : (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) ، أي : لا تعتقدوا أن دعاءه على غيره كدعاء غيره ، فإن دعاءه مستجاب ، فاحذروا أن يدعوكم فتهلكوا . حكاه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن البصري وعطاء العوفي ، والله [٧] أعلم .

وقوله : (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً) ، قال مقاتل بن حيان : هم المنافقون ، كان يشق عليهم الحديث في يوم الجمعة - يعني بالحديث : الخطبة - فيلوذون بعض أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - حتى يخرجو من المسجد ، وكان [٨] لا يصلح [٩] للرجل أن يخرج من المسجد إلا ياذن من النبي - صلى الله عليه وسلم - في يوم الجمعة ، بعد ما يأخذ في الخطبة ، وكان إذا أراد أحدهم الخروج أشار بأصبعه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فإذا ذن له من غير أن يتكلم الرجل ؛ لأن الرجل منهم [١٠] كان إذا تكلم والنبي - صلى الله عليه وسلم - يخطب ، بطلت جمعته .

وقال السدي : كانوا إذا كانوا معه في جماعة لاذ بعضهم ببعض ، حتى يتغيبوا عنه ، فلا يراهم .

وقال قتادة في قوله : (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً) [يعني : لواذاً عن النبي الله وعن كتابه .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « الآداب » .

[٦] - في ز : « فالله » .

[٨] - في ت : « يصح » .

[٣] - في ز : « فهذا » .

[٥] - ما بين المعکوفین سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز : « فكان » .

[٩] - سقط من : ز .

وقال سفيان : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لَوَادًا ﴾ ، قال : من الصف . وقال مجاهد في الآية : ﴿ لَوَادًا ﴾ : [١] خلافا .

وقوله : ﴿ فَلَيَحْذِرُ الَّذِينَ يَخْالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ ، أي : عن أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و[٢] سبيله هو ومنهاجه ، وطريقته ، وستته [٣] ، وشريعته ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله ، فما وافق ذلك قبل ، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله ، كائناً من [٤] كان ، كما ثبت في الصحيحين [٥] وغيرهما ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ ». أي : فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنًا أو [٦] ظاهرًا ﴿ أَنْ تَصِيبُهُمْ فَسْتَةٌ ﴾ ، أي : في قلوبهم ، من كفر أو نفاق أو بدعة ، ﴿ أَوْ يَصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، أي : في الدنيا ، بقتل أو حَدٍّ أو حبس ، أو نحو ذلك .

قال الإمام أحمد [٧] : حَدَّثَنَا عبد الرزاق ، حَدَّثَنَا معمر ، عن همام بن مُبَّهٍ قال : هذا ما حَدَّثَنَا أبو هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا ، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهي هذه الدواب الاتي [٨] يقعن [في النار يقعن] [٩] فيها ، يجعل يبحزهن ويغلبهن ويتحمّن [١٠] فيها ، قال : فذلك مثلي ومثلكم ، أنا آخذ بمحجزكم عن النار ، هلم عن النار ! فتغلبني وتقتحمون فيها ». آخر جاه من حديث عبد الرزاق .

أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيَنْتَهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ يَكْلِ شَيْءٍ عَلَيْمٌ



يعبر تعالى أنه مالك السموات والأرض ، وأنه عالم [غيب السموات والأرض] [١] ، وهو عالم بما العباد عاملون في سرهم وجههم ، فقال : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ « وقد » للتحقيق ، كما قال قبلها : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لَوَادًا ﴾ ، وقال تعالى :

[٢٠١] صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، حديث (٢٦٩٧) ، وصحيح مسلم ، كتاب الأقضية (١٧١٨) .

[٢٠٢] المسند (٣١٢/٢) ، ومسلم في الفضائل (٤٢٨٤) وليس عند البخاري من هذا الطريق .

[١] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في خ : هو .

[٣] - في خ : « و » .

[٤] - ما بين المukoفين سقط من : ز .

[٥] - في خ : « الغيب والشهادة » .

[٦] - في ز : « الاتي » .

[٧] - في ز : « يتحمّن » .

﴿ قد يعلم الله المعquin منكم [والقائلين لأخوانهم هلم إلينا]^[١] ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها [وتشتكي إلى الله والله يسمع تجاوركم كما إن الله سميع بصير]^[٢] ﴾ وقال : ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الطالبين بآيات الله يجحدون]^[٣] ... الآية . وقال : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء]^[٤] فكل هذه الآيات فيها تحقيق الفعل بـ «قد» ، كما يقول المؤذن تحقيقاً وثبوتاً : (قد قامت الصلاة . قد قامت الصلاة) . قوله^[٥] تعالى : ﴿ قد يعلم ما أنتم عليه]^[٦] ، أي : هو عالم به ، مشاهد له ، لا يعزب عنه مثقال ذرة ، كما قال تعالى : ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم]^[٧] إلى قوله : ﴿ إنه هو السميع العليم]^[٨] . قوله^[٩] تعالى : ﴿ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعلمون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيفون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين]^[١٠] ، وقال تعالى : ﴿ فمن هو قائم على كل نفس بما كسبت]^[١١] أي : هو شهيد على عباده بما هم فاعلون من خير وشر ، وقال تعالى : ﴿ ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرعون وما يعلنون]^[١٢] الآية^[١٣] ، وقال تعالى : ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهور به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار]^[١٤] وقال تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين]^[١٥] ، وقال : ﴿ وعنه مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين]^[١٦] والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جداً .

وقوله : ﴿ ويوم يرجعون إليه]^[١٧] ، أي : ويوم ترجع الخلائق إلى الله - وهو يوم القيمة - ﴿ فيبئهم بما عملوا]^[١٨] ، أي : يخبرهم بما فعلوا في الدنيا ، من جليل وحقير ، وصغير وكبير ، كما قال تعالى : ﴿ يربا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر]^[١٩] ، وقال : ﴿ ووضع الكتاب فترى الجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً]^[٢٠] ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ ويوم يرجعون إليه فيبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم]^[٢١] ، والحمد لله رب العالمين ، ونسأله التمام .

* * *

[١] - مكانها في ت : « الآية ».

[٢] - مكانها في ت : « الآية ».

[٤] - في ز : « قال » .

[٣] - في ز : « قوله » .

[٥] - سقط من : ز .

تفسير سورة الفرقان

وهي مكية

بَارَكَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ
شَيْءٍ فَقَدْرُهُ قَدِيرًا ﴿٢﴾

يقول تعالى حامداً نفسه^[١] الكريمة على ما نزله على رسوله الكريم من القرآن العظيم ، كما قال تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَوْجَانًا * قَيْمًا لَيَنْذِرَ بِأَسَا
شَدِيدًا مِنْ لَدْنِهِ وَيُشَرِّعَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ ... الآية^[٢] ، وقال هنا :
﴿تَبَارَكَ﴾ ، وهو تفاعل ، من البركة المستقرة [الدائمة الثابتة]^[٣] ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ ؛
نزل : فَقِيلَ ، من التكرر والتكرر ، كما قال : ﴿وَالْكِتَابُ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابُ
الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ ؛ لأن الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة والقرآن [نزل]^[٤]
منجماً [مفرقاً]^[٥] مفصلاً آيات بعد آيات ، وأحكاماً بعد أحكام ، وشواراً بعد سور ، وهذا
أشد وأبلغ ، وأشد اعتماداً من أنزل عليه ؛ كما قال في أثناء هذه السورة : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جَمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لَنْثِتَ بِهِ فَوَادِكَ وَرَتِلَاهُ تَرِيَلًا * وَلَا يَأْتُونَكَ بِمِثْلِ إِلَّا
جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ، ولهذا سماه هاهنا الفرقان ، لأنه يفرق بين الحق والباطل ،
والهدى والضلال ، والغنى والرشاد ، و[الحرام والحلال] .

وقوله : ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ ، هذه صفة مدح وثناء ، لأنه^[٦] أضافه إلى عبوديته ، كما وصفه
بها في أشرف أحواله ، وهي ليلة الإسراء ، فقال : ﴿سَبَحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعِنْدِهِ لَيْلًا﴾ ،
وكما وصفه بذلك في مقام الدعوة إليه : ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ
لَبَدًا﴾ ، وكذلك وصفه عند إنزال الكتاب عليه ونزول الملك إليه ، فقال : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ
الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ .

وقوله : ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ، أي : إنما خصه بهذا الكتاب العظيم المفصل
المحكم ، الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ الذي

[١] - في ت : «نفسه» .

[٢] - زيادة من : ت .

[٣] - ما بين المعکوفین في خ : «الثابتة الدائمة» .

[٤] - ما بين المعکوفین سقط من : ت .

[٥] - ما بين المعکوفین سقط من : ت .

[٦] - في ز : «لا» .

جعله فرقانًا عظيمًا ، إنما خصه به ليخصه بالرسالة^[١] إلى من يستظل بالحضراء ، ويستقل على الغبراء^[٢] ، كما قال صلوات الله وسلامه عليه : « يُعْثِتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ »^[٣] . وقال : « أُعْطِيَتْ خَمْسَةٌ لَمْ يُعْطُهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي »^[٤] ، فذكر منها : أنه « كَانَ النَّبِيُّ يَعْثِتُ إِلَى قَوْمِهِ [خاصة]^[٥] ، وَيَعْثِتُ إِلَى النَّاسِ عَامَةً »^[٦] .

وقال الله تعالى : « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مَلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَحْيِي وَيَمْبَتِّعُهُ » ، أي : الذي أرسلني هو مالك السموات والأرض ، الذي يقول للشيء كن فيكون ، وهو الذي يحيي ويميت ، وهكذا قال هنا : « الَّذِي لَهُ مَلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَخَذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ » ، فنزع نفسه عن الولد ، وعن الشريك .

ثم أخبر أنه « خلق كل شيء فقدره تقديرًا »^[٧] أي : كل شيء مما سواه مخلوق مربوب ، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه ولده ، وكل شيء تحت [قدره وتقديره]^[٨] وتسخيره ، وتدريجه [٩] .

وَأَخْذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ
لِأَنَّفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا



يخبر تعالى عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله ، الخالق لكل شيء ، المالك للأمراء الأمور ، الذي ما شاء كان وما لم يشاً لم يكن ، ومع هذا عبدوا معه من الأصنام ما لا يقدر على خلق جناح بعوضة ، بل هم مخلوقون ، ولا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا ، فكيف يملكون لعبادتهم ؟ ! « وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا »^[١٠] ، أي : ليس إليهم من ذلك شيء ، بل ذلك مرجعه كله إلى الله - عز وجل - فهو^[١١] الذي يحيي ويميت ، وهو الذي يعيد الخالقين يوم القيمة أولهم وأخرهم ، « مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعْثَكُمْ إِلَّا كُنْفُسَ وَاحِدَةٍ »^[١٢] ، « وَمَا أَمْرَنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلْمَحَ بَالْبَصَرِ »^[١٣] قوله^[١٤] : « فَإِنَّمَا هِيَ زِجْرَةُ وَاحِدَةٍ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ »^[١٥] ، « إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِحَّةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لِدِينِنَا مَحْضُرُونَ »^[١٦] ، فهو الله

(١) رواه مسلم في صحيحه حديث (٥٢١) هو والذى يليه من حديث جابر ، رضي الله عنه .

(٢) رواه الطبراني في تفسيره (١٤٠/١٨) من طريق سفيان به مرسلًا .

[١] - ما بين المukoفين في ت : « خاصة » .

[٢] - في ت : « برسالته » .

[٣] - ما بين المukoفين في ت : « وتقديره » .

[٤] - في ت : « قهره » .

[٥] - في ت : « لهم » .

[٦] - سقط من : ت .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

الذي لا إله غيره ، ولا رب سواه ، ولا تنبغي العبادة إلا له ، لأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن . وهو الذي لا ولد له ولا والد ، ولا عديل ولا نديد ولا وزير ولا نظير ، بل هو الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ أَفْتَرَنَا وَأَعْنَاهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَاخْرُونَ ﴿٣﴾
 جَاءُوكُمْ ظُلْمًا وَرُؤْلًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسْطَيْرُ الْأَوَّلِينَ أَكَتَبْتَهَا فَهِيَ تُمَلَّ عَلَيْهِ
 بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّمَا
 كَانَ عَفْوًا رَحِيمًا ﴿٦﴾

يقول تعالى مخيراً عن سخافة عقول الجهلة من الكفار ، في قولهم عن القرآن : ﴿١﴾ إن هذا إلا إفك ، أي : كذب ، ﴿٢﴾ افتراء ، يعنيون النبي صلى الله عليه وسلم ﴿٣﴾ وأعاده عليه قوم آخرون ، أي : واستعن على جموعه بقوم آخرين ؛ قال [١] الله تعالى : ﴿٤﴾ فقد جاءوا ظلماً وزوراً ، أي : فقد افترروا هم قولًا باطلًا ، هم يعلمون أنه باطل ، ويعردون كذب أنفسهم فيما يزعمون ﴿٥﴾ وقالوا أساساً أسطير الأولين اكتتبها ، يعنيون كتب الأوائل ، [أي : استحسنها] [٢] ، ﴿٦﴾ فهي تعلى عليه ، أي : تقرأ عليه ﴿٧﴾ بكرة وأصيلاً ، أي : في أول النهار وأخره وهذا الكلام - لسخافته وكذبه وتهتها ﴿٨﴾ كل أحد يعلم [٩] منهم بطلاقه ، [فإنه قد علم [١٠] بالتواتر وبالضرورة : أن محمداً رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يعني شيئاً من الكتابة ، لا في أول عمره ولا في آخره ، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى أن بعثه الله نحوها من أربعين سنة ، وهم يعرفون مدخله ومخرجيه ، وصدقه [وبره وأمانته ونراحته من [١١] الكذب والفحور ، وسائر الأخلاق الرذيلة ، حتى إنهم [لم يكونوا [١٢] يسمونه في صغره إلى أن بعث [١٣] الأمين ؛ لما يعلمون من صدقه وبره ، فلما أكرمه الله بما أكرمه به ، نصبوا له العداوة ، ورمأوه بهذه الأقوال التي يعلم كل عاقل براعته منها ، وحارروا ماذا [١٤] يقدرونها به ، فتارة من إفکهم يقولون : ساحر ، وتارة يقولون : شاعر ، وتارة يقولون : مجنون ، وتارة يقولون : كذاب ، [قال [١٥] الله تعالى : ﴿٩﴾ انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون

[١] - في ت : « قال » .

[٢] - ما بين المukoفين في ت : « استنسخها » .

[٣] - ما بين المukoفين في ت : « يعلم كل أحد » . [٤] - ما بين المukoفين زيادة من : ت .

[٥] - في ت : « ونراحته وبره وأمانته وبعده عن » . [٦] - في ت : « كانوا » .

[٧] - سقط من : ت .

[٨] - في ت : « فيما » .

[٩] - في ت : « وقال » .

سِيَّلًا ﴿١﴾ وَقَالَ تَعَالَى فِي جَوَابِ مَا عَانِدُوا هُنَّا وَافْتَرُوا : ﴿فَلَمَّا أَنْزَلَهُ اللَّهُ الَّذِي يَعْلَمُ السُّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية [١] ، أَيْ : أَنْزَلَ الْقُرْآنَ الْمُشْتَمِلَ عَلَى أَخْبَارِ الْأُولَئِنَّ وَالآخْرِينَ إِحْبَارًا حَقًّا صِدْقًا ، مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ فِي الْخَارِجِ ، ماضِيًّا وَمُسْتَقْبَلًا ، ﴿أَنْزَلَهُ اللَّهُ الَّذِي يَعْلَمُ السُّرَّ﴾ أَيْ : اللَّهُ الَّذِي يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَيَعْلَمُ السَّرَّائِرَ كَعْلَمَهُ بِالظَّوَاهِرِ .

وَقُولُهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ، دُعَاءُ لَهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالإِنْتَابَةِ ، وَإِخْبَارُ لَهُمْ [٢] بِأَنَّ رَحْمَتَهُ وَاسِعَةٌ ، وَأَنَّ حَلْمَهُ [٣] عَظِيمٌ ، وَأَنَّ مِنْ تَابَ إِلَيْهِ تَابَ عَلَيْهِ ، فَهُؤُلَاءِ - مَعَ كُذُبِهِمْ وَانْقَرَاهُمْ وَفَجُورِهِمْ ، وَبِهِتَّهُمْ وَكُفْرِهِمْ وَعَنَادِهِمْ ، وَقُولُهُمْ عَنِ الرَّسُولِ وَالْقُرْآنِ مَا قَالُوا - يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِقْلَاعِ عَمَّا هُمْ فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْهُدَى ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿لَقَدْ كَفَرُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةَ وَمَا مِنَ الْإِلَهِ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ، وَإِنْ لَمْ يَتَهَوَّ عَمَّا يَقُولُونَ لِيَمْسِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ . أَفَلَا يَتَبَوَّءُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتَبَوَّءُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ . قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْكَرْمِ وَالْجُودِ ، قَتَلُوا أُولَيَّاءَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ !

وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الظَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسَوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴿٨﴾ وَقَالَ الظَّلَّمُونَ إِنَّ تَشَيَّعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٩﴾ أَنْظُرْنَاهُ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِعُونَ سَيِّلًا ﴿١٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّتَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١١﴾ بَلْ كَذَبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدُنَا لَمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِذَا رَأَتُهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغْيِطًا وَزَفِيرًا ﴿١٣﴾ وَلَذَا أَلْقَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّبًا دَعَوْا هُنَالِكَ شُبُورًا ﴿١٤﴾ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ شُبُورًا وَنَجِدًا وَأَدْعُوا شُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٥﴾

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « حكمه » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

يُخبر تعالى عن تعنت الكفار وعنادهم ، وتكذيبهم للحق بلا حجة ولا دليل منهم ، وإنما تعللوا بقولهم [١] : ﴿ مَا لَهُذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ﴾ ، يعنون : كما نأكله ، ويحتاج إليه كما نحتاج [٢] ، ﴿ وَيَشِيُّ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ ، أي : يتعدد فيها وإليها طلبًا للاكتساب [٣] والتجارة ، ﴿ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلْكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ ، يقولون : هلا أنزل إله ملك [٤] من عند الله ، فيكون له شاهدًا على صدق ما يدعوه ! وهذا كما قال فرعون : ﴿ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ أَسْوَرَةً ﴾ من ذهب أو جاء معه الملائكة مقتربين [٥] . وكذلك قال هؤلاء على السواء ، تشابهت قلوبهم ، ولهذا قالوا : ﴿ أَوْ يَلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ ﴾ ، أي : علم كنز [٦] ينفق منه ، ﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ ، أي : تسير معه حيث سار . وهذا كله سهل يسير على الله ، ولكن له الحكمة في ترك ذلك ، وله الحجة البالغة . ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا رِجَالًا مَسْحُورًا ﴾ . قال الله تعالى : ﴿ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا ﴾ أي : جاءوا بماذا [٧] يقدرونك [٨] ، ويكتذبون به عليك ، من قولهم « ساحر ، مسحور ، مجنون ، كذاب ، شاعر » ، وكلها أقوال باطلة ، كل أحد من له أدنى فهم وعقل يعرف كذبهم وافتراءهم في [٩] ذلك ، ولهذا قال : ﴿ فَضَلُّوا ﴾ أي [١٠] : عن طريق الهدى ، ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَيِّلًا ﴾ ، وذلك لأن كل من خرج عن الحق ، فإنه ضال حيشهما [١١] توجه ، لأن الحق واحد ومنهج [١٢] متعدد ، يصدق بعضه ببعضًا .

ثم قال تعالى مخبرًا نبيه ، أنه لو [١٣] شاء لآتاه خيرًا مما يقولون في الدنيا ، وأفضل وأحسن ، فقال : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قَصْرًا ﴾ .

قال مجاهد : يعني في الدنيا ، قال : وقرיש يسمون كل بيت من حجارة قصرا ، سواء كان كبيرًا أو صغيرًا .

وقال سفيان الثوري [١] ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن حيثمة ، قيل للنبي - صلى الله عليه وسلم - : إن شئت أن نعطيك خزائن الأرض ومفاتيحها ما لم يُعْطِ [٢] نبئي قبلك ، ولا

[١] تفسير الطبرى (١٤٠/١٨) .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من : ت .

[١] - في ت : « بقوله » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « للتكسب » .

[٦] - ما بين المعكوفين سقط من : ت .

[٥] - في ز ، خ : « أساورة » .

[٨] - في ت : « به » .

[٧] - في ت : « بما » .

[١٠] - سقط من : ت .

[٩] - في ت : « على » .

[١٢] - في ت : « منهجه » .

[١١] - في خ ، ز : « خييث ما » .

[١٤] - في ت : « يعطه » .

[١٣] - في ت : « إن » .

يُعطى أحد من بعده ، ولا ينقص ذلك مما لك عند الله ؟ فقال : أجمعوها لي في الآخرة . فأنزل الله - عز وجل - في ذلك : ﴿ تبارك الذي إِن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهر ويجعل لك قصوراً ﴾ وقوله : ﴿ بَلْ كَذَبُوا بِالسَّاعَةِ ﴾ ، أي : إنما يقول هؤلاء هكذا تكذبنا وعندنا ، لا أنهم يطلبون ذلك تبصراً واسترشاداً ، بل تكذبهم يوم القيمة يحملهم على قول ما يقولونه من هذه الأقوال . ﴿ وَأَعْنَدُنَا ﴾ ، أي : أرصدنا ﴿ لِمَن كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ ، أي : عذاباً أليماً حاراً لا يطاق في نار جهنم .

وقال الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن سعيد بن جبير : السعير : واد من قبح جهنم .

وقوله : ﴿ إِذَا رَأَتُهُم ﴾ ، أي : جهنم ﴿ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ، يعني : في مقام المشر - قال السدي : من مسيرة مائة عام - ﴿ سَمِعُوا لَهَا تَفِيقًا وَزَفِيرًا ﴾ ، أي : حنقاً عليهم ، كما قال تعالى : ﴿ إِذَا أَلْقَوْا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَبْيَضُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ ، أي : يكاد ينفصل بعضها من بعض ، من شدة غيظها على من كفر بالله .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا إدريس بن حاتم بن الأخفى^[١] الواسطي - أنه سمع محمد بن الحسن الواسطي ، عن أصيبيخ بن زيد ، عن خالد بن كثير ، عن خالد بن ذريك^[٢] ، عن رجل من أصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « من يقل على ما لم أقل ، أو ادعى إلى غير والديه ، أو التمسي إلى غير مواليه فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً ». قيل : يا رسول الله ، وهل لها من عينين ؟ قال : « أما سمعتم الله يقول : ﴿ إِذَا رَأَتُهُم مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ الآية ». رواه ابن جرير عن محمود^[٣] بن خداش ، عن محمد بن يزيد الواسطي ، به .

وقال أيضاً : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنانسي ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عيسى بن شليم ، عن أبي وايل قال : خرجنا مع عبد الله - يعني : ابن مسعود - ومعنا الريبع ابن خثيم^[٤] فمروا على حداد ، فقام عبد الله ينظر إلى حديدة في النار ، ونظر الريبع بن خثيم^[٥] إليها ، فتمايل ليسقط ، فمر عبد الله على أتون^(٦) على [شاطئ]^[٧] الفرات ، فلما رأه عبد الله والنار تلتهب في جوفه ؛ قرأ هذه الآية : ﴿ إِذَا رَأَتُهُم مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَفِيقًا وَزَفِيرًا ﴾ فصعق^[٨] - يعني : الريبع [بن خثيم]^[٩] - فحملوه^[٩] إلى [أهل]^[١٠] ، ورابطه^(١٠)

[١] - في ت : « الأخفيف » .

[٢] - في ت : « محمد » .

[٣] - في ت : « خثيم » .

[٤] - ما بين المعقوفين سقط من : ت .

[٥] - الأتون : الموقف الكبير ، كموقد الحمام والجحاص . [٧] - في ز ، خ : « صدق » .

[٦] - ما بين المعقوفين سقط من : ت . [٩] - في ت : « وحملوه » .

[٨] - ما بين المعقوفين في ت : « أهل بيته » .

[١٠] - []

عبد الله إلى الظُّهُر فلم يفق - رضي الله عنه - .

وحدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : إن العبد ليجر إلى النار ، فتشهق إليه شهقة البغة إلى الشعير ، ثم تزفر زفراة لا يبقى أحد إلا خاف .

هكذا رواه ابن أبي حاتم مختصراً ، وقد رواه الإمام أبو جعفر بن جرير :

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا عبد الله بن موسى ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : إن الرجل ليجر إلى النار ، فتنزوئ وتتقبض بعضها إلى بعض ، فيقول لها الرحمن : ما لك ؟ قالت : إنه يستجير مني . فيقول : أرسلوا عبدي . وإن الرجل ليجر إلى النار ، فيقول : يا رب ، ما كان هذا الظن بك ، فيقول : فما كان ظنك ؟ فيقول : أن تسعني رحمتك . فيقول : أرسلوا عبدي . وإن الرجل ليجر إلى النار ، فتشهق إليه النار شهوق البغة إلى الشعير ، وتزفر زفراة لا يبقى أحد إلا خاف . وهذا إسناد صحيح .

وقال عبد الرزاق^(٤) : أخبرنا معمر ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد بن عمير في قوله : ﴿ سمعوا لها تهيطاً وزفيرًا ﴾ ، قال : إن جهنم تزفر زفراة ، لا يبقى ملك []^[١] ولانبي إلا حَرَّ []^[٢] تَرْعَدْ فِرَاصَه^(***) ، حتى إن إبراهيم - عليه السلام - ليجشو على ركبتيه يقول : رب ، لا أسلك اليوم إلا نفسي .

وقوله : ﴿ وَإِذَا أَلْقَوْا مِنْهَا [٣] مَكَانًا ضِيقًا مُقْرَنِينَ [٤] ﴾ ، قال قتادة ، عن أبي أبوب ، عن عبد الله بن عمرو قال : مثل الزوج في الرمح أي : من ضيقه .

وقال عبد الله بن وهب^(٥) : أخبرني نافع بن يزيد ، عن يحيى بن أبي أبيب - يرفع الحديث إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه سئل عن قول الله : ﴿ وَإِذَا أَلْقَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقْرَنِينَ ﴾ ، قال : « والذى لفسي بيده ، إنهم ليستكرون في النار ، كما يستكره الوتد في الحائط » .

(٤) تفسير عبد الرزاق (٥٦/٢).

(٥) رواه ابن أبي حاتم ، كما في البر المشور (٢٤٠/٦) .

(*) أي : لازمه .

(**) - في ت : « لوجهه » .

(***) الفرائص : جمع فريضة : وهي لحمة بين الكتف والصدر ، ترتعد عند الخوف والفزع ، وهما فريضتان .

(*) - سقط من : ز ، خ .

وقوله : ﴿ مَقْرُنِينَ ﴾ ، قال أبو صالح : يعني : مكتفين ، ﴿ دُعَا هَنالكَ ثُبُرًا ﴾ ، أي : بالويل والخيبة ﴿ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُرًا وَاحْدًا وَادْعُوا ثُبُرًا كَثِيرًا ﴾ .

[قال [١] الإمام أحمد [٢] : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن يزيد ، عن أنس ابن مالك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « أول من يكسى حلة من النار إبليس ، فيضعها على حاجبيه ويسبحها من خلفه ، وذر بيته من بعده ، وهو ينادي : يا ثبوراه . وينادون : يا ثبورهم ! حتى يقفوا على النار ، فيقول : يا ثبوراه ! ويقولون : يا ثبورهم ! فيقال لهم : لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُرًا وَاحْدًا وَادْعُوا ثُبُرًا كَثِيرًا ». لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، ورواه ابن أبي حاتم ، عن أحمد بن سنان ، عن عفان ، به . ورواه ابن جرير ، من حديث حماد [٣] بن سلمة ، به .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُرًا وَاحْدًا وَادْعُوا ثُبُرًا كَثِيرًا ﴾ ، أي : لا تدعوا اليوم ولا واحداً ، وادعوا ولا كثيراً . وقال الضحاك : الثبور : الهلاك . والأظهر أن الثبور يجمع الهلاك والويل والخسار والدمار ، كما قال موسى لفرعون : ﴿ وَإِنِّي لأُظْنُكُ يَا فَرَعَوْنَ مُثْبُرًا ﴾ أي : هالكا ، وقال عبد الله بن الزبيري :

إذ أُجَارِيَ الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْغَيْرِيِّ ، وَمَنْ مَالَ مَيْلَةً مَثْبُرٌ
قُلْ أَذْلَكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخَلِيلِ الَّتِي وُعِدَ الْمُنْفَوْنُ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً
وَمَصِيرًا لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَلِيلُكُمْ كَانَ عَلَى رَيْكَ وَعَدًا مَسْتُولًا



يقول تعالى : يا محمد ، هذا الذي وصفناه من حال هؤلاء [٣] الأشقياء ، الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم ، فتلقاهم بوجه عبوس ، وبغيظ وزفير ، ويلقون في أماكنها الضيقه مقرئين ، لا يستطيعون حرaka ، ولا انتصارا ، ولا فكاكا مما هم فيه ؛ وهذا خير أم جنة الخلد التي وعدها الله للمتقين [٤] من عباده ، التي أعدها لهم ، وجعلها لهم جراء على ما أطاعوه في الدنيا ، وجعل مأتمهم إليها .

﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ﴾ من الملاذ : من مأكل ومشابب ، وملابس ومساكن ، ومرائب ومنظار ، وغير ذلك ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا يخطر على قلب أحد . وهم في

(٦) المسند (١٥٢/٣) ، وتفسير الطبرى (١٤١/١) .

[١] - في ت : « وقال » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ت : « أولك » .

[٤] - في ت : « المتقين » .

ذلك خالدون [دائمًا أبدًا]^[١] سرديًا بلا انقطاع و [لا زوال ولا انتفاء]^[٢] ولا يغون عنها حولاً . وهذا من وَعْدَ اللَّهِ الَّذِي تفضل به عليهم ، وأحسن به إليهم ، ولهذا قال : ﴿ كَانَ عَلَى رِبِّكَ وَعْدًا مُسْتَوْلًا ﴾ أي : لابد أن يقع وأن يكون ، كما حكاه أبو جعفر بن جرير عن بعض علماء العربية أن معنى قوله : ﴿ وَعْدًا مُسْتَوْلًا ﴾ أي : وعدا واجباً .

وقال ابن حجر ، عن عطاء ، عن ابن عباس : ﴿ كَانَ عَلَى رِبِّكَ وَعْدًا مُسْتَوْلًا ﴾ ، يقول : سلوا الذي واعدكم - أو قال : واعدناكم - تنجز .

وقال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى : ﴿ كَانَ عَلَى رِبِّكَ وَعْدًا مُسْتَوْلًا ﴾ : إن الملائكة تسأل لهم ذلك ، ﴿ رَبِّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتَ عَدْنَ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ﴾ .

وقال أبو حازم : إذا كان يوم القيمة ، قال المؤمنون : ربنا عملنا لك بالذي أمرتنا^[٣] ، فأنجز لنا ما وعدتنا . فذلك قوله : ﴿ وَعْدًا مُسْتَوْلًا ﴾ وهذا المقام في هذه السورة من ذكر النار ، ثم التبيه على حال أهل الجنة ، كما ذكر تعالى في « سورة الصافات » حال أهل الجنة ، []^[٤] وما فيها من النصرة والنجاة ، ثم قال : ﴿ أَذْلَكَ خَيْرَ نَزْلَةٍ أَمْ شَجَرَةُ الزَّرْقَوْنِ ۖ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ۗ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۗ طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رَعُوسُ الشَّيَاطِينِ ۗ فَلَمَّا هُمْ لَآكُلُونَ مِنْهَا فَمَا تَرَوْنَ مِنْهَا بَطْوَنَ ۗ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَثُوبًا مِنْ حَمِيمٍ ۗ ثُمَّ إِنْ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ ۗ إِنَّهُمْ أَفْوَى أَبَاءِهِمْ ضَالِّينَ ۗ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُنْهَرُونَ ﴾

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ إِنَّمَا أَضَلَّنَّ أَهْلَلَتْمُ عَبَادَتِي هَكُوْلَاءَ أَمْ هُمْ ضَلَّلُوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سَيِّئَنَّكَ مَا كَانَ يَلْبَيِّنُ لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أُلْيَاءَ وَلَكِنْ مَتَعْتَهُمْ وَإِبَاءَهُمْ حَتَّى نَسْوَا الْذِكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا نَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُلْقِهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾

يقول تعالى مخبراً عما يقع يوم القيمة من تجريع الكفار في عبادتهم من عبدوا من دون الله من الملائكة وغيرهم ، فقال : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ [٥] وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ، قال مجاهد :

[١] - ما بين المعقوفين في ت : « أَبَدًا دائمًا ». [٢] - سقط من : ز .

[٣] - في خ ، ز : « وعدتنا ». [٤] - ما بين المعقوفين في ز : « ثم ». .

[٥] - في ز ، خ : « نحشرهم » وهي قراءة : نافع ، وأبي عمرو ، وحمزة ، والكسائي ، وأبي عامر . وقد أبتنا قراءة حفص بن عاصم .

عيسى ، والغَيْرُ ، والملائكة . ﴿فِي قَوْلِ أَنْتَمْ أَضْلَلْتُمْ عَبَادِي هُؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلَّوْا السَّبِيلَ﴾ ، أي : فيقول [الرَّبُّ]^[١] تبارك وتعالى : أَنْتَمْ دَعَوْتُمْ هُؤُلَاءِ إِلَى عِبَادَتِكُمْ مِنْ دُونِي ، أَمْ هُمْ عَبْدُوكُمْ مِنْ تَلْقَاءِ أَنفُسِهِمْ ، مِنْ غَيْرِ دُعَوَةٍ مِنْكُمْ لَهُمْ ؟ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى﴾ عيسى ابْنُ مُرْيَمَ أَنْتَ قَلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَيْهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سَبَحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتَ قَلْتَ لِهِ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالَمُ الْغَيْبِ مَا قَلْتَ لَهُمْ﴾ ، إِلَى آخرِ الآيَةِ ، وَلَهُذَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا يُجِيبُ بِهِ الْمُعْبُودُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ﴿قَالُوا سَبَحَانَكَ مَا كَانَ يَبْغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أُولَيَاءِ﴾ . قَرَا الْأَكْثَرُونَ بِفَتْحِ «النُّونِ» مِنْ قَوْلِهِ ﴿نَتَّخَذَ مِنْ دُونِكَ أُولَيَاءِ﴾ ، أي : لِيَسْ لِلْخَلَقِ كُلَّهُمْ أَنْ يَعْبُدُوا أَحَدًا سَوْاكَ ، لَا نَحْنُ وَلَا هُمْ ، فَتَحَنَّ مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، بَلْ هُمْ قَالُوا ذَلِكَ مِنْ تَلْقَاءِ أَنفُسِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَمْرِنَا وَلَا رِضَانَا ، وَنَحْنُ بِرَأْءِهِمْ وَمِنْ عِبَادَتِهِمْ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾^[٢] جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهُؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سَبَحَانَكَ أَنْتَ وَلَيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّةَ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ .

وَقَرَا آخَرُونَ : ﴿مَا كَانَ يَبْغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أُولَيَاءِ﴾ ، أي : مَا يَبْغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَعْبُدَنَا ، فَإِنَا عَبِيدُ لَكَ ، فَقْرَاءُ إِلَيْكَ . وَهِيَ قَرِيبَةُ الْمَعْنَى مِنَ الْأُولَى .

﴿وَلَكُنْ مَعْتَهِمْ وَآبَاءِهِمْ﴾ ، أي : طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمَرُ ، حَتَّى نَسَا الذَّكْرُ ، أي : نَسَا مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ عَلَى أَلْسِنَةِ رَسُولِكَ ، مِنَ الدُّعَوَةِ إِلَى عِبَادَتِكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ .

﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أي : هَلْكَى . وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - وَمَالِكُ عَنِ الزَّهْرِيِّ - : أي : لَا خَيْرٌ فِيهِمْ . وَقَالَ ابْنُ الزَّبْرُعِيُّ حِينَ أَسْلَمَ :
يَا رَسُولَ الْمَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ^[٣] مَا فَتَّقْتُ إِذْ^[٤] أَنَا بُورٌ
إِذْ أَجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْغَيْرِيِّ ، وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورٌ
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فَقَدْ كَذَبْتُكُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ ، أي : فَقَدْ كَذَبْتُكُمُ الَّذِينَ عَبَدْتُمْ فِيمَا زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ لَكُمْ أُولَيَاءِ ، وَأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمُوهُمْ قَرِبَاتًا يَقْرِبُونَكُمْ إِلَيْهِ زَلْفَى ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمِنْ أَضْلَلْتُمْ
مَنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا
حَشَرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءٍ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ وَقَوْلُهُ : ﴿فَمَا يَسْتَطِعُونُ﴾^[٥] صَرْفًا
وَلَا نَصْرًا﴾ ، أي : لَا يَقْدِرُونَ عَلَى صِرَاطِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ ، وَلَا الانتصارُ لِأَنفُسِهِمْ ،﴾ وَمِنْ

[١] - مَا بَيْنَ الْمَعْكُوفَيْنِ سَقطَ مِنْ تَ .

[٢] - فِي تَ : «نَحْشُرُهُمْ» وَهِيَ قِرَاءَةُ الْجَمَهُورِ . وَأَثْبَتَنَا قِرَاءَةُ حَفْصَ بْنِ عَاصِمٍ .

[٣] - فِي زَ : «رَاتِقٌ» . [٤] - فِي زَ : «إِذَا» .

[٥] - فِي زَ ، خَ : «يَسْتَطِعُونَ» وَهِيَ قِرَاءَةُ الْجَمَهُورِ . وَالمُشَبَّثُ قِرَاءَةُ حَفْصَ بْنِ عَاصِمٍ .

يظلم منكم ﴿ ، أَيْ : يُشْرِكُ بِاللَّهِ فِي نَذْلَهِ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ .

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الْطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِتَعْزِيزِ فِتْنَةِ أَنْصَارِهِنَّ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا

﴿ ٢٠ ﴾

يقول تعالى مخبرًا عن جميع من بعثه من الرسل المتقدمين : إنهم كانوا يأكلون الطعام ، ويحتاجون إلى التغذى به و﴿ يَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ ، أَيْ : للتكسب والتجارة ، وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصبهم ؛ فإن الله جعل لهم من السمات الحسنة ، والصفات الجميلة ، والأقوال الفاضلة ، والأعمال الكاملة ، والخوارق الباهرة ، والأدلة القاهرة ، ما يستدل به كل ذي لب سليم وبصيرة مستقيمة ؛ على صدق ما جاءوا به من الله عز وجل . ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقَرِيٍّ ﴾ ، ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسْداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْصَارِهِنَّ ﴾ ، أَيْ : اختبرنا بعضكم ببعض ، وبلونا بعضكم ببعض ، لتعلم من يطعن من يعصي ؛ ولهذا قال : ﴿ أَنْصَارِهِنَّ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ ، أَيْ : [بن يستحق أن يوحى إليه ، كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ بِحِيثِ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾] [١] ومن يستحق أن يهديه الله لما أرسلهم به ومن لا يستحق ذلك .

وقال محمد بن إسحاق في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْصَارِهِنَّ ﴾ ، قال : يقول الله : لو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي [٢] يخالفون ، لفعلت ، ولكنني قد أردت أن أبتلي العاد بهم ، [وأبتليهم بهم] [٣] .

وفي صحيح مسلم [٤] عن عياض بن حمار عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « يقول الله : إني مبتليك ومتقتل بك » . وفي المسند عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لو شئت لأجري الله معي جبال الذهب والفضة » . وفي الصحيح أنه - عليه أفضل الصلاة والسلام - خير بين أن يكون نبيًا ملكًا أو عبدًا رسولاً ، فاختار أن يكون عبدًا رسولاً .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا تَوَلَّا أَنْزِلَ عَلَيْنَا الْمُلْكَ كُلُّهُ أَوْ نَرَى رَبِّنَا لَقَدْ

(١) صحيح مسلم حديث (٢٨٦٥) .

[٢] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعقوفين سقط من : خ .

[٥] - في ت : « فلا » .

أَسْتَكْبِرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَّوْ عَتْوًا كَيْرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشَرَى
يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِيمَنَا إِلَى مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ
فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصَحَّبُ الْجَنَّةَ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقْرَرٌ وَأَحْسَنُ
مَقِيلًا ﴿٢٤﴾

يقول تعالى مخبراً عن تعنت الكفار في كفرهم ، وعندتهم في قولهم : « لولا أنزل علينا الملائكة » ، أي : بالرسالة كما نزل على الأنبياء ، كما أخبر عنهم تعالى في الآية الأخرى : « قالوا لن نؤمن حتى نرؤى مثل ما أوصي رسول الله » ويحتمل أن يكون مرادهم هنا : « لولا أنزل علينا الملائكة » فنراهم عياناً، فيخبروتنا أن محمدًا رسول الله ، كقولهم : « أو [١] تأتي بالله والملائكة قيلاقاً » ، وقد تقدم تفسيرها في سورة سبحان ؛ ولهذا قال [٢] : « أو نرى ربنا » ، ولهذا قال الله تعالى : « لقد استكباً في أنفسهم وعترًا عترًا كيـراً ». وقد قال تعالى : « لـو أـنـا نـزـلـا إـلـيـهـمـ الـمـلـائـكـةـ وـكـلـمـهـ الـمـوتـ وـحـشـرـنـا عـلـيـهـمـ كـلـ شـيءـ قـبـلاـ مـا كـانـوا لـيـؤـمـنـوا إـلـا أـنـ يـشاءـ اللهـ وـلـكـنـ أـكـثـرـهـ يـجـهـلـونـ ». .

وقوله : « يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً » ، أي : هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم ، بل يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ لهم ، وذلك يصدق على وقت الاحضار ، حين تبشرهم الملائكة بالنار ، وغضب الجبار ، فنقول الملائكة للكافر عند خروج روحه : اخرجني أيتها النفس الحية في الجسد الخبيث ، اخرجي إلى سوم وحيم ، وظل من يحوم . فتأتي الخروج وتتفرق في البدن ، فيضربونه ، كما قال الله تعالى : « ولو ترئ إذ يتوافى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم » ، وقال : « ولو ترئ إذ الطالمون في غمرات الموت والملائكة باسطرو أيديهم » ، أي : بالضرب ، « آخر جوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكتنم عن آياته تستكبورون » ؛ ولهذا قال في هذه الآية الكريمة : « يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين » ، وهذا بخلاف حال المؤمنين في وقت احتضارهم ، فإنهم يبشرون بالخيرات ، وحصول المرات . قال الله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا ربنا ثم استقاموا تتسلل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكنكم فيها ما تدعون نزلًا من غفور رحيم » وفي الحديث الصحيح عن البراء بن عازب : أن الملائكة تقول لروح المؤمن : « اخرجني أيتها النفس

[١] - في ت : « حتى ». .

[٢] - في ت : « قالوا ». .

الطيبة في الجسد الطيب ، كنت تعمرينه ، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان » . وقد تقدم الحديث في « سورة إبراهيم » ، عند قوله تعالى : ﴿ يُبَشِّرُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ التَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضَلِّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعُلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ وقال آخرون : بل المراد بقوله : ﴿ يَوْمَ يَرَوُنَ الْمَلَائِكَةَ ﴾ ، يعني : يوم القيمة ؛ قال مجاهد ، والضحاك ، وغيرهما .

ولا منافاة بين هذا وبين ما تقدم ؛ فإن الملائكة في هذين اليومين - يوم الممات ويوم العاد - تتجلى للمؤمنين وللكافرين ، فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان ، وتخبر الكافرين بالخطية والخسران ، فلا بشري يومئذ للمجرمين .

﴿ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا ﴾ أي : [١] وَتَقُولُ [١] الْمَلَائِكَةُ لِلْكَافِرِينَ : حرام محرم عليكم الفلاح اليوم .

وأصل « الحجر » : المعنى ، ومنه يقال : حجر القاضي على فلان ، إذا منع التصرف إما لسفه ، أو فلس ، أو صغر ، أو نحو ذلك ، ومنه سمي « الحجر » عند البيت الحرام ؛ لأنه يمنع الطواف أن يطوفوا فيه ، وإنما يطاف من وراءه ، ومنه يقال للعقل « حجراً » ؛ لأنه يمنع صاحبه عن تعاطي ما لا يليق .

والغرض أن الضمير في قوله : ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ عائد على الملائكة ، هذا قول مجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، وعطاء العوفي ، وعطاء الخراساني ، وخصيف ، وغير واحد ، واختهاره ابن جرير^(٨) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا موسى - يعني : ابن قيس - عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري : ﴿ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا ﴾ ، قال : حراماً مُحرّماً أن يُتَشَرَّبَ بما يُبَشِّرُ به المتقون .

وقد حكى ابن جرير ، عن ابن ثوريج أنه قال : ذلك من كلام المشركين : ﴿ يَوْمَ يَرَوُنَ الْمَلَائِكَةَ ﴾ ، [أي] : يَعْوِذُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ؛ وذلك أن العرب كانوا إذا نزل بأحدهم نازلة أو شدة [٢] يقول [٣] : ﴿ حَجْرًا مَحْجُورًا ﴾ .

وهذا القول - وإن كان له مأخذ ووجه - ولكنه بالنسبة إلى السياق [في الآية [٤] بعيد ، [٥] فيما قد نص الجمهور على خلافه ، ولكن قد روى ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أنه

(٨) تفسير الطبرى (٢/١٩).

[١] - ما بين المعقوفين سقط من : ت ، ز .

[٢] - ما بين المعقوفين سقط من : ت .

[٣] - في ز : « يقولون » .

[٤] - ما بين المعقوفين سقط من : ت .

[٥] - في ت : « لا » .

قال في قوله : ﴿ حَجْرًا مَحْجُورًا ﴾ ، أي : عوذاً معاذًا . فيحتمل أنه أراد ما ذكره ابن جرير ، ولكن في رواية ابن أبي حاتم ، عن ابن أبي تنجيح ، عن مجاهد أنه قال : ﴿ حَجْرًا مَحْجُورًا ﴾ ، عوذاً معاذًا ، الملاك [١] تقوله [١] ، فالله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَدَّمَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ فَعْلَنَا هَبَاءً مُنْثُرًا ﴾ ، [٢] وهذا [٣] يوم القيمة ، حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من [٤] خير وشر [٣] ، فأخبر أنه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال - التي ظنوا أنها منجاة لهم - شيء ؛ وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي ؛ إما الإخلاص فيها ، وإما التتابعة لشرع الله ، فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضية ، [٥] فهو باطل . فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين ، وقد تجمعهما معاً ، ف تكون أبعد من القبول حينئذ ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ وَقَدَّمَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ فَعْلَنَا هَبَاءً مُنْثُرًا ﴾ .

قال مجاهد والثورى : ﴿ وَقَدَّمَا ﴾ ؛ أي : عمدنا . وقال السدى : قدمنا : عمدنا ، وبعضهم يقول : أتينا عليه .

وقوله : ﴿ فَجَعَلْنَا هَبَاءً مُنْثُرًا ﴾ ، قال سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي - رضي الله عنه - في قوله : ﴿ هَبَاءً مُنْثُرًا ﴾ ، قال [٦] : شعاع الشمس إذا دخل في الكوة . وكذا روى من غير هذا الوجه عن علي . وروي مثله [٧] عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والسدى ، والضحاك ، وغيرهم . وكذا قال الحسن البصري : هو الشعاع في كوة أحدهم ، ولو ذهب يقبض عليه لم يستطع .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ هَبَاءً مُنْثُرًا ﴾ قال : هو الماء المهرأ .

وقال أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن [٨] الحارث ، عن علي : ﴿ هَبَاءً مُنْثُرًا ﴾ ، قال : الهباء رَهْجٌ [٩] الدواب . وروي مثله عن ابن عباس أيضاً والضحاك ، وقاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال قتادة في قوله : ﴿ هَبَاءً مُنْثُرًا ﴾ ، قال : ما [١٠] رأيت بِيَسِّ [١١] الشجر إذا أذرته [١٢]

[١] - مات : « تقول ذلك ». .

[٢] - في ت : « هذا ». .

[٣] - ما بين المعقوفين في ت : « الخير والشر ». .

[٤] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « ولا ». .

[٥] - في خ : « على ». .

[٦] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « أي ». .

(*) في ز ، خ : « وهج ». ويبدو أن الكلمة حرفت ، وانقلبت الراء واواً . والرهج : الغبار ، والسحب الرقيق كأنه غبار .

[٧] - في ت : « أما ». .

(**) بييس : ما يَسِّ من القشب والبقول التي تثار إذا يَسَّت . [٩] - في ت : « ذرته ». .

الريح؟ فهو ذلك الورق.

وقال عبد الله بن وهب : أخبرني عاصم بن حكيم ، عن أبي سريع الطائي ، عن [عبيد بن تغلٰ]^[١] قال : وإن الهباء الرماد .

وحاصل هذه الأقوال التنبية على مضمون الآية ، وذلك أنهم عملوا أعمالاً اعتقدوا أنها شئ ، فلما عرضت على الملك الحكيم العدل ، الذي لا يجور ، ولا يظلم أحداً ، إذا إنها لا شيء بالكلية . وشبهت في ذلك بالشيء التافه الخير المنافق ، الذي لا يقدر منه صاحبه على شيء بالكلية ، كما قال الله تعالى : ﴿مِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرِبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرْمَادٌ اشْتَدَتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصَفٍ لَا يَقْدِرُونَ مَا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكُمْ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ . وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمُنَّ وَالْأَذَى كَمَاذِي يَنْفَقُ مَالُهُ رِءَاءُ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمِثْلُهُ كَمِثْلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابْنَ فَتَرَكَهُ صَلَدًا﴾ إلى قوله ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مَا كَسَبُوا﴾ . وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كُسْرَابٌ بِقِعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمَآنُ مَاءٌ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ وتقديم الكلام على تفسير ذلك ، والله الحمد والمنة^[٢].

وقوله تعالى : ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقْرٌ وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [أي : يوم القيمة لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ، وأصحاب الجنة هم الفائزون]^[٣] وذلك لأن^[٤] أهل الجنّة يصيرون إلى الدرجات العاليات ، والغرفات الآمنات ، فهم في مقام أمن ، حسن المنظر ، طيب المقام ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسِنَتْ مُسْتَقْرًا وَمَقَامًا﴾ ، وأهل النار يصيرون إلى الدرّكات الساقفات ، والحسرات المتتابعات ، وأنواع العذاب والعقوبات ﴿إِنَّهَا سَاعَةٌ مُسْتَقْرًا وَمَقَامًا﴾ ، أي : بعس المنزل منظراً ، وبعس المقليل مقاماً ، ولهذا قال تعالى : ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقْرٌ وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ، أي : بما عملوه من الأعمال المتقبلة ، نالوا ما نالوا ، وصاروا إلى ما صاروا إليه ، بخلاف أهل النار فإنه^[٥] ليس لهم عمل واحد يقتضي لهم دخول الجنّة والنجاة من النار ، فتبته^[٦] تعالى] بحال السعداء على حال الأشقياء ، وأنه لا خير عندهم بالكلية ، فقال تعالى : ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقْرٌ وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ . قال الضحاك ، عن ابن عباس : إنما هي ضحوة ، فيقيل أولياء الله على الأثير مع الحور العين ، ويقيل أعداء الله مع الشياطين مقرنين .

وقال سعيد بن جبير : يفرغ الله من الحساب نصف النهار ، فيقيل أهل الجنّة في الجنّة ،

[١] - ما بين المukoّفين في ز ، خ : « عبيد بن يعلى » وحرف ، تعلى إلى يعلى . وترجمته في تهليّب الكمال [١٩٠/١٩] ، والمرجح والتعديل [٤٠٢/٥] .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المukoّفين سقط من : ت .

[٤] - في ت : « فإنهم » .

وأهل النار في النار ، قال الله تعالى : ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا ﴾ . وقال عكرمة : إني لأعرف الساعة التي يدخل فيها أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ؛ [هي]^[١] الساعة التي تكون في الدنيا عند ارتفاع الضحى الأكبر ، إذا انقلب الناس إلى أهليهم للقيمة ، فينصرف أهل النار إلى النار ، وأما أهل الجنة [فينطلق بهم إلى الجنة]^[٢] ، فكانت قيلولتهم [في الجنة]^[٣] ، وأطعموا كبد حوت ، فأشبّعهم [ذلك]^[٤] كلهم ، وذلك قوله : ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا ﴾ . وقال [سفيان ، عن]^[٥] ميسرة ، عن المهاجر ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود [أنه]^[٦] قال : لا يتصف النهار حتى يقبل هؤلاء وهؤلاء ، ثم قرأ : ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا ﴾ . وقرأ : ﴿ ثم إن مرجعهم إلى الجحيم ﴾ .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا ﴾ ، قال : قالوا في الغرف من الجنة ، وكان حسابهم أن^[٧] عرضوا على ربهم^[٨] عرضة واحدة ، وذلك الحساب اليسيير ، وهو مثل قوله تعالى : ﴿ فاما من أöttى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً * وينقلب إلى أهله مسروراً ﴾ . وقال قتادة في قوله : ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا ﴾ أي : مأوى ومنزلًا .

و[٩] قال قتادة : وحدث صفوان بن محرز أنه قال : ي جاء [يوم القيمة برجلين ، كان أحدهما^[١٠] ملكاً في الدنيا ، إلى الحمرة واليابس فيحاسب ، فإذا عد لم يعمل خيراً^[١١] ، فيؤمر به إلى النار . والآخر كان صاحب كساء في الدنيا ، فيحاسب . فيقول : يا رب ، ما أعطيتني من شيء فتحاسبني به . [فيقول]^[١٢] : صدق عبدي ، فأرسلوه . فيؤمر به إلى الجنة ، ثم يتركان ما شاء الله ، ثم يدعى صاحب النار ، فإذا هو مثل الحمامة السوداء ، فيقال له : كيف وجدت ؟ فيقول : شر مقيل . فيقال له : عذ . ثم يدعى بصاحب الجنة ، فإذا هو مثل القمر ليلة البدر ، فيقال له : كيف وجدت ؟ فيقول : رب ، خير مقيل . فيقال له^[١٣] : عذ . رواها ابن أبي حاتم كلها .

وقال ابن جرير^(٤) : حدثني يونس ، أباينا ابن وهب ، أباينا عمرو بن الحارث ، أن سعيداً

(٤) تفسير الطبراني (١٩/٥).

- [١] - في ت : « وهي » .
- [٢] - ما بين المعکوفین سقط من : ز ، خ .
- [٣] - ما بين المعکوفین سقط من : ز ، خ .
- [٤] - ما بين المعکوفین سقط من : ت .
- [٥] - ما بين المعکوفین في خ : « بن » ، وفي ز : « سفيان بن » .
- [٦] - ما بين المعکوفین سقط من : ت .
- [٧] - في ز ، خ : « إذ » .
- [٨] - سقط من : خ ، ز .
- [٩] - سقط من : ز ، خ .
- [١٠] - في ت : « برجلين يوم القيمة أحدهما كان » .
- [١١] - في ت : « فقط » .
- [١٢] - سقط من : ز .
- [١٣] - في ت : « فيقول الله » .

الصواب حديثه ، أنه بلغه : أن يوم القيمة يقتصر على المؤمن حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس ، وأنهم ليقيلون^[١] في رياض الجنة حتى يفرغ من الناس ، فذلك^[٢] قوله تعالى : « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً » .

وَيَوْمَ شَفَقَ السَّمَاءُ بِالْغَمْ وَنَزَلَ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا ٢٥ أَمْلَكَ يَوْمَيْدِ الْحَقِّ لِرَحْمَةِ
وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكُفَّارِ عَسِيرًا ٢٦ وَيَوْمَ يَعْنُ الظَّالِمُ عَلَى يَدِيهِ يَكُوْلُ
يَدَيْتَنِي أَتَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيِّلًا ٢٧ يَنْوِلُقَ لَيْتَنِي لَوْ أَتَخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا
لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الْذِكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ٢٨ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَنِ حَذْوَلًا



يخبر تعالى عن هول يوم القيمة ، وما يكون فيه من الأمور العظيمة ، فمنها انشقاق [٣] السماء وتفطرها وانفراجها بالغمام ، وهو ظلل النور العظيم الذي يهـر الأبصار ، ونزول ملائكة السموات يومئذ ، فيحيطون بالخلائق في مقام الحشر ، ثم يجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء .

قال مجاهد: وهذا كما قال تعالى: ﴿هُل يَنْظَرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي ظُلْلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأُمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

[٢] - في ت : « وذلك » .

[١] - في ز، خ : « ليقيلوا ».

[٤] - فِي تَ، خَ : « بَنْ » .

[٣] - في ز، خ : « اشتقاد » .

[٦] - في ت : « الخلائق » .

[٥] - ما بين المعقوفين سقط من : ت .

[٨] - سقط من : ت .

[٧] - فـ، ت : « الخلق » .

وبالجهن والإنس وجميع الخلق [١] ، ثم تنشق السماء الثالثة ، فينزل أهلها ، وهم أكثر من أهل السماء الثانية والسماء الدنيا ومن جميع الخلق ، فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم ، وبالجهن والإنس وجميع الخلق ، ثم كذلك كل سماء حتى تنشق السماء السابعة ، [فينزل أهلها] [٢] وهم أكثر من نزل قبلهم من أهل السموات ، ومن الجن والإنس ، ومن جميع الخلق كلهم [٣] ،

[و] [٤] ربنا - عز وجل - في ظلل من الغمام ، وحوله الكثيرون وهم أكثر من أهل السموات السبع والإنس والجن وجميع الخلق ، لهم قرون كأكباب القنا وهم تحت العرش ، لهم زَجَل بالتسبيح والتهليل والتقديس لله عز وجل ، ما بين إخمص قدم أحدهم إلى كعبه مسيرة خمسمائة عام ، وما بين كعبه إلى ركبته [٥] مسيرة خمسمائة عام ، وما بين ركبته إلى أربنته [٦] مسيرة خمسمائة عام ، [و] ما بين حجزته إلى ترقوته مسيرة خمسمائة عام [٧] وما بين ترقوته [٨] إلى [موضع القرط] [٩] مسيرة خمسمائة عام ، [و] [١٠] وما فوق ذلك مسيرة خمسمائة عام ، وجهنم مجنته . هكذا رواه ابن أبي حاتم بهذا السياق .

وقال ابن جرير [١١] : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثني الحاجاج ، عن مبارك بن فضالة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، أنه سمع ابن عباس يقول : إن هذه السماء إذا انشقت نزل [١٢] منها من الملائكة أكثر من [الجن والإنس] [١٣] ، وهو يوم التلاق ، يوم يلتقي أهل السماء وأهل [١٤] الأرض ، فيقول أهل الأرض : جاء ربنا؟ فيقولون : لم يجيء ، وهو آتى ، ثم تنشق السماء الثانية ، ثم سماء سماء ، على قدر ذلك من التضعيف إلى السماء السابعة ، فينزل منها من الملائكة أكثر [من جميع] [١٥] من نزل من السموات ومن الجن والإنس . قال : فتنزل الملائكة الكثيرون ، ثم يأتي ربنا في حملة العرش الثمانية ، بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين سنة ، وبين فخذه ومنكبته مسيرة سبعين سنة . قال : وكل

(١٠) تقدم الحديث عند تفسير الآية : ٧٣ من سورة الأنعام .

(١) سقط مذ ر ، خ . وأثبتناه من الدر المنشور [١٢٤/٥] ، وهو في ت بعد : ثم تنشق السماء الثانية فينزل أهلها .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفين في ت : « وينزل » .

[٤] - في ت : « ركبته » .

[٥] - ما بين المعكوفين سقط من : م .

[٦] - في ت : « حجزته » .

[٧] - ما بين المعكوفين في ز : « ترقوته » .

[٨] - في ز : « أربنته » .

[٩] - ما بين المعكوفين في ز : « وما بين ترقوته إلى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام » .

[١٠] - في ت : « ينزل » .

[١١] - ما بين المعكوفين في ت : « الإنس والجن » .

[١٢] - سقط من : ز ، خ .

[١٣] - ما بين المعكوفين سقط من : ز ، خ .

ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه ، وكل ملك منهم واضع رأسه بين ثدييه يقول : سبحان الملك القدوس ! وعلى رعوسيم شيء مبسوط كأنه القباء ، والعرش فوق ذلك . ثم وقف . فمداره على علي بن زيد بن مجذعان ، وفيه ضعف ، وفي سياقاته - غالباً - نكارة شديدة ، وقد ورد في حديث الصور المشهور قريب من هذا ، والله أعلم .

وقد قال الله تعالى : ﴿فِي يَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقْعَةُ﴾ * وانشققت السماء فهي يومئذ واهية . والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية هـ . قال شهر بن حوشب : حملة العرش ثمانية ، أربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ، لك الحمد على حلمك بعد علمك ، وأربعة يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك . رواه ابن جرير عنه .

[وقال [١] أبو بكر بن عبد الله : إذا نظر أهل الأرض إلى العرش يهبط عليهم من فوقهم ، شخصت إليه أبصارهم ، ورمحت كلامهم في أجوافهم ، وطارت قلوبهم من مقرها من صدورهم إلى حناجرهم .

وقال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين [٢] ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن عبد الجليل ، عن أبي حازم ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : يهبط الله - عز وجل - حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون ألف حجاب ، منها النور والظلمة ، فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتاً تخلع منه القلوب . وهذا موقف على [٣] عبد الله بن عمرو من كلامه ، ولعله من الزاملتين ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِرَحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ ، كما قال تعالى : ﴿لَمَنِ الْمَلَكُ الْيَوْمَ لَهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ . وفي الصحيح [٤] أن الله تعالى يطوي السموات يمينه ويأخذ الأرضين [٥] يده الأخرى ثم يقول : أنا الملك ! أنا الديان ! أين ملوك الأرض ؟ أين الجنارون ؟ أين المتكبرون ؟

وقوله : ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ . أي : شديداً صعباً ؛ لأنه يوم عدل وقضاء فصل ، كما قال تعالى : ﴿فَإِذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورَ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ * على الكافرین غير يسير . فهذا حال الكافرین في ذلك [٦] اليوم . وأما المؤمنون فكما قال تعالى : ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَرعُ الْأَكْرَبُ وَتَلَاقَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمَكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تَوعَدُونَ﴾ .

(١) صحيح مسلم حديث (٢٧٨٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه وليس فيه : « أنا الديان » .

[٢] - في ت : « قال » .

[٤] - في خ : « الأرض » .

[١] - في ت : « قال » .

[٣] - في ز : « عن » .

[٥] - في ت : « هذا » .

قال [١] الإمام أحمد [١٢] : حدثنا حسن [٢] بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا ذرّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري قال : قيل : يا رسول الله : ﴿ يوْمَ كَانَ مِقدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً ﴾ ما أطْلُولُ هذَا الْيَوْمَ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيدهِ ، إِنَّهُ لِيَخْفَفَ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخْفَفَ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاتِ مَكْتُوبَةٍ يَصْلِيهَا فِي الدُّنْيَا ». .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعْصُمُ الظَّالِمُونَ يَوْمَ تُقْبَلُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطْعَنَا اللَّهُ وَأَطْعَنَا الرَّسُولًا * وَقَالُوا رَبُّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلًا * رَبُّنَا آتَاهُمْ ضَعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَمَ لَعْنَاهُمْ كَبِيرًا [٣] ﴾ فَكُلُّ ظَالِمٍ يَنْدِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَایَةُ النَّدَمِ ، وَيَعْصُمُ عَلَيْهِ قَاتِلًا : ﴿ يَا لَيْتَنَا أَتَخْذَلْنَا مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتِي لَيْتَنَا لَمْ أَتَخْذَلْنَا خَلِيلًا [٤] ﴾ . يعني : لَمْ [٤] صَرَفْهُ عَنِ الْهُدَى ، وَعَدَلَ بِهِ إِلَى طَرِيقِ [الضَّلَالَةِ] [٥] ، وَسَوْءَةُ فِي ذَلِكَ أُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، أَوْ أُخْرُوهُ أُمِّيَّةُ [٦] بْنُ خَلْفٍ ، أَوْ غَيْرُهُمَا .

وَسَوْءَةُ كَانَ سَبِبُ نَزْولِهَا فِي عَقْبَةِ بْنِ أَبِي مَعْيَطٍ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ ، فَإِنَّهَا عَامَةٌ فِي كُلِّ ظَالِمٍ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيَوْمَ تُقْبَلُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطْعَنَا اللَّهُ وَأَطْعَنَا الرَّسُولًا * وَقَالُوا رَبُّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلًا * رَبُّنَا آتَاهُمْ ضَعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَمَ لَعْنَاهُمْ كَبِيرًا [٣] ﴾ فَكُلُّ ظَالِمٍ يَنْدِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَایَةُ النَّدَمِ ، وَيَعْصُمُ عَلَيْهِ قَاتِلًا : ﴿ يَا لَيْتَنَا أَتَخْذَلْنَا مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتِي لَيْتَنَا لَمْ أَتَخْذَلْنَا خَلِيلًا [٤] ﴾ . يعني : لَمْ [٤] صَرَفْهُ عَنِ الْهُدَى ، وَعَدَلَ بِهِ إِلَى طَرِيقِ [الضَّلَالَةِ] [٥] ، وَسَوْءَةُ فِي ذَلِكَ أُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، أَوْ أُخْرُوهُ أُمِّيَّةُ [٦] بْنُ خَلْفٍ ، أَوْ غَيْرُهُمَا .

﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ [٧] بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾ . أَيْ : بَعْدَ بَلوغِهِ إِلَيَّ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلنَّاسِ خَذُولًا ﴾ . أَيْ : يَخْذُلُهُ عَنِ الْحَقِّ ، وَيَصْرُفُهُ عَنْهُ ، وَيَسْتَعْمِلُهُ فِي الْبَاطِلِ وَيَدْعُوهُ إِلَيْهِ .

(١) المسند (٣/٧٥) (٤/١٧٣٤) ، وإسناده ضعيف . والحديث أخرجه أبو يعلى (٢/١٣٩٠) حدثنا زهير ، حدثنا الحسن بن موسى به . وأiben عدي في الكامل (٣/٩٨١) من طريق أسد بن موسى - تحرفت إلى أنس - ثنا ابن لهيعة به . وأخرجه ابن حبان في « صحيحه » (١٦/٧٣٣٤) ، وهو في « الموارد » (٨/٢٥٧٧) . والطبرى في تفسيره (٢٩/٧٢) . من طريقين عن ابن وهب به ، وتحريف عند الطبرى « عن أبي سعيد » إلى « عن سعيد » . وذكره الهيثمى في « الجامع » (١٠/٣٤) وقال : « رواه أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى وَاسْنَادُهُ حَسْنٌ عَلَى ضَعْفٍ فِي رَاوِيهِ » . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٤١٧) والثبزى في « مشكاة المصابيح » (٣/٥٥٦٤) إلى « البيهقي في « كتاب البعث والنشور » .

- [١] - في ز : « وَقَالَ » .
- [٢] - في ت : « حَسْنٌ » .
- [٣] - في ز : « كَبِيرًا » .
- [٤] - في ت : « مِنْ » .
- [٥] - ما يَنْعَكِسُ فِي ت : « الضَّلَالُ » مِنْ دُعَائِهِ الضَّلَالَةِ .
- [٦] - في ز : « أُمِّيَّةً » .
- [٧] - ما يَنْعَكِسُ فِي ت : « وَهُوَ الْقُرْآنُ » .

وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي أَخْدُوا هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا

لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا ﴿٢١﴾

يقول تعالى مخبراً عن رسوله ونبيه محمد، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، أنه قال : ﴿يَا رَبِّ إِنْ قَوْمِي أَخْدُوا هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ . وذلك أن المشركين كانوا لا يصغون للقرآن ولا يسمعونه^[١] ، كما قال تعالى^[٢] : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانَ وَالْغُوا فِيهِ لِعْلَكُمْ تَفْلِيْبُونَ﴾ . وكانوا^[٣] إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللفظ والكلام في غيره ، حتى لا يسمعوه ؛ فهذا من هجرانه ، وترك الإيمان به وتصديقه من هجرانه^[٤] ، [وترك تدبره وفهمه من هجرانه ، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجه من هجرانه^[٥] ، والدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه ، فسأل الله الكريم المnan القادر على ما يشاء ، أن يخلصنا مما يُشَخْطِه ، ويستعملنا فيما يرضيه ، من حفظ كتابه وفهمه ، والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطراف النهار ، على الوجه الذي يحبه ويرضاه ، إنه كريم وهاب .

وقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ، أي: كما حصل لك يا محمد في قومك من الذين هجروا القرآن، كذلك كان في الأمم الماضين^[٦] ، لأن الله جعل لكل نبي عدواً من الجرميين ، يدعون الناس إلى ضلالهم وكفرهم ، كما قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوا مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ يُوحِي بِعِضْهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقُوْلُ غَرُورًا وَلُوْشَاءَ رِبِّكَ مَا فُلُوْهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْرُونَ وَلَتَصْغِي إِلَيْهِ أَنْفُدَهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلَيَرْضُوْهُ وَلَيَقْرُفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ ؛ ولهذا قال تعالى هاتنا : ﴿وَكَفَى بِرِبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا﴾ . أي: لمن اتبع رسوله ، وأمن بكتابه وصدقه واتبعه ، فإن الله هاديه وناصره في الدنيا والآخرة ، وإنما قال : ﴿هَادِيًّا وَنَصِيرًا﴾ ؛ لأن المشركين كانوا^[٧] يصدون الناس عن اتباع القرآن ، لئلا يهتدى أحد به ، ولتغلب طريقتهم طريقة القرآن ؛ فلهذا قال : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرِبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا﴾ .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جَمِيلًا وَحَمَدَهُ كَذَلِكَ لَنْتَهَتِ بِهِ فُؤَادُكُمْ وَرَأْلَتَهُ تَرْبِيلًا ﴿٢٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا چَنَنَاهُ بِالْعَقْ وَالْحَسَنَ

[١] - ما بين المكرفين سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المكرفين سقط من : خ ، ز .

[٦] - سقط من : خ ، ز .

[١] - في ت : « يسمعونه » .

[٣] - في ز : « وكانوا » .

[٥] - في ز : « الماضين » .

﴿ تَفَسِّيرًا لِّلَّذِينَ يُخْشِرُونَكُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرُّ مَكَانٍ ﴾

﴿ وَأَضَلُّ سَيِّلًا ﴾

يقول تعالى مخبراً عن كثرة اعتراف الكفار وتعنتهم ، وكلامهم فيما لا يعنيهم ، حيث قالوا : ﴿ لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ﴾ . أي : هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحى إليه جملة واحدة ، كما نزلت الكتب قبله [١] ، كالتوراة والإنجيل والزبور ، وغيرها من الكتب الإلهية . فأجابهم الله تعالى عن ذلك بأنه إنما أنزل [٢] منجماً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الواقع والحوادث ، وما يحتاج إليه [٣] من الأحكام لتشييد قلوب المؤمنين به كقوله : ﴿ وَقَرَأَاهَا فِرقَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكَثٍ وَنَزْلَنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ . ولهذا قال : ﴿ لَبَثَتْ بِهِ فَوَادِكَ وَرَتَنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ .

قال قتادة : وبياته تبيينا . وقال عبد الرحمن بن زيد من أسلم : وفسرناه تفسيراً .

﴿ لَا يَأْتُونَكَ بِمَثْلِهِ ﴾ . أي : بحججه وشبهه ﴿ إِلَّا جَنَّاتُكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنُ تَفْسِيرًا ﴾ .
ولا يقولون قوله ﴿ إِلَّا جَنَّاتُكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنُ تَفْسِيرًا ﴾ . أي : ولا يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر ، وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم . قال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ لَا يَأْتُونَكَ بِمَثْلِهِ ﴾ . أي : بما يلتمسون به عيب القرآن والرسول ﴿ إِلَّا جَنَّاتُكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنُ تَفْسِيرًا ﴾ . أي : إلا نزل جبريل من الله بجوابهم .

ثم في هذا اعتناء كبير ؛ لشرف الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث كان يأتيه الوحي من الله - عز وجل - بالقرآن صباحاً ومساء ، [٤] وليلاً [٥] ونهاراً ، سفراً وحضرماً ، وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن كإنزال كتاب [٦] مما قبله من الكتب المقدمة ، فهذا المقام أعلى وأجل ، وأعظم مكانة من سائر إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله ، ومحمد ، صلى الله عليه وسلم ، أعظم نبي أرسله الله تعالى ، وقد جمع الله للقرآن الصفتين معاً ، ففي الملايين الأولى أنزل جملة واحدة [٧] من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة [٨] من سماء [٩] الدنيا ، ثم نزل [٨] بعد ذلك إلى الأرض منجماً بحسب الواقع والحوادث .

[١] - ما بين المكسوفين في ت : « جملة واحدة ». [٢] - في ت : « نزل » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ت : « وليلاً » .

[٥] - في ت : « الكتاب » .

[٦] - في ت : « ز ، خ » .

[٧] - ما بين المكسوفين في ت : « في السماء » .

[٨] - في ت : « أنزل » .

[قال أبو عبد الرحمن النسائي^(١٣) : أخبرنا أحمد بن سليمان ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا داود ، عن عكرمة^[١] عن ابن عباس ؛ قال : أنزل القرآن [جملة^[٢] إلى السماء^[٣] الدنيا في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُوك بِمُثْ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ ، و[قوله^[٤] : ﴿ وَقُرْآنًا فَرْقَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزْلَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ .

ثم قال تعالى مخبرًا عن سوء حال الكفار في معادهم يوم القيمة وحشرهم إلى جهنم ، في أسوأ الحالات وأقبح الصفات : ﴿الَّذِينَ يَحْشُرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولُئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ . وفي الصحيح (١٤) عن أنس أن رجلاً قال : يا رسول الله ، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيمة ؟ فقال : « إن الذي أمشاه على رجليه قادر أن يُمشيه على وجهه يوم القيمة » . وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من المفسرين .

ولقد ماتتنا موسى السَّكِتَبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أخاه هَرُونَ وَزِيرًا ٣٥
 أذْهَبَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِي كَذَبُوا بِمَا يَنْتَهُ فَدَمْرَنَتْهُمْ تَنْبِيرًا ٣٦ وَقَوْمٌ نُوحَ لَمَّا
 كَذَبُوا الرَّسُولَ أَغْرَقَنَاهُمْ وَجَعَلَنَاهُمْ لِلنَّاسِ مَأْيَةً وَأَعْتَدَنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا
 أَلِيمًا ٣٧ وَعَادَا وَثَمُودًا وَأَصْبَحَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا وَكُلُّا
 ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلَ ٣٨ وَكُلُّا تَبَرَّنَا تَنْبِيرًا

يقول تعالى متوجعاً مَنْ كَذَبَ رَسُولَهُ مُحَمَّداً -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ وَمَنْ خَالَفَهُ، وَمَحْذِرُهُمْ مِنْ عَقَابِهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ، مَا [٥٠] أَحْلَهُ بِالْأُمُورِ الْمُخْتَارَةِ الْمُكَذَّبِينَ لِرَسُولِهِ، فَبِدَا بِذَكْرِ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَأَنَّهُ ابْتَعَثَهُ [٦١] وَجَعَلَ مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا؛ أَيْ : نَبِيًّا مُؤَذِّنًا وَمُؤَيِّدًا وَنَاصِرًا، فَكَذَبُوهُمَا فَرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، فَهُوَ دَمْرُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا [٦٢]. وَكَذَلِكَ فَعَلَ بَقْوَمِ نُوحٍ حِينَ كَذَبُوا رَسُولَهُ نُوحًا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَمَنْ كَذَبَ بِرَسُولٍ فَقَدْ كَذَبَ

^{١٣}) النسائي في السنن الكبرى حديث (١١٣٧٢).

^{١٤} صحيح البخاري حديث (٤٧٦٠) ، وصحیح مسلم حديث (٢٨٠٦) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « وروى النسائي بإسناده ». .

[٢٧] - ما بين المعكوفين في ت : « جملة واحدة ». [٣] - في ت : « سماء » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « وقول تعالى ». [٥] - في ز ، خ : « فيما » .

۶۷ - فیت: «بعشه».

بجميع الرسل ؛ إذ لا فرق بين رسول ورسول ، ولو فرض أن الله بعث إليهم كل رسول فإنهم كانوا يكذبونه ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿وَقَوْمٌ نَوْحٌ لَا كَذَّبُوا الرَّسُولَ﴾ . ولم يبعث إليهم إلا نوح فقط ، وقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يدعوهم إلى الله - عز وجل - وبحدتهم نعمته^[١] ، فما آمن معه إلا قليل ؛ ولهذا أغرقهم الله جميماً ، ولم يبق منهم أحد^[٢] ، ولم يبق^[٣] من بنى آدم على وجه الأرض سوى أصحاب السفينة فقط .

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ . أي : عبرة يعتبرون بها ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّا لَمَا طَغَىَ الْمَاءَ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ * لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية^[٤] . أي : وأبقينا لكم من السفن ما تركبون في لحج البحر ، لنتذكروا نعمة الله عليكم في إنجائكم من الغرق ، وجعلكم من ذرية من آمن به وصدق أمره .

وقوله تعالى : ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسُولِ﴾ قد تقدم الكلام على قضيئهما في غير ما سورة ، [منها في سورة]^[٥] الأعراف بما أغني عن الإعادة .

وأما أصحاب الرس فقال ابن جريج : قال^[٦] ابن عباس : هم أهل قرية من قرى ثمود .

قال^[٧] ابن جريج : [وقال^[٨] عكرمة : أصحاب الرس بقلج]^[٩] وهم أصحاب ياسين وقال قتادة : فَلَجْ : من قرى اليمامة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم البيل^[١٠] ، حدثنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم ، حدثنا شبيب بن بشر ، حدثنا عكرمة عن ابن عباس في قوله : ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسُولِ﴾ ، قال : بئر بأذریجان .

وقال سفيان الثوري عن أبي بكير عن عكرمة : الرس : بئر رسوا فيها نبيهم . أي : دفنه بها^[١١] .

وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي^[١٢] قال^[١٣] : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أول الناس يدخل الجنة يوم القيمة العبد الأسود ، وذلك أن الله تعالى وبارك بعث ليها إلى أهل قرية ، فلم يؤمن به من أهلها إلا ذلك [العبد الأسود] ، ثم إن

[١] - في ت : « نعمه » .

[٢] - في ت : « يترك » .

[٤] - في ز ، خ : « في » .

[٥] - ما بين المukoفين في ت : « كسوة » .

[٦] - في ت : « قال » .

[٧] - في ت : « وقال » .

[٨] - في ت : « قال » .

[٩] - في ز : « بقلج » .

[١٠] - سقط من : ت .

[١١] - في ت : « فيها » .

[١٢] - سقط من : ت .

[١٣] - سقط من : ز ، خ .

إِنْ أَهْلَ[١] الْقُرْيَةِ عَدَوًا عَلَى النَّبِيِّ ، فَحَفَرُوا لَهُ بَيْرًا فَأَلْقَوْهُ فِيهَا ، ثُمَّ أَطْبَقُوا عَلَيْهِ بَحْرًا .

قال : فكان ذلك العبد يذهب فيحتطب^[٢] على ظهره ، ثم يأتي بخطبه فيبيعه ، ويشتري به طعاماً وشراباً ، ثم يأتي به إلى تلك البئر ، فيرفع تلك الصخرة ، ويعينه الله عليها ، فيدللي إليه طعامه وشرابه ، ثم يردها كما كانت . قال : فكان كذلك ما شاء الله أن يكون ، ثم إنه ذهب يوماً يحتطب كما كان يصنع^[٤] ، فجتمع خطبه وحزم حزمته وفرغ منها ، فلما أراد أن يحملها وجد سنة ، فاضطجع فنام . [فَضَرَبَ^[٥]] على أذنه سبع سنين [نائماً] ، ثم إنه هب فتمطى ، فتحول لشقة الآخر فاضطجع ، فضرب الله على أذنه سبع سنين^[٦] أخرى ، ثم إنه هب واحتمل حزمته ولا يحسب إلا أنه نام ساعة من نهار ، ف جاء إلى القرية فباع حزمته ، ثم اشتري طعاماً وشراباً كما كان يصنع ، ثم ذهب إلى الخفيرة في موضعها الذي كانت فيه ، فالتمسه فلم يجده . [وَقَدْ كَانَ^[٧] بَدَا لِقَوْمِهِ فِيهِ تَبَادِءٌ ، فَاسْتَخْرَجُوهُ وَآمَنُوا بِهِ وَصَدَقُوهُ .

قال : فكان نبيهم يسألهم عن ذلك الأسود : ما فعل ؟ فيقولون له : ما ندرى . حتى قبض الله النبي ، وأهبت الأسود من نومته بعد ذلك . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إنَّ ذَلِكَ الْأَسْوَدَ لَأُولُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ » .

[هكذا]^[٨] رواه ابن جرير^(١٥) ، عن ابن حميد ، عن سلمة ، عن محمد^[٩] بن إسحاق ، عن محمد بن كعب مرسلًا وفيه غرابة ونکارة ولعل فيه إدراجا ، والله أعلم . [وَمَا^[١٠] ابن جرير فقال^[١١] : لا يجوز أن يحمل هؤلاء على أنهم أصحاب الرسالات الذين ذكروا في القرآن ، لأن الله أخبر عنهم أنه أهلكهم وهوئاء قد بدا لهم فآمنوا^[١٢] بنبيهم ، اللهم^[١٢] أن يكون حدث لهم^[١٣] أحداث آمنوا بالنبي بعد هلاك آبائهم ، والله أعلم .

واختار ابن جرير أن المراد بأصحاب الرسالات هم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة البروج ، فالله أعلم .

[١٥] تفسير الطبرى (١٠/١٩) .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ : « فيحتطب » .

[٣] - ما بين المعقوفين في ت : « فضرب الله » .

[٤] - في ت : « وكان وقد » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ت : « وهكذا » .

[٧] - ما بين المعقوفين في ت : « وقال ابن جرير » .

[٨] - في ت : « وهكذا » .

[٩] - سقط من : ز ، خ .

[١٠] - ما بين المعقوفين في ت : « آمنوا » .

[١١] - في ز : « إلا » .

[١٢] - في ت : « له » .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ . أي : وأئمًا بين أضعاف مَنْ ذُكِرَ أهْلُكُنَا هُمْ كثيرة ؛ ولهذا قال : ﴿ وَكَلَا صُرِبَنَا لَهُ الْأَمْثَالُ ﴾ أي [١] يَتَا لَهُمُ الْحَجَجُ ، وَوَضَعَنَا لَهُمُ الْأَدْلَةُ . كما قال قنادة أَرْجَنَا الْأَعْذَارَ عَنْهُمْ ﴿ وَكَلَا تَبَرَّنَا تَبَيِّرَا ﴾ أي : أَهْلُكُنَا إِهْلًا كَا ؛ كَقُولَهُ تَعَالَى : ﴿ وَكُمْ أَهْلُكُنَا مِنَ الْقَرْوَنَ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ والقرن هو : الأُمَّةُ مِنَ النَّاسِ . كَقُولَهُ : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأَنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرَينَ ﴾ وَحْدَهُ بَعْضُهُمْ بِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَقَيْلٌ : بِمِائَةَ سَنَةٍ ، وَقَيْلٌ : بِشَمَائِينَ سَنَةً [٢] ، وَقَيْلٌ : أَرْبَاعِينَ ، وَقَيْلٌ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَالْأَظَهَرُ أَنَّ الْقَرْنَ هُمُ الْأُمَّةُ الْمُتَعَاصِرُونَ [٣] فِي الزَّمْنِ الْوَاحِدِ إِذَا ذَهَبُوا وَخَلَفُهُمْ جِيلٌ فِيهِمْ [٤] قَرْنٌ ثَانٌ [٥] كَمَا ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ [٦] عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ [٧] « خَيْرُ الْقَرْوَنَ قَرْنٌ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ». الحَدِيثُ .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْتَ مَطْرَ السَّوْءِ ﴾ . يَعْنِي قَرْيَةً قَوْمًا لَوْطًا وَهِيَ سَدُومُ وَمَعَانِلُهَا ، الَّتِي [أَهْلُكَهَا] [٨] بِالْقُلْبِ وَبِالْمَطْرِ [الْحَجَاجَةُ مِنْ سَجِيلٍ] [٩] . كما قال تعالى : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرًا فَسَاءَ مَطْرَ الْمُنْذَرِينَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمْرُونَ عَلَيْهِمْ مَصْبِحِينَ * وَبِاللَّيلِ أَفْلَأَ تَعْقُلُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّهَا لَبَسِيلٌ مَقِيمٌ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَإِنَّهَا لِإِيمَامٍ مِيَّنَ ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ أَفْلَمْ يَكُونُوا يَرْجُونَهَا أَيُّ أَفْتَرُوا بِمَا حَلَّ بِأَهْلِهَا مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ بِسَبِبِ تَكْذِيْبِهِمْ بِالرَّسُولِ وَمُخَالَفَتِهِمْ [١٠] أَوْامِرَ اللَّهِ .

وقوله : ﴿ بَلْ كَالَّوْا لَا يَرْجُونَ نَشْرَوْا ﴾ يَعْنِي الْمَازِينَ بِهَا مِنَ الْكُفَّارِ لَا يَعْتَبِرُونَ ؛ لِأَنَّهُمْ [١١] لَا يَرْجُونَ نَشْرًا ؛ أَيُّ : مَعَاذًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْتَ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَكُمْ يَكُوْنُوا يَرْوَنَهُمْ بَلْ
كَانُوْا لَا يَرْجُونَ نَشْرًا ﴿١﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَنْخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوا أَهْنَدَا الَّذِي
بَعْثَكَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٢﴾ إِنْ كَادَ لِيُضْلِلُنَا عَنِ الْهَدِيَّةِ لَنَلَّا أَنْ صَبَرْنَا
عَلَيْهِمَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مِنْ أَحْلَلُ سَيِّلًا ﴿٣﴾ أَرَأَيْتَ مِنْ

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في ت : « المعاصرة » .
[٤] - في ت : « فهو » .
[٥] - في ت : « آخر » .
[٦] - ما بين المukoفين سقط من : ت .

[٧] - في ت : « أهلكها الله » .
[٨] - ما بين المukoفين في ت : « من الحجارة التي من سجيل » .
[٩] - في ت : « بمخالفتهم » .
[١٠] - في ت : « أنهم » .

أَنْخَذَ إِلَّا هُمْ هَوْنَةٌ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

يَسْمَعُونَ أَوْ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

يخبر تعالى عن استهزاء المشركين بالرسول ، صلى الله عليه وسلم ، إذا رأوه ؛ كما قال تعالى : ﴿٤٥﴾ إِنَّمَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَحْذَنُوكَ إِلَّا هُزُوا [٤٦] أَهْذَى الَّذِي يَذْكُرُ آثَارَكُمْ [٤٧] .
يعنون بالغباء والنفس ، وقال هامنا : ﴿٤٨﴾ إِنَّمَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَّا هُزُوا أَهْذَى الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا [٤٩] أي : على سبيل التقصص والازدراء قبحهم [٥٠] اللَّهُ ! كما قال ﴿٥١﴾ ولهذا استهزأ رسول من قبلك [٥٢] فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب [٥٣] .

وقوله تعالى : ﴿٥٤﴾ إِنْ كَادَ لِيَضْلُّنَا عَنِ الْهُدَى لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا [٥٥] يعني أنه كاد يتباهى [٥٦] عن عبادة أصنامهم [٥٧] لو لا أن صبروا وتحملوا واستمرروا على عبادتها ! قال اللَّهُ تعالى متوعداً لهم ومتهدداً : ﴿٥٨﴾ وَسُوفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوُنَ الْعَذَابَ [٥٩] من أضل سبيلاً [٦٠] .

ثم قال تعالى لنبيه منبهأً له أنَّ من كتب اللَّهُ عليه الشقاوة والإضلal [٦١] فإنه لا يهديه أحد إلا اللَّهُ - عز وجل - ﴿٦٢﴾ أَرَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا هُوَاهُ [٦٣] أي : مهما استحسن من شيء ، ورأه حستا في هوئي نفسه [٦٤] كان دينه ومذهبها ؛ كما قال تعالى : ﴿٦٥﴾ أَفَمَنْ زَيْنَ لَهْ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَأَهُ حَسْنًا [٦٦] * فَإِنَّ اللَّهَ يَضْلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذَهَّبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حُسْنَاتِهِ .
ولهذا قال هامنا : ﴿٦٧﴾ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا [٦٨] . قال ابن عباس : كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زماناً فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول .

ثم قال تعالى : ﴿٦٩﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا [٧٠] .
أي : هم أسوأ حالاً من الأنماع السارحة فإن تلك تفعل [٧١] ما خلقت له ، وهؤلاء خلقوا لعبادة اللَّهِ وحده لا شريك له [٧٢] [٧٣] .
وهم يبعدون غيره ويشركون به مع قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل إليهم .

أَلَمْ تَرَ إِلَيْنَا رَيْكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا أَشْمَسَ عَلَيْهِ

[١] - ما بين المعکوفین سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعکوفین سقط من : ت .

[٣] - ما بين المعکوفین سقط من : ت .

[٤] - في ت : « الأصنام » .

[٥] - في ت : « الضلال » .

[٦] - في ز : « تعقل » .

[٧] - ما بين المعکوفین في ت : « فلم يفعلوا » .

[٨] - ما بين المعکوفین في ت : « فلم يفعلوا » .

﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْتَهُ إِلَيْنَا فَقَبَضَاهُ يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَيْلَلَ

﴿٤٧﴾ لِيَاسَاً وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا

من هنا شرع سبحانه وتعالى في بيان الأدلة الدالة على وجوده وقدرته التامة على خلق الأشياء المختلفة والمتضادة فقال تعالى : ﴿أَلم تر إلى ربك كيف مَدَ الظل﴾ . قال ابن عباس ، وابن عمر ، وأبو العالية ، وأبو مالك ، ومسروق ، ومجاحد ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النخعي ، والضحاك ، والحسن البصري ، وقناة ، والستدي وغيرهم : هو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

﴿ولو شاء جعله ساكنا﴾ أي : دانتا لا يزول ؛ كما قال تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتَ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الظَّلَلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ، ﴿قُلْ أَرَأَيْتَ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ .

وقوله : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ أي : لو لا أن الشمس تطلع عليه لما عرف ، فإن الضد لا يعرف إلا بضده .

وقال قنادة ، والستدي : دليلاً يتلوه ويتبعه حتى يأتي عليه كله .

وقوله : ﴿ثُمَّ قَبَضْنَا إِلَيْنَا قَبَضًا يَسِيرًا﴾ أي : الظل . وقيل : الشمس . ﴿إِلَيْنَا قَبَضَا يَسِيرًا﴾ ، أي : سهلاً - قال ابن عباس : سريعاً . وقال مجاهد : خفياً . وقال الستدي : قبضاً خفياً ، حتى لا يقع في الأرض ظل إلا تحت سقف أو تحت شجرة ، وقد أظلمت الشمس ما فوقه .

وقال أئوب بن موسى : ﴿ثُمَّ قَبَضْنَا إِلَيْنَا قَبَضًا يَسِيرًا﴾ . أي : قليلاً قليلاً .

وقوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الظَّلَلَ سَبَاتًا﴾ ، أي : يلبس الوجود ويغشيه ، كما قال : ﴿وَاللَّيلُ إِذَا يَغْشِي﴾ ، وقال : ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ .

﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ ، أي : قطعاً للحركة لراحة الأبدان ، فإن الأعضاء والجوارح تكل من كثرة الحركة في الانتشار بالنهار في المعيش ، فإذا جاء الليل وسكن سكت الحركات ، فاستراحت فحصل النوم الذي فيه راحة البدن والروح معاً .

﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ ، أي : ينتشر^[١] الناس فيه لعيشهم ومكاسبهم وأسبابهم ، كما

[١] - في ز ، خ : « ينشر » .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعِلْكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرَّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِتُنْخَىءَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتَةً وَتُشَقِّيْهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَفْنَمًا وَأَنَاسَى كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بِنَهْمَ لِيَذَكَّرُوا فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا كُفُورًا ﴿٥٠﴾

وهذا أيضاً من قدرته التامة وسلطانه العظيم ، وهو أنه تعالى يرسل الرياح مبشرات . أي : بمجيء السحاب بعدها ، والرياح أنواع ، في صفات كثيرة من التسخير ، فمنها ما يثير السحاب ، ومنها ما تحمله [١] ، ومنها ما تسوقه [٢] ، ومنها ما يكون بين يدي السحاب بشراً ، ومنها ما يكون قبل ذلك يقثم الأرض ، ومنها ما يلتحم السحاب ليطر ، ولهذا قال : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ . أي : آلة يظهر بها ، كالسحور والوقود [٣] وما جرى مجراه . هذا [٤] أصبح ما يقال في ذلك .

وأما من قال : إنه فعول يعني فاعل ؟ أو : إنه مبني للبالغة أو التعدي ، فعلى كل منهما إشكالات من حيث اللغة والحكم ، ليس هذا موضع بسطها ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، حدثنا أبي ، عن أبي جعفر الرازى ، حدثني حميد الطويل ، عن ثابت البزنطى ؛ قال : دخلت مع أبي العالية في يوم مطر ، وطرق البصرة قدرة ، فصلى ؛ فقلت له [٥] ، فقال : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ . قال : طهره ماء السماء .

وقال أيضاً : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا ۋەھىب ، عن داود ، عن سعيد بن المسيب في هذه الآية : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ لا ينجسه شيء .

وعن أبي سعيد قال [٦] : قيل : يا رسول الله ؟ أنتوضأ من بشر بضاعة ؟ - وهي بشر يلقى فيها التئن ولحوم الكلاب - فقال : « إن الماء طهور لا ينجسه شيء ». رواه الشافعى ، وأحمد

[١] الأم للشافعى (١/٩) ، والمسند (٣/١٥) ، وأخرجه النسائي - كتاب المياه ، باب : « ذكر بشر بضاعة » - (١/٧٤) . والطحاوى في شرح معانى الآثار - (١/١٢) . وأبو يعلى في مسنده - (٤/١٣٠) - (٢/٤٧٦) . والبيهقي في الكبرى - كتاب الطهارة ، باب : الماء الكبير لا ينجس بتجاسته تحدث فيه =

[٢] - في ت : « يحمله » .

[٣] - في ز ، خ : « الوجود » .

[٤] - في ت : « فهذا » .

[٥] - ياض في ز ، خ .

[٦] - ياض في ز ، خ .

وصححه ، وأبو داود ، والترمذى وحسنه ، والنسائى .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو الأشعث ، حدثنا معتمر ، سمعت أبي يحدث عن سيار ، عن خالد بن يزيد ؛ قال : كان عند عبد الملك بن مروان ، فذكروا الماء ، فقال خالد بن يزيد : منه من السماء ، ومنه ما يسوقه الغيم من البحر فيعذبه الرعد والبرق ، فاما ما كان من البحر فلا يكون له نبات فاما النبات فمما كان من السماء .

وروى عن عكرمة قال : ما أنزل الله من السماء قطرة إلا أنبت بها في الأرض عشبة أو في البحر لؤلؤة . وقال غيره : في البر بُرٌّ ، وفي البحر ذُرٌّ .

وقوله : ﴿لتحسي به بلدة ميّتا﴾ أي : أرضًا قد طال انتظارها للغيث ، فهي هامدة لا نبات فيها ولا شيء ، فلما جاءها الحيا عاشت واكتست رباهما أنواع الأزاهير والألوان ؛ كما قال تعالى : ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَرَتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَ مِنْ كُلِّ زُوْجٍ بِهِمْ﴾ ﴿وَسَقَيْهِ مَا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْاسِيْ كَثِيرًا﴾ . أي : وليشرب منه الحيوان من أنعام وأناسى ، محتاجون^[١] إليه غاية الحاجة ، لشربهم وزروعهم وثمارهم ، كما قال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنْطَرَ وَيُنَشِّرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ، وقال تعالى : ﴿فَانظُرْ إِلَى آثارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدِ مَوْتِهَا إِنْ ذَلِكَ لَحْيَ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

وقوله : ﴿وَلَقَدْ صَرَفَاهُ بَيْنَهُمْ لِيذَكُرُوا﴾ . أي : أمرتنا هذه الأرض دون هذه ، وسكنى السحاب فمر على الأرض وتعداها وجاؤها [إلى الأرض الأخرى]^[٢] ، لم ينزل فيها قطرة من

= ما لم يتغير (١/٢٥٧-٢٥٨) . من طرق عن عبد العزيز بن مسلم به - وسقط في شرح معاني الآثار « سليط » ؛ فليستدرك .

وأخرجه أبو داود - كتاب الطهارة ، باب : ما جاء في بحر بضاعة - (٦٦) . والترمذى - كتاب الطهارة ، باب : ما جاء في أن الماء لا ينجزه شيء - (٦٦) . والنسائي - (١٧٤/١) وابن الجارود في « المستقى » (٤٧) ، والبيهقي (٤/٥-٤/١) ، وأحمد (١١٢٧٣) (٣١/٣) .

من طريق أبي أسامة عن الوليد بن كثير عن محمد بن كعب عن عبد الله بن رافع ابن خديج عن الحذري .

وقال الترمذى : هذا حديث حسن ، وقد جود أبوأسامة هذا الحديث ، فلم يرو واحد حديث أبي سعيد في بحر بضاعة أحسن مما روى أبوأسامة ، وقد روی هذا الحديث من غير وجه عن أبي سعيد .

وأخرجه أبو داود - (٦٧) والطحاوي - (١/١) وأحمد (١١٨٣١) (٨٦/٣) .

من طرق ثلاثة عن محمد بن إسحاق عن سليمان بن أبي طالب عن عبد الله بن عبد الرحمن بن رافع عن أبي سعيد به .

والحديث صححه الشيخ الألبانى في الإرواء (١٤) .

[١] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ت : « محتاجين » .

ماء ، وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة .

قال ابن مسعود وابن عباس : ليس عام بأكثر مطرًا من عام ، ولكن الله يصرفه كيف يشاء ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ وَلَقَدْ صَرَفْنَا بَيْنَهُمْ لِيذْكُرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ .

أي : ليدكروا بإحياء الله الأرض الميتة أنه قادر على إحياء الأموات والعظيم والرفات^[١] . أو : ليدرك من مئنة القطر أئمأ أصحابه ذلك بذنب أصحابه ، فيقلع عما هو فيه .

وقال عمر مولى غفرة : كان جبريل - عليه السلام - في موضع الجنائز ، فقال له النبي ، صلى الله عليه وسلم : « يا جبريل ، إني أحب أن أعلم أمتي السحاب » قال^[٢] فقال جبريل : يا نبي الله ، هذا ملك السحاب فسله . فقال : تائياً صِّكاك مختمة : اسق بلاد كذا وكذا ، كذا وكذا قطرة . رواه ابن أبي حاتم ، وهو حديث مرسلاً .

وقوله : ﴿ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ . قال عكرمة : يعني الذين يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا .

وهذا الذي قاله عكرمة كما صبح في الحديث المخرج في صحيح مسلم^[٣] ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنه^[٤] قال لأصحابه يوماً^[٥] ، على أثر سماء أصحابهم من الليل : « أتدرون ماذا قال ربكم؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فاما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما^[٦] من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي ، مؤمن بالكوكب ».

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهَهُمْ بِهِ
جِهَادًا كَيْرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَّ الْبَحْرَيْنَ هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ وَهَذَا مَلْحٌ
أَجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجَهَرًا تَمْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا
فَجَعَلَهُمْ سَبَّا وَصَهْرًا وَكَانَ رَبِّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾

يقول تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴾ ، يدعوهم إلى الله عز وجل ، ولكننا نخصبناك ، يا محمد ، بالبعثة إلى جميع أهل الأرض ، وأمرناك أن تبلغ الناس هذا القرآن .

(١٧) صحيح مسلم حديث (٧١) من حديث زيد بن خالد الجهنمي .

[١] - في ت : « والرفات » .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

﴿لأنذركم به ومن بلغ﴾ ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ ﴿لتنذر أم القرى ومن حولها﴾ . ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾ .

وفي الصحيحين : « بعثت إلى الأحمر والأسود ». وفيهما : « وكان النبي يبعث إلى قومه [١] وبعثت إلى الناس عامة »؛ ولهذا قال : ﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به﴾ يعني : القرآن [٢] ؛ قاله ابن عباس ﴿جهاداً كبيرا﴾ كما قال تعالى : ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والشاققين وأغلظ عليهم﴾ .

وقوله : ﴿ وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج﴾ ، أي : خلق الماءين : الحلو والملح ، فالحلو كالأنهار والعيون والآبار ، وهذا هو البحر الحلو الفرات العذب الر Lal ؛ قاله ابن جرير ، واختاره ابن جرير ، وهذا الذي لا شك فيه ، فإنه ليس في الوجود بحر ساكن وهو عذب فرات . والله سبحانه إنما أخبر [٣] عن الواقع [٤] لينبه العباد على نعمه عليهم ليشكروه ، فالبحر العذب هو هذا السارح بين الناس ، فرقه تعالى [٤] بين خلقه لاحتياجهم إليه أنهاماً وعيوناً في كل أرض بحسب حاجتهم وكفايتهم لأنفسهم وأراضيهم .

وقوله : ﴿ وهذا ملح أجاج﴾ أي : مالئ مِرْزُعَاق [٥] لا يستساغ [٦] ، وذلك كالبحار المعروفة في المشارق والمغارب ، البحر الحيط وما يتصل به من الزفاف وبحر القلزم ، وبحر اليمن ، وبحر البصرة ، وبحر فارس ، وبحر الصين والهند ، وبحر الروم ، وبحر التمر ، وما شاكلها وشبهها [٧] من البحار الساكنة التي لا تجري ، ولكن تتموج وتضطرب وتقتلم [٨] في زمان الشتاء وشدة الرياح ، ومنها ما فيه مد وجزر ، ففي أول كل شهر يحصل منها مد وفيض ، فإذا شرع الشهر في النقصان حجرت ، حتى ترجع إلى غايتها الأولى ، فإذا استهل الهلال من الشهر الآخر شرعت في المد إلى الليلة الرابعة عشرة ثم تشرع في النقص ، فأجزر الله سبحانه وتعالى - قوله القدرة التامة - العادة بذلك .

فكل هذه البحار الساكنة خلقها الله سبحانه وتعالى مالحة الماء ، لولا يحصل بسببيها نتن الهواء ، فيفسد الوجود بذلك ، ولولا تجوي [٩] الأرض بما يموت فيها من الحيوان . ولما كان ماؤها ملحاً كان هواها صحيحاً وميتتها طيبة ؛ ولهذا قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقد سئل عن ماء البحر : أنتوضأ به ؟ فقال : « هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته ». رواه

[١] - ما بين المعقوفين في ت : « حاصة » .

[٢] - في ت : « بالواقع » .

[٣] - سقط من : ز .

(*) الرعاق من الماء : المُرْغَلِيْظ ، لا يُطَافِ شُرْبَه . [٥] - في ز ، خ : « يستطاع » .

[٦] - في ت : « شابها » .

(**) بجوي الشيء : تغيير وأندن .

الأئمة^(١٨) : مالك ، والشافعي ، وأحمد ، وأهل السنن ، ياسناد جيد .

وقوله : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا ﴾ ، أي : بين^[١] العذب والملاح^[٢] ﴿ بَرْزَخًا ﴾ أي : حاجزاً ، وهو البيس من الأرض ، ﴿ وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ ، أي : مانعاً أن يصل أحدهما إلى الآخر ، كما قال تعالى : ﴿ مَرْجُ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَغْيِيَانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبُانِ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ أَمْنٌ جَعْلَ الْأَرْضَ قَرَازًا وَجَعْلَ خَالَلَاهَا أَهْزَارًا وَجَعْلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعْلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلِهَ بِلَ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسِيَّاً وَصَهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ أي : خلق الإنسان من نطفة ضعيفة ، فسواء وعده ، وجعله كامل الخلقة ، ذكرًا أو أنثى ، كما يشاء ، ﴿ فَجَعَلَهُ نَسِيَّاً وَصَهْرًا ﴾ ، فهو في ابتداء أمره ولد نسيب ، ثم يتزوج فيصير صهراً ، ثم يصير له أصهار وأختان وقرابات . وكل ذلك من ماء مهين ؛ ولهذا قال : ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ .

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ طَهِيرًا
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلْتُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا
مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَقِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ
وَسَيَّحَ يَحْمَدِهِ وَكَفَّنَ بِهِ بِنُؤُوبٍ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلَ بِهِ
خَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَسْهُدُوا لِرَحْمَنِ فَالْأُلُوَّا وَمَا الْرَّحْمَنُ أَنْسَجَدَ لِمَا قَاتَمَنَا
وَزَادَهُمْ نُورًا ﴿٦٠﴾

يخبر تعالى عن جهل المشركين في عبادتهم غير الله من الأصنام ، التي لا تملك لهم نفعاً ولا ضرراً ، بلا دليل قادهم إلى ذلك ، ولا حجة أدتهم إليه ، بل مجرد الآراء ، والتشهي والأهواء^[٣] ، فهم [يوالون لهم^[٤]] ويتقاتلون في سبيلهم ، ويعادون الله ورسوله فيهم ، ولهذا قال : ﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ طَهِيرًا ﴾ . أي : عوناً في سبيل الشيطان على حرب الله ،

(١٨) سبق تخریجه عند تفسیر الآية : ٣ من سورة المائدۃ .

[١] - في ز : « من » .

[٢] - في ت : « الملاح » .

[٤] - في ت : « يوالونهم » .

[١] - في ز : « من » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

وحزب الله هم الفاليون ، ما قال تعالى : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون * لا يستطيعون نصرهم وهم جند محضرون ﴾ . أي : الالهتهم التي اتخذوها من دون الله لا تملك لهم نصراً ، وهؤلاء الجهة للأصنام جند محضرون^[1] يقاتلون عنهم ، ويذبحون عن حوزتهم ، ولكن العاقبة والنصرة لله ولرسوله في الدنيا والآخرة .

قال مجاهد: **وكان الكافر على ربه ظهيراً** قال: يظاهر الشيطان على معصية الله:
يعينه [٢].

وقال سعيد بن جبير: ﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ يقول: عوناً للشيطان على ربه بالعداوة والشرك.

وقال زيد بن أسلم : ﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رِبِّهِ ظَاهِيرًا ﴾ ، قال : مواليا .

ثم قال تعالى لرسوله - صلوات الله وسلامه عليه - : ﴿وَمَا أُرْسَلْنَاكُ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنذِيرًا﴾ ، أي : بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين ، مبشرًا بالجنة لمن أطاع الله ، ونذيراً بين يدي عذاب شديد لمن خالف أمر الله .

﴿ قل ما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ . أَيْ : عَلَى هَذَا الْبَلَاغِ وَهَذَا الْإِنْذَارِ مِنْ أَجْرٍ أَطْلَبُهَا مِنْ أَمْوَالِكُمْ ، وَإِنَّمَا أَغْفِلُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ ، ﴿ مِنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ ﴿ إِلَّا مِنْ شَاءَ أَنْ يَعْصِمْ إِلَيَّ رَبِّ سَيِّلَاتِهِ ﴾ . أَيْ : طَرِيقًا وَمِسْلَكًا وَمِنْهُجًا يَقْتَدِي فِيهَا بِمَا جَعَلَ بِهِ .

ثم قال : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ . أي : في أمورك كلها كن متوكلاً على الله الحي الذي لا يموت أبداً ، الذي هو ﴿ الْأُولُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ الدائم الباقى السرمدى الأبدى ، الحي القيوم رب كل شيء ومليكه ، اجعله ذخرك [٣] وملجاك ، وهو الذى يتوكل عليه وينزع إليه ، فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بُلْغُ مَا أُنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتُ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ .

وَإِقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتَمٍ^(١٩) : حَدَّثَنَا أَبُو زَرْعَةُ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَلَيِّ بْنِ نَفِيلٍ قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى مَعْقُلٍ - يَعْنِي : ابْنَ عَيْدِ اللَّهِ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَسِينٍ ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبِ قَالَ : لَقِيْ سَلْمَانَ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي بَعْضِ فَجَاجِ الْمَدِينَةِ فَسَجَدَ لَهُ

(١٩) ورواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (١٠٣/٢) من طريق محمد بن أحمد بن سيار ، عن هشام ، عن إسماعيل بن عياش ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين به .

[١] - في ز : (محضر) . [٢] - في ز ، خ : (بعينه) .

[٣] - في ز ، خ : (ذكرك) . [٤] - سقط من : ز ، خ .

قال : لا تسجد لي يا سلمان ، واسجد للحي الذي لا يموت . وهذا مرسل حسن .

[وقوله تعالى : ﴿ وَسَبَّعْ بِحُمْدِهِ ﴾ ، أي : اقرن بين حمده وتسبيحه [١] ، ولهذا كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ! ». أي : أخلص له العبادة والتوكيل ، كما قال تعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ وقال : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكُّلْ عَلَيْهِ ﴾ ، ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمْنَا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوْكِلْنَا ﴾ .

وقوله : ﴿ وَكَفَىْ بِهِ بِذَلِكَ عِبَادَةً خَيْرًا ﴾ ، أي : لعلمه التام الذي لا يخفى عليه خافية ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة .

وقوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بِيهِمَا فِي سَتَةِ أَيَّامٍ ﴾ ، أي : هو الحي الذي لا يموت ، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه ، الذي خلق بقدرته وسلطانه السموات السبع ، في ارتفاعها واتساعها ، والأرضين السبع في سفولها وكتافتها ، ﴿ فِي سَتَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ، أي : يدير الأمر ، ويقضى الحق ، وهو خير الفاصلين .

وقوله : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا ﴾ ، أي : استعلم عنه من هو خير به عالم به فابتعد واقتده به ، وقد علم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد - صلوات الله وسلامه على سيد ولد آدم على الإطلاق ، في الدنيا والآخرة ، الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، فما قاله فهو حق ، وما أخبر به فهو صدق ، وهو الإمام الحكم الذي إذا تنازع الناس في شيء وجب رد نزاعهم إليه ، فما يوافق أقواله وأفعاله فهو الحق ، وما يخالفها فهو مردود على قائله وفاعله ، كائناً من كان ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرْدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ، وقال : ﴿ وَمَا اخْتَلَقْتُمْ فِيْ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمْهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَقَتَّ كَلْمَةً [٢] رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ أي : صدقًا في الخبر وعدلًا في الأوامر والنواهي ، ولهذا قال : ﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا ﴾ قال مجاهد في قوله : ﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا ﴾ ، قال : ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك . وكذا قال ابن شريح .

وقال شمر بن عطية في قوله : ﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا ﴾ قال : هذا القرآن خير به .

ثم قال تعالى منكروا على المشركين الذين يسجدون لغير الله من الأصنام والأنداد : ﴿ وَإِذَا قَيْلَ لَهُمْ أَسْجَدُوا لِرَحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾ أي : لا نعرف الرحمن . وكانوا ينكرون أن يسمى الله باسمه الرحمن ، كما أنكروا ذلك يوم الحديبية حين قال النبي - صلى الله عليه وسلم - للكاتب : « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ». فقالوا : لا نعرف الرحمن ولا الرحيم ، ولكن اكتب كما كنت تكتب : باسمك اللهم . ولهذا أنزل الله ﴿ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ

[١] - ما بين الممکونین سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز ، خ : « كلمات » .

ادعوا الرحمن أياماً تدعوا فله الأسماء الحسنى هـ ، أي : هو الله وهو الرحمن . وقال في هذه الآية : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَسْجَدُوا لِرَحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾ هـ أي : لا نعرفه ولا نقر به ، ﴿ أَسْجَدَ لَمَا تَأْمُرُنَا ﴾ هـ أي : لمجرد قولك ؟ ﴿ وَزَادُهُمْ نُفُورًا ﴾ هـ ؛ أما المؤمنون فإنهم يعبدون الله الذي هو الرحمن الرحيم ، ويفردونه باللهية ويسجدون له . وقد اتفق العلماء - رحمهم الله - على أن هذه السجدة التي في الفرقان مشروع السجود عندها لقارئها ومستمعها ، كما هو مقرر في موضعه ، والله أعلم .

بَارَكَ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سَرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا [١] **وَهُوَ**
الَّذِي جَعَلَ أَيَّلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا [٢]

يقول تعالى ، ممجداً نفسه ، ومعظمه على جميل ما خلق في السماء من البروج - وهي الكواكب العظام [٣] ، في قول مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبي صالح ، والحسن ، وقادة ، وقيل : هي قصور في السماء للحرس ، يروى هذا عن علي ، وابن عباس ، ومحمد بن كعب ، وإبراهيم النخعي ، وسليمان بن مهران الأعمش ، وهو رواية عن أبي صالح أيضاً ، والقول الأول أظهر . اللهم إلا أن يكون الكواكب العظام هي قصور [٤] للحرس ، فيجتمع القولان ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَينَ السَّمَاءَ الدِّينِ بِعَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَا هَارِجَةً لِلشَّيَاطِينِ ﴾ هـ ؛ ولهذا قال : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سَرَاجًا ﴾ هـ ، وهي الشمس المثيرة ، التي هي كالسراج في الوجود ، كما قال : ﴿ وَجَعَلْنَا سَرَاجًا وَهَاجًَا ﴾ هـ ﴿ وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ هـ ، أي : مضيئاً مشرقاً بنور آخر ونوع وفن آخر ، غير نور الشمس [٥] ، كما قال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ هـ ، وقال مخيبراً عن نوح ، عليه السلام ، إنه قال لقومه : ﴿ أَلمْ تَرُوا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طَبَاقًا . وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سَرَاجًا ﴾ هـ ثم قال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ هـ ، أي : يخلف كل واحد منها الآخر ، يتعاقبان [٦] ، إذا ذهب هذا جاء هذا ، وإذا جاء هذا ذهب ذاك ، كما قال : ﴿ وَسَخَرَ لَكُمُ الْشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِيْنِ وَسَخَرَ لَكُمُ الْلَّيلُ وَالنَّهَارَ ﴾ هـ وقال : ﴿ يَغْشِي اللَّيلُ النَّهَارَ يَطْلَبُهُ حَتَّىٰ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجْوَمُ مَسْخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ﴾ هـ .

وقال : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَبْغِي لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْلَّيلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبِحُونَ ﴾ هـ .

وقوله : ﴿ لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ هـ ، أي : جعلهما يتعاقبان ، توقيتاً لعبادة عباده له ، فمن فاته عمل في الليل استدركه في النهار ، ومن فاته عمل في النهار استدركه في

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ت : « قصوراً » .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعقوفين في ت : « لا يفتران » .

الليل . وقد جاء في الحديث الصحيح (٢٠) : « إن الله تعالى يسطر يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويسطر يده بالنهار ليتوب مسيء الليل » .

قال أبو داود الطيالسي^(٣١) : حدثنا أبو حرمة^[١] ، عن الحسن : أن عمر بن الخطاب أطال صلاة الضحى ، فقيل له : صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه ؟ فقال : إنه بقي علىي من وردي شيء ، فأحببته أن أتمه - أو قال : أقضيه - وتلا هذه الآية : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَهُ﴾ .

[وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَهُ﴾ [٢] يقول : من فاته شيء من الليل [أن يعمله] [٣] ، أدركه بالنهار ، أو من النهار أدركه بالليل . وكذا قال عكرمه وسعید بن جبیر والحسن

وقال مجاهد وقتادة : **خلفة** ، أي : مختلفين ، هذا بسواده ، وهذا بضيائه .

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا
سَلَامًا ٦٣ وَالَّذِينَ يَسْتُورُونَ لِرَبِّهِمْ سُجْدًا وَقِيَمًا ٦٤ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبُّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَاءَتْ
مُسْتَقْرَأً وَمَقَاماً ٦٦ وَالَّذِينَ إِذَا آفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ
ذَلِكَ قَوَاماً ٦٧

هذه صفات عباد الله المؤمنين ﴿الذين يمشون على الأرض هونا﴾ أي بسکينة ووقار من غير جبرية^(٤) ولا استكبار، كقوله تعالى : ﴿ولا تمش في الأرض مرحا إنى لى لن تحرق الأرض ولن [٤] تبلغ الجبال طولا﴾ فاما هؤلاء فإنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح ولا اشر ولا بطر، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى من البضائع^(٥) وتصنعا^(٦) وربما ، فقد كان سيد ولد

(٢٠) رواه مسلم في صحيحه حديث (٢٧٥٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٢١) - إسناده ضعيف؛ لانقطاعه بين الحسن، وعمر.

[١] - في ز ، خ : « أبو حمزة » وهو تحريف . والصواب ما أثبتناه ، كما في تفسير ابن أبي حاتم عن أبي داود الطيالسي .

[٢] - ما ين المكوفين سقط من : خ ، ز .

(*) الجبرية - بفتح الباء واسكانها - : التكثير . [٤] - في ز : « ولم » .

(**) كذا في : ز ، خ . ولعلها معرفة عن جمع : الأبغض ، وهو الإنسان المهزول .

[٥] - في ت : « تصنعوا » .

آدم ، صلى الله عليه وسلم ، إذا مشي كأنما ينحط من صبيب ، وكأنما الأرض تطوى له . وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع ، حتى روي عن عمر أنه رأى شاباً يمشي رُؤيداً ، فقال : ما بالك ؟ أنت مريض ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين . فعلاه بالذرة ، وأمره أن يمشي بقوه . وإنما المراد باللهون هاهنا : السكينة والوقار ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢٢) : « إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ، وأنوتها وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأثروا ». .

وقال عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن يحيى ^[١] بن المختار ، عن الحسن البصري في قوله : « عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا » قال : إن المؤمنين قوم ذلل ^[٢] ، ذلت منهم - والله - الأسماء والأ بصار والجوارح ، حتى تحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ، وإنهم لأشفاء ^[٣] ، ولكنهم دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة ، فقالوا : الحمد لله الذي أذهب عناحزن . أما والله ، ما أحزنهم حزن الناس ، ولا تعاظم في نفوسهم شيء طلبوا به الجنّة ، أبكاهم الخوف من النار ، إنه ^[٤] من لم يتعرز بعزاء الله تقطّع نفسه على الدنيا حسرات ، ومن لم ير لله نعمة إلا في مطعم أو في مشرب ، فقد قل علمه وحضر عذابة . .

وقوله : « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » ، أي : إذا سفه عليهم الجهال بالسيء ، لم يقابلوهم عليه بمثله ، بل يغفون ويصفحون ، ولا يقولون إلا خيراً ، كما كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لا يزيد ^[٥] شدة الجهل عليه إلا حلها ، وكما قال تعالى : « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبغي الجاهلين ». .

وقال الإمام أحمد ^(٢٣) : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا أبو بكر ، عن الأعمش ، عن أبي خالد الوالبي ، عن النعمان بن مقرن المزني قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم - [وسبت رجل رجلاً عنده - قال : فجعل الرجل المسبوب يقول : عليك السلام . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^[٦] : « أما إن ملكاً ينكلما يذب عنك ، كلما شتمك هذا قال له : بل ^[٧] أنت ، وأنت أحق به .. وإذا قال له عليك السلام ، قال : لا ، بل عليك وأنت

(٢٢) رواه البخاري في صحيحه حديث (٦٣٥) ، ومسلم في صحيحه حديث (٦٠٣) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه . .

(٢٣) المسند (٤٤٥/٥) ، وقال الهيثمي في المجمع (٧٥/٨) : « رجاله رجال الصحيح ، غير أبي خالد الوالبي وهو ثقة ». .

[١] - في خ ، ز ، خ : « ذلك ». .

[٤] - في ت : « وإن ». .

[٦] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز . .

[١] - في خ ، ز : « عمر ». .

[٣] - في خ : « لأسماء ». .

[٥] - في ز : « يزيد ». .

[٧] - سقط من : ز ، خ . .

أحق به ». إسناد^[١] حسن ولم يخرجوه.

وقال مجاهد : « قالوا سلاماً » ، يعني قالوا : سداداً.

وقال سعيد بن جبير : ردوا معروفاً من القول.

وقال الحسن البصري : [« قالوا سلاماً »] ، قال : حلماء لا يجهلون^[٢] ، وإن شجَّلَ عليهم حلموا ، يصاحبون^[٣] عباد الله نهارهم [ما تسمعون]^[٤] . ثم [ذكر أن ليلهم]^[٥] خير ليل .

وقوله : « والذين يسيتون لربهم سجدًا وقياماً » ، أي : في عبادته وطاعته ، كما قال تعالى : « كانوا قليلاً من الليل ما يهجنون وبالأسحار هم يستغفرون » . وقال : « تتجافي جنوبهم عن المصاجع يدعون ربهم خوفاً وطمئناً وما رزقناهم ينفقون » . وقال : « أمن هو قات آلاء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه » الآية ؛ ولهذا قال : « والذين يقولون ربنا أصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً » ، أي : ملائكتها دائمًا ، كما قال الشاعر

إن يعذب يكن غراماً وإن يع ط جزيلاً فإنه لا يبالى
ولهذا قال الحسن في قوله : « إن عذابها كان غراماً » : كل شيء يصيب ابن آدم^[٦] يزول عنه فليس بغرام ، وإنما الغرام اللازم ما دامت السموات والأرض . كذا قال سليمان التيمي .

وقال محمد بن كعب : « إن عذابها كان غراماً » ، يعني : ما نعموا في الدنيا ؛ إن سأل الله الكفار عن النعمة فلم يردوها إليه ، فأغمرهم فأدخلهم النار .

« إنها ساءت مستقرًا ومقاماً » ، أي : بنس المنزل منظراً ، وبنس المقيل مقاماً .

قال ابن أبي حاتم عند قوله : « إنها ساءت مستقرًا ومقاماً » : حدثنا أبي ، حدثنا الحسن ابن الربيع ، حدثنا أبو الأحوص ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، قال : إذا طرح الرجل في النار هوئ فيها ، فإذا انتهى إلى بعض أبوابها قيل له^[٧] : مكانك حتى تتحف ، قال : فيسوقى كأساً من شم الأسود^[٨] والعقارب ، قال : فيميز الجلد على حدة ، والشعر على حدة ،

[١] - في ت : « إسناده » .

[٢] - في خ : « قالوا : سلام عليكم » .

[٣] - في ز : « أيا صاحبون » .

[٤] - ما بين المعقودين في ز : « ليلهم » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - سقط من : خ .

[٧] - الأسود : جمع أسود ، وهو العظيم من الحيات ، وأنجذبها وأنكها .

[١] والعصب على حدة ، والعروق على حدة .

وقال أيضاً [٢] : حدثنا أبي ، حدثنا الحسن بن الربيع ، حدثنا أبو الأحوص ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير ؛ قال : إن في النار لجبايا [٣] فيها حيات أمثال البخت [٤] ، وعقارب أمثال البغال الدلّم [٥] ، فإذا قذف بهم في النار خرجت إليهم من أوطانها ، فأخذت شفاههم [٦] وأيشارهم وأشعارهم ، فكشتلت لحومهم إلى أقدامهم ، فإذا وجدت حر النار رجعت .

وقال الإمام أحمد [٧] : حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا سلام - يعني ابن مسكون [٨] - عن أبي ظلال ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن عبداً في جهنم لينادي ألف سنة : يا حنان ! يا منان ! فيقول الله لجبريل : اذهب فاتني [٩] بعدي هذا . فينطلق جبريل فيجد أهل النار منكين ي يكون ، فيرجع إلى ربه ، عز وجل ، فيخبره ، فيقول الله عز وجل : انتي به فإنه في مكان كذا وكذا . فيجيء به فيوقة على ربه عز وجل ، فيقول له [١٠] : يا عبدي ، كيف وجدت مكانك ومقيلك ؟ فيقول : يا رب ، شر مكان وشر مقيل ، فيقول : ردوا عبدي . فيقول : يا رب ، ما كنت أرجو إذا [١١] أخرجتني منها أن تردني فيها ! فيقول : دعوا عبدي » .

وقوله : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً » ، أي : ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ، ولا بخلاط على أهليهم فيقترون في حقهم فلا يكفرونهم ، بل عَذْلَا خياراً ، وخير الأمور أوسطها ، لا هنا ولا هنا ، « وكان بين ذلك قواماً » ، كما قال : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » .

(٢٤) المسند (٢٣٠/٣) (١٣٤٣٥) إسناده ضعيف جداً . سلام بن مسكون ، قال أحمده : ثقة ، كثير الحديث . وأبو ظلال ، اسمه هلال بن أبي هلال القسملي ، أو ابن أبي مالك ، وهو ابن ميمون ، وقيل غير ذلك في اسم أبيه ، مشهور بكنته ، قال ابن معين : أبو ظلال ليس بشيء . وقال ابن حبان : كان مغفلًا يروي عن أنس ما ليس من حديثه ، لا يجوز الاحتجاج به بحال . وفي التقريب : ضعيف - روى له البخاري تعليقاً ، وأبو داود . وقال الهيثمي في الجمع (١٠/٣٨٤) : « رجاله رجال الصحيح غير أبي ظلال وضعفه الجمهور ، ووثقه ابن حبان » .

[١] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - دلم الشيء : اشتداد سواده في ملوسة .

[٣] - في ز : « شفاههم » .

[٤] - في خ ، ز : « سكين » .

[٥] - في ز : « إذا » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - البخت : الإبل الحراسية ، واحدها بختي .

[٨] - سقط من : ز .

[٩] - في خ ، ز : « سكين » .

[١٠] - سقط من : ز ، خ .

[١] قال الإمام أحمد [٢٥] : حدثنا عصام بن خالد ، حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني ، عن ضمرة ، عن أبي الدرداء ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « من فقه الرجل رفقه في معيشته ». [٣] لم [٤] يخرجوه .

وقال أحمد أيضًا [٢٦] : حدثنا أبو عبيدة الحداد ، حدثنا سكين [٣] بن عبد العزيز القبدي ، حدثنا إبراهيم الهجيري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما عال من اقصد ». [٤] لم [٥] يخرجوه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار [٢٧] : حدثنا أحمد بن يحيى ، حدثنا إبراهيم [بن محمد [٥]] ابن ميمون ، حدثنا سعيد بن حكيم ، عن مسلم بن حبيب ، عن بلال - يعني العبسي - عن حذيفة ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ما أحسن القصد في الغنى ، وأحسن القصد في الفقر ، وأحسن القصد في العبادة ». ثم قال : لا نعرفه يروي إلا من حديث حذيفة رضي الله عنه .

وقال إياس بن معاوية : ما جاوزت به أمر الله فهو سرف .

وقال غيره : السرف : النفقة في معصية الله .

وقال الحسن البصري : ليس في [٦] النفقة في سبيل الله سرف [٧] .

**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِنَّهَا مَاخِرَ وَلَا يَقْتُلُونَ أَنفُسَ الَّذِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا
بِالْحَقِّ وَلَا يَرْتَبُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً** ﴿٦﴾ يُضَعَّفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ

(٢٥) المسند (١٩٤/٥) (٢١٧٨٥) وإسناد ضعيف من أجل أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٧٤) وقال : « رواه أحمد ، وفيه أبو بكر بن أبي مريم وقد اخالط ».

(٢٦) المسند (٤٤٧/٤) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٢٥٢) : « في إسناده إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف » .

(٢٧) مسند البزار حديث (٤/٣٦٠) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٢٥٢) : « رواه البزار عن سعيد بن حكيم عن مسلم بن حبيب ، ومسلم هذا لم أجده من ذكره إلا ابن حبان في ترجمة سعيد الراوى عنه ، وبقية رجاله ثقات » .

[١] - في ت : « قال » .

[٢] - في ت : « ولم » .

[٣] - في خ ، ز : « مسكين » .

[٤] - سقط من : ت .

[٥] - مكررة في ز ، خ .

[٦] - في ت : « سرقاً » .

[٧] - في ت : « سرف » .

الْقِيمَةَ وَيَخْلُدُ فِيهِ مَهْكَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَأَمْرَبَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَدِيقًا
 فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَتْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ
 تَابَ وَعَمِلَ صَدِيقًا فَإِنَّهُ يُؤْتَبِ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

قال الإمام أحمد ^(٢٨) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : شئل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : أي الذنب أكبر ؟ قال : « أن تجعل لله ندًا وهو خلقك ». قال : ثم أي ؟ قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معلمك ». قال : ثم أي ؟ قال : « أن تزاني حليلة جارك ». قال عبد الله : وإنزل الله تصديق ذلك : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا أَخْرَى وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يُنَذِّرُونَ وَمَنْ يَفْعُلْ ذَلِكَ يُلْقَ أَثْمَانًا﴾ .

وهكذا رواه النسائي عن هناد بن السري عن أبي معاوية ، به .

وقد أخرجه البخاري ومسلم ^(٢٩) ، من حديث الأعمش ومنصور - زاد البخاري :
 وواصل - ثلاثة عن أبي وائل ، شقيق بن سلمة ، عن أبي ميسرة عمرو بن شرجيل ، عن ابن مسعود ، به ، فالله أعلم ، ولفظهما عن ابن مسعود قال : قلت : يا رسول الله ، أي الذنب أعظم ... الحديث ، طريق غريب .

وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي ، حدثنا عامر بن مدرك ، حدثنا السري - يعني ابن إسماعيل - حدثنا الشعبي ، عن مسروق ؛ قال : قال عبد الله : خرج رسول الله ، صلى الله عليه ، وسلم ذات يوم فاتبعته ، فجلس على نشأة من الأرض ، وقعدت أسفل منه ، ووجهه حيال ركبتيه ، واغتتمت خلوته فقلت ^[١] : بأي أنت وأمي يا رسول الله ! أي الذنب أكبر ؟ قال : « أن تدعوا الله ندًا وهو خلقك ». قلت : ثم ما ؟ قال : « أن تقتل ولدك كراهية أن يطعم معلمك ». قلت : ثم ما ؟ قال : « أن تزاني حليلة جارك ». ثم قرأ : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا أَخْرَى﴾ الآية .

وقال النسائي ^(٣٠) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن هلال بن

(٢٨) المسند (٣٨٠/١) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (١١٣٦٨) .

(٢٩) صحيح البخاري حديث (٦٨١١) ، وصحيح مسلم حديث (٦٨) .

(٣٠) النسائي في السنن الكبرى حديث (١١٣٧٣) .

يساف ، عن سلمة بن قيس ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في حجة الوداع : « ألا إِنَّمَا هِيَ أُرْبِعٌ » فما أنا بأشح عليهم مني^[١] منذ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَقْتُلُو النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا تَزِنُوا ، وَلَا تُسْرِقُوا » .

وقال الإمام أحمد^(٣١) : حدثنا علي بن المديني - رحمه الله - حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان ، حدثنا محمد بن سعد^[٢] الأنصاري ، سمعت أبا طيبة الكلاعي ، سمعت المقاداد بن الأسود - رضي الله عنه - يقول : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لأصحابه : « ما تقولون في الزنا ؟ » قالوا : حرمته ورسوله ، فهو حرام إلى يوم القيمة ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لأصحابه : « لأن يزني الرجل بعشرين سيدة أيسر عليه من أن يزني بأمرأة جاره » . قال : « ما تقولون في السرقة ؟ » . قالوا : حرمها الله ورسوله ، فهي حرام . قال : « لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر له^[٣] من أن يسرق من جاره » .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا^(٣٢) : حدثنا عمار بن نصر ، حدثنا بقية ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : قال : « ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نُفُطَةٍ وَضَعْهَا رَجُلٌ فِي زَحْمٍ لَا يَحْلِلُ لَهُ » .

وقال ابن ماجة^(٣٣) : أخبرني يعلى ، عن سعيد بن جبير : أنه سمعه يحدث عن ابن عباس : أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأذكروا ، وزرتو فأذكروا ، ثم أتوا محمداً - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : إن الذي يقول وتدعوا إليه لحسن ، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ، فنزلت : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا آخِرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزِنُونَ﴾ ، ونزلت : ﴿قُلْ يَا عَبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنِطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ .

وقال ابن أبي حاتم^(٣٤) : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن أبي فاختة ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لرجل : « إن الله ينهاك أن تبعد أخلق وتدع الحالق ، وينهاك أن تقتل ولدك وتغدو أكلبك ، وينهاك أن تزني بحليلة

(٣١) المسند (٦/٨) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٦٨/٨) : « رجاله ثقات » .

(٣٢) الورع لابن أبي الدنيا حديث (١٣٧) : « وهو مرسل ، وفي إسناده بقية وهو مدلس وابن أبي مريم ضعيف » ا.هـ .

(٣٣) ذكره السيوطي في الدر المثور (٦/٢٧٧) وعزاه لابن أبي حاتم . ووقع فيه : « عن أبي قادة » .

[١] - في ز ، خ : « شيء » .

[٢] - في ز ، خ : « شيء » .

[٣] - في ت : « عليه » .

جارك» . قال سفيان : وهو قوله : «والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون» .

وقوله : «ومن يفعل ذلك يلق أثاما» روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال : «أثاما» واد في جهنم . وقال عكرمة : «يلق أثاما» ، أودية في جهنم يعذب فيها الزناة . وكذا روي عن سعيد بن جبير ومجاهد . وقال قتادة : «يلق أثاما» نكالاً ، كما نحدث أنه واد في جهنم .

وقد ذكر لنا أن لقمان كان يقول : يا بني ، إياك والزنا ! فإن أوله مخافة ، وأخره ندامة .

وقد ورد^[١] في الحديث الذي رواه ابن حجر وغيره^(٣٤) ، عن أبي أمامة الباهلي - موقفاً ومروغاً - : أن «غثا» و «أثاما» بحران في قعر جهنم . أجارنا الله منها بمنه وكرمه !

وقال السدي «يلق أثاما» جزاء^[٢] . وهذا أشبه بظاهر الآية ، ولهذا فسره بما بعده مبدلاً منه ، وهو قوله : «يضعف له العذاب يوم القيمة» أي : يكرر عليه ويغاظه «ويخلد فيه مهاناً» . أي : حقيراً ذليلاً .

وقوله : «إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا» ، أي : جزاوه على ما فعل من هذه الصفات القبيحة ما ذكر «إلا من تاب» في الدنيا إلى الله من جميع ذلك ، فإن الله يتوب عليه .

وفي ذلك دلالة على صحة توبه القاتل ، ولا تعارض بين هذه وبين آية النساء : «ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً» فإن هذه وإن كانت مدنية إلا أنها مطلقة ، فتحمل على من لم يتوب ؛ لأن هذه مقيدة بالتوبية ، ثم قد قال تعالى : «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» وقد ثبتت السنة الصحيحة ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بصحة توبه القاتل ، كما ذكر مقرراً من قصة الذي قتل مائة رجل ثم تاب ، وقبل منه ، وغير ذلك من الأحاديث .

وقوله : «فأولئك يبدل الله سيرتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً» . في معنى قوله : «يبدل الله سيرتهم حسنات» قوله : أحدهما : إنهم يبدوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : «فأولئك يبدل الله سيرتهم حسنات» قال : هم المؤمنون ، كانوا من قبل إيمانهم على السيئات ، فرغبت الله بهم عن [ذلك]^[٣] فتحولهم إلى الحسنات ، فأبدلهم مكان السيئات الحسنات .

[١] - في خ : «روى» .

[٢] - في ت : «الجزاء» .

[٣] - مكانها ياض في : ز ، وسقط من : خ .

وروى مجاهد عن ابن عباس أنه كان ينشد عند هذه الآية :
بُدَلْنَ بَعْدَ [حِرْهَ خَرِيفًا]^[١] وَبَغْدَ طُولَ النَّفَسِ الْوَجِيفَا
 يعني : تغيرت تلك الأحوال إلى غيرها .

وقال عطاء بن أبي رباح : هذا في الدنيا ، يكون الرجل على هيئة قبيحة ، ثم يبدل الله بها حيراً .

وقال سعيد بن جبير : أبدلهم بعبادة الأوثان عبادة الله ، وأبدلهم بقتال المسلمين قتالاً مع المسلمين للمسركين^[٢] ، وأبدلهم بنكاح المشرفات نكاح المؤمنات .

وقال الحسن البصري : أبدلهم الله^[٣] بالعمل السيئ العمل الصالح ، وأبدلهم بالشرك إخلاصاً ، وأبدلهم بالفجور إحصاناً ، وبالكفر^[٤] إسلاماً .

وهذا قول أبي^[٥] العالية وقتادة وجماعة آخرين .

والقول الثاني : إن تلك السمات الماضية تقلب بنفس التوبة الصوح حسناً ، وما ذاك إلا أنه كلما [تدذكر ما مضى]^[٦] ندم واسترجع واستغفر ، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار . فيوم القيمة وإن وجده مكتوبًا عليه لكنه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته ، كما ثبتت السنة بذلك ، وصحت به الآثار المروية^[٧] عن السلف - رحمهم الله تعالى - وهذا سياق الحديث : قال الإمام أحمد^(٨) :

حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن المعرور بن سويد ، عن أبي ذر ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار ، وآخر أهل الجنة دخولاً إلى الجنة ، يؤتى ب الرجل فيقول : نَحُوا كبار ذنوبه وسلوه عن صغارها ، قال : فِيَّ الْأَعْمَالُ كُلُّهُ كَذَا كَذَا ، وَعَمِلَتِ الْأَوْلَادُ كَذَا كَذَا ؟ » فيقال له : عملت يوم كذا وكذا كذا ، وعملت يوم كذا وكذا كذا ؟ فيقول : نعم - لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئاً - فيقال : فإن لك بكل سبعة حسنة . فيقول : يا رب ؛ عملتأشياء لا أراها هاهنا . قال : فضحك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى بدت نواجهه . انفرد به مسلم .

(٨) المسند (١٧٠/٥) ، وصحيحة مسلم حديث (١٩٠) .

[١] - في ز ، خ : « بَحِرْهَ صَرِيفَاً » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز ، خ : « أَبُورِ » .

[٤] - ما بين المعقودتين في ز ، خ : « مَضِي ذَكْرِ مَا » [٧] - في ز ، خ : « التَّبُورِ » .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني^(٣٦) : حدثنا هاشم بن يزيد ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثني أبي ، حدثني ضمصم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : «إذا نام ابن آدم قال الملك للشيطان : أعطني صحيحتك . فيعطيه إياها ، فما وجد في صحيفته من حسنة محا بها عشر سียئات من صحيفته الشيطان ، وكبهن حسنات ، فإذا أراد أن ينام أحدكم فليكتب ثلاثة وثلاثين تكبيرة ، ويحمد أربعاً وثلاثين تحميلاً ، ويسبح ثلاثة وثلاثين تسبحة ، فتلك مائة» .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة وعاصم ؛ قالا : حدثنا ثابت - يعني ابن يزيد - أبو زيد ، حدثنا عاصم ، عن أبي عثمان ، عن سلمان قال : يعطى رجل يوم القيمة صحيفته فيقرأ^[١] أعلاها ، فإذا سمعاته^[٢] ، فإذا كاد يسوء ظنه ينظر^[٣] في أسفلها فإذا حسناته ، ثم ينظر في أعلاها فإذا هي قد بدلت حسنات .

وقال أيضاً : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا سليمان بن موسى الزهربي أبو داود ، حدثنا أبو العنبس ، عن أبي هريرة ، عن أبي هريرة ؛ قال : ليأتين الله - عز وجل - بأناس^[٤] يوم القيمة رأوا أنهم قد^[٥] استكروا من السียئات ، قيل : من هم يا أبي هريرة ؟ قال : الذين يبدل الله سียئتهم حسنات .

وقال أيضاً : حدثنا عبد الله بن أبي زياد ، حدثنا سيّار ، حدثنا جعفر ، حدثنا أبو حمزة ، عن أبي الضيف - وكان من أصحاب معاذ بن جبل - قال : يدخل أهل الجنة الجنّة على أربعة أصناف : المتقين ، ثم الشاكرين ، ثم الخائفين ، ثم أصحاب اليمين . قلت : لم سموا أصحاب اليمين ؟ قال : لأنهم عملوا الحسنات والسيئات ، فأعطوا كتبهم بأيمانهم ، فقرعوا سيئاتهم حرفاً حرفاً - قالوا : يا ربنا ، هذه سيئاتنا ، فأين حسناتنا ؟ فعند ذلك محا الله السียئات وجعلها حسنات ، فعند ذلك قالوا : هؤم اقرعوا كتابيه[﴾] ، فهم أكثر أهل الجنة !

وقال علي بن الحسين^[٦] [زين العابدين] : يبدل الله سียئتهم حسنات[﴾] قال : في الآخرة .

وقال مكحول : يغفرها لهم فيجعلها حسنات . [رواهما ابن أبي حاتم . وروى ابن جرير ، عن سعيد بن المسيب مثله]^[٧] .

(٣٦) المعجم الكبير للطبراني (٢٩٦/٣) ، قال الهيثمي في الجموع (١٢١/١٠) : «فيه محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف » ، ولم يثبت سماعه عن أبيه أيضاً .

[١] - في خ ، ز : « فسوى » .

[٢] - في ت : « نظر » .

[٤] - في ز ، خ : « أناس » .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - في ت : « الحسن » .

[٧] - ما بين المعقودتين سقط من : ز ، خ .

[وقال [١] ابن أبي حاتم ^(٣٧) : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو جابر : أنه سمع مكحولاً يحدث قال : جاء شيخ كبير هرم ، قد سقط ^[٢] حاجبه على عينيه ، فقال : يا رسول الله ، رجل غدر وفجر ، لم يدع حاجة ولا داجة إلا اقطعها بيديه ، لو قسمت خطيبته بين أهل الأرض لأويتهم ، فهل له من توبة؟ فقال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « أسلمت؟ » قال : أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « فَإِنَّ اللَّهَ غَافِرٌ لِكَ مَا كُنْتَ كَذَّالِكَ ، وَمُبْدِلٌ سَيِّئَاتِكَ حَسَنَاتٍ ». فقال : يا رسول الله ، وغَدَرَاتِي وفَجَرَاتِي؟ فقال : « وَغَدَرَاتِكَ وَفَجَرَاتِكَ ». فَوَلَّ الرَّجُلُ يَهْلِلُ وَيَكْبُرُ .

وروى الطبراني ^(٣٨) من حديث أبي المغيرة عن صفوان بن عمر عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي فروة - شطبة - أنه أتى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : أرأيت رجلاً عمل الذنوب كلها ، ولم يترك حاجة ولا داجة ، فهل له من توبة؟ فقال : « أسلمت؟ » قال : نعم . قال : « فافعل الخيرات ، واترك السيئات ، فيجعلها ^[٣] الله لك خيرات كلها ». قال : وغَدَرَاتِي وفَجَرَاتِي؟ قال : « نعم » قال : فما زال يكبر حتى توارى .

ورواه الطبراني ^(٣٩) من طريق أبي فروة الراوبي ، عن ياسين الزيات ، عن أبي سلمة الحمصي ، عن يحيى بن جابر ، عن سلمة بن نفيل مرفوعاً .

وقال أيضاً : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا عيسى بن شعيب بن ثوبان ، [عن فليح الشamas ، عن أبي عبيد ^[٤] ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : جاءتنى امرأة فقالت : هل لي من توبة؟ أتى زيتها وولدت وقتلته . قلت : لا ، ولا تعمت]

(٣٧) وقد وصله الإمام أحمد في مسنده (٤/٣٨٤) من طريق نوح بن قيس ، عن أشعث بن جابر الخداني ، عن مكحول ، عن عمرو بن عبسة به مرفوعاً ، باختصار في أوله وأخره ، وقال الهيثمي في المجمع (١/٣٢) : « رجاله موثقون إلا أنه من روایة مكحول عن عمرو بن عبسة ، فلا أدرى أسمع منه أم لا » .

(٣٨) المعجم الكبير للطبراني (٧/٣١٤) ورواه الخطيب في تاريخ بغداد (٣٥٢/٣) من طريق أبي القاسم البغوي عن محمد بن هارون الحربي ، عن أبي المغيرة به . وقال أبو القاسم البغوي : « روى هذا الحديث غير محمد بن هارون ، عن أبي المغيرة ، عن صفوان ، عن عبد الرحمن بن جبير : أن رجلاً أتى النبي ﷺ طويلاً شطب المدود ، وأحسب أن محمداً بن هارون صحف فيه ، والصواب ما قال غيره » .

(٣٩) المعجم الكبير للطبراني (٧/٥٣) ، وقال الهيثمي في المجمع (١/٣١) : « في إسناده ياسين الزيات بروى الموضوعات » .

[١] - في ت : « قال ». [٢] - في ز : « سقطت » .

[٣] - في ز ، خ : « فيجعلهم » .

[٤] - في خ ، ز : « عن فليح بن عبيد بن أبي عبيد الشamas ، عن أبيه » .

العين ولا كرامة . فقامت وهي تدعو بالحسرة . ثم صلّى اللّه عليه وسلم ، الصبح ، فقصصت عليه ما قالت المرأة وما قلت لها . فقال رسول اللّه ، صلّى اللّه عليه وسلم : «بَشِّمَا قُلْتَ ! أَمَا كُنْتَ تَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًاٰ أَخْرَى﴾ إِلَيْهِ قُولَهُ : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ . فقرأتها عليها ، فخررت ساجدة وقالت : الحمد للّه الذي جعل لي مخرجًا .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وفي رجاله من لا يُعرف ، واللّه أعلم . وقد رواه ابن جرير^(٤٠) من حديث إبراهيم بن المنذر الحزامي بسنده بنحوه ، وعنه : فخرجت تدعو بالحسرة وتقول : يا حسرتا ! أخلق هذا الحسن للنار ؟ وعنه أنه لما راجع من عند رسول اللّه ، صلّى اللّه عليه وسلم ، تطلّبها في جميع دور المدينة فلم يجدها ، فلما كان من الليلة المقبلة جاءته ، فأخبرها بما قال له رسول اللّه ، صلّى اللّه عليه وسلم ، فخررت ساجدة وقالت : الحمد للّه الذي جعل لي مخرجًا وتنية ما عملت . وأعتقدت جارية كانت معها وابنتها ، وتابت إلى الله عز وجل .

ثم قال تعالى مخبرًا عن عموم رحمته لعباده^[١] ، وأنه من تاب إليه منهم تاب عليه من أي ذنب كان ، جليل أو حقير ، كبير أو صغير ، فقال : ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ ، أي : فإنّ اللّه يقبل توبته ، كما قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ يَجِدُ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ، وقال : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنِ الْعَابِدِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ وقال : ﴿قُلْ يَا عَبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي لم تاب إليه .

وَالَّذِينَ لَا يَشْهُدُونَ الرُّؤْرَ وَإِذَا مَرُوا بِاللَّعْنِ مَرُوا كَرَامًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِيَائِسٍ رَّبِّهِمْ لَمْ يَخْرُجُوا عَلَيْهَا صَمِّيًّا وَعُمَيَّانًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذِرْنَا فُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُقْتَيِنَ إِمَامًا

﴿٧٤﴾

وهذه أيضًا من صفات عباد الرحمن ، أنهم : ﴿لَا يَشْهُدُونَ الرُّؤْرَ﴾ ، قيل : هو الشرك

(٤٠) تفسير الطبرى (١٩/٢٧) ورواه ابن مردويه كما في الدر المنشور (٦/٢٧٩) وقال السيوطي : «إسناده ضعيف » .

[١] - في ت : « بعباده » .

وعبادة الأصنام . وقيل : الكذب ، والفسق ، واللغو ، والباطل .
وقال محمد بن الحنفية : اللهو والغناء .

وقال أبو العالية ، طاوس ، محمد بن سيرين ، الصحاح ، الرييع بن أنس ، وغيرهم : هي أعياد المشركين .

وقال عمرو بن قيس : هي مجالس السوء والخنا .

وقال مالك ^(٤١) ، عن الزهرى : [شرب الخمر ^[١] لا يحضره ولا يرغبون فيه ، كما جاء في الحديث : من كان يؤمّن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر] .

وقيل : المراد بقوله تعالى : ﴿ لَا يَشْهُدُونَ الزُّورَ ﴾ ، أي : شهادة الزور ، وهي الكذب متعمداً على غيره ، كما ثبت ^[٢] في الصحيحين ^(٤٢) عن أبي بكرة ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ». ثلثاً ، قلنا : بل ، يا رسول الله . قال : « الشرك بالله وعقوب الوالدين ». وكان متكلماً فجلس ، فقال : « ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور ». فما زال يكررها ، حتى قلنا : ليته سكت !

والظاهر من السياق أن المراد : لا يشهدون الزور ، أي : لا يحضره ، ولهذا قال : « وإذا مرروا باللغو مرروا كراماً » ، أي : لا يحضرون الزور ، وإذا اتفق مرورهم به مرروا ولم يتذمروا فيه ^[٣] بشيء ؛ ولهذا قال : « مرروا كراماً » .

وقال ابن أبي حاتم ^(٤٣) : حدثنا أبو سعيد الأشعج ، حدثنا أبو الحسين الغنکلي ^(٤) ، عن محمد بن مسلم ، أخبرني إبراهيم بن ميسرة ، أن ابن مسعود مر بهم معرضًا ^[٤] فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « لقد أصبح ابن مسعود أو أمسى كريماً ^[٥] ».

(٤١) رواه الترمذى في السنن حديث (٢٨٠١) من طريق ليث بن أبي سليم ، عن طاوس ، عن جابر به مرفوعاً . وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب لأنعرفه من حديث طاوس عن جابر إلا من هذا الوجه » ثم نقل كلام العلماء في تضعيف ليث بن أبي سليم .

(٤٢) صحيح البخارى حديث (٢٦٥٤) ، وصحىح مسلم حديث (٨٧) .

(٤٣) رواه ابن عساكر في اختصار ابن منظور (٥٥/١٤) من طريق إبراهيم بن ميسرة به .

[١] - في ت : « العاصي » .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - في ت : « منه » .

(٤) في ز ، خ : العجل . وهو تحريف . والثبت من تفسير ابن أبي حاتم . وانظر ترجمته في تهذيب الكمال [٤٠/١٠] .

[٥] - في ز ، خ : « لكريماً » .

[٤] - في ز ، خ : « معرضة » .

[وحدثنا الحسن بن محمد بن سلمة التحوي ، حدثنا جبان ، أنا عبد الله ، أنا محمد بن مسلم ، أخبرني [إبراهيم بن ميسرة] ^[١] قال : بلغني أن ابن مسعود مر بهم معرضًا فلم يقف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أصبح ابن مسعود أو أمسى كريما » ^[٢] . ثم تلا إبراهيم بن ميسرة : ﴿ وَإِذَا مَرُوا بِالْغُفُورِ مَرُوا كَرَاماً ﴾ .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذَكَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُجُوا عَلَيْهَا صَمَّا وَعَمِيَّا ﴾ - هذه من ^[٣] صفات المؤمنين - ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ بخلاف الكافر فإنه إذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يقصّر عما كان عليه ، بل يبقى مستمراً على كفره وطغيانه وضلاله ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْتَ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَهُهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبَشِّرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسَهُمْ ﴾ قوله : ﴿ لَمْ يَخْرُجُوا عَلَيْهَا صَمَّا وَعَمِيَّا ﴾ أي : بخلاف الكافر ؛ أي ^[٤] : الذي ذكر بآيات ربه ، فاستمر على حاله ، كأن لم يسمعها أصمّ أعمى .

قال مجاهد : قوله : ﴿ لَمْ يَخْرُجُوا عَلَيْهَا صَمَّا وَعَمِيَّا ﴾ لم يسمعوا ولم يصروا ولم يفقهوا شيئاً . وقال الحسن البصري : كم من رجل يقرؤها ويخر عليها أصمّ أعمى !

وقال قادة : قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذَكَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُجُوا عَلَيْهَا صَمَّا وَعَمِيَّا ﴾ ، يقول : لم يصموا عن الحق ولم يعموا فيه ، فهم - والله - قوم عقلوا عن الله فانتفعوا ^[٥] بما سمعوا من كتابه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أسيد بن عاصم ، حدثنا عبد الله بن حمْران ، حدثنا ابن عون قال : سألت الشعبي قلت : الرجل يرى القوم سجوداً ولم يسمع ما سجدوا ، أيسجد معهم ؟ قال : فعلاً هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذَكَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُجُوا عَلَيْهَا صَمَّا وَعَمِيَّا ﴾ ، يعني : أنه لا يسجد معهم لأنّه لم يتدارك آية السجدة فلا ينبغي للمؤمن أن يكون إمعنة ، بل يكون على بصيرة في ^[٦] أمره ، ويقين واضح يئنّ .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَا هُنَّ مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذَرِيَّاتِنَا قُرْبَةُ أَعْيُنٍ ﴾ ، يعني : الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم وذرياتهم من يطيعه ويعده وحده لا شريك له .

قال ابن عباس : يعني من يعمل بالطاعة فتقر به أعينهم في الدنيا والآخرة .

[١] - ما بين المعقودتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ت ، والمشتبه من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ت ، والمشتبه من : ز ، خ .

[٤] - في ت : « من » .

[٥] - في ت : « من » .

وقال عكرمة : لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالاً ، ولكن أرادوا أن يكونوا مطعفين .

وقال الحسن البصري - وسئل عن هذه الآية - قال [١] : أن يُرِيَ اللَّهُ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ مِنْ وِجْهِهِ ، وَ [٢] مِنْ أَخْيَهُ ، وَ [٣] مِنْ حَمِيمِهِ ، طَاعَةَ اللَّهِ . لَا وَاللَّهُ مَا شَاءَ أَقْرَأَ لِعِنَ الْمُسْلِمِ مِنْ [٤] أَنْ يُرِيَ وَلَدًا ، أَوْ وَلَدَ وَلَدًا ، أَوْ أَخَا ، أَوْ حَمِيمًا ، مَطْيِعًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وقال ابن جريج في قوله : هب لنا من أزواجنا وذرياتنا فرة أعين ^{فه} ، قال : يعبدونك ويحسنون عبادتك ولا يجرؤون علينا المجازر .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعني : يسألون الله لأزواجهم وذرياتهم أن يهدى لهم الإسلام .

وقال الإمام أحمد [٤٤] : حدثنا يعمر [٥] بن بشر ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا صفوان ابن عمرو ، حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ؛ قال : جلسنا إلى المقاد بن الأسود يوماً [٦] ، فمر به رجل فقال : طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صلى الله عليه وسلم ! لو دمنا أنا وأنت ما رأيت ، وشهدنا ما شهدت ! فاستغضب ، فجعلت أتعجب ، ما قال إلا خيراً ! ثم أقبل إليه فقال : ما يحمل الرجل على أن يتمني مخصوصاً غيئه الله عنه ، لا يدرى لو شهده كيف كان يكون فيه ؟ والله ، لقد حضر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أقوام أكبّهم الله على مناخرهم [٧] في جهنم لم يجيئوه ولم [يصدقوه] [٨] ، أو لا تحمدون الله إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم مصدقين لما جاء به نبيكم ، قد كفيفتم البلاء بغيركم ، لقد بعث الله النبي - صلى الله عليه وسلم - على أشد حال بعث عليها نبياً من الأنبياء في فترة من جاهلية ، ما يرون أن ديناً أفضل من عبادة الأوّلئ . فجاء بفرنان فرقاً به بين الحق والباطل ، وفرق بين الوالد وولده ، [حتى] [٩] إن كان الرجل ليري [١٠] والده وولده ، أو أخاه كافراً ، وقد فتح الله قفل [١١] قلبه للإيمان ، يعلم أنه إن هلك دخل النار ، فلا تقر عينه وهو يعلم أن

(٤٤) المسند (٦/٢). وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٥٣/٢٠، ٢٥٤/٢٠) رقم : ٦٠٠. وأبو نعيم في الحلية (١/١٧٦، ١٧٥). كلاماً من طريق ابن المبارك ، عن صفوان بن عمرو به . وذكره الهيثمي في مجمع الروايد (٦/١٧) وعزاه للطبراني فقط وقال : «رواه الطبراني بأسانيد في أحدها يحيى بن صالح ؛ وثقة الذهبي ، =

[١] - في ت : « قال » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « عمر » والمشتبه من المسند .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ت : « مناخرهم » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

[٩] - سقط من : ز ، خ .

[١٠] - في ز ، خ : « بري » .

[١١] - سقط من : ز ، خ .

حبيبه في النار ، وأنها التي قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَا هُبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذَرِيَّاتِنَا فَرْقَةٌ أَعْيُنٌ﴾ . وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه .

وقوله : ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ ، قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والستي ، والربيع ابن أنس : أئمة يقتدى بنا في الخير .

وقال غيرهم : هداة مهتدين ، [دعاء]^[١] إلى الخير ، فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم ، وأن يكون هداهم متعدداً إلى غيرهم بالفعن وذلك أكثر ثواباً ، وأحسن ما يأيا ، ولهذا ورد في صحيح مسلم^[٤٠] ، [عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم]^[٢] : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة : من ولد صالح يدعوه له ، و [٣] علم ينتفع به من [٤] بعده ، و [٥] صدقة جارية » .

﴿أُولَئِكَ يَجْزَوُنَ الْفُرْقَةَ بِمَا صَبَرُوا وَلَقَوْنَ فِيهَا تَحْيَةً وَسَلَامًا ٧٥﴾
 ﴿خَلِيلِنَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًا وَمَقَامًا ٧٦﴾
 ﴿فَلْ مَا يَعْبُرُ بِكُفُرِ رَبِّ لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَانًا ٧٧﴾

لما ذكر تعالى من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر من [٦] الصفات الجميلة ، والأفعال والأقوال الجميلة - قال بعد ذلك كله : ﴿أُولَئِكَ﴾ ، أي : المتصفون بهذه ﴿يَجْزَوُنَ﴾ ، أي : يوم القيمة ﴿الْفُرْقَةَ﴾ ، وهي الجنة .

قال أبو جعفر الباقر ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، والستي : سميت بذلك لارتفاعها .

﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ ، أي : على القيام بذلك ، ﴿وَلَقَوْنَ فِيهَا﴾ ، أي : في الجنة ﴿تَحْيَةً وَسَلَامًا﴾ ، أي : ^[٧]يَسْتَدْعَوْنَ فيها بالتحية والإكرام ، وَلَقَوْنَ التَّوْقِيرَ^[٨] والاحترام ، فلهم السلام وعليهم السلام ، فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقلي الدار .

= وقد تكلموا فيه ، وبقية رجاله رجال الصحيح» .

(٤٥) صحيح مسلم حديث (١٦٣١) .

[٢] - ما بين المعکوفین سقط من : خ ، ز .

[١] - ما بين المعکوفین سقط من : ت .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « أو » .

[٦] - في ز ، خ : « هذه » .

[٥] - في ت : « أو » .

[٨] - في ز ، خ : « فيها التوفيق » .

[٧] - في ت : « يَتَدْرُونَ » .

وقوله : ﴿ خالدین فیہا ﴾ أي : مقیمن لا یظعنون ولا یحولون [ولا یمتوون]^[١] ولا یزولون عنها ولا یغون عنها حولاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْنُوذٍ ﴾ .

وقوله : ﴿ حَسِنَتِ مُسْتَقْرَأَ وَمَقَاماً ﴾ . أي : حست منظراً وطابت مقيلاً ومتلاً .

ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْبُأُ بِكُمْ رَبِّي ﴾ . أي : لا يبالى [بكم]^[٢] ولا يكتثر بكم إذا لم تعبدوه ، فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ويسبحوه بكرة وأصيلاً .

وقال مجاهد ، عمرو بن شعيب : ﴿ مَا يَعْبُأُ بِكُمْ رَبِّي ﴾ يقول : ما يفعل بكم ربِّي .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ قُلْ مَا يَعْبُأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاوَكُمْ ﴾ يقول : لولا إيمانكم ، فأخبر الله الكفار أنه لا حاجة له بهم إذ لم يخلفهم مؤمنين ، ولو كان [له]^[٣] بهم حاجة لحب إليهم الإيمان كما حبه إلى المؤمنين .

وقوله : ﴿ فَقَدْ كَذَبْتُمْ ﴾ ، أي : أيها الكافرون ، ﴿ فَسُوفَ يَكُونُ لِرَاجِمَاتِ ﴾ ، أي : فسوف يكون تكذيبكم^[٤] لراجمات لكم ، يعني : مقتضياً [لهلاككم وعداكم ودماركم]^[٥] في الدنيا والآخرة ، ويدخل في ذلك يوم بدر ، كما فسره بذلك عبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومحمد بن كعب القرظي ، ومجاهد ، والضحاك ، وقادة ، والسدي ، وغيرهم .

وقال الحسن البصري : ﴿ فَسُوفَ يَكُونُ لِرَاجِمَاتِ ﴾ يعني : يوم القيمة . ولا منافاة بينهما ، والله أعلم .



[١] - ما بين المukoفدين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المukoفدين سقط من : ت .

[٣] - ما بين المukoفدين سقط من : ت .

[٤] - في ز ، خ : « تكذيهم » .

[٥] - ما بين المukoفدين في ز ، خ : « لهلاكهم وعداهم ودمارهم » .

تفسير سورة الشعرا

وهي مكية

(ووقع في تفسير مالك المروي عنه تسميتها سورة الجامعة)

طَسْرٌ ﴿١﴾ تَلَكَ مَا يَنْتَهِ الْكِتَبُ الْمُبِينُ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَنْجُ نَفْسَكَ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ
 إِنْ نَشَاءُ نُنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَا يَأْتِي فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٣﴾ وَمَا
 يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ تَحْدِثُ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ
 أَنْبَاتُوا مَا كَانُوا يَدْعُونَ ﴿٥﴾ أَوْلَئِمْ يَرَوُا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَاتَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَرْجَةٍ
 كَرِيمٌ ﴿٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
 الرَّحِيمُ ﴿٨﴾

أما الكلام على الحروف المقاطعة في أوائل السور، فقد تكلمنا عليه في أول تفسير سورة البرقة .

وقوله : ﴿٩﴾ تَلَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١٠﴾ ، أي : هذه آيات القرآن المبين ، أي : البين الواضح ، الذي يفصل [١] بين الحق والباطل ، والغبي والرشاد .

وقوله : ﴿١١﴾ لَعَلَكَ باخْعَنْ نَفْسَكَ ﴿١٢﴾ ، أي : مهلك ﴿١٣﴾ نَفْسَكَ ﴿١٤﴾ ، أي : مما تحرص [١٢] [١٣] [١٤] عليهم [١٥] وتحزن عليهم ، ﴿١٥﴾ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ . وهذه تسلية من الله لرسوله - صلوات الله وسلامه عليه - في عدم إثبات من لم يؤمن به من الكفار ، كما قال تعالى : ﴿١٧﴾ فَلَا تَذَهَّبْ نفسك عليهم حسرات ﴿١٨﴾ وقال : ﴿١٩﴾ فَلَعَلَكَ باخْعَنْ نَفْسَكَ عَلَى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الحديث أَسْفًا ﴿٢٠﴾ قال مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقادة ، وعطاء ، والضحاك : ﴿٢١﴾ لَعَلَكَ باخْعَنْ نفسك ﴿٢٢﴾ ، أي : قاتل نفسك ، قال الشاعر :

أَلَا أَيَّهُذَا الْبَاخِعُ الْحَزْنُ نَفْسَهُ لِشَيْءٍ [٢٣] نَحْتَهُ عَنْ يَدِيهِ الْمَقَادِيرُ
 ثم قال الله تعالى : ﴿٢٤﴾ إِنْ نَشَاءُ نُنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٢٥﴾
 أي : لو شئنا لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهراً ، ولكننا لا نفعل ذلك ، لأننا لا نريد من أحد

[١] - في ز ، خ : « يفعل » .

[٢] - ما بين المعقودتين سقط من : ت .

[٣] - في ز ، خ : « بشيء » .

إلا الإيمان الاختياري ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَأْمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكَرِّهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ وقال : ﴿ وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحْمَ رَبُّكَ وَلَذِلِكَ خَلْقُهُمْ ﴾ ، فَنَفَذَ قَدْرُهُ ، وَمُضِطٌ^[٢] حَكْمَتِهِ ؛ وَقَامَتْ حَجْتَهُ الْبَالِغَةُ عَلَى خَلْقِهِ يَارْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْهِمْ ، وَإِنَّا لِكُلِّ كِتْبٍ عَلَيْهِمْ .

ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مَحْدُثٌ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ ، أَيْ : كُلَّمَا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنَ السَّمَاءِ أَعْرَضُ عَنْهُ أَكْثَرُ النَّاسِ ؛ كَمَا قَالَ : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصَتْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ يَا حَسْرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُونَ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتَرَى كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَبَهُو فَأَتَبَعَنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لَقُومٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ؛ وَلَهُذَا قَالَ تَعَالَى هَاهُنَا : ﴿ فَقَدْ كَذَبُوا فَسِيَّاطِهِمْ أَبْيَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُونَ ﴾ ، أَيْ : فَقَدْ كَذَبُوا بِمَا جَاءَهُمْ مِنَ الْحَقِّ ، فَسَيَعْلَمُونَ نَبَأَ هَذَا التَّكْذِيبِ بَعْدَ حِينٍ ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مِنْقَلْبٍ يَتَلَبَّوْنَ ﴾ .

ثُمَّ نَبَهَ تَعَالَى عَلَى عَظِيمَتِهِ فِي سُلْطَانِهِ وَجَلَالِهِ قَدْرِهِ وَشَأْنِهِ ، الَّذِينَ اجْتَرَعُوا عَلَى مُخَالَفَةِ رَسُولِهِ وَتَكْذِيبِ كِتَابِهِ ، وَهُوَ الْقَاهِرُ الْعَظِيمُ الْقَادِرُ ، الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَأَنْبَتَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ، [مِنْ]^[٣] زَرْوَعٍ وَثَمَارٍ وَحِيوَانٍ .

قَالَ سَفِيَّانُ الثُّوْرِيُّ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ : النَّاسُ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ ، فَمَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَهُوَ كَرِيمٌ ، وَمَنْ دَخَلَ النَّارَ فَهُوَ لَثِيمٌ .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ ، أَيْ : دَلَالَةٌ عَلَى قُدرَةِ الْخَالِقِ^[٤] لِلْأَشْيَاءِ ، الَّذِي بَسَطَ الْأَرْضَ وَرَفَعَ بَنَاءَ السَّمَاءِ ، وَمَعَ هَذَا مَا آمَنَ أَكْثَرُ النَّاسِ ، بَلْ كَذَبُوا بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَكِتَبِهِ ، وَخَالَفُوا أَمْرَهُ وَارْتَكَبُوا زَوْاجَرِهِ .

وَقُولُهُ : ﴿ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُ الْعَزِيزُ ﴾ ، أَيْ : الَّذِي عَزَّ كُلُّ شَيْءٍ وَقَهَرَهُ وَغَلَبَهُ ، ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ ، أَيْ : بِخَلْقِهِ ، فَلَا يَعْجَلُ عَلَى مِنْ عَصَاهُ بَلْ يَنْظُرُهُ وَيَوْجِلهُ ثُمَّ يَأْخُذُهُ أَنْذَلَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ .

قَالَ أَبُو الْعَالِيَّةُ ، وَقَاتِدَةُ ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنْسٍ ، وَابْنُ^[٥] إِسْحَاقَ : الْعَزِيزُ فِي نَقْمَتِهِ وَاتِّصَارِهِ مِنْ خَالِفِ أَمْرِهِ وَعَبْدِ غَيْرِهِ . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبَيرٍ : الرَّحِيمُ بْنُ تَابَ إِلَيْهِ وَأَنَابَ .

وَلَذِنَادَى رَبِّكَ مُؤْمَنٌ أَنْ أَفْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ قَوْمٌ فِرَّعَوْنٌ أَلَا يَنْقُونَ ﴿١٢﴾

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ ، ز : « وَقَضَتْ » .

[٣] - ما بين المعکوفین في ت : « ومن » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « الْخَالِدُ » .

قَالَ رَبِّي أَخَافُ أَنْ يَكْذِبُونَ ﴿١﴾ وَيَضْبِقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسَلَ
 إِلَى هَمْرُونَ ﴿٢﴾ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونَ ﴿٣﴾ قَالَ كَلَّا فَأَذْهَبَا
 إِبَايَتِنَا إِنَّا مَعْكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿٤﴾ فَأَتَيَا فِرْعَوْنَ قَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥﴾ قَالَ أَلَمْ تُرِيكَ فِينَا وَلِيْدًا وَلَيْشَتَ فِينَا مِنْ
 عُمْرِكَ سِينَنَ ﴿٦﴾ وَفَعَلَتْ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ قَالَ
 فَعَلْنَاهَا إِذَا وَإِنَّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨﴾ فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَنَا خَفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا
 وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٩﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَعْنَاهَا عَلَى أَنْ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى مخبرًا عما أمر به عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران - صلوات الله
 وسلامه عليه - حيث [١] ناداه من جانب الطور الأيمن ، وكلمه وناجاه ، وأرسله واصطفاه ،
 وأمره بالذهب إلى فرعون وملته ؛ ولهذا قال : ﴿ أَنَّ الَّتِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمٌ فَرَعُونُ أَلَا
 يَقُولُونَ * قَالَ رَبِّي أَخَافُ أَنْ يَكْذِبُونَ * وَيَضْبِقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسَلَ إِلَى
 هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونَ ﴾ هذه أعدار سأل من الله إزاحتها عنه ، كما قال
 في سورة طه : ﴿ قَالَ رَبِّي اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيُسْرِ لِي أُمُرِي * وَاحْلَلْ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي *
 يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * أَشَدَّ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرَكَهُ فِي أُمُرِي *
 كَيْ نُسْبِحُكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرُكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بَنِي بَصِيرًا * قَالَ قَدْ أُوتِيتْ سُؤْلَكَ
 يَا مُوسَى ﴾ .

وقوله : ﴿ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونَ ﴾ ، أي : بسبب ما كان قتل ذلك القبطي
 الذي كان سبب خروجه من بلاد مصر ﴿ قَالَ كَلَّا ﴾ ، أي : قال الله له : لا تخاف من شيء
 من ذلك ؛ كما قال : ﴿ سَنُشَدِّ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَمَا سُلْطَانًا ﴾ ، أي : برهاناً ﴿ فَلَا
 يَصْلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ .

﴿ فَأَذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعْكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرِيُ ﴾
 أي : [٢] معكمًا بحفظني وكلاعدي ونصري وتأييدي .

﴿ فَأَتَيَا فَرَعُونَ قَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وقال في الآية الأخرى : ﴿ إِنَّا رَسُولًا
 لِّكَ ﴾ ، أي : كل منا رسول الله إليك ﴿ أَنْ أَرْسَلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ، أي : أطلقهم من

[١] - ما بين المくوفين في ت : « إِنِّي » .

[٢] - في ت : « حِينَ » .

إسارك وقضتك وقهرك وتعذيبك ، فإنهم عباد الله المؤمنون ، وحزبه المخلصون ، وهم معك في العذاب المهين . فلما قال له موسى ذلك أعرض فرعون عما هنالك بالكلية ، ونظر بعين الازدراء والغص فقال : ﴿أَلمْ نرِيكَ فِيْنَا وَلِيْدًا وَلِبَثَ فِيْنَا مِنْ عُمْرَكَ سَنِيْنَ﴾ . [أي : أما أنت الذي ربينا [١] فيها ، وفي بيتنا ، وعلى فراشنا [٢] ، وأنعمنا عليه مدة من السنين ، ثم بعد هذا قابلت ذاك [٣] الإحسان بتلك الفعلة أن قلت منا رجلاً ، ووجهت نعمتنا عليك . ولهذا قال : ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ، أي : الجاحدين . قاله ابن عباس ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، واختاره ابن حجر [٤] قال فعلتها إذا ، أي : في تلك الحال ، ﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي : قبل أن يوحى إلي وينعم الله علي بالرسالة والنبوة .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - مجاهد ، وقتادة ، والضحاك وغيرهم : ﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي : الجاهلين .

قال [٥] ابن حميد : وهي كذلك في قراءة عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه .
 ﴿فَرَزَّتْ مِنْكُمْ لَا خَفْتُكُمْ فَوْهَبْ لَيْ رَبِّيْ حَكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الرَّسِّلِينَ﴾ أي : الحال الأول انفصل وجاء أمر آخر ، فقد [٦] أرسلني الله إليك ، فإن أطعته سلمت ، وإن خالفته عطيت .

ثم قال موسى : ﴿وَتَلَكَ نِعْمَةٌ تَنْهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَدَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ، أي : وما أحست إلى وريثي مقابل ما أأسأت إلىبني إسرائيل ، فجعلتهم بعيداً وخدماً ، تصرفهم في أعمالك ومشاق رعيتك ، أقيفي إحسانك إلى رجل واحد منهم بما أأسأت إلى مجموعهم ؟ أي : ليس ما ذكرته شيئاً بالنسبة إلى ما فعلت بهم .

قال فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُ مُؤْمِنَّا ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوَلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّيْكُنْ وَرَبِّيْ أَبَابِيْكُمْ الْأَوَّلَيْنَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لِمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْشَّرِيفِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُ تَقْلِيْلُونَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى مخيراً عن كفر فرعون وتمرده وطغيانه وتجحوده ، في قوله : ﴿وَمَا رَبُّ

[١] - ما بين المعقودين سقط من : خ ، ز .

[٤] ما بين المعقودين في ز : وهو ما . وفي خ : حدثنا . [٢] - في ت : « هذا » .

[٣] - في ز ، خ : « وقال » . [٤] - في ز ، خ : « قد » .

العالين ﴿﴾ وذلك أنه كان يقول لقومه : ﴿﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴽ﴾ ، ﴿﴿ فاستخف﴾^[١] قومه فأطاعوه ﴿﴾ وكانتوا يجحدون الصانع - تعالى - ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون . فلما قال له^[٢] موسى : ﴿﴿ إني رسول رب العالمين ﴽ﴾ ، قال له : ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري ؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف ، حتى قال السدي : هذه الآية كقوله تعالى : ﴿﴿ قال﴾^[٣] فمن ربكم يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴽ﴾ .

ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية ، فقد غلط ؛ فإنه لم يكن مقرأ^[٤] بالصانع حتى يسأل عن الماهية ، بل كان جاحدا له بالكلية فيما يظهر ، وإن كانت الحجج والبراهين قد قالت عليه ، فعند ذلك^[٥] قال موسى لما سأله عن رب العالمين : ﴿﴿ قال رب السموات والأرض وما بيتهما ﴽ﴾ ، أي : خالق جميع ذلك وممالكه ، والمتصرف فيه وإلهه ، لا شريك له ، هو الله الذي خلق الأشياء كلها ، العالم العلوي وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيرات ، والعالم السفلي وما فيه من بحار وفقار ، وجبال وأشجار ، وحيوان ونبات وثمار ، وما بين ذلك من الهواء والطيور ، وما يحتوي عليه الجو ، الجميع عبيد له خاضعون ذليلون .

﴿﴿ إن كنتم موقنين ﴽ﴾ . أي : إن كانت لكم قلوب موقنة ، وأبصار نافذة . فعند ذلك التفت فرعون إلى من حوله من ملته ورؤساء دولته قائلا لهم ، على سبيل التهكم والاستهزاء والتکذيب لموسى فيما قاله : ﴿﴿ ألا تستمعون ﴽ﴾ ؟ أي : ألا تعجبون مما يقول هذا في زعمه أن لكم إلهًا غيري ؟ فقال لهم موسى : ﴿﴿ ربكم ورب آبائكم الأولين ﴽ﴾ . أي : خالقكم وخلق آبائكم الأوائل ، الذين كانوا قبل فرعون وزمانه . ﴿﴿ قال﴾^[٦] أي : فرعون لقومه : ﴿﴿ إن رسولكم الذي أرسل إليكم مجنون ﴽ﴾ . أي : ليس له عقل في دعواه أن ثئم رئاً غيري . ﴿﴿ قال﴾^[٧] أي : موسى لأولئك الذين أوزع^[٨] إليهم فرعون ما أوزع^[٩] من الشبهة ، فأجاب موسى بقوله : ﴿﴿ رب المشرق والمغرب وما بيتهما إن كنتم تعقلون ﴽ﴾ . أي : هو الذي جعل المشرق مشرقاً تطلع منه الكواكب ، والمغرب مغارباً تغرب فيه^[١٠] الكواكب ثوابتها وسياراتها ، مع هذا النظام الذي سخرها فيه وقدرها ، فإن كان هذا الذي يزعم^[١١] أنه ربكم وإلهكم صادقاً فليعكس الأمر ، وليجعل المشرق مغارباً ، والمغرب مشرقاً ، كما أخبر تعالى عن : ﴿﴿ الذي حاجَ إبراهيم في ريه [أن آتاه الله الملك]﴾^[١٢] إذ قال إبراهيم ربى الذي يحيى ويميت قال أنا أحسي

[١] - في ز ، خ : « واستخف » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « مقر » .

[٥] - ما بين المكونتين في ز ، خ : « قد » .

[٧] - في ز ، خ : « أونغر » .

[٦] - في ز ، خ : « أونغر » .

[٩] - في ز ، خ : « تزعم » .

[٨] - في ز ، خ : « منه » .

[١٠] - ما بين المكونتين سقط من : ز ، خ .

وأمِّيْت قال إِبْرَاهِيمَ فَلَمَّا أَتَى بِالشَّمْسَ مِنَ الْمَرْسَقِ فَأَتَى بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبَهَتُ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾؛ ولَهَذَا لَمَّا غَلَبَ فَرْعَوْنَ وَانْقَطَعَ حِجْتَهُ ، عَدَلَ إِلَى اسْتِعْمَالِ جَاهِهِ وَقَوْتَهِ وَسُلْطَانَهُ ، وَاعْتَقَدَ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعٌ لَهُ وَنَافِدٌ فِي مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ مَا أَخْبَرَ اللَّهَ تَعَالَى عَنْهُ :

قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ أَولَوْ جِئْتَكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣١﴾ قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كَثُنَتْ مِنْ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعَابٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِضَاءَ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيهِ ﴿٣٥﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٦﴾ قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَشِيرِينَ ﴿٣٧﴾ يَا أَنْتَكَ بِكُلِّ سَحَارٍ عَلِيهِ



لَا قَامَتْ عَلَى فَرْعَوْنَ الْحَجَةُ بِالْبَيَانِ وَالْعُقْلُ عَدَلَ إِلَى [١] أَنْ يَقْهَرْ مُوسَى يَدَهُ وَسُلْطَانَهُ ، وَظَنَّ أَنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَ هَذَا الْمَقَامَ [٢] ، فَقَالَ : « لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ » فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ مُوسَى : « أَوْلَوْ جِئْتَكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ » . أَيْ : بِرْهَانٌ [٣] قَاطِعٌ وَاضْحَى ، « قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كَنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ » فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعَابٌ مُّبِينٌ » ، أَيْ : ظَاهِرٌ وَاضْحَى فِي غَايَةِ الْجَلَاءِ وَالْوَضُوحِ وَالْعَظَمَةِ ، ذَاتِ قَوَائِمٍ وَفَمٌ كَبِيرٌ ، وَشَكْلٌ هَائلٌ مَزْعَجٌ . « وَنَزَعَ يَدَهُ » أَيْ : مِنْ جَيْهِ ، « فَإِذَا هِيَ بِضَاءَ لِلنَّاظِرِينَ » . أَيْ : تَتَلَلَّ كَطْعَةً مِنَ الْقَمَرِ . فَبَادَرَ فَرْعَوْنَ لِشَقَائِهِ [٤] إِلَى التَّكْذِيبِ وَالْعِنَادِ ، فَقَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ : « إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيهِ » . أَيْ : فَاضِلٌ بَارِعٌ فِي السَّحْرِ . فَرَوَّجَ عَلَيْهِمْ فَرْعَوْنُ أَنَّ هَذَا مِنْ قَبْلِ السَّحْرِ لَا مِنْ قَبْلِ الْمَعْجزَةِ ، ثُمَّ هِيجَهُمْ وَحَرَضَهُمْ عَلَى مُخَالَفَتِهِ ، وَالْكُفْرِ بِهِ ، فَقَالَ : « يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ » . أَيْ : [أَرَادَ أَنْ] [٥] يَذْهَبَ بِقُلُوبِ النَّاسِ مَعَهُ بِسَبِبِ هَذَا ، فَيُكْثِرُ أَعْوَانَهُ وَأَنْصَارَهُ وَأَتَيْعَاهُ وَيَغْلِبُكُمْ عَلَى دُولَتِكُمْ ، فَيَأْخُذُ الْبَلَادَ مِنْكُمْ ، فَأَشْرِبُوا عَلَيْهِ مَاذَا أَصْنَعَ بِهِ؟ « قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَشِيرِينَ » يَا تُوكَ بِكُلِّ سَحَارٍ عَلِيهِ » ، [أَيْ] : أَخْرِهِ وَأَخَاهُ حَتَّى تَجْمَعَ لَهُ مِنْ مَدَائِنِ مَلَكَتِكَ وَأَفَالِيمِ دُولَتِكَ كُلِّ سَحَارٍ

[١] - فِي ت : « عَنْ » .

[٢] - فِي ت : « بِرْهَانٌ » .

[٣] - فِي ت : « بِرْهَانٌ » .

[٤] - مَا بَيْنَ الْمَعْكُوفَيْنِ سَقْطٌ مِنْ ز ، خ .

عليم [١] يقابلونه [٢] ، ويأتون بنظير ما جاء به ، فتغلبه أنت و تكون لك النصرة والتأييد . فأجابهم إلى ذلك وكان هذا من تسخير الله تعالى لهم في ذلك ، ليجتمع الناس في صعيد واحد ، ولظهور آيات الله وحججه وبراهينه على الناس في النهار جهرة .

فَجَمِيعُ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمِ مَعْلُومٍ ٢٩ وَقَالَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُ مُجْتَمِعُونَ
 لَعَلَّنَا نَتَّيِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْفَنَّانِينَ ٣٠ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفَرْعَوْنَ أَيْنَ
 لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْفَنَّانِينَ ٣١ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمَّا أَتَيْنَا الْمُقْرَبِينَ ٣٢ فَالَّذِينَ
 هُمْ مُوسَىٰ أَتَقُولُ مَا أَنْتُ مُلْقُونَ ٣٣ فَأَتَقُولُ جَاهَلْتُمْ وَعَصَيْتُمْ وَقَالُوا يَعْزَزُ فَرْعَوْنَ
 إِنَّا لَنَحْنُ الْفَنَّانِينَ ٣٤ فَأَلَقَنَ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُونَ ٣٥
 فَأَلَقَى السَّحَرَةُ سَجِيلِينَ ٣٦ قَالُوا يَا مَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٣٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَدُونَ
٤٨

ذكر تعالى هذه المناظر العقلية [٣] بين موسى والقبط في « سورة الأعراف » وفي « سورة طه » ، وفي هذه السورة ، وذلك أن القبط أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواهم فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . وهذا شأن الكفر والإيمان ، ما تواجهها وتقابلا إلا غلبه الإمام ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ﴿ . وَقَالَ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهْوًا ﴾ ولهذا لما جاء السحرة ، وقد جمعوهم من أقاليم بلاد مصر ، وكانوا إذ ذاك أسرح الناس وأصنعمهم وأشدتهم تخيلًا [٥] في ذلك ، وكان السحرة جمًعاً كثيرًا ، وجمًعاً غفيراً ، قيل : كانوا اثنى عشر ألفًا ، وقيل : خمسة عشر ألفًا ، وقيل : سبعة عشر ألفًا ، [٦] وقيل : تسعة عشر ألفًا ، وقيل : بضعة وثلاثين ألفًا [٧] ، وقيل : ثمانين ألفًا ، وقيل غير ذلك ، والله أعلم بعدهم .

قال ابن إسحاق : وكان أمرهم راجعاً [٧] إلى أربعة منهم وهم رؤاؤهم ، وهم : ساتور ، وعازور ، وحطحط ، ويصفى .

[١] - ما بين المعرفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ : « يقابلونه » .

[٣] - في ت : « الفعلية » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ت : « تخيلًا » .

[٦] - ما بين المعرفتين سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز ، خ : « راجع » .

وأججهد^[١] الناس في الاجتماع ذلك اليوم ، وقال قائلهم : ﴿لَعْنَا نَبْعِي السُّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْفَالِبِينَ﴾ . ولم يقولوا : نتبع الحق سواء كان من السحرة أو من موسى ، بل الرعية على دين ملتهم . ﴿فَلَمَّا جَاءَ السُّحْرَةُ﴾ . أي : إلى مجلس فرعون وقد ضرب له وطافا^(*) وجمع حشمه وخدمه وأمراءه^[٢] وزراءه ورؤسائه دولته وجنود ملكته . فقام السحرة بين يدي فرعون ، يطلبون منه الإحسان إليهم والتقرب إليه إن غلبوا . أي : هذا الذي جمعتنا من أجله فقالوا : ﴿إِنَّ لَنَا لَأْجَرًا إِنْ كَنَا نَحْنُ الْفَالِبِينَ﴾ . قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين[﴾] . أي : وأنصص ما تطلبون أجعلكم من المقربين عندي وجلسائي . فعادوا إلى مقام المراقبة ، ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا نَتَقْرِبُ إِنَّا نَكُونُ أَوْلَى مِنْ أَنْفُلِنَا﴾ . قال بل ألقوا[﴾] . وقد احتصر هذا هاهنا . فقال : ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ . فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إننا لنحن الفالبون[﴾] . وهذا كما يقوله الجهلة من العوام إذا فعلوا شيئاً : هذا بثواب فلان . وقد ذكر الله في « سورة الأعراف » : أَنْهُمْ ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسُحْرٍ عَظِيمٍ﴾ . وقال في « سورة طه » : ﴿فَإِذَا حَبَّلُهُمْ وَعَصَيْهِمْ يَخْيِلُ إِلَيْهِ مِنْ سُحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسُ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قَلَنَا لَا تَخْفِ إِنْكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ . وألق ما في عينك تلتف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتي[﴾] .

وقال هاهنا : ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفَ مَا يَأْفِكُونَ﴾ . أي : تخطفه [٤] من كل بقعة وتبليغه فلم تدع منه شيئاً ، قال تعالى : ﴿فَوْقَ الْحَقِّ وَبِطْلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين * وألقى السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون[﴾] .

وكان هذا أمراً عظيماً جداً ، ويرهاناً قاطعاً للعنر وحجوة دامنة ، وذلك أن الذين^[٥] استنصر بهم وطلب منهم أن يتغلبوا قد^[٦] غلبوا وخيضعوا وأمنوا بموسى في الساعة الراهنة ، وسجدوا للله رب العالمين ، الذي أرسل موسى وهارون بالحق والمعجزة الباهرة ، فغلب فرعون غلباً لم يشاهد العالم مثله ، وكان وقحاً جريحاً عليه لعنة الله ! فعدل إلى المكابرة والعناد ودعوى الباطل ، فشرع يهددهم ويتوعدهم ، ويقول : ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلِمَكُمُ السُّحْرَ﴾ ، وقال : ﴿إِنَّ هَذَا مَكْرُونُهُ فِي الْمَدِينَةِ لَتَخْرُجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسُوفَ تَعْلَمُونَ﴾ .

قَالَ عَامِنْتُرْ لَهُ بَقِيلَ أَنَّ مَاذَنَ لَكُمْ إِنَّمَّا لَكِبِيرُكُمُ الَّذِي عَلِمَكُمُ السُّحْرَ فَسَوْقَ

(*) كذا ، ولا أدرى ما معناها .

[١] - في ز ، خ : « وحشر » .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - سقط من : ت .

[٤] - ما بين المعقوفين مكرر في ز .

[٦] - في خ : « منهم » ، وفي ز : « منه » .

[٥] - في ز ، خ : « الذي » .

تَعَامُونَ لَا قِطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَنْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلَشَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضِيرٌ
لِنَا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَّيْنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾

تهدهم فلم يقطع ذلك فيهم ، وتوعدهم بما زادهم إلا إيماناً وتسليناً ، وذلك أنه قد كشف عن قلوبهم حجاب الكفر ، وظهر لهم الحق بعلمهم ما جهل قومهم ، من أن هذا الذي جاء به موسى لا يصدر عن بشر ، إلا أن يكون الله قد أيده به ، وجعله له حجة ودلالة على صدق ما جاء به من ربه ؛ ولهذا لما قال لهم فرعون : ﴿آمْتَمْ لَهُ قَبْلَ أَذْنِ لَكُم﴾ أي : كان ينبغي أن تستأذنوني فيما فعلتم ، ولا تفتاتوا علي في ذلك ، فإن أذنت لكم فعلتم ، وإن منعتكم امتنعتم ، فإني أنا الحكم المطاع ، ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلِمْتُمُ السُّحْرَ﴾ . وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها ، فإنهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم ، فكيف يكون كبارهم الذي أفادهم صناعة السحر ؟ ! هذا لا يقوله عاقل .

ثم توعدهم فرعون بقطع [الأيدي] و[الأرجل والصلب] ، فقالوا : ﴿لَا ضِيرٌ﴾ . أي : لا حرج ولا يضرنا ذلك ولا نبالي به ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ . أي : المرجع [إلى الله] ، وهو لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، ولا يخفى عليه ما فعلت بنا [٣] ، وسيجزينا على ذلك أتم الجراء ؛ ولهذا قالوا : ﴿إِنَّا نَطَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَّايَا﴾ . أي : ما قارفناه من الذنوب وما أكرهتنا عليه من السحر ، ﴿أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي : بسبب أننا بادرنا قومنا من القبط إلى الإيمان . قتلهم [٤] كلهم .

* * *
وَلَوْجَحَنَا إِلَى مُوْئِعَ أَنَّ أَشْرِي بِعِيَادَى إِنَّكُمْ مُشَبِّعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ
حَسْرِيَنَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَوْلَاءَ لَشِرْدَمَةَ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَلَيَهُمْ لَنَا لَغَابِطُونَ ﴿٥٥﴾ وَلَنَا بِجَمِيعِ
حَلِزُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجَنَهُمْ مِنْ جَنَّتِ وَعِيُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَوْزَرَ وَمَقَامِ كَرِيمَ

لما طال مقام موسى - عليه السلام - بلاد مصر ، وأقام بها تحجج الله وبراهينه على فرعون ولائه ، وهم مع ذلك يكابرلون ويعاندون ، لم يق لهم إلا العذاب والنکال ، فأمر الله موسى

[١] - ما بين المukoفين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « المرجع » وفي خ : « الرجوع » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « قتلهم » .

عليه السلام - أن يخرجبني إسرائيل ليلاً من مصر ، وأن يمضي بهم حيث يُؤمر ، ففعل موسى - عليه السلام - ما أمره به ربه عز وجل ، خرج بهم بعد ما استعاروا من قوم فرعون شيئاً كثيراً ، وكان خروجه بهم - فيما ذكر غير واحد من المفسرين - وقت طلوع القمر . وذكر مجاهد - رحمة الله - أنه كُشف القراءة تلك الليلة ، فالله أعلم . وأن موسى - عليه السلام - سأله عن قبر يوسف - عليه السلام - فدلته امرأة عجوز من بنى إسرائيل عليه ، فاحتتمل تابوته معهم ، ويقال : إنه هو الذي حمله بنفسه عليهما السلام ، وكان يوسف قد وصى [١] بذلك إذا خرج بنو إسرائيل أن يحملوه معهم . وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم رحمة الله فقال :

حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا عبد الله بن عمر [بن محمد][٢] بن أبان بن صالح ، حدثنا [ابن فضيل][٣] ، عن عبد الله بن أبي إسحاق ، عن ابن أبي بردة ، [عن أبيه][٤] ، عن أبي موسى ؛ قال : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعرابي فأكرمه ، فقال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « تعاهدنا ». فأتاه الأعرابي فقال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « حاجتك [٥] ؟ » قال : ناقة برحلاها وأعنق [٦] يحتلبها أهلي ، فقال : « أعجزت أن تكون مثل عجوزبني إسرائيل ؟ » فقال له أصحابه : وما عجوزبني إسرائيل يا رسول الله ؟ قال : « إن موسى لما أراد أن يسرّيبني إسرائيل أضل الطريق ، فقال لبني إسرائيل : ما هذا ؟ فقال له علماءبني إسرائيل : نحن نحدثك : إن يوسف - عليه السلام - لما حضره الموت أخذ علينا موثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى نقل تابوته معنا ، فقال لهم موسى : فلما يدرى أين قبر يوسف ؟ قالوا : ما يعلمه إلا عجوز لبني إسرائيل . فأرسل إليها فقال لها : دلني على قبر يوسف . قالت [٧] : والله لا أفعل حتى تعطيني حكمي . فقال لها : وما حكمك ؟ قالت : حكمي أن أكون معك في الجنة . فكانه ثقل عليه ذلك فقيل له : أعطها حكمها . قال : فانطلقت معهم إلى بحيرة - مستنقع ماء - فقالت لهم [٨] : أنضبو هذا الماء . فلما أضبواه ، قالت : احتفروا . فلما احتفروا استخرجوا قبر يوسف ، فلما احتملوه إذا الطريق مثل ضوء النهار » ^(١) .

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (١٣/٢٣٦) ، وابن حبان في صحيحه (٣٥/٤٣٥) « موارد » ، والحاكم =

[١] - في ت : « أوصى » .

[٢] - في ز ، خ : ابن فضيل . وهو تعريف . والصواب : ابن فضيل . وهو محمد بن فضيل . من رجال التهذيب .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعقوفين في ت : « ما حاجتك » .

[٥] - ما بين المعقوفين في ت : « وأعز » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في ت : « قالت » .

هذا حديث غريب جداً والأقرب أنه موقوف ، والله أعلم .

فلما أصبحوا وليس في ناديهم^[١] داع ولا مجيب ، غاظ ذلك فرعون واشتد غضبه علىبني إسرائيل ، لما يريد الله به من الدمار ، فأرسل سريعاً في بلاده حاشرين . أي : من يحشر الجنّد ويجمعه ، كالنقباء والحجّاب ، ونادي فيهم : ﴿إِنْ هُؤُلَاءِ﴾ - يعني : بني إسرائيل - ﴿لشِرْذَمَةٍ قَلِيلُونَ﴾ . أي : لطائفة قليلة ، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفَاقِطُونَ﴾ ، أي : كل وقت يصل لنا منهم ما يغيظنا ، ﴿وَإِنَا جَمِيعٌ حَادِرُونَ﴾ . أي : نحن كل وقت نحضر من غالتهم ، وإنني أريد أن أستأصل شأتم ، وأزيد حضراهم . فجوزي في نفسه وجئنه بما أراد لهم ، قال الله تعالى : ﴿فَأَخْرُجُنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعِيُونَ وَكَبُوزٍ وَمَقَامَ كَرِيمٍ﴾ . أي : فخرجوا من هذا النعيم إلى الجحيم ، و﴿تَرَكُوا تِلْكَ الْمَنَازِلِ الْعَالِيَّةِ، وَالْبَسَاتِينَ وَالآهَارِ، وَالْأَمْوَالِ، وَالْأَرْزَاقِ، وَالْمَلَكِ، وَالْجَاهِ الْوَافِرِ فِي الدُّنْيَا﴾ . ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿وَأَوْرَثَنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَعْفِفُونَ مِشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارَبَهَا التَّيْ بَارَكَنَا فِيهَا وَقَاتَ كَلْمَةَ رِبِّ الْحَسَنِي عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فَرَعُونُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرُشُونَ﴾ . وقال تعالى : ﴿وَنَرِيدُ أَنْ نُنْهِيَ الَّذِينَ اسْتَعْفَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أَنْتَمْ وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ وَنَمْكِنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فَرَعُونَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذِرُونَ﴾ .

كَذَلِكَ وَأَوْرَثَهَا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ **فَأَتَبْعَوْهُمْ شَرِقَيْكَ** ﴿٦٠﴾ **فَلَمَّا تَرَأَهَا الْجَمِيعُ**
قَالَ أَصْبَحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمُذْرِكُونَ ﴿٦١﴾ **فَلَمْ كَلَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيِّدِنَا** ﴿٦٢﴾
فَأَوْحَيْنَا إِلَيْنَا مُوْمَعَ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَفْلَقَ فِيْكَانَ كُلُّ فِرْقَيْ كَالْطَّوْرَ
الْعَظِيْمِ ﴿٦٣﴾ **وَأَزْلَقْنَا ثَمَّ الْآخِرَيْنَ** ﴿٦٤﴾ **وَأَنْجَبْنَا مُوْمَعَ وَمَنْ مَعْهُ أَجْمَعِينَ**
ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرَيْنَ ﴿٦٥﴾ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيْهُ وَمَا كَانَ أَكْرَهُهُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴿٦٦﴾ **وَلَمَّا**
رَبِّكَ لَمَّا الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٧﴾

ذكر ذلك غير واحد من المفسرين : أن فرعون خرج في جحمل عظيم وجمع كبير ، هو عبارة عن مملكة الديار المصرية في زمانه ، أولي الحال والعقد والدول ، من الأمراء والوزراء

= في المستدرك (٥٧١/٢) من طريق محمد بن فضيل ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى به . وقال الهيثمي في الجمجم (١٧٠/١٠) : « رجال أبي يعلى رجال الصحيح » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[١] - في خ : « ناديهم » .

والكبار والرؤساء والجنود ، فأما ما ذكره غير واحد من الإسرائييليات ، من أنه خرج في ألف وستمائة ألف فارس ، منها مائة ألف على خيل دُهم ، وقال كعب الأحبار : فيهم ثمانمائة ألف حسان أدهم - ففي ذلك نظر . والظاهر أنه من مجازفاتبني إسرائيل ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، والذي أخبر به هو النافع ، ولم يعن عدتهم إذ لافائدة تحته ، إلا أنهم خرجموا بأجمعهم .

﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِين﴾ . أي : وصلوا إليهم عند شروق الشمس ، وهو طلوعها ﴿فَلَمَّا ترَاءَى الْجَمْعَان﴾ أي :رأى كل من الفريقين صاحبه ، فعند ذلك ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمْ نَرَكُونَ﴾ ، وذلك أنه انتهى بهم السير إلى سيف^(١) البحر ، وهو بحر القلزم ، فصار أمامهم البحر ، وفرعون قد أدركهم بجنوده ؛ فلهذا قالوا : ﴿إِنَّا لَمَرَكُونَ﴾ . قال كلاماً إن معي ربى سيهدين^(٢) . أي : لا يصل إليكم شيء مما تحذرون ، فإن الله سبحانه هو الذي أمرني أن أسير هاهنا بكم ، وهو لا يخلف الميعاد .

وكان هارون - عليه السلام - في المقدمة ، ومعه يوشع بن نون ، [ومؤمن آل فرعون ، وموسى - عليه السلام - في الساقية ، وقد ذكر غير واحد من المفسرين : أنهم وقفوا لا يدركون ما يصنعون ، وجعل يوشع بن نون^[١] ، أو مؤمن آل فرعون يقول لموسى عليه السلام : يا نبي الله ، هاهنا أمرك الله أن تسير ؟ فيقول : نعم ، واقترب فرعون وجنوده ، ولم يبق إلا القليل . فعند ذلك أمر الله نبيه موسى أن يضرب البحر بعصاه ، فضربه وقال : انفلق لاذن الله .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا الوليد ، حدثنا محمد ابن حمزة بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام : أن موسى - عليه السلام - لما انتهى إلى البحر قال : يامن كان قبل كل شيء ، والمكون لكل شيء ، والكافئ بعد كل شيء ، أجعل لنا مخرجاً ، فأوحى الله إليه : ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ .

وقال قتادة : أوحى الله تلك الليلة إلى البحر : أن إذا ضربك موسى بعصاه فاسمع له وأطع ، فبات البحر تلك الليلة [وله اضطراب^[٣]] ، ولا يدرى من أي جانب^[٤] يضربه موسى ، فلما انتهى إليه موسى قال له فتاه يوشع بن نون : يا نبي الله ، أين أمرك ربك ؟ قال : أمرني أن أضرب البحر . قال : فاضطرب^[٥] .

وقال محمد بن إسحاق : أوحى الله - فيما ذكر لي - إلى البحر : أن إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له . قال : فبات البحر يضرب^[٦] بعضه بعضاً ، فرقاً من الله تعالى ، وانتظاراً لما أمره

[١] - ما بين المكوفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ : « عن » .

[٣] - ما بين المكوفين ياض في ز .

[٤] - في خ ، ز : « باب » .

[٥] - في خ : « فاضرب به » .

[٦] - في ز ، خ : « يضطرب » .

الله ، وأوحى الله إلى موسى : ﴿ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾ . فضربه بها ، وفيها سلطان الله الذي أعطاه ، فانفلق .

وذكر غير واحد أنه كثأه فقال : انفلق على [أبا حاald^[١]] بحول الله . قال الله تعالى : ﴿ فَانْفَلَقَ كُلُّ فُرْقَانٍ كُلُّ فُرْقَانٍ كَالْطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ . أي : كالجبل الكبير . قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومحمد بن كعب ، والضحاك ، وقادة ، وغيرهم .

وقال عطاء الخراساني : هو الفرج بين الجبلين .

وقال ابن عباس : صار البحر الثاني عشر طريقاً ، لكل سبط طريق - وزاد السدي : وصار فيه طاقات ينظر بعضهم إلى بعض ، وقام الماء على حيله كالحيطان ، وبعث الله الريح على قعر البحر ففتحته ، فسأرَّ يَبْسَا كوجه الأرض ، قال الله تعالى : ﴿ فَاضْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَسِّئَا لَا تَخَافُ دَرِّكَا وَلَا تَخْشَى ﴾ . وقال في هذه القصة : ﴿ وَأَزْلَفْنَا أَيْهَا هَذِهِ الْآخِرَيْنِ ﴾ . قال ابن عباس ، وعطاء الخراساني ، وقادة ، والسدي : ﴿ وَأَزْلَفْنَا أَيْهَا هَذِهِ الْآخِرَيْنِ ﴾ . أي : قربنا فرعون وجنته من البحر ، وأدیناهما إليه . ﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرَيْنِ ﴾ ، أي : أنجينا موسى وبني إسرائيل ومن معهم على دينهم فلم يهلك منهم أحد ، وأغرق فرعون وجنته فلم يبق منهم رجل إلا هلك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا شابة ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - أن موسى - عليه السلام - حين أسرى ببني إسرائيل بلغ فرعون ذلك^[٢] ، فأمر بشاة فذبحت ، ثم قال : لا ، والله لا يُفرغ من سلطتها حتى يجتمع إليَّ ستمائة ألف من القبط .

فانطلق موسى حتى انتهى إلى البحر ، فقال له : انفرق^[٣] . فقال البحر : لقد استكبرت يا موسى ؟ وهل فرقت^[٤] لأحد من ولد آدم فأفرق^[٥] لك ؟ قال : ومع موسى رجل على حسان له ، فقال له ذلك الرجل : أين أمرت يا نبي الله ؟ قال : ما أمرت إلا بهذا الوجه - [يعني البحر - فأتحم فرسه فتسير به فخرج . فقال : أين أمرت يا نبي الله ؟ قال : ما أمرت إلا بهذا الوجه^[٦] . قال : والله ما كذبت ولا كذبت . ثم اتحم الثانية فسبع ، ثم خرج فقال : أين أمرت يا نبي الله ؟ قال : ما أمرت إلا بهذا الوجه . قال : والله ما كذبت ولا كذبت . قال : فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه موسى بعصاه ، فانفلق^[٧] ، فكان فيه اثنا

[١] - ما بين المعقوفين في خ ، ز : « أنه » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ : « انفلق » .

[٤] - في ت : « انفرقت » .

[٥] - في ت : « فانفرق » .

[٦] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ت : « فانفرق » .

عشر طریقاً^[١] لکل سبط طریق يتراون ، فلما خرج أصحاب موسى وَتَنَامَ أصحاب فرعون ، التقى البحر عليهم فأغرقهم .

وفي رواية إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله قال : فلما خرج آخر أصحاب موسى ، وتكامل أصحاب فرعون ، اضططم عليهم البحر ، فما زُيِّ سواد أكثر من يومئذ ، وغرق فرعون لعنه الله .

ثم قال تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَاءِهِ﴾ . أي : في^[٢] هذه القصة وما فيها من العجائب والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين ، للدلاله وحججه قاطعة وحكمة بالغة ، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنْ رِبُّكَ لَهُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ . تقدم تفسيره .

وَاتَّلَ عَلَيْهِمْ بَنَآءاً إِنْزَهِيمَ ﴿٧٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَهْلِهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَرَ لَهَا عَذَّابِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضْرُوْنَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا أَبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَعِيشُرْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَلَنْتَهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾

اللَّهُ خَلَقَ فَهُوَ يَهْبِطُ

هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء ، أمر الله رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - أن يتلوه على أمهه ، ليقتدوا به في الإخلاص والتوكيل ، وعبادة الله وحده لا شريك له ، والتبري من الشرك وأهله ، فإن الله تعالى آتى إبراهيم رشه من قبل . أي : من صغره إلى كبره ، فإنه من وقت نشأ وشبَّ ، أذكر على قومه عبادة الأصنام مع الله - عز وجل - فقال ﴿لِأَهْلِهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ أي : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَرَ لَهَا عَذَّابِينَ﴾ . أي : مقيمين على عبادتها ودعائها ، ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضْرُوْنَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا أَبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ . يعني : اعتنقو بأن أصنامهم لا تفعل شيئاً من ذلك ، وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون ، فهم على آثارهم يهرونون .

فبعد ذلك قال لهم إبراهيم : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَلَنْتَهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ . أي : إن كانت هذه الأصنام شيئاً ولها تأثير ، فلتخلص لـي بالمساءة ، فإني عدو لها لا أباليها ولا أذكر فيها ، وهذا كما قال تعالى مخبراً عن نوح عليه

[١] - في ز ، خ : « سبطاً » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

السلام : ﴿ فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلى ولا تنتظرون ﴾ . وقال هود - عليه السلام - : ﴿ إِنِّي أَشْهُدُ اللَّهَ وَاشْهِدُوْا أَنِّي بُرِيءُ مَا تُشَرِّكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُولِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تَنْتَظِرُونَ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخَذَ بِنَاصِيَّهَا * إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ . وهكذا تبرأ إبراهيم من آلهتهم وقال : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ * وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمَا تَبْعِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ * كَفَرُوا بِكُمْ وَبِدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبْدَاهُ حَتَّى تَوْمَنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ لِأَهْلِهِ وَقَوْمِهِ إِنِّي بِرَاءٌ مِّنْ تَبْعِدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنَا * وَجَعَلَهَا كَلْمَةً باقِيَةً فِي عَقْبِهِ لِعَلْمِهِ بِرَجْعَوْنَ ﴾ يعني : لا إله إلا الله .

الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِيَنِي ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يَطْعَمُنِي وَيَسْقِيَنِي ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِيَنِي ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُسْتَئِنُ ثُمَّ يُحِينِي ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي حَطِيشَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾

يعني : لا أعبد إلا الذي يفعل هذه الأشياء : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِيَنِي ﴾ . أي : هو الخالق الذي قدر قدرًا ، وهدى الخلائق إليه ، فكل يجري على قدر ، وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، ﴿ وَالَّذِي هُوَ يَطْعَمُنِي وَيَسْقِيَنِي ﴾ . أي : هو خالقى ورازقى ، بما سخر ويسير من الأسباب السماوية والأرضية ، فساق المزن ، وأنزل الماء ، وأحيا به الأرض ، وأخرج به من كل الثمرات رزقا للعباد ، وأنزل الماء عذبا زلاً ﴿ نَسْقِيهِمْ مَا خَلَقْنَا أَعْلَمُ وَأَنَّاسِي كَثِيرًا ﴾ .

وقوله : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِيَنِي ﴾ أنسد المرض إلى نفسه ، وإن كان عن قدر الله وقضاءه وخالقه ، ولكن أضافه إلى نفسه أدباء ؛ كما قال تعالى أمراً للمصلحي أن يقول : ﴿ أَهْدَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِمْ غَيْرَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ . فأنسد الإنعام إلى الله سبحانه وتعالي ، والغضب خدف فاعله أدباء ، وأنسد الضلال إلى العبيد ، كما قالت الحن : ﴿ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ مِنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرِادُ بِهِمْ رِشَادًا ﴾ . ولهذا قال إبراهيم : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِيَنِي ﴾ . أي : إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره ، بما يقدر من الأسباب الموصولة إليه .

﴿ وَالَّذِي يَمْتَنِي ثُمَّ يُحِينِي ﴾ . أي : هو الذي يحيى ويميت ، لا يقدر على ذلك أحد سواه ، فإنه هو الذي يبدئ ويعيد ، ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي حَطِيشَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ . أي : هو الذي لا يقدر على غفر الذنب في الدنيا والآخرة إلا هو ، ومن يغفر الذنب إلا الله ، وهو الفعال لما يشاء .

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي إِسَانَ صِدْقِ فِي الْآخِرَةِ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَبِّهِ جَنَّةَ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَنِّي إِنَّمَا كَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُعْزِّنِي يَوْمَ يَبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَنَّ اللَّهَ يُقْلِبْ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

وهذا سؤال من إبراهيم - عليه السلام - أن يؤتى به [١] حكمًا.

قال ابن عباس : وهو العلم . وقال عكرمة : هو اللب . وقال مجاهد : هو القرآن . وقال السدي : هو النبوة .

وقوله : ﴿وَاحْلَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ . أي : اجعلني مع الصالحين في الدنيا والآخرة ، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - عند الاحتضار : [« اللَّهُمَّ ، فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى »^(٢) . قالها ثلاثة . وفي الحديث في الدعاء [٢] : « اللَّهُمَّ ، أَهْبِطْنَا مُسْلِمِينَ ، وَأَمْتَنَا مُسْلِمِينَ ، وَاحْلَقْنَا بِالصَّالِحِينَ ، غَيْرَ خَرَايَا وَلَا مَبْدِلِينَ »^(٣) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه حديث (٦٥٠٩) ، ومسلم في صحيحه حديث (٢١٩١) من حديث عائشة ، رضي الله عنها ، وليس عندهما أنه قالها ثلاثة ، وإنما فيهما ما يفيد أنها مرتبة ، والله أعلم .

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤٢٤/٣) (١٥٥٣٤) ثنا مروان بن معاوية الفزارى ، ثنا عبد الواحد بن أبين المكي ، عن عبد الله بن عبد الله الزرقى ، عن أبيه ؛ قال - وقال الفزارى مرة : عن ابن رفاعة الزرقى ، عن أبيه ، قال : - قال أبي ؛ وقال غير الفزارى : عبيد بن رفاعة الزرقى - قال : لما كان يوم أحد ، وانكفاء المشركون ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذكره في حديث طويل ، والنمسائي في « الكبرى » في كتاب « عمل اليوم والليلة » : باب : الاستئصار عند اللقاء حديث (٦/١٠٤٤٥) (١٥٦/٦) . قال : أخبرنا زيد بن أبىوب ، حدثنا مروان ابن معاوية . والحاكم في المستدرك (١/٥٠٧ - ٥٠٦) . قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن أبى سمرة ، ثنا خالد بن يحيى . والطبرانى في الكبير (٥/٤٧) حديث (٤٥٤٩) . قال : حدثنا عبد الرحمن بن مسلم الرازى ، ثنا سهل بن عثمان ؛ قال : ثنا مروان ابن معاوية . وأبى نعيم في « الخلية » (١٢٧/١٠) . قال : حدثنا محمد بن علي بن سهل : ثنا محمد بن الفضل بن جابر ، ثنا السرى بن مغلس وداد بن عمرو ؛ قالا : ثنا مروان بن معاوية بن قرة . كلهم من طريق عبد الواحد بن أبين المكي ، عن عبيد بن رفاعة بن رافع الرقى - عند أبي نعيم : « رفيعة » بدلاً من « رفاعة » ولعله تصحيف - عن أبيه ... فذكره . قال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشیخین ولم یخرجاه . وقال الذہبی : لم یخرجنا عبید وهو ثقة ، والحديث مع نظافة إسناده منکر ، أتحاف أن لا يكون موضوعا ، رواه عن خالد بن أبي سمرة . وذكره الہبھی في مجمع الروایات (٦/١٢٤، ١٢٥) وقال : رواه أحمد والبزار ، ورجال أحمد رجال الصحيح . اهـ . من حديث الزرقى ، وعنه : « غیر خرایا ولا مفتونین » .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المقوفين سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صَدْقَةً فِي الْآخِرَةِ﴾ . أي : واجعل لي [١] ذكرًا جميلاً بعدي أذكُر به ، ويقتدى بي في الخير ، كما قال تعالى : ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجِي الْمُحْسِنِينَ﴾ .

قال مجاهد وقتادة : ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صَدْقَةً فِي الْآخِرَةِ﴾ ، يعني : الثناء الحسن .

قال مجاهد : وهو كقوله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِلَهٌ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ﴾ .

وكقوله : ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِلَهٌ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ﴾ .

قال ليث بن أبي سليم : كل ملة تحبه وتتواله . وكذا قال عكرمة .

وقوله : ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ . أي : أنعم على في الدنيا ببقاء الذكر الجميل بعدي ، وفي الآخرة بأن يجعلني من ورثة جنة النعيم .

وقوله : ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَهْ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ كقوله : ﴿رَبِّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدِي﴾ وهذا مما رجع عنه إبراهيم - عليه السلام - كما قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اسْتَغْفِرُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ إِلَّا عَنْ موعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوَّ لَهُ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَرْوَاهُ حَلِيمٌ﴾ . وقد قطع تعالى الإلحاد في استغفاره لأبيه ، فقال : ﴿قَدْ كَانَتْ [٢] لَكُمْ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بِرَأْءِنَا مِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرُنَا بِكُمْ وَبِمَا يَبْنَنَّ وَبِمَا يَنْكِمُ الْعِدَادُ وَالْبَغْضَاءُ أَبْدَأَ حَتَّى تَوْمَنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لِأَسْتَغْفِرُنَّ لَكَ وَمَا أَمْلَكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ .

وقوله : ﴿وَلَا تَخْزِنِي يَوْمَ يَعْشُونَ﴾ . أي : أجرني من الحزى يوم القيمة ، ويوم [٣] يبعث الخلاص أولهم وأخرهم .

قال البخاري في قوله : ﴿وَلَا تَخْزِنِي يَوْمَ يَعْشُونَ﴾ وقال إبراهيم بن طهمان ، عن ابن أبي ذئب ، عن أبي سعيد المقبري ، [٤] عن أبيه [٤] ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن إبراهيم رأى أباه يوم القيمة عليه الغبرة والفترأة» [٤] .

حدثنا إسماعيل ، حدثنا أخي ، عن ابن أبي ذئب ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : «يلقى إبراهيم أباه ، فيقول : يارب ، إنك وعدتني

(٤) صحيح البخاري حديث (٤٧٦٨) .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : «كان» .

[٤] - ما بين المعقودتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - سقط من : ز .

أنك لا تخزني يوم يبعثون ، فيقول أ : إني حرمت الجنة [على الكافرين]^(١) . هكذا رواه عند هذه الآية^(٢) .

وفي أحاديث الأنبياء بهذا الإسناد بعينه منفرداً به ، ولنفذه : « يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيمة ، وعلى وجه آزر قترة وغبرة ، فيقول له إبراهيم : ألم أفل لك : لا تعصني ؟ فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك . فيقول إبراهيم : يا رب ، إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون ، فأي خزي أخزى من أبي^(٣) الأبعد ؟ فيقول الله تعالى : إني حرمت الجنة على الكافرين . ثم يقال : يا إبراهيم ؛ ما تحت رجليك ؟ فينظر فإذا هو ذييخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار »^(٤) .

وقال أبو عبد الرحمن النسائي في التفسير من سنته الكبير^(٥) قوله : « ولا تخزلي يوم يبعثون »^(٦) : أخبرنا أحمد بن حفص بن عبد الله ، حدثني أبي ، حدثني إبراهيم بن طهمان ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن أبي سعيد المقيرى ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إن إبراهيم رأى أباه يوم القيمة عليه الغبرة والقترة ، وقال له : قد نهيتك عن هذا فعصيتي . قال : لكنني اليوم لا أعصيك واحدة . قال : يا رب ، وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون ، فإن أخزيت أباه فقد أخزت الأبعد . قال : يا إبراهيم ، إني حرمتها على الكافرين . فأخذ منه ، قال : يا إبراهيم ، أين أبوك ؟ قال : أنت أخذته مني . قال : النظر أسفل منك . فنظر فإذا ذييخ يتصرخ في نئيه ، فأخذ بقوائمه فألقى في النار » . هذا إسناد غريب ، وفيه نكارة .

والذيخ : هو الذكر من الضباء ، كأنه حول آزر إلى صورة ذييخ متلطخ بعذرته ، فيلقى في النار كذلك .

وقد رواه البزار من حديث حماد بن سلمة ، عن أبوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . وفيه غرابة .

ورواه أيضًا من حديث قادة ، عن جعفر ابن عبد الغافر ، عن أبي سعيد ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بنحوه .

وقوله : « يوم لا ينفع مال ولا بنون »^(٧) . أي : لا يقي المرأة من عذاب الله ماله ، ولو

(٥) صحيح البخاري حديث (٤٧٦٩) ولنفذه : « وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون » .

(٦) صحيح البخاري حديث (٣٣٥٠) .

(٧) النسائي في الكبير حديث (١١٣٧٥) .

[١] - ما بين المكوفين سقط من : خ .

[٢] - في ز : « أب » .

افتدى بملء الأرض ذهباً ﴿٦﴾ ولا بنون ﴿٧﴾ ولو افتدى بن في الأرض جميماً ، ولا ينفع يومئذ إلا الإيمان بالله ، وإخلاص^[١] الدين له ، والتبري من الشرك ؛ ولهذا قال : ﴿٨﴾ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴿٩﴾ . أي : سالم من الدنس والشرك .

قال محمد بن سيرين : القلب السليم أن يعلم أن الله حق ، وأن الساعة آية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور .

وقال ابن عباس : ﴿٩﴾ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴿٩﴾ : حبي يشهد أن لا إله إلا الله .

وقال مجاهد ، والحسن ، وغيرهما : ﴿٩﴾ بقلب سليم ﴿٩﴾ ، يعني : من الشرك .

وقال سعيد بن المسيب : القلب السليم : هو القلب الصحيح ، وهو قلب المؤمن ، لأن قلب المافق مريض ، قال الله : ﴿١٠﴾ في قلوبهم مرض ﴿١٠﴾ .

وقال أبو عثمان السايروري^[٢] : هو القلب الخالي من البدعة المطمئن على الشلة .

وَأَرْلَفَتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَقِنِينَ ﴿٩١﴾ **وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ** ﴿٩٢﴾ **وَقِيلَ لَهُمْ أَنَّ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ لَا** ﴿٩٣﴾ **مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُوكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ** ﴿٩٤﴾ **فَكُنْتُكُمْ فِيهَا هُمْ وَالْغَاوِينَ** ﴿٩٥﴾ **وَحَنُودُ إِلَيْسَ أَجْمَعُونَ** ﴿٩٦﴾ **قَاتُلُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ** ﴿٩٧﴾ **تَأَلَّهُ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴿٩٨﴾ **إِذْ نُسُوكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿٩٩﴾ **وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا** **الْمُجْرِمُونَ** ﴿١٠٠﴾ **فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعٍ** ﴿١٠١﴾ **وَلَا صَدِيقٌ حَمِيمٌ** ﴿١٠٢﴾ **فَلَوْ أَنَّ لَنَا كُرَّةً** **فَكُنُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴿١٠٣﴾ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةٌ** **وَمَا كَانَ أَكْرَهُمْ مُّؤْمِنِينَ** ﴿١٠٤﴾ **وَلَأَنَّ** **رَبِّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ﴿١٠٥﴾

﴿٩﴾ وأزلفت الجنة أي : قربت الجنة وأدنيت من أهلها يوم القيمة مزخرفة مزينة لاظريها ، وهم المتقوون الذين رغبوا فيها ، وعملوا لها في الدنيا ، ﴿١٠﴾ وبرزت الجحيم للغاوين أي : أظهرت وكشف عنها ، وبدت منها عنق ، فزفرت زفة بلغت منها القلوب إلى الخارج ، وقيل لأهلها تقريراً وتوصيحاً : ﴿١١﴾ أين ما كنتم تعبدون * من دون الله هل ينصرولكم أو ينتصرون ﴿١٢﴾ أي : ليست الآلهة التي عبدتموها من دون الله ، من تلك الأصنام والأنداد تغنى^[٣] عنكم اليوم

[١] - في ز ، خ : « وخلاص » .

[٢] - في ز ، خ : « السايروري » .

[٣] - في ز ، خ : « لتغنى » .

شيئاً ولا تدفع عن نفسها ، فإنكم ولها اليوم حصب جهنم أنتم لها واردون .
وقوله : ﴿فَكَبَّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُون﴾ . قال مجاهد : يعني : فَدَهُرُوا فيها .

وقال غيره : كببوا فيها ، والكاف مكررة ؛ كما يقال : صرصر . والمراد : أنه ألقى بعضهم على بعض من الكفار وقادتهم الذين دعوه إلى الشرك ، ﴿وَجَنُودٌ إِبْلِيسٌ أَجْمَعُون﴾ ، أي : ألقوا فيها عن آخرهم . ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَالَّهُ إِنْ كَانَ لَهُ ضَلَالٌ مِّنْ إِذْ نُسُوكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِين﴾ . أي : يقول الضعفاء للذين استكبروا : ﴿إِنَا كَنَا لَكُمْ تَبْغَا فَهُلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنِ نَصْبِنَا مِنَ النَّارِ﴾ .

ويقولون وقد عادوا على أنفسهم باللامة : ﴿تَالَّهُ إِنْ كَانَ لَهُ ضَلَالٌ مِّنْ إِذْ نُسُوكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِين﴾ ، أي : يجعل أمركم مطاعاً كما يطاع أمر رب العالمين ، وعبدناكم مع رب العالمين ﴿وَمَا أَضْلَلْنَا إِلَّا الْجُرْمَوْن﴾ أي : ما دعانا إلى ذلك إلا الجرمون ، ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعٍ﴾ . قال بعضهم : يعني : من الملائكة ، كما يقولون : ﴿فَهُلْ لَنَا مِنْ شَفِيعٍ فِي شَفَعَيْنِ﴾ . أو نرد فعل غير الذي كنا نعمل ﴿وَكَذَا قَالُوا﴾ : ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعٍ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ . أي : قريب . قال قنادة : يعلمون - والله - أن الصديق إذا كان صالحًا نفع ، وأن الحميم إذا كان صالحًا شفع ﴿فَلَوْ أَنْ لَنَا كُرْبَةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِين﴾ . وذلك أنهم يتمسكون أنهم يردون إلى الدار الدنيا ، ليعلموا بطاعة ربهم فيما يزعمون ، وهو سبحانه وتعالى يعلم أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون .

وقد أخبر تعالى عن تخاصم أهل النار في سورة «ص» ، ثم قال : ﴿إِنْ ذَلِكَ لَحَقٌ تَخَاصِمُ أَهْلَ النَّارِ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِين﴾ . أي : إن في مواجهة إبراهيم لقومه وإقامته الحجة^[١] عليهم في التوحيد لآية ودلالة واضحة جلية على أنه لا إله إلا الله . ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ وَإِنْ رَبِّكَ لَهُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ .

اَكَذَّبْتُ قَوْمًّا نُوحَ الْمُرْسَلِينَ ١٥٥ اِذْ قَالَ لَهُمْ اَنُوحُمْ نُوحُ اَلَا تَنْقُونَ ١٥٦ اِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ اَمِينٌ ١٥٧ فَأَنْقُوا اللَّهَ وَاطِّبِعُونَ ١٥٨ وَمَا اَشْكَلْتُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ اَجْرٍ اِنْ اَجْرِي اَلَا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٥٩ فَأَنْقُوا اللَّهَ وَاطِّبِعُونَ ١٦٠

هذا إخبار من الله - عز وجل - عن عبده رسوله نوح - عليه السلام - وهو أول رسول بعث إلى الأرض بعد ما عبدت الأصنام والأنداد بعنه الله ناهياً عن ذلك ، ومحذراً من ويل

[١] - في ت : «الحجج» .

عقابه ، فكذبه قومه واستمروا على ما هم عليه من الفعال الخبيثة في عبادتهم أصنامهم ، ويتنزل تكذيبهم له بمنزلة تكذيب جميع الرسل ؛ ولهذا قال : ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتركون ﴾ . أي : ألا تخافون الله في عبادتكم غيره ؟ ﴿ إِلَيْكُمْ رَسُولُ أَمِينٍ ﴾ . أي : إني رسول من الله إليكم ، أمين فيما يعتني به ، أبلغكم رسالة الله لا أزيد فيها ولا أنقص منها ، ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوهُنَّ وَمَا أَسَأَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ . أي : لا أطلب منكم جزاء على نصحي لكم ، بل أدخل ثواب ذلك عند الله ، ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوهُنَّ ﴾ . فقد وضع لكم وبان صدقني ونصحي وأمانتي فيما يعتني به واتمنني عليه .

﴿ قَالُوا أَنْزَلْنَا لَكَ وَأَتَّبَعْكَ الْأَرْذُلُونَ ﴾ ١١١ قَالَ وَمَا عَلِمْتُ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّهِ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ ١١٢ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ

يقولون : أئمن لك وتبتعك وتساويا في ذلك بهؤلاء الأراذل الذين اتبعوك وصدقوك ، وهم أراذلنا ؟ ولهذا ﴿ قالوا أئمن لك وابتاعك الأرذلون * قال وما علمي بما كانوا يعملون ﴾ أي : وأي شيء يلزمني من اتباع هؤلاء لي ، ولو كانوا على أي شيء كانوا عليه لا يلزمني الت نقيب^[١] عنه والفحص والبحث ، إنما علي أن أقبل منهم تصديقهم^[٢] إيماني ، [وأكمل^[٣]] سرائرهم إلى الله عز وجل ، ﴿ إِنْ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّهِ لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا بَطَارِدُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . كأنهم سألوا منه أن يعدهم عنه ليتابعوه ، فأنى عليهم ذلك ، وقال : ﴿ وَمَا أَنَا بَطَارِدُ الْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ أَنَا إِلَّا نذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ . أي : إنما^[٤] بعثت نذيراً ، فمن أطاععني واتبعني وصدقني كان مني وكتت منه ، سواء كان شريقاً أو وضيغاً ، أو جليلاً أو حقيراً .

﴿ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ ١١٥ ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْهَهُ يَنْثُوحُ لَتَكُونَ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ ١١٦ قَالَ

رَبِّي إِنَّ قَوْمِي كَذَّابُونَ ١١٧ فَاقْتَنَعَ بَيْنِ وَيْنِهِمْ فَتَحَّا وَجَهَنَّمَ وَمَنْ مَعَيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

﴿ فَانْجَحَتْهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكِ الْمَسْحُونِ ١١٨ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ إِنَّ

فِي ذَلِكَ لَذِيَّةٌ وَمَا كَانَ أَكْرَمُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١١٩ وَلَنَ رَبِّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

١٢٠

لما طال مقام نبي الله بين أظهرهم يدعوهم إلى الله ليلاً ونهاراً ، وجهراً وإسرازاً ، وكلما كرر

[١] - في ز ، خ : « التنقب ». [٢] - في ز ، خ : « بصدقهم » .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز . [٤] - في ز ، خ : « أنا » .

عليهم الدعوة صمموا على الكفر الغليظ ، والامتناع الشديد ، وقالوا في الآخر : ﴿لَئِنْ لَمْ تُتْهِنْ﴾ . أي : عن دعوتك إيانا إلى دينك يا نوح ﴿لَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ . أي : لترجمتك . فعند ذلك دعا عليهم دعوة استجابة الله منه ، فقال : ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّابُونَ﴾ فاتفع بيسي وبيهم فتحا وتحني ومن معى من المؤمنين ﴿فَإِنَّمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى﴾ : ربه أني مغلوب فانتصر * ففتحنا أبواب السماء بماء منهم * وفجرنا الأرض عيونا فالتحق الماء على أمر قد قدر * وحملناه على ذات الواح ودسر * تجري بأعيننا جزاء من كان كفر ﴿لَئِنْ لَمْ

وقال ها هنا : ﴿فَأَنْجَنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونُ﴾ ثم أغرقنا بعد الباقين ﴿لَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ . هو المملوء بالأمتنة والأزواج التي حمل فيه [١] من كل زوجين اثنين ، أي : نجيناه ومن معه كلهم وأغرقنا من كذبه وخالق أمره كلهم . ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَّةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ . وإن ربك له العزيز الرحيم ﴿لَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ .

كَذَّبُتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٤﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ هُوَ الْمُؤْمِنُ لَا تَنْقُونَ ﴿١٢٥﴾ إِنِّي لَكُوْنُ رَسُولُ
أَمِينٍ ﴿١٢٥﴾ فَأَنْقُونَا اللَّهُ وَأَطْبِعُونَا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْلَمْتُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرَى إِلَّا عَلَى
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْتَهُنَّ بِكُلِّ رِيعَةٍ تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَسْخَذُونَ مَصَانِعَ لَعْلَكُمْ
تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَأَنْقُونَا اللَّهُ وَأَطْبِعُونَا
وَأَنْقُونَا الَّذِي أَمْدَكُ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ أَمْدَكُ بِأَنْقُونِي وَبَيْنَ ﴿١٣٢﴾ وَحَنَّتِي وَعَيْبُونِ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٣﴾

وهذا إخبار من [الله تعالى عن][٢] عبده ورسوله هود - عليه السلام - : أنه دعا قومه عاداً و كانوا قوماً يسكنون الأحقاف ، وهي جبال الرمل قريباً من بلاد حضرموت بلاد [٣] متاخمة لبلاد اليمن ، وكان زمانهم بعد قوم نوح ، [كما قال في « سورة الأعراف »] : ﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْتُمْ خَلْقَكُمْ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [٤] وَزَادَكُمْ فِي الْخُلُقِ بَسْطَةً ﴿١﴾ . وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب والقوة والبطش الشديد ، والطول المديد ، والأزرق الدار ، والأموال ، والجنتات والعيون ، والأنباء والزروع والثمار ، وكانتوا مع ذلك يبعدون غير الله عنه ، فبعث الله إليهم رجالاً منهم رسولًا ويشيرًا ونبيًا ، فدعاهم إلى الله [وحده][٥] ، وحزنهم نعمته وعداهم في مخالفته ، فقال لهم كما قال نوح لقومه ، إلى أن قال : ﴿أَتَبْتُهُنَّ بِكُلِّ رِيعَةٍ تَعْبَثُونَ﴾ .

[١] - في ت : « فيها » .

[٢] - ما بين المعقودين سقط من : خ ، ز .

[٣] - سقط من : ت .

[٤] - ما بين المعقودين سقط من : خ ، ز .

[٥] - ما بين المعقودين سقط من : خ ، ز .

اختلف المفسرون في الريع بما حاصله : أنه المكان المرتفع عند جواد الطرق المشهورة ، تبنون هناك بناء محكماً باهراً هائلاً ؛ ولهذا قال : ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً﴾ . أي : معلمًا بناء مشهورًا ، ﴿تَعْبِثُونَ﴾ ، وإنما فعلون ذلك عبناً لا للاحتياج إليه بل مجرد اللعب واللهو وإظهار القوة ؛ ولهذا أنكر عليهم نبيهم - عليه السلام - ذلك ، لأنّه تضييع للزمان وإتعاب للأبدان في غير فائدة ، واشتغال بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة .

ثم قال : ﴿وَتَخْذُلُونَ مصانعَ لِعْلَكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ . قال مجاهد : المصانع : البروج المشيدة ، والبنيان الخلد . وفي رواية عنه : بروج الحمام .

وقال قتادة : هي مأخذ الماء . قال قتادة : وقرأ بعض القراء : (وتَخْذُلُونَ مصانعَ كَأْنَكُمْ خَالِدُونَ) وفي القراءة المشهورة : ﴿لِعْلَكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ . أي : لكي تقيموا فيها أبداً^[١] ، وليس ذلك بحاصل لكم ، بل زائل عنكم ، كما زال عنكم كان قبلكم .

و[٢] قال ابن أبي حاتم - رحمة الله - : حدثنا أبي ، حدثنا الحكم بن موسى ، حدثنا الوليد ، حدثنا ابن عجلان ، حدثني عون بن عبد الله بن عتبة ، أن أبو الدرداء - رضي الله عنه - لما رأى ما أحدث المسلمين في الغوطة من البيان ونصب الشجر ، قام في مسجدهم فنادى : يا أهل دمشق ، فاجتمعوا إليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ألا تستحيون ! ألا تستحيون ! تجمعون ما لا تأكلون ، وتبنون ما لا تسكون ، وتأملون ما لا تدركون ، إنه كانت قبلكم قرون ، يجمعون فيوغون وبينون فيوثقون ، ويأملون فيطيلون ، فأصبح أملمهم غروراً ، وأصبح جمعهم بوراً ، وأصبحت مساكنهم قبوراً ، ألا إن عاداً ملكت ما بين عدن وعمان خيلاً وركاياً ، فمن^[٣] يشتري مني ميراث عاد بدرهرين ؟ .

وقوله : ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَارِينَ﴾ . وصفهم بالقوة والغلظة والجبروت ، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ﴾ . أي : عبدوا ربكم ، وأطیعوا رسولكم .

ثم شرع يذكرهم نعم الله عليهم فقال : ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمْدَكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمْدَكُمْ بِأَنْعَامِ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعِيُونَ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عِذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ . أي : إن كذبتم وخالفتם ، فدعاهما إلى الله بالترغيب والترهيب ، فما نفع فيهم^[٤] .

فَالْأُولَاءِ سَوْءَةٌ عَلَيْنَا أَوْعَذْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٢٦﴾

وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٢٧﴾

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز ، خ : « من » .

أَكْثُرُهُمْ مُّؤْمِنُونَ ﴿١٤٠﴾ وَلَئِنْ رَبَّكَ لَهُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

يقول تعالى مخبراً عن جواب قوم هود له ، بعد ما حذرهم وأنذرهم ، ورغبهم ورهبهم ، وبين لهم الحق ووضنه ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْ عَظِيمٌ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ أي : لا نرجع عما نحن فيه ، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي أَهْلَتِنَا عَنْ قُولِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ وهذا الأمر فإن الله تعالى قال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تَنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلْمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءُهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يُرَوَّا الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾.

وقولهم : ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولَئِينَ﴾ . فرأى بعضهم : (إن هذا إلا خلق) - بفتح الخاء وتسكين اللام^(*).

قال ابن مسعود ، والعموي عن عبد الله بن عباس ، وعلقمة ، ومجاهد : يعنيون ما هذا الذي جنتنا به إلا أخلاق الأولين ؟ كما قال المشركون من قريش : ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأُولَئِينَ [ا]كْتَبْهَا فَهِيَ تَلَىٰ عَلَيْهِ بَكْرَةً وَأَصْيَالًا﴾ ، وقال : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعْنَاهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ * فَقَدْ جَاءُوا ظَلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأُولَئِينَ﴾ .

وقال : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأُولَئِينَ﴾ [١٦].

وقرأ آخرون^(*) : (إن هذا إلا خلق الأولين) - بضم الخاء واللام - يعنيون : دينهم وما هم عليه من الأمر هو دين الأوائل من الآباء والأجداد ، ونحن تابعون لهم ، سالكون وراءهم ، نعيش كما عاشوا ، ونموت كما ماتوا ، ولا بعث ولا معاد ؛ ولهذا قالوا : ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعْذِّبِينَ﴾ .

قال [٢٧] علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولَئِينَ﴾ يقول : دين الأولين . و قاله عكرمة ، وعطاء الخراساني ، وقتابدة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، واحتاره ابن جرير^(٨) .

قال الله تعالى : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ . أي : فاستمرروا على تكذيب النبي الله هود ومخالفته وعناده ، فأهلكتهم الله . وقد بين سبب إهلاكه لإياهم في غير موضع من القرآن بأنه

(٨) تفسير الطبرى (١٩/٦٠).

(*) وهي قراءة عبد الله بن كثير ، وأبي عمرو ، والكسائي .

[١] - ما بين المukoتفين سقط من : ز .

(*) وهم : نافع ، وعاصم ، وابن عامر . وحمزة . [٢] - يياض في : ز ، وفي خ : « حدثنا » .

أرسل عليهم ريحًا صريراً عاتية ، أي : ريحًا شديدة الهبوب ، ذات برد شديد جدًا ، فكان إهلاكم من جنسهم ، فإنهم كانوا أعنى شيء وأجبره ، فسلط الله عليهم ما هو أعنى منهم وأشد قوة كما قال : ﴿أَلمْ ترْ كِيفَ فَعْلَ رِبِّكَ بَعْدَ * إِرْمَ﴾ . وهم عاد الأولى ؛ كما قال : ﴿وَأَنَّهُ أَهْلُكَ عَادًا الْأُولَى﴾ وهم من [نسل]^[١] إرم بن سام بن نوح ﴿ذَاتُ الْعِمَاد﴾ أي : الذين كانوا يسكنون العقد . ومن زعم أن « إرم » مدينة ، فإنما أخذ ذلك من الإسرائييليات من كلام كعب ووهب ، وليس بذلك^[٢] أصل أصيل ؛ ولهذا قال : ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلِقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَادِ﴾ أي : لم يخلق مثل هذه القبيلة في قوتهم وشدةتهم وجبروتهم ، ولو كان المراد بذلك مدينة لقال : التي لم يبن مثلها في البلاد . وقال : ﴿فَأَمَّا^[٣] عاد فاستكروا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مِنْ أَشَدِّهَا قُوَّةً أَوْ لَمْ يَرُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحُدُونَ﴾ .

وقد قدمنا أن الله تعالى لم يرسل عليهم من الريح إلا بمقدار أ nef الشر ، عنت على الخزنة بأذن^[٤] الله لها في ذلك ، وسلكت وحصبت بلادهم ، فحصبت كل شيء لهم ، كما قال تعالى : ﴿تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يَوْمٌ إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ﴾ الآية^[٥] . وقال تعالى : ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَاهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرِيرٍ عَاتِيَةً سُخْرَهَا عَلَيْهِمْ سِعْ لِيَالٍ وَثَمَانِيَةً أَيَّامٍ حَسُومًا﴾ أي : كاملة ، ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأْنَهُمْ أَعْجَازٌ نَخْلٌ خَاوِيَّةٌ﴾ . أي : يقروا أبدانا بلا رءوس ؛ وذلك أن الريح كانت تأتي الرجل منهم فتقليعه وترفعه في الهواء ، ثم تنكسه على أم رأسه فتشدّخ دماغه وتكسر رأسه وتلقنه ، كأنهم أعجاز نخل متغير .

وقد كانوا تھضبا في الجبال والكهوف والمغارات ، وحفروا لهم في الأرض إلى أنصافهم ، فلم يغن [ذلك عن]^[٦] أمر الله شيئاً ، ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤْخَرُ﴾ . ولهذا قال : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكَنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَةٌ وَمَا كَانُوا أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رِبَّكَ لَهُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ .

كَذَّبُتْ شَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذَا قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ صَالِحٌ أَلَا نَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَأَتَقْفَوْا اللَّهَ وَأَطْبِعُونَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنِّي لَعَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ

[١] - ما بين المعرفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ : « كذلك » .

[٣] - في خ : « وأما » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ت : « فأذن » .

[٦] - ما بين المعرفتين في ت : « عنهم ذلك من » .

وهذا إخبار من الله - عز وجل - عن عبده ورسوله صالح - عليه السلام - : أنه بعثه إلى قومه ثمود - كانوا عرباً يسكنون مدينة الحجر ، التي بين وادي القرى وبلاط الشام ، ومساكنهم معروفة مشهورة . [وقد ^[١] قدمنا في سورة «الأعراف» الأحاديث المروية في مرور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بهم حين أراد غزو الشام ، فوصل إلى تبوك ، ثم عاد إلى المدينة ليتأهب لذلك .

وقد كانوا بعد عاد وقبل الخليل - عليه السلام - فدعاهم نبيهم صالح إلى الله عز وجل أن يبعدوه وحده لا شريك له ، وأن يطيعوه فيما بلغتهم من الرسالة ، فأبوا عليه وكذبوا وخالقوه ، فأخبرهم أنه لا يتغير بدعوتهم أجراً منهم ، [وإنما ^[٢]] يطلب ثواب ذلك من الله - عز وجل - ثم ذكرهم آلاء الله عليهم فقال :

أَتُرَكُونَ فِي مَا هَنَّا مَاءِنِينَ ﴿١٤٧﴾ فِي جَنَّتَ وَعَيْنَ وَزَرْعَ وَنَخْلٍ طَلْمَهَا
هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَنَحْتَوْنَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَنَرِهِنَ ﴿١٤٩﴾ فَأَتَقْوَا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ
وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسَرِّفِينَ ﴿١٥٠﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥١﴾

يقول لهم واعظاً لهم ومحذراً لياهم نقم الله أن تحمل بهم ، ومذكراً بأنعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارة ، وجعلهم في أمن من المحنورات ، وأبنت لهم من الجنات ، وأنبع لهم من العيون الجاريات ، وأخرج لهم من الزروع والثمرات ؛ ولهذا قال : **﴿وَنَخْلٍ طَلْمَهَا هَضِيم﴾** قال العوفي عن ابن عباس : أينع وببلغ فهو هضيم .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : **﴿وَنَخْلٍ طَلْمَهَا هَضِيم﴾** ، يقول : معشبة .

[وقال ^[٣] إسماعيل بن أبي خالد ، عن عمرو بن أبي عمرو - وقد أدرك الصحابة - عن ابن عباس ، في قوله **﴿وَنَخْلٍ طَلْمَهَا هَضِيم﴾** قال : إذا رطب واسترحي . رواه ابن أبي حاتم . قال : وروي عن أبي صالح نحو هذا .

وقال أبو إسحاق ، عن أبي العلاء : **﴿وَنَخْلٍ طَلْمَهَا هَضِيم﴾** قال : هو المذنب من الرطب .

وقال مجاهد : هو الذي إذا كبس تهشم وتفتت وتناثر .

وقال ابن جريج : سمعت عبد الكريم أبا أمية ، سمعت مجاهداً يقول : **﴿وَنَخْلٍ طَلْمَهَا**

^[١] - في ت : « قد » .

^[٢] - في ت : « إنما » .

^[٣] - في ت : « قال » .

هضيم ﴿٤﴾ . قال : حين يطلع تقبض عليه فتهضم ، فهو من الرطب الهضم ، ومن اليابس الهشيم ، تقبض عليه فتهشم .

وقال عكرمة وقتادة : الهضم : الرطب الين .

وقال الضحاك : إذا كثر حمل الشمرة ، [وركب ^[١] بعضه بعضاً] ، فهو هضيم .

وقال مرة : هو الطلع حين يتفرق ويحضر .

وقال الحسن البصري : هو الذي لا نؤى له .

وقال أبو صخر : ما رأيت الطلع حين يشق عنه الكم ؛ فترى الطلع قد لصق بعضه ببعض ، فهو الهضم .

وقوله : ﴿٥﴾ وتحتتون من الجبال بيوتاً فارهين ﴿٦﴾ . قال ابن عباس ، وغير واحد : يعني حاذقين . وفي رواية عنه : شرهين أشرين . وهو اختيار مجاهد وجماعة ، ولا منافاة بينهما ، فإنهم كانوا يتذلون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشراً وبطراً وعبناً ، من غير حاجة إلى سكنها ، وكانوا حاذقين متقين لتحتها ونقشها ، كما هو المشاهد من حالهم من رأى منازلهم ؛ ولهذا قال : ﴿٧﴾ فاتقوا الله وأطاعون ﴿٨﴾ أي : أقبلوا على عمل ما يعود نفعه عليكم في الدنيا والآخرة ، من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم لتوحدوه وتعبدوه وتسبحوه بكرة وأصيلاً ، ﴿٩﴾ ولا طيعوا أمر المسرفين * الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴿١٠﴾ يعني : رؤساءهم وكبرائهم ، الدعاة لهم إلى الشرك والكفر ، ومخالفة الحق .

قالوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحِرِينَ ^(١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأَنْتِ بِشَائِيَةٍ إِنْ كُنْتَ

مِنَ الصَّدِيقِينَ ^(١٥٤) قَالَ هَذِهِمْ نَاقَةٌ لَمَّا شَرِبَتْ وَلَكُنْ شَرِبَتْ يَوْمَ مَعْلُومٍ ^(١٥٥) وَلَا

تَسْوِهَا يَسْوِئُ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ^(١٥٦) فَصَرَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَذِدِينَ ^(١٥٧)

فَلَأَخْذُهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةٌ وَمَا كَانَ أَكْرَمُهُمْ مُؤْمِنِينَ ^(١٥٨) وَلَأَنَّ

رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ^(١٥٩)

يقول تعالى مخبرًا عن ثمود في جوابهم لنبيهم صالح - عليه السلام - حين دعاهم إلى عبادة ربهم ، ﴿١﴾ قالوا إنما أنت من المسحرين ﴿٢﴾ ، قال مجاهد وقتادة : يعنون من المسحورين .

[١] - في ت : « ركب » .

وروى أبو صالح ، عن ابن عباس : « من المسخرين » يعني : من [١] المخلوقين . واستشهد بعضهم على هذا القول بما قال الشاعر :

فَإِنْ تَسْأَلُنَا فِيمَا نَحْنُ فِي إِنَّا عَصَافِيرٌ مِّنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسْحَرِ
يعني : الذين لهم سحور . والسحر هو الرئة ، والأظهر في هذا قول مجاهد وقادة أنهم يقولون : إنما أنت في قوله هذا مسحوراً لا عقل لك .

ثم قالوا : « ما أنت إلا بشر مثنا » . يعني : فكيف أوحى إليك دوننا ؟ كما قالوا في الآية الأخرى : « أَلَّقَيَ الذَّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشَرٌ » سيعلمون غداً من الكذاب الأشر ». ثم إنهم اقتربوا عليه آية يأتهم بها ، ليعلموا صدقه بما جاءهم به من ربهم فطلبوا منه - وقد اجمع ملؤهم - أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة - وأشاروا إلى صخرة عندهم - ناقة عشراء من صفتها كذا وكذا . فعند ذلك أخذ عليهم النبي الله صالح العهد والمواطيق ، لكن أحبابهم إلى ما سألوا ليؤمنن به ولبيعن ، فأئتموا بذلك [٤] . فقام [نبي الله][٣] صالح - عليه السلام - فصلى ، ثم دعا الله - عز وجل - أن يجيئهم إلى سؤالهم ، فانفطرت تلك الصخرة التي أشاروا إليها عن ناقة عشراء ، على الصفة التي وصفوها ، فأنمن بعضهم وكفر أكثرهم ، « قال هذه ناقة لها شرب ولكنكم شرب يوم معلوم » يعني : ترد ماءكم يوماً ، ويوماً تردونه أنتم ، « ولا تمسوها بسوء فإذا خذكم عذاب يوم عظيم » يعني : فحدركم نومة الله إن أصابوها بسوء ، فمكنت الناقة بين أظهرهم حيناً من الدهر ترد الماء ، وتأكل الرق والمرعى ، ويتغرون بلبنها ، يحتلبون منها ما يكفيهم شرباً ورثياً ، فلما طال عليهم الأمد وحضر شفاؤهم ، تمالعوا على قتلها وعقرها ، « فعقروها فأصبخوا نادمين * فأخذهم العذاب » . وهو أن أرضهم زُرُلت زلازل شديدة ، وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلت القلوب عن محالها ، وأتاهم من الأمر مالم يكونوا يحتسبون ، فأصبحوا في ديارهم جائدين ، « إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربكم له العزيز الرحيم » .

كَذَّبَتْ قَوْمٌ لَّوْطَ الْمَرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَنْجُوهُمْ لَوْطٌ أَلَا نَنْقُونَ (١٦١)
رَسُولٌ أَمْيَنٌ (١٦٢) فَأَنْفَقُوا اللَّهَ وَأَطْبَعُونَ (١٦٣) وَمَا أَسْلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرَِي
إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤)

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله لوط - عليه السلام - وهو : لوط بن هاران بن آزر ،

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ : « فيه » .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من : ز .

(*) أَنْعَمْ لَهُ : قَالَ لَهُ : نَعَمْ .

وهو ابن أخي إبراهيم الخليل ، وكان الله تعالى قد بعثه إلى أمة عظيمة في حياة إبراهيم ، و كانوا يسكنون « سلُوم » وأعمالها التي أهلتها [الله بها]^[١] ، وجعل مكانها بحيرة متنية خبيثة ، وهي مشهورة ببلاد الغور ، متاخمة لجبل البيت المقدس ، بينها وبين بلاد الكرك والشوبك . فدعاهم إلى الله - عز وجل - أن يعبدوه وحده لا شريك له ؛ وأن يطعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم ، ونهاهم عن معصية الله ، وارتکاب ما كانوا قد ابتدعوا في العالم ، مما لم يسبقهم الحالائق إلى فعله ، من إثيان الذكران دون الإناث ؛ ولهذا قال تعالى :

أَتَأْتُونَ الْذِكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُّونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ
 قَسَعُ عَادُوتَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَيْنَ لَرْ تَنَشَّهُ يَنْلُوْتُ لَتَكُونُنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي
 لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ
 إِلَّا عَجُوزًا فِي الْفَلَارِينَ ﴿١٧٠﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧١﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ
 مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٣﴾ وَلَيْنَ رَبُّكَ هُوَ
 الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٤﴾

لما نهاهم نحيي الله عن إثيانهم الفواحش ، وغضيانهم الذكور ، وأرشدهم إلى إثيان نسائهم اللاتي خلقهن الله لهم ، ما كان جواب قومه له إلا أن قالوا : ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لَوْطَ ﴾ ، يعنون عما جتنا به ، ﴿ لَتَكُونُنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ ، أي : ننفيك من بين أظهرنا ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ جَوابُ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهَا أَلَّا لَوْطٌ مِنْ قَرِيبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَطْهَرُونَ ﴾ فلما رأى أنفسهم لا يرتدعون عما هم فيه ، وأنهم مستمرون على ضلالهم ^[٢] ، تبرأ منهم فقال : ﴿ إِلَيْكُمْ لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾ . أي : المبغضين ^[٣] ، لا أحبه ولا أرضي به ، وأنا ^[٤] بريء منكم . ثم دعا الله عليهم ؛ قال : ﴿ رَبِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ .

قال الله تعالى : ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ . أي : كلهم ، ﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴾ ، وهي أمراته ، وكانت عجوز سوء ، بقيت فهلكت مع من بقي من قومها ، وذلك كما أخبر الله تعالى عنهم في « سورة الأعراف » و « هود » ، وكذا في « الحجر » حين أمره الله أن يسري بأهله إلا أمراته ، وأنهم لا يلتقطون إذا سمعوا الصيحة حين تنزل على قومه ،

[١] - ما بين المكرفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ت : « ضلالهم » .

[٣] - في خ ، ز : « المبغضين » .

[٤] - في ت : « فأنا » .

صبروا لأمر الله واستمروا ، وأنزل الله على أولئك العذاب الذي عمُّ جميعهم ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود ، ولهذا قال : ﴿ ثُمَّ دُرْنَا الْأَخْرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرًا فَسَاءَ مَطْرَ الْمُنْذَرِينَ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنْ رِبُّكَ لَهُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ .

كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذَا قَالَ لَهُمْ شَعِيبٌ أَلَا تَنْقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي ﴿١٧٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنِّي أَجْرِي
إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٩﴾

هؤلاء - أعني : أصحاب الأیکة - هم أهل مدین على الصحيح . وكان نبی الله شعیب من أنفسهم ، وإنما لم يقل هاهنا : أخوهم [١] ، لأنهم نسبوا إلى عبادة الأیکة ، وهي شجرة ، وقيل : شجر ملف كالغیضة [٢] ، كانوا يعبدونها ، فلهذا لما قال : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأیکةَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ، لم يقل : « إِذَا قَالَ لَهُمْ أَخوْهُمْ شَعِيبٌ ». وإنما قال : ﴿ إِذَا قَالَ لَهُمْ شَعِيبٌ ﴾ . فقطع نسبة الأخوة بينهم ؛ للمعنى الذي نسبوا إليه ، وإن كان أخاهم سببا . ومن الناس من لم يتقطعن لهذه النكتة ، فظن أن أصحاب الأیکة غير أهل مدین ، فزعهم أن شعیبنا - عليه السلام - بعثه الله إلى أمتین ، ومنهم من قال : ثلات أعم .

وقد روی إسحاق بن بشر الكاهلي - وهو ضعيف - حدثني ابن السدي ، عن أبيه وذكرها ابن عمر [٣] ، عن خصیف ، عن عكرمة ، قال [٤] : ما بعث الله نبیاً مرتين إلا شعیباً ، مرة إلى مدین فأخذهم الله بالصیحة ، ومرة إلى أصحاب الأیکة فأخذهم الله بعذاب يوم الظلة .

وروى أبو القاسم البغوي ، عن هذبة ، عن همام ، عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الرَّسُولِ ﴾ : قوم شعیب ، وقوله : ﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ﴾ : قوم شعیب .

قال إسحاق بن بشر . وقال غير جویر : أصحاب الأیکة ومدین هما واحد . والله أعلم .

وقد روی الحافظ ابن عساکر [٥] في ترجمة « شعیب » من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، عن أبيه ، عن معاویة بن هشام ، عن هشام بن سعد [٦] ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن

(٩) انظر : مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٣٠٩/١٠) .

[١] - ما بين المعرفتين يسقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « كالغیضة ». والغیضة : الأکمة ، أو الموضع يكثر فيه الشجر وبیتف .

[٤] - في ت : « قالا » .

[٣] - في ز : « عمرو » .

[٥] - في ز : « سعيد » .

ريبيعة ابن سيف ، عن عبد الله بن عمرو ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إن قوم مدين وأصحاب الأيكة أمتان ، بعث [١] الله إليهم [٢] شعبنا النبي عليه السلام » .

وهذا غريب ، وفي رفعه نظر ، والأشبه أن يكون موقعاً [٣] . وال الصحيح أنهم أمة واحدة ، وصفوا في كل مقام بشيء . ولهذا وعظ لهؤلاء [٤] وأمرهم بوفاء المكيال والميزان ، كما في قصة مدين سواء بسواء ، فدل ذلك على أنهم أمة واحدة .

﴿أَوْفُوا الْكِيلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾ ١٨١ ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾
 ﴿ وَلَا تَبْخُسُوا أَنَّاسَ أَشْيَاءَ هُنْ ﴾ ١٨٢ ﴿ وَلَا تَعْنَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ١٨٣ ﴿ وَاتَّقُوا الدَّى
 خَلْقَكُمْ وَالْجِلَةَ الْأُولَىَ ﴾ ١٨٤

يأمرهم تعالى بإيفاء المكيال والميزان ، وبنهام عن التطفيف فيما ، فقال : ﴿أَوْفُوا الْكِيلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ أي : إذا دفعتم إلى الناس فكمدوا الكيل لهم ، ولا تخسروا الكيل فتعطوه ناقضاً ، وتأخذوه - إذا كان لكم - تاماً واقتباً ، ولكن خذوا كما تعطون ، وأعطوا كما تأخذون .

﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ والقسطاس هو: الميزان ، وقيل: القبان . قال بعضهم : هو مغرب من الرومية . وقال مجاهد : القسطاس: المستقيم العدل بالرومية . وقال قتادة : القسطاس: العدل .

وقوله : ﴿ وَلَا تَبْخُسُوا أَنَّاسَ أَشْيَاءَ هُنْ﴾ ، أي : لا تنتقصوهم أموالهم ، ﴿ وَلَا تَعْنَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ، يعني : قطع الطريق ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تَعْدُونَ﴾ .

وقوله : ﴿ وَاتَّقُوا الدَّى خَلْقَكُمْ وَالْجِلَةَ الْأُولَىَ﴾ ، يخوفهم بأس الله الذي خلقهم وخلق آباءهم الأولين ، كما قال موسى عليه السلام : ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَىَ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي ، وسفيان بن عيينة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ وَالْجِلَةُ الْأُولَىَ﴾ ، يقول : خلق الأولين . وقرأ ابن زيد : ﴿ وَلَقَدْ أَصْلَى مِنْكُمْ جَبَلاً كَثِيرًا﴾ .

﴿ قَالُوا إِنَّا أَنَّا مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ ١٨٥ ﴿ وَمَا أَنَّ إِلَّا بَشَرٌ مِّنْنَا وَإِنَّ نَظُنُكَ لَمِنَ

[١] - في ت : « بعث » .

[٢] - في ز : « لهراء » .

[٣] - في خ ، ز : « مرفوعاً » .

الْكَادِيْنَ ﴿١٦﴾ فَأَسْقَطَ عَلَيْنَا كَسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٧﴾
 قَالَ رَبِّنَا أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخْذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّمَا كَانَ
 عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ ﴿١٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيْةً وَمَا كَانَ أَكْذَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَلَنْ
 رَبَّكَ هُوَ الْغَنِيْزُ الرَّحِيمُ ﴿٢١﴾

يُخبر تعالى عن جواب قومه له بمثيل ما أجبت به ثمود لرسولها - تشابهت قلوبهم - حيث قالوا : ﴿إِنَّا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ﴾ ، يعنيون : من المسحورين ، كما تقدم . ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا
 بَشَرٌ مُثْلَنا وَإِنْ نَظِنَكَ لِنَّ الْكَادِيْنَ﴾ ، أي : تعمد الكذب فيما تقوله ، لا أنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ
 إِلَيْنَا ، ﴿فَأَسْقَطَ عَلَيْنَا كَسْفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ ، قال الضحاك : جانبًا من السماء . وقال قتادة :
 قطعًا من السماء ، وقال السدي : عذابًا من السماء . وهذا شبيه بما قالت قريش فيما أخبر اللَّه
 عنهم في قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرْ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ ، إلى أنَّ
 قالوا : ﴿أَوْ تَسْقُطُ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كَسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبْلًا﴾ ، وقوله :
 ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْمُقْرَبُ مِنْكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اتْتَا
 بِعِذَابِ الْيَمِّ﴾ وهكذا قال هؤلاء الكفرة الجهلة : ﴿فَأَسْقَطَ عَلَيْنَا كَسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ
 مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ . ﴿قَالَ رَبِّنَا أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ . يقول : اللَّهُ أَعْلَمُ بِكُمْ ، فإنْ كُنْتُمْ
 تستحقون ذلك جازاكم به غير ظالم لكم . وكذلك وقع بهم كما سألوا جزاء وفاقا ، ولهذا
 قال تعالى : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخْذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ﴾ . وهذا من
 جنس ما سألوا من إسقاط الكسف عليهم ؛ فإنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جعل عقوبتهم أنَّ أصابهم
 حر شديد جداً مدة سبعة أيام لا يكتنهم ^(١) منه شيء ، ثم أقبلت إِلَيْهِم سحابة أظلتهم فجعلوا
 ينطقلون إليها يستظلون بظلها من الحر ، فلما اجتمعوا تحتها أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِم مِنْهَا شرّاً
 من نار ولوها ووهجاً عظيماً ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ ، وجاءتهم صيحة عظيمة أزفقتْ أرواحهم ،
 ولهذا قال : ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ﴾ .

وقد ذكر اللَّهُ تَعَالَى صفة إِهْلَكِهِمْ في ثلاثة مواطن ، كل موطن بصفة تناسب ذلك
 السياق ، ففي الأعراف ذكر أنه ^[١] أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثين ، وذلك لأنَّهم
 قالوا : ﴿لَنْ يَرْجِعُنَا يَا شَعِيبَ وَالَّذِينَ آتَيْنَا مِنْ قَرِيبِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مُلْتَنَا﴾ فارجعوا
 بني الله ومن اتباعه ، فأخذتهم الرجفة . وفي سورة هود قال : ﴿وَأَخْذَتْ [٢] الَّذِينَ ظلمُوا
 الصِّحَّةَ﴾ وذلك لأنَّهم استهزءوا ببني الله في قولهم : ﴿أَصْلَوْاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَرْكَ مَا يَعْدُ

[١] - في ت : «أنهم» .

[٢] - في ز ، خ : «فأخذت» .

آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنك الحليم الرشيد ﴿٤﴾ . قالوا ذلك على سبيل التهكم والازدراء ، فناسب أن تأتيهم صيحة تسكتهم ، فقال : ﴿٥﴾ [وأخذت الذين ظلموا] [١] الصيحة ﴿٦﴾ . وهابنا قالوا : ﴿٧﴾ فأسقط علينا كسفًا من السماء إن كنت من الصادقين ﴿٨﴾ . على وجه التعمت والعناد ، فناسب أن يتحقق [٩] عليهم ما استبعدوا وقوعه : ﴿٩﴾ فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ﴿١٠﴾ .

قال قتادة : قال عبد الله بن [١١] عمرو - رضي الله عنه - : إن الله سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى ما يظلمهم منه شيء ، ثم إن الله أنشأ لهم سحابة ، فانطلق إليها أحدهم واستظل بها ، فأصاب تحتها برداً وراحة ، فأعلم بذلك قومه ، فأتوها جميعاً فاستظلوا تحتها ، فأججت عليهم ناراً .

وهكذا روي عن عكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : بعث الله إليهم الظلة ، حتى إذا اجتمعوا كلهم كشف الله عنهم الظلة ، وأحمى عليهم الشمس فاحتربوا كما يحترب الجراد في المقلأ .

وقال محمد بن كعب القرطي : إن أهل مدین عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب : أخذتهم الرجفة في دارهم حتى خرجن منها ، فلما خرجوا منها أصابهم فرع شديد ، فقرعوا أن يدخلوا إلى البيوت فتسقط عليهم ، فأرسل الله عليهم الظلة ، فدخل تحتها رجل فقال : ما رأيت كاليلم ظلاماً [١٢] أطيب ولا أبداً [من هذا] [١٣] ، هلموا أيها الناس . فدخلوا جميعاً تحت الظلة ، فصاح فيهم [١٤] صيحة واحدة ، فماتوا جميعاً . ثم تلا محمد بن كعب : ﴿١٥﴾ فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ﴿١٦﴾ .

وقال ابن جرير ^(١٠) : حدثني الحارث ، حدثني الحسن ، حدثني سعيد بن زيد - أخو حماد بن زيد - حدثني حاتم بن أبي صفيرة ، حدثني زيد الباهلي : سألت ابن عباس عن هذه الآية : ﴿١٧﴾ فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ﴿١٨﴾ قال : بعث الله عليهم رعداً وحراً شديداً فأخذ بأنفسهم ، فخرجوا من البيوت هرابة إلى البرية؛ فبعث الله سحابة فأظلتهم من الشمس ، فوجدوا لها برداً ولذة ، فنادى بعضهم بعضاً ، حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسلها الله [١٩] عليهم ناراً . قال ابن عباس : فذاك [٢٠] عذاب يوم الظلة ، ﴿٢١﴾ إنه كان عذاب يوم عظيم ^(٢٢) .

(١٠) تفسير الطبری (٦٧/١٩).

[١] - في ز ، خ : « فأخذتهم » .

[٢] - في ز ، خ : « يتحقق » .

[٣] - في ت : « عمر » .

[٤] - ما بين المعقوفين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ت : « فذلك » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَةٌ وَمَا كَانُ أَكْثُرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ أي : العزيز في انتقامه من الكافرين ، الرحيم بعباده المؤمنين .

وَلَنَفُوْ لَتَزَيلُ رَبُّ الْعَالَمَيْنَ [١٩٢] نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ [١٩٣] عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِيْنَ [١٩٤] بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا مُبِينًا [١٩٥]

يقول تعالى مخبرا عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ ، أي : القرآن الذي تقدم ذكره في أول السورة في قوله : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذَكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ [١] مَحْدُثٌ ﴾ ، ﴿ لَتَزَيلُ رَبُّ الْعَالَمَيْنَ ﴾ أي : أنزله الله عليك وأوحاه إليك ، ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ ، وهو جبريل عليه السلام ، قاله غير واحد من السلف : ابن عباس ، ومحمد بن كعب ، وقادة ، وعطاية العوفي ، والسدسي ، والضحاك ، والزهربي ، وابن حريج ، وهذا ما لا نزاع فيه .

قال الزهربي : وهذه كقوله : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًا لِجَبْرِيلٍ فَإِنَّهُ نَزَلَ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ الآية .

وقال مجاهد : من كلامه الروح الأمين لا تأكله الأرض .

﴿ عَلَى قَلْبِكَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِيْنَ ﴾ ، أي : نزل به ملك كريم أمين ، ذو مكانة عند الله ، مطاع في الملأ الأعلى ، ﴿ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ يا محمد ، سالماً من الدنس والزيادة والقص [٢] ؛ ﴿ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِيْنَ ﴾ ، أي : لتنذر به بأس الله ونقمته على من خالفه وكذبه ، وتبشر به المؤمنين المبعين له .

وقوله : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا مُبِينًا [١] ﴾ ، أي : هذا القرآن الذي أنزلناه إليك [أنزلناه [٣] بِلِسَانِه] [٣] العربي الفصيح الكامل الشامل ، ليكون بيننا واضحاً ظاهراً ، قاطعاً للعدر ، مقيناً للحججة ، دليلاً إلى الحجة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا عبد الله بن أبي بكر التمكي ، حدثنا عباد بن عباد المھنئي ، عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ؛ قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في يوم دجن^(٤) إذ قال لهم : « كيف ترون بواسقها^(٥)؟ ». قالوا : ما

[١] - في ز ، خ : « ربهم » .

[٢] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز . [٣] - ما بين المعقوفين سقط من : ت .

(٤) الدجن : إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء . ويقال : يوم دجن ، ويوم دجن .

(٥) قال ابن الأثير : أي : ما استطال من فروعها .

أحسنتها وأشد تراكمها ! قال : « فكيف ترون قواعدها^(١) ؟ ». قالوا : ما أحسنها وأشد تراكمها قال : « فكيف ترون جزئها^(٢) ؟ »^[١] قالوا : ما أحسنها وأشد سواده ! قال : « فكيف ترون رحاحها استدارت ؟ » قالوا : ما أحسنها وأشد استدارتها ! قال : « فكيف ترون برقها ؟ أوميض ، أم خفوة^(٣) ، أم يشق شقّاً ؟ » . قالوا : بل يشق شقّاً . قال : « الحباء الحباء إن شاء الله ». قال : فقال رجل : يا رسول الله ، بأبي وأمي ما أفصحك^(٤) ! ما رأيت الذي هو أعراب منك . قال : فقال : « حُقُّ لِي ، وَإِنَّمَا نَزَلَ^(٥) الْقُرْآنَ بِلْسَانِي ، وَاللَّهُ يَقُولُ : هُوَ بِاللَّسَانِ عَرَبِيٍّ مِّينَ »^(٦) .

وقال سفيان الثوري : لم ينزل وحي إلا بالعربية ، ثم ترجم كل نبي لقومه ، واللسان يوم القيمة بالسريانية ، فمن دخل الجنة تكلم بالعربية . رواه ابن أبي حاتم .

وَإِنَّمَا لَهُ زِيَرُ الْأَوَّلِينَ ١٩٧
أَوْلَئِكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمُوا عِلْمَنَا بَنَى إِسْرَائِيلَ
وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ١٩٨
فَقَرَأُوا عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ

يقول تعالى : وإن ذكر هذا القرآن والتزويه به موجود في كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديده ، كما أخذ الله عليهم الميثاق بذلك حتى قام آخرهم خطيباً في ملته بالبشرارة بأحمد : « فإذا قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إلي رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » والزئر هاماً هي الكتب وهي جمع زير^(٧) ، وكذلك الزبور ، وهو كتاب داود ، وقال تعالى : « وكل شيء فعلوه في الزير » ، أي : مكتوب عليهم في صحف الملائكة .

ثم قال تعالى : « أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماءبني إسرائيل » ، أي : أو ليس يكفيهم^(٨) من الشاهد الصادق على ذلك : أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها ؟ وللمراد العدول منهم ، الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - وبمعهه وأمته ، كما أخبر بذلك من آمن منهم كعبد الله بن

(١) رواه الرامهري في أمثال الحديث ص (١٥٥) من طريق عبد الله بن محمد الأموي ، عن عباد بن عباد المهلبي به .

(٢) الضمير يعود على سحابة ، والمراد بقواعدها : ما اعترض منها وستغل .

(٣) الجنون : الأسود ، أو الأسود تخالطه حمرة .

[١] - في خ : « حربها » ، في ز : « حرها » .

[٤] - في ز : « أفحلك » .

[٥] - في خ ، ز : « زيرة » .

[٦] - في ز : « يكفيكم » .

سلام ، وسلمان الفارسي ، عنمن أدركه منهم ومن شاكلهم . وقال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَعَوَّنُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَمِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْهُمْ فِي التُّورَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ الآية .

ثم قال تعالى مخبراً عن شدة كفر قريش وعنادهم لهذا القرآن إنه لو أزله على رجل من الأعاجم ، من لا يدرى من العربية كلمة ، وأنزل عليه هذا الكتاب ببيانه وفضحاته ، لا يؤمنون به ، ولهذا قال : ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأُهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ ، كما أخبر عنهم في الآية الأخرى : ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلَّوْا فِيهِ يَعْرِجُونَ * لَقَالُوا إِنَّا سَكَرْتُ أَبْصَارَنَا بَلْ نَعْنَ قَوْمٍ مَسْحُورُونَ﴾ وقال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ الْمَلَائِكَةَ وَكَلِمَتَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشِّرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيَؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ . وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلْمَةَ رَبِّكُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَلَوْ جَاءُهُمْ كُلَّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ .

كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الظَّاجِرِينَ ﴿٢٦﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٧﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٨﴾ فَيَقُولُوا هَلْ هُنَّ مُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ أَفِعْذَلَنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٣٠﴾ أَفَرَوْيَتَ إِنَّ مَعَنَّهُمْ سِينَ ﴿٣١﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٣٢﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْسِعُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٣٤﴾ ذَكْرَىٰ وَمَا كُثُرَ ظَالِمِينَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى : كذلك سلكتنا التكذيب والكفر والعناد والمحود ، أي : أدخلناه في قلوب الجرميين ، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي : بالحق ، ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ، أي : حيث لا ينفع الظالمين معاذرتهم ، ولهم العنة ولهم سوء الدار . ﴿فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً﴾ أي : عذاب الله بغثة ، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيقولوا هل نحن منظرون ﴿أَفِعْذَلَنَا﴾ أي : يسمون حين يشاهدون العذاب أن لو أنظروا قليلاً ليعملوا [١] بطاعة الله ؟ كما قال تعالى : ﴿وَأَنْذِرْ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابَ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رِبَّنَا إِلَىٰ أَجْلِ قَرِيبٍ نَجْبُ دُعَوْتَكَ وَنَتَّبِعُ الرَّسُلَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ فكل ظالم وفاجر وكافر إذا شاهد [٢] عقوبته ندم شديداً ؛ هذا فرعون لما دعا عليه الكليم بقوله : ﴿رِبَّنَا إِلَكَ أَتَيْتَ فَرَعُونَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رِبَّنَا لِيَضْلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رِبَّنَا اطْمَسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَشَدَّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ قال قد أجبت دعوتكما ﴿فَأَثْرَتْ هَذِهِ الدُّعَوَةُ فِي فَرَعُونَ، فَمَا آمَنَ حَتَّىٰ رَأَىٰ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ، ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْفَرْقَ قال آمَنَتْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

[١] - في ز ، خ : « شاهدوا » .

[٢] - في ت : « لعملوا » .

الذى آمنت به بني إسرائيل وأنا من المسلمين * آلان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ^١ . وقال : ﴿ فلما رأوا بأنسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفروا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأنسنا ^٢ الآية ، قوله تعالى : ﴿ أَفْبَعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ^٣ ﴾ ، إنكار عليهم ، وتهديد لهم ، فإنهم كانوا يقولون للرسول تكذيبا واستبعادا : ﴿ أَتَنَا بَعْذَابَ اللَّهِ ^٤ ﴾ كما قال تعالى : ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ [ولولا أَجْلَ مُسْمَى جَاءَهُمُ الْعَذَابِ وَلِيَأْتِيهِمْ بَعْثَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنْ جَهَنَّمْ لَخِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ^[٥] ^٦ ﴾ ، ثم قال : ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَعَاهُمْ سَنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يَوْعِدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ^٧ ﴾ ، أي : [ولو ^[٨] آخرناهم وأنظرواهم وأملينا لهم برهة من الزمان وحيثا من الدهر وإن طال ، ثم جاءهم أمر الله ، أي شيء يجدي عنهم ما كانوا فيه من النعيم ^٩ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ^{١٠}] .

وقال تعالى : ﴿ يُؤْدِي أَحْدَهُمْ لَوْ يَعْمَرُ أَلْفَ سَنَةً وَمَا هُوَ بِمُزْحَزَهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يَعْمَرَ ^{١١} ﴾ .
وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَ ^{١٢} ﴾ .
ولهذا قال : ﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ^{١٣} ﴾ .

وفي الحديث الصحيح ^(١٤) : « يُؤْتَى بالكافر فيمس في النار غمسة ، ثم يقال له : هل رأيت خيراً قط ؟ هل رأيت نعيمًا قط ؟ فيقول : لا [والله يارب ^[١٥]]. ويُؤْتَى بأشد الناس بؤساً - كان في الدنيا - فيصيغ في الجنة صبغة ، ثم يقال له : هل رأيت بؤساً قط ؟ فيقول : لا [والله يا رب ^[١٦]] ، أي : ما كان شيئاً ^[١٧] كان ؛ ولهذا كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يتمثل بهذا البيت :

كأنك لم تُرِيزْ مِنَ الدَّهْرِ لِيلَةً إِذَا أَنْتَ أَدْرَكَتَ الَّذِي كُنْتَ تَطْلَبُ
ثم قال تعالى مخبراً عن عدهه في خلقه : إِنَّهُ مَا أَهْلَكَ أُمَّةً مِنَ الْأَمْمِ إِلَّا بِعِذَابٍ إِلَيْهِمْ
وَإِنذارٌ لَهُمْ وبعثة الرسل إليهم ^[١٨] وقيام المحجج عليهم . ولهذا قال : ﴿ وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا
لَهَا مُنْذِرُونَ * ذَكَرَنَا وَمَا كَانَ ظَالِمِينَ ^{١٩} ﴾ كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَا مَعْذِلِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ^{٢٠} ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رِبُّكَ مُهْلِكَ الْقَرْيَةِ حَتَّىٰ يَعْثُثَ فِي أُمَّهَا رَسُولًا يَعْلَمُ
عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَمَا كَانَا مُهْلِكِي الْقَرْيَةِ إِلَّا وَأَهْلَهَا ظَالِمُونَ ^{٢١} ﴾ .

(١٢) رواه مسلم حديث ٥٥ - (٢٨٠٧) . والنسائي (٦/٣٦) . وأحمد في مسنده (٢٠٣/٣) (١٣١٣٥) من حديث أنس بن مالك ، رضي الله عنه .

[١] - سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعکوفین سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعکوفین سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « شيء » .

وَمَا نَزَّلْتَ بِهِ الْشَّيَاطِينُ ۝ وَمَا يَبْغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِعُونَ ۝ إِنَّهُمْ عَنِ
السَّمْعِ لَمَعْرُولُونَ ۝

يقول تعالى مخبراً عن كتابه العزيز ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تزيل من حكيم حميد : إنه نزل به الروح الأمين المؤيد من الله ، ۝ وما نزلت به الشياطين ۝ . ثم ذكر أنه يمتنع عليهم من ثلاثة أوجه ، أحدها : أنه لا ۝ يبغى لهم ۝ [١] ، أي : ليس هو ۝ من يبغى لهم ولا من طلبتهم ؛ لأن من سجاياهم الفساد وإضلال العباد ، وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونور وهدى وبرهان عظيم ، ففيه وبين الشياطين منافاة عظيمة ؛ ولهذا قال تعالى : ۝ وما يبغى لهم ۝ .

وقوله : ۝ وما يستطيعون ۝ ، أي : ولو ابغى لهم لما استطاعوا ذلك ، قال الله تعالى : ۝ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ۝ ثم بين أنه لو ابغى لهم واستطاعوا حمله وتأداته ، لما وصلوا إلى ذلك ؛ لأنهم بعزل عن استعمال القرآن حال نزوله ، لأن السماء ملئت حرستاً شديداً وشهباً في مدة إنزال القرآن على رسوله فلم يخلص أحد من الشياطين إلى استعمال حرف واحد منه ، لعله يشتبه الأمر . وهذا من رحمة الله بعباده ، وحفظه لشرعه ، وتأييده لكتابه ولرسوله ، ولهذا قال : ۝ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُولُونَ ۝ ، كما قال تعالى مخبراً عن الجن : ۝ وَأَنَا لَسْنَ السَّمَاءِ فَوْجَدْنَاهَا ملئت حرستاً شديداً وشهباً * وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرَّ أَرِيدُ بَنَ في الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بَنَمْ رِشَادًا ۝ .

فَلَا تَنْعِ مَعَ اللَّهِ إِنَّهَا مَاخِرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ۝ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۝
وَلَا خَفْضَ جَنَاحَكَ لِمَنْ أَبْعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ^۱
مِمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَىَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ۝
وَتَقْلِبُكَ فِي السَّجِدَيْنِ ۝ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝

يقول تعالى أمراً بعبادته وحده لا شريك له ومخبراً أن من أشرك به عذبه .

ثم قال تعالى أمراً لرسوله - صلى الله عليه وسلم - أن ينذر عشيرته الأقربين ، أي : الأدنى

[١] - في ت : « ل ». .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

إليه ، وأنه لا يخلص أحداً منهم إلا إيمانه بربه عز وجل . وأقره به^[١] أن يلعن جانبه من اتبعه من عباد الله المؤمنين ، ومن عصاه من خلق الله كائناً من كان فليتبرأ منه ، ولهذا قال : ﴿فَإِنْ عَصْوْكَ قُلْ إِنِّي بِرِّيَةٍ مَا تَعْمَلُونَ﴾ . وهذه التذكرة الخاصة لا تغافل العامة ، بل هي فرد من أجزائها ، كما قال : ﴿لَتَذَرُ قَوْمًا مَا أَنْذَرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ وقال : ﴿لَتَذَرُ أَمَّ الْقُرَىٰ وَمِنْ حَوْلِهَا﴾ ، وقال : ﴿وَأَنْذَرْ بِهِ الَّذِينَ يَخْافُونَ أَنْ يَحْشُرُوا إِلَيْ رَبِّهِمْ﴾ وقال : ﴿لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَقِنِينَ وَلَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَدَّا﴾ وقال : ﴿لَأَنْذِرْكُمْ بِهِ وَمِنْ بَلْعَهُ﴾ كما قال : ﴿وَمِنْ يَكْفُرُ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ .

وفي صحيح مسلم : «والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ، يهودي ولا نصراوي ، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار» .

وقد وردت أحاديث كثيرة في نزول هذه الآية الكريمة ، فلنذكرها :

الحديث الأول : قال الإمام أحمد^(١) - رحمه الله - : حدثنا عبد الله بن ثمير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : لما أنزل الله عز وجل : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ، أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - الصفا فقصد عليه ، ثم نادى : «يا صياحاء» . فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه ، وبين رجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يابني عبد المطلب ، يابني فهر ، يابني لوي^[٢] ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً يسفع هذا الجبل تزيد أن تغير عليكم ، صدقتموني؟» . قالوا : نعم . قال : «فلاني لنذير لكم بين يدي عذاب شديد» . فقال أبو لهب : بئا لك سائر اليوم ! أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله : ﴿لَتَبْتَ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبْ﴾ .

ورواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذى ، من طرق ، عن الأعمش ، به .

الحديث الثاني : قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ؛ قالت : لما نزلت : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب ، يابني عبد المطلب ، لا أملك لكم من الله شيئاً سلولي من مالي ما شتم» . انفرد بإخراجه مسلم^(٤) .

(١) المسند ، وصحيحة البخاري حديث (٤٨٠١) ، وصحيحة مسلم حديث (٢٠٨) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (١١٧١٤) ، وسنن الترمذى حديث (٣٣٦٣) .

(٤) المسند (١٣٦/٦ ، ١٨٧ ، ١٨٢) (٢٥١٥٦ ، ٢٥٦٤٣) ، أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب : قوله

[١] - سقط من : ت .

[٢] - ياض في : ز .

الحاديـث الثالث : قال أـحمد^(١٥) : حدـثـا مـعاوـيـة بـن عـمـرـو ، حدـثـا زـائـدـة ، حدـثـا عـبـدـالـلـكـ بن عـمـيرـ ، عن مـوسـى بـن طـلـحةـ ، عن أـبي هـرـيـةـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ - قـالـ : لـمـ نـزـلـتـ هـذـهـ الآـيـةـ **﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَفْرِينَ﴾** ، دـعـا رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـرـيـشـاـ^(١٦) ، فـعـمـ وـخـصـ ، فـقـالـ : « يـا مـعـشـرـ قـرـيـشـ ، أـنـقـذـوـا أـنـفـسـكـمـ مـنـ النـارـ . يـا مـعـشـرـ بـنـيـ كـعـبـ ، أـنـقـذـوـا أـنـفـسـكـمـ ، مـنـ النـارـ ، [يـا مـعـشـرـ بـنـيـ عـبـدـ مـنـافـ ، أـنـقـذـوـا أـنـفـسـكـمـ مـنـ النـارـ^(١٧) .. يـا مـعـشـرـ بـنـيـ هـاشـمـ ، أـنـقـذـوـا أـنـفـسـكـمـ مـنـ النـارـ ، يـا مـعـشـرـ بـنـيـ عـبـدـ الـطـلـبـ ، أـنـقـذـوـا أـنـفـسـكـمـ مـنـ النـارـ ، [يـا فـاطـمـةـ بـنـتـ مـحـمـدـ ، أـنـقـذـيـ نـفـسـكـ مـنـ النـارـ^(١٨) فـلـانـيـ وـالـلـهـ - مـا أـمـلـكـ لـكـمـ لـكـ مـنـ اللـهـ شـيـئـاـ إـلـاـ أـنـ لـكـمـ رـحـمـاـ سـأـبـلـهـاـ^(١٩) بـيـلـلـهـاـ^(٢٠) ». وـرـوـاهـ مـسـلـمـ وـالـترـمـذـيـ ، مـنـ حـدـيـثـ عـبـدـ الـلـكـ بـنـ عـمـيرـ ، بـهـ ، وـقـالـ التـرـمـذـيـ : غـرـيبـ مـنـ هـذـا الـوـجـهـ .

ورـوـاهـ النـسـائـيـ^(٢١) مـنـ حـدـيـثـ مـوسـى بـنـ طـلـحةـ مـرـسـلـاـ ، لـمـ يـذـكـرـ فـيـهـ^(٢٢) أـبـيـ هـرـيـةـ .
وـالـمـوـصـولـ هوـ الصـحـيـحـ .

وـأـخـرـجـاهـ فـيـ الصـحـيـحـيـنـ مـنـ حـدـيـثـ الزـهـرـيـ ، عنـ سـعـيدـ بـنـ الـمـسـيـبـ وـأـبـيـ سـلـمـةـ بـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ ، عنـ أـبـيـ هـرـيـةـ^(٢٣) .

وقـالـ الـإـمـامـ أـحـمـدـ^(٢٤) : حدـثـا بـيـزـيدـ ، حدـثـا مـحـمـدـ - يـعنـيـ ابـنـ إـسـحـاقـ - عنـ أـبـيـ الزـنـادـ ، عنـ الـأـعـرجـ ، عنـ أـبـيـ هـرـيـةـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ - قـالـ : قـالـ رـسـولـ اللـهـ ، صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : « يـا بـنـيـ عـبـدـ الـطـلـبـ ، اشـتـرـوـا أـنـفـسـكـمـ مـنـ اللـهـ ، يـا صـفـيـةـ عـمـةـ رـسـولـ اللـهـ ، وـيـا فـاطـمـةـ بـنـ رـسـولـ اللـهـ ، اشـتـرـيـاـ أـنـفـسـكـمـاـ مـنـ اللـهـ ، لـاـ أـغـنـيـ عـنـكـمـ [مـنـ اللـهـ]^(٢٥) شـيـئـاـ ، سـلـانـيـ مـنـ مـالـيـ

تعـالـىـ : **﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَفْرِينَ﴾** . وـالـرـمـذـدـيـ فـيـ كـابـ الـرـهـدـ ، بـابـ : مـا جـاءـ فـيـ إـنـذـارـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـوـمـهـ . (١٩٢٠/١٩٢٠ رقمـ) . وـكـتابـ تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ ، بـابـ : وـمـنـ سـوـرـةـ الشـعـرـاءـ (٥/٣٣٨ـ رقمـ) . وـالـنـسـائـيـ فـيـ كـاتـبـ الـوـصـاـيـاـ ، بـابـ : إـذـا أـوـصـيـ لـعـشـيرـتـهـ الـأـفـرـيـنـ . (٦/٢٥٠ـ رقمـ) . كـلـهـمـ مـنـ طـرـيقـ هـشـامـ بـنـ عـرـوـةـ بـهـ .

(١٥) المسند (٢/٣٦٠) ، وـصـحـيـحـ مـسـلـمـ حـدـيـثـ (٤٠٢) ، وـسـنـنـ التـرـمـذـيـ حـدـيـثـ (٣١٨٥) .

(١٦) سنـ النـسـائـيـ (٦/٢٤٨) .

(١٧) صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ حـدـيـثـ (٤٧٧١) ، وـصـحـيـحـ مـسـلـمـ حـدـيـثـ (٢٠٦) .

(١٨) المسند (٢/٤٤٨) .

[١] - يـاضـ فـيـ : زـ ، خـ .

[٢] - مـا بـيـنـ الـمـعـكـوفـيـنـ سـقطـ مـنـ : خـ ، زـ .

[٣] - فـيـ مـ : « سـأـبـلـهـاـ » .

[٤] - أـبـلـهـاـ : أـصـلـكـ فـيـ الدـنـيـاـ ، وـلـاـ أـغـنـيـ عـنـكـمـ مـنـ اللـهـ شـيـئـاـ . وـالـبـلـالـ جـمـعـ بـلـلـ . وـقـيـلـ : هـوـ كـلـ مـا بـلـ الـحـلـقـ مـنـ مـاءـ ، أـوـ لـبـنـ ، أـوـ غـيـرـهـ .

[٥] - فـيـ تـ : « بـهـ » .

[٦] - مـا بـيـنـ الـمـعـكـوفـيـنـ سـقطـ مـنـ : زـ ، خـ .

ما شتتما » . تفرد به من هذا الوجه ،

وتفرد به أيضاً ، عن معاوية ، عن زائدة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بنحوه^(١٩) .

ورواه أيضاً عن حسن ، ثنا ابن لهيعة ، عن الأعرج : سمعت^[١] أبا هريرة ... مرفوعاً^(٢٠) .

وقال أبو يعلى : حدثنا شويف بن سعيد ، حدثنا ضمام بن إسماعيل ، عن موسى بن ورذان ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « يا بني قصي ، يا بني هاشم ، يا بني عبد مناف ، أنا النذير والموت المغير ، والساعة الموعود »^(٢١) .

الحديث الرابع : قال أَحْمَد^(٢٢) : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا التيمي ، عن أبي عثمان ، عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو ؛ قالا : لما نزلت : « وأنذر عشيرتك الأقربين » ، صعد رسول الله ، صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَضْمَة^(٢٣) من جبل علا أعلاها حجرا ، فجعل ينادي^[٢] : « يا بني عبد مناف ، إنما أنا لذير ، إنما مثلني ومثلكم كرجل رأى العدو ، فذهب يربا^(٢٤) أهله - يخشى أن يسبقوه - فجعل ينادي ويهتف : يا صباحاه » .

ورواه مسلم والنمسائي ، من حديث سليمان بن طرخان التيمي ، عن أبي عثمان عبد الرحمن بن ملَّ التَّهْدِي^[٤] ، عن قبيصة وزهير بن غنزو الهلالي ، به .

ال الحديث الخامس : قال الإمام أَحْمَد^(٢٥) : حدثنا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ^[٥] ، حدثنا شريك ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن عباد بن عبد الله الأَسْدِي ، عن علي - رضي الله عنه - قال : لما

(١٩) المسند (٣٩٨/٢) .

(٢٠) المسند (٣٥٠/٢) .

(٢١) مسند أبي يعلى (١٠/١١) وسويد بن سعيد متكلم فيه .

(٢٢) المسند (٦٠/٥) ، وصحيحة مسلم حديث (٢٠٧) ، والنمسائي في السنن الكبرى حديث (١١٣٧٩) .

(٢٣) المسند (١١١/١) ، وقال الهيثمي في الجمجم (٣٠٢/٨) : « رجال أَحْمَدَ رجال الصَّحِيحِ ، غير شريك وهو ثقة » .

[١] - سقط من : ز ، وفي خ : « عن » .

(*) الرضمة : ما دون الهضاب . وقيل صخور بعضها على بعض .

[٢] - بياض في : ز ، خ .

[٣] - في خ ، ز : « بربو » .

[٤] - في ز : « التَّهْدِي » .

[٥] - في ز : « حامد » .

نزلت هذه الآية : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ، جمع النبي - صلى الله عليه وسلم - من أهل بيته ، فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا ، قال : وقال لهم : « من يضمن عني ديني ومواعيدي ، ويكون معي في الجنة ، ويكون خليفتي في أهلي ؟ ». فقال رجل - لم يسمه شريك - : يا رسول الله ، [أنت كنت بحرا^[١]] من يقوم بهذا ؟ قال : ثم قال الآخر (***): قال : فعرض ذلك على أهل بيته . فقال علي : أنا .

طريق آخر بيسط من هذا السياق ، قال أَحْمَد^(٢) : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، عن عثمان بن المغيرة ، عن أبي صادق ، عن ربيعة بن ناجذ ، عن علي - رضي الله عنه - قال^(٣) : جمع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم - أو دعا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم - بني عبد المطلب ، وهم رهط كلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق . قال : وصنع لهم مئاً من طعام فأكلوا حتى شبعوا . قال : وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس ، ثم دعا بغير فشربوا حتى رُؤوا ، وبقي الشراب كأنه لم يمس - أو لم يشرب - وقال : « يا بني عبد المطلب ، إلي بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة ، وقدرأيتم من هذه الآية مارأيتم ، فأيكم يباعني على أن يكون أخي وصاحبـي ؟ ». قال : فلم يقم إليه أحد . قال : فقمت إليه - وكانت أصغر القوم - قال : فقال : « اجلس ». ثم قال ثلاثة مرات ، كل ذلك أقوم إليه فيقول لي : « اجلس ». حتى كان في الثالثة ضرب يده على يدي .

طريق آخر أغرب وأبسط من هذا السياق بزيادات آخر ، قال الحافظ أبو بكر البهيمي في دلائل النبوة^(٤) : أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يُونس^(٥) بن يكير ، عن محمد بن إسحاق ؛ قال : فحدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل - واستكتمني اسمه - عن ابن عباس ، عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلـى الله عليه وسلم : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفُضْ جَنَاحَكَ لَمْ اتَّبَعْكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . قال رسول الله صلـى الله عليه وسلم : « عرفت أني إن بادأـت بها قومـي ، رأـيت منهم ما أـكرهـ فـصـمـتـ ، فـجـاءـنـيـ جـبـرـيلـ - عليهـ السـلامـ - فـقـالـ : ياـ مـحـمـدـ ، إنـ لـمـ تـفـعـلـ ماـ أـمـرـكـ بـهـ رـبـكـ عـذـبـكـ رـبـكـ ». قالـ عليـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ - : فـدـعـانـيـ فـقـالـ : « ياـ عـلـيـ ، إـنـ اللـهـ قـدـ أـمـرـنـيـ : أـنـ أـنـذـرـ عـشـيـرـتـيـ الـأـقـرـبـينـ ، فـعـرـفـتـ أـنـ إـنـ بـادـأـتـ بـذـلـكـ رـأـيـتـ مـنـهـمـ مـاـ أـكـرـهـ . فـصـمـتـ عـنـ ذـلـكـ ، ثـمـ جـاءـنـيـ جـبـرـيلـ فـقـالـ : ياـ مـحـمـدـ ؛ إـنـ لـمـ تـفـعـلـ مـاـ أـمـرـكـ بـهـ رـبـكـ عـذـبـكـ رـبـكـ . فـاصـنـعـ لـنـاـ يـاـ عـلـيـ شـاةـ » .

(٤) المسند (١٥٩٦) ، وقال الهيثمي في المجمع (٣٠٢/٨) : « رجاله ثقات » .

(٥) دلائل النبوة (١٧٨/٢) .

[١] - ما بين المukoفين في ز ، خ : « إن كنت تجري ». والمشتب عن المسند .

[٢] - في ز : « يوسف » .

على صاع من طعام ، وأعد لنا عَشَّ لِبَنْ ، ثم اجمع لي بني عبد المطلب » ففعلت . فاجتمعوا له وهم يومنـذ أربعون رجـلاً، يزيدون رجـلاً أو ينقصون رجـلاً^[١] ، فيهم أعمامه : أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب الكافر الحيث ، فقدـمت إلـيـهم تلك الجـفـنة ، فأخذ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، منها حـذـبة^[٢] فشقـها بـأـسـانـه ثم رـمـيـ بها في نـوـاحـيه ، وـقـالـ : « كـلـوا بـاسـمـ الله ». فأكلـ القومـ حتـىـ نـهـلـواـ عـنـهـ ما يـرـىـ إـلـاـ آـثـارـ أـصـابـعـهـ ، وـالـلـهـ إـنـ كـانـ الرـجـلـ مـنـهـ ليـأـكـلـ مـثـلـهـ .

ثم قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « اسـقـهـمـ ياـ عـلـيـ ». فجـعـتـ بـذـلـكـ القـعـبـ فـشـرـبـواـ مـنـهـ حتـىـ نـهـلـواـ جـمـيـعـاـ ، وـاـمـ اللـهـ ، إـنـ كـانـ الرـجـلـ مـنـهـ ليـشـرـبـ مـثـلـهـ . فـلـمـاـ أـرـادـ [٢٤]ـ رسـولـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـ يـكـلـمـهـ ، بـتـرـهـ أـبـوـ لـهـبـ إـلـيـ الـكـلـامـ فـقـالـ : لـهـدـمـاـ^[٣]ـ سـحـرـكـمـ صـاحـبـكـمـ . فـتـرـقـوـاـ وـلـمـ يـكـلـمـهـ رسـولـ اللـهـ ، صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، فـلـمـاـ كـانـ الغـدـ قـالـ رسـولـ اللـهـ ، صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : « يـاـ عـلـيـ ، عـدـ لـنـاـ بـمـثـلـ[٤]ـ الذـيـ كـنـتـ صـنـعـتـ بـالـأـمـسـ مـنـ الطـعـامـ وـالـشـرـابـ ، فـإـنـ هـذـاـ الرـجـلـ قـدـ بـدـرـنـيـ إـلـيـ مـاـ سـمـعـتـ قـبـلـ أـنـ أـكـلـ القـوـمـ ». فـفـعـلـتـ ، ثـمـ جـمـعـتـهـمـ لـهـ ، فـصـنـعـ رسـولـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ كـمـاـ صـنـعـ بـالـأـمـسـ ، فـأـكـلـواـ حـتـىـ نـهـلـواـ عـنـهـ ، وـاـمـ اللـهـ إـنـ كـانـ الرـجـلـ مـنـهـ ليـأـكـلـ مـثـلـهـ .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اسـقـهـمـ ياـ عـلـيـ ». فـجـعـتـ بـذـلـكـ القـعـبـ فـشـرـبـواـ مـنـهـ^[٤]ـ حتـىـ نـهـلـواـ جـمـيـعـاـ . وـاـمـ اللـهـ إـنـ كـانـ الرـجـلـ مـنـهـ ليـشـرـبـ مـثـلـهـ . فـلـمـاـ أـرـادـ رسـولـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـ يـكـلـمـهـ بـتـرـهـ أـبـوـ لـهـبـ بالـكـلـامـ فـقـالـ : لـهـدـمـاـ سـحـرـكـمـ صـاحـبـكـمـ ! فـتـرـقـوـاـ وـلـمـ يـكـلـمـهـ رسـولـ اللـهـ .

فـلـمـاـ كـانـ الغـدـ قـالـ رسـولـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : « يـاـ عـلـيـ ، عـدـ لـنـاـ بـمـثـلـ الذـيـ كـنـتـ صـنـعـتـ لـنـاـ بـالـأـمـسـ مـنـ الطـعـامـ وـالـشـرـابـ ، فـإـنـ هـذـاـ الرـجـلـ قـدـ بـدـرـنـيـ إـلـيـ مـاـ سـمـعـتـ قـبـلـ أـنـ أـكـلـ القـوـمـ ». فـفـعـلـتـ ، ثـمـ جـمـعـتـهـمـ لـهـ ، فـصـنـعـ رسـولـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ [كـمـاـ صـنـعـ]^[٥]ـ بـالـأـمـسـ ، فـأـكـلـواـ [حتـىـ نـهـلـواـ]^[٦]ـ عـنـهـ ثـمـ سـقـيـتـهـمـ مـنـ ذـلـكـ القـعـبـ حـتـىـ نـهـلـواـ عـنـهـ ، وـاـمـ اللـهـ إـنـ كـانـ الرـجـلـ مـنـهـ ليـأـكـلـ مـثـلـهـ وـيـشـرـبـ مـثـلـهـ ، ثـمـ قـالـ رسـولـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : « يـاـ بـنـيـ عـبـدـ المـطـلـبـ ، إـلـيـ - وـالـلـهـ - مـاـ أـعـلـمـ شـائـيـاـ مـنـ الـعـرـبـ جاءـ قـوـمـ بـأـفـضـلـ مـاـ^[٧]ـ جـتـكـمـ بـهـ .

(*) الحـذـبةـ : قـطـعةـ مـنـ اللـحـمـ تـقـطـعـ بـالـطـوـلـ . [١] - سـقطـ مـنـ : زـ ، خـ .

(**) القـعـبـ : قـدـحـ ضـخـمـ غـلـيـظـ . [٢] - فـيـ خـ ، زـ : « رـأـيـ » .

(*) لـهـدـ : كـلـمـةـ يـتـعـجـبـ بـهـ . يـقـالـ : لـهـدـ الرـجـلـ : أـيـ مـاـ أـجـلـهـ ! وـيـقـالـ : إـنـهـ لـهـدـ الرـجـلـ : أـيـ : لـنـعـ الرـجـلـ ، وـذـلـكـ إـذـ أـثـنـيـ عـلـيـهـ بـجـلـدـ وـشـدـةـ . وـالـلـامـ لـلـتـأـكـيدـ .

[٤] - فـيـ زـ ، خـ : « مـثـلـ » .

[٥] - مـاـ يـنـ المـعـكـوـفـينـ سـقطـ مـنـ : زـ ، خـ .

[٧] - فـيـ زـ ، خـ : « مـاـ » .

إِنِّي قَدْ جَتَّكُمْ بِأَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ .

قال أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَارِ : بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ إِنَّمَا سَمِعَهُ مِنْ عَبْدِ الْفَقَارِ بْنِ الْقَاسِمِ [١] أَبِي مَرِيمٍ ، عَنْ الْمَنَّاهَلِ بْنِ عُمَرٍو ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ . وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو جَعْفَرَ بْنُ حَرْبِيرَ ، عَنْ ابْنِ حَمْدِيٍّ ، عَنْ سَلْمَةَ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ الْفَقَارِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ الْمَنَّاهَلِ بْنِ عُمَرٍو ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ أَبِي طَالِبٍ - فَذَكَرَ مَثَلَهُ .

وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ : « إِنِّي جَتَّكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » - : « وَقَدْ أَمْرَنِي اللَّهُ أَنْ أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ ، فَإِيَّكُمْ يُؤَازِّلِي [٢] عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي ، وَكَذَا وَكَذَا ؟ » قَالَ : فَأَحْجَمَ الْقَوْمَ عَنْهَا جَمِيعًا ، وَقَلَّتْ - وَانِي [٣] لِأَحْدِثُهُمْ سَنًّا وَأَرْمَصُهُمْ [٤] عَيْنَاهُ ، وَأَعْظَمُهُمْ بَطَنًا [٥] ، وَأَحْمَشُهُمْ [٦] سَاقًا - : أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَكُونُ وزَرِيرَكَ عَلَيْهِ . فَأَخْذَ تَرْقِيبَنِي ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ هَذَا أَخِي وَكَذَا وَكَذَا ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوهُ » . قَالَ : فَقَامَ الْقَوْمُ يَضْحَكُونَ وَيَقُولُونَ لِأَبِي طَالِبٍ : قَدْ أَمْرَكَ أَنْ تَسْمَعَ لَابْنِكَ وَتَطْبِعَ إِلَيْهِ [٧] .

تَفَرَّدَ بِهَذَا السِّيَاقِ عَبْدُ الْفَقَارِ بْنُ الْقَاسِمِ [٨] أَبُو [٩] مَرِيمٍ ، وَهُوَ مَتَرُوكٌ كَذَابٌ شَيْعِيٌّ ، اتَّهَمَهُ عَلَيَّ بْنُ الْمَدِيني وَغَيْرُهُ بِوُضُعِ الْحَدِيثِ ، وَضَعْفِهِ الْأَئِمَّةِ رَحْمَهُمُ اللَّهُ .

(طريق آخر) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثي ، حدثنا عبد الله بن عبد القدوس ، عن الأعمش ، عن المنهاش بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث قال : قال علي - رضي الله عنه - : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [١] ﴾ ، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَصْنِعْ لِي رَجُلًا شَاءَ بِصَاعَ مِنْ طَعَامٍ وَإِنَّمَا لَبَّنَا [٢] ». قال : فَفَعَلَتْ ، ثُمَّ قَالَ : « ادْعُ بْنَيْ هَاشَمَ ». قال : فَدَعَوْهُمْ وَلَا هُمْ يَوْمَئِذٍ لَأَرْبِيعُونَ غَيْرَ رَجُلٍ - أَوْ : أَرْبِيعُونَ وَرَجُلٍ - قال : وَفِيهِمْ عَشْرَةُ كُلُّهُمْ يَأْكُلُ الْجَذَعَةَ يَأْدَمُهَا . قال : فَلَمَّا أَتَوْا بِالْقَصْبَةِ أَخْذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَرْوَتَهَا ثُمَّ قَالَ : « كَلُّوا [٣] ». فَأَكَلُوا حَتَّى شَبَعُوا ، وَهِيَ عَلَى هِيَتِهَا لَمْ يَرْزُعُوا مِنْهَا إِلَّا يَسِيرًا ، قال : ثُمَّ أَتَيْتُهُمْ بِالْإِنَاءِ فَشَرَبُوا حَتَّى رَوُوا . قال : وَفَضَلَّ فَضْلًا ، فَلَمَّا فَرَغُوا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَكَلَّمُ

[١٦] تفسير الطبرى (٤٠/١٩) .

[١] - بَعْدَهُ فِي خَ ، زَ : « بَنْ » وَهُوَ خَطَأٌ .

[٢] - فِي زَ ، خَ : « وَازْرَنِي » .

[٣] - سَقَطَ مِنْ : زَ .

(*) رَمَضَتِ الْعَيْنُ تَرْمَصَ رَمَصًا : اجْتَمَعَ فِي مَوْقِعِهَا وَسَخَّ أَسْوَدُ .

[٤] - فِي خَ ، زَ : « نَطَّا » .

[٥] - فِي زَ : « أَحْمَشَهُمْ » .

[٦] - مَا بَيْنَ الْمَعْكُوفَيْنِ فِي زَ ، خَ : « ابْنُ أَبِي » . وَهُوَ خَطَأٌ .

فبدروه الكلام ، فقالوا : ما رأينا كاليلوم في السحر . فسكت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . ثم قال [لي]^[١] : « أصنع رجال شاة يصاع من طعام ». [فصنعت ، قال]^[٢] : فدعاهم ، فلما أكلوا وشربوا [قال : فبدروه فقالوا مثل مقالتهم الأولى ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لي : « أصنع رجال شاة يصاع من طعام ». فصنعت ، قال : فجمعتهم ، فلما أكلوا وشربوا]^[٣] بدرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام فقال : « أيكم يقضى عني ديني ويكون خليفتي في أهلي ? ». قال : فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك به ، قال : وسكت أنا لسن العباس . ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس ، فلما رأيت ذلك قلت : أنا يا رسول الله . قال : وإنني يومئذ لأسوأهم هيبة وإنني لأعمش العينين ، ضخم البطن ، حمش الساقين .

فهذه طرق متعددة لهذا الحديث عن علي رضي الله عنه . ومعنى سؤاله - عليه الصلاة والسلام - لأعمامه وأولادهم أن يقضوا عنه دينه ، ويخلفوه في أهله ، يعني : إن قتل في سبيل الله ، كأنه خشي إذا قام بأعباء الإنذار أن يقتل ، ولما أنزل الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ إِنَّمَا أَنْزَلْنَاكَ مِنْ رِبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعُلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ . فعند ذلك أمن ، وكان أولاً يحرس حتى نزلت هذه الآية : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ، ولم يكن فيبني هاشم إذ ذاك أشد إيماناً وإيقاناً وتصديقاً لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من علي رضي الله عنه ، ولهذا بدرهم إلى التزام ما طلب منهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ثم كان بعد هذا - والله أعلم - دعاؤه الناس جهراً على الصفا ، وإنذاره لبطون قريش عموماً وخصوصاً ، حتى سمى من سمعى من أعمامه وعماته وبناته؛ ليتبه بالأدنى على الأعلى ، أي : إنما أنا نذير ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

وقد روى الحافظ ابن عساكر^(٢) في ترجمة عبد الواحد الدمشقي - غير منسوب - من طريق عمرو بن سمرة . عن محمد بن سوقة ، عن عبد الواحد الدمشقي ؛ قال : رأيت أبي الدرداء - رضي الله عنه - يحدث الناس ويفتيهم ، وولده إلى جنبه ، وأهل بيته جلوس في جانب المسجد يتحدثون ، فقبل له : ما بال الناس يرغبون فيما عندك من العلم ، وأهل بيتك جلوس لا هن ؟ فقال : لأنني سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يقول : « أزهد الناس في الدنيا الأنبياء ، وأشدهم عليهم^[٤] الأقربون ». وذلك فيما أنزل الله - عز وجل - [﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ الآية ، ثم قال : إن أزهد الناس في العالم أهله حتى يفارقهم ؛ ولهذا قال]^[٥] : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَانخُضْ جناحكَ لِمَنْ اتَّبعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ

(٢) تاريخ دمشق (١٠٨٧ المخطوط) .

[١] - ما بين المعکوفین سقط من : ت ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « عليه » .

[٢] - ما بين المعکوفین سقط من : ت .

[٣] - ما بين المعکوفین سقط من : خ .

[٥] - ما بين المعکوفین سقط من : خ .

عصوك فقل إني بريء مما تعملون ﴿٤﴾ .

وقوله : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ . أي : في جميع أمورك ، فإنه مؤيدك وناصرك وحافظك ومظفرك ومُغْلِل كلامتك .

وقوله : ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ . أي : هو مُغتنِي بك ، كما قال تعالى : ﴿فَاصْبِرْ﴾ حكم ربك فإنك بأعيننا ﴿قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ﴾ : ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ . يعني : إلى الصلاة .

وقال عكرمة : يرى قيامه وركوعه وسجوده .

وقال الحسن : ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إذا صليت وحدك .

وقال الضحاك : ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ . أي : من فراشك أو مجلسك .

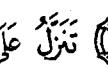
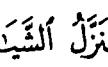
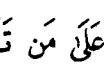
وقال قتادة : ﴿الَّذِي يَرَاكَ﴾ قائماً وجالساً وعلى حالاتك .

وقوله : ﴿وَتَقْلِبْكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ - قال قتادة : ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلِبْكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ . قال : في الصلاة ، يراك وحدك ويراك في الجميع [١] . وهذا قول عكرمة ، وعطاء الخراساني ، والحسن البصري .

وقال مجاهد : كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يرى من خلفه كما يرى من أمامه ، ويشهد لهذا ما صح في الحديث : « سَوْوا صَفْوفَكُمْ ، فَلَيْسَ أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي » [٢٨] .

وروى البزار وأبي حاتم ، من طريقين ، عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : يعني تقبيله من صلب نبي إلى صلب نبي ، حتى أخرجه نبياً .

وقوله : ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ . أي : السميع لأقوال عباده ، العليم بحركاتهم وسكناتهم ، كما قال تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ إِلَّا كَانَ عَلَيْكُمْ شَهْدًا إِذْ تُفْيِضُونَ فِيهِ﴾ الآية .

هَلْ أَئْتَتُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ أَشْيَاطِنُ أَشْيَاطِنُ يُلْقِيُونَ
السَّمَعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَذَّابُونَ وَالشَّعْرَاءُ يَتَّهِمُونَ الْفَارُوقُونَ الْفَرَّارُ أَنَّهُمْ
فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا

(٢٨) رواه البخاري في صحيحه حدث (١٧٢٣) .

[١] - في ت : « الجميع » .

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَأَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُونَ

يقول تعالى مخاطبنا من زعم من المشركين أن ما جاء به الرسول ليس حقاً ، وأنه شيء افتعله من تلقاء نفسه ، أو أنه أتاه به رئيسي من الجن فنزله الله - سبحانه - جناب رسوله عن قولهم واقترائهم ، ونبه أن ما جاء به إنما هو من عند الله ، وأنه تنزيله ووحيه ، نزل به ملك كريم أمين عظيم ، وأنه ليس من قبيل الشياطين ، فإنهم ليس لهم رغبة في مثل هذا القرآن العظيم ، وإنما ينزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكاذبة ؛ ولهذا قال : ﴿ هَلْ أَنْشَكُمْ ﴾ أي : أخبركم ﴿ عَلَىٰ مِنْ تَنْزِيلِ الشَّيَاطِينِ ﴾ تنزل على كل أفالك أنتم ﴾ أي : كذوب في قوله ، وهو الأفالك الأثيم ، أي : الفاجر في أفعاله . فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين كالكهان وما جرى مجراهم من الكذبة الفسقة ، فإن الشياطين أيضاً كذبة فسقة .

﴿ يَلْقَوْنَ السَّمْعَ ﴾ . أي : يسترقون السمع من السماء ، فيسمعون الكلمة من علم الغيب ، فيزيدون معها مائة كذبة ، ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس فيحدثون بها ، فيصدقهم الناس في كل ما قالوه ، بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء ، كما صح بذلك الحديث ؛ كما رواه البخاري ، من حديث الزهرى ، أخبرنى يحيى بن عروة بن الزبير ، أنه سمع عروة بن الزبير يقول : قالت عائشة - رضي الله عنها - : سأل ناس النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الكهان ، فقال : « إِنَّهُمْ لَيُسَاوِيُنَّ بِشَيْءٍ » . قالوا : يا رسول الله ، فإنهم يحدثون بشيء يكون حقيقة ؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « تَلِكَ الْكَلْمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطُفُهَا الْجِنُّ ، فَيَقْرُرُهَا فِي أَذْنِ وَلِيْهِ كَفَرْقَةُ الدِّجاجَةِ ، فَيَخْلُطُونَ مَعَهَا أَكْثَرَ مِنْ [١] مائة كذبة » ^(٢٩) .

وقال البخاري أيضاً ^(٣٠) : حدثنا الحميدى ^[٢] ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو قال ^[٣] : سمعت عكرمة يقول : سمعت أبا هريرة يقول : إن [نبي الله ^[٤]] - صلى الله عليه وسلم - قال ^[٥] : « إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا خَضْعًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ ^[٦] » .

(٢٩) صحيح البخاري حديث (٧٥٦١) .

(٣٠) صحيح البخاري حديث (٤٨٠٠) .

[١] - في ت : « في » .

[٢] - في خ : « الجهدى » .

[٣] - في ت : « النبي » .

[٤] - في ت : « كأنهم » .

[٥] - في خ ، ز : « يقول » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

سلسلة على صَفْوان ، حتى إذا فُرِّغ عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ [قالوا للذي]^[١] قال : الحق وهو العلي الكبير . فيسمعها مسترقو السمع ، ومسترقو السمع هكذا بعضهم فرق بعض ، ووصف سفيان بيده فخرفها ، وبندَّ بين أصابعه - فيسمع الكلمة ، فيلقينها إلى من تحته ، ثم يلقينها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقينها على لسان الساحر - أو : الكاهن - فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقينها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة . فيقال : أليس قد [قال لنا يوم كذا وكذا]^[٢] : كذا وكذا ؟ فيصدق بذلك الكلمة التي سمعت من السماء » . انفرد به البخاري .

وروى مسلم من حديث الزهرى ، عن علي بن الحسين ، عن ابن عباس ، عن رجال من الأنصار قرئنا من هذا ، وسيأتي عند قوله تعالى في سبأ : ﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم﴾ الآية .

وقال البخاري^(٣) : وقال الليث : حدثني خالد بن زيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، أن أبي الأسود أخبره ، عن عروة ، عن عائشة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إن الملائكة تحدث في العنان - والعنان : القمام - بالأمر يكون^[٣] في الأرض ، فتسمع الشياطين الكلمة ، فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة ، فيزيرون معها مائة كذبة » .

وروى^[٤] البخاري في موضع آخر من كتاب « بدء الخلق » عن سعيد بن أبي مريم ، عن الليث ، عن عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن ، عن عروة ، عن عائشة ، بنحوه^(٣٢) .

وقوله : ﴿والشعراء يتبعهم الغاون﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يعني الكفار يتبعهم ضلال الإنس والجن . وكذا قال مجاهد - رحمة الله - وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهما .

وقال عكرمة : كان الشاعران يتهاجيان فينتصر لهذا فقام من الناس ، ولهذا فقام من الناس ، فأنزل الله : ﴿والشعراء يتبعهم الغاون﴾ .

وقال [الإمام أحمد^(٣٣)] : حدثنا قتيبة ، حدثنا ليث ، عن ابن الهاد ، عن يحيى -

(٣١) صحيح البخاري حديث (٣٢٨٨) وقد وصله أبو نعيم في المستخرج من طريق أبي حاتم الرازي عن أبي صالح كاتب الليث عنه ، كما في الفتح (٤٣٢/٦) .

(٣٢) صحيح البخاري رقم (٢٢١٠) .

(٣٣) المسند (٨/٣) .

[١] - ما بين المukoتفين في خ ، ز : « قال الذي » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ت : « قال » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ت : « قال » .

مولى مصعب بن الزبير - عن أبي سعيد ؛ قال : بينما نحن نسير مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالغزج ، إذ عرض شاعر يُنشد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « خذدا الشيطان - أو : أمسكوا الشيطان - لأن ينتليء جوف أحدكم قيحاً خيراً له من أن ينتليء شعراً » .

وقوله : ﴿ ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ﴾ - قال علي بن طلحة ، عن ابن عباس : في [١] كل لغو يخوضون .

وقال الضحاك عن ابن عباس : في كل فن من الكلام . وكذا قال مجاهد وغيره .

وقال الحسن البصري : قد - والله - رأينا أوديتم التي يهيمون فيها ، مرة في شتمة فلان ، ومرة في مدحه فلان .

وقال قتادة : الشاعر يمدح قوماً يباطل ، وينم قوماً يباطل .

وقوله : ﴿ وأنهم يقولون مala يفعلون ﴾ - قال العوفي ، عن ابن عباس : كان رجلان على عهد رسول الله ، أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين ، وإنهما تهاجيا ، فكان مع كل واحد منها غواة من قومه - هم السفهاء - فقال الله تعالى : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوروون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون مala يفعلون ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أكثر قولهم يكذبون فيه . وهذا الذي قاله ابن عباس - رضي الله عنه - هو الواقع في نفس الأمر ؛ فإن الشعراء يتبعجون بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ؛ ولا عنهم ، فيتكلرون بما ليس لهم [٢] .

ولهذا اختلف العلماء - رحمهم الله - فيما إذا اعترف الشاعر في شعره بما يوجب حدّاً : هل يقام عليه بهذا الاعتراف أم لا - لأنهم يقولون ما لا يفعلون - على قولين .

وقد ذكر محمد بن إسحاق ، ومحمد بن سعد في « الطبقات » ، والزبير بن بكار في « كتاب الفكاهة » : أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - استعمل التعمان بن عدي بن نصلة على « ميشان » - من أرض البصرة - وكان يقول الشعر ، فقال :

الأهلْ أتى الحسنة أن حليلها [٣] يميشان ، يُسقى في [٤] زجاج وختنم
إذا شئتْ غنثني دهاقين قربة ورقاصةَ تحدو على كلِّ مئسم
فإنْ كنتَ ندماني فالأخبر اسفني ولا تُشْقني بالأضغرِ المثلّم

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « من » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « حلتها » .

لَعْلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْوُءُهُ [١] تَنَادَمْنَا بِالْجَوْسَقِ التَّهَدُّمِ

فلما بلغ أمير المؤمنين قال : إِي والله ، إنه ليسوئني ذلك ، ومن لقيه فليخبره أنني قد عزلته وكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ حم * تزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ﴾ . أما بعد ، فقد بلغني قوله :

لَعْلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْوُءُهُ تَنَادَمْنَا بِالْجَوْسَقِ التَّهَدُّمِ

وأَيُّ الله ، إنه ليسوئني وقد عزلتك . فلما قدم على عمر بـكـة^(٤) بهذا الشعر فقال : والله يا أمير المؤمنين ، ما شربتها قط ، وما ذاك الشعر إلا شيء طفيع على لسانى . فقال عمر : أظنك ذلك ، ولكن - والله - لا تعمل لي على عمل أبداً وقد قلت ما قلت .

فلم يذكر أنه حَدَّه على الشراب ، وقد ضمته شعره ، لأنهم يقولون ما لا يفعلون ، ولكنه ذمه عمر - رضي الله عنه - ولامه على ذلك وعزله به ؛ ولهذا جاء في الحديث : « لأن ينتليء جوف أحدكم قيحا ، بويه خير له من أن ينتليء شعرا »^(٣) ، والمراد من هذا أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي أنزل عليه [هذا]^(٢) القرآن ليس بكاهن ولا بشاعر ؛ لأن حاله مناف لحالهم من وجوه ظاهرة ؛ كما قال تعالى : ﴿ هُوَ مَا عَلِمْنَاهُ الشِّعْرُ وَمَا يَبْغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذَكْرٌ وَقُرْآنٌ مِّبْيَنٌ ﴾ و قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقُولٍ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تَؤْمِنُونَ وَلَا بِقُولٍ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَزْلِيلٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . وهكذا قال هاتنا : ﴿ إِنَّهُ لَتَزْلِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُذَرِّينَ * بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مِّبْيَنٍ ﴾ ... إلى أن قال : ﴿ وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَبْغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِعُونُ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ . إلى أن قال : ﴿ هَلْ أَنْبَثُمْ عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ * تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَاكِ أَثَمِّ يَأْلُقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ * وَالشُّعْرَاءُ يَتَبعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعُلُونَ ﴾ .

وقوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آتَيْنَا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ . قال محمد بن إسحاق ، عن زيد^(٣) ابن عبد الله بن قسطنطين ، عن أبي الحسن سالم البتراءي مولى تميم الداري ؛ قال : لما نزلت ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَبَعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ ، جاء حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو ي يكون فقالوا : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعرا . فتلا النبي - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آتَيْنَا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ، قال : « أَنْتُمْ » ، ﴿ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ، قال : « أَنْتُمْ » ، ﴿ وَاتَّصَرُوا

(٣) رواه مسلم في صحيحه حديث (٢٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[١] - في خ : « بسوة » .

[٢] - ما بين المعکوفین سقط من : ت .

[٣] - في ز ، خ : « زيد » .

من بعد ما ظلموا ﴿﴾ ، قال : « أنتم » .

رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم من رواية ابن إسحاق ^(٣٥) .

وقد روی ابن أبي حاتم أيضًا ، عن أبي سعيد الأشجع ، عن أبيأسامة ، عن الوليد بن كثیر ، عن يزید بن عبد الله ، عن أبيالحسن مولى بنی ^[١] نوبل : أن حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة أتیا رسول الله ، صلی الله عليه وسلم ، حين نزلت ﴿﴾ والشعراء يتبعهم الغاون ﴿﴾ يکیان ، فقال رسول الله ، صلی الله عليه وسلم ، وهو يقرؤها عليهم : « ﴿﴾ والشعراء يتبعهم الغاون ﴿﴾ ، حتى بلغ : ﴿﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿﴾ ، قال : أنتم ^(٣٦) .

وقال أيضًا : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن عروة قال : لما نزلت : ﴿﴾ والشعراء يتبعهم الغاون ﴿﴾ إلى قوله : ﴿﴾ يقولون مَا يفعلون ﴿﴾ ، قال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ؛ قد علم الله أني منهم . فأنزل الله ﴿﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿﴾ إلى قوله : ﴿﴾ ينقلبون ^(٣٧) .

وهكذا قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وقادة ، وزيد بن أسلم ، وغير واحد : إن هذا الاستثناء مما تقدم . ولا شك أنه استثناء ، ولكن هذه السورة مكية ، فكيف يكون سبب نزول هذه الآية في شعراء الأنصار؟ في ذلك نظر ، ولم يتقدم إلا مرسلات لا يعتمد عليها ، والله أعلم .

ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم ، حتى يدخل فيه من كان متلبساً من شعراء الجاهلية بنم الإسلام وأهله ، ثم تاب وأناب ، ورجع وأفلح ، وعمل صالحاً ، وذكر الله كثيراً في مقابلة ما تقدم من الكلام الشيء ، فإن الحسنات يذهبن السيئات ، وامتدح الإسلام وأهله في مقابلة ما كذب بهم ، كما قال عبد الله بن الزبير حين أسلم .

يا رسول الملك ، إن لسانی رائق ما فتئت إذ أنا بور
إذ أحاري الشيطان في سن العَمَيْ وَمَنْ مَالَ مَيْلَهَ مَثْبُورُ
وكذلك أبوسفیان بن الحارث بن عبد الطلب ، كان من أشد الناس عداوة للنبي -
صلی الله عليه وسلم - وهو ابن عمّه ، وأكثرهم له هجوًا ، فلما أسلم لم يكن أحد أحب إليه
من رسول الله ، صلی الله عليه وسلم ، وكان يمدح رسول الله - صلی الله عليه وسلم - بعد
ما كان يهجوه ، ويتولاه بعد ما كان قد عاده .

(٣٥) تفسير الطبری (١٩/٧٩) .

(٣٦) ورواه الحاکم في المستدرک (٤٨٨/٣) من طریق أبيأسامة به .

[١] - سقط من : خ ، ز .

وهكذا روى مسلم في صحيحه^(٣٧) ، عن ابن عباس : أن أبا سفيان صخر بن حرب لما أسلم قال : يا رسول الله ؛ ثلات أُعطيتُهن^[١] . قال : « نعم » . قال^[٢] : معاوية تجعله كاتبًا بين يديك . قال : « نعم » . قال : وَتَؤْمِنِي حَتَّى أَقْاتِلَ الْكُفَّارَ ، كما كنت أقاتل المسلمين . قال : « نعم » ، وذكر الثالثة ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ قيل : معناه ذكروا الله كثيراً في كلامهم . وقيل : في شعرهم ، وكلاهما صحيح مُكْفَرٌ لِمَا سبق .

وقوله : ﴿وَأَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ قال ابن عباس : يردون^[٣] على الكفار الذين كانوا يهجون به المؤمنين . وكذا قال مجاهد ، وقادة ، وغير واحد . وهذا كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال لحسان : « هاجهم - أو قال : هاجهم - وجبريل معك »^(٣٨) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، أنه قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : إن الله عزّ جل قد أنزل في الشعر ما أنزل ، فقال : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَجْاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ»^[٤] ، لأن ما ترمونهم به نَضَحَ النَّبْلَ »^(٣٩) .

وقوله : ﴿وَسِعِلَمُ الظَّالِمِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مِنْقَلْبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمْ لِعْنَةٌ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ . وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِيَاكُمْ وَالظُّلْمُ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلْمَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(٤٠) .

وقال قتادة بن دعامة في قوله : ﴿وَسِعِلَمُ الظَّالِمِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مِنْقَلْبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ يعني من الشعراء وغيرهم .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا إِيَاسُ بْنُ أَبِي تَمِيمَةَ ، قَالَ : حَضُرَتِ الْحَسَنِ وَمَوْلَانِهِ بِجَنَازَةِ نَصْرَانِي ، فَقَالَ الْحَسَنُ : ﴿وَسِعِلَمُ الظَّالِمِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مِنْقَلْبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ .

[١] - في ز : « أُعْطِيَتُهُنَّ » .

[٢] - صحيح مسلم حديث (٢٥٠١) .
[٣] - صحيح البخاري حديث (٦١٥٣) ، وصحيح مسلم حديث (٢٤٨٦) من حديث البراء بن عازب ، رضي الله عنه .

[٤] - المسند (٣٨٧/٦) .

[٥] - صحيح مسلم حديث (٢٥٧٨) من حديث جابر، رضي الله عنه، ولفظه : « اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيمة » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في خ ، ز : « يَرِيدُونَ » .

[٨] - في ز : « أُعْطِيَتُهُنَّ » .

[٩] - في خ ، ز : « يَرِيدُونَ » .

وقال عبد الله بن رباح ، عن صفوان بن محرز : أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكى حتى أقول : قد اندق قضيب زوره : ﴿ وَسِعْلَمُ الظَّالِمِينَ ظَلَمُوا أَيِّ مُنْقَلْبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

وقال ابن وهب : أخبرني ابن شریع الإسكندراني ، عن بعض المشيخة : أنهم كانوا بأرض الروم ، في بينما هم ليلة على نار يشترون عليها - أو يصطلون - إذا بركاب قد أقبلوا ، فقاموا إليهم ، فإذا فضالة بن عبيد منهم ، فأنزلوه فجلس معهم - قال : وصاحب لنا قائم يصلبي - قال : حتى مز بهذه الآية : ﴿ وَسِعْلَمُ الظَّالِمِينَ ظَلَمُوا أَيِّ مُنْقَلْبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ . قال فضالة بن عبيد : هؤلاء الذين يخربون البيت .

وقيل : المراد بهم أهل مكة . وقيل : الذين ظلموا من المشركين .

والصحيح أن هذه الآية^[١] عامة في كل ظالم ، كما قال ابن أبي حاتم : ذكر عن زكريا بن يحيى الواسطي ، حدثني الهيثم بن محفوظ أبو سعد النهدي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن الجبر ، حدثنا هشام بن عمرو ، عن أبيه ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : كتب أبي وصيته سطرين : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبي قحافة ، عند خروجه من الدنيا ، حين يؤمن الكافر ، وينتهي الفاجر ، ويصدق الكاذب : إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن يعدل فذاك ظني به ورجائي فيه ، وإن يجر ويidel فلا أعلم الغيب ، ﴿ وَسِعْلَمُ الظَّالِمِينَ ظَلَمُوا أَيِّ مُنْقَلْبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ » .

آخر تفسير سورة الشعرا ، و^[٢] الحمد لله رب العالمين



[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

تفسير سورة النمل

وهي مكية

طَسْ تِلْكَ ۚ إِنَّمَا تَأْتِيُ الْقُرْآنَ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ هُدًى وَشَرِيْلِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُعِيشُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوْرَةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُم يُوْقَنُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَرِيْنَاهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُم يَعْمَلُونَ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِسُوءِ الْعَذَابِ وَهُم فِي الْآخِرَةِ هُم الْأَخْسَرُونَ ۝ وَإِنَّكَ لِتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدْنِ حَكِيمٍ

عليهم ٦

قد تقدم الكلام في «سورة البقرة» على المروف المتقطعة في أوائل السور .

وقوله : ﴿ تلك آيات ﴾ أي : هذه آيات ﴿ القرآن وكتاب مبين ﴾ أي : يبين واضح ، ﴿ هدى وشرى للمؤمنين ﴾ أي : إنما تحصل الهداية والبشرارة من القرآن ملن آمن به واتبعه وصدقه ، وعمل بما فيه ، وأقام الصلاة المكتوبة ، وآتى الزكاة المفروضة ، وآمن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت ، والجزاء على الأعمال ، خيرها وشرها ، والجنة والنار ؛ كما قال تعالى : ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر و هو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ وقال : ﴿ ليتشر به المتقين وتتذر به قوماً لذا ﴾ ولهذا قال هاما : ﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ أي : يكذبون بها ، ويستبعدون وقوعها ﴿ زينا لهم أعمالهم فهم يعمدون ﴾ . أي : حسناً لهم ما هي ، ومددنا لهم في غيرهم فهم ينكرون في ضلالهم . وكان هذا جزاء على ما كذبوا به من الدار الآخرة ؛ كما قال تعالى : ﴿ ونقلب أفتديتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيائهم يعمدون ﴾ .

﴿ وإنك الذين لهم سوء العذاب ﴾ أي : في الدنيا والآخرة ، ﴿ وهم في الآخرة هم الأحسرون ﴾ . أي : ليس يخسر أنفسهم وأموالهم سواهم من أهل الحشر .

وقوله : ﴿ وإنك لتلقي القرآن من لدن حكيم عليم ﴾ أي : ﴿ وإنك ﴾ - يا محمد - قال قنادة : ﴿ لتلقي ﴾ أي : لتأخذ ﴿ القرآن من لدن حكيم عليم ﴾ أي : من عند حكيم عليم ، أي : حكيم في أوامره ونواهيه ، عليم بالأمور جليلها وحقيقها ، فخبره هو الصدق الحض ، وحكمه هو العدل التام ، كما قال تعالى : ﴿ وقْتَ كَلْمَةِ رِبِّكَ صَدِيقًا وَعَدْلًا ﴾

إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي أَنْتَمْ نَارًا سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بَخِيرٌ أَوْ مَا تِيكُمْ بِشَهَابٍ فَبِسِ
لَعْلَكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُورِيَ أَنْ بُورُوكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبَحَنَ
اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسِّعُ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ أَكْبَرُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَنِّي عَصَاكُمْ فَلَمَّا
رَأَهَا كَاهَرَ كَاهَرًا جَانٌ وَلَئِنْ مُذِيرٌ وَلَئِنْ يُعَقِّبَ يَمْوَسِّعُ لَا تَخْفَ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَنِي
الْمَرْسُلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُرَّ بَدَلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِي غَفُورٌ رَّاجِعٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ
يَدَكَ فِي جَبِيلَ تَخْرُجْ بِيَضَاءَ مِنْ عَيْرٍ سُوءٍ فِي تَسْعَ مَا يَنْتَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ إِلَيْهِمْ كَافُوا
قَوْمًا فَتَسْقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا يَنْتَنَا مُبَصِّرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَهَدُوا
بِهَا وَأَسْتَيقْنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظَلَمًا وَعَلَوْا فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَذِيقَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم - مذكرا له ما كان من أمر موسى ، كيف اصطفاه الله ، وكلمه وناجاه ، وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة ، والأدلة القاهرة ، وابتعثه إلى فرعون وملته ، فجحدوا بها وكفروا واستكبدوا عن اتباعه والانقياد له ، فقال تعالى : ﴿٦﴾ إذ قال موسى لأهله ﴿٧﴾ أي : اذْكُرْ حِينَ سَارَ مُوسَى بِأَهْلِهِ ، فَأَنْتَمُ الطَّرِيقُ ، وَذَلِكَ فِي لَيْلٍ وَظَلَامٍ ، فَإِنَّمَا مِنْ جَانِبِ الظُّرُورِ نَارًا ، أي : رَأَى نَارًا تَنَاجِحُ وَتَضَطَّرُ ، فَقَالَ ﴿٨﴾ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنْسَتُ نَارًا سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بَخِيرٌ ﴿٩﴾ أي : عن الطريق ، أو آتِيكُمْ [بشهاب قبس] ^[١] لعلكم تصطلون ^[٢] ، أي : تتدفرون به . وكان كما قال ، فإنه رجع منها بخير عظيم ، واقتبس منها ^[٣] نورًا عظيمًا ، ولهذا قال تعالى : ﴿١٠﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُورِي أَنْ بُورُوكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ^[٤] أي : فَلَمَّا أَتَاهَا رَأَى مُنْظَرًا هَائِلًا عَظِيمًا ، حيث انتهى إليها ، والنار تضطرم في شجرة خضراء ، لا تزداد النار إلا توقدًا ، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة ، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء .

قال ابن عباس وغيره : ولم تكن نارًا ، إنما كانت نورًا يتوهج .

وفي رواية عن ابن عباس : نور رب العالمين . فوقف موسى متعجبًا مما رأى ، فنودي ^[٥] أن بوروك من في النار ^[٦] . قال ابن عباس : أي ^[٧] قدس ^[٨] ومن حولها ^[٩] أي : من الملائكة .

[١] - ما بين المukoفين في ز : خ : « بقبس ». [٢] - ما بين المukoفين سقط من : ت .

[٣] - سقطه من : ت .

قاله ابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود - هو الطيالسي - حدثنا شعبة والمسعودي ، عن عمرو بن مرة ، سمع أبا عبيدة يحدث عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخوض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل » . زاد المسعودي : « وحجابه [النور أو]^[١] النار - لو كشفها لأحرقت سبحاث وجهه كل شيء أدركه بصره » . ثم قرأ أبو عبيدة : « أَنْ بُوْرُكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمِنْ حَوْلِهَا » . وأصل هذا الحديث مخرج في الصحيح لمسلم ، من حديث عمرو بن مرة ، به^[٢] .

وقوله : « وسبحان الله رب العالمين ». أي : الذي يفعل ما يشاء ، ولا يشيه شيئاً من مخلوقاته ، ولا يحيط به شيء من مصنوعاته ، وهو العلي العظيم ، المباين لجميع المخلوقات ، ولا يكتنفه الأرض والسموات ، بل هو الأحد الصمد ، المنزه عن مائة المحدثات .

وقوله : « يا موسى إله أنا الله العزيز الحكيم » ^{أَغْلَمَة} أن الذي يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز الحكيم^[٣] ، الذي عز كل شيء وقهقه وغله ، الحكيم في أفعاله وأقواله .

ثم أمره أن يلقى عصاه من يده ؛ ليظهر له دليلاً واضحاً على أنه الفاعل المختار ، القادر على كل شيء ، فلما ألقى موسى تلك العصا من يده انقلب في الحال ^{جَيْهَةً} عظيمة هائلة في غاية الكبر ، وسرعة الحركة مع ذلك ؛ ولهذا قال : « فلما رأها تهتز كأنها جان » ، والجان : ضرب من الحيات ، [أسرعه حرقة^[٤]] ، وأكثره اضطراباً - وفي الحديث تهذى عن قتل جنан البيوت^[٥] . فلما عاين موسى ذلك ^{وَلِي مَدِيرًا وَلَمْ يَعْلَمْ} أي : ولم يلتفت من شدة فرقه . « يا موسى لا تخاف إني لا يخاف لدى المرسلون » ، أي : لا تخاف مما ترى ، فإني أريد أن أصطفيك رسولاً وأجعلك نبياً وجبيها .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب : في قوله عليه السلام : « إن الله لا ينام » وفي قوله : « حجابه النور لو كشفه لأحرق سبhat وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » حديث ٢٩٤ - ٢٩٥ - ١٧٩ (١٨/٣) . وأخرجه حديث ٢٩٣ - ٢٩٩ (١٧٩) . وابن ماجه في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية ، حديث (١٩٥) (٧٠/١) ولكنهما قالا : بخمس كلمات . وزادا : « حجابه النور لو كشفه لأحرق سبhat وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » وكذلك زاد مسلم في الموضع الأول . وأخرجه ابن ماجة مختصرًا حديث (١٩٦) في المقدمة ، باب : ما أنكرت الجهمية (٧١/١) . كلامهما من طريق عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن أبي موسى رضي الله عنه فذكره . ورواه أحمد حديث (١٩٦٤١ ، ١٩٥٨٧) . (١٩٦٨٨)

[١] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في خ ، ز : « لسرعة حركته » .

[٢] - سقط من : ت .

وقوله : ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلَ حَسْنَا بَعْدَ سُوءٍ فَإِلَيْهِ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هذا استثناء منقطع وفيه
بشرى عظيمة للبشر وذلك أن من كان على شيء ثم أقلم عنه ، ورجع وتاب وأناب ، فإن الله
يتوب عليه ، كما قال تعالى : ﴿وَالِّي لَغَافَرٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ وقال
تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ يَجْدِدُ اللَّهُ غَفْرَانًا رَّحِيمًا﴾ والآيات في
هذا كثيرة جداً .

وقوله : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدْكَ فِي جَيْكَ تَغْرُّجْ بِيَضَاءِ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ ﴾ ، هَذِهِ آيَةُ أُخْرَى ، وَدَلِيلٌ
بَاهْرٌ عَلَى قَدْرَةِ اللَّهِ الْفَاعِلِ الْمُخَارِ ، وَصَدْقٌ مِنْ [١١] جَعْلِهِ مَعْجَزَةً ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمْرَهُ أَنْ
يُدْخِلَ يَدَهُ فِي جَيْبِ دِرْزِهِ ، فَإِذَا أَدْخَلَهَا وَأَخْرَجَهَا تَخَرَّجَتْ بِيَضَاءَ سَاطِعَةً ، كَأَنَّهَا قَطْعَةُ قَمَرٍ ،
لَهَا الْمَعْانِ يَتَلَاءَّ كَالْبَرِيقِ الْخَاطِفِ .

وقوله : ﴿فِي تَسْعَ آيَاتٍ﴾ أي : هاتان ثنتان من تسعة آيات أُوْيَدَكَ بِهِنَ ، وأجعلهن برهانًا لك إلى فرعون وقومه ، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فَاسِقِينَ﴾ . وهذه هي الآيات التسع التي قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تَسْعَ آيَاتٍ بِيَنَاتٍ﴾ كما تقدم تقرير ذلك هنالك .

وقوله ﴿ فلما جاءتهم آياتنا مبصراً ﴾ أي : بينة واضحة ظاهرة ﴿ قالوا هذا سحر مبين ﴾ ، وأرادوا معارضته بسحرهم ، فغلبوا وانقلبوا صاغرين ﴿ وجحدوا بها ﴾ أي في ظاهر أمرهم ﴿ واستيقنوا أنفسهم ﴾ أي : علموا في أنفسهم أنها حقٌّ من عند الله ، ولكن جحدُوها وعاندوها وكابروها ﴿ ظلماً وعلواً ﴾ ، أي : ظلماً من أنفسهم ، سجّيَّة ملعونة ، ﴿ وعلواً ﴾ أي : استكباراً عن اتباع الحق ، ولهذا قال : ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ أي : انظر يا محمد كيف كان عاقبة كفرهم ، في إهلاك الله إياهم ، وإغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة .

وفحوى الخطاب يقول : احضروا أيها المكذبون بمحمد ، الحاقدون لما جاء به من ربه ، أن يصيّبكم ما أصابهم بطريق الأولى والأخرى ، فإن محمدا - صلوات الله وسلامه عليه - أشرف وأعظم من موسى ، وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى ، بما آتاه الله تعالى من الدلائل المقتنة بوجوده في نفسه وشمائله ، وما سبقه من البشارات من الأنبياء به ، وأخذ المواثيق له ، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام .

وَلَقَدْ عَلِمْنَا دَاؤِدَ وَسُلَيْمَنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ
الْمُؤْمِنُونَ ۝ وَرَبُّ سُلَيْمَنَ دَاؤِدٌ ۖ وَقَالَ يَتَأَبَّلُهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنْطَقَ الظَّرِيرِ ۖ وَأَوْتَنَا

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحِشْرَ لِسْلَيْمَنَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ
وَالْإِنْسَنِ وَالْطَّيْرِ فَهُمْ يُؤْنَعُونَ ﴿١٧﴾ حَقٌّ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادَّ الْنَّمَلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَكَائِنُ
النَّمَلُ أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَمْطِئِنُكُمْ سُلَيْمَانٌ وَجُنُودُهُ وَهُنَّ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾
فَنَبَسَّرَ صَاحِحًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَرْزَقْنِي أَنْ أَشْكُرَ بِعِمَّتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ
وَعَلَىٰ وَالْدَّىٰ وَأَنْ أَهْمَلَ مَكْلِحًا تَرْضَنِهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَكَ الْصَّابِلِينَ
﴿١٩﴾

يخبر تعالى بما أنعم به على عبديه ونبيه داود وبنته سليمان - عليهما من الله السلام - من النعم الجزيلة ، والمواهب الجليلة ، والصفات الجميلة ، وما جمع لها بين سعادة الدنيا والآخرة ، والملك والتمكين التام في الدنيا ، والنبوة والرسالة في الدين ؛ ولهذا قال : ﴿١﴾ ولقد آتينا داود وسليمان علمًا وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ﴿٢﴾ .

قال ابن أبي حاتم : ذكر عن إبراهيم بن يحيى بن تمام : أخبرني أبي ، عن جدي ؛ قال : كتب عمر بن عبد العزيز : إن الله لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عليها ، إلا كان حمدة أفضل من نعمة ^[١] ، لو كنت لا تعرف ذلك إلا من ^[٢] كتاب الله المنزل ، قال الله تعالى : ﴿٣﴾ ولقد آتينا داود وسليمان علمًا وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ﴿٤﴾ وأي نعمة أفضل مما أوتي داود وسليمان عليهما السلام ؟

وقوله : ﴿٥﴾ وورث سليمان داود أي : في الملك والنبوة ، وليس المراد وراثة المال ؛ إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود ، فإنه قد كان لداود مائة امرأة . ولكن المراد بذلك وراثة الملك والنبوة ، فإن الأنبياء لا تورث أموالهم ، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن عشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا ^[٥] صدقة » ^[٦] .

وقوله : ﴿٦﴾ يا أيها الناس علمتنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء أي : أخبر سليمان

(٢) صحيح البخاري حديث (٣٢٩٨) من حديث ابن عمر ، رضي الله عنهما .

(٣) رواه البخاري حديث (٦٧٢٧) من حديث عائشة بلفظ : « لا نورث ما تركناه صدقة ». قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/١٢) : وأما ما اشتهر في كتب أهل الأصول وغيرهم بلفظ : « نحن معاشر الأنبياء لأنورث » فقد أنكره جماعة من الأئمة ، وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ : « نحن » ، وانظر الفتح .

[١] - في ت : « نعمته » .

[٢] - في ت : « في » .

بنعم الله عليه ، فيما وله له من الملك العظيم ، والتمكين العظيم ، حتى إنه سحر له الإنس والجن والطير ، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضاً ، وهذا شيء لم يُعطه أحد من البشر - فيما علمناه - ما أخبر الله به ورسوله . ومن زعم من الجهلة والزاعغ أن الحيوانات كانت تنطق كنطقبني آدم قبل سليمان بن داود - كما يتفوه به كثيرون من الناس - فهو قول بلا علم ، ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة ، إذ كلهم يسمع كلام الطير والبهائم ، ويعرف ما يقول ، فليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا ، بل لم تزل البهائم والطير وسائر الخلوقات من وقت خلقت إلى زماننا هذا على هذا الشكل والمتوال ، ولكن الله - سبحانه وتعالى - كان قد أفهم سليمان - عليه السلام - ما يخاطب به الطير في الهواء ، وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها ، ولهذا قال : ﴿عَلَمْنَا مِنْطَقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هُنَّ [١] أَيْ : مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَلْكُ [٢] ، هُنَّ إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمَيْنُ [٣] هُنَّ أَيْ : الظَّاهِرُ بَيْنَ لِلَّهِ عَلَيْنَا .

قال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطلب ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « كان داود - عليه السلام - فيه غيرة شديدة ، فكان إذا خرج أغفلت الأبواب ، فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع ، قال : فخرج ذات يوم وأغلقت الأبواب ، فأقبلت أمرأته [٤] تطلع إلى الدار ، فإذا رجل قائم وسط الدار ، فقالت لمن في البيت : من أين دخل هذا الرجل ، والدار مغلقة ؟ والله لتفتضحن بدواود ، فجاء داود - عليه السلام - فإذا الرجل قائم وسط الدار ، فقال له داود : من أنت ؟ قال : الذي لا يهاب الملك ، ولا يمتنع من الحجاب ، فقال داود : أنت والله إذن ملك الموت ، مرحباً بأمر الله ، فترمل [٥] داود - عليه السلام - مكانه حتى قبضت نفسه ، حتى فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس ، فقال سليمان - عليه السلام - للطير : أظللي على داود . فأظللت [٦] عليه الطير حتى أظلمت عليهمها [٧] الأرض ، فقال لها سليمان : أقضني جاخاً جاخاً » . قال أبو هريرة : يا رسول الله ، كيف فعلت الطير ؟ فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، وغلبت عليه يومئذ المضريحة [٨] .

قال أبو الفرج بن الجوزي : المضريحة : النسور الحمر .

(٤) المسند (٤١٩/٢) ، وقال البيهقي في المجمع (٨/٢٠٦) : « فيه المطلب بن عبد الله بن حنطب وثقة أبو زرعة وغيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

[١] - ما بين المعقوتين سقط من : خ ، ز .

(*) ترمل فلان : التف بثوبه .

[٢] - في ز ، خ : « امرأة » .

[٣] - في خ ، ز : « فرمل » .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

وقوله تعالى : ﴿ وَحَشْرُ لِسْلِيمَانَ جَنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَ وَالْطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أي : وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير ، يعني : ركب فيهم في أبهة وعظمة كبيرة في الإنس ، وكانوا هم الذين يلوته ، والجن وهم بعدهم في المنزلة ، والطير ومتزلتها فوق رأسه ، فإن كان حَرْأً أظلته منه بأجنبتها .

وقوله : ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أي : يكف^[١] أولهم على آخرهم لثلا يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له . قال مجاهد : جعل على كل صنف وزَعَة ، يرذون أولاها على أخراها ، لثلا يتقدموها في المسير ، كما يفعل الملوك اليوم .

وقوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوَا عَلَىٰ وَادِي النَّمَلَ ﴾ أي : حتى إذا من سليمان - عليه السلام - بن معه من الجيوش والجنود على وادي النمل ، ﴿ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمَلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطُمُنَّكُمْ سَلِيمَانٌ وَجَنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

أورد^[٢] ابن عساكر من طريق إسحاق بن بشر ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن : أن اسم هذه النملة : حرس ، وأنها من قبيلة يقال لهم : بنو الشيشان ، وأنها كانت عرجاء ، وكانت بقدر الذئب .

أي : خافت على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها ، فأمرتهم بالدخول إلى مساكنها ، ففهم ذلك سليمان - عليه السلام - عنها^[٣] ، ﴿ فَتَبَسَّمَ ضاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبُّ أُوزَعْنِي أَنْ أَشْكُرْ لِعْمَتَكَ الَّتِي أَعْمَتْ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالَّدِي وَأَنْ أَعْمَلْ صَاحِلًا تَرْضَاهُ ﴾ ، أي : ألهمني أنأشكر لعمتك التي مننت بها علي ، من تعليمي منطق الطير والحيوان ، وعلى والدي بالإسلام لك^[٤] ، والإيمان بك ، ﴿ وَأَنْ أَعْمَلْ صَاحِلًا تَرْضَاهُ ﴾ ، أي : عملاً تحبه وتراضاه ، ﴿ وَادْخُلُنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ . أي : إذا توفيتني فالحقني بالصالحين من عبادك ، والرفيق الأعلى من أوليائك .

ومن قال من المفسرين : إن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره ، وإن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب ، أو غير ذلك من الأقوايل ، فلا حاصل لها .

وعن نوف البكالي أنه قال : كان نمل سليمان أمثال الذباب . هكذا رأيته مضبوطاً بالياء المثلثة من^[٥] تحت وإنما هو بالياء الموحدة ، وذاك^[٦] تصحيف ، والله أعلم .

والغرض أن سليمان - عليه السلام - فهم قولها ، وتبسم ضاحكا من ذلك ، وهذا أمر عظيم جداً .

[١] - في ت : « يكفوا » .

[٣] - في ت : « منها » .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ : « فأورد » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - في ت : « ذلك » .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا يزيد بن هارون ، أئبنا مشعر ، عن زيد العمي ، عن أبي الصديق الناجي قال : خرج سليمان - عليه السلام - يستسقي ، فإذا هو بملة مستلقية على ظهرها ، رافعة قوائمها إلى السماء ، وهي تقول : اللهم ، إنا خلق من خلقك ، ولا غنى بنا عن سقياك ، ولا تسقنا تهلكنا . فقال سليمان - عليه السلام - : « ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم » .

وقد ثبت في الصحيح - عند مسلم - من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : « قرصت نبياً من الأنبياء نملة فأمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله إليه : أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح؟ فهلا نملة واحدة » ^(٥) .

وَنَفَقَدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِكَ لَا أَرَى الْهَدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاسِدِينَ ٢٠

لَا عِذْنَتُمْ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَخْتُمْ أَوْ لَيَأْتِيَتِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ٢١

قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وغيرهما عن ابن عباس وغيره : كان الهدهد مهندساً ، يدل سليمان - عليه السلام - على الماء ، إذا كان بأرض فلاة طلبه فنظر له الماء في تخوم الأرض ، كما يرى الإنسان الشيء الظاهر على وجه الأرض ، ويعرف كم مساحة بعده من وجه الأرض ، فإذا دلهم عليه أمر سليمان - عليه السلام - الجان فحفروا له ذلك المكان ، حتى يستتبوا ^(٦) الماء من قراره ، فنزل سليمان - عليه السلام - بفلة من الأرض ، فتفقد الطير ليرى الهدهد ، فلم يره ، فقال ما لي لا أرى الهدهد أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاسِدِينَ ^(٧) .

حدث يوماً عبد الله بن عباس بنحو هذا ، وفي القوم رجل من الخوارج ، يقال له : « نافع بن الأزرق » ، وكان كثير الاعتراض على ابن عباس ، فقال له : قف يا ابن ^(٨) عباس ، غلت اليوم ! قال : ولم ؟ قال : إنك تخبر عن الهدهد أنه يرى الماء في تخوم الأرض ، وإن الصبي ليضع له الحبة في الفخذ ويحيث على الفخذ تراها ، فيجيء الهدهد فياخذها ^(٩) فيقع في الفخذ ، فيصيده الصبي . فقال ابن عباس : لو لا أن يذهب هذا فيقول : ردت على ابن عباس ، لما أجبته . فقال له : ويحلك ! إنه إذا نزل القدر عمي البصر ، وذهب الحذر . فقال له نافع : والله لا أجادلك في شيء من القرآن أبداً ^(١) .

(٥) صحيح مسلم حديث (٤٤٢) .

(٦) رواه الحاكم في المستدرك (٤٥٠/٢) من طريق المنفال بن عمرو عن سعيد بن جبير بنحوه .

[١] - في م : « يستبط » .

[٢] - في ت : « ابن » .

[٣] - في ت : « ليأخذها » .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر^(٧) في ترجمة [أبي عبد الله البزري]^[١] - من أهل «بنزة» من غوطة^[٢] دمشق ، وكان من الصالحين بصوم الاثنين والخميس ، وكان أعزور قد بلغ الشهانين - فروى ابن عساكر بسنده إلى أبي سليمان بن زيد^[٣] : [أنه سأله]^[٤] عن سبب عزوره ، فامتنع عليه ، فألْجَعَ عليه شهراً ، فأخبره أن رجلين من أهل خراسان نزلوا عنده جمعة في قرية بربة ، وسألاه عن [واديهما]^[٥] ، فأرتبهما إياه ، فأخرجها مجامراً وأوددا فيها بخوراً كثيراً ، حتى عجج الوادي بالدخان ، فأخذنا يُغْرِمان والحيات تتقبل من كل مكان إليهما ، فلا يلتقطان إلى شيء منها^[٦] ، حتى أقبلت حية نحو الذراع ، وعيناها توقدان مثل الدينار ، فاستبشرَا بها عظيمًا ، وقالا : الحمد لله الذي لم يُخَيِّبْ سفرنا من سنة ، وكسرنا الجامر ، وأخذنا الحياة فأدخلنا في عينها ميلًا فاكتحلا به ، فسألتهما أن يكحلاني ، فأليا ، فألححت عليهما وقتلت : لابد من ذلك ، وتوعذتهما بالدولة ، فكحالا عيني الواحدة اليمنى ، فحين وقع في عيني نظرت إلى الأرض تحتى مثل المرأة ، أنظر ما تحتها كما ثوري^[٧] المرأة ، ثم قالا لي : سر معنا قليلاً ، فسرت معهما وهما^[٨] يحدثناني ، حتى إذا^[٩] بدت عن القرية ، أخذاني فكتفاني ، وأدخلني أحدهما يده في عيني ففقأها ، ورمي بها ومضيا ، فلم أزل كذلك ملقى مكتوفاً ، حتى مر بي نفر فَقَكَ وَثَاقَ . فهذا ما كان من خبر عيني .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صدقة بن عمرو الغساني ، حدثنا عبد بن ميسرة المنقري ، عن الحسن قال : اسم هدهد سليمان عليه السلام : عبر .

وقال محمد بن إسحاق : كان سليمان - عليه السلام - إذا غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه تفقد^[١٠] الطير ، وكان فيما يزعمون يأتيه ثوبٌ من كل صنف من الطير ، كل يوم طائر ، فنظر فرأى من أصناف الطير كلها من حضرة إلا الهدد ، فقال ما لي لا أرى الهدد أم كان من الغائبين^[٩] ، أخطأه بصري من الطير ، أم غاب فلم يحضر ؟

وقوله : **﴿لأُعَذِّبَنِي عَذَابًا شَدِيدًا﴾** قال الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد ، عن

(٧) تاريخ دمشق (١٣٠/١٩) «المخطوط» .

[١] - في خ : «عبد الله أبي البزري» وهو خطأ من الناسخ .

[٢] - في خ ، ز : «حولط» .

[٣] - في خ ، ز : «زيد» .

[٤] - ما بين المukoتفين سقط من : ز .

[٥] - ما بين المukoتفين في ت : «واد بها» .

[٦] - في ز : «هم» .

[٧] - في ت : «تربي» .

[٨] - في ز : «هم» .

[٩] - في ز : «تفتقد» .

[١٠] - سقط من : خ ، ز .

ابن عباس^[١] : يعني نتف ريشه .

وقال عبد الله بن شداد : نتف ريشه وتشميسه . وكذا قال غير واحد من السلف : إنه نتف ريشه ، وتركه ملئني يأكله الذر والنمل .

وقوله : ﴿أَوْ لَاذْبِحْنَه﴾ يعني : قتله ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانِ مِيْن﴾ أي : بعدر واضح بين .

[قال^[٢] سفيان بن عيينة ، وعبد الله بن شداد : لما قدم الهدى قال له الطير : ما خلفك ، فقد نذر سليمان دمك ! فقال : هل استثنى ؟ فقالوا : نعم . قال : ﴿لَا عَذَبْنِي عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَاذْبِحْنَه أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانِ مِيْن﴾ ، فقال : نجوت إذا .

قال مجاهد : إنما دفع عنه بيره بأمه .

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَاطْتُ بِمَا لَمْ تُحَطْ بِهِ وَجَنَّتُكَ مِنْ سَيِّئَاتِ بَنَائِكَ
 إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوْتِتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ
 وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّنَسِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَبِّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
 أَعْنَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٦﴾ أَلَا سَاجِدُوا لِلَّهِ الَّذِي
 يُنْزِحُ الْخَبَثَةَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تَخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٧﴾ اللَّهُ لَا
 إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى : ﴿فَمَكَثَ﴾ الهدى ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي : غاب زماناً يسيراً ، ثم جاء فقال سليمان : ﴿أَحَاطْتُ بِمَا لَمْ تُحَطْ بِهِ﴾ ، أي : اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك ، ﴿وَجَنَّتُكَ مِنْ سَيِّئَاتِ بَنَائِكَ﴾ ، أي : بخبر صدق حق يقين ، وسبأ : هم حمير ، وهم ملوك اليمن .

ثم قال : ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ ، قال الحسن البصري : وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبا .

وقال قتادة : كانت أمها جنية ، وكان مؤخر قد미ها مثل حافر الدابة ، من بيت ملكة . وقال زهير بن محمد : هي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان ، وأمها فارعة الجنية .

[٢] - في ت : « عياش » .

[١] - في ت : « عياش » .

وقال ابن جريج : بلقيس بنت ذي شرخ ، وأمها بلقة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا مسند ، حدثنا سفيان - يعني ابن عبيدة - عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : [كان مع [١] صاحبة سليمان ألف قيل ، تحت كل قيل مائة ألف .]

وقال الأعمش ، عن مجاهد : كان تحت يدي ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل ، تحت كل قيل : مائة ألف مقاتل .

وقال عبد الرزاق : أرباً معمراً ، عن قتادة ، في قوله : ﴿إِلَيْ وَجَدَتْ اُمَّةً غَلَّكُهُم﴾ ، كانت من بيت ملكة ، وكان أولو مشورتها ثلاثة وألف [٢] عشر رجلاً ، كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل . وكانت بأرض يقال لها : مأرب ، على ثلاثة أميال من صنعاء . وهذا القول هو أقرب على أنه كثير على مملكة [٣] اليمن ، والله أعلم .

وقوله : ﴿وَأُوتِيتِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ، أي : من متع الدنيا ما يحتاج إليه الملك المتمكن ، ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ ، يعني : سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب ، وأنواع الجواهر واللآلئ .

قال زهير بن محمد : كان من ذهب صفحاته مرملة [٤] بالياقوت والزيرجد [طوله ثمانون ذراعاً ، وعرضه أربعون ذراعاً .]

وقال محمد بن إسحاق : كان من ذهب مفصص بالياقوت والزيرجد [٥] واللؤلؤ ، وكان إنما يخدمها [٦] النساء ، لها ستمائة امرأة [تليها للخدمة] [٧] .

قال علماء التاريخ : وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم ، كان فيه ثلاثة وستون طاقة من شرقه ومثلها من غربه ، قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة ، وتغرب من مقابلتها ، فيسجدون لها صباحاً ومساء ، ولهذا قال : ﴿وَجَدَتْهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي : عن طريق الحق ، ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ .

وقوله : ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ . [معناه : ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ .]

[١] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ت : « ملكته » .

[٣] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ت : « تلي الخدمة » .

[٥] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٦] - في ت : « يحدثها » .

[٧] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

السبيل ، فهم لا يهتدون * أَلَا يسجدوا لِللهِ [١] أي : لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من شيء من الكواكب وغيرها ، كما قال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمْرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمْرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانَكُمْ [٢]﴾ ، وقرأ بعض القراء (ألا يا اسجدوا لله) [٣] جعلها : « ألا الاستفتاحية ، و « يا » النداء [٤] ، وحذف المنادى ، تقديره عنده : « ألا يا قوم ، اسجدوا لله » .

وقوله : ﴿الَّذِي يَخْرُجُ الْخَبَءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ [٥]﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يعلم كل خبيثة في السماء والأرض . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، وغير واحد .

وقال سعيد بن المسيب : الخباء : الماء . وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : خباء السموات والأرض : ما جعل فيها من الأزق ؛ المطر من السماء ، والنبات من الأرض . وهذا مناسب من كلام الهدهد ، الذي جعل الله فيه من الخاصية ما ذكره ابن عباس وغيره ، من [٦] أنه يرى الماء يجري في تخوم الأرض وداخلها .

وقوله : ﴿وَيَعْلَمُ [٧] مَا تَخْفُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ [٨]﴾ أي : يعلم ما يخفيه العباد ، وما يعلمهونه من الأقوال والأفعال ؛ وهذا كقوله تعالى : ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسْرَ القَوْلُ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٌ بِاللَّيلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ [٩]﴾ .

وقوله : ﴿الَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعِرْشِ الْعَظِيمِ [١٠]﴾ أي : هو المدعى الله ، وهو الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم ، الذي ليس في المخلوقات أعظم منه .

ولما كان الهدهد داعيا إلى الخير ، وعبادة الله وحده والسجود له ، نهي عن قتله ، كما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن قتل أربع من الدواب : النملة ، والنحلة ، والهدود ، والصُّرُد . وإسناده صحيح [١١] .

(٨) لم يروه من حديث أبي هريرة إلا ابن ماجة حديث (٣٢٢٣) بلفظ : « نهى رسول الله - صلى

[١] - ما بين المكوفين سقط من : خ ، ز .

[٢] قال ابن مجاهد : كُلُّهُمْ شَدَّدُ الْلَّامَ فِي : ﴿أَلَا يَسْجُدُوا [١]﴾ غَيْرَ الْكَسَائِيِّ فَإِنَّهُ خَفَقَهَا وَلَمْ يَجْعَلْ فِيهَا « أَنْ » ، ووقف : ﴿أَلَا يَا [٢]﴾ ثُمَّ ابْتَدَأَ ﴿اسْجُدُوا [٣]﴾ كِتَابُ السَّبْعَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ لِابْنِ مجاهد (ص ٤٨٠) .

[٣] - في ز ، خ : « للنداء » .

[٤] - في ز ، خ : « ما يخفون وما يعلمنون » . وهي قراءة الجمهور . وأثبتنا قراءة حفص عن عاصم ، وهي قراءة الكسائي أيضاً . انظر السبعة (ص ٤٨٠) .

﴿ قَالَ سَنَظُرُ أَصَدَقَتْ أَمْ كُنْتَ بِنَ الْكَاذِبِينَ ٢٧ ﴾ أَذْهَبْ يِكْتَبِي هَذَا
 فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ٢٨ ﴾ قَالَتْ يَكْتَبُهَا الْمَلَائِكَةِ إِلَيْهِ
 كِتَبْ كَرِيمٌ ٢٩ ﴾ إِنَّمَا مِنْ شَيْءَنِي وَإِنَّمَا يُسَمِّي اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ٣٠ ﴾ أَلَا تَعْلَمُ
 عَلَىٰ وَأَنْوَفِ مُسْلِمِينَ ٣١ ﴾

يخبر تعالى عن قيل سليمان - عليه السلام - للهدى حين أخبره عن أهل^[١] سبط وملكتهم : ﴿ قال ستنظر أصدق أم كنت من الكاذبين ﴾ ، أي : أصدق في إخبارك هذا ، ﴿ أم كنت من الكاذبين ﴾ في مقالتك ، فتخلاص من الوعيد الذي أوعدتك ﴿ أذهب بكتابي هذا فألقها إليهم ثم تول عنهم فالنظر ماذا يرجعون ﴾ ، وذلك أن سليمان - عليه السلام - كتب كتابا إلى بلقيس وقومها ، وأعطاه لذلك الهدى فحمله - قيل : في جناحه كما هو عادة الطير ، وقيل : بمنقاره - وذهب إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس ، إلى الخلوة التي كانت تخلي فيها بنفسها ، فألقاه إليها من كُوئٍ هنالك بين يديها ، ثم تولى ناحية أدباً ورياسة ، فتحيرث مما رأى ، وهالها ذلك ، ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته ، ففتحت ختمه وقرأه ، فإذا فيه : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سَلِيمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُ عَلَيِّ وَأَنْوَفِ مُسْلِمِينَ ﴾ فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبار دولتها وملكتها ، ثم قالت لهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُلُوْكُ ٤٠ ﴾ أَلْقِي إِلَيَّ كِتَابَ كَرِيمٍ ﴾ ، تعني بكرمه ما رأته من عجيب أمره ، كون طائر أتى به فألقاه إليها ، ثم تولى عنها أدباً . وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك ، ولا سبيل لهم إلى ذلك ، ثم قرأه عليهم ، ﴿ إِنَّهُ مِنْ سَلِيمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُ عَلَيِّ وَأَنْوَفِ مُسْلِمِينَ ﴾ ؛ فعرفوا أنه من نبي الله سليمان ، وأنه لا يقتل لهم به ، وهذا الكتاب في غاية البلاغة والوحارة والفصاحة ، فإنه حصل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها ، قال العلماء : ولم يكتب أحد ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ قبل سليمان عليه السلام .

وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثا في تفسيره ، حيث قال : حدثنا أبي ، حدثنا هارون ابن الفضل أبو يعلى الحناط^[٢] ، حدثنا أبو يوسف ، عن سلمة بن صالح ، [عن عبد الكريم]^[٤] أبي أمية عن ابن^[٥] بريدة ، عن أبيه قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

= الله عليه وسلم - عن قتل الصرد والضندع والنملة والهدى . وهو بهذا اللفظ من حديث ابن عباس في مسنـد الإمام أـحمد (٣٣٢/١) وـسنـ أـبي داود حـديث (٥٢٦٧) وـسنـ أـبن ماجـة حـديث (٣٢٢٤) .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « إـنـه ». .

[٣] - في ز ، خ : « الخياط ». .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

فقال : « إِنِّي أَعْلَمُ آيَةً [١] لَمْ تَنْزِلْ [٢] عَلَى نَبِيٍّ قَبْلِي بَعْدَ سَلِيمَانَ بْنَ دَاوُدَ ». قال : قلت : يا رسول الله ، أَيْ آيَةٌ ؟ قال : « سَأَعْلَمُكُمْهَا [٣] قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ». قال : فَانْتَهَى إِلَى الْبَابِ ، فَأَخْرَجَ إِحْدَى قَدْمَيهِ ، فَقَالَتْ نَسِيٌّ ، ثُمَّ التَّفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ [٤] : « إِنَّهُ مِنْ سَلِيمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » [٥]. هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.

وقال ميمون بن مهران : كان رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم یکتب : بِاسْمِ اللَّهِ، الرَّحْمَنِ، الرَّحِيمِ . حتى نزلت هذه الآية ، فکتب : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [٦].

وقوله : ﴿أَلَا تَعْلَمُوا عَلَيِ﴾ ، يقول قتادة : لا تَجْبِرُوا عَلَيِ [٧] ، وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : لا تَمْتَعُوا وَلَا تَتَكَبَّرُوا عَلَيَّ [٨] وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ [٩] قال ابن عباس : موحدين . وقال غيره : مخلصين . وقال سفيان بن عيينة : طائعين .

قَالَتْ يَكِيَّاهَا الْمَلَائِكَةُ أَفَتُوْنِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْ حَتَّى تَشَهَّدُونَ [١٠] قَالُوا

نَحْنُ أُولُوا الْقُوَّةِ وَأُولُوا بَأْيِنْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانظُرْنِي مَاذَا تَأْمُرُنِي [١١] قَالَتْ إِنَّ

الْمَلْوَكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْبَكَ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلَهَا أَذْلَّهُ وَكَذَّالِكَ يَفْعَلُونَ

﴿ وَلَئِنْ مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّتِهِ فَنَاطِرَةٌ بِمَرْجِعِ الْمَرْسُلِينَ [١٢] ﴾

لما قرأت عليهم كتاب سليمان استشارتهم في أمرها ، وما قد نزل بها ؛ ولهذا قالت : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ أَفَتُوْنِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْ حَتَّى تَشَهَّدُونَ [١٣] ﴾ أي : حتى تخضرون وتشيرون . ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُوا الْقُوَّةِ وَأُولُوا بَأْيِنْ شَدِيدٍ [١٤] ﴾ أي : مَتُّوا [١٥] إِلَيْهَا بعدهم وغَدَدُهُمْ وقوتهم ، ثم فوضوا إليها بعد ذلك الأمر فقالوا : ﴿ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانظُرْنِي مَاذَا تَأْمُرُنِي [١٦] ﴾ أي : نحن ليس لنا عاقة ، [١٧] ولا بنا بأس . إن شئت أن تقصديه وتحاربه ، فما لنا عاقة [١٧] عنه ، وبعد هذا فالأمر إليك ، مري فيما يرأيك نمشله ونطعنه [١٨] .

قال الحسن البصري - رحمه الله - : فوضوا أمرهم إلى علّجية [١٩] يضطرب ثدياها ، فلما قالوا لها ما قالوا ، كانت هي أحرّم رأيا منهم ، وأعلم بأمر سليمان ، وأنه لا قبل لها بجنوده

(٩) ورواه أبو نعيم في تاريخ أصفهان (١٨٧/٢) من طريق الحسين بن حفص عن أبي يوسف به .

[١] - في خ ، ز : « أَنْهُ » .

[٢] - في ز : « مَا عَلِمْكُمْهَا » .

[٣] - في ت : « وَقَالَ » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ت : « مَتُّوا » .

[٦] - ما بين المukoتين سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز ، خ : « نَطِيعَهُ » .

[٨] - العلّج : الرجل من كُفَّار العجم .

[٩] - العلّج : الرجل من كُفَّار العجم .

وجيشه ، وما شُخِّرَ له من الجن والانسان والطير ، وقد شاهدت من قضية الكتاب مع الهدى
أمراً عجيبة بديعاً ، فقالت لهم : إني أخشى أن نحاربه ونختنع عليه ، فيقصدنا بجنوده ، وبهم لكتا
بن معه ، ويخلص إلى وإليكم الهلاك والدمار دون غيرنا ؛ ولهذا قالت : ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا
دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ .

قال ابن عباس : أي : إذا دخلوا بلدًا عنوة أفسدوه ، أي : خربوه ، ﴿وَجَعَلُوا أَعْزَةَ
أَهْلَهَا﴾ [١] أَذْلَهُ ، أي : وقصدوا من فيها من الولاة والجنود ، فأهانوهم غاية الهوان ، إما بالقتل
أو بالأسر .

قال ابن عباس : قالت بلقيس : ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْزَةَ أَهْلَهَا
أَذْلَهُ﴾ ، قال رب عز وجل : ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ .

ثم عدلت إلى المهادنة والمصالحة والمسالمة والمخداعة والمصانعة ، فقالت : ﴿وَإِلَيْهِمْ
بِهِدْيَةٍ فَنَاظَرَهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي : سأبعث إليهم بهدية تلبيق به ، وأنظر ماذا يكون جوابه
بعد ذلك ، فعلمه يقبل ذلك ويكتف عننا ، أو يضرب علينا خراجاً نحمله إليه في كل عام ،
ونلتزم له بذلك ويترك [٢] قاتلنا ومحاربتنا . قال قنادة : رحمة الله ورضي عنها ، ما كان أعقابها
في إسلامها وفي شركها ! ! علمت أن الهداية تقع موقعاً من الناس .

[٣] قال ابن عباس وغير واحد : قالت لقومها : إن قَبْلَ الْهَدَايَا فَهُوَ مَلْكُ فَقَاتُوهُ ، وَلَمْ
يَقْبَلُهَا فَهُوَ نَبِيٌّ فَاتَّبَعُوهُ .

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتَيْمُدُونَنِي بِمَا فَمَّا عَاتَنِنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّنْ مَا عَاتَنَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ
بِهِدْيَتِكُمْ نَفَرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْنِيَنَهُمْ بِمَحْنُودٍ لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَا خَرَجُوهُمْ مِّنْهَا
أَذْلَهُ وَهُمْ صَغِيرُونَ ﴿٣٧﴾

ذكر غير واحد من المفسرين ، من السلف وغيرهم : أنها بعثت إليه بهدية عظيمة من ذهب
وجواهر ولآلئء وغير ذلك . وقال بعضهم : أرسلت إليه بلبة من ذهب ، وال الصحيح أنها أرسلت
إليه [٤] بآنية من ذهب . قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وغيرهما : وأرسلت جواري في زي
الغلمان ، وغلمان في زي الجواري ، وقالت : إن عرف هؤلاء من هؤلاء فهونبي . قالوا :
فأمرهم - عليه السلام - أن يتوضأوا ، فجعلت الجارية تفرغ على يدها من الماء ، وجعل الغلام
يغترف ، فميزهم بذلك .

[٢] - في ز ، خ : « ترك » .

[٤] - سقط من : ت .

[١] - في ز : « أهله » .

[٣] - في ت : « قال » .

وقيل : بل جعلت الجارية تغسل باطن زندها قبل ظاهره ، والغلام بالعكس .

وقيل : بل جعلت الجواري يغسلن من أكفهن إلى مراقيهن ، والغلمان من مراقيهم إلى أكفهن . ولا منافاة بين ذلك كله ، والله أعلم .

وذكر بعضهم : أنها أرسلت إليه بقدح ليملأه ماء رواء^[١] ، لا من السماء ولا من الأرض ، فأجرى الحيل حتى عرقت ، ثم ملأه من ذلك . وبخرزة وسلك فيجعله^[٢] فيها ، ففعل ذلك . والله أعلم أكان ذلك أم لا ، وأكثره مأخذ من الإسرائييليات ، والظاهر أن سليمان - عليه السلام - لم ينظر إلى ما جاءوا به بالكلية ، ولا اعتنى به ، بل أعرض عنه ، وقال منكراً عليهم : ﴿أَقْدَوْنَا بِمَا أَتَاكُمْ﴾ أي : أتصانعونني بما لأترككم على شرككم وملكتكم ؟ ! ﴿فَمَا أَتَالِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مَا أَتَاكُمْ﴾ أي : الذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود - خيرٌ مما أنتم فيه ، ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهِدِيتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ ، أي : أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف ، وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف .

قال الأعمش ، عن المنھال بن عمرو ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، -رضی الله عنه- : أمر سليمان الشياطین فموهوا له ألف قصر من ذهب وفضة . فلما رأت رسالتها ذلك قالوا : ما يصنع هذا بهديتنا وفي هذا دلالة على [جواز تهیؤ^[٣] الملوك وإظهارهم الزينة للرسل والقصد .

﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ أي : بهديتهم ، ﴿فَلَنَأْتِسْهُمْ بِجُنُودٍ لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا﴾ ، أي : لا طاقة لهم بقتالهم ، ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾ ، أي : من بلدكم ﴿أَذْلَلَ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ، أي : مهانون مدحرون .

فلما رجعت إليها رسالتها بهديتها ، وبما قال سليمان ، سمعت وأطاعت هي وقومها ، وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة ، معضمة سليمان ، ناوية متابعته في الإسلام ، ولما تحقق سليمان - عليه السلام - قدوتهم عليه ، ووفدهم إليه ، فرح بذلك وسره .

قَالَ يَتَأْمِيَ الْمَلَوْأُ أَيْكُمْ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُنِي مُسْلِمِيْكَ ﴿٢٨﴾ قَالَ عَفْرَوْتُ مِنْ أَلْحَنْ أَنَا مَإِنِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوْيٌ أَمِينٌ ﴿٢٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدُمْ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَبِ أَنَا مَإِنِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلَيْكَ طَرْفَكَ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًا

[١] - في ز ، خ : « دواء » .

[٢] - في ت : « ليجعله » .

[٣] - في ز ، خ : « نهي جواز » .

عِنْدَمْ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَلْوُفَنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيمٌ كَرِيمٌ

قال محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، قال : فلما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان قالت : قد ، والله ، عرفت ما هذا بملك ، وما لنا به من طاقة ، وما نصنع بملكه^[١] شيئاً . وبعثت إليه : إني قادمة عليك^[٢] بملوك قومي ، لأنظر ما أمرك وما تدعونا إليك من دينك . ثم أمرت بسرير ملكها الذي كانت تجلس عليه - وكان من ذهب مقصص بالياقوت والبرجد واللؤلؤ - فجعل^[٣] في سبعة أيام ، بعضها في بعض ، ثم أقفلت عليه الأبواب ، ثم قالت لمن خلفت^[٤] على سلطانها ، احتفظ بما قبلك وسرير ملكي ، فلا يخلص إليه أحد من عباد الله ، ولا يزكيه أحد^[٥] حتى آتيك . ثم شحصت إلى سليمان في أثني عشر ألفاً^[٦] قبيل من ملوك اليمن ، تحت يدي كل قيل منهم ألف كثيرة . فجعل سليمان يبعث الجن يأتونه بمسيرها ومتتهاها كل يوم وليلة ، حتى إذا ذلت جمع من عنده من الجن والإنس ، من تحت يديه ، فقال : « يا أيها الملا أياكم يأتيوني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين » .

وقال قادة : لما^[٧] بلغ سليمان أنها جائحة ، وكان قد ذكر له عرشها فأعجبه ، وكان من ذهب ، وقوائمه لؤلؤ وجواهر ، وكان مستراً بالدياج والحرير ، وكانت عليه تسعه مغاليق ، فكره أن يأخذه بعد إسلامهم . وقد علم النبي الله أنهم متى أسلموا تحرم أموالهم مع دمائهم فقال : « يا أيها الملا أياكم يأتيوني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين » .

وهكذا قال عطاء الخراصاني ، والسدي ، ورثهير بن محمد : « قبل أن يأتوني مسلمين » ، فتحرم على أموالهم بإسلامهم .

« قال عفريت من الجن » ، قال مجاهد : أي مارد من الجن . قال شعيب الجياني : وكان اسمه كوزن . وكذا قال محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، وكذا قال أيضاً وهب بن منه . قال أبو صالح : وكان كأنه جبل .

« أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » ، قال ابن عباس : يعني قبل أن تقوم من مجلسك . وقال مجاهد : متعدك . وقال السدي وغيره : كان يجلس للناس للقضاء

[١] - في ت : « بملكاته » .

[٢] - ما بين المعروفين في ز ، خ : « قادمة » . [٣] - في ز ، خ : « يجعل » .

[٤] - في خ : « خالفت » . [٥] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - سقط من : خ ، ز . [٦] - سقط من : خ ، ز .

والحكومات ، وللطعام من أول النهار إلى أن تزول الشمس .

﴿ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقُوِيُّ أَمِينٌ ﴾ قال ابن عباس : أي قوي على حمله أمين على ما فيه من الجوهر .

فقال سليمان عليه السلام : أريد أجعل من ذلك . ومن هاهنا يظهر أن النبي سليمان أراد بإحضار هذا السرير إظهار عظمة ما وله تعالى له [١] من الملك ، وسخر له من الجنود ، الذي لم يُفْطِه أحد من [٢] قبله ، ولا يكون لأحد من بعده ، ولি�تخد ذلك حجة على نبوته عند بلقيس وقومها ؛ لأن هذا خارق عظيم أن يأتي بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه . هذا وقد حجته بالأغلاق والأفقال والخلفة [٣] . فلما قال سليمان [٤] : أريد أجعل من ذلك ، قال الذي عنده علم من الكتاب [٥] ، قال ابن عباس : وهو أصف كاتب سليمان . وكذا روى محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان : أنه أصف بن برخاء ، وكان صديقاً يعلم الأعظم .

وقال قنادة : كان مؤمناً من الإنس ، واسمها آصف . وكذا قال أبو صالح ، والضحاك ، وقنادة : إنه كان من الإنس . زاد قنادة : من بني إسرائيل .

وقال مجاهد : كان اسمه أسطوم . وقال قنادة - في رواية عنه : كان اسمه بليخا .

وقال زهير بن محمد : هو رجل من الإنس يقال له : ذو التور .

وزعم عبد الله بن لهيعة أنه الخضر ، وهو غريب جداً .

وقوله : ﴿ أَلَا آتَيْكَ بَهْ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلَيْكَ طَرْفَكَ ﴾ أي : ارفع بصرك وانظر مَذْ بصرك مما تقدر عليه ، فإنك لا يكل بصرك إلا وهو حاضر عندك .

وقال وهب بن منبه : امدد بصرك فلا يبلغ مداه حتى آتاك به .

فذكرى أن أمره أن ينظر نحو اليمن التي فيها هذا العرش المطلوب ، ثم قام فتوضاً ، ودعا الله - عز وجل .

قال مجاهد : قال [٦] : يا ذا الجلال والإكرام . وقال الزهري : قال [٧] : يا إلهنا وإله كل شيء ، إلهنا واحداً ، لا إله إلا أنت ، ائتي بعرشها . قال : فتمثيل [٨] له بين يديه .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في خ ، ز : « والحفظ » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « تمثيل » .

[٧] - في ز ، خ : « تمثيل » .

قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن إسحاق ، وزهير بن محمد ، وغيرهم : لما دعا الله عز وجل ، وسأله أن يأتيه بعرش بلقيس - وكان في اليمن ، وسليمان عليه السلام بيت المقدس - غاب السرير ، وغاص في الأرض ، ثم نبع من بين يدي سليمان عليه السلام .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، لم يشعر سليمان إلا وعرشها يحمل بين يديه . قال : وكان هذا الذي جاء به من عباد البحر ، فلما عاين سليمان ملأه ذلك ، ورأه مستقراً عنده ، ﴿ قال هذا من فضل ربي ﴾ ، أي : هذا من نعم الله عليّ ، ﴿ ليبلولي ﴾ ، أي : ليختبرني ﴿ الشكر أَمْ أَكْفَرْ وَمِنْ شَكْرِ فَلَمَا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ ﴾ ، كقوله : ﴿ مِنْ عَمَلٍ صَالِحاً لِنَفْسِهِ وَمِنْ أَسَاءَ فَعْلَيْهِ ﴾ وقوله : ﴿ وَمِنْ عَمَلٍ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِمْ يَمْهُدُونَ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَمِنْ كُفَّارَ فَلَمَّا رَبِّيْ غَنِيْ كَرِيمٌ ﴾ ، أي : هو غني عن العباد وعبادتهم ، ﴿ كَرِيمٌ ﴾ ، أي : كريم في نفسه ، وإن لم يبعده أحد ، فإن عظمته ليست مفتقرة إلى أحد ، وهذا كما قال موسى : ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيْ حَمِيدٌ ﴾ .

وفي صحيح مسلم : « يقول الله تعالى : يا عبادي ، لو أن أولكم وأخركم ، والスكم وجنككم ، كانوا على أتقى قلب رجل منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي ، لو أن أولكم وأخركم ، والスكم وجنككم ، كانوا على أفجر قلب رجل منكم ، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، [ثم أوفيكم إياها] ^[١] ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » ^[٢] .

قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَظَرَ أَنْهِنَّدِيْ أَمْ تَكُونُ مِنَ الْأَذِنَّ لَا يَهْتَدُونَ ﴿١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ
قِيلَ أَهْنَكَذَا عَرْشَكَ قَالَتْ كَانَهُ هُوَ وَأُوْتِنَا الْعِلْمُ مِنْ قَبْلِهَا وَكَانَا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ وَصَدَّهَا
مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ كَفَّارِينَ ﴿٣﴾ قِيلَ لَهَا أَذْخُلِيَ الْصَّرْحَ
فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَثَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ
قَالَتْ رَبِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾

لما جيء سليمان - عليه السلام - بعرش بلقيس قبل قدومها ، أمر به أن يغير بعض صفاتها ، ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته ، هل تقدم على أنه عرشها أو أنه ليس به ، فقال :

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والأدب حديث (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر الغفارى ^{رض} .

[١] - ما بين المعرفتين سقط من : خ ، ز .

﴿ نَّكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظَرُ أَتَهُتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ .

[قال [١] ابن عباس : نوع عنه فصوصه ومرافقه . وقال مجاهد : أمر به غير ، ما كان أحمر يجعل أصفر ، وما كان أصفر يجعل أحمر ، وما كان أحضر يجعل أحمر ، غير كل شيء عن حاله . وقال عكرمة : [زادوا [٢] فيه ونقضوا .]

[وقال قتادة : جعل أسلفه أعلى ومقدمه مؤخره ، وزادوا فيه ونقضوا [٣] .]

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قَيْلَ أَهْكَدَا عَرْشَكَ ﴾ أي : عرض عليها عرشها [٤] ، وقد غير وثك ، وزيد فيه ونقض منه [٥] ، فكان فيها ثبات وعقل ، ولها ثبات ودهاء وحزم ، فلم تقدم على أنه هو بعد مسافته عنها ، ولا أنه غيره ، لما رأت من آثاره وصفاته ، وإن غير بدل ونكر ، فقالت : ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ أي [٦] : يشبهه ويقاربه . وهذا غاية في الذكاء والحزم .

وقوله : ﴿ وَأَرْتَنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ قال مجاهد : سليمان يقوله .

وقوله : ﴿ وَصِدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونَ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمَ كَافِرِينَ ﴾ هذا من تمام كلام سليمان - عليه السلام - في قول مجاهد ، وسعيد بن جبير - رحمهما الله - أي : قال سليمان : ﴿ وَأَرْتَنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ ، وهي كانت قد صددها ، أي : منها من عبادة الله وحده ﴿ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونَ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمَ كَافِرِينَ ﴾ . وهذا الذي قاله مجاهد وسعيد - حسن ، وقاله ابن جرير أيضا .

ثم قال ابن جرير : ويحتمل أن يكون في قوله : ﴿ وَصِدَّهَا ﴾ ، ضمير يعود إلى سليمان ، أو إِلَى اللَّهِ عز وجل ، تقديره : ومنها ﴿ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونَ اللَّهِ ﴾ . أي : صددها عن عبادة [غير الله] [٨] ، ﴿ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمَ كَافِرِينَ ﴾ .

قلت : و يؤيد قول مجاهد : إنها إنما أظهرت الإسلام بعد دخولها إلى الصرح كما سيأتي .

وقوله : ﴿ قَيْلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لَجْةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيَهَا ﴾ ، وذلك أن سليمان - عليه السلام - أمر الشياطين فبنوا له قصوراً عظيمات من قوارير ، أي : من زجاج ، وأجرى تحته الماء ، فالذى لا يعرف أمره يحسب أنه ماء ، ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه ، واختلفوا في السبب الذي دعا سليمان - عليه السلام - إلى اتخاذه ، فقيل : إنه لما عزم على تزويجها واصطفاها لنفسه ، ذكر له جمالها وحسنها ، ولكن في ساقيها هُلُبٌ (*) عظيم ،

[١] - في ت : « وقال » .

[٢] - في ت : « وزادوا » .

[٣] - ما ينـ المعـكـوفـينـ سـقطـ منـ : زـ ، خـ .

[٤] - سـقطـ منـ : خـ ، زـ .

[٥] - سـقطـ منـ : خـ ، زـ .

[٦] - سـقطـ منـ : زـ ، خـ .

[٧] - ما ينـ المعـكـوفـينـ في زـ : « اللهـ غيرـ » .

(*) الهـلـبـ : ما غـلـظـ وـصـلـبـ منـ الشـعـرـ .

ومؤخر أقدمها كمؤخر الدابة ، فسأله ذلك ، فاتخذ هذا ليعلم صحته أم لا ؟ هذا قول محمد بن كعب القرظي وغيره . فلما دخلت وكشفت عن ساقيها ، رأى أحسن الناس وأحسنه قدماً ، ولكن رأى^[١] على رجليها شعراً^[٢] ، لأنها ملكة ليس لها بعل ، فأحب أن يذهب ذلك عنها ، فقيل لها : الموسى ؟ فقالت : لا أستطيع ذلك . وكره سليمان ذلك ، وقال للجن : اصنعوا شيئاً غير الموسى يذهب به هذا الشعر ، فصنعوا له التورّة . وكان أول من اتخذت له التورّة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، ومحمد بن كعب القرظي ، والسدسي ، وابن جريج ، وغيرهم .

و^[٣]قال محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان : ثم قال لها : ادخلني الصرح ، ليりها ملكاً هو أعز من ملوكها ، وسلطاناً هو أعظم من سلطانها . فلما رأته حسبه جلة وكشفت عن ساقيها ، لا تشک إلا أنه ماء تخوضه ، فقيل لها : إنه صرح مُزد من قوارير ، فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله ، وعاتبها في عبادتها [الشمس من]^[٤] دون الله .

وقال الحسن البصري : لما رأت العلجة الصرح عرفت - والله - أن قد رأت^[٥] ملكاً أعظم من ملوكها .

وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه قال : أمر سليمان بالصرح ، وقد عملته له الشياطين من زجاج ، كأنه الماء ياضاً . ثم أرسل الماء تخته ، ثم وضع له فيه سريره ، فجلس عليه ، وعكفت عليه الطير والجن والإنس ، ثم قال : ادخلني الصرح ، ليりها ملكاً هو أعز من ملوكها ، وسلطاناً هو أعظم من سلطانها ، فلما رأته حسبه جلة وكشفت عن ساقيها^{هـ} ، لا تشک أنه ماء تخوضه ، قيل لها : «إله صرح مُزد من قوارير» ، فلما وقفت على سليمان ، دعاها إلى عبادة الله عز وجل ، وعاتبها في عبادتها الشمس من دون الله ، فقالت بقول الزنادقة ، فوقع سليمان ساجداً^{اعظاماً} لما قالت ، وسجد معه الناس ، فسقط في يديها حين رأت سليمان صنع ما صنع ، فلما رفع [سليمان]^[٦] رأسه قال : ويحل^{كـ} أ ماذًا قلت ؟ - قال : وأنسيت ما قالت - فقالت^[٧] : «رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين^{هـ} ، فأسلمت وحسن إسلامها .

وقد روى الإمام أبو بكر بن أبي شيبة في هذا أثراً غريباً عن ابن عباس قال :

حدثنا الحسين بن علي ، عن زائدة ، حدثني عطاء بن السائب ، حدثنا مجاهد - ونحن في الأزد - قال : حدثنا ابن عباس ، قال : كان سليمان - عليه السلام - يجلس على سريره ، ثم

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعقوفين في خ ، ز : «الشيطان» .

[٤] - ما بين المعقوفين سقط من : ت .

[٥] - في خ ، ز : «أوبت» .

[٦] - سقط من : ز .

ثُوَضْعَ كِرَاسِيِّ حَوْلَهُ، فَيَجْلِسُ عَلَيْهَا الْإِنْسُ، ثُمَّ يَجْلِسُ الْجَنُّ، ثُمَّ الشَّيَاطِينُ، ثُمَّ تَأْتِي الرِّيحُ فَتُرْفَعُهُمْ، ثُمَّ تَظْلِمُهُمُ الطَّيْرُ، ثُمَّ يَغْدُونَ^[١] قَدْرَ مَا يَشْتَهِي الرَّاكِبُ، أَنْ يَنْزَلَ^[٢] شَهْرًا وَرَوَاحَهَا شَهْرًا، قَالَ: فَيَنِمَا هُوَ ذَاتٌ يَوْمَ فِي مَسِيرِهِ لَهُ، إِذَا تَفَقَّدَ الطَّيْرُ فَفَقَدَ^[٣] الْهَدَدُ فَقَالَ^[٤]: مَا لَيْ لَا أَرَى الْهَدَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنِهِ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأُذْبَحَنِهِ أَوْ لِيُأْتِيَنِي بِسَلَطَانٍ مُبِينٍ^[٥]، قَالَ: فَكَانَ عَذَابَهُ إِيَاهُ أَنْ يَنْتَفِهِ، ثُمَّ يَلْقِيهِ [بِالْأَرْضِ]^[٦]، فَلَا يَمْتَنَعُ مِنْ نَمَةٍ، وَلَا مِنْ شَيْءٍ مِنْ هَوْمِ الْأَرْضِ .

قال عطاء : وذكر سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثل حديث مجاهد . فمكث غير بعيد^[٧] فقرأ حتى انتهى إلى قوله : ﴿ سَنِتْرُ أَصْدَقْتُ أَمْ كَتْ مِنَ الْكَادِيْنَ * اذْهَبْ بِكَاتِيْ هَذَا^[٨] وَكَتْ : بِسْ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، إِلَى بَلْقِيسَ ، ﴿ أَلَا تَعْلَمُ عَلَيَّ وَاتَّوْنِي مُسْلِمِيْنَ^[٩] ، [فَلَمَّا أَلْقَى الْهَدَدُ الْكِتَابَ إِلَيْهَا ، أَلْقَى فِي رَوْعَهَا : إِنَّهُ كِتَابٌ كَرِيمٌ ، وَإِنَّهُ مِنْ سَلِيمَانَ ، وَأَنَّ لَا تَعْلَمُ عَلَيَّ وَاتَّوْنِي مُسْلِمِيْنَ . قَالُوا : نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ^[١٠] . قَالَتْ : إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ، وَلَيْ نَرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ . فَلَمَّا جَاءَتِ الْهَدِيَّةَ سَلِيمَانَ قَالَ : أَتَهْدُنِي بِمَالِ ، ارْجِعْ إِلَيْهِمْ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْغَبَارِ - أَخْبَرَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ : وَكَانَ ابْنُ سَلِيمَانَ وَبَنْ مَلْكَةً سَبِيلًا وَمَنْ مَعْهَا حِينَ نَظَرَ إِلَى الْغَبَارِ كَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْحَبِيرَةِ^[١١] ، قَالَ عَطَاءً : وَمَجَاهِدٌ حِينَذِ فِي الْأَزْدَ - قَالَ سَلِيمَانَ : أَيْكُمْ يَأْتِيَنِي بِعِرْشَهَا؟ قَالَ : وَبَنْ عِرْشَهَا وَبَنْ سَلِيمَانَ حِينَ نَظَرَ إِلَى الْغَبَارِ مَسِيرَةَ شَهْرَيْنَ ، ﴿ قَالَ عَفْرَوْتُ مِنَ الْجَنِّ أَنَا أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ^[١٢] ، قَالَ : وَكَانَ لِسَلِيمَانَ مَجْلِسٌ يَجْلِسُ فِيهِ النَّاسُ ، كَمَا يَجْلِسُ الْأَمْرَاءُ ثُمَّ يَقُومُ . قَالَ : ﴿ أَنَا أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ^[١٣] ، قَالَ سَلِيمَانَ : أَرِيدُ أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ . فَقَالَ الَّذِي عِنْهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ : أَنَا أَنْظَرُ فِي كِتَابِ رَبِّيِّ ، ثُمَّ أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يُرْتَدَ إِلَيْكَ طَرْفَكِ . [قَالَ : فَنَظَرَ إِلَيْهِ سَلِيمَانَ فَلَمَّا قَطَعَ كَلَامَهُ رَدَ سَلِيمَانَ بَصَرَهُ^[١٤] ، فَنَبَغَ عِرْشَهَا مِنْ تَحْتِ قَدْمِ سَلِيمَانَ ، مِنْ تَحْتِ كَرْسِيِّ كَانَ لِسَلِيمَانَ^[١٥] ، يَضُعُ عَلَيْهِ رِجْلَهُ ، ثُمَّ يَصْعُدُ إِلَى السَّرِيرِ . قَالَ : فَلَمَّا رَأَى سَلِيمَانَ عِرْشَهَا قَالَ : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّيِّ^[١٦] ، ﴿ قَالَ نَكْرُوا لَهَا عِرْشَهَا^[١٧] ، فَلَمَّا جَاءَتِ قَبْلَ لَهَا : أَهْكَذَا عِرْشَكِ؟ قَالَتْ : كَانَهُ هُوَ .

قال : فَسَأَلَهُ [حِينَ جَاءَهُ]^[١٨] عَنْ أَمْرِيْنِ : قَالَتْ لِسَلِيمَانَ : أَرِيدُ^[١٩] مَاءَ لِيْسَ مِنْ أَرْضِ وَلَا سَمَاءً - وَكَانَ سَلِيمَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ ، سَأَلَ الْإِنْسُ ثُمَّ الْجَنُّ ثُمَّ الشَّيَاطِينِ - فَقَالَتْ

[١] - فِي ز ، خ : « يَغْدِوا » .

[٢] - فِي ز ، خ : « يَتَرَكُ » .

[٣] - فِي ز ، خ : « يَفْقَدُ » .

[٤] - فِي ز ، خ : « قَالَ » .

[٥] - مَا بَيْنَ الْمَعْكُوفَيْنِ فِي تِ : « فِي الْأَرْضِ » .

[٦] - مَا بَيْنَ الْمَعْكُوفَيْنِ ضَبْبٌ عَلَيْهِ فِي زِ .

[٧] - فِي خ ، ز : « الْحَرَةِ » .

[٨] - مَا بَيْنَ الْمَعْكُوفَيْنِ سَقْطٌ مِنْ : خ ، زِ .

[٩] - فِي تِ : « سَلِيمَانِ » .

[١٠] - سَقْطٌ مِنْ : خ ، زِ .

[١١] - سَقْطٌ مِنْ : خ ، زِ .

الشياطين : هذا هين ، أُجْرَ الخيلَ ثُمَّ أَخْذَ عرقها ، ثُمَّ امْلأَ مِنْهُ الآية . قال : فَأَمْرَ بِالْخَيْلِ فَأَجْرَيْتَ ، ثُمَّ أَخْذَ عرقها فَمَلأَ مِنْهُ الآية .

قال : وَسَأَلَتْ عَنْ لَوْنِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَ - قَالَ : فَوْثَبَ سَلِيمَانُ عَنْ سَرِيرِهِ ، فَخَرَّ سَاجِدًا ، فَقَالَ : يَا رَبَّ ، لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ أَمْرٍ^[١] إِنَّهُ يَكْيَابِدُ^[٢] فِي قَلْبِي أَنْ أَذْكُرَهُ لَكَ . قَالَ : ارْجِعْ فَقْدَ كَفَيْتَكُمْ . قَالَ : فَرَجَعَ إِلَى سَرِيرِهِ فَقَالَ : مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ ؟ قَالَتْ : مَا سَأَلْتُكَ إِلَّا عَنِ الْمَاءِ . فَقَالَ لِجِنِّوْهُ : مَا سَأَلْتَنِي عَنِ الْمَاءِ ؟ فَقَالُوا : مَا سَأَلْتُكَ إِلَّا عَنِ الْمَاءِ . قَالَ : وَنَسْوُهُ كُلَّهُمْ .

قال : وَقَالَتِ الشَّيَاطِينُ لِسَلِيمَانَ : تُرِيدُ أَنْ تَتَخَذَنَا لِنَفْسِكَ ؟ فَإِنْ تَتَخَذَنَا لِنَفْسِهِ ثُمَّ وَلَدْ يَنْهَمَا وَلَدْ ، لَمْ تَنْفَكْ مِنْ عَبُودِيَّتِهِ . قَالَ : فَجَعَلُوكُمْ صَرَحًا مَرْدَانًا مِنْ قَوَارِيرِهِ ، فِيهِ السَّمَكُ . قَالَ : فَقَيْلَ لَهَا : ادْخُلِي الصَّرَحَ . فَلَمَّا رَأَهُ حَسَبَتْهُ لَجْةً ، وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيْهَا ، فَإِذَا هِيَ شَفَرَاءُ . فَقَالَ سَلِيمَانَ : هَذَا قَبِيحٌ ، مَا يَدْهَبُهُ ؟ فَقَالُوا : تَذَهَّبُ الْمَوَاسِيَ^[٣] . قَالَ : أَثْرُ الْمَوَاسِيَ^[٤] قَبِيحٌ ! قَالَ : فَجَعَلْتَ الشَّيَاطِينَ لِتُورَةَ . قَالَ : فَهُوَ أَوْلُ مَنْ تَجْعَلْتَ لَهُ التُّورَةَ .

ثم قال أبو بكر بن أبي شيبة : ما أحسنه من حديث !

قلت : بل^[٤] هو منكر غريب جدًا ، ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس ، والله أعلم . والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقة عن أهل الكتاب ، مما يوجد في صحفهم ، كروايات كعب ووهب - سامحهما الله تعالى - فيما نقلنا إلى هذه الأمة من أخباربني إسرائيل ، من الأوابد والغرائب والعجائب ، مما كان وما لم يكن ، وما حرف وبدل ونسخ . وقد أغنى^[٥] الله - سبحانه - عن ذلك بما هو أصح منه وأفع وأوضح وأبلغ ، والله الحمد والمنة .

أصل الصرح في كلام العرب : هو القصر ، وكل بناء مرتفع ، قال الله سبحانه وتعالى إخباراً عن فرعون - لعنه الله - أنه قال لوزيره هامان : ﴿أَبْنِ لَيْ صَرَحًا لَعَلَّي أَبْلَغُ الْأَسْبَابِ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعْتُ إِلَيْهِ مُوسَى﴾ الآية . والصرح : قصر في اليمن عالي البناء : والمفرد أي : المبني بناء محكمًا أملس ﴿مِنْ قَوَارِيرِ﴾ أي : زجاج . وتمريد البناء : تمليسه . ومارد : حصن بدومة الجندي .

والغرض أن سليمان - عليه السلام - اتخذ قصراً عظيماً منيفاً من زجاج لهذه الملكة ، ليりها

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعقوفين في ت : « أَيْ يَعْظَمُ ». وليست هذه العبارة من صلب الكتاب ، وإنما نقلت من هامش المخطوط .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في : « الموسى » .

[٥] - في ت : « أغنانا » .

عظمة سلطانه وتقنه ، فلما رأت ما آتاه الله - تعالى - وجلالة ما هو فيه ، وبصرت في أمره - انقادت لأمر الله ، وعرفت أنه نبي كريم ، وملك عظيم ، فأسلمت لله عز وجل ؛ وقالت : ﴿ رب ؛ إني ظلمت نفسي ﴾ أي : بما^[١] سلف من كفرها ، وشركها ، وعبادتها وقومها الشميين من دون الله ، ﴿ وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ ، أي : متابعة لدين سليمان في عبادته لله وحده ، لا شريك له ، الذي خلق كل شيء فقدرها تقديرًا .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَلَاحًا إِنَّ أَعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقًا
يَخْتَصِمُونَ ٤٥ قَالَ يَنْقُورُ لِمَ سَتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا
سَتَغْفِرُونَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٤٦ قَالُوا أَطَيَرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ
طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ٤٧

يخبر تعالى عن ثمود وما كان من أمرها مع نبيها صالح - عليه السلام - حين بعثه الله إليهم ، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ﴿ فَإِذَا هُمْ فِرِيقًا يَخْتَصِمُونَ ﴾ ، قال مجاهد : مؤمن وكافر ، كقوله تعالى : ﴿ قَالَ الْمُلَأُ[٢] الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا مِنْ أَمْنِهِمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِّنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسَلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالذِّي آتَيْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ .

﴿ قَالَ يَا قَوْمَ لَمْ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ ، أي : لم تدعون بحضور^[٣] العذاب ، ولا تطلبون من الله رحمته ! ولهذا قال : ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * قَالُوا أَطَيَرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ ﴾ ، أي : ما رأينا على وجهك ووجوه من اتبعك خيراً . وذلك أنهم - لشقاءهم - كان لا يصيب أحداً منهم سوء إلا قال : هذا من قيل صالح وأصحابه .

قال مجاهد : تشاءموا بهم . وهذا كما قال تعالى إنحصاراً عن قوم فرعون : ﴿ فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصْبِهِمْ سَيِّئَةٍ يَطْبَرُوا بِهَا وَمِنْ مَعِهِ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ تُصْبِهِمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنْ تُصْبِهِمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدَكُمْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ بَرٌّ وَّقَضَائِهِ . وَقَالَ مُخْبِرًا عَنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ إِذَا جَاءَهُمُ الْمُرْسَلُونَ : ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطْبِرُونَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَتَهَوَّ لِرَجْمِنَكُمْ وَلِيَمْسِكُنَّكُمْ مَنْ عِذَابُ أَلِيمٍ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ . وقال هؤلاء : ﴿ أَطَيَرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ، أي : الله^[٤] يجازيكم على ذلك ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ ، قال قنادة : تبتلون بالطاعة والمعصية .

[١] - في خ ، ز : « ما » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ ، ز : « بحضور » .

والظاهر أن المراد بقوله : ﴿ تفتقنون ﴾ أي : تستدرجون فيما أنتم فيه من الضلال .

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا
تَقَاسِمُوا بِاللَّهِ لَنْ يَسْتَأْنُمْ وَأَهْلَمُ نَمَّ لَنْ تَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا
لَصَدِيقُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَكَرُوا مَكَرًا وَمَكَرْنَا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عِاقْبَةُ مَكَرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ
فَتِلْكَ بِيُوْثَمْ خَاوِيَّةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
وَأَبْيَحْنَا لَذِينَ أَمْتَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُ ﴿٤٨﴾

يخبر تعالى عن طغاة ثمود ورؤوسهم ، الذين كانوا دعاة قومهم إلى الضلال والكفر وتکذيب صالح ، وأل بهم الحال إلى أنهم عقرروا الناقة ، وهموا بقتل صالح أيضا ، بأن بيته [١] في أهله ليلا فيقتلوه غيلة ، ثم يقولوا [٢] لأوليائه من أقربيه : إنهم ما علموا بشيء من أمره ، وإنهم لصادقون فيما أخبروه به ، من أنهم لم يشاهدو ذلك . فقال تعالى : ﴿ وَكَانَ فِي
الْمَدِينَةِ ﴾ ، أي : مدينة ثمود ﴿ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ ، أي : تسعه نفر ، ﴿ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ ، وإنما غالب هؤلاء على أمر ثمود ؛ لأنهم كانوا كبراء فيهم ورؤسائهم .

قال العوفي عن ابن عباس : هؤلاء هم الذين عقرروا الناقة ، أي : الذين صدر ذلك عن آرائهم ومشورتهم ، قبحهم الله ولعنهم ! وقد فعل ذلك .

وقال السدي ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس : كان أسماء هؤلاء التسعة : [دعمى ،
ودعيم [٣] ، وهرما [٤] ، وهريم ، وداب ، وصواب ، ورياب [٥] ، ومسطع ، وقدار [٦] ابن
سالف - عاقر الناقة - أي : الذي باشر ذلك بيده . قال الله تعالى : ﴿ فَنَادُوا صَاحِبِهِمْ
فَعَاطَنِي فَعَرَقَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِذَا بَعَثْتُ أَشْقَاهُمْ ﴾ .

وقال عبد الرزاق : أبناؤنا يحيى بن ربيعة الصناعي ، سمعت عطاء - هو ابن أبي رباح -
يقول : ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ ، قال : كانوا

[١] - في ز ، خ : « بيته » .

[٢] - ما بين المعقوتين في خ : « رعمى ، ورعيم » ، وفي ز : « ودعمى ووعيم » .

[٣] - في خ ، ز : « هرم » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز : « قداد » .

[٦] - في ز : « قداد » .

يفرضون الدرام (١١) .

يعني أنهم كانوا يأخذون منها [١] ، وكأنهم كانوا يتعاملون بها عدداً ، كما كان العرب يتعاملون .

و[٢] قال الإمام مالك : عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : قطع الذهب والورق من الفساد في الأرض (١٢) .

وفي الحديث الذي رواه أبو داود وغيره أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، نهى عن كسر سكّة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس (١٣) .

والغرض أن هؤلاء الكفارة الفسقة ، كان من صفاتهم الإفساد في الأرض بكل طريق يقدرون عليها ، فمنها ما ذكره هؤلاء الأئمة ، وغير ذلك .

وقوله : ﴿ قَالُوا تَقْسِمُوا بِاللَّهِ لَبِيْتَهُ وَأَهْلِهِ ﴾ أي : تحالفوا وتباغعوا على قتلنبي الله صالح - عليه السلام - من لقيه ليلاً غيلة ، فقادهم الله ، وجعل الدائرة عليهم .

قال مجاهد : ﴿ تَقْسِمُوا ﴾ [١] على هلاكه ، فلم يصلوا إليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين .

وقال قتادة : توافقوا على أن يأخذوه ليلاً فيقتلوه ، وذكر لنا أنهم بينما هم متّعانيق إلى صالح ليهتكوا به ، إذ بعث الله عليهم صخرة فأهملتهم .

وقال العوفي : عن ابن عباس : هم الذين عقروا الناقة قالوا حين عقوبها : ثبّت صالحًا وقومه فقتلهم ، ثم يقول لأولياء صالح : ما شهدنا من هذا شيئاً ، وما لنا به علم ؛ فدمّرهم الله أجمعين .

وقال محمد بن إسحاق : قال هؤلاء التسعة بعد ما عقروا الناقة : هلْمَ فلنقتل صالحًا ، فإن كان صادقاً عجلناه قبلنا ، وإن كان كاذباً كنا قد أحقناه بناقه ! فأنزله ليلاً ليهتكوا في أهله ، فدمّغتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أطبقوا على أصحابهم ، أتوا متّزلاً صالح ، فوجدوهم منشدين قد رضخوا بالحجارة ، فقالوا لصالح : أنت قاتلهم ؟ ثم هموا به ، فقامت عشيرته دونه ،

(١١) تفسير عبد الرزاق (٧٠/٢).

(١٢) الموطأ (٦٣٥/٢) (١٣٢٢).

(١٣) سنن أبي داود ، كتاب البيوع ، باب : كسر الدرام حديث (٣٤٤٩) . وأiben ماجه في التجارات (٢٢٦٣) .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

وليسوا السلاح ، وقالوا لهم : والله لا تقتلونهم ^[١] أبداً ، وقد وعدكم أن العذاب نازل بكم في ثلاثة ، فإن كان صادقاً فلا تريدوا ربكم عليكم غضباً ، وإن كان كاذباً فأنتم ^[٢] من وراء ما تریدون . فانصرفوا عنهم ليتهم تلك .

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : لما عقروا النافة وقال لهم صالح : ﴿ تَعْنِوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ ، قالوا : زعم صالح أنه يفرغ منها إلى ثلاثة أيام ، فتحنن نفرغ منه وأهله قبل ثلاثة . وكان لصالح مسجد في الجحر عند شعب هناك يصلى فيه ، فخرجوا إلى كهف - أي : غار - هناك ليلاً ، فقالوا : إذا جاء يصلى قتلناه ، ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله ، ففرغنا منهم ، فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم ، فخشوا أن تشدخهم فبادروا ^[٣] ، فانطبقت عليهم الصخرة وهم في ذلك الغار ، فلا يدرى قومهم أين هم ، ولا يدرؤن ما فعل بقومهم ، فعدب الله ^[٤] هؤلاء هاهنا ، وهؤلاء هاهنا ، وأنجى الله صالح ومن معه ، ثم قرأ : ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرُنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَانظُرْ كِيفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمْرَنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتَلَكَ بَيْوَتِهِمْ خَاوِيَّهُمْ ﴾ ، أي : فارغة ليس فيها أحد ﴿ بِمَا ظَلَمُوا إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَهْدِي لَقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْجَبَنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَقَوَّنُونَ ﴾ .

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُوكُمُ الْفَحْشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْسُكُمْ
لَتَأْتُوكُمْ أَرْجَالَ شَهْوَةٍ مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بِلَ أَنْتُمْ قَمَّ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا
كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا إِلَّا لُوطٌ مِنْ قَرِبَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ
يَنْظَهُرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَبَنَا هُنَّ أَهْلَهُمْ إِلَّا أَمْرَاتُهُمْ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْفَدِيرِينَ
وَأَنْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرًا فَسَاءَ مَطْرُ الْمُسْدَرِينَ ﴿٥٧﴾

يخبر تعالى عن عبده لوط - عليه السلام - : أنه أنذر قومه نعمة الله بهم ، في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم ، وهي اتياذ الذكور دون الإناث ، وذلك فاحشة عظيمة : استغنى ^[٥] الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء . قال : ﴿ أَتَأْتُوكُمُ الْفَحْشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ ، أي : يرى بعضكم بعضاً ، وتأتون في ناديككم المنكر ؟ ﴿ أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بِلَ أَنْتُمْ قَمَّ تَجْهَلُونَ ﴾ أي : لا تعرفون شيئاً لا طبعاً ولا شرعاً ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ

[١] - في ت : « تقتلوه » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « فانهم » .

[٣] - في ز ، خ : « فبادروا » .

[٥] - في ز ، خ : « استغلاً » . كذا .

أزواجهم بل أنتم قوم عادون ﴿٦٠﴾ .

﴿فَمَا كَانَ جُوَابُ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرَجُوا آلَ لُوطَ مِنْ قَرِيْتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَظَاهِرُونَ﴾ ، أي : يخرجون^[١] من فعل ما يفعلونه^[٢] ، ومن إقراركم على صنيعكم ، فآخر جوهم من بين أظهركم ، فإنهم لا يصلحون بجاورتكم في بلادكم ، فعزموا على ذلك ، فدمر الله عليهم وللمكافرين أمثالها ، قال الله تعالى : ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَأَهْلَهُمْ إِلَّا امْرَأَهُ قَدْرَنَا هُنَّا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ، أي : من الهالكين مع قومها ، لأنها كانت ردةً لهم على دينهم ، وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة ، فكانت تدل قومها على ضيقات لوط ، ليأتوا إليهم ، لا أنها كانت تفعل الفواحش تكرمة النبي الله - صلى الله عليه وسلم - لا كرامة لها^[٣] .

وقوله : ﴿وَمَأْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرًا﴾ ، أي : حجارة من سجيل منضود [مسومة عند ربك^[٤]] ، وما هي من الطالبين بعيد ؛ ولهذا قال : ﴿فَسَاءَ مَطْرُ الْمُذْرِينَ﴾ أي : الذين قاتلوا عليهم الحجة ، ووصل إليهم الإنذار ، فخالفوا الرسول وكذبوا ، وهو ما ياخراه من بينهم .

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلِّمْ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَنَّهُمْ خَيْرٌ أَمَّا يَشْرِكُونَ ٥٩
أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَآءَ فَإِنْتُمْ بِهِمْ
حَدَّاقُ ذَاتٍ بَهْجَةٌ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْسِتُوا شَجَرَهَا أَمَّا لَهُ مَعَ اللَّهِ بِلْ
هُمْ قَوْمٌ يَعْدُلُونَ ٦٠

يقول تعالى أمراً رسولاً - صلى الله عليه وسلم - أن يقول : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ، أي : على نعمه على عباده ، من النعم التي لا تعدد ولا تحصى ، وعلى ما تتصف به من الصفات الغلى والأسماء الحسنى ، وأن يسلم على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم ، وهم رسلاه وأنبأوه الكرام - عليهم من الله الصلاة والسلام - هكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيره : إن المراد بعباده الذين اصطفى : هم الأنبياء ، قال : وهو كقوله تعالى : ﴿سَبِّحْنَاهُ رَبَّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلِّمْ عَلَىٰ الرَّسُولِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقال التورى والسدي : هم أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - ورضي عنهم أجمعين : وروي نحوه عن ابن عباس .

[١] - في ز ، خ : « يخرجون » .

[٢] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « بها » .

ولا منافاة ، فإنهم إذا كانوا من [عباده]^[١] الذين اصطفى ، فالأنبياء بطريق الأولى والأخرى ، والقصد أن الله تعالى أمر رسوله ومن اتبعه بعد ما ذكر لهم ما فعل بأوليائه من النجاة والنصر والتأييد ، وما أحل بأعدائهم من الخزي والنکال والقهر - أن يحمدوه على جميل^[٢] أفعاله ، وأن يسلموا على عباده المصطفين الأخيار .

وقد قال أبو بكر البزار^[٤] : حدثنا محمد بن عمارة بن صبيح ، حدثنا طلق بن غنام ، حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدي - إن شاء الله - عن أبي مالك ، عن ابن عباس : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا ﴾^[٣] ، قال : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، اصطفاهم الله لنبيه رضي الله عنهم .

قوله : ﴿ أَلَّهُ خَيْرٌ أَمَا يَشْرِكُونَ ﴾ استفهام إنكار على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى ، ثم شرع [تعالى] يبيّن أنه المفرد^[٣] بالخلق والرزق والتدبير دون غيره ، فقال : ﴿ أَمْنَ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي : تلك السموات^[٤] بارتفاعها وصفاتها ، وما جعل فيها من الكواكب النيرة ، والنجوم الزاهرة ، والأفلاك الدائرة ، والأرض باستفالها وكثافتها ، وما جعل فيها من الجبال والأوديارات والسهول ، والفيافي والقفار ، والأشجار والزروع ، والشمار والبحور ، والحيوان على اختلاف الأصناف والأشكال والألوان وغير ذلك .

وقوله : ﴿ وَأَنْزَلْتُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ أي : جعله رزقا للعباد ، ﴿ فَأَنْبَتَنَا بِهِ حَدَائقَ ﴾ ، أي : بساتين ذات بهجة^[٥] ، أي : منظر حسن وشكل يهي^[٥] ، ﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَبْتَغُ شَجَرَهَا ﴾ ، أي : لم تكونوا تقدرون على إنبات شجرها ، وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق ، المستقل بذلك المفرد به دون ما سواه من الأصنام والآنداد ، كما يعترف به هؤلاء المشركون ، كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ وَلَنَ سَأْلُهُمْ مِنْ خَلْقِهِمْ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ﴿ وَلَنَ سَأْلُهُمْ مِنْ نَزْلِ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ أي : هم معتبرون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له ، ثم هم يبعدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق ، وإنما يستحق أن يفرد بالعبادة من هو المفرد بالخلق والرزق ؛ ولهذا قال : ﴿ أَلَّهُ مِنَ اللَّهِ ﴾ ، أي : أللله مع الله يعبد ؟ ! وقد تبين لكم ولكل ذي لب مما يعرفون به أيضا - أنه الخالق الرازق ؟

(٤) مسند البزار حديث (٢٢٤٣) « كشف الأستار » ، وقال الهيثمي في المجمع (٨٧/٧) : « وفي الحكم بن ظهير ، وهو متروك » .

[١] - ما بين المكرفون في ت : « عباد الله ». .

[٢] - في ت : « جميع ». .

[٣] - في ز ، خ : « يبيّن تعالى أنه المفرد ». .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في خ : « ». .

ومن المفسرين من يقول : معنى قوله : ﴿إِلَهٌ مُعَذِّبٌ إِلَهٌ مُنْهَى﴾ [١] فعل هذا !؟ وهو يرجع إلى معنى الأول ، لأن تقدير الجواب أنهم يقولون : ليس ثم أحد فعل هذا معه ، بل هو المنفرد به . فيقال : فكيف تبعدون معه غيره ، وهو المستقل المنفرد بالخلق والتدبير ؟ كما قال : ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمْنَ لَا يَخْلُقُ﴾ وقوله هاهنا : ﴿أَفَمَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ، ﴿أَمْن﴾ [٢] في هذه الآيات تقديره : أمن يفعل هذه الأشياء كمن لا يقدر على شيء منها ؟ هذا معنى السياق وإن لم يذكر الآخر ؛ لأن في قوة الكلام ما يرشد إلى ذلك ، وقد قال : ﴿إِلَهٌ خَيْرًا أَمَا يَشْرُكُونَ﴾ ثم قال في آخر الآية : ﴿بَلْ هُمْ يَعْدُلُونَ﴾ ، أي : يجعلون لله عدلاً ونظيراً ، وهكذا قال تعالى : ﴿أَمْنٌ هُوَ قَاتِلُ آنَاءِ اللَّيلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ ، أي : [أمن هو هكذا كمن ليس كذلك] [٤] ؟ ولهذا قال : ﴿قُلْ هُلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابُ﴾ ، ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوْلِي لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذَكْرِ اللَّهِ أَوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مِّبْيَنٍ﴾ ، وقال : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي : أمن هو شهيد على أفعال الخلق ، حرکاتهم وسكناتهم ، يعلم الغيب جليه وحقيره ، كمن هو لا يعلم ، ولا يسمع ، ولا يصر من هذه الأصنام التي عبدوها ؟ ولهذا قال : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قَلْ سَوْهُمْ﴾ ، وهكذا هذه الآيات الكريمات كلها .

أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَسِيَّ وَجَعَلَ
بَيْنَ الْبَخْرَتَيْنِ حَاجِزًا إِلَهٌ مَعَ إِلَهٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١١

يقول : ﴿أَفَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ أي : قارة ساكنة ثابتة ، لا تمد ولا تتحرك بأهلها ولا [٥] ترتفع بهم ، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة ، بل جعلها من فضله ورحمته مهاداً بساطاً ثابتة لا تنزلزل ولا تتحرك ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ .

﴿وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا﴾ ، أي : جعل فيها الأنهر العذبة الطيبة تشتها في خلالها ، وصرفها فيها ما بين أنهار كبار وصغر وبين ذلك ، وسيرها شرقاً وغرباً وجنوبياً وشمالياً ، بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم ، حيث ذرأهم من [٦] أرجاء الأرض ، سير إليهم [٧] أرزاقهم .

[١] - ما بين المكوففين سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « ليس هو هكذا كمن ليس كذلك » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ت : « في » .

[٦] - في ت : « لهم » .

بحسب ما يحتاجون إليه ، ﴿ وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي ۚ ۝ أَيْ : جِبَالًا شامخة ترسى الأرض وتبتها لثلا تميد بكم ، ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۚ ۝ أَيْ : جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزاً ، أي : مانعاً يمنعها من الاختلاط ، لثلا يفسد هذا بهذا ، وهذا بهذا ، فإن الحكمة الإلهية تقتضيبقاء كل منها على صفة المقصودة منه ، فإن البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس ، والمقصود منها أن تكون عذبة زللاً ت Quincy الحيوان والنبات والثمار منها ؛ والبحار المالحة هي الخليطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب ، والمقصود منها أن يكون ماؤها ملحاً أجاجاً ، لعلا يفسد الهواء بريحها ، كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ۚ ۝ إِذَا عَذَبَ فَرَاتَ وَهَذَا مَلْحُ أَجَاجَ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ۚ ۝ ۝ وَلَهُنَا قَالُوا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ اللَّهِ ۚ ۝ ۝ فَعَلَ هَذَا [١] وَبَعْدَ [١] ، هَذَا عَلَى الْقَوْلِ [٢] [٢] الْآخِرُ ، وَكَلَاهُمَا مَتْلَازِمٌ صَحِيحٌ . ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۚ ۝ ، أَيْ [٣] : فِي عِبَادِهِمْ غَيْرُهُ .

أَمَّنْ يَعِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ الْمُسْوَدَةَ وَيَجْعَلُ مِنْ خُلْفَةَ الْأَرْضِ

﴿ ٢٧ ﴾

ينبه تعالى أنه هو [٤] المدعى عند الشدائدين ، المرجو عن الدوازل ، كما قال : ﴿ إِذَا مَسَكَ الْضَّرَّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَيْاهُ ۚ ۝ ۝ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَكَ الْضَّرَّ فِي الْأَرْضِ تَجَأَرُونَ ۚ ۝ ۝ وَهُكُمَا قَالَ هَاهُنَا : ﴿ أَمَّنْ يَعِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ۚ ۝ أَيْ : من هو الذي لا يلتجأ المضطر إلا إليه ، والذي لا يكشف ضر المضروبين سواه .

قال الإمام أحمد [٥] : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا خالد الخناء ، عن أبي تميمة الهنجيمي ، عن رجل من بهجهيم ، قال : قلت : يا رسول الله ، إلام تدعوه ؟ قال : « أدعوا إلى الله وحده ، الذي إن مسكت ضر فدعوته كشف عنك ، والذي إن أضللتك بأرض فقر فدعوته رد عليك ، والذي إن أصابتك سنة فدعوته أبنت لك ». قال : قلت : أوصني ، قال : « لا تسبن أحداً ، ولا تزهدن في المعروف ، ولو أن تلقى [٦] أخاك وأنت منبسطٌ إليه وجهك ، ولو أن تفرغ من ذلوك في إماء المستقي ، واتزر إلى نصف الساق ، فإن أبىت فالإلى الكعبين . وإياك وإسبال الإزار ، فإن إسبال الإزار من الخيلة ، [وإن الله - تبارك وتعالى - لا يحب الخيلة [٧]] » .

[١] المسند (٦٤/٥) (٢٠٦٩٣) . وانظر الحديث التالي .

[٢] - في ت : « وبعد » .

[٣] - ما بين المukoofin في ت : « الآخر و » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في خ ، ز : « يلقاك » .

[٦] - ما بين المukoofin سقط من : خ ، ز .

وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر^(١) ، فذكر اسم الصحابي فقال : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ابن سلمة ، حدثنا يونس - هو ابن عبيد - حدثنا عبدة الهمجي^(٢) ، عن أبي تميمة الهمجي^(٣) ، عن جابر بن شليم الهمجي^(٤) ، قال : أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو متحبب بشملة ، وقد قع هدبها على قدميه ، قلت : أياكم محمد - أو : رسول الله ؟ - فأوّلما يدبه إلى نفسه ، قلت : يا رسول الله ، أنا من أهل الbadية ، وفيي جفاوهم ، فأوصني . فقال : « لا تخفن من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك ووجهك مُبْسَطٌ ، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي^(٥) ، وإن امرأ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه ، فإنه يكون لك أجره وعليه وزره ، وإياك وإسال الإزار ، فإن إسال الإزار من الخيلة ، وإن الله لا يحب الخيلة ، ولا تشنن أحداً » . قال : فما سببت بعد^(٦) أحداً ، ولا شاة ولا بعيراً .

وقد روى أبو داود والنسائي لهذا الحديث طرقاً ، وعندهما^(٧) طرف صالح منه^(٨) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن هاشم ، حدثنا عبدة بن نوح ، عن عمر بن الحاج ، عن عبد الله بن أبي صالح قال : دخل علي طاوس يعودني^(٩) ، قلت له : ادع الله لي ، [١٠] يا أبي عبد الرحمن ، فقال^(١١) : ادع لنفسك ؟ فإنه يجيب المضطر إذا دعا .

وقال وهب بن منبه : قرأت في الكتاب الأول : إن الله يقول : « بعزمي ، إنه من اعتصم بي فلن كادته السموات ومن فيهن ، والأرض من فيها ، فإني أجعل له من بين ذلك مخرجًا ، ومن لم يعتصم بي ؛ فإني أخسف به من تحت قدميه الأرض ، فأجعله في الهواء ، فأكله إلى نفسه » .

(١) المسند (٦٣/٥) (٢٠٦٨٩) آخرجه أبو داود في كتاب اللباس ، باب : الهدب (٤٠٧٥ / رقم : ٥٣/٤) مختصرًا . وفي باب : ما جاء في إسال الإزار (٥٥/٥ ، ٥٥/٤ / رقم : ٤٠٨٤) . وفي كتاب الأدب ، باب : كراهة أن يقول : عليك السلام (٤/٣٥٥ / رقم : ٥٢٠٩) مختصرًا . والترمذى في كتاب الاستذان ، باب : ما جاء في كراهة أن يقول : عليك السلام مبتدئاً (٥/٥ ، ٧١ / رقم : ٢٧٢٢ ، ٢٧٢١) . وقال : وهذا حديث حسن صحيح . والنسائي في الكبرى في كتاب الزينة ، باب : الاختلاف على أبي إسحاق فيه (٥/٤٨٦ ، ٤٨٧ / رقم : ٩٦٩٩) . وفي كتاب عمل اليوم والليلة ، باب : كيف السلام (٦/٨٧ ، ٨٧/٦ / رقم : ١٠١٤٩) . كلهم من حديث جابر بن سليم أبي جري .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب اللباس ، بباب : ما جاء في إسال الإزار حديث (٤٠٨٤) ، والترمذى في الاستذان (٢٧٢١) والنسائي في السنن الكبرى حديث (١٠٤٩ - ١٠٥٢) .

[١] - بعده في خ ، ز : « عن أبيه » .

[٢] - في ز : « المستقي » .

[٣] - في ت : « عندهم » .

[٤] - في خ : « يعودني » .

[٥] - ما بين المعرفتين في ز : « قال » .

[٦] - سقط من : ز .

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة رجل - حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الدينوري ، المعروف بالدقي الصوفي - قال هذا الرجل^[١] : كنت أكارب على بغل لي من دمشق إلى بلد الريదاني ، فركب معي ذات مرة رجل ، فمررنا على بعض الطريق ، على طريق غير مسلوكة ، فقال لي : خذ في هذه ، فإنها أقرب . قلت : لا خبرة لي فيها ، فقال : بل هي أقرب . فسلكتها فانهينا إلى مكان وَغْرِ وَادِ عَمِيقٍ ، وفيه قتلى كثير ، فقال لي : أمسك رأس البغل حتى أنزل . فنزل وتشمر ، وجمع عليه ثيابه ، وسل سكينا معه وقصدني ، ففررت من بين يديه وتبيني ، فناشده الله ، وقلت : خذ البغل بما عليه . فقال : هو لي ، وإنما أريد قتلك . فخوته الله والعقوبة فلم يقبل ، فاستسلمت بين يديه ، وقلت : إن رأيت أن تركني حتى أصلي ركعتين ؟ فقال : وعجل . فقمت أصلي فارتع على القرآن فلم يحضرني منه حرف واحد ، فبقيت واقفاً متخيلاً وهو يقول : هيه ! افزع . فأجرى الله على لساني قوله تعالى : ﴿ أَنْ يُجِيبَ الْمُضطَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيُكَشِّفَ السَّوْءَ ﴾^[٢] ، فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم^[٣] الراidi ، وبيده حربة ، فرمي بها الرجل فما أخطأت فواهه ، فخر صريعاً ، فتعلقت بالفارس وقلت : بالله ، من أنت ؟ فقال : أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . قال : فأخذت البغل والحمل ورجعت سالماً .

وذكر^[٤] في ترجمة فاطمة بنت الحسن أم أحمد العجلية^[٥] ، قالت : هزم الكفار يوماً المسلمين في غزوة ، فوقف جحوداً جيد بصاحبه ، وكان من ذوي اليسار ومن الصلحاء ، فقال للجحود : مالك ؟ وبilk ؟ إنما كنت أعدك مثل هذا اليوم . فقال له الجحود : وما لي لا أقصرك وأنت تكل علوفي إلى السواس فيظلموني ولا يطعمونني إلا القليل ؟ فقال : لك علي عهد الله أن^[٦] لا أغلفك بعد هذا اليوم إلا في حجري . فجرى الجحود عند ذلك ، ونجي صاحبه ، وكان لا يعلمه بعد ذلك إلا في حجره . واشتهر أمره بين الناس ، وجعلوا يقصدونه ليسمعوا منه ذلك ، وبلغ ملك الروم أمره ، فقال : ما تُصَاصَ^[٧] بلدة يكون هذا الرجل فيها . واحتال ليحصله في بلده ، فبعث إليه رجلاً من المرتدين عنده ، فلما انتهت إليه أظهر له أنه قد حشنت نيته في الإسلام وقومه ، حتى استوثق ، ثم خرجا يوماً يمشيان على جنب الساحل ، وقد أوعد شخصاً آخر من جهة ملك الروم ليتساعداً على أسره ، فلما اكتنفاه ليأخذاه رفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم ، إنما حَدَّعني بك فاكفينهما بما شئت ، قال : فخرج سبعان إليهما فأخذاهما ، ورجع الرجل سالماً .

(١٨) تاريخ دمشق ٤٨٩/١٩ « المخطوط » .

[١] - في ز ، خ : « بالرجل » .

[٢] - في ز ، خ : « وذكرت » .

[٣] - في خ ، ز : « نظام » .

وقوله تعالى : ﴿ و يجعلكم خلفاء الأرض ﴾ ، أي : يخلف قرنا^[١] لقرون قبليهم ، وخلفا^[٢] لسلف ؛ كما قال تعالى : ﴿ إن يشاً يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وهو الذي جعلكم خلفاء الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فإذا قال ربك للملائكة إللي جاعل في الأرض خليفة ﴾ ، أي : قواماً يخلف بعضهم بعضاً كما قدمنا تقريره . وهكذا هذه الآية : ﴿ و يجعلكم خلفاء الأرض ﴾ أي : أمة بعد أمة ، وجيلاً بعد جيل ، وقوماً بعد قوم . ولو شاء لأوجدهم كلهم في وقت واحد ، ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض ، بل لو شاء لخلقهم كلهم أجمعين ، كما خلق آدم من تراب . ولو شاء أن يجعلهم [بعضهم من ذرية بعض]^[٣] ، ولكن لا يبيت أحداً حتى تكون وفاة الجميع في وقت واحد ، فكانت تضيق عليهم الأرض ، وتضيق عليهم معايشهم وأكسابهم ، وبضرر بعضهم ببعض ، ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة ، ثم يكرثهم غاية الكثرة ، ويدرؤهم في الأرض ، ويجعلهم قروناً بعد قرون ، وأماماً بعد أمم ، حتى ينقضي الأجل وتفرغ البشرية^[٤] ، كما قدر ذلك تبارك وتعالى ، وكما أحصاهم تعالى : ﴿ فمن يحيي المصطرب إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض إله مع الله ﴾ ، أي : يقدر على ذلك ، أو : إله مع الله يُعبد ، وقد علم أن الله هو المنفرد^[٥] بفعل ذلك ﴿ قليلاً ما يذكرون ﴾ أي ما أقل تذكريهم فيما يرشدهم [إلى الحق]^[٦] ويهديهم إلى الصراط المستقيم .

أَمَنْ يَهْدِيْكُمْ فِي ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الْرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَتِهِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٣

يقول : ﴿ أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ﴾ أي : بما خلق من الدلائل السماوية والأرضية ، كما قال : ﴿ وعلامات وبالجملة هم يهتدون ﴾ وقال تعالى : ﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ﴾ الآية .

وقال تعالى : ﴿ ومن يرسل الرياح بشرا^[٧] بين يدي رحمته ﴾ ، أي : بين يدي السحاب الذي فيه مطر ، يغيث به عباده المجددين الأربعين القطبين ﴿ إله مع الله تعالى الله عما يشركون ﴾ .

[١] - في ز : « قرن » .

[٢] - في خ ، ز : « خلف » .

[٣] - في ت : « البرية » .

[٤] - في ت : « للحق » .

[٥] - في ز : « نشراً » .

[٦] - في ت : « المنفرد » .

[٧] - في ز : « نشراً » .

أَمَّنْ يَبْدِئُ الْخَلَقَ ثُمَّ يُعِيدهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَوْلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ
هَا تَوْبُرُهُنَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقُكُمْ



أي : هو الذي بقدرته وسلطاته يبدأ [١] الخلق ثم يعيده ، كما قال تعالى في الآية الأخرى :
﴿ إن بطش ربك لشديد * إله هو يبدئ ويعيد ﴾ وقال تعالى : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم
يعيده وهو أهون عليه ﴾ .

﴿ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، أي [٢] : بما ينزل من مطر السماء ، وينبت من
بركات الأرض ، كما قال : ﴿ وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الرَّجْعِ وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصَّدْعِ ﴾ . وقال :
﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْجُعُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ فَهُوَ تَبَارِكُ
وَتَعَالَى يَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مِبَارَكًا فِيسْكَنُهُ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ بِهِ أَنْوَاعُ الزَّرْوَعِ وَالشَّمَارِ
وَالْأَزَاهِيرِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْلَانِ شَتَّى ، ﴿ كُلُوا وَارْعُوا أَنْعَامَكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأَوْلَى
النَّهِيِّ ﴾ ، وَلَهُذَا قَالَ : ﴿ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ مَنْ ﴾ ، أي [٣] : فعل هذا ؟ وَعَلَى القَوْلِ الْآخَرِ : [بَعْدَ
هَذَا] [٤] ؟ ﴿ قُلْ هَا تَوْبُرُهُنَّكُمْ ﴾ عَلَى صَحَّةِ مَا تَدْعُونَهُ مِنْ عِبَادَةِ آلَهَةِ أُخْرَى ، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقُكُمْ ﴾ فِي ذَلِكَ ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا حَجَّةٌ لَهُمْ وَلَا بَرْهَانٌ ، كَمَا قَالَ : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ
إِلَهًا آخَرَ لَا بَرْهَانٌ لَهُ بِهِ فَإِنَّا حَسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يَفْلُحُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يَعْثُثُونَ

بَلِ اذْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ



يقول تعالى أمراً رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يقول معلقاً لجميع الخلق : إنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب . وقوله : ﴿ إِلَّا اللَّهُ ﴾ استثناءً منقطع ، أي : لا يعلم أحد ذلك إلا الله عز وجل ، فإنه المنفرد بذلك وحده ، لا شريك له ؛ كما قال : ﴿ وَعِنْهُ
مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ الآية ، وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْهُ عِلْمٌ السَّاعَةُ وَيَنْزِلُ الْغَيْبَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ
اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ ﴾ والآيات في هذا كثيرة .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يَعْثُثُونَ ﴾ أي : وما يشعر الخلاقون الساكنون في

[٢] - سقط من : ز .

[٤] - في ت : « يعبد » .

[١] - في ز : « بدء » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

السموات والأرض بوقت الساعة ؛ كما قال : **﴿نَقْلَتِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بِغَنَّةٍ﴾** أي نقل علمنا على أهل السموات والأرض .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي^[١] بن الجعد ، حدثنا أبو جعفر الرازى ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : من زعم أنه يعلم - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - ما يكون في غد؛ فقد أعظم على الله الفرية ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ غَيْبُ إِلَّا اللَّهُ ﴾^[٢].

وقال قادة : إن الله إنما جعل هذه النجوم لثلاث خصالات : جعلها زينة للسماء ، وجعلها يهتدى بها ، وجعلها رجوما للشياطين ، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه ، وأخطأ حظه ، وأضاع نصيبه ، وتکلف مالا علم له به . وإن ناسا مجھة بأمر الله ، قد أحدثوا من هذه النجوم كھانة : من أغرس بنجم كذا وكذا ، كان كذا وكذا ، ومن سافر بنجم كذا وكذا ، كان كذا وكذا ، ومن ولد بنجم كذا وكذا ، كان كذا وكذا ، ولعمري ، ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود ، والقصیر والطويل ، والحسن والتامیم ، وما علم هذا النجم ، وهذه الدابة ، وهذا الطیر - بشيء من الغیب ! وقضى الله : أنه لا يعلم من في السموات والأرض الغیب إلا الله ، وما يشعرون أیان بیعنون .

رواه ابن أبي حاتم عنه بحروفه ، وهو كلام جليل متين صحيح .

وقوله : ﴿ بل ادارك [٢] علمهم في الآخرة بل هم في شك منها ﴾ أي : انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقتها .

وقراً آخرون: (بِلْ أَدْرَكَ عِلْمَهُمْ)^(٢٠) أي : تساوى علمهم في ذلك ، كما في الصحيح لمسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل - وقد سأله عن وقت الساعة - : « ما المسئول عنها بأعلم من السائل »^(٢١) . أي: تساوى في العجز عن درك ذلك علم المسئول والسائل .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ بل أدارك (٢٠) علمهم في الآخرة ﴾ ، أي :

^(١٩) هو عند مسلم في حديث طوبيل برقم (١١٧) كتاب الإيمان ، والترمذي في التفسير (٣٠٦٨) .

^(٢٠) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث (٨) .

١ - سقط من : خ

(*) وهي قراءة عبد الله بن كثير وأبي عمرو . وقرأ نافع ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي : « بل اذارك ». وروى أبو بكر عن عاصم : « بل اذرك » على وزن افتعل .

[٢] - في ز، خ : « ادرك » .

(**) كذا في ز ، خ . والذى في تفسير الطبرى والمر المنشور : أدرك .

غاب [علمهم في الآخرة]^[١] . وقال قتادة : ﴿ بل ادارك^[٢] علمهم في الآخرة ﴾ ، يعني : بجهلهم ربهم ، يقول : لم ينفذ لهم إلى الآخرة علم . هذا قول .

وقال ابن جريج : عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : ﴿ بل ادارك علمهم في الآخرة ﴾ ، حين لم ينفع العلم . وبه قال عطاء الخراساني ، والستي : أن علمهم إنما يدرك ويُكمل يوم القيمة حيث لا ينفعهم ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظاللون اليوم في ضلال مبين ﴾ .

وقال سفيان : عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن : إنه كان يقرأ : (بل أدرك علمهم^[٤]) قال : أضيق محل علمهم في الدنيا حين عاينوا الآخرة .

وقوله : ﴿ بل هم في شك منها ﴾ ، عائد على الجنس ، والمراد : الكافرون ، كما قال تعالى : ﴿ وعرضوا على ربك صفاً لقد جتمعنا فرادى كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أنّ نجعل لكم موعداً ﴾ ، أي : الكافرون منكم . وهكذا قال هاهنا : ﴿ بل هم في شك منها ﴾ ، أي : شاكون في وجودها ووقوعها ، ﴿ بل هم منها ع蒙ون ﴾ ، أي : في عمى وجهل كبير في أمرها و شأنها .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرْبِيَا وَمَابَأْوَنَا أَيْنَا لِمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَمَابَأْوَنَا مِنْ قَبْلِ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْنَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ

مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

يقول تعالى مخبراً عن منكري البعث من المشركين : إنهم استبعدوا إعادة الأجساد بعد صيرورتها عظاماً [ورفاتاً^[٥] وتراباً] ، ثم قال : ﴿ لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ﴾ أي : ما زلت نسمع بهذا نحن وآباؤنا ، ولا نرى له حقيقة ولا وقعاً .

قولهم : ﴿ إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ يعنون : ما هذا الوعد بإعادة الأبدان ﴿ إلا أساطير الأولين ﴾ ، أي : أحده قوم عمن قبلهم ، مَنْ قبلهم يتلقاه بعضهم^[٦] عن بعض ، وليس له حقيقة . قال الله تعالى مجيناً لهم بما ظنوه من الكفر وعدم المداد : ﴿ قُلْ ﴾ - يا

[١] - ما بين المukoفين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « أدرك » .

[٤] - في ت : « علمه » .

[٦] - في م : « بعض » .

[١] - ما بين المukoفين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « بن » .

[٥] - في ز ، خ : « رفاتاً » .

محمد - لهؤلاء : ﴿ سِرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ، أي : المكذبين بالرسل وما جاءوهم به من أمر المعاد وغيره ، كيف حلت بهم نقم الله وعذابه ونكاله ، ونجى الله من بينهم رسلاه الكرام ومن اتبعهم من المؤمنين ؟ فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحته .

ثم قال تعالى مسلياً لنبهه - صلوات الله وسلامه عليه - ﴿ وَلَا تَحْزُنْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي : المكذبين بما جئت به ، ولا تأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات ، ﴿ وَلَا تَكُنْ فِي ضيقٍ مَا يَكْرُونَ ﴾ ، أي : في كيدك وردة ما جئت به ، فإن الله مؤيدك وناصرك ، ومظہر دينك على من خالقه وعandه في المشارق والمغارب .

وَيَقُولُونَ مَنْ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفَ لَكُمْ
بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا
يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَلَئِنْ رَبَّكَ لِيَعْلَمُ مَا تُكِنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبٍ
فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾

يقول تعالى مخيراً عن المشركين ، في سؤالهم عن يوم القيمة ، واستبعادهم وقوع ذلك : ﴿ وَيَقُولُونَ مَنْ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ قال الله مجيئاً لهم : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ ، [قال ابن عباس : أن يكون قرب - أو : أن يقرب - لكم بعض الذي تستعجلون . وهكذا]^[١] قال مجاهد والضحاك ، وعطاء الخراصاني وقتادة والسدى وهذا هو المراد ، قوله^[٢] تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَنْ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُوكُمْ بِالْعَذَابِ وَإِنْ جَهَنَّمْ خَيْطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ .

ولما دخلت « اللام » في قوله : ﴿ رَدْفَ لَكُمْ ﴾ ، لأنه ضمن معنى « عَجِيلَ لَكُمْ » ، كما قال مجاهد في رواية عنه ، ﴿ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفَ لَكُمْ ﴾ : عجل لكم .

ثم قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ أي^[٣] : في إسباغه نعمه عليهم مع ظلمهم لأنفسهم ، وهم مع ذلك لا يشكرونـه على ذلك إلا القليل منهم ، ﴿ وَإِنْ رَبَّكَ لِيَعْلَمَ مَا تَكِنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلَمُونَ ﴾ ، أي : يعلم السرائر والضمائر ، كما يعلم الظواهر ، ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ السَّرَّ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ﴾ ﴿ يَعْلَمُ السَّرَّ وَأَخْفِيَ ﴾ ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ

[١] - ما بين المعرفتين في ز ، خ : « وهذا ». [٢] - في ت : « بقوله » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

ثابهم يعلم ما يسرون وما يعلون ﴿٨٠﴾ .

ثم أخبر تعالى بأنه عالم غيب السموات والأرض ، وأنه عالم الغيب والشهادة - وهو ما غاب عن العباد وما شاهدوه^[١] فقال : ﴿٨١﴾ وما من غائبة في السماء والأرض ﴿٨١﴾ ، قال ابن عباس : يعني وما من شيء في السماء والأرض إلا في كتاب مبين ﴿٨١﴾ ، وهذا كقوله تعالى : ﴿٨٢﴾ ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴿٨٢﴾ .

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفْصُلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾
 وَإِنَّهُ لَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ
 الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَشْمِعُ
 الْمَوْقَنَ وَلَا تُشْعِي الصَّمَدَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْا مُذْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهِدِي الْعُمَىٰ عَنْ
 حَلَالَتِهِمْ إِنْ تُشْعِي إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

يقول تعالى مخبراً عن كتابه العزيز ، وما اشتمل عليه من الهدى والبيانات والفرقان : إنه يقص على بني إسرائيل - وهم حملة التوراة والإنجيل - ﴿٨١﴾ أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴿٨١﴾ ، كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه ، فاليهود افروا ، والنصارى غلوا ، فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل : إنه عبد من عباد الله وأنبيائه ورسله الكرام - عليه الصلاة والسلام - كما قال تعالى : ﴿٨٢﴾ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يتركون ﴿٨٢﴾ و قوله : ﴿٨٣﴾ وإله لهدي ورحمة للمؤمنين ﴿٨٣﴾ ، أي : هدي لقلوب المؤمنين ، ورحمة لهم في العمليات .

ثم قال : ﴿٨٤﴾ إِنْ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ أَيْ : يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٨٤﴾ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴿٨٤﴾ فِي انتقامَهِ ، ﴿٨٥﴾ الْعَلِيمُ ﴿٨٥﴾ بِأَفْعَالِ عَبَادِهِ وَأَقْرَابِهِمْ .

﴿٨٦﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴿٨٦﴾ أي : في أمورك ، وبلغ رسالة ربك ، ﴿٨٧﴾ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٨٧﴾ أي : أنت على الحق المبين وإن خالفك من خالفك من كتبت عليه الشقاوة وحققت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون ، ولو جاءتهم كل آية ؛ ولهذا قال : ﴿٨٨﴾ إِنَّكَ لَا تَشْمِعُ الْمَوْتَىٰ ﴿٨٨﴾ ، أي : لا تسمعهم شيئاً ينفعهم ، فكذلك هؤلاء على قلوبهم غشاوة ، وفي آذانهم وقر الكفر ؛ ولهذا قال : ﴿٨٩﴾ وَلَا تَشْعِي الصَّمَدَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْا مُذْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهِدِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٩٠﴾ ، إنما يستجيب لك من هو سميع بصير ، السمع

[١] - في ز ، خ : « يشاهدوه » .

والبصر النافع في القلب والبصيرة ، الخاضع لله ، وما جاء عنه على ألسنة الرسل عليهم السلام .

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا
بِيَقِينٍ لَا يُوقِنُونَ ﴾
١٧

هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس ، وتؤكيهم أوامر الله ، وتبديلهم الدين الحق ، يخرج الله لهم دابة من الأرض - قيل^[١] : من مكة ، وقيل : من غيرها - كما سيأتي تفصيله - فتكلّم الناس على ذلك .

قال ابن عباس والحسن وقتادة - وروي عن علي رضي الله عنه : تكلّمهم كلاما ، أي : تخطّبهم مخاطبة .

وقال عطاء الخراساني : تكلّمهم فتقول لهم : إنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون . ويروى هذا عن علي ، واحتاره ابن جرير وفي هذا نظر لا يخفى ، والله أعلم .

وقال ابن عباس - في رواية - : تحرّحهم ، وعنده رواية ، قال : كَلَّا^[٢] تفعل ، يعني هذا وهذا . وهو قول حسن ولا منافاة ، والله أعلم . وقد ورد في ذكر الدابة أحاديث وأثار كثيرة ، فلنذكر ما تيسر منها ، بالله^[٣] المستعان :

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن فرات ، عن أبي الطفيلي ، عن محبذة بن أسديد الغفاري ، قال : أشرف علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غرفة ونحن نتذاكر أمر الساعة فقال : « لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة ، وخروج ياجوج وmajogج ، وخروج عيسى ابن مريم ، والدجال ، وتلآلثة خسوف : خسف بالمغرب ، وخسف بالشرق ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق [٤] - أو تحشر : الناس ، تبيت معهم حيث باتوا ، وتقلّل معهم حيث قالوا »^(٢١) .

(٢١) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/٤ ، ٦١٨٨ ، ١٦١٩٠) ومسلم في كتاب الفتن وأشرطة الساعة (١٨ / ٣٦) حديث (٢٩٠١/٣٩) . من طريق أبي حيشمة وإسحاق بن إبراهيم وابن أبي عمر المكي ، ثنا سفيان بن عيينة ، عن فرات به . وأبو داود في كتاب الملاحم ، باب : أمارات الساعة (٤ / ١١٤) حديث (٤٣١) . من طريق مسدد وهناد ، ثنا أبو الأحوص ، ثنا فرات الفرز ، عن عامر بن واثلة أبي الطفيلي به . والترمذى في الفتن حديث ٢١٨٣ . والنسائى في التفسير من السنن الكبيرى . وابن ماجة في كتاب الفتن ، باب : أشرطة الساعة (٢ / ١٣٤١) حديث (٤٠٤١) . من طريق أبي بكر بن أبي شيبة ، ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن فرات به . والطبرانى (٣ / ١٨٩ - ١٩٢) . حديث (٣٠٢٨) إلى حديث (٣٠٣٤) .

[١] - سقط من : خ ، ز : « كلّ » .

[٤] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « الناس » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ت : « الله » .

وهكذا رواه مسلم وأهل السنن ، من طرق ، عن فرات القزار ، عن أبي الطفيلي عامر بن وائلة ، عن حذيفة [١] به مرفوعاً ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

ورواه مسلم [٢] أيضاً من حديث عبد العزىز بن رفيع ، عن أبي الطفيلي ، عنه موقعاً [٣] ، والله أعلم .

(طريق أخرى) قال أبو داود الطيالسى ، عن طلحة بن عمرو ، وجرير بن حازم ؛ فاما طلحة فقال : أخبرنى عبد الله بن عبید الله بن ثعيم الثبى : أن أبا الطفيلي حدثه ، عن حذيفة بن أبى الغفارى أبى سريحة ؛ وأما جرير فقال : عن عبد الله بن عبید ، عن رجل من آل عبد الله بن مسعود - وحديث طلحة أتم وأحسن - قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة فقال : « لها ثلاثة خرجات من الدهر ، فتخرج خرج من أقصى البادىة ، ولا يدخل ذكرها القرية - يعني مكة - ثم تکمن زماناً طويلاً ، ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك ، فيعلو ذكرها في أهل البادىة ، ويدخل ذكرها القرية » - يعني مكة - قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأکرمها : المسجد الحرام ، لم يرعهم إلا وهى ترغو [٤] بين الركن والمقام ، تنقض عن رأسها التراب . فارفض الناس عنها شيئاً و معها ، وبقيت [٥] عصابة من المؤمنين ، وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله ، فبدأت بهم ، فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدرى ، وولت في الأرض لا يدركها طالب ، ولا ينجو منها هارب ، حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلادة ، فنأيه من خلفه فتقول : يا فلان ، الآن تصلي ؟ فيقبل عليها فتسمه في وجهه ، ثم تنطلق ، ويشترك الناس في الأموال ، ويصطحبون في الأمصار ، يعرف المؤمن من الكافر ، حتى إن المؤمن ليقول : يا كافر ، اقضني حقي . وحتى إن الكافر ليقول : يا مؤمن ، اقضني حقي » [٦] .

ورواه ابن جرير من طريقين عن حذيفة بن أبى عبيداً موقعاً [٧] ، والله أعلم .

ورواه من رواية حذيفة ابن اليمان مرفوعاً ، وأن ذلك في زمان عيسى بن مریم ، وهو يطوف بالبيت ، ولكن إسناده لا يصح [٨] .

(٢٢) صحيح مسلم ، كتاب الفتن ، وأشارت الساعة حديث (٢٩٠١) .

(٢٣) مسند الطيالسى حديث (١٠٦٩) .

(٢٤) تفسير الطبرى (١٠/٢٠) .

(٢٥) تفسير الطبرى (١١/٢٠) .

[١] - في ت : « موقعاً » .

[٤] - في ز ، خ : « ولقيت » .

[٢] - في ت : « موقعاً » .

[٣] - في ز ، خ : « تربوا » .

(Hadith Ahr) : قال مسلم بن الحجاج : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن بشر ، عن أبي حيّان ، عن أبي زُزْعَة ، عن عبد الله بن عمرو^[١] قال : حفظت من^[٢] رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حديثا لم أنسه بعد : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أول الآيات خروجا : طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس صحي ، وأيتها ما كانت قبل صاحبتها ، فالآخر على إثرها قريبا »^[٣] .

(Hadith Ahr) : روى مسلم في صحيحه من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب - مولى الحُرفة - عن أبيه ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بادروا بالأعمال ستاً^[٤] : طلوع الشمس من مغربها ، أو الدخان ، أو الدجال ، أو الدابة ، أو خاصة أحدكم أو أمر العامة »^[٥] .

وله من حديث قتادة ، عن الحسن ، عن زياد بن رباح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « بادروا بالأعمال ستة : الدخان أو الدجال ، ودابة الأرض ، وطلع الشمس من مغربها ، وأمر العامة ، وخوبصة^[٦] أحدكم »^[٧] .

(Hadith Ahr) ، قال ابن ماجه : حدثنا حرملة بن يحيى ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو ابن الحارث وابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « بادروا بالأعمال ستة : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، ودابة الأرض ، والدجال ، وخوبصة^[٨] أحدكم ، وأمر العامة ». تفرد به^[٩] .

(Hadith Ahr) : قال أبو داود الطيالسي أيضا^[١٠] : حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أوس^[١١] بن خالد ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تخرج دابة الأرض ، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهم السلام ،

[٢٦] صحيح مسلم ، كتاب الفتن ، وأشراط الساعة حديث (٢٩٤١) .

[٢٧] صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة حديث (٢٩٤٧) .

[٢٩] سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن (٤٠٥٦) ، وقال البوصيري في الرواية (٢٥٦/٣) : « هذا إسناد حسن ، سنان بن سعد مختلف فيه وفي اسمه » .

[٣٠] مستند الطيالسي حديث (٢٩٥/٢) ، والمستند (٢٩٥/٢) من حديث عفان ويزيد ، و(٢٩١/١) من حديث بهر .

[١] - في م : « عمر » .

[٣] - في ت : « ستاً » .

[٤] - في ز ، خ : « خوبصية » .

[٥] - في ز ، خ : « خوبصية » .

[٦] - في خ : « أوبس » .

فتختطف أنف الكافر بالعصى ، وتجلى^[١] وجه المؤمن بالحاتم ، حتى يجتمع^[٢] الناس على الخوان ، يعرف المؤمن من الكافر» .

ورواه الإمام أحمد ، عن بهز وعفان ويزيد بن هارون ، ثلاثتهم عن حماد بن سلمة ، به .

وقال : « فتختطف أنف الكافر بالحاتم ، وتجلو وجه المؤمن بالعصا ، حتى إن أهل الخوان الواحد ليجتمعون فيقول هذا : يا مؤمن ، ويقول هذا : يا كافر »^(٣١) .

ورواه ابن ماجة ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يونس بن محمد^[٣] المؤدب ، عن حماد ابن سلمة ، به .

(حدثت آخر) : قال ابن ماجة : حدثنا أبو غسان محمد بن عمرو ، حدثنا أبو تميلة ، حدثنا خالد بن عبيدة ، حدثنا عبد الله بن بُريدة ، عن أبيه ؛ قال : ذهب بي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع بالبادية ، قريب من مكة ، فإذا أرض يابسة حولها رمل ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « تخرج الدابة من هذا الموضع . فإذا فتشر^(٤) في شبر » قال ابن بُريدة : فحججت بعد ذلك بسنين ، فرأينا عصا له ، فإذا هو بعصاي هذه^[٤] . كذا وكذا^(٣٢) .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : إن ابن عباس قال : هي دابة ذات رَغْب^(٣٣) ، لها أربع قوائم ، تخرج من بعض أودية تهامة^(٣٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن^[٥] رجاء ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، قال : قال عبد الله : تخرج الدابة من صندع من الصفا كجزي الفرس ثلاثة أيام ، لم يخرج ثلثها .

وقال محمد بن إسحاق ، عن أبان بن صالح ، قال : سئل عبد الله بن عمرو عن الدابة ، فقال : الدابة تخرج من تحت صخرة بجياد^(٣٥) ، والله لو كنت معهم ، أو لو شئت بعصاي الصخرة التي تخرج الدابة من تحتها . قيل : فتصنع ماذا يا عبد الله بن عمرو ؟ قال : تستقبل

(٣١) سنن ابن ماجة ، كتاب الفتن حديث (٤٠٦٦) .

(٣٢) سنن ابن ماجة ، كتاب الفتن (٤٠٦٧) ، وقال البرصيري في الزوائد (٢٥٩/٣) : « هذا إسناد ضعيف » .

(٣٣) تفسير عبد الرزاق (٢٧١/٢) .

[١] - في ز : « تجل » .

[٢] - في ز : « محمد بن » .

[٣] - في ز : ما بين طرف الإبهام وطرف السبابية إذا فتحهما .

(٤) الرَّغْب : صغار الريش والشعر ولائنه .

(٥) أجياد : موضع بحكة يلي الصفا .

[٤] - في ز : « هنا » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

المشرق فتصرخ صرخة تنفذه ، [ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذه ، ثم تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه]^[١] ، ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة تنفذه ، ثم تروح من مكة فتصبح ^[٢] بعشقان . قيل : ثم ماذا ؟ قال : لا أعلم .

وعن عبد الله بن عمر أنه قال : تخرج الدابة ليلة جمیع ^(٣) .

ورواه ابن أبي حاتم ، وفي إسناده ابن البيلمان .

وعن وهب بن منبه : أنه حكى مِنْ كلام عَزَّيزَ - عليه السلام - أنه قال : « وتخرج من تحت سدوم دابة تكلم الناس ، كل يسمعها ، وتُضَعِّفُ الْجَبَالَ ^[٤] قبل النّهار ، ويعود الماء العذب أَجَاجًا ، ويتعادى الأخلاع ، وتحرق الحكمة ، وترفع العلم ، وتتكلم الأرض التي تليها . وفي ذلك الزمان يرجو الناس ما لا يلقوه ، ويتعلّمون ^[٥] فيما لا ينالون ^[٦] ، ويعملون فيما لا يأكلون » . رواه ابن أبي حاتم ، عنه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، حدثني معاوية بن صالح ، عن أبي مريم : أنه سمع أبا هريرة - رضي الله عنه - يقول : إن الدابة فيها من كل لون ، ما بين قرنيناها فرسخ للراكب .

وقال ابن عباس : هي مثل الحرية ^[٧] الضخمة .

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال : إنها دابة لها ريش وزغب وحافر ، وما لها ذنب ، ولها لحية ، وإنها تخرج ^(٨) خضر ^[٩] الفرس الجواد ثلاثة وما [خرج ثلثاها] ^[٨] .

رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جريج ، عن ابن الزبير ، أنه وصف الدابة فقال : رأسها رأس ثور ، وعينها عين

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤٥/١٨٠) من طريق عبد الملك بن المغيرة ، عن ابن البيلمان ، عن ابن عمر قال : « تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون إلى مني فتحصل لهم بين عجزها وذنبها فلا يبقى منافق إلا خطمتها ، قال : وتمسح المؤمن ، قال : فيصيرون وهم أشر من الدجال » .

[١] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ : « فضع » .

[٣] - في ز ، خ : « الحال » .

[٤] - في ز ، خ : « يالون » .

[٥] - في ز : « خضر » .

[٦] - في ت : « خرج ثلثها » .

(*) جمع : المزدلفة .

[٤] - في ت : « يتعرون » .

[٦] - في خ ، ز : « الحرية » .

(**) الخضر : عذق مع وثب .

ختزير ، وأذنها أذن فيل ، وقرنها قرن أيل ، وعنقها عنق نعامة ، وصدرها صدر أسد ، ولو أنها لون نمر ، وخاصتها خاصرة هر ، وذنبها ذنب كبش ، وقوائمها قوائم بعير ، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا ، تخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان ، فلا يبقى مؤمن إلا نكثت في وجهه بعصا موسى نكتة يقضاء ، فتفشو تلك النكتة حتى يبكي لها وجهه ، ولا يبقى كافر إلا نكثت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان ، فتفشو تلك النكتة حتى يسود لها وجهه ، حتى إن الناس يتباينون في الأسواق : بكم ذا يا مؤمن ؟ بكم ذا يا كافر ؟ وحتى إن أهل البيت يجلسون على مائدتهم ، فيعرفون مؤمنهم من كافرهم ، ثم يقول لهم الدابة : يا فلان ، أبشر ، أنت من أهل الجنة . ويا فلان ، أنت من أهل النار ؛ فذلك قول الله تعالى : ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقُولُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطَقُونَ﴾ ويا فلان ، أبشر ، أنت من أهل آخر جنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بأياتنا لا يوفون ﴿ه﴾ .

وَيَوْمَ نَحْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوَزَّعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِنِي وَلَئِنْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقُولُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا لَا يَنْطَقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَرْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا أَلْيَالَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَأَنَّهَا رَأْبَرَ مُبْصِرًا إِنَّكَ لَأَيَّدْتِ لِقَوْمٍ بِمَا ظَلَمُونَ ﴿٨٦﴾

يقول تعالى مخبرا عن يوم القيمة ، وحشر الظالمين المكذبين بأيات الله ورسله إلى بين يدي الله عز وجل ، ليسألهم بما فعلوه في الدار الدنيا ، تكريعا وترويحا ، وتصغيرا وتحفيزا فقال : ﴿وَيَوْمَ نَحْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ ، أي : من كل قوم وقرن فوجا ، أي : جماعة ، ﴿ه﴾ من يكذب بأياتنا ﴿ه﴾ ؛ كما قال تعالى : ﴿ه﴾ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴿ه﴾ وقال تعالى : ﴿ه﴾ وإذا الفوس زوجت ﴿ه﴾ .

وقوله : ﴿فَهُمْ يُوَزَّعُونَ﴾ ، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : يدفعون . وقال قادة : وزعة ترد^[١] أولهم على آخرهم . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يساقون .

﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ﴾ ، أي : أوقفوا بين يدي الله - عز وجل - في مقام المسائلة ، ﴿ه﴾ قال أكذبتم بأياتي ولم تحيطوا بها علما أقاذوا كتم تعلمون ﴿ه﴾ أي : ويسألون عن اعتقادهم ، وأعملهم ، فلما لم يكونوا من أهل السعادة ، و كانوا كما قال الله تعالى عنهم : ﴿ه﴾ فلا صدق ولا صلبي * ولكن كذب وتولى ﴿ه﴾ ، فحيثند قامت عليهم الحجة ، ولم يكن لهم عذر يعتذر عن به ؛ كما قال تعالى : ﴿ه﴾ هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون * ويل يومئذ للمكذبين ﴿ه﴾ ، وهكذا قال هاهنا : ﴿ه﴾ وقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ﴿ه﴾ ، أي :

[١] - في ز ، خ : « برد » .

بها فلم يكن لهم جواب ؛ لأنهم كانوا في الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم ، وقد ردوا إلى عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفي عليه خافية .

[١] قال تعالى منها على قدرته التامة ، وسلطانه العظيم ، و شأنه الرفيع الذي تجحب طاعته ، والانتقاد لأوامره ، وتصديق أنبائه فيما جاؤوا به من الحق الذي لا تحيط عنه ، فقال : ﴿ إِنَّمَا يَرُونَا أَنَا جعلنا الليل ليسكنوا فيه ﴾ ، أي : فيه ظلام تسكن بسيبه حر كائهم ، وتهداً أنفسهم ، ويستريحون من نصب التعب في نهارهم . ﴿ وَالنَّهَارُ مِصْرًا ﴾ أي : منيراً مشرقاً ، فبسبب ذلك يتصرفون في المعيش والمكاسب ، والأسفار والتجارات ، وغير ذلك من شعونهم التي يحتاجون إليها ، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ
وَكُلُّ أَنْوَهٍ دَاهِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبَهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مِنَ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ
الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّمَا خَيْرُ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَمْ يُخِرِّ
مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرَعَ يَوْمَئِذٍ مَّا مِنْ مُؤْمِنٌ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي الْأَرْضِ
هَلْ تُبْخَرُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

يخبر تعالى عن هول يوم نفخة الفزع في الصور وهو كما جاء في الحديث : « قرن ينفع [٢] في فيه ». وفي حديث الصور [٣] أن إسرائيل هو الذي ينفع فيه بأمر الله تعالى ، فينفع فيه أولًا نفخة الفزع ويطولها ، وذلك في آخر عمر الدنيا ، حين تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء ، فينفع من في السموات ومن في الأرض ﴿ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ ﴾ ، وهم الشهداء ، فإنهم أحياء [٤] عند ربهم يرزقون .

قال الإمام مسلم بن الحجاج : حدثنا عبيد [٥] الله بن معاذ العنبري ، حدثنا أبي ، حدثنا شعبة ، عن النعمان بن سالم : سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود التقي ، سمعت عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - وجاءه رجل فقال : ما هذا الحديث الذي تحدث أن الساعة تقوم إلى كذا وكذا ؟ فقال : سبحانه الله - أو : لا إله إلا الله - أو : كلمة

[١] - في ت : « ثم ». .

[٢] - في ز : « تنفع ». .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « عبد ». .

نحوهما^[١] - لقد همت أن لا أحدث أحداً شيئاً أبداً ، إنما قلت : إنكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً يخرب البيت ، ويكون ويكون^[٢] ؛ ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين » - [لَا أُدْرِي أَرْبَعَةِ^[٣] يَوْمًا ، أَوْ أَرْبَعَةِ شَهْرًا ، أَوْ أَرْبَعَةِ عَامًا - فَيَعْثِثُ اللَّهُ عِيسَى بْنُ مُرْيَمْ كَأَنَّهُ عَرْوَةُ بْنُ مَسْعُودَ ، فَيَطْلُبُهُ فِيهِ لَكَهُ ، ثُمَّ يَكْتُبُ النَّاسَ سَبْعَ سِنِينَ ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةً ، ثُمَّ يُرْسَلُ اللَّهُ رَبِّهَا بَارِدَةً مِنْ قَبْلِ الشَّامِ ، فَلَا يَقِنُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قُبْضَتَهُ ، حَتَّى لَوْ أَنْ أَحَدَهُمْ دَخَلَ كَبْدَ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبَضَهُ » . قال : سمعتها من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « فَيَقِنُ شَارِ النَّاسِ فِي خَفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحَلَامِ السَّبَاعِ ، لَا يَعْرُفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يَنْكِرُونَ مَنْكَرًا ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَبِقُولِهِ : لَا تَسْتَجِيْبُونَ ? فَيَقُولُونَ : فَمَا تَأْمَرْنَا ؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأُوْلَانِ ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَازِّ رِزْقَهُمْ ، حَسَنِ عِيشَتِهِمْ^[٤] ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْفَى لَيْتَا وَرْفَعَ لَيْتَا . قال : « وَأَوْلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلْوَطُ حَوْضَ إِبْلِهِ » . قال : « فَيَضْقَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ اللَّهُ - أَوْ قَالَ : يَنْزَلُ اللَّهُ - مَطْرَأً ، كَأَنَّهُ الطَّلَّ^[٥] » - أَوْ قَالَ : الطَّلَّ^[٦] - نَعْمَانُ الشَّاكِ - فَتَبَتَّتْ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ أَخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ هَلْمُوا إِلَيْ رِبِّكُمْ ، وَقَفُوْهُمْ إِلَيْهِمْ مَسْئُولُونَ . ثُمَّ يَقُولُ : أَخْرَجُوا بَعْثَ الدَّارِ . فَيَقُولُ : مَنْ كَمْ ؟ فَيَقُولُ : مَنْ كُلَّ أَلْفَ تَسْعَمَانَةِ وَتَسْعِينَ^[٧] ، قَالَ : فَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْعَلُ الْوَلَدَانَ شَيْئاً ، وَذَلِكَ يَوْمٌ يَكْشِفُ عَنْ سَاقِ^(٣٥) » .

فَقُولُهُ^[٨] : « ثُمَّ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْفَى لَيْتَا وَرْفَعَ لَيْتَا » . الْلَّيْتَ : هُوَ صَفْحَةُ الْعَنْقِ ، أَيْ : أَمَّالَ عَنْهُ لِيَسْتَمِعَهُ مِنَ السَّمَاءِ جَيْدًا .

فَهَذِهِ نَفْخَةُ الْفَرْزِ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَفْخَةُ الصَّعْقِ ، وَهُوَ الْمَوْتُ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَهُوَ الشُّورُ مِنَ الْقَبُورِ لِجَمِيعِ الْخَلَائِقِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ : « وَكُلُّ أَتُوهُ دَاهِرِينَ^[٩] » : قُرْئَانُ الْمَدِ ، وَبِغَيْرِهِ عَلَى الْفَعْلِ^(٤) ، وَكُلُّ بَعْنَى^[٩] وَاحِدٌ - وَهُوَ دَاهِرِينَ^[٩] أَيْ : صَاغِرِينَ مَطْبِعِينَ ، لَا يَتَخَلَّفُ أَحَدٌ عَنْ أَمْرِهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : « يَوْمٌ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيْبُونَ بِحَمْدِهِ^[٩] » ، وَقَالَ : « ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دُعَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَتَتْمُ تَخْرُجُونَ^[٩] » .

(٣٥) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشرطة الساعة حديث (٢٩٤٠) .

[١] - في ز ، خ : « نَحْوَهَا » .

[٢] - ما بين المعقودتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز ، خ : « الطَّلَّ » .

[٤] - في ز ، خ : « تَسْعَونَ » .

[٥] - في ز ، خ : « قَوْلَهُ » .

(*) قرأ حمزة وحفص عن عاصم : (أَتُوهُ) . وقرأ الباقون : (آتُوهُ) ممدودة مضمة التاء .

[٦] - في ز : « بَعْلُ » .

وفي حديث الصور : أنه في النخفة الثالثة يأمر الله الأرواح ، فتوضع في ثقب في الصور ، ثم ينفع لإسرافيل فيه بعدها تنبت الأجساد في قبورها وأماكنها ، فإذا نفع في الصور طارت الأرواح ، تتوهج أرواح المؤمنين نورًا ، وأرواح الكافرين ظلمة ، فيقول الله - عز وجل - : « وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى جسدها » ، فتجيء الأرواح إلى أجسادها ، فتدبر فيها كما يدبر السم في اللدغ ، ثم يقumen فينفضون التراب من قبورهم ، قال الله تعالى : « يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون » .

وقوله : « وترى الجبال تخسبها جامدة وهي تمر من السحاب » ، أي : تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه ، وهي تمر من السحاب ، أي : تزول عن أماكنها ، كما قال تعالى : « يوم تور السماء مورًا * وتسير الجبال سيراً » ، وقال : « ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً * فيذرها قاعاً صفصفاً * لا ترى فيها عوجا ولا أمتاً » وقال تعالى : « و يوم تسير^[١] الجبال وترى الأرض بارزة » .

وقوله : « صنع الله الذي أتقن كل شيء » ، أي : يفعل ذلك بقدرته العظيمة الذي قد أتقن كل ما خلق ، وأودع فيه من الحكمة ما أودع ، « إنه خبير بما تفعلون^[٢] » أي : هو عليم بما يفعل عباده من خير وشر فيجازيهم عليه .

ثم يين تعالى حال السعداء والأشقياء يومئذ فقال : « من جاء بالحسنة فله خير منها » قال قنادة : بالإخلاص . وقال زين العابدين : هي لا إله إلا الله . وقد يين في المكان الآخر أن له عشر أمثالها .

« وهم من فرع يومئذ آمنون » ، كما قال في الآية الأخرى : « لا يحزنهم الفزع الأكبر » . وقال : « ألمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيمة » وقال : « وهم في الغرفات آمنون » .

وقوله : « ومن جاء بالسيئة فكبّت وجوههم في النار » أي : من لقي الله مسيئاً لا حسنة له ، أو : قد رجحت سيئاته على حسناته ، كل بحسبه ، ولهذا قال : « هل تخزون إلا ما كنتم^[٣] تعملون » .

وقال ابن مسعود وأبو هريرة وابن عباس - رضي الله عنهم - وأنس بن مالك ، وعطاء ، وسعيد بن جبیر ، وعكرمة ، ومجاهد ، وإبراهيم التخمي ، وأبو وائل ، وأبو صالح ، ومحمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، والزهری ، والسدی ، والضحاک ، والحسن ، وقنادة ، وابن زید ، في

[١] - في ز : « تسير » وهي فراعة ابن عامر .

[٢] - في ز : « يفعلون » وهي فراعة ابن عامر .

[٣] - في ز : « كانوا » .

قوله : ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ۚ ﴾ ، يعني : بالشرك .

إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّكَ هَذِهِ الْبَلْدَةُ الَّتِي حَرَمَهَا اللَّهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَنَّ أَهْتَدَنِي فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ
وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلْ لِلَّهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيِّدُكُمْ مَا يَرَى
فَتَعْرِفُوهُنَّا وَمَا رَبُّكَ يَغْفِلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

يقول تعالى مخبرا [عن ^[١] رسوله، وأمرها له أن يقول : ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ
الْبَلْدَةِ الَّتِي حَرَمَهَا اللَّهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾] ، كما قال ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍ مِّنْ
دِيْنِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَبَعَّدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكُنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمْ ﴾ .

إضاف [٢] الروبية إلى البلدة على سبيل التشريف لها ^[٣] والاعتناء بها ، كما قال :
﴿ فَلَيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۗ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ﴾ .

وقوله : ﴿ الَّذِي حَرَمَهَا ﴾ ، أي : الذي إنما صارت حراماً وشرعاً ، بتحريره لها ، كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة : « إن هذا البلد حرمته الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيمة ، لا يقصد شوكله ، ولا ينفر صيده ، ولا يلقط لقطته إلا من عرفها ، ولا يختلي خلاها... » ^(٣) . الحديث بتمامه . وقد ثبت في الصحاح والحسان والمسانيد من طرق جماعة تفيد القطع ، كما هو مبين في موضعه من « كتاب الأحكام » ، والله الحمد .

وقوله : ﴿ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ ، من باب عطف العام على الخاص ، أي : هو رب هذه البلدة ، ورب كل شيء وملكيه ^{﴿ وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾} ، أي : الموحدين الملخصين المنقادين لأمره الطيعين له ^[٤] .

وقوله : ﴿ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ ﴾ ، أي : على الناس أبلغهم إياه ، كقوله : ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ
عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ وكقوله : ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ بَأْ مُوسَى وَفَرْعَوْنَ
بِالْحَقِّ لِقُومٍ ﴾ .

^(٣٦) صحيح البخاري ، كتاب الحج (١٨٣٤) ، صحيح مسلم ، كتاب الحج (١٣٥٣) ، وسنن أبي داود ،
كتاب المناك (٢٠١٨) ، وسنن الترمذى ، كتاب السير (١٥٩٠) ، وسنن النسائي ، كتاب مناسك الحج
(٢٠٣٥) ، والمسند (٢٠٩/١) .

[١] - ما بين المukoفين سقط من : ت .

[٢] - في ت : « إِضَافَةٌ » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

يؤمنون ﴿ ، أي : أنا مبلغ ومنذر ، ﴿ فمن اهتدى فلأنا يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من الم導رين ﴾ ، أي : لي سوية الرسل الذين أندروا قومهم ، وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة إليهم ، وخلصوا من عهدهم ، وحساب أئمهم على الله ، كقوله تعالى : ﴿ فلأنا عليك البلاغ وعلىنا الحساب ﴾ وقال : ﴿ إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل ﴾ .

﴿ وقل الحمد لله سيركم آياته فتعرفونها ﴾ ، أي : لله الحمد الذي لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه ، والإعذار إليه ؛ ولهذا قال : ﴿ سيركم آياته فتعرفونها ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ سريرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ .

وقوله : ﴿ وما ربك بغافلٍ عما تعلمون ﴾^[١] أي : بل هو شهيد على كل شيء .

قال ابن أبي حاتم : ذكر عن أبي عمر الحوضي حفص بن عمر : حدثنا أبو أمية بن يعلى الشفقي ، حدثنا سعيد بن أبي سعيد ، سمعت أبي هريرة يقول : قال رسول الله صلی الله عليه وسلم : « يا أيها الناس ، لا يغترّ أحدكم بالله ، فإن الله لو كان غافلا شيئاً لأغفل البعوضة والخردلة والذرة »^[٢] .

[وقال أيضاً^[٣] : حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا نصر بن علي ، قال أبي : أخبرني []^[٤] خالد بن قيس ، عن مطر ، عن عمر بن عبد العزيز قال : فلو كان الله مغافلا شيئاً لأغفل ما تغفي الرياح من أثر قدمي ابن آدم .

وقد ذكر عن الإمام أحمد - رحمة الله - أنه كان ينشد هذين البيتين ، إنما له أو لغيره :
 إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ، ولكن قل : على رقيب
 ولا تحسن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب



(١) رواه الدبلمي في مسنن الفردوس حديث (٨١٦٧) من طريق أبي أمية بن يعلى به .

[١] - في ز : « يعلمون » وهي إحدى الروايات عن ابن عامر .

[٢] - ياض في : خ .

[٣] - ما بين المukoفين في ز : « عن » .

تفسير سورة القصص

إلهي مكية

قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -: حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا وكيع ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن معد يكرب قال : أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ علينا  طسم  المائتين ، فقال : ما هي معي ، ولكن عليكم من أخذها من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : خاتم الأنبياء  . قال : فأتينا خاتم الأنبياء  ، فقرأها علينا رضي الله عنه ^(١) .

طسم  تلَّكَءَيْتُ الْكِتَبِ الْمَبِينِ  نَتَلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيًّا مُّوسَى
وَفَرَعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ  إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ
أَهْلَهَا شَيْعَةً يَسْتَضْعُفُ طَائِفَةً فِيهِمْ يُدَيْحُ أَشْيَاءَهُمْ وَيَسْتَخِيِّهُ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ
كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ  وَرَبِّيْدَ أَنْ نَمَّنَ عَلَى الَّذِينَ أَسْتَضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ
وَجَعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَجَعَلَهُمْ الْوَزَّارِيْنَ  وَنَسِّكَنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَرَبِّيْدَ
فِرْعَوْنَ وَهَامَنَ وَجَنَودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ 

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة :

وقوله :  ، أي : هذه  ، أي : الواضح الجلي الكافش عن حقائق الأمور ، وعلم ما قد كان وما هو كائن .

وقوله :  من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون  كما قال تعالى :  أي : نذكر [الأمر كما]  كان عليه كأنك شاهد وكأنك

(١) المسند (٤١٩/١) ، ومعد كرب هو الهسداي ، ويقال : العبد . ترجمه البخاري في التاريخ الكبير (٤١/٨) ، وأiben أبي حاتم (٣٩٨/٨) ولم يذكر في جرحه ولا تعديلا ، وذكره ابن حبان في الثقات (٥/٤٥٨) . وأبو إسحاق مدلس وقد عتن .

[١] - في ز ، خ : « الأُرث » . [٢] - في ز ، خ : « الأُرث » .

[٣] - ما بين المكوفين في ت : « ذلك الأمر على ما » .

حاضرة .

ثم قال : ﴿ إِنْ فَرْعَوْنَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَ ، أَيْ : تَكْبِرُ وَتَجْبَرُ وَطَغَى ، ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعَةً هُوَ ، أَيْ : أَصْنَافًا ، قَدْ صَرَفَ كُلَّ صِنْفٍ فِيمَا يَرِيدُ مِنْ أُمُورِ دُولَتِهِ .

وقوله : ﴿ يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ هُوَ ، يعني : بني إسرائيل ، و كانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم ، هذا ، وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العيني ، يستعملهم في أحسن الأعمال ، ويَكْذُفُهُمْ لِيَلَا وَنَهَارًا فِي أَشْغَالِهِ وَأَشْغَالِ رَعْيَتِهِ ، ويقتل مع هذا أبناءهم ويستحيي نساءهم ؛ إهانة لهم واحتقاراً ، وخوفاً من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته من^[١] أن يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهباته على يديه ، وكانت القبط قد تلقوا هذا من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم الخليل ، حين ورد الديار المصرية ، وجرى له مع جبارها ما جرى ، حين أخذ سارة ليتزوجها جارية ، فصانها الله منه ، ومنع منها بقدرته وسلطانه ، فبشر إبراهيم - عليه السلام - ولده أنه سيولد من صلبه وذريته من يكون هلاك ملك مصر على يديه ، وكانت^[٢] القبط تتحدث بهذا عند فرعون ، فاستقر فرعون من ذلك ، وأمر بقتل ذكر^[٣] بني إسرائيل ، ولن ينفع حذر من قدر ؛ لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ، ولكن أجل كتاب ، ولهذا قال : ﴿ وَنَرِيدُ أَنْ غُنْمَنَا عَلَى الَّذِينَ يَسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلُهُمْ أَئْمَةً وَجَعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ وَغَنَّمَنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرِيدُ فَرَعْوَنَ وَهَامَانَ وَجَنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذِرُونَ هُوَ ، وقد فعل تعالى بهم ذلك ، كما قال : ﴿ وَأُورَثُنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَضْعِفُونَ مُشَارِقَ الْأَرْضِ وَمُغَارِبِهَا التِّي بَارَكَنَا فِيهَا وَقَتَّ كَلْمَةَ رِبِّ الْحَسَنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَفَرُوا مَا كَانَ يَصْنَعُ فَرَعْوَنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ هُوَ وَقَالَ : ﴿ كَذَلِكَ وَأُورَثُنَا هُنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ هُوَ ، أَرَادَ فَرَعْوَنَ بِحُولِهِ وَقُوَّتِهِ أَنْ يَنْجُو مِنْ مُوسَى ، فَمَا نَفَعَهُ ذَلِكَ مَعَ [٤] قَدَرِ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يُخَالِفُ أَمْرَهُ الْقَدْرِيِّ ، بَلْ نَفَذَ حُكْمَهُ وَجَرَى قَلْمَهُ فِي الْقِدْمَ [٥] بِأَنْ يَكُونَ إِهْلَاكُ فَرَعْوَنَ عَلَى يَدِهِ ، بَلْ يَكُونُ هَذَا الْغَلَامُ الَّذِي احْتَرَزَتْ مِنْ وَجُودِهِ ، وَقُتِلَّ بِسَبِيلِ الْأَوْقَانِ الْوَلَدَانِ إِنَّمَا^[٦] مِنْشُؤُهُ وَمِرْبَاهُ عَلَى فَرَاشَكَ ، وَفِي دَارِكَ ، وَغَذَاؤُهُ مِنْ طَعَامِكَ ، وَأَنْتَ تُرِيَهُ وَتَدَلَّهُ وَتَفَدَّاهُ^[٧] ، وَحَتَّفَكَ وَهَلَاكَ جَنُودُكَ عَلَى يَدِهِ ، لَتَعْلَمَ أَنَّ رَبَ السَّمَوَاتِ الْعَلَا هُوَ الْفَاهِرُ الْغَالِبُ الْعَظِيمُ ، الْعَزِيزُ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ الْحَالَ ، الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ .

وَأَوْحَيْنَا إِلَيْنَا أَمْرٌ مُّبِينٌ أَنَّ أَرْضَنَا هُوَ إِنَّمَا خَفَقَتْ عَلَيْهِ فَكَلَّفَنَا فِي أَيْمَانِهِ وَلَا

[١] - في ز ، خ : « منه » .

[٢] - في ت : « ذكر » .

[٣] - في ز : « من » .

[٤] - في ز ، خ : « تنفذه » .

[٥] - في ز ، خ : « وإنما » .

[٦] - في ز ، خ : « ذكر » .

[٧] - في ز ، خ : « تنفذه » .

تَخَافِي وَلَا تَحْزِقُ إِنَّا رَادُوهُ إِلَيْكُمْ وَجَاعَلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ ٧ فَالنَّفَّاثَةُ مَآلٌ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًا وَحَزْنًا إِنَّ فَرْعَوْنَ وَهَامَنَ وَجَهُودُهُمَا كَانُوا خَطِيعِينَ ٨ وَقَالَتِ امْرَأَتُ إِرْعَوْنَ قَرَّتْ عَيْنِي لَكَ لَا نَقْتُلُهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَشْخُذُهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٩

ذكروا أن فرعون لما أكثر من قتل ذكور بني إسرائيل ، خافت القبط أن يُفْنِي بني إسرائيل ، فيأتُونَهم ما كانوا يلونه من الأعمال الشائنة ، فقالوا لفرعون : إنه يوشك - إن استمر هذا الحال - أن يموت شيوخهم وغلمانهم لا يعيشون ، ونساؤهم لا يمكن أن يُفْنِي بها يقوم به رجالهم من الأعمال ، فيخلص إلينا ذلك ؟ فأمر بقتل الولدان عاماً وتركهم عاماً ، فولد هارون - عليه السلام - في السنة التي يتركون فيها الولدان^[١] ، وولد موسى - عليه السلام - في السنة التي يقتلون فيها الولدان ، وكان لفرعون أناس موكلين^[٢] بذلك ، وقوابيل يذرون^[٣] على النساء ، فمن رأيتها قد حملت أحصوا اسمها ، فإذا كان وقت^[٤] ولادتها لا يُفْنِيها إلا نساء القبط ، فإن ولدت المرأة جارية تركتها وذهبن ، وإن ولدت غلاماً دخل أولئك الذباخون ، بأيديهم الشفار المرهفة ، فقتلوه ومضوا يُبَخِّهُمُ الله . فلما حملت أم موسى به - عليه السلام - لم يظهر عليها مخايب العمل كغيرها ، ولم تقطن^[٥] لها الدايات ، ولكن لما وضعته ذكرها ضاقت به ذرعاً ، وخففت عليه خوفاً شديداً وأحبته حباً زائداً ، وكان موسى - عليه السلام - لا يراه أحد إلا أحبه ، فالسعيد من أحبه طبعاً وشرعاً ، قال الله تعالى : ﴿وَأَلْقِتْ عَلَيْكَ مَحْبَبَهُمْ﴾ فلما ضاقت ذرعاً به ألمَتْ في سرّها ، وألقى في خلدها ، ونُفِتَّ في رُوعها ، كما قال الله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ إِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيَهُ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزِقُ إِنَّا رَادُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الرَّسِّلِينَ﴾ . وذلك أنه كانت دارها على حافة النيل ، فاتخذت تابوتاً ، ومهدت فيه مهدًا ، وجعلت [ترپع ولدها]^[٦] ، فإذا دخل عليها أحد من تخافه جعلته في ذلك التابوت ، وسيرته في البحر ، وربطته^[٧] بحمل عندها . فلما كان [في بعض الأيام]^[٨] دخل عليها [أحد من]^[٩] تخافه ، فذهبت فوضعته في ذلك التابوت ، وأرسلته

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « موكلون » .

[٣] - في ز ، خ : « بفطن » .

[٤] - ما بين المعکوفین في ز ، خ : « ترجع ولدًا » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - ما بين المعکوفین في ز : « من » .

[٧] - ما بين المعکوفین في ز ، خ : « ذفن يوك » .

في البحر وذهلت عن أن تربطه ، فذهب مع الماء واحتمله ، حتى مر به على دار فرعون ، فال نقطه الجواري فاحتملته ، وذهب [١] به إلى امرأة فرعون ، ولا يدرى ما فيه ، وخشين أن يفتنن عليها فتتح دونها ، فلما كشفت عنه إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأبهاه ، فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت إليه ، وذلك لسعادتها وما أراد الله [٢] من كرامتها وشقاوتها بعلها ؛ ولهذا قال : ﴿فال نقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا﴾ .

قال محمد بن إسحاق وغيره : « اللام » ه هنا [٣] لام العاقبة ، لا لام التعليل ، لأنهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك . ولا شك أن ظاهر اللفظ يقتضي ما قالوه ، ولكن إذا نظر إلى معنى السياق فإنه تبقى اللام للتعليل ؛ لأن معناه أن الله - تعالى - قضى لهم لالتقاطه ليجعله لهم عدواً وحزناً ، فيكون أبلغ [في إبطال] [٤] حذره منه ؛ ولهذا قال : ﴿إن فرعون وهامان وجندهما كانوا خاطئين﴾ .

وقد روی عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزير أنه كتب كتاباً إلى قوم من القدرة ، في تكذيبهم بكتاب الله وبأقداره النافذة في علمه السابق : موسى في علم الله السابق لفرعون عدو وحزن ، قال الله تعالى : ﴿ولري [٥] فرعون وهامان وجندهما منهم ما كانوا يحدرون﴾ ، وقلتم أنتم : لو شاء فرعون أن يكون موسى ولائنا وناصراً ، والله يقول : ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ .

وقوله تعالى : ﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخرده ولدًا وهم لا يشعرون﴾ ، يعني أن فرعون لما رأه هم يقتله خوفاً من أن يكون من بني إسرائيل ، فجعلت امرأته آسية بنت مزاحم تُحاجج [٦] عنه وتذبّث دونه ، وتحببه إلى فرعون ، فقالت : ﴿قرة عين لي ولك﴾ ، فقال : أَمَا لِكَ فَتَعْمَ ، وأَمَا لِي فَلَا . فكان كذلك ؛ فهدأها [٧] الله به ، وأهللها الله على يديه . وقد تقدم في حديث الفتون في « سورة طه » هذه القصة بطولها من رواية ابن عباس مرفوعاً عند النسائي وغيره .

وقوله : ﴿عسى أن ينفعنا﴾ ، وقد حصل لها ذلك ، وهداها الله به ، وأسكنها الجنة بسببيه .

وقولها : ﴿أو نتخرده ولدًا﴾ ، أي : أرادت أن تخترده ولدًا وتتبناه [٨] ، وذلك أنها [٩] لم

[١] - في ت : « فذهب ». .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « هنا » .

[٤] - ما بين المعکوفین سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « لوري » .

[٦] - في ز ، خ : « تحاجج » .

[٧] - في ت : « وهداها » .

[٧] - في خ ، ز : « وتبنت له » .

[٩] - في ز ، خ : « أنه » .

یکن لها ولد منه.

وقوله تعالى : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ، أي : لا يدركون ما أراد الله منه بالتقاطهم إياه ، من الحكمة العظيمة [البالغة ، واللحجة القاتمة] [١].

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِيقًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي يَهُ، لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَى
قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقَالَتْ لِأَخْتِهِ، قُصَيْبَةَ فَبَرَّتْ يَهُ، عَنْ
جُبْرِ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَحَرَّمَنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلِ فَقَالَتْ هَلْ
أَدْلَكُكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَمْ تَنْصِحُونَ ۝ فَرَدَدَتْهُ إِلَيْهِ
أُمُّهُ، كَيْ نَقَرَّ عَيْنَهَا وَلَا تَخْرُبَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلِكُنَّ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝

يقول تعالى مخبراً عن فؤاد أم موسى ، حين ذهب ولدها في البحر : إنه أصبح فارغاً ، أي : من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى ؛ قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبو عبيدة ، والضحاك ، والحسن البصري ، وقادة ، وغيرهم .

﴿إِنْ كَادَتْ لِتُبْدِي بِهِ﴾ ، أَيْ : إِنْ كَادَتْ مِنْ شَدَّةِ وَجْدَهَا وَحْزَنَهَا وَأَسْفَهَا لَتُظْهِرَ اللَّهَ ذَهَبَ لَهَا وَلَدٌ ، وَتَبْخِرَ بِحَالَهَا ، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَصَبَرَهَا ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَقَالَتْ لِأَخْهَهُ فَقِيهٍ ﴿فَقِيهٍ﴾ ، أَيْ : أَمْرَتْ ابْنَهَا - وَكَانَتْ كَبِيرَةً تَعْيَى مَا يَقَالُ لَهَا - فَقَالَتْ لَهَا : ﴿فَقِيهٍ﴾ ، أَيْ : اتَّبِعِ أَثْرَهُ ، وَخَذِي خَبْرَهُ ، وَتَطَلَّبِي شَانَهُ مِنْ نَوْاحِي الْبَلْدِ . فَخَرَجَتْ لِذَلِكَ ، ﴿فَبَضَرَثَ بِهِ عَنْ جَنْبَهُ﴾ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : عَنْ جَانِبِهِ .

وقال مجاهد: ﴿فَبَصَرْتُ بِهِ عَنْ جَنْبٍ﴾ عن بعيد.

وقال قعادة: جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده.

وذلك أنه لما استقر موسى - عليه السلام - بدار فرعون ، وأحبته امرأة الملك ، واستطاعته منه ، عرضوا عليه المراضع التي في دارهم ، فلم يقبل منها ثديا ، وأنهى أن يقبل شيئاً من ذلك .

[١] - في خ ، ز : « والحجۃ البالغة » .

فخرجو به إلى سوق لعلمهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته ، فلما رأته بأيديهم عرفته ، ولم تظهر ذلك ولم يشعروا بها ، قال الله تعالى : ﴿ وحرمنا عليه المراضع من قبل ﴾ ، أي : تخرباً قدرياً ، وذلك لكرامة الله له ، صانه عن أن يرتكب غير ثدي أمه ، ولأن الله - سبحانه - جعل ذلك سبباً إلى رجوعه إلى أمه ، لرضاعه وهي آمنة ، بعد ما كانت خائفة . فلما رأتهم حائزين فيمن يرضعه ﴿ قالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ﴾ .

قال ابن عباس : لما قالت ذلك أخذوها ، وشكوا في أمرها ، وقالوا لها : وما يدركك نصحهم له وشفقهم عليه ؟ فقالت : نصحهم له وشفقهم عليه رغبتهم في ظُفُوره^[١] الملك ورجاء منفعته . فأرسلوها ، فلما قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم ، ذهبوا معها إلى منزلهم ، فدخلوا به على أمه ، فأعطيته ثديها فالتمم ، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً .

وذهب البشير إلى امرأة الملك ، فاستدعت أم موسى ، وأحسنت إليها ، وأعطتها عطاء جزيلاً ، وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة ، ولكن لكونه وافق ثديها . ثم سألتها أسيمة أن تقim عندها فترضعه ، فأبأته عليها ، وقالت : إن لي بعلاً وأولاداً ، ولا أقدر على المقام عندك ، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت . فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك ، وأخرجت عليها الفقة والصلات^[٢] والكساوي والإحسان الجليل . فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية ، قد أبدلها الله من بعد خوفها آمناً ، في عز وجله ورزق دارٌ؛ ولهذا جاء في الحديث : « مثل الذي يعمل ويحتسب في صنعته الخير ، كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها ». ولم يكن بين الشدة والفرح إلا القليل : يوم وليلة ، أو^[٣] نحوه ، والله أعلم ، فسبحان من يبيه الأمر ! ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، الذي يجعل من اتقاه بعد كل هم فرجاً ، وبعد كل ضيق مخرجاً ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ﴾ ، أي : به ، ﴿ ولا تخزن ﴾ ، أي : عليه ، ﴿ ولتعلم أن وعد الله حق ﴾ ، أي : فيما وعدها من رده إليها ، وجعله من المرسلين ، فحيثند تحقق تبرده إليها أنه كائن منه رسول من المرسلين ، فعاملته في تربيتها ما ينبغي له طبعاً وشرعاً .

وقوله : ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ ، أي : حكم الله في أفعاله وعواقبها المحمودة ، التي هو المحمود عليها في الدنيا والآخرة ، فربما يقع الأمر كريهاً إلى النفوس ، وعاقبته محمودة في نفس الأمر ، كما قال تعالى : [﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ﴾] ، وقال تعالى^[٤] : ﴿ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ .

[١] - في خ ، ز : « صهر » .

[٢] - في ز ، خ : « أبي » .

[٣] - ما بين المعکوفین سقط من : خ ، ز .

وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدُهُ وَأَسْتَوَى إِلَيْهِ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾
 وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَلَانِ هَذَا مِنْ
 شَيْئِيهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْثَهُ اللَّهُي مِنْ شَيْئِيهِ عَلَى اللَّهِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ
 مُؤْمِنٌ فَقُضِيَ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ
 إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ
 إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾

لما ذكر تعالى مبدأ أمر موسى - عليه السلام - ذكر أنه لما بلغ أشدده واستوى ، آتاه الله
 حكمًا وعلمنا . قال مجاهد : يعني النبوة : ﴿١﴾ وكذلك تجزي المحسنين ﴿٢﴾ .

ثم ذكر تعالى سبب وصوله إلى ما كان تعالى قادر له من النبوة والتكليم : قضية قتله ذلك
 القبطي ، الذي كان سبب خروجه من السياج المصرية إلى بلاد مدين ، فقال تعالى : ﴿٣﴾ ودخل
 المدينة على حين غفلة من أهلها ﴿٤﴾ ، قال ابن مهرجيج ، عن عطاء الخراصاني ، عن ابن عباس :
 وذلك بين المغرب والعشاء .

وقال ابن المنكدر ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس : كان ذلك نصف النهار . وكذلك
 قال سعيد بن جبير ، وعكرمة ، والسدسي ، وقادادة .

﴿١﴾ فوجد فيها رجلين يقتلان ﴿١﴾ ، أي : يتضاربان ويتنازعان ، ﴿٢﴾ هذا من شيعته ﴿٣﴾ ، أي :
 منبني إسرائيل ، ﴿٤﴾ وهذا من عدوه ﴿٥﴾ ، أي : قبطي ؛ قاله ابن عباس ، وقادادة ، والسدسي ،
 ومحمد بن إسحاق . فاستغاث الإسرائيلى موسى [١] عليه السلام ، ووجد موسى فرصة ،
 وهي [٢] غفلة الناس ، فعمد إلى القبطي ﴿٦﴾ فوكره موسى فقضى عليه ﴿٧﴾ .

[قال [٣] مجاهد : وكره ، أي : طعن بجمع [٤] كفه .]

وقال قادة : وكره بعصا [٥] كانت معه .

﴿٨﴾ فقضى عليه ﴿٩﴾ ، أي : كان فيها حتفه فمات ، [قال [٦] موسى : ﴿١﴾ هذا من عمل

[١] - في ت : « موسى » .

[٢] - في ت : « وقال » .

[٣] - في ز ، خ : « بعصاه » .

[٤] - في ز ، خ : « وهو » .

[٥] - في خ ، ز : « بجمع » .

[٦] - في ز ، خ : « فقال » .

الشيطان ، إنه عدو مضل مبين * قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم * قال رب بما أنعمت علي **هـ** ، أي : بما جعلت لي من الجاه والعزة^[١] والمنعة **هـ** فلن أكون ظهيراً **هـ** ، أي : معيناً : **للمجرمين هـ** ، أي : الكافرين بك ، ، الخالقين لأمرك .

فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ حَابِّاً يَرْقُبُ فَإِذَا الَّذِي أَسْتَنْصَرَ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ **١٩ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَطْبَشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوُّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّعَ أَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تَرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ **٢٠****

يقول تعالى مخبراً عن موسى - عليه السلام - لما قتل ذلك القبطي : إنه أصبح **هـ** في المدينة خائفاً **هـ** ، أي : من معرة ما فعل **هـ** يتربّ **هـ** ، أي : يتلفت^[٢] و^[٣] يتوقع ما يكون من هذا الأمر ، فمر في بعض الطرق ، فإذا ذاك الذي استنصره بالأمس على ذلك القبطي يقاتل آخر ، فلما مر موسى استنصره على الآخر ، فقال له موسى : **هـ** إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ **هـ** ، أي : ظاهر الغواية كثير الشر . ثم عزم على البطش بذلك القبطي ، فاعتقد الإسرائيلي لخوره وضعفه وذلة أن موسى إنما يريد قصده لما سمعه يقول ذلك ، فقال يدفع عن نفسه : **هـ** يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس **هـ** ؟ وذلك لأنه لم يعلم به إلا هو وموسى عليه السلام ، فلما سمعها ذلك القبطي لقفها من فمه ، ثم ذهب بها إلى باب فرعون فألقاها عندهم^[٤] ، فعلم بذلك ، فاشتد حنقه ، وعزم على قتل موسى ، فطلبوه وبعثوا وراءه ليحضروه لذلك .

وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَّعَ إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتِمُونَ إِنَّكَ لِيَقْتُلُوكَ فَأَخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ **٢١**

قال تعالى : **هـ** وجاءَ رجل **هـ** ، وصفه بالرسوخية ؛ لأنَّه خالف الطريق ، فسلك طريقاً أقرب من طريق الذين بعثوا وراءه ، فسبق إلى موسى ، فقال له : يا موسى ، **هـ** إنَّ الْمَلَأَ يَأْتِمُونَ بِكَ **هـ** ، أي : يشاورون فيك **هـ** ليقتلوك فاخْرُجْ **هـ** ، أي : من البلد ، **هـ** إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ **هـ** .

[١] - في ت : « العزة » .

[٢] - في ز ، خ : « يتقلب » .

[٣] - في ز ، خ : « أي » .

[٤] - في ت : « عنده » .

فَرَجَّعَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَالَّرَبِّ يَخْبُرُهُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ لِتَلَاقِهِ
مَدِينَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءً السَّبِيلُ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينَ
وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً قَاتَلَتِ النَّاسَ إِنْ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أُمَّرَاتٍ تَذُوَّانٍ
قَالَ مَا حَطَبُكُمْ ﴿٢٣﴾ قَالُوا لَا نَسْقِي حَتَّى يُضْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ
فَسَقَى لَهُمَا ثَمَّ تَوَلَّنَ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّي إِنِّي لِمَا أَزَّلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ

﴿٢٤﴾

لما أخرجه ذلك الرجل بما تملاه عليه فرعون ودولته في أمره ، خرج من مصر وحده ، ولم يألف ذلك قبله ، بل كان في رفاهية ونعمة ورياسة ، ﴿فَرَجَّعَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ، أي : يتلفت ، ﴿قَالَ رَبِّي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ، أي : من فرعون وملته . فذكروا أن الله - سبحانه وتعالى - بعث له ملكا على فرس ، فأرشده إلى الطريق ، فالله أعلم .

﴿وَلَا تَوَجَّهْ تَلَاقِهِ مَدِينَ﴾ أي : أخذ طريقا سالكاً مهيناً . فرح بذلك ، ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءً السَّبِيلُ﴾ ، أي : إلى الطريق الأقوم . فعل الله به ذلك ، وهداه إلى الطريق المستقيم في الدنيا والآخرة ، فجعله هادياً مهدياً .

﴿وَلَا وَرَدَ مَاءَ مَدِينَ﴾ أي : ولما وصل إلى مدين وورد ماءها ، وكان لها بئر ترده رعاء الشاء .

﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ﴾ أي : جماعة ﴿يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أُمَّرَاتٍ تَذُوَّانٍ﴾ ، أي : تكشفن غنمهما أن [١] ترد مع غنم أولئك الرعاء لثلا يؤذيا . فلما رأهما موسى - عليه السلام - رق لهما ورحمهما ، ﴿قَالَ مَا حَطَبُكُمْ﴾ ، أي : ما خبركم لا تردان مع هؤلاء ؟ ﴿قَالُوا لَا نَسْقِي حَتَّى يُضْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ ، أي : لا يحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء ، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ، أي : فهذا الحال الملجن لنا إلى ما ترى . قال الله تعالى : ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ .

قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا عبد الله ، أباانا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو [٢] ابن ميمون الأودي ، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن موسى - عليه السلام - لما ورد ماء مدين ، وجد عليه أمة من الناس يسقون ، قال : فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ،

[١] - في ز : « أي » .

[٢] - في خ ، ز : « عروة » .

ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال ، فإذا هو بأمرأتين تذودان ، قال : ما خطبكما ؟ فحدثاه^[١] ، فأتى الحجر فرفعه ، ثم لم يستق إلا ذنباً واحداً حتى روته الغنم . إسناد صحيح^[٢] .

وقوله : « ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت^[٣] إلي من خير فقير » ، قال ابن عباس : سار موسى من مصر إلى مدين ، ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر ، وكان حافياً مما وصل [إلى]^[٤] مدين حتى سقطت نعل قدمه^[٥] وجلس في الظل ، وهو صفو الله من خلقه ، وإن بطنه لاصق بظهره من الجوع ، وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه ، وإن لحاج إلى شق ثمرة .

وقوله : « إلى الظل » قال ابن عباس وابن مسعود والسدى : جلس تحت شجرة .

وقال ابن حرير^(٣) : حدثني الحسين بن عمرو العنقزي ، حدثنا أبي ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : حثثت على جمل ليترين ، حتى صبّحت مدين ، فسألت عن الشجرة التي أتى إليها موسى ، فإذا شجرة خضراء ترف ، فأهوى إليها جملي - وكان جائعاً - فأخذها جملي فعالجها ساعة ، ثم لفظها ، فدعوت الله لموسى - عليه السلام - ثم انصرفت . وفي رواية عن ابن مسعود أنه ذهب إلى الشجرة التي كلم الله منها موسى ، كما سيأتي ، والله أعلم .

وقال السدى : كانت من شجر الشمر .

و^[٥] قال عطاء بن السائب : لما قال موسى : « رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير » ، أنسع المرأة .

فَأَمْأَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمِشِي عَلَى أَسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنِّي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُمْ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْفَصَصَ قَالَ لَا تَخْفَفْ بَعْوَتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ **(٢٥)** قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَتَأْبِتْ أَسْتَجِرْهُ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوْمَ الْأَمِينِ **(٢٦)** قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى أَبْنَتِي هَنْتَنِ عَلَى أَنْ

(٢) المصنف لابن أبي شيبة (١١/٥٣٠) .

(٣) تفسير الطبرى (٢٠/٣٧) .

[١] - في ز ، خ : « فحدثاه » .

[٢] - في ز ، خ : « أنزل » .

[٤] - في ز : « ولما » .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من : ت .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

تَأْجِرَنَّ ثَمَنًا حَجَجُ فَإِنْ أَتَمْمَتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشْقَ
عَلَيْكَ سَتَجْدِفَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِ وَبَيْنَكَ
أَيْمَانًا الْأَجْلَانِ قَضَيْتُ فَلَا عُذْوَنَّ عَلَىٰ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ ﴿٢٨﴾

لما رجعت المرأةان سراغاً بالغنم إلى أبيها ، أنكر حالهما ومجدهما سريعاً ، فسألهما عن خبرهما ، فقصتا عليه ما فعل موسى عليه السلام ، فبعث إحداهما إليه لتدعوه إلى أبيها . قال الله تعالى : ﴿فَجَاءَهُ إِحْدَاهُمَا تَمَشِيٌّ عَلَىٰ اسْتِحْيَاءِ﴾ ، أي : مشي الحراير ؛ كما روی عن أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - أنه قال : كانت مستترة بكم درعها .

وقال ابن أبي حاتم : [حدثنا أبي]^[١] ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : قال عمر - رضي الله عنه - : جاءت تمشي على استحياء ، قائلة بثوبها على وجهها ، ليست بسلف خراجة ولاجة . هذا إسناد صحيح .

قال الجوهري : السلف^[٢] من الرجال : الجسور ، ومن النساء : الجريمة السليطة ، ومن التوق : الشديدة .

﴿ قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾ ، وهذا تأدب في العبارة^[٣] ، لم تطلب طلبًا مطلقاً لثلا يوهم ريبة ، بل قالت : ﴿ إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾ ، يعني : ليشيك ويكاففك على سقيك لغمنا . ﴿ فلما جاءه وفتش عليه^[٤] القصص ﴾ ، أي : ذكر له ما كان من أمره ، وما جرى له من السبب الذي خرج من أجله من بلده ، ﴿ قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ . يقول : طب نفسها وقرع عيناً ، فقد خرجمت من مملكتهم فلا حكم لهم في بلادنا ؛ ولهذا قال : ﴿ نجوت من القوم الظالمين ﴾ .

وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل : من هو ؟ على أقوال ؛ أحدها : أنه شعيب النبي - عليه السلام - الذي أرسل إلى أهل مدین . وهذا هو المشهور عند كثرين ، وقد قاله الحسن البصري وغير واحد ، ورواه ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا ابن عبد العزيز الأوسي^[٥] ، حدثنا مالك بن أنس : أنه بلغه أن شيئاً هو الذي قص عليه موسى القصص ، قال : ﴿ لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ .

[١] - ما بين المعقوفين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : « العيادة » [٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « الأودي » . وهو تعريف . وما أثبتناه من تفسير ابن أبي حاتم . وهو الصواب . وانظر ترجمته في تهذيب الكمال [١٨ / ١٦٠].

وقد روى الطبراني^(٤) عن سلمة بن سعد العترى ، أنه وفد على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « مرجبا بقوم شعيب وأختان موسى ، هديت ». .

وقال آخرون : بل كان ابن أخي شعيب . وقيل : رجل مؤمن من قوم شعيب . وقال آخرون : كان شعيب قبل زمان موسى - عليه السلام - مدة طويلة ؛ لأنه قال لقومه^[١] : « وما قوم لوطنكم بعيد » . وقد كان هناك قوم لوطن في زمن الخليل - عليه السلام - ينص القرآن ، وقد علم أنه كان بين موسى والخليل - عليهما السلام - مدة طويلة تزيد على أربعين سنة ، كما ذكره غير واحد . وما قيل : إن شعيباً عاش مدة طويلة ، إنما هو - والله أعلم - احتراز من هذا الإشكال . ثم من المقوي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن هاهنا ، وما جاء في بعض الأحاديث من التصریع بذكره في قصة موسى ، لم يصح إسناده ، كما سند ذكره قريباً إن شاء الله . ثم من الموجود في كتببني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه : « ثيرون^[٢] » ، والله أعلم .

وقال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود : وأثرون هو ابن أخي شعيب عليه السلام .

وعن أبي حمزة^[٣] ، عن ابن عباس : الذي استأجر موسى بثري^[٤] [صاحب مدین]^[٥] . رواه ابن جرير ، ثم قال : والصواب أن هذا لا يدرك إلا بخبر ، ولا خبر^[٦] تجب به^[٧] الحجة في ذلك .

وقوله : « قالت إحداهما يا أبتي استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين^[٨] » ، أي : قالت إحدى ابنتي هذا الرجل - قيل : هي التي ذهبت وراء موسى عليه السلام - قالت لأبيها : « يا أبتي استأجره^[٩] » ، أي : لرغبة^[١٠] هذه الغنم .

قال عمر ، وابن عباس ، وشريح القاضي ، وأبو مالك ، وقتادة ، ومحمد بن إسحاق ، وغير واحد : لما قالت : « إن خير من استأجرت القوي الأمين^[١١] » قال لها أبوها : وما علمت بذلك ؟ قالت : إنه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال ، وإنه لما جئت معه تقدمت أمامه ، فقال لي : كوني من ورائي ، فإذا اجتنب الطريق فاحذفي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأنهدى إليه .

(٤) المعجم الكبير (٥٥/٧) من طريق حفص بن سلمة عن شيبان بن قيس عن سلمة بن سعد به ، وقال الهيثمي : « فيه من لم أعرفهم » .

[١] - في ز ، خ : « لقوم » .

[٢] - في ز ، ز : « بثري » .

[٣] - في خ ، ز : « سمرة » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٦] - في ز : « رعية » .

[٧] - في ز ، خ : « فيه » .

قال سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : أفرس الناس ثلاثة : أبو بكر حين تفرس في عمر ، وصاحب يوسف حين قال : أكرمي مثواه ^١ ، وصاحبة موسى حين قالت : يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ^٢ .

قال : ^٣ إللي أريد أن أكحلك إحدى ابنتي هاتين ^٤ ، أي : طلب إليه هذا الرجل الشيخ الكبير أن يرعى عنه ، ويزوجه إحدى ابنته هاتين .

قال شعيب الجبائي : وهما صفروا ولها .

وقال محمد بن إسحاق : صفروا وشرقا ، ويقال : لها .

وقد استدل أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية [على صحة] ^٥ البيع فيما إذا قال : بعتك أحد ^٦ هذين العبددين بمائة . فقال ^٧ : اشتريت له يصح ، والله أعلم .

وقوله : ^٨ على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرًا فمن عندك ^٩ ، أي : على أن ترعى علي ثماني سنين ، فإن تبرعت بزيادة ستين فهو إليك ، ولا فني ثمان كفاية ، ^{١٠} وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين ^{١١} أي : لا أشاقك ، ولا أؤذيك ^{١٢} ، ولا أماريك .

وقد استدلوا بهذه الآية الكريمة لذهب الأوزاعي فيما إذا قال : بعتك هذا بعشرة نقداً ، أو بعشرين نسية ، أنه يصح ، وبختار المشتري بأيهما أحده صحيحاً ، وتحمل الحديث المروي في سنن أبي داود : « من باع بيعين في بيعة ، فله أوكسهما أو الريا » ^{١٣} . على هذا المذهب . وفي الاستدلال بهذه الآية وهذا الحديث على هذا المذهب - نظر ، ليس هذا موضع بسطه لطوله ، والله أعلم .

ثم قد استدل أصحاب الإمام أحمد ومن تبعهم ، في صحة استئجار الأجير بالطعمه والكسوة بهذه الآية ، واستأنسوا في ذلك بما رواه أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة في كتابه السنن ، حيث قال : باب استئجار الأجير على لعلام بطنه : حدثنا محمد بن المصفي الحنصي ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن مسلمة بن علي ، عن سعيد بن أبي أيوب ، عن الحارث بن يزيد ، عن علي ابن رباح ، قال ^{١٤} : سمعت عقبة بن المنذر ^{١٥} يقول : كنا عند رسول الله صلى الله عليه

(٥) سنن أبي داود برقم (٣٤٦١) .

[١] - ما بين المukoفين في ز ، خ : « بصححة » .

[٢] - في ز ، خ : « إحدى » .

[٣] - في ز ، خ : « قال » .

[٤] - في ت : « أؤذيك » .

[٥] - في ز ، خ : « يقول » .

[٦] - في ز ، خ : « المنذر » .

وسلم فقرأ **﴿ طسم ﴾** ، حتى إذا بلغ قصة موسى قال : « إن موسى آجر نفسه ثمانى سنين - أو : عشر ^[١] سنين - على عفة فرجه وطعام بطنه » ^(١) .

وهذا الحديث من هذا الوجه ضعيف ؛ لأن مسلمة بن علي - وهو الحسن بن الدمشقي البلاطي - ضعيف الرواية عند الأئمة ، ولكن قد رُوي من وجه آخر ، وفيه نظر أيضاً .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا عبد الله بن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد الحضرمي ، عن علي بن ربات الحنفي ، قال : سمعت عبة بن الندر ^[٢] السلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن موسى آجر نفسه بعفة فرجه ، وطعمه بطنه » ^(٢) .

وقوله تعالى إخباراً عن موسى - عليه السلام - : **﴿ قال ذلك يبني وبينك أيا الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل ﴾** ، يقول : إن موسى قال لصهره : الأمر على ما قلت من أنك استأجرتني على ثمانى سنين ، فإن أتمت عشراً فمن عندي ، فأنما متى فعلت أولهما برئت من العهد ، وخرجت من الشرط ، وللهذا قال : **﴿ أيا الأجلين قضيت فلا عدوان علي ﴾** ، أي : فلا حرج علي مع أن الكامل - وإن كان مباحثاً - لكنه فاضل من جهة أخرى ، بدليل من خارج ، كما قال تعالى : **﴿ فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه ﴾** .

وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لحمزة بن عمرو الأسلي - رضي الله عنه - وكان كثير الصيام ، وسألته عن الصوم في السفر فقال : « إن شئت فصم ، وإن شئت فأفطر ^(٣) ». مع أن فعل الصيام راجح من دليل آخر . هذا ، وقد دل الدليل على أن موسى عليه السلام - إنما فعل أكمل الأجلين وأتمهما ، قال البخاري ^(٤) :

حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا مروان بن شجاع ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير [قال ^[٣] : سأله يهودي من أهل الحيرة : أى الأجلين قضى موسى ؟ فقلت : لا أدرى حتى أقدم على خبر العرب فأسأله . فقدمت فسألت ابن

(١) سنن ابن ماجه برقم (٢٤٤٤) ، وضعفه البوصيري في الرواية (٢٦٠/٢) لتدعیس بقية بن الوليد .

(٢) ورواه البزار في مستنته برقم (١٤٩٥) « كشف الأستار » من طريق يحيى بن بكر عن ابن لهيعة بأطول منه ، وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف .

(٣) رواه أحمد في مستنته (٤٩٣/٣) ، والنمسائي في السنن (٤/١٨٥) .

(٤) صحيح البخاري برقم (٢٦٨٤) .

[١] - في ز ، خ : « عشرة » .

[٢] - في ز ، خ : « المندر » .

[٣] - ما بين المعقوفين مكررة في ز ، خ .

عباس - رضي الله عنه - فقال : قضى أكثرهما وأطيبهما ، إن رسول الله إذا قال فعل . هكذا روأه البخاري ، وهكذا رواه حكيم بن جبير وغيره ، عن سعيد بن جبير . ووقد في « حديث الفتن » ، من روایة القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبير : أن الذي سأله رجل من أهل الصحراء ، والأول أشبه ، والله أعلم . وقد رُوي من حديث ابن عباس مرفوعاً :

قال ابن جرير^(١٠) : حدثنا أحمد بن محمد الطوسي ، حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثني إبراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سألت جبريل : أي الأجلين قضى موسى ؟ قال : أكملاهما وأتقهما ». ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن الحميدي ، عن سفيان - وهو ابن عبيدة - حدثني إبراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب - وكان من أستاني أو أصغر مني - فذكره .

قلت: وإبراهيم هذا ليس معروف.

ورواه البزار^(١) عن أَحْمَدَ بْنِ أَبْيَانَ الْقُرْشِيِّ ، عَنْ سَفِيَّانَ بْنِ عَيْنَةَ []^[١] ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَعْيَنِ ، عَنْ الْحَكْمَ بْنِ أَبْيَانَ ، عَنْ عَكْرَمَةَ ، عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرَهُ ، ثُمَّ قَالَ : لَا نَعْرِفُ مَرْفُوعًا عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَرْجَهِ .

وقال ابن أبي حاتم : قرئ على يونس بن عبد الأعلى ، أئبأنا ابن وهب ، أئبأنا عمرو بن الحارث ، عن يحيى بن ميمون الحضرمي ، عن يوسف بن سزوح [٢] ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل : أي الأجلين قضى موسى ؟ قال : « لا علم لي ». [سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل ، فقال جبريل : لا علم لي [٣]. فسأل جبريل ملكاً فوقه فقال : لا علم لي . فسأل ذلك الملك ربه - عز وجل - عما سأله عنه جبريل عما سأله عنه محمد - صلى الله عليه وسلم - فقال الرَّبُّ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى : (قضى [٤] إِبْرَاهِيمَ وَأَبْقَاهُمَا - أو قال :

(١٠) تفسير الطبری (٤٤/٢٠).

(١١) قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (١٢٤/١) : «إبراهيم بن يحيى العدني عن الحكم بن أبيان وعن سفيان بن عيينة بخبر منكر والرجل نكرة ، وحديثه عن الحميدي ومنته: سأله النبي - صلى الله عليه وسلم - جبريل عليه السلام أي الأجلين قضى موسى ، انتهى . وهذا الرجل ذكره ابن حبان في الثقات . وقال الأزدي : لا يتابع في حديثه ، وأخرج الحاكم حديثه المذكور في المستدرك » .

[١] - ما بين المukoftين في ز : « عن إبراهيم ». .

[٢] - في ز ، خ ، ت : «تبرح» . وهو تحريف وتشويه . والمشتبث من تفسير ابن أبي حاتم . وترجمته في المحرح والتعديل [٩ / ٢٢٣] ولكنه لم يصرح بتحديث يحيى بن ميمون عنه ، وقد صرخ بذلك الدارقطني فقال في المؤتلف والمخالف [٣ / ١٢٥] : يوسف بن سرح ، مصرى ، روى عنه يحيى بن ميمون الحضرى ،

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٤] - سقط من : ز ، خ .

أزكاهما - ^(١٢)

وهذا مرسل : وقد جاء مرسلًا من وجه آخر ، قال^[١] شنيد : حدثنا حجاج ، عن ابن جرير ، قال : قال مجاهد : إن النبي صلى الله عليه وسلم سأله جبريل : « أي الأجلين قضى موسى ؟ فقال : سوف أسأله إسرافيل . فسأله فقال : سوف أسأله رب عز وجل . فسألته فقال : أبربهما وأوفاهما » ^(١٣) .

(طريق أخرى مرسلة أيضًا) قال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبي ، حدثنا أبو معاشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : شئل رسول الله صلی الله عليه وسلم : أي الأجلين قضى موسى ؟ قال : « أوفاهما وأتّهمها » ^(١٤) .

فهذه طرق متعاضدة ، ثم قد روی مرفوعاً من رواية أبي ذر - رضي الله عنه - : قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا أبو عبيد الله يحيى بن محمد بن السكن ، حدثنا إسحاق بن إدريس ، حدثنا عَوْيَذُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْجُونِيَّ ^[٢] ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر : أن النبي - صلی الله عليه وسلم - شئل : أي الأجلين قضى موسى ؟ قال : « أوفاهما وأبربهما » . قال : « وإن شئت ^[٣] : أي المراتين ترُوَّجْ ؟ فقل : الصغرى منهما » .

ثم قال البزار : لا نعلم بروي عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد ^(١٥) .

وقد رواه ابن أبي حاتم من حديث عَوْيَذُ بْنُ أَبِي عُمَرَ - وهو ضعيف - ثم قد روی أيضًا نحوه من حديث عتبة بن اللثَّر ^[٤] بزيادة غريبة جداً ، فقال أبو بكر البزار : حدثنا عمر بن الخطاب السجستاني ، حدثنا يحيى بن بكيه ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا الحارث بن يزيد ، عن أبي علي بن رباح اللخمي قال : سمعت عتبة بن اللثَّر ^[٥] يقول : إن رسول الله صلی الله عليه وسلم شئل : أي الأجلين قضى موسى ؟ قال : « أبربهما وأوفاهما » . ثم قال النبي ، صلی الله عليه وسلم : « إن موسى - عليه السلام - لما أراد فراق شعيب - عليه السلام - أمر امرأته أن تسألهما أن يعطيهما من غنمه ما يعيشون به ، فأعطاهما ما ولدت غنمه في ذلك العام من قالب لون » . قال : « فما مرت شاة إلا ضرب [جنبها موسى] ^[٦] بعصاه ، فولدت

(١٢) مسند البزار برقم (٢٢٤٥) « كشف الأستار » .

(١٤) تفسير الطبرى (٤٤/٢٠) .

(١٥) مسند البزار برقم (٢٢٤٤) « كشف الأستار » .

[٢] - في ز ، خ : « الحري » .

[٤] - في ز ، خ : « اللثَّر » .

[٦] - في ز : « موسى جنبها » .

[١] - في ز ، خ : « وقال » .

[٣] - في ز ، خ : « سألت » .

[٥] - في ز ، خ : « اللثَّر » .

قوالب ألوان^(١) كلها ، وولدت ثنتين وثلاثة كل شاة ليس فيها فُشوش ولا ضبوب ولا كميشة^(٢) تفوت الكف ، ولا تغول^(٣) ». وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إذا افتتحتم الشام فإنكم ستتجدون بقايا منها ، وهي السامرية »^(٤) .

هكذا أورده البزار . وقد رواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا فقال :

حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثني عبد الله بن لهيعة (ح) وحدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا عبد الله بن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد الخضرمي ، عن علي بن رباح اللخمي ، قال : سمعت عتبة بن اللذر^(٥) السلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن موسى - عليه السلام - آجر نفسه بعفة فرجه وطعمه بطنه . فلما وفى الأجل » . قيل : يا رسول الله ؟ أي الأجلين ؟ - قال : « أبraham وأوفاهما ، فلما أراد فراق شعيب أمر امرأته أن تسأل أيها من يعطيها من غنمه ما يعيشون به ، فأعطياها ما ولد^(٦) من غنمه من قالب^(٧) لون من ولد ذلك العام ، وكانت غنمه سوداء حسناء فانطلق موسى - عليه السلام - إلى عصاه فسلمها^(٨) من طرفها ، ثم وضعها في أدنى الحوض ، ثم أوردها فسقاها ، ووقف موسى بإزاء الحوض ، فلم تصدر^(٩) منها شاة إلا ضرب جنبها شاة قال : [فأتأمت وأللت^(١٠) ، ووضعت كلها قوالب ألوان ، إلا شاة أو شاتين ليس فيها فشوش^(١١)] - قال يحيى : ولا ضبوب^(١٢) . وقال صفوان : ولا ضبوب^(١٣) . قال أبو زرعة : الصواب ضبوب - ولا عَزُوز ولا ثغول ولا كميشة تفوت الكف » .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « فلو افتحتم الشام وجدتم بقايا تلك الغنم وهي السامرية » .

(١) مستند البزار برقم (٢٤٦) « كشف الأستار » .

(٢) قال ابن الأثير : « تفسيره في الحديث : أنها جاءت على غير ألوان أمهاتها ؛ كأن لونها قد انقلب ». النهاية [٤ / ٩٧] .

[١] - في ز : « ألواناً » .

(٣) الفشوش : هي التي ينفش لبها من غير حلب : أي يجري ؛ وذلك لسعة الإحليل . والضبوب : ضيقية ثقب الإحليل . والكميشة : الصغيرة الضرع . والشعول : الشاة التي لها زيادة حلمة ، وهو عيب .

[٤] - في خ ، ز : « المنبر » .

[٥] - في خ ، ز : « ولدت » .

[٦] - في خ : « فسلمها » .

[٧] - في ز ، خ : « يصدر » .

[٨] - في خ ، ز : « فائت واثنتين » .

[٩] - في خ ، ز : « قوش » .

[١٠] - في خ ، ز : « ضبوب » .

[١١] - في ز : « ضبوب » .

وحدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، قال : سمعت الوليد قال : فسألت ابن لهيعة : ما الفشوش ؟ قال : التي تُقْسِّنُ بلبنها واسعة الشسب . قلت : [فما الضبوب ؟] قال : الطويلة الضرع تجره . قلت : [فما العزُّوز ؟] قال : ضيقه الشسب . قلت [١] : [فما الثغول ؟] قال : التي ليس لها ضرع إلَّا [٢] كهيئة حلمتين . قلت : [فما الكميشه ؟] قال [٣] : التي تفوت الكف ، كميشه الضرع ، صغير لا يدركه الكف .

مدار هذا الحديث على عبد الله بن لهيعة المصري - وفي حفظه سوء - وأخشى أن يكون رفعه خطأ [٤] ، والله أعلم . وينبغي أن يُروى : ليس فيها فشوش ولا عزوز ، ولا ضبوب ولا ثغول ولا كميشه [٥] لتذكر كل صفة ناقصة مع ما يقابلها من الصفات الناقصة . وقد روى ابن جرير من كلام أنس بن مالك - موقوفاً عليه - ما يقارب بعضه بإسناد جيد فقال :

حدثنا محمد بن المنى ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي ، عن قتادة ، حدثنا [٦] أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : لما دعا نبي الله موسى - عليه السلام - أصحابه إلى الأجل الذي كان بينهما ، قال له صاحبه : كل شاة ولدت على غير [٧] لونها ذلك [٨] ولدها لك . فعمد فرفع حبالاً على الماء ، فلما رأت الخيال فرعت فجالت جولة ، فولدت كلهن بلقا إلآ شاة واحدة ، فذهب بأولادهن ذلك العام [٩] .

﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ إِلَيْهِ أَنَسٌ مِّنْ جَانِبِ الظُّرُورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ أَمْكُثُوا إِذَا مَانَتْ نَارًا لَعَنِي مَا تُكْمِمُ مِنْهَا إِنْخَبِرْ أَوْ جَذْوَقْ مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَضَطَّلُونَ ﴾٢٩﴾ **﴿ فَلَمَّا أَتَنَاهَا نُودِيَّ مِنْ شَطِّي الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبَقْعَةِ الْمُبَرَّكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَنْمُوسَحَ إِذْ أَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾٣٠﴾**
 وَأَنَّ أَنِّي عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا نَهَرَ كَانَهَا جَانٌ وَلَنِ مُدَبِّرًا وَلَنِ يَعْقِبَ يَنْمُوسَحَ أَقِيلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمْنِينَ **﴿ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بِيَضَّانَهُ مِنْ غَيْرِ سُوَوْ وَأَضْسُمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَلِكَ بُرْهَنَانِ مِنْ**

(١٧) تفسير الطبرى (٤٤/٢٠).

[١] - ما بين المعقودتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « قلت » .

[٣] - في خ ، ز : « حقا » .

[٤] - في ز ، خ : « عن » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - سقط من : خ ، ز .

[٧] - في خ ، ز : « حقا » .

[٨] - في ز ، خ : « عن » .

[٩] - في ت : « فذلك » .

رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِئَةِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَدِسْقِينَ (٢٦)

قد تقدم في تفسير الآية قبلها أن موسى - عليه السلام - قضى أتم الأجلين وأوفاهما وأبرهما وأكملهما وأنقاهم^[١] ، وقد يستفاد هذا أيضًا من الآية الكريمة من قوله : ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجْلَ﴾ ، أي : الأكمل منها^[٢] والله أعلم .

قال ابن أبي نعيم ، عن مجاهد : قضى عشر سنين وبعدها عشرًا آخر . وهذا القول لم أره لغيرة ، وقد حكاه عنه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والله أعلم .

وقوله : ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ ، قالوا : كان موسى قد اشتاق إلى بلاده وأهله ، فعم على زيارتهم في خفية من فرعون وقومه ، فتحمل بأهله وما كان معه من الغنم التي وهبها له صهره ، فسلك بهم في ليلة مطيرة مظلمة باردة ، فنزل منزلًا فجعل كلما أورى زنه لا يضيء شيئاً ، تعجب من ذلك ، في بينما هو كذلك [إذ]^[٣] : ﴿آتَنَّا مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ ، أي : رأى نارًا تضيء له على بعد ، فـ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ أَمْكَنْتُمْ إِلَيَّ آتَنْتُ نَارًا﴾ أي : حتى أذهب إليها ، ﴿لِعَلِيَّ أَتَيْكُمْ مِّنْهَا بَخْرًا﴾ . وذلك لأنه كان قد أضل الطريق ، ﴿أَوْ جَذْوَةَ مِنَ النَّارِ﴾ ، أي : قطعة منها ، ﴿لَعْلَكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ ، أي : تتدفون بها من البرد . قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نَوْدِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ أي : من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب ؛ كما قال تعالى : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِ إِذْ قُضِيْنَا إِلَيْ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ ، فهذا مما يرشد إلى أن موسى قصد النار إلى جهة القبلة ، والجبل الغربي عن يمينه ، والنار وجدتها تضطرم في شجرة خضراء في لِحْف^(٤) الجبل مما يلي الوادي ، فوقف باهثًا في أمرها ، فناداه ربه : ﴿مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ في البقعة المباركة من الشجرة^[٤] .

قال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ؛ قال : رأيت الشجرة التي نودي منها موسى - عليه السلام - سمرة خضراء ترف . إسناد^[٥] مقارب

وقال محمد بن إسحاق ، عن بعض من لا يئتم ، عن وهب بن منبه قال : شجرة من **المليلق** وبعض أهل الكتاب يقول : من العوسج

[وقال قنادة : هي من العوسج ، وعصاه من العوسج]^[٦] .

[١] - في ز ، خ : «أنقاهم» .

[٢] - ما بين المعقوفين سقط من : ت .

[٣] - في ت : «إسناده» .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

وقوله تعالى : ﴿أَنْ يَا مُوسَى إِلَيْيَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ، أي : الذي يخاطبك ويكلمك هو رب العالمين ، الفعال لما يشاء ، لا إله غيره ولا رب سواه ، تعالى وقدس وتنزه عن مماثلة المخلوقات في ذاته وصفاته ، وأقوله^[١] وأفعاله سبحانه .

وقوله : ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ أي : التي في يدك . كما قوله على ذلك في قوله : ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَيٌّ أَتُوكَأُ عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنْمِي وَلِي فِيهَا مَأْرِبٌ أَخْرَى﴾ . والمعنى : أما هذه عصاك التي تعرفها ؟ ﴿فَأَلْقَاهَا فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَةٌ تَسْعَ﴾ عرف وتحقق أن الذي يخاطبه ويكلمه هو الذي يقول للشيء : كن ، فيكون . كما تقدم بيان ذلك في «سورة طه» وقال هاهنا : ﴿فَلَمَا رَآهَا تَهْتَزِ﴾ ، أي : تضطرب ﴿فَكَانَهَا جَانَ﴾ ، أي : في حركتها السريعة مع عظم خلقة^[٢] قوائمهما واتساع فمها واصطراكه أنيابها وأضراسها ، بحيث لا تم بصرخة إلا ابتلعتها ، فتشدor في فيها تتفقق^[٣] كأنها حادرة في واد . فعند ذلك ﴿وَلَيْ مُذَبِّرًا وَلَمْ يَعْقِبْ﴾ . أي : ولم [يلتفت]^[٤] ، لأن طبع البشرية ينفر من ذلك . فلما قال الله له : ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخْفِ إِلَكْ مِنَ الْأَمْنِينَ﴾ ، رجع فوق فوف في ذلك . ثم قال الله له : ﴿إِسْلَكْ يَدَكْ فِي جَيْكَ تَخْرُجْ بِيَضَاءِ مِنْ غَيْرِ سُوءَ﴾ . أي : إذا أدخلت يدك في جيب درعك ثم أخرجتها فإنها تخرج تلاؤاً ، كأنها قطعة قمر في لمعان البرق . ولهذا قال : ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءَ﴾ ، أي : من غير برص^[٥] .

وقوله : ﴿وَاضْسِمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ ، قال مجاهد : من الفزع . وقال قتادة : من الرعب . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وابن جرير : مما^[٦] حصل لك من خوفك من الحياة .

والظاهر أن المراد أعم من هذا ، وهو أنه أمر - عليه السلام - إذا خاف من شيء أن يضم إليه جناحه من الرهب وهي يده ، فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف ، وربما إذا استعمل أحد ذلك على سبيل الاقتداء فوضع يده على فؤاده ، فإنه يزول عنه ما يجد أو يخف إن شاء الله ، وبه الفتقة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا الريبع بن ثعلب الشيخ الصالح ، أخبرنا أبو إسماعيل المؤدب عن عبد الله بن مسلم ، عن مجاهد ، قال : كان موسى - عليه السلام - قد ملئ قلبه رعباً من فرعون ، فكان إذا رأه قال : اللهم إني أدرأ بك في نحره ، وأعوذ بك من

[١] - في ت : « خلق » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعقوفين في ت : « يكن يلتفت » .

[٤] - في ت : « تتفقق » .

[٥] - في ز : « ما » .

[٦] - في خ : « مرض » .

شهره ، ففرغ الله ما كان في قلب موسى - عليه السلام - وجعله في قلب فرعون ، فكان إذا رأه بالكماء يبول الحمار .

وقوله : ﴿فَذَانِك بِرْهَانَنْ مِنْ رِبِّك﴾ ، يعني : إلقاء العصا وجعلها حية تسمع ، وإدخاله يده في جيبيه فتخرج بيضاء من غير سوء ، دليلان قاطعان واضحان على قدرة الفاعل الختار ، وصحة نبوة من جرى هذا المفارق على يديه ؛ ولهذا قال : ﴿إِلَى فَرْعَوْن وَمَلِئْهُ أَيْ﴾ : وقمه من الرؤساء والكراء والآباء ﴿إِلَهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسْقِنُهُمْ أَيْ﴾ : خارجين عن طاعة الله ، مخالفين لدين الله .

قالَ رَبِّي إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونَ  وَأَخَى هَرُونَ هُوَ أَفَصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْتُهُ مَعِيَ رِدَءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونَ  قَالَ سَنَشِدُ عَصْدَكَ يَا خَيْكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَنَنَا فَلَا يَصِلُّونَ إِلَيْكُمَا إِنَّا يَنْتَنِي أَنَّمَا وَمَنْ أَتَبَعَكُمَا الْغَلَبُونَ 

لما أمره الله تعالى بالذهاب إلى فرعون ، الذي إنما خرج من ديار مصر فراراً منه وخوفاً من سلطته ، ﴿فَقَالَ رَبِّي إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ ، يعني ذلك القبطي ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونَ﴾ أي : إذا رأوني . ﴿وَأَخَى هَرُونَ هُوَ أَفَصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ ، وذلك أن موسى - عليه السلام - كان في لسانه لغة ، بسبب ما كان تناول تلك الجمرة ، حين خير بينها وبين التمرة أو الدترة [١] فأخذ الجمرة [٢] فرفضها على لسانه ، فحصل فيه [٣] شدة في التعير ، ولهذا قال : ﴿وَاحْلَلْ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ . يفهوا قوله . واجعل لي وزيراً من أهلي . هارون أخي . اشدد به أزري . وأشركه في أمري  أي : يؤنسني فيما أمرتني به من هذا المقام العظيم وهو القيام بأعباء النبوة والرسالة إلى هذا الملك المتكبر الجبار العنيد ؛ ولهذا قال : ﴿وَأَخَى هَارُونَ هُوَ أَفَصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْتُهُ مَعِيَ رِدَءًا﴾ أي [٤] : وزيراً ومعيناً ومقرياً لأمري ، يصدقني فيما أقوله وأخبر به عن الله عز وجل ، لأن خبر الاثنين أجمع في النفوس من خبر واحد ؛ ولهذا قال : ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونَ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق : ﴿رِدَءًا يُصَدِّقُنِي﴾ أي : بين [٤] لهم عنى ما أكلمهم به فإنه يفهم مالاً يفهمون .

[١] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ : « منه » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

فلما سأله ذلك قال الله تعالى : ﴿ سَنُشَدِّ عَضْدَكَ بِأَخْيُوكَ ﴾ ، أي^[١] : سنقوي أمرك ونعز جانبك بأخيك الذي سألت له أن يكوننبياً معلكاً ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ لَيْئًا ﴾ ولهذا قال بعض السلف : ليس أحد أعظم منه على أخيه من موسى على هارون - عليهما السلام - فإنه شفع فيه حتى جعله اللهنبياً ورسولاً معه إلى فرعون وملئه [ولهذا]^[٢] قال في حق موسى : ﴿ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ قوله تعالى : ﴿ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا ﴾ ، أي : حجة قاهرة ﴿ فَلَا يَصْلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا ﴾ أي : لا سبيل لهم إلى الوصول إلى أذاكم^[٣] بسبب إبالغكم آيات الله ، كما قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رِبِّكَ يَوْمَ قَوْلِهِ : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَلْفَغُونَ رِسَالَاتَ اللَّهِ وَيَخْشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ أي : وكفى بالله ناصراً ومعيناً ومؤيداً . ولهذا أخبرهما أن العاقبة لهما ولمن اتبعهما في الدنيا والآخرة ، فقال : ﴿ أَنْتُمْ وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْفَالِبُونَ ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلَبْنَا أَنَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَصْرَ رِسْلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ . يَوْمَ لَا يَفْعَلُ الظَّالِمُونَ مَعْذِرَتَهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ ووجه ابن جرير على أن المعنى : ﴿ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصْلُونَ إِلَيْكُمَا ﴾ ، ثم يتندى فيقول : ﴿ بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْفَالِبُونَ ﴾ ، تقديره : أنتما ومن اتبعكم الفالبون باياتنا^[٤] .

ولا شك أن هذا المعنى صحيح ، وهو حاصل من التوجيه الأول ، فلا حاجة إلى هذا ، والله أعلم .

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِإِيمَانِنَا بِيَنْتَتِ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٌ وَمَا سَمِعْنَا
بِهِكُذَا فِي مَبَكَّا إِنَّا أَلَّا وَلَيْنَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّنَا أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ
عِنْدِنِّهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَنْقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾

يخبر تعالى عن مجيء موسى وأخيه هارون إلى فرعون وملئه وعرضه ما آتاهما الله من العجزات الباهرة والدلائل القاهرة ، على صدقهما فيما أخبرا عن الله - عز وجل - من توحيده واتباع أوامره ، فلما عاين فرعون وملئه ذلك وشاهدوه وتحققوا ، وأيقنوا أنه من الله ، عدلوا بکفرهم وبغיהם^[٤] إلى العناد والباءة ، وذلك لطغيانهم وتکبرهم عن اتباع الحق فقالوا :

(١٨) تفسير الطبرى (٤٨/٢٠).

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ت : « لهذا » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ت : « أذاكما » .

﴿ ما هذا إلا سحر مفترىء ﴾ أي : مفتعل مصنوع . أرادوا معارضته بالحيلة^[١] والجاه فما صعد معهم ذلك قوله : ﴿ وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ﴾ ، يعني عبادة الله وحده لا شريك له ، يقولون^[٢] : ما رأينا أحداً من آبائنا على هذا الدين ، ولم تر الناس إلا يشركون مع الله آلهة أخرى . فقال موسى - عليه السلام - مجيباً لهم : ﴿ ربِّي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ﴾ ، يعني : مني ومنكم ، وسيفصل بيني وبينكم ؛ ولهذا قال : ﴿ ومن تكون له عاقبة الدار ﴾ ، أي : النصرة والظفر والتأييد^[٣] إنه لا يفلح الظالمون^[٤] أي : المشركون بالله .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْلِمُهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي
يَهْمَدْنَ عَلَى الْطَّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْخَانِي أَطْلَعْ إِلَيْنِي إِلَهٌ مُّؤْمِنُ وَلِي
لَأَطْلَعْ مِنْ الْكَذَّابِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجَهْوَدُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخْذَنَهُ وَجَهْوَدُ فَنَبَذَنَهُمْ فِي الْيَمِّ
فَانْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَنْقِيَّةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَهُمْ أَيْمَانَهُمْ يَدْعُونَ
إِلَى التَّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَمةِ لَا يُنْصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَغْسَةً
وَيَوْمَ الْقِيَمةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

يخبر تعالى عن كفر فرعون وطغيانه واغترافه في دعوى الإلهية لنفسه القبيحة - لعن الله - كما قال تعالى : ﴿ فَاسْتَخْفَ قَوْمَهُ فَأَطْلَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسْقِنْ ﴾ ، [١] وذلك لأنه دعاهم إلى الاعتراف له بالإلهية ، فأجابوه إلى ذلك بقلة عقولهم وسخافة أذهانهم ، ولهذا قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ ، [٢] وقال [٣] تعالى إخباراً عنه : ﴿ فَحَسِرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْبَرَةً لِمَنْ يَخْشِيَ ﴾ . يعني : أنه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالى مُثْرِخاً لهم بذلك ، فأجابوه سامعين مطينين ؛ ولهذا انتقم الله تعالى منه^[٤] فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة ، وحتى إنه واجه موسى الكليم بذلك قال^[٥] : ﴿ لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَكَ مِنَ الْمَسْجُونِ ﴾ .

وقوله : ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَنَ عَلَى الْطَّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْخَانِي أَطْلَعْ إِلَيْهِ مُوسَى ﴾

[١] - في ز ، خ : « بالحيلة » .

[٢] - في ت : « ذلك » .

[٣] - في ت : « قال » .

[٤] - في ز ، خ : « بالحيلة » .

[٥] - في ت : « ذلك » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

أي : أمر وزير هامان ومدير رعيته ومشير دولته أن يوقد له [١] على الطين ، ليتخد له آجراً لبناء الصرح ، وهو القصر المنيف الرفيع - كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وَقَالَ فَرْعَوْنَ يَا هَامَانَ ابْنَ لِي صَرْخَا لَعْلِي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۚ أَسْبَابُ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعْ إِلَيْهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظْنَهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفَرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَضَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدَ فَرْعَوْنَ إِلَّا فِي [٢] تِبَابِهِ ، وَذَلِكَ لَأَنَّ فَرْعَوْنَ بَنَى هَذَا الْصَّرْحَ الَّذِي لَمْ يَرِدْ فِي الدِّنِيَا بَنَاءً أَعْلَى مِنْهُ إِنَّمَا أَرَادَ بِهَا أَنْ يَظْهُرَ لِرَعْيَتِهِ تَكْذِيبَ مُوسَى فِيمَا زَعَمَهُ مِنْ دُعَوْيَ إِلَهٍ غَيْرِ فَرْعَوْنَ ۖ وَلَهُذَا قَالَ : ﴿ وَإِنِّي لِأَظْنَهُ كَاذِبِينَ [٣] ۚ ۝ . أَيْ : فِي قَوْلِهِ إِنَّ ثُمَّ رَيَّا [٣] غَيْرِي ، لَا أَنِّي كَذَبَ فِي أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ ، لَا نَهَا لَمْ يَكُنْ يَعْرُفُ بِوُجُودِ الصَّانِعِ ، فَإِنَّهُ قَالَ : ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ [٤] ۚ ۝ . ۝ لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلْنَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ [٥] ۚ ۝ . وَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي [٦] ۚ ۝ . وَهَذَا قَوْلُ أَبْنِ جَرِيرٍ وَقَوْلُهُ : ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ [٧] ۚ ۝ . أَيْ : طَغُوا وَتَجْبَرُوا ، وَأَكْثَرُوا فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُ لَا مَعَادٌ وَلَا قِيَامَةٌ . ۝ فَصَبَ عَلَيْهِمْ رِبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنْ رِبُّكَ لِيَلْمَرْصَادِ [٨] ۚ ۝ . وَلَهُذَا قَالَ هَاهُنَا : ﴿ فَأَخْذُنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبْذَنَاهُمْ فِي الْيَمِّ [٩] ۚ ۝ . أَيْ : غَرَقْنَاهُمْ [٩] فِي الْبَحْرِ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَلَمْ يَقِنْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ۝ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ۖ وَجَعَلْنَاهُمْ أَنْمَةً يَدْعَوْنَ إِلَى النَّارِ [١٠] ۚ ۝ . أَيْ : لَمْ سُلْكَ وَرَاءَهُمْ وَأَخْذَ بِطَرِيقَتِهِمْ ، فِي تَكْذِيبِ الرَّسُلِ وَتَعْطِيلِ الصَّانِعِ ۝ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُونَ [١١] ۚ ۝ . أَيْ : فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ خَزِيَ الدِّنِيَا مَوْصُولاً بِذَلِكَ الْآخِرَةِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرٌ لَهُمْ [١٢] ۚ ۝ . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَأَتَبْعَنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدِّنِيَا لِعْنَتَهُ [١٣] ۚ ۝ . أَيْ : وَشَرَعَ اللَّهُ لَعْنَتَهُمْ وَلَعْنَةً مَلِكَهُمْ فَرْعَوْنَ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتَبَعِينَ رَسُلَهُ ، وَكَمَا أَنَّهُمْ فِي الدِّنِيَا مَلْعُونُونَ عَلَى أَلْسِنَةِ [١٤] الْأَنْبِيَاءِ وَأَتَبَاعِهِمْ ، وَكَذَلِكَ [١٥] يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ [١٦] ۚ ۝ . قَالَ قَادَةُ : وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ [١٧] كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَتَبْعِنُوا فِي هَذِهِ لِعْنَتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بَنِسِ الرِّفَدِ الْمَرْفُودِ [١٨] ۚ ۝ .

وَلَقَدْ مَأَيَّنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكَنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَارَتِ

لِلنَّاسِ وَهُدِيَ وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُوسَى الْكَلِيمِ - عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ الصَّلَاةُ وَالْتَّسْلِيمُ - مِنْ إِنْزَالِ التُّورَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا أَهْلَكَ فَرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ مَنْ بَعْدَ مَا أَهْلَكَنَا الْقُرُونَ الْأُولَى [١٩] ۚ ۝ يَعْنِي : أَنَّهُ بَعْدَ إِنْزَالِ التُّورَةِ لَمْ يَعْذِبْ أَمَةَ بَعْدَمَا ، بَلْ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقَاتِلُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، كَمَا قَالَ : ﴿ وَجَاءَ فَرْعَوْنَ وَمَنْ

[١٦] - سُقْطَ مِنْ : ز ، خ .

[١٧] - سُقْطَ مِنْ : ز ، خ .

[١٨] - فِي ز ، خ : « رَب » .

[١٩] - فِي ز ، خ : « لِسَان » .

[٢٠] - سُقْطَ مِنْ : ز ، خ .

[٢١] - فِي ز ، خ : « لِسَان » .

قبله والمؤذنات بالخاطئة * فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة راية)١(.

وقال ابن جرير^(١) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا محمد وعبد الوهاب قالا : حدثنا عوف ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : ما أهلك الله قوماً بعذاب من السماء ولا من الأرض بعدما أنزلت التوراة على وجه الأرض ، غير القرية التي مسخوا قردة ، ألم تر أن الله يقول : ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾)٢(.

ورواه ابن أبي حاتم من حديث عوف بن أبي جميلة^[١] الأعرابي بحrophe . وهكذا رواه أبو بكر البزار في مسنده عن عمرو بن علي الفلاس ، عن يحيى القطان ، عن عوف ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد موقعاً)٣(.

ثم رواه عن نصر بن علي ، عن عبد الأعلى ، عن عوف ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد - رفعه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « ما أهلك الله قوماً بعذاب من السماء ولا من الأرض إلا قبل موسى » ، ثم قرأ : ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾)٤(.

وقوله : ﴿بصائر للناس﴾ أي : من العمي والغبي ، ﴿وهدى﴾ إلى الحق ، ﴿ورحمة﴾ أي : إرشاداً^[٢] إلى الأعمال الصالحة ، ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أي : لعل الناس يتذكرون به ، وبهتدون بسيبه .

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفَرْتِنِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُؤْمَنِ الْأَفْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ
وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَنَطَأْوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ تَاوِيَ فِي أَهْلِ
مَدِينَ تَنَلُّوْ عَلَيْهِمْ ءَايَتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ
الظُّرُورِ إِذْ فَادَنَا وَلَكِنَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِئَذْنَرَ قَوْمًا مَا أَتَنَّهُمْ مِنْ نَذِيرٍ
مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ
وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةً يِمَا قَدَّمْتَ

(١) تفسير الطبرى (٢٠/٥٠).

(٢) مسنـد البزار برقم (٢٢٤٧) « كشف الأستار » .

(٣) مسنـد البزار برقم (٢٢٤٨) « كشف الأستار » ، وقال الهيثى فى المجمع (٧/٨٨) : « رواه البزار موقعاً ومرفوغاً ورجالهما رجال الصحيح » .

[١] - في خ ، ز : « حميد » .

[٢] - في ز ، خ : « إرشاد » .

أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ مَا يَنْهَاكَ وَنَكُونُ مِنْ

الْمُؤْمِنِينَ

يقول تعالى منها على برهان نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - حيث أخبر بالغيب الماضية ، خبرًا كان سامعه شاهد وراء^[١] لما تقدم ، وهو رجل أمني لا يقرأ شيئاً من الكتب ، نشأ بين قوم لا يعرفون شيئاً من ذلك ، كما أنه لما أخبره عن مريم وما كان من أمرها ، قال تعالى : « وما كنت للديهم إذ يلقون أقلامهم أنهم يكفل مريم وما كنت للديهم إذ يختصمون » . أي : ما كنت حاضرًا لذلك ، ولكن الله أوحاه إليك . وهكذا لما أخبره^[٢] عن نوح وقومه ، وما كان من^[٣] إنجاء الله له وإغراق قومه .

ثم قال تعالى : « تلك من آباء الغيب نوحياً إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين » . وقال في آخر السورة : « ذلك من آباء القرى لنقصه عليك » . وقال بعد ذكر قصة يوسف : « ذلك من آباء الغيب نوحياً إليك وما كنت للديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يكرون » . وقال في سورة طه : « كذلك نقص عليك من آباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرها » . وقال ها هنا بعد ما أخبر عن قصة موسى من أولها إلى آخرها وكيف كان ابتداء إيحاء الله إليه وتکلیمه له : « وما كنت بجانب الغربة إذ قضينا إلى موسى الأمر » . يعني : يا محمد ، ما كنت بجانب الجبل . الغربي الذي كلام الله موسى من الشجرة التي هي شرقية على شاطئ الوادي « وما كنت من الشاهدين » لذلك ، ولكن الله سبحانه وتعالى أوحى إليك ذلك ، ليجعله حجة ويرهانا على قرون قد تطاول عهدها ، ونسوا حجج الله عليهم وما أوحاه إلى الأنبياء المتقدمين .

وقوله : « وما كنت ثاوية في أهل مدین تتلوا عليهم آياتنا » . أي : وما كنت مقيماً في أهل مدین تتلو عليهم آياتنا حين أخبرت عن نبيها شعيب ، وما قال لقومه ، وما ردوا عليه ، « ولكننا كنا مرسلين » . أي : ولكن نحن أوحينا إليك ذلك ، وأرسلناك للناس رسولاً .

« وما كنت بجانب الطور إذ نادينا » . قال أبو عبد الرحمن النسائي في التفسير من سننه : أخبرنا علي بن حبْر ، أخبرنا عيسى - وهو ابن يونس - عن حمزة الريات ، عن الأعمش ، عن علي بن مدرك ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : « وما كنت بجانب الطور إذ نادينا » . قال : نودوا : يا أمة محمد ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، وأجبتكم قبل أن تدعوني .

[١] - في ز ، خ : « ورأي » .

[٢] - في ز ، خ : « أخبر » .

[٣] - في ز ، خ : « بين » .

وهكذا رواه ابن جرير^(٢٢) ، وابن أبي حاتم ، من حديث جماعة ، عن حمزة - وهو ابن حبيب الزيارات - عن الأعمش . ورواه ابن جرير من حديث وكيع ويحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن علي بن مدرك ، عن أبي زرعة - وهو ابن عمرو بن جرير - أنه قال ذلك من كلامه ، والله أعلم .

وقال مقاتل بن حيان : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ : أمتك في أصلاب آبائهم أن يؤمنوا بك إذا بعثت .

وقال قتادة : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ : موسى . وهذا - والله أعلم - أشبه بقوله تعالى : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفَرِيْقَيْنِ إِذْ قُضِيْنَا إِلَيْ مُوسَى الْأَمْر﴾ .

ثم أخبر ها هنا بصيغة^[١] أخرى أخص من ذلك وهو النداء كما قال تعالى : ﴿إِذْ نَادَ رِبِّكَ مُوسَى﴾ وقال : ﴿إِذْ نَادَهُ رَبُّهُ بِالْوَادِيِ الْمَقْدُسِ طَوِي﴾ وقال : ﴿وَنَادَيْنَا مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَمْيَنِ وَقَرِبَنَا نَجِيَا﴾ .

وقوله : ﴿وَلَكُنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ ، أي : ما كنت مشاهداً لشيء من ذلك ، ولكن الله أواه إليك وأخبرك به ، رحمة منه لك وبالعباد يارسالك إليهم ، ﴿لَتَذَرُ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ ذَرِيرَةٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعْنَهُمْ يَعْذَّكُرُونَ﴾ ، أي : لعلهم يهتدون بما جتنهم به من الله عز وجل .

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبُهُمْ مَصِيرَةً بِمَا قَدِمْتُ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبُّنَا لَوْلَا أَرْسَلَتْ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَبَعِ﴾ آياتك ولتكون من المؤمنين^(٢) ، أي : وأرسلناك إليهم لتقيم عليهم الحجة ولقطع عذرهم إذا^[٢] جاءهم عذاب من الله بکفرهم ، فيحتاجوا بأنهم لم يأتهم رسول ولا نذير ؛ كما قال تعالى بعد ذكره إنزال كتابه المبارك وهو القرآن : ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كَانَ عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَفَافِيْنِ﴾ أو تقولوا^[٣] لو أنا أنزل علينا الكتاب لكننا أهدى منهـم ، فقد جاءكم ببيان من ربكم وهدى ورحمة^(٤) ، وقال : ﴿رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَنَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَةً بَعْدَ الرَّسُولِ﴾ وقال تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا بِيَنِّ لَكُمْ عَلَى فَرْتَةٍ مِنَ الرَّسُولِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ والآيات في هذا^[٥] كثيرة .

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحُقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوفِيَ مِثْلَ مَا أُوفِيَ مُوسَى أَوْ لَمْ

(٢٢) تفسير الطبرى (٢٠/٥١) والذى فيه من طريق سفيان ويحيى بن عيسى .

[١] - في خ ، ز : « بقصة » .

[٢] - في ز ، خ : « إذ » .

[٣] - في ز : « يقولوا » .

[٤] - في ز : « يقولوا » .

[٥] - في ت : « ذلك » .

يَكُفِرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلٍ قَالُوا سَاحِرٌ تَظَاهِرًا وَقَالُوا إِنَّا يُكْلِّ كَفِرُونَ
 ٤٨ قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَيْعُهُ إِنْ كَثُرْتُمْ
 صَدِيقِينَ ٤٩ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُو لَكُمْ فَاعْلَمُ أَنَّمَا يَتَّسِعُونَ أَهْوَاءُهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ
 مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْكَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
 ٥٠ * وَلَنَذْ وَصَلَّنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعْنَهُمْ يَذَكَّرُونَ

يقول تعالى مخبراً عن القوم الذين لو عذبهم قبل قيام الحجة عليهم ، لاحتقوا بأنهم لم يأتهم رسول - : إنهم لما جاءهم الحق من عنده على لسان محمد - صلوات الله وسلامه عليه - قالوا على وجه التعتن والعناد والكفر والجهل والإلحاد : ﴿ لولا أُوتِي مِنْ قَبْلِهِ مَا أُوتِي مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكُفِرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ يعنيون - والله أعلم - من الآيات الكثيرة مثل العصا ، واليد والطوفان ، والحراد ، والقتل ، والضفادع ، والدم ، وتقصص الزروع والشمار، [١] يضيق على أعداء الله ، وكفلق البحر وتقطيل الغمام وإنزال المحن والسلوى ، إلى غير ذلك من الآيات الباهرة والحجج القاهرة ، التي أجرها الله على يدي موسى - عليه السلام - حجة وبراهين له على فرعون ومثله وبني إسرائيل ، ومع هذا كله لم ينفع في فرعون ومثله ، بل كفروا بموسى وأنجيه هارون ، كما قالوا لهم [٢] : ﴿ أَجَحَّتَا تَلْفِتَتَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمَا الْكَبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلِكِينَ ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ أَوْ لَمْ يَكُفِرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ ، أي : أَوْ لَمْ يَكُفِرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ تلك الآيات العظيمة ﴿ قَالُوا سَاحِرٌ تَظَاهِرًا ﴾ : أي تعاونا . ﴿ وَقَالُوا إِنَّا يَكْلِّ كافرون ﴾ ، أي : بكل منها كافرون . ولشدة التلازم والتضاد والمقارنة بين موسى وهارون ، دل ذكر أحدهما على الآخر ، كما قال الشاعر :

فَمَا أَدْرِي إِذَا يَكْفِي أَرْضًا أَرِيدُ الْخَيْرَ أَيْهُمَا يَلْبِسِي

أي : فما أدرى ألبيني الخير أو الشر . قال مجاهد بن جبر [٤] : أمرت اليهود قريشاً أن يقولوا لحمد ، صلى الله عليه وسلم ذلك ، فقال الله : ﴿ أَوْ لَمْ يَكُفِرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِهِ سَاحِرٌ تَظَاهِرًا ﴾ ، قال : يعني موسى وهارون صلى الله عليهما وسلم ﴿ تَظَاهِرًا ﴾ ، أي : تعاونا وتناصرا وصدق كل منها الآخر ، وبهذا [٥] قال سعيد بن جبير وأبو ززيم في قوله :

[١] - في ت : « ما » .

[٤] - في ز : « يَكْفِرُوا بِهِشِّرَ » .

[٢] - في سقط من : ت .

[٣] - في ز : « يَكْفِرُوا بِهِشِّرَ » .

[٥] - في ز ، خ : « هَذَا » .

﴿ ساحران ﴾ . يعنون : موسى وهارون . وهذا قول جيد قوي ، والله أعلم .

وقال مسلم بن يسار^[١] ، عن ابن عباس ﴿ قالوا ساحران تظاهرا ﴾ ، يعني : موسى ومحمدًا - صلوات الله وسلامه عليهما - وهذه^[٢] رواية عن الحسن البصري .

﴿ وقال الحسن [٣] وقادة : يعني عيسى ومحمد - صلى الله عليهما وسلم - وهذا فيه بعد ، لأن عيسى لم يجر له ذكر هاهنا ، والله أعلم .

وأما منقرأ : (سحران تظاهرا)^(٤) ، فقال علي بن أبي طلحة والعلوي ، عن ابن عباس : يعنون التوراة والقرآن . وكذا قال عاصم الجندي ، والستدي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، قال السدي : يعني صدق كل واحد منهمما الآخر .

وقال عكرمة : يعنون التوراة والإنجيل ، وهو رواية عن أبي زرعة ، واحتاره ابن جرير^(٥) .

وقال الضحاك وقادة : الإنجيل والقرآن . والله سبحانه أعلم بالصواب .

والظاهر على قراءة : (سحران) أنهم يعنون التوراة والقرآن ؛ لأنه قال بعده : ﴿ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ﴾ . وكثيراً ما يقرن الله بين التوراة والقرآن ، كما في قوله تعالى : ﴿ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس ﴾ إلى أن قال : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك ﴾ ، وقال في آخر السورة : ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن ﴾ إلى أن قال : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه وانقوا لعلكم ترحمون ﴾ وقامت الحجـ: ﴿ إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى ﴾ وقال ورقة بن نوفل : هذا الناموس الذي أنزل على موسى . وقد علم بالضرورة لذوي الألياب أن الله لم ينزل كتاباً من السماء - فيما أنزل من الكتب المتعددة على آنبيائه - أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو القرآن ، وبعده في الشرف والعظمة الكتاب الذي أنزله على موسى ابن عمران - عليه السلام - وهو التوراة التي قال الله تعالى فيها : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله و كانوا عليه شهداء ﴾ والإنجيل إنما نزل متمماً للتوراة ومحلاً بعض ما حرم علىبني إسرائيل ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين ﴾ ، أي : فيما تدافعون به الحق وتعارضون به من الباطل .

(٤) تفسير الطبرى (٥٣/٢٠) .

[١] - في ز : « بشار » .

[٢] - في ز ، خ : « هذا » .

[٣] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

(٤) وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي . وقرأ عبد الله بن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر : « ساحران » بإثبات الألف .

قال الله تعالى : ﴿فَلَمْ يَسْتَجِبُوا لَكُمْ﴾ ، أي : فَإِنْ لَمْ يَحْيِيْكُمْ عَمَّا قُلْتُ لَهُمْ وَلَمْ يَتَّبِعُوا الْحَقَّ ، ﴿فَأَعْلَمُ أَعْمَّا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءِهِمْ﴾ ، أي : بِلَا دَلِيلٍ وَلَا حِجَّةٍ ، ﴿وَمِنْ أَضَلِّ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ ، أي : بِغَيْرِ حِجَّةٍ مَّا خُوذَةٌ مِّنْ كِتَابِ [١] اللَّهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي النَّاسَ الظَّالِمِينَ﴾ .

وقوله : ﴿وَلَقَدْ وَصَلَنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ قال مجاهد : فصلنا لهم القول . وقال السدي : بينما لهم القول .

وقال قتادة : يقول تعالى : أَخْبَرَهُمْ كَيْفَ صُنِعَ بْنُ مُضْئٍ وَكَيْفَ هُوَ صَانِعٌ ، ﴿لَعِلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ قال مجاهد وغيره : ﴿وَصَلَنَا لَهُم﴾ ، يعني : قرِيشًا . وهذا هو الظاهر . لكن قال حماد بن سلمة ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيى بن جعده ، عن رفاعة - رفاعة هذا هو ابن قرطة الفرجي ، وجعله ابن مندة : رفاعة بن سفوان ، حال صافية بنت حبيبي ، وهو الذي طلق تيمية بنت وهب التي تزوجها بعده عبد الرحمن بن الزير بن باطا ، كذا ذكره ابن الأثير [٢٤] .

[قال : نزلت : ﴿وَلَقَدْ وَصَلَنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ في عشرة أنا أحدهم . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم في حديثه [٢٥] .

الَّذِينَ مَا يَنْتَهُمُ الْكِتَابَ إِنْ قَبَلَهُمْ هُمْ يَهْدِيهِمْ يُؤْمِنُونَ ٥١
وَلَذَا يُنَلَّ عَلَيْهِمْ قَالُوا إِنَّا مَاءَمَنَا
بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ٥٢
أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرْبُّينَ
إِنَّمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ الْسَّيِّئَةَ وَمَمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٥٣
سَكَمُوا لِلْغَوَّ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَغْنَانَا وَلَكُمْ أَعْنَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا
يَنْتَهُ الْجَهَلُ ٥٤

يخبر تعالى عن العلماء الأولاء [٣] من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالقرآن ، كما قال تعالى : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتَّلَوُهُ حَقَّ تَلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ وقال : ﴿وَإِنْ مَنْ أَهْلُ الْكِتَابَ

(٢٤) أسد الغابة لابن الأثير (٢٢٨/٢).

(٢٥) تفسير الطبراني (٥٦/٢٠) ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٥٣/٥) من طريق حماد بن سلمة به .

[١] - في ز ، خ : « كَبْ » .

[٢] - ما بين المعقودين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ت : « الْأُولَاءِ » .

لم يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله ﷺ وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ [١] مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يَتَلَقَّبُونَ بِالْأَذْقَانِ سَجَدًا وَيَقُولُونَ سَبَحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمْ يَفْعُلُوا [٢] ﴾ وقال : ﴿ وَلَتَجْدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مُوْدَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيسِينَ وَرَبِّنَا إِنَّا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيَّ الرَّسُولُ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبِّنَا آمَنَّا فَاقْتَبَسُوا مِنَ الشَّاهِدِينَ [٣] ﴾ .

قال سعيد بن جبير : نزلت في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي ، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم : ﴿ يَسٌ وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ [٤] ﴾ ، حتى ختمها ، فجعلوا يكتبون وأسلموا ونزلت فيهم هذه الآية الأخرى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يَتَلَقَّبُونَ بِالْأَذْقَانِ سَجَدًا كَمَا كَانُوا إِذَا كَانُوا مُسْلِمِينَ [٥] ﴾ ، يعني : من قبل هذا القرآن كنا مسلمين ، أي [٦] : موحدين مخلصين مستحبين له .

قال الله : ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرْتَنْ بِمَا صَبَرُوا [٧] ﴾ ، أي : هؤلاء المتصفون بهذه الصفة الذين آمنوا بالكتاب الأول ثم بالثاني ، ولهذا قال : ﴿ بِمَا صَبَرُوا [٨] ﴾ ، على اتباع الحق ؛ فإن تجشم مثل هذا شديد على النفوس . وقد ورد في الصحيحين من حديث عامر الشعبي ، عن أبي بُرَدَةَ ، عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ثَلَاثَةٌ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرْتَنْ : رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَمْنَ بِنْيَهُ ثُمَّ آمَنَ بِهِ ، وَعَبَدَ مَلْكَهُ أَدْلَى حَقِّ اللَّهِ وَحْقَ مَوَالِيهِ ، وَرَجُلٌ [كَانَ [٩] [لَهِ [١٠] [أَمْةٌ فَأَدَبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا [١١] 】 ﴾ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن إسحاق السيلحياني ، حدثنا ابن لهيعة ، عن سليمان بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : إني لـتـخـتـ رـاحـلـة رـاسـلـ رسولـ اللهـ - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح ، فقال قولـا حـسـنـا جـمـيـلـا وـقـالـ فـيـمـا قـالـ : « مـنـ أـسـلـمـ مـنـ أـهـلـ الـكـاتـبـ فـلـهـ أـجـرـهـ مـرـتـنـ ، وـلـهـ مـاـ لـنـاـ وـعـلـيـهـ مـاـ عـلـيـنـاـ ، [وـمـنـ أـسـلـمـ مـنـ الـمـشـرـكـينـ ، فـلـهـ أـجـرـهـ وـلـهـ مـاـ لـنـاـ وـعـلـيـهـ مـاـ عـلـيـنـاـ [١٢] ، [١٣] 】 ﴾ .

وقوله ﴿ وَيَدْرُعُونَ بِالْحَسْنَةِ السَّيْئَةِ [١٤] ﴾ ، أي : لا يقابلون السيئة [١٥] بمثله ، ولكن يغفون ويصفحون ؛ ﴿ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يَنْفَقُونَ [١٦] ﴾ أي : ومن الذي رزقهم من الحلال ينفقون [١٧] على حلق

(٢٦) صحيح البخاري برقم (٩٧) ، وصحيح مسلم برقم (١٥٤) .

(٢٧) المسند (٢٥٩/٥) .

[١] - في ز ، خ : « الكتاب » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ ، ز : « كان » .

[٤] - ما بين المعکوفین سقط من : خ ، ز .

[٥] - ما بين المعکوفین سقط من : خ ، ز .

[٦] - سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز : « على الشيء » .

الله في النفقات الواجبة لأهله وأقاربهم والزكاة المفروضة والمستحبة من التطوعات وصدقات النفل والقربات .

وقوله : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا الْغُورَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ ، أي : لا يخالطون أهله ولا يعاشرونه^[١] بل كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا مَرُوا بِالْغُورِ مَرُوا كَرَاماً﴾ .

﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالًا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نُبَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ أي : إذا سفه عليهم سفيه ، وكلئهم بما لا يليق بهم الحواب عنه ، أغروا به ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب ؛ ولهذا قال عنهم : إنهم قالوا : ﴿لَنَا أَعْمَالًا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نُبَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ أي^[٢] : لا تزيد طريق الجاهلين ولا نجتها .

قال محمد بن إسحاق في السيرة : ثم قدم على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة عشرون رجلاً ، أو قريب من ذلك ، من النصارى ، حين بلغهم خبره من الخبرة ؛ فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه وسائلوه - و^[٣] رجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة - فلما فرغوا من مسألة رسول الله عما أرادوا ، دعاهم إلى الله وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاضت أعيتهم من الدمع ، ثم استجابوا وأمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره . فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش ، فقالوا لهم : خيكم الله من ركب ! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتونهم^[٤] بغير الرجل ، فلم تطمئن محالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال ، ما نعلم ركبنا أحمق منكم - أو كما قالوا لهم - فقالوا : سلام عليكم ، لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ، ولكم ما أنتم عليه ، لم نألف أنفسنا خيراً^(٢٨) .

قال : ويقال : إن النفر النصارى من أهل نجران ، فالله أعلم ، أي ذلك كان . قال : ويقال - والله أعلم - : إن فيهم نزلت هذه الآيات : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يَؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله : ﴿لَا نُبَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ .

قال : وقد سألت الزهري عن هذه الآيات فيمن أثرن^[٥] ؟ فقال^[٦] : ما زلت أسمع من علمائنا أنهن أثربن في النجاشي وأصحابه - رضي الله عنهم - والآيات التي في سورة المائدة : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيسِينَ وَرَبِّاً لَّا يَنْهَا﴾ إلى قوله : ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾

(٢٨) السيرة النبوية لأبن هشام (٣٩٢/١) .

[١] - في ز ، خ : « يعاشرونه » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « فتأتونهم » .

[٤] - في ز ، خ : « نزل » .

[٥] - في ت : « قال » .

[﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيَّ الرَّسُولُ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبُّنَا آمَنَّا فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾] [١]

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ
وَقَالُوا إِنَّنَا نَتَّبِعُ الْهُدَى مَعَكَ نُخْطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نَمَكِنْ لَهُمْ حَرَماً
أَمِنًا يَجْعَلُ إِلَيْهِ ثَمَرَتُ كُلُّ شَيْءٍ وَرِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

٥٧

يقول تعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم - : إنك يا محمد ﴿ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ أي : ليس إليك ذلك ، إنما عليك البلاغ ، والله يهدي من يشاء ، ولو الحكمة البالغة والحججة الدامغة ، كما قال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ وقال : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ لَوْلَوْ حَرَصَتْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وهذه الآية أخص من هذا كله فإنه قال : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ أي : هو أعلم من يستحق الهدایة من يستحق الغواية ، وقد ثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد كان يخوطه وينصره ، ويقوم في صفة يحبه جماعة طبيعيا لا شرعا ، فلما حضرته الوفاة وحان أجله ، دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الإيمان والدخول في الإسلام فسبقت التدر فيه ، واحتُطَفَ من يده ، فاستمر على ما كان عليه من الكفر ، ولو الحكمة [٢] التامة .

قال الزهرى : حدثى سعيد بن المسيب ، عن أبيه - وهو المسيب بن حزن الخزومى - رضي الله عنه - قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عم ، قل : لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، كَلِمَةُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ ». فقال أبو جهل ، وعبد الله بن أبي [٣] أمية : يا أبا طالب ، أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ، ويعودان له بتلك المقالة ، حتى قال آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب . وأبى أن يقول : لا إِلَهَ إِلَّا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَا لَا سْتَفْرُنَ لَكَ مَا لَمْ أَنْهَ عَنْكَ ». فأنزل الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَفْرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى ﴾ ، [وَأَنْزَلَ [٤]] في أبي طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ

[١] - ما بين المukoتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ت : « وَأَنْزَلَ اللَّهُ » .

[٢] - سقط من : خ .

أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء ﴿٤﴾ .

آخر جاه (٢٩) من حديث الزهرى . وهكذا رواه مسلم في صحيحه ، والترمذى من حديث يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : لما حضرت وفاة أبي طالب ؛ أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا عَمَّا ، قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَشَهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». فقال : لولا أن تَعْبِرَنِي [١] بها قريش ، يقولون : ما حمله عليه إلا جزع الموت ، لأقررت بها عينك ، لا أقولها إلا لأقر بها عينك . فأنزل الله : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمَهْتَدِينَ﴾ . وقال الترمذى : حسن غريب ، لا نعرف إلا من حديث يزيد بن كيسان (٣٠) .

ورواه الإمام أحمد ، عن يحيى بن سعيد القطان ، عن يزيد بن كيسان ، حديثي أبو حازم ، عن أبي هريرة ... فذكره بنحوه (٣١) .

وهكذا قال ابن عباس ، وأبن عمر ، ومجاحد ، والشعبي ، وقادة : إنها نزلت في أبي طالب حين عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » ، فأبى عليه ذلك ، وقال : أبى ابن أخي ، ملة الأشياع . وكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا عبد الله ابن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن أبي راشد ، قال : كان رسول قصر جاء إلى قال : كتب معي قيسار إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كتاباً ، فأتته فدعت الكتاب ، فوضعه في حجره ثم قال : « من الرجل ? » قلت : من تونخ [٢] . قال : « هل لك في دين أبيك إبراهيم الخنفية ? » قلت : إبى رسول قوم [٣] وعلى دينهم حتى أرجع إليهم . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر إلى أصحابه فقال [٤] : « ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ » (٣٢) .

وقوله : ﴿وَقَالُوا إِنْ تَبْيَعَ الْهَدِيْ مَعَكُمْ تَنْخَطِفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ ، [يقول تعالى مخبراً عن اعتذار بعض الكفار في عدم اتباع الهدى حيث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿إِنْ تَبْيَعَ الْهَدِيْ مَعَكُمْ تَنْخَطِفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾] [٥] أي : تخشى إِنْ اتَّبَعْنَا [٦] ما جئت به من الهدى ،

(٢٩) صحيح البخاري برقم (١٣٦٠) ، وصحيح مسلم برقم (٢٤) .

(٣٠) صحيح مسلم برقم (٢٥) ، وسنن الترمذى برقم (٣١٨٨) .

(٣١) المسند (٤٣٤/٢) .

(٣٢) رواه أحمد في المسند (٤٤١/٣) من طريق حماد بن سلمة بنحوه .

[١] - في ت : « تعيرني » .

[٢] - في خ ، ز : « تبرح » .

[٣] - في ز ، خ : « قومي » .

[٤] - في ت : « وقال » .

[٥] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٦] - في ز : « اتبعت » .

وَخَالَفُنَا مَنْ حَوْلَنَا مِنْ أَهْيَاءِ الْعَرَبِ الْمُشْرِكِينَ، أَنْ يَقْصِدُونَا بِالْأَذْيَى وَالْمَحَارِبَةِ، وَيَتَخَطَّفُونَا أَيْنَما كُنَّا، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُجَبِّيَ لَهُمْ : ﴿أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ يَعْنِي : هَذَا الَّذِي اعْتَدُرُوا بِهِ كَذْبٌ وَبِاطْلٌ؛ لَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُمْ فِي بَلْدَ أَمِينٍ وَحَرَمٌ مُعَظَّمٌ آمِنٌ^[١] مِنْ دُوْسْعَ ، فَكِيفَ يَكُونُ هَذَا الْحَرَمُ آمِنًا [لَهُمْ]^[٢] فِي حَالٍ كُفُّرُهُمْ وَشُرُكُهُمْ ، وَلَا يَكُونُ آمِنًا لَهُمْ وَقَدْ أَسْلَمُوا وَتَابُوا إِلَيْهِ الْحَقُّ؟!

وَقُولُهُ : ﴿يُبَجِّبِي إِلَيْهِ ثِمَرَاتٍ كُلُّ شَيْءٍ﴾ ، [أَيْ] : مِنْ سَائِرِ الشَّمَارِ مَا حَوْلَهُ مِنْ الطَّائِفَةِ وَغَيْرِهِ ، وَكَذَلِكَ الْمَتَاجِرُ وَالْأَمْتَعَةُ^[٣] ﴿رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ ، أَيْ : مِنْ عِنْدِنَا ، ﴿وَلَكِنْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فَلَهُمْ قَالُوا مَا قَالُوا .

وَقَدْ قَالَ النَّسَائِيُّ : أَبْنَاءُنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا حَجَاجٌ^[٤] ، عَنْ أَبِنِ مُجْرِيَّعٍ ، أَخْبَرَنِي أَبْنَى مُلِيقَةً ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ شَعْبٍ ، عَنْ أَبِنِ عَبَّاسٍ - وَلَمْ يَسْمَعْهُ مِنْهُ - : إِنَّ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرَ بْنَ نُوفَّلَ الَّذِي قَالَ : ﴿إِنْ تَبِعَ الْهَدِيَّ مَعْكَ لَتُخْطَفَ مِنْ أَرْضِنَا﴾^[٥] .

وَكَمْ أَهْلَكَنَا مِنْ قَرْيَتَمْ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلَكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُشْكَنْ مِنْ
بَعْدِهِرَ إِلَّا قَلِيلًا وَكَمَا نَحْنُ الْوَارِثُونَ^{٥٦}
يَبْعَثُ فِي أُمَّهَا رَسُولًا يَنْتَوِي عَلَيْهِمْ إِيمَانِنَا وَمَا كَمْنَا مُهَلِّكِي الْقُرَى إِلَّا
وَأَهْلُهَا ظَلِيلُهُونَ^{٥٧}

يَقُولُ تَعَالَى مُعَرِّضًا بِأَهْلِ مَكَةَ فِي قُولِهِ : ﴿وَكَمْ أَهْلَكَنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ ، أَيْ : طَفتْ وَأَشَرَتْ^[٦] وَكَفَرْتْ نَعْمَةَ اللَّهِ ، فِيمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَرْزَاقِ ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مِثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مَطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرْتْ بِأَنْعَمَ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجَوْعِ وَالْخُوفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ . وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَبُوهُ فَأَخْذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ وَلَهُمَا قَالَ : ﴿فَتِلَكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكِنْ مِنْ بَعْدِهِرَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أَيْ : دَثَرَتْ دِيَارَهُمْ ، فَلَا تَرِي إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ .

وَقُولُهُ : ﴿وَكَمَا نَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ أَيْ : رَجَعْتُ خَرَابًا ، لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ . وَقَدْ ذَكَرَ أَبْنَى أَيْ

(٣٣) النَّسَائِيُّ فِي السُّنْنِ الْكَبِيرِ بِرَقْمِ (١١٣٨٥) .

[١] - فِي ز ، خ : « أَمِينٌ » .

[٢] - مَا بَيْنَ الْمَعْكُوفَيْنِ سَقْطٌ مِنْ ت .

[٤] - فِي ت : « الْحَجَاجُ » .

[٣] - مَا بَيْنَ الْمَعْكُوفَيْنِ سَقْطٌ مِنْ خ ، ز .

[٥] - فِي خ ، ز : « وَأَصْرَتْ » .

حاتم ، عن ابن مسعود ، أنه سمع كعبا يقول لعمر : إن سليمان - عليه السلام - قال للهامة - يعني : البومة - : ما لك لا تأكلين الزرع ؟ قالت : لأنه أخرج آدم بسببه من الجنة . قال : فما لك لا تشربين الماء ؟ قالت : لأن الله أغرق قوم نوح به . قال : فما لك لا تأوين إلا إلى الخراب ؟ قالت : لأنه ميراث الله - عز جل - ثم تلا : ﴿ وَكُنْتُ نَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ ۚ

ثم قال الله مخبراً عن عده ، وأنه لا يهلك أحداً ظالماً له ، وإنما يهلك من أهلك بعد قيام الحجة عليهم ؛ ولهذا قال : ﴿ وَمَا كَانَ رِبُّكَ مُهَلِّكَ الْقَرِئَ حَتَّىٰ يَعْثُثَ فِي أَمْهَالِهِ ﴾ وهي مكة رسولًا يتلو عليهم آياتنا ﴿ ، فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ الْأَمِيَّ - وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمَبْعُوثُ مِنْ أُمَّ الْقَرِئِ - رَسُولٌ إِلَىٰ جَمِيعِ الْقَرِئِ مِنْ عَرَبٍ وَأَعْجَامٍ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ : لَتَتَذَرَّ أُمُّ الْقَرِئِ وَمِنْ حَوْلِهِ ﴾ وَقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِلَيْ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ وَقَالَ : ﴿ لَأَنْذِرْكُمْ بِهِ وَمِنْ بَلْغَهُ ﴾ . وَقَالَ : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرُ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ وَتَمَ الدَّلِيلُ : ﴿ وَإِنْ مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهَلِّكُوْهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مَعْذِلَوْهَا عَذَابًا شَدِيدًا . كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مُسْطَرًا ﴾ فَأَنْبَرَ أَنَّهُ سَيَهْلِكُ كُلَّ قَرْيَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَقَدْ قَالَ : ﴿ وَمَا كَنَا مَعْذِلِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ . فَجَعَلَ تَعَالَىٰ بَعْثَةَ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ شَامِلَةً لِجَمِيعِ الْقَرِئِ ، لَأَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَىٰ أَمْهَالِهِ وَأَصْلَاهُ [١] الَّتِي تَرْجُعُ إِلَيْهَا . وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينِ عَنْهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : « بَعْثَتْ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ » . وَلَهُذَا خَتَمَ بِهِ الرِّسَالَةُ وَالنَّبِيُّوْهُ ، فَلَا نَبِيٌّ بَعْدَهُ وَلَا رَسُولٌ ، بَلْ شَرِعَهُ بِاقِ بَقَاءُ الْلَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وقيل المراد بقوله : ﴿ حَتَّىٰ يَعْثُثَ فِي أَمْهَالِهِ ﴾ أي : أصلها وعظميتها كأمهات الرساتيك والأقاليم . حكاه الزمخشري وابن الجوزي وغيرهما ، وليس بعيد .

وَمَا أُوتِنَّمَ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَيَّنَتْهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىَ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿ ٦١ ﴾ أَفَنَّ وَعَدْنَاهُ وَعَدَ حَسَنَا فَهُوَ لَقِيهِ كُنَّ مَنَعَنَهُ مَتَّعَ الْحَيَاةَ
الْدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُخْضَرِينَ

يقول تعالى مخبراً عن حقاره الدنيا ، وما فيها من الرينة الدنيئة والزهرة الفانية بالنسبة إلى ما أعدد الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة من النعم العظيم المقيم ؛ كما قال : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ مَا يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بِأَقْدَمْ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىَ أَفَلَا يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بِأَقْدَمْ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْكَبَارِ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾ وَقَالَ : ﴿ بَلْ تَوَرُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَاللَّهُ مَا الْدُنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يَنْفَسِ احْدَكُمْ إِصْبَعُهُ فِي الْيَمِينِ فَلَيَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ ؟ » ^(٣) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٥٨) من حديث المستور بن شداد رضي الله عنه .

[١] - في ز ، خ : « وأهله » .

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^[١] أي : أفلأ يعقل من يقدم الدنيا على الآخرة .

وقوله : ﴿ أَفَمِنْ وَعْدَنَا هُوَ حَسَنًا فَهُوَ لِاقِهِ كَمَنْ مَتَعَنَّاهُ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُخْضُرِينَ ﴾ .

يقول : ألم هو مؤمن مصدق بما وعده الله على صالح أعماله من الثواب الذي هو صائر إليه لا محالة ، كمن هو كافر مكذب بقاء الله ووعده ، فهو متبع في الحياة الدنيا أياماً قلائل ، ﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُخْضُرِينَ ﴾ ، قال مجاهد ، وفتادة : من المعدين .

ثم قد قيل : إنها نزلت في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي أي جهل . وقيل : في حمزة ، وعلى ، وأبي جهل ، وكلاهما عن مجاهد . والظاهر أنها عامة ، وهذا كقوله تعالى إخباراً عن ذلك المؤمن حين أشرف على صاحبه ، وهو في الدرجات وذلك في الدركات : ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضُرِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتَ الْجِنَّةَ إِنَّهُمْ لَخَضُرُونَ ﴾ .

وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شَرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ

عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَتَّلَّهُمُ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَّبَنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكُمْ مَا كَانُوا

إِلَيْنَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٤﴾ وَقَالَ أَذْعُو شَرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِبُوْهُمْ وَرَأَوْهُمْ

الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْنَدُونَ ﴿٦٥﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجْسَدْتُ الْمُرْسَلِينَ

فَعَمِيتَ عَلَيْهِمُ الْأَبْصَارُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَآمَّا مَنْ تَابَ وَآمَّنَ

وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَقَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾

يقول تعالى مخبراً^[٢] عما يوحي به الكفار المشركون يوم القيمة ، حيث يناديهم فيقول : ﴿ أَيْنَ شَرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ يعني : أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا ، من الأصنام والأنداد ، هل ينصرونكم أو ينتصرون ؟ وهذا على سبيل التقرير والتهديد : كما قال : ﴿ وَلَقَدْ جَنَّتْنَا فِرَادِي كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أُولَى مَرَةٍ وَتَرَكْنَاكُمْ مَا خَوْلَنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرِيَ مَعَكُمْ شَفَعَاءَ كَمَ الْدِينِ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيْكُمْ شَرَكَاءُ لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ .

[١] - في ز ، خ : « يعقلون » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقُّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ ، يعني : من الشياطين والمردة^[١] والدعاة إلى الكفر ﴿ رِبَّنَا هُؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَّبَنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّا نَا يَعْبُدُونَ ﴾ فشهدوا عليهم أنهم أغروهم فاتبعوهم^[٢] ، ثم تبرعوا من عبادتهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلَهَةً لَيَكُونُوا لَهُمْ عَزَّاً * كَلَّا سِيَّكُفُّرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضَدًا ﴾ وقال : ﴿ وَمِنْ أَضَلُّ مَنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * إِذَا حَشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ ، وقال الخليل لقرمه : ﴿ إِنَّمَا اتَّخَذُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُوفَّاً مَوْدَةً بَيْنَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بِعِضَكُمْ بِعِصْمَهُ وَيَلْعُنُ بِعِصْمَكُمْ بِعِصْمَهُ وَمَا أَوْكَمْتُمُ النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ وقال الله : ﴿ إِذَا تَبَرَّا الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقْطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنْ لَنَا كُرْبَةً فَتَبَرَّا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّوْا مِنْنَا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حُسْنَاتُهُمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ وَقَيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ﴿ فَدَعُوهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِبُوْهُمْ لَهُمْ وَرَأُوا الْعَذَابَ ﴾ أي : [٣] وَتَيقَنُوا [٤] أَنَّهُمْ صَارُوا إِلَى النَّارِ لَا مَحَالَةَ .

وقوله : ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ أي : فردو^[٤] حين عاينوا العذاب لو أنهم كانوا من المهتدين في الدار الدنيا . وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمُوا فَدَعُوهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِبُوْهُمْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا * وَرَأَى الْجُرْمُونَ النَّارَ فَظَنُوا أَنَّهُمْ مَوْاقِعُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرَقًا ﴾ .

وقوله : ﴿ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فِي قَوْلٍ[٥] مَاذَا أَجْبَتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ، النداء الأول عن سؤال التوحيد ، وهذا فيه إثبات النبوات : ماذا كان جوابكم للمرسلين إليكم ؟ كيف كان حالكم معهم ؟ وهذا كما يسأل العبد في قبره : من ربك ؟ ومن نبيك ؟ وما دينك ؟ فأما المؤمن : فيشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمدا عبد الله ، رسوله . وأما الكافر فيقول : هاه ... هاه ... لا أدرى ؛ ولهذا لا جواب له يوم القيمة غير السكوت ؛ لأن من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فَعَمِّيْتُ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءَ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ ﴾ .

وقال مجاهد : فعميت عليهم الحجج فهم لا يتساءلون بالأنساب .

وقوله : ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ ، أي : في الدنيا ، ﴿ فَعُسِّيَ أَنْ يَكُونَ مِنْ

[١] - في ت : « المردة » .

[٢] - في خ، ز : « فيما يتبعوهم » .

[٣] - في ت : « تيقنوا » .

[٤] - في ز : « فردو » .

[٥] - سقط من : ز .

المُفْلِحِينَ ﴿١﴾ ، أَيْ : يَوْمُ الْقِيَامَةِ . « وَعَسَىٰ » مِنَ اللَّهِ مَوْجَبَةٌ ، فَإِنْ هَذَا وَاقِعٌ بِفَضْلِ اللَّهِ وَمَنْهُ لَا مَحَالَةٌ .

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مُبْحَثِنَ اللَّهُ وَتَعْكِلُ
عَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴿٢﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلَمُونَ ﴿٣﴾
وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٤﴾

يَخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِالْخَلْقِ وَالْأَخْتِيَارِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِي ذَلِكَ مَنْازِعٌ وَلَا مَعْقُوبٌ فَقَالَ :
﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ [وَيَخْتَارُ]﴾ ، أَيْ : مَا يَشَاءُ [١] ، فَمَا شَاءَ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ
يَكُنْ ، فَالْأَمْرُ كُلُّهُ خَيْرٌ وَشَرُّهُ يَدِهِ ، وَمَرْجِعُهُ إِلَيْهِ .

وَقُولُهُ : ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ ، نَفِي عَلَى أَصْحَاحِ الْقُولِينِ ، كَقُولَهُ تَعَالَى : ﴿وَمَا كَانَ
لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةً إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ وَقَدْ اخْتَارَ أَبْنَ
جَرِيرَ أَنْ (مَا) هَاهُنَا بَعْنَى « الَّذِي » ، تَقْدِيرُهُ : وَيَخْتَارُ الَّذِي لَهُمْ فِيهِ خَيْرٌ . وَقَدْ احْتَاجَ بِهَذَا
الْمُسْلِكَ [٢] طَائِفَةً الْمُعْتَلَةَ عَلَى وجْبِ مَرَاعَاةِ الْأَصْلِحَةِ . وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا نَافِيَةٌ ، كَمَا نَقَلَهُ أَبْنُ أَبِي
حَاتِمَ ، عَنْ أَبْنِ عَبَاسٍ وَغَيْرِهِ أَيْضًا ، فَإِنَّ الْمَقَامَ فِي يَبْيَانِ اِنْفَرَادِهِ تَعَالَى بِالْخَلْقِ وَالتَّقْدِيرِ وَالْأَخْتِيَارِ ،
وَأَنَّهُ لَا نَظِيرٌ لَهُ فِي ذَلِكَ ؛ وَلَهُذَا قَالَ : ﴿سَبِّحُوا اللَّهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ ، أَيْ : مِنَ
الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ الَّتِي لَا تَخْلُقُ وَلَا تَخْتَارُ شَيْئًا .

ثُمَّ قَالَ : ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلَمُونَ﴾ أَيْ : يَعْلَمُ [مَكْتَمَةً] [٣] الْضَّمَائِرِ
وَمَا تَطْبُرِي عَلَيْهِ السَّرَّائِرُ ، كَمَا يَعْلَمُ مَا تَبْدِيهِ الظَّاهِرُ مِنْ سَائِرِ الْخَلَائِقِ ، ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مِنْ
أَسْرِ الْقَوْلِ وَمِنْ جَهْرِهِ وَمِنْ هُوَ مُسْتَخْفِي بِاللَّيلِ وَسَارِبُ بِالنَّهَارِ﴾ .

وَقُولُهُ : ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ، أَيْ : هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْإِلَهِيَّةِ ، فَلَا مَعِيدَ سَوَاهُ ، كَمَا
لَأَرْبَ يَخْلُقُ وَيَخْتَارُ سَوَاهُ ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالآخِرَةِ﴾ ، أَيْ : فِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ هُوَ
الْمَحْمُودُ عَلَيْهِ ، لَعْدَهُ وَحْكَمَتْهُ ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ ، أَيْ : الَّذِي لَا مَعْقُوبٌ لَهُ ، لَقَهْرُهُ وَغَلْبَتِهِ
وَحْكَمَتْهُ وَرَحْمَتْهُ ، ﴿وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ﴾ ، أَيْ : جَمِيعُكُمْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فِي جَهَانِيَّةِ كُلِّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ ،
مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَاطِيَّةُ فِي سَائِرِ الْأَعْمَالِ .

[١] - مَا بَيْنَ الْمَعْكُوفَيْنِ سَقطَ مِنْ : ز ، خ .

[٢] - فِي خ : « الْمُلْكُ » .

[٣] - فِي ت : « مَا تَكِهَ » .

قُلْ أَرَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْأَيَّلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَّا اللَّهُ عِزِيزٌ أَلَّا
يَأْتِيَكُمْ بِضَيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ
النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَّا اللَّهُ عِزِيزٌ أَلَّا يَأْتِيَكُمْ
فِيهِ أَفَلَا تَبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمَنْ رَحْمَيْتُهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَيَّلَ وَالنَّهَارَ لِتَشْكُونَ فِيهِ
وَلَتَنْجُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

يقول تعالى ممتئاً على عباده بما سخر لهم من الليل والنهار ، اللذين لا قوام لهم بدونهما ، وبين أنه لو جعل الليل دائمًا عليهم سرمداً إلى يوم القيمة ، لأضر ذلك بهم ، ولسمته^[١] النفوس وانحصرت منه ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿مَنْ إِلَّا اللَّهُ يَأْتِيَكُمْ بِضَيَاءٍ﴾ ، أي : تبصرون به وتستأنسون بسببه ، ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ؟

ثم أخبر أنه لو جعل النهار سرمداً [دائمًا مستمراً]^[٢] إلى يوم القيمة لأضر ذلك بهم ، ولتعبت الأبدان وكثلت من كثرة الحركات والأشغال ؛ ولهذا قال : ﴿مَنْ إِلَّا اللَّهُ يَأْتِيَكُمْ بِلِيلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ أي : تستريحون من حركاتكم وأشغالكم ، ﴿أَفَلَا تَبْصِرُونَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾ ، أي : بكم ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَيَّلَ وَالنَّهَارَ﴾ ، أي : خلق هذا وهذا ، ﴿لِتَشْكُونَ فِيهِ﴾ أي : في الليل ، ﴿وَلَتَنْجُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ ، أي : في النهار بالأسفار والترحال ، والحركات والأشغال ، وهذا من باب اللف والنشر .

وقوله : ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ، أي : تشكرون الله بأنواع العبادات في الليل والنهار ، ومن فاته شيء بالليل^[٣] استدركه بالنهار ، أو بالنهار استدركه بالليل ، كما قال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الْأَيَّلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شَكُورًا﴾ والآيات في هذا^[٤] كثيرة .

وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيَّنَ شَرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعَمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَغَنَا مِنْ
كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بِرَهْنَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا
كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

[١] - في خ ، ز : « ولسانه منه » .

[٢] - ما بين المعقودين سقط من : م .

[٣] - في ز ، خ : « ذلك » .

[٤] - من الليل .

وهذا أيضًا نداء على سبيل التقرير والتوجيه لمن عبد مع الله إلهًا آخر يناديهم رب - تبارك وتعالى - على رعوس الأشهاد فيقول : ﴿ أَيْنَ شُرِكَائِي الَّذِينَ كُتِمْتُ تَزَعُّمُونَ ﴾ . أي : في الدار الدنيا .

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ قال مجاهد : يعني رسولًا ﴿ فَقُلْنَا هَاتُوا بِرَهَانَكُمْ ﴾ أي : على صحة ما ادعياتموه من أن الله شركاء ، ﴿ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ ﴾ أي : لا إله غيره ، أي : فلم ينطقوا ولم [١] يحرروا جوابا ، ﴿ وَضُلُّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ . أي : ذهبوا فلم ينفعوهم [٢] .

﴿ إِنَّ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُّسَوَّفَةٍ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُوْنِ مَا إِنَّ
مَفَاتِحَهُ لَنَتَّنُوا بِالْعُصْبَةِ أُولَئِي الْقُوَّةِ إِذَا قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْفَرِحِينَ ﴿ ٧٦ ﴾ وَأَتَيْنَاهُ مِمَّا أَتَنَاكَ اللَّهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ
مِنَ الدُّنْيَا وَلَا حِسْنٌ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَعْنِي الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿ ٧٧ ﴾

قال الأعمش : عن المهايل بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : ﴿ إِنْ
قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُّسَوَّفَةٍ ﴾ ، [٣] : كان ابن عمه . وهكذا قال إبراهيم النخعي ، وعبد
الله ابن الحارث بن نوفل ، وسماك بن حرب ، وقنادة ومالك بن دينار ، وابن جريج ،
وغيرهم : إنه كان ابن عم [٤] موسى عليه السلام .

قال ابن جريج : هو قارون بن [يصره بن قاہت] [٥] ، وموسى بن عمران بن قاہت .

وزعم محمد بن إسحاق بن يسار : أن قارون كان عم موسى عليه السلام .

قال ابن جرير : وأكثر أهل العلم على أنه كان ابن عممه ، والله أعلم .

وقال قنادة بن دعامة : كنا نُحَدِّثُ أَنَّهُ كَانَ أَبْنَ عَمِ مُوسَى ، وَكَانَ يُسَمَّى الْمُنَورُ لِحُسْنِ صُورَتِهِ
بِالْتُّورَةِ ، وَلَكِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ نَافِقٌ كَمَا نَافِقَ السَّامِرِيُّ ، فَأَهْلُكَهُ الْبَغْيُ لِكَثْرَةِ مَالِهِ .

[١] - في ز ، خ : « ولا » .

[٢] - ما بين المعکوفین في ت : « قال » .

[٣] - ما بين المعکوفین في خ ، ز : « يَعْمَرُ بْنَ قَاهْتَ » ، و في ز : « يَعْهَرُ بْنَ قَاهْتَ » .

وقال شهر بن حوشب : زاد في ثيابه شبراً طولاً ترقعاً على قومه .

وقوله : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكَوْزِ ﴾ ، أي : الأموال ﴿ مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعَصْبَةِ أُولَئِكَ الْقَوْنِ ﴾ ، أي : لَيَقْلُ حَمْلُهَا الْفَنَامُ مِنَ النَّاسِ لَكُثْرَتِهَا^[١] .

قال الأعمش : عن خيّمة : كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود ، كل مفتاح مثل الإصبع ، كل مفتاح على خزانة على حدته ، فإذا ركب حملت على سفين بغلًا^[٢] أغر محجلاً^[٣] ، وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ إِذَا قَالَ لَهُ قَوْمٌ لَا يَحْبَبُ الْفَرَحِينَ ﴾ أي : وعظه فيما هو فيه صالح^[٤] قومه ، فقالوا على سبيل النصح والإرشاد : لا تفرح بما أنت فيه ، يعنيون لا تبشر بما أنت فيه من الأموال ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَحْبَبُ الْفَرَحِينَ ﴾ .

قال ابن عباس : يعني المرحىن ، وقال مجاهد يعني^[٥] : الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم .

وقوله : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسِ نَصِيبِكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ ، أي : استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات ، التي يحصل لك بها^[٦] الثواب في الدار الآخرة ، ﴿ وَلَا تَنْسِ نَصِيبِكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ ، أي : مما^[٧] أباح الله فيها من المأكل والمشروب والملابس والمساكن والمناكح ، فإن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، ولزورك [عليك حقاً]^[٨] فات كل ذي حق حقه .

﴿ وَأَحْسَنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ ، أي : أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك^[٩] ﴿ وَلَا تَغْرِيَنَّكَ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، أي : لا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به في الأرض ، وتسيء إلى خلق الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَحْبَبُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

قَالَ إِنَّمَا أُوتِنُّتُمُ عَلَىٰ طَهِيرٍ عِنْدِي أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقَرْوَنَ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمِيعاً وَلَا يَسْتَدِلُّ عَنْ دُنُوِّهِمْ

[١] - في ت : « لكرتهم » .

[٢] - في ز : « بغل » .

[٣] - في ز ، خ : « محجل » .

[٤] - في ت : « صالح » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في ز ، خ : « ما » .

[٨] - ما بين المعقوفين سقط من : ت .

[٩] - سقط من : خ ، ز .

المُعْجِزُونَ

يقول تعالى مخبراً عن جواب قارون لقومه ، حين نصحوه وأرشدوه إلى الخير ، ﴿ قال إغا
أوتينه على علم عندي ﴾ أي : أنا لا أفتقر إلى ما تقولون ، فإن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال
لعلمه بأني أستحقه ، ولحبيته لي ، فتقديره^[١] : إنما أعطيته لعلم الله في أنّي أهل له ،
[وهذا^[٢] كقوله تعالى : ﴿ فإذا مس الإنسان ضر دعا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما
أوتينه على علم ﴾ ، [أي : على علم من الله بي^[٣]] ، وكقوله تعالى : ﴿ ولكن أذفناه رحمة
منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي ﴾ أي : هذا أستحقه .

وقد رُوي عن بعضهم أنه أراد : ﴿ إنما أوتته على علم عندي ﴾ ، أي : إنه كان يعني
علم الكيمياء . وهذا القول ضعيف ، لأن علم الكيمياء في نفسه علم باطل ، لأن قلب الأعيان
لا يقدر أحد عليها إلا الله عز وجل ، قال الله : ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن
الذين تدعون من دون الله لن يخلقا ذبابا ولو اجتمعوا له ﴾ .

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله تعالى ومن أظلم من
ذهب يخلق كخلقني ، فليخلقوا ذرة ، فليخلقوا شعرة »^[٤] . وهذا ورد في المصوّرين^[٥]
الذين يشبهون بخلق الله في مجرد الصورة الظاهرة أو الشكل ، فكيف من يدعي أنه يحيي
ماهية هذه الذات إلى ماهية ذات أخرى ، هذا زور ومحال ، وجهل وضلال . وإنما يقدرون
على الصيغ في الصورة الظاهرة ، وهو كذب وزغل وتمويه ، وترويج أنه صحيح في نفس الأمر ،
وليس كذلك قطعاً لا محالة ، ولم يثبت بطريق شرعي أنه صح مع أحد من الناس من هذه
الطريقة التي يتعانها هؤلاء الجهلة الفسقة الأفاكون ، فاما ما يجريه الله - تعالى - من خرق
العوايد على يدي بعض الأولياء من قلب بعض الأعيان ذهباً أو فضة أو نحو ذلك ، فهذا أمر لا
ينكره مسلم ، ولا يرده مؤمن ، ولكن هذا ليس من قبل الصناعات ، وإنما هذا عن مشيئة رب
الأرض والسماءات ، واختياره و فعله ، كما روي عن حمزة بن شريح المصري - رحمه الله -
أنه سأله سائل ، فلم يكن عنده ما يعطيه ورأى ضرورته ، فأخذ حصاة من الأرض فأجالها في
كهف ، ثم ألقاها إلى ذلك السائل فإذا هي ذهب أحمر . والأحاديث والآثار كثيرة جداً يطول
ذكرها .

وقال بعضهم : إن قارون كان يعلم الاسم الأعظم ، فدعا الله به^[٦] فتمول بسببه . وال الصحيح

(٣٥) صحيح البخاري برقم (٥٩٥٣) ، و صحيح مسلم برقم (٢١١١) .

[١] - في ز ، خ : « فتقدير » .

[٢] - في ت : « هذا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في خ ، ز : « المتصورين » .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

المعنى الأول ؛ ولهذا قال الله - تعالى - رأداً عليه فيما ادعاه من اعتناء الله به فيما أعطاه من المال : ﴿ أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمِيعاً ﴾ ، أي : قد كان من هو أكثر منه مالاً وما كان ذلك عن محبة منا له ، وقد أهلوكهم الله مع ذلك بکفرهم وعدم شكرهم ؛ ولهذا قال : ﴿ وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الظَّمِرُونَ ﴾ ، أي : لكثرة ذنبهم .

قال قنادة : ﴿ عَلَى عِلْمٍ عَنِي ﴾ على خير عندي : وقال السدي : على علم أني أهل لذلك .

وقد أجاد في تفسير هذه الآية الإمام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، فإنه قال في قوله : ﴿ قَالَ إِنَّا أُوتَيْنَا عِلْمًا عَنِي ﴾ قال : لولا رضا الله عنـي ، ومعرفته بفضلي ، ما أعطيـني هذا المال ، وقرأ : ﴿ أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمِيعاً وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الظَّمِرُونَ ﴾ .

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلَيَّنَّ لَنَا مِثْلَ مَا أُوفِيَ قَدْرُونَ إِنَّمَا لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَلَيَكُنْ ثُوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ أَمْرَنَّ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَنَّهَا إِلَّا أَصْكَبُرُونَ

(٨٠)

يقول تعالى مخبراً عن قارون : إنه خرج ذات يوم على قومه في زينة عظيمة ، وتجمل باهر ، من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه ، فلما رأه من يزيد الحياة الدنيا ويميل إلى زخرفها وزيتها ، تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطيـ، ﴿ قَالُوا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قارون إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ ﴾ ، أي : ذو حظ وافز من الدنيا . فلما سمع مقالتهم أهل العلم النافع قالوا لهم : ﴿ وَيَلْكُمْ ثُوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ أَمْرَنَّ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ ، أي : جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما ترون .

[كما في الحديث الصحيح : « يقول الله تعالى : أعددت لعبادـ الصالحين مالـ عـين رـأتـ ، ولا أذنـ سـمعـتـ ، ولا خـطرـ عـلـى قـلـبـ بـشـرـ . واقـرـءـوا إـنـ شـتـمـ : ﴿ فَلَا تـعـلـمـ نـفـسـ مـا أـخـفـيـ لـهـمـ مـنـ قـرـةـ أـعـيـنـ جـزـاءـ بـمـ كـانـواـ يـعـمـلـونـ ﴾ 】 [١][٣٦] .

(٣٦) صحيح مسلم برقم (٢٨٢٤) .

[١] - ما بين المukoتفين سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿ وَلَا [١] يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ ، قال السدي : وما يلقى الجنة إلا الصابرون . كأنه جعل ذلك من تمام كلام الذين أوتوا العلم ، قال ابن جرير : وما يلقى هذه الكلمة إلا الصابرون عن محبة الدنيا ، الراغبون [٢] في الدار الآخرة . وكأنه جعل ذلك مقطوعاً [٣] من كلام أولئك ، وجعله من كلام الله - عز وجل - وإخباره [٤] بذلك .

فَخَسَفَنَا بِهِ، وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٤١﴾ وَاصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنُوا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَتَكَبَّرَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَتَكَبَّرَ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٢﴾

لما ذكر - تعالى - اختيال قارون في زيته ، وفخره على قومه ، وبغيه عليهم - عقب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض ، كما ثبت في الصحيح - عند البخاري من حديث الزهري ، عن سالم ، أن أباه حدثه ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « بينما رجل يجر إزاره إذ خسف به ، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيمة » .

ثم رواه من حديث جرير بن زيد ، عن سالم ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، نحوه (٣٧) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا النضر بن إسماعيل أبو المغيرة الفاسق ، حدثنا الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينما رجل فيمن كان قبلكم ، خرج في بردين أحضررين يختال فيما ، أمر الله الأرض فأخذته ، فإنه ليتجمل فيها إلى يوم القيمة ». تفرد به أحمد وإسناده حسن (٣٨) .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا [١] مُتَلَّى [٥] بن منصور ، أخبرني محمد بن مسلم ، سمعت زبادا التميري يحدث عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال :

(٣٧) صحيح البخاري برقم (٥٧٩٠) .

(٣٨) المسند (٤٠/٣) .

[١] - في ز ، خ : « ما » .

[٢] - في ز ، خ : « معطوفاً » .

[٣] - في ز ، ز : « أبو معلى » . وفي ت : « أبو يعلى » . والأولى تحريف . والثانية كنية معلى . وقد

أثبتنا الموجود في مسند أبي يعلى .

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « بَيْنَا رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَ فِي بَرِّ دِينٍ فَأَخْتَالَ فِيهِمَا ، فَأَمَرَ اللَّهَ الْأَرْضَ فَأَخْذَتْهُ ، فَهُوَ يَجْلِجِلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »^[٣٩] .

وقد ذكر محمد بن المنذر - شَكْرُ - في كتاب « العجائب الغريبة »^[٤٠] بسنده عن نوفل بن مساحق قال : رأيت شاباً في مسجد نهران ، فجعلت أنظر إليه وأتعجب من طوله وتمامه وجماله ، فقال : ما لك تنظر إلي؟ فقلت : أتعجب من جمالك وكمالك . فقال : إن الله ليعجب مني . قال : فما زال ينقص ويقص حتى صار بطول الشبر فأخذه بعض قرابته في كمه وذهب .

وقد ذُكر أن هلاك قارون كان عن دعوة النبي الله موسى - عليه السلام - وختلف في سببه : فعن ابن عباس والسدسي : أن قارون أعطى امرأة بغيًا مالًا على أن تباهت موسى بحضوره الملايين ببني إسرائيل ، وهو قائم فيهم يتلو عليهم كتاب الله ، فنقول : يا موسى ، إنك فعلت بي كذا وكذا ، فلما قالت في الملايين ذلك لموسى - عليه السلام - أزعجت من الفرق ، وأقبل عليها ، وصلى ركعتين ثم قال : أشدك بالله الذي فرق البحر ، وأنجاك من فرعون ، وفعل كذا وكذا ، لما أخبرتني بالذي حملك على ما قلت؟ فقلت : أما إذ تشدتني فإن قارون أعطاني كذا وكذا ، على أن أقول لك ، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه . فعند ذلك خر موسى لله - عز وجل - ساجدا ، وسأل الله في قارون . فأوحى الله إليه أني قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه فأمر موسى الأرض أن تتبعه وداره فكان ذلك .

وقيل : إن قارون لما خرج على قومه في زيته تلك ، وهو راكب على البغال الشهب ، وعليه وعلى خدمه الثياب الأرجوانية^[٤١] ، فمر في جحفله ذلك على مجلس النبي الله موسى - عليه السلام - وهو يذكرهم أيام الله ، فلما رأى الناس قارون انصرفت وجوه الناس حوله ، ينظرون إلى ما هو فيه ، فدعاه موسى - عليه السلام - وقال : ما حملك على ما صنعت؟ فقال : يا موسى ، أما لئن كنت فضلت علي بالنبوة ، فلقد فضلت عليك بالدنيا ، ولكن شئت لترجعن ، فلتدعون على وأدعوك عليك . فخرج وخرج قارون في قومه فقال موسى : تدعوا أو أدعوا أنا؟ قال : بل أنا أدعوا . فدعا قارون فلم يجب له ، ثم قال موسى : أدعوك؟ قال : نعم . فقال موسى : اللهم ، من الأرض أن تعطيني اليوم . فأوحى الله إليه أني قد فعلت ، فقال موسى : يا أرض ، خذيهم . فأخذتهم إلى أقدامهم . ثم قال : خذيهم . فأخذتهم إلى ركبهم ، ثم إلى مناكبهم . ثم قال : أقبلي بكثوزهم وأموالهم . قال : فأقبلت بها حتى نظروا إليها . ثم أشار موسى بيده فقال : اذهبوا بني لاوي فاستورت بهم الأرض .

(٣٩) مستند أبي يعلى (٢٧٩/٧) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٢٦/٥) : « فيه زياد بن عبد الله التميري وهو ضعيف ، وقد وثقه ابن حبان وقال : يخطيء » .

[٤٠] - في خ : « الصنعة » .

[٤١] - في ز : « العربية » .

وعن ابن عباس أنه قال : **خُسِفَ بهم إلى الأرض السابعة** . وقال قتادة : ذكر لنا أنه يخسف بهم كل يوم قامة . فهم ^[١] يتجلجلون فيها إلى يوم القيمة وقد ذكر هاهنا إسرائيليات أضرتنا عنها صفحًا .

وقوله : **فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فَتَةٍ يَنْصُرُهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَصْرِفِينَ** ، أي : ما أغنى عنه ماله وما جمعه ، ولا خدمه وحشمه . ولا دفعوا عنه نعمة الله وعداته ونکاله [به]^[٢] ، [ولا كان هو في نفسه متصرًا لنفسه ، فلا ناصر له من نفسه ولا من غيره .

وقوله تعالى : **وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَنَوَّا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ** ، أي : الذين لما رأوه في زيته **قَالُوا يَا لَيْلَتُنَا مُثْلِي مَا أُوتِيَ قَارُونَ** . إنه لذو حظ عظيم ^[٣] ، فلما خسف ^[٤] به أصبحوا يقولون : **وَيَكَانُ اللَّهُ يُسْطِي الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ** أي : ليس المال بداع على رضا الله عن صاحبه ؛ فإن الله يعطي وينع ، ويضيق ويوسع ، [ويختضن ويبرع]^[٥] ، وله الحكمة التامة والحكمة البالغة . وهذا كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود : « إن الله قسم بينكم أخلاقكم ، كما قسم أرزاقكم ، وإن الله يعطي المال من يحب ، ومن لا يحب ، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب »^(٦) .

لَوْلَا أَنْ مَنْ أَنْهَا عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ، أي : لو لا لطف الله بنا وإحسانه إلينا لخسف بنا كما خسف به ، لأننا ودّنا آنًا^[٧] تكون مثله .

وَيَكَانُهُ لَا يَفْلُحُ الْكَافِرُونَ ، يعني أنه كان كافرا ، ولا يفلح الكافرون عند الله ، لا في الدنيا ولا في الآخرة .

وقد اختلف النهاة في معنى قوله تعالى : **وَيَكَانُ** فقال بعضهم : معناها : « **وَيَلْكَ** ^[٨] أعلم أن » ولكن خففت قليل : « **وَيَلَكَ** » ودل نوح « **أَنْ** » على حذف « **اعْلَمْ** » . وهذا القول ضعفه ابن جرير ^(٩) ، والظاهر أنه قوي ، ولا يشكل على ذلك إلا كتابتها في المصاحف متصلة « **وَيَكَانُ** » . والكتابة أمر وضعى ^[١٠] اصطلاحى ، والمرجع إلى اللفظ العربي ، والله أعلم .

[٤٠] المستند (٣٨٧/١) .

[٤١] تفسير الطبرى (٢٧/٢٠) .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعقوفين سقط من : ت .

[٣] - في ت : « **أَنْ** » .

[٤] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز ، خ : « **وَيَلَكَ** » .

[٦] - في ز ، خ : « **وَيَلَكَ** » .

[٧] - في ز ، خ : « **وَيَلَكَ** » .

وقيل : معناها : ويَكُن ، أي : ألم تر أن ؟ قاله قتادة . وقيل : معناها : « ويَكُن » ، ففصلها وجعل حرف « وي^[١] » للتعجب أو للتنبيه ، و « كأن » : بمعنى : أظن وأحسب . قال ابن جرير : وأقوى الأقوال في هذا قول قتادة : إنها بمعنى : « ألم تر أن » ، واستشهد بقول الشاعر

سَأَلَتَانِي الطَّلاقُ أَنْ رَأَيَنِي
وَنِكَانَ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشْبَهُ
تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ بَعْثَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَقِبَةُ
لِلْمُنْتَقِينَ  مَنْ جَاءَ بِالْمَسْنَةِ فَلَمْ يُخْرِجْ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُخْرِجَ
الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ 

يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيها المقيم الذي لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين ، الذين لا يريدون علوًّا في الأرض ، أي : ترقعاً على خلق الله وتعاظمتا عليهم وتجبروا بهم ، ولا فساداً فيهم . كما قال عكرمة : العلو : التجبر .

وقال سعيد بن جبير : العلو : البغي .

وقال سفيان بن سعيد الشوري : عن منصور ، عن مسلم البطين : العلو في الأرض : التكبر بغیر حق . والفساد : أخذ المال بغیر حق .

وقال ابن مهرج : « لا يريدون علوًّا في الأرض ». تعظماً وتجبراً « ولا فساداً » : عملاً^[٤] بالمعاصي .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبي ، عن أشعث^[٥] السمان عن أبي سلام الأعرج ، عن عليٍّ ، قال : إنَّ الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك صاحبه ، فيدخل في قوله : « تلك الدار الآخرة بعلها للذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » .

وهذا محمول على ما إذا أراد الفخر على غيره ، [فإنَّ ذلك مذموم كما ثبت في الصحيح ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم : « ألم أوحى إليَّ أَن تَوَاضَّعُوا ، حتى لا يفخر أحدٌ على

[١] - في ز ، خ : « أي » .

[٢] - في ز ، خ : « أَنْ » .

[٣] - في ز ، خ : « يَكْرَهُ » .

[٤] - في ز ، خ : « عَمَلٌ » .

[٥] - في ز ، خ : « أَشَعْبٌ » .

أحد ، ولا يغى أحد على أحد ^(٤٢) [١] ، وأما إذا أحب ذلك مجرد التجمل فهذا لا يأس به ، فقد ثبت أن رجلاً ، قال : يا رسول الله ، إني أحب أن يكون ردائى حستاً ونعلي [حسنـة] ^(٢) فمن الكبر ذلك ؟ فقال : « لا ، إن الله جميل يحب الجمال » .

وقوله : « من جاء بالحسنة » ، أي : يوم القيمة ^{فـ} فله خير منها ^{فـ} ، أي : ثواب الله خير من حسنة العبد ، فكيف والله يضاعفه أضعافاً كثيرة ! فهذا مقام الفضل .

ثم قال : « ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون » ، كما قال في الآية الأخرى : « ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون » وهذا مقام الفصل العدل .

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْقُرْآنَ لِرَادُكُمْ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّيْ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ
بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكُمْ
الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكُمْ فَلَا تَكُونُنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَفَّارِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا
يُصْدِنَكُمْ عَنْ مَآيِّنَ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكُمْ وَادْعُ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَا تَكُونُنَّ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَنْدُعُ مَعَ الَّلَّهِ إِلَيْهَا إِلَّا لَآءًا إِلَّاهٌ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ
إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَمُونَ ﴿٨٨﴾

يقول تعالى آمراً رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - ببلاغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس ، ومخبراً له بأنه سيرده إلى معاد وهو يوم القيمة ، فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة ، ولهذا قال : « إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد » أي : افترض عليك أداءه إلى الناس ^{فـ} لرادك إلى معاد ^{فـ} ، أي : إلى يوم القيمة فيسألك عن ذلك ، كما قال تعالى : « فَلَنْسَانُ الَّذِينَ أُرْسَلُ إِلَيْهِمْ وَلَنْسَانُ الْمُرْسَلِينَ » وقال : « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ^{فـ} ، وقال : « وجيء بالنتين والشهداء ^{فـ} .

وقال السدي : عن أبي صالح ، عن ابن عباس : « إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ^{فـ} يقول : لرادك إلى الجنة ، ثم سائلك عن القرآن . قال السدي : وقال أبو سعيد مثلها .

(٤٢) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه .

[١] - ما بين المعرفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ت : « حستا » .

وقال الحكم بن أبان : عن عكرمة ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : « لرادك إلى معاد » قال : إلى يوم القيمة . ورواه مالك ، عن الزهري .

وقال الثورى عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : « لرادك إلى معاد » : إلى الموت ، ولهذا طرق عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وفي بعضها : لرادك إلى معدنك من الجنة .

وقال مجاهد : يحييك يوم القيمة . وكذا روى عن عكرمة ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وأبي قزعة ، وأبي مالك ، وأبي صالح . وقال الحسن البصري : إِيَّاَنْنَاهُ ، إِنَّ لَهُ مَعَاذًا يَعُثِّهُ^[١] اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَدْخُلُهُ الْجَنَّةَ .

وقد روي عن ابن عباس غير ذلك ، كما قال البخاري في التفسير من صحيحه : حدثنا محمد بن مقاتل ، أَبِنَانَا^[٢] يعلني ، حدثنا سفيان العصفوري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « لرادك إلى معاد » ، قال : إلى مكة .

وهكذا رواه النسائي^(٤٣) في تفسير سنته ، وأبن جرير من حديث يعلى - وهو ابن عبيد الطنافسي - به . وهكذا روى العوفي ، عن ابن عباس : « لرادك إلى معاد » ، أبي : لرادك إلى مكة كما أخرجك منها . وقال محمد بن إسحاق عن مجاهد في قوله : « لرادك إلى معاد » : إلى مولدك بمكة .

قال ابن أبي حاتم : وقد روي عن ابن عباس ، ويحيى بن المزار ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، والضحاك ، نحو ذلك .

[وحدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، قال : قال سفيان : وسمناه من مقاتل منذ سبعين سنة عن الضحاك^[٣] ، قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة بلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله عليه : « إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِرَادَكَ إِلَى مَعَادٍ » إلى مكة .

وهذا من كلام الضحاك يقتضي أن هذه الآية مدنية وإن كان مجموع السورة مكية ، والله أعلم .

وقد قال عبد الرزاق : حدثنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : « لرادك إلى معاد » ، قال : هذه مما كان [ابن عباس^[٤] يكتملها ، وقد روى ابن أبي حاتم بسنده عن نعيم القاري^[٥] أنه

(٤٣) النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٨٦) ، وتفسير الطبرى (٨٠/٢٠).

[١] - في ز ، خ : « أبتعه » .

[٢] - ما بين المكوفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز ، خ : « القاهري » .

[٤] - ما بين المكوفين سقط من : خ ، ز .

قال في قوله : ﴿ لرادرك إلى معاد ﴾ قال : إلى بيت المقدس .

وهذا - والله أعلم - يرجع إلى قول من فسر ذلك يوم القيمة ؛ لأن بيت المقدس هو أرض الحشر والمنشر ، والله الموفق للصواب .

ووجه الجمع بين هذه الأقوال أن ابن عباس فسر ذلك تارة برجوعه إلى مكة ، وهو الفتح الذي هو^[١] عند ابن عباس أمارة على اقتراب أجله - صلى الله عليه وسلم - كما فسره ابن عباس بسورة : ﴿ إِذَا جاء نصر اللَّهِ وَالنَّصْنَعُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبَعَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفَرَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا ﴾ : أنه أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثُمَّ عَيَّإِلَيْهِ ، وكان ذلك بحضور عمر بن الخطاب ووافقه عمر على ذلك ، وقال : لا أعلم منها غير الذي تعلم . ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرى قوله : ﴿ لرادرك إلى معاد ﴾ بالموت ، وتارة يوم القيمة الذي هو بعد الموت ، وتارة بالجنة التي هي جزاؤه ومصيره على أداء رسالة الله ، وإبلاغها إلى الثقلين الحسن والحسين ، ولأنه أكمل خلق الله ، وأفصح خلق الله ، وأشرف خلق الله على الإطلاق .

وقوله : ﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مِنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مِّنْ بَيْنِ أَيْمَانِكُمْ ﴾ أي : قل من خالفك وكذبك^[٢] يا محمد من قومك من المشركين ومنتبعهم على كفرهم - قل : ربى أعلم بالمهتدى منكم ومني ، وستعلمون من تكون عاقبة الدار ، ولمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة .

ثم قال تعالى مذكرا لنبيه نعمته العظيمة عليه وعلى العباد إذ أرسله إليهم : ﴿ وَمَا كُنْتُ تَرْجُو أَنْ يَلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ أي : ما كنت تظن قبل إِنْزال الوحي إليك أن الوحي ينزل عليك ، ﴿ وَلَكُنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ ، أي : إنما نزل عليك الوحي من الله من رحمته بك وبالعباد بسيبك ، فإذا^[٣] من حل هذه النعمة العظيمة ﴿ فَلَا تَكُونُ ظَهِيرًا ﴾ ، أي : معيانا للكافرين^[٤] ، ولكن فارقهم ونابذهم وخالفهم .

﴿ وَلَا يَصِدِّنَكُ عن آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ ﴾ أي : لا تتأثر بخالفتهم لك وصدتهم الناس عن طريقك ، و^[٤] لا تلوى على ذلك ولا تبالغ ؛ فإن الله معلم^[٥] كلامتك ، ومؤيد^[٦] دينك ، ومظهر ما أرسلت به على سائر الأديان ، ولهذا قال : ﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ ﴾ ، أي : إلى عبادة ربك وحده لا شريك له ، ﴿ وَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي : لا تليق العبادة إلا له ، ولا تنبغي

[١] - سقط من : ز ، خ : « كذلك » .

[٢] - سقط من : ز ، خ : « فإذا » .

[٣] - في ز ، خ : « مؤيدك » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « معلمك » .

الإلهية إلا لعظمته .

وقوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ ﴾ إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت ؛ كما قال تعالى : ﴿ كُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَوْتٌ وَيَقْنَاطُ وَجْهُ رِبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ فغير بالوجه عن الذات ، وهكذا قوله هنا : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ أَيِّ إِلَيْهِ وَقَدْ ثَبِّتَ فِي الصَّحِّيفَةِ ، مِنْ طَرِيقِ أَيِّ سَلْمَةَ ، عَنْ أَيِّ هَرِيرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَصَدِّقُ كَلْمَةَ قَالَهَا الشَّاعِرُ ﴾^[١] كلمة ليدي :

اَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَّا اللَّهُ بِاطِّلُ^(٤٤)

قال مجاهد والثوري في قوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ أَيِّ إِلَّا مَا أُرِيدُ بِهِ وَجْهُهُ وَحْكَاهُ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِّيْحِهِ كَالْمُقْرَرِ لَهُ .

قال ابن جرير : ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر .

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبَنَا لَسْتُ مُخْصِيْهُ رَبُّ الْعَبَادِ ، إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ
وهذا القول لا ينافي القول الأول ، فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد بها وجه الله - عز وجل - من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة . والقول الأول مقتضاه أن كل النذوات فانية وهالكة وزائلة إلا ذاته - تعالى - فإنه الأول و^[٢] الآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء .

قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب « التفكير والاعتبار » : حدثنا أحمد ابن محمد بن أبي بكر ، حدثنا سلم بن إبراهيم ، حدثنا عمرو بن سليم الباهلي ، حدثنا أبو الوليد ، قال : كان ابن عمر إذا أراد أن يتعاهد قلبه ، يأتني الخربة فيقف على بابها ، فينادي بصوت حزين فيقول : أين أهلك ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ ﴾ .

وقوله : ﴿ لِهِ الْحُكْمُ أَيِّ الْمَلِكُ وَالظَّرِيفُ لَا مَعْقُبٌ لِحُكْمِهِ وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ﴾ .
أي : يوم معادكم فيجزيكم بأعمالكم إن خيراً فخير ، وإن شرًا فشر .



(٤٤) صحيح البخاري برقم (٣٨٤١) ، وصحيف مسلم برقم (٢٢٥٦) .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « شاعر » .

تفسير سورة العنكبوت

وهي مكية

اللَّهُ أَحَسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا إِيمَانًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَخْكُمُونَ ﴿٢﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول «سورة البقرة».

وقوله : ﴿أَحَسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا إِيمَانًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ استفهام إنكار ومعناه أن الله - سبحانه وتعالى - لا بد أن يتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان كما جاء في الحديث الصحيح ^(١) : «أشد الناس بلاء الأرباء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل»، يتلى الرجل على حسب دينه ، فلن كان في دينه صلابة زيد في البلاء ». وهذه الآية كقوله : ﴿أَمْ حَسِبْتَمْ أَنْ تُتَرَكُوا وَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ﴾ ومتلها في «سورة براءة». وقال في البقرة : ﴿أَمْ حَسِبْتَمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَا يَأْتِكُمْ مِثْلُ الَّذِينَ خَلُوا مِنْ قَبْلِكُمْ مُسْتَهْمِنِ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلُولِهَا حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ ، أي : الذين صدقوا في دعواهم الإيمان من ^[١] هو كاذب في قوله ودعواه . والله - سبحانه وتعالى - يعلم ما كان وما يكون [وَمَا لَمْ^[٢]] يكن لو كان كيف كان يكون . وهذا مجمع عليه عند أئمة السنّة والجماعـة ولهذا يقول ابن عباس وغيره في مثل : ﴿إِلَّا لَنْعَلَمُ^[٣]﴾ إلـا لـنـعـلـمـ؛ وذلك أن الرؤـيـةـ إـنـماـ تـعـلـقـ بـالـمـوـجـودـ ، وـالـعـلـمـ أـعـمـ مـنـ الرـؤـيـةـ ، فإـنهـ يـتـعلـقـ بـالـمـعـدـومـ وـالـمـوـجـودـ .

(١) المسند (١٧٢)، والترمذـيـ حـدـيـثـ (٢٣٩٨)ـ من طـرـيقـ مـصـعـبـ ، عن أـيـهـ سـعـدـ بـنـ أـبـيـ وـقـاصـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ ، وـقـالـ التـرمـذـيـ : «ـ حـدـيـثـ حـسـنـ صـحـيـحـ»ـ .

[١] - في خ ، ز : « فيمن » .

[٢] - في ز : « لعلم » .

[٣] - في ز : « لعلم » .

وقوله : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبُقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ ، أي : لا يحسّن الذين لم يدخلوا في الإِيَّان أنهم يخلصون من هذه الفتنة والامتحان ، فإن من ورائهم من العقوبة والنّكال ما هو أَغْلَظُ من هذا وأَطْمَمُ ، ولهذا قال : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبُقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ أي : بَسْ ما يظلون !

مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْمُكْلِمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنَكْفُرُنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

يقول تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ اللَّهِ ﴾ أي : في الدار الآخرة ، وعمل الصالحات رجاء ما عند الله من الثواب الجزييل ، فإن الله سيتحقق له رجاءه ، ويوفيه عمله كاملاً موفراً ، فإن ذلك كائن لا محالة لأنّه سميع الدّعاء ، بصير بكل الكائنات ؛ ولهذا قال : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ﴾ كقوله : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَنْفَسِهِ ﴾ : أي : من عمل صالحاً فإنما يعود نفع عمله على نفسه . فإن الله غني عن أفعال العباد ولو كانوا كلهم على أتقى قلب رجل منهم ، ما زاد ذلك في ملكه شيئاً ؛ ولهذا قال : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ .

قال الحسن البصري : إن الرجل ليجاهد وما ضرب يوماً من الدهر بسيف .

ثم أخبر أنه مع غناه عن الخلائق جميعهم من [إحسانه وبره] بهم يجازي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء ، وهو أنه يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا ، ويجزيهم أجراً بأحسن ما كانوا يعملون ، فيقبل القليل من الحسنات ، ويشتب علىها الواحدة بعشر أمثالها إلى سبعمائه ضعف ، ويجزى على السيئة بمثلها أو يعمرو ويصفح ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، وَإِنْ تَكُ حَسْنَةٌ يَضَعُفُهَا وَيُؤْتَ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنَكْفُرُنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وَصَنَّا لِلنَّاسِ بِوَلَدِيهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِـ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَإِنِّي شَكُورٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنَدْخُلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ

يقول تعالى آمراً عباده بالإحسان إلى الوالدين بعد الحث على التمسك بتوحيده ، فإن الوالدين هما سبب وجود الإنسان ، ولهمما عليه^[١] غاية الإحسان ، [فالوالد^[٢] بالإنفاق والوالدة بالإشراق ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ وَقُضِيَ رِيلُكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يُبلغُنَّ عَنْكُكُ الْكَبْرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كَلَاهُمَا فَلَا تُقْلِنْ لَهُمَا أَفَ وَلَا تَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قُولًا كَرِيمًا وَأَخْفُضْ لَهُمَا جَنَاحَ الدُّلُّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ : رَبُّ ارْحَمَهُمَا كَمَا رَبِّيَنِي صَفِيرًا^[٣]] ومع هذه الوصية بالرأفة والرحمة والإحسان إليهما ، في مقابلة إحسانهما المتقدم ، قال : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِمُهُمَا^[٤] ، أَيْ : وَإِنْ حَرَصَا عَلَيْكَ أَنْ تَتَابِعَهُمَا فِي دِينِهِمَا إِذَا كَانَا مُشْرِكِينَ ، فَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُمَا ، لَا تُطْعِمُهُمَا فِي ذَلِكَ ، فَإِنْ مَرْجِعُكُمْ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُجْزِيَكُمْ بِإِحْسَانِكُمْ إِلَيْهِمَا وَصَبْرِكُمْ عَلَى دِينِكُمْ ، وَأَحْشِرُكُمْ مَعَ الصَّالِحِينَ لَا فِي زِمْرَةِ الْوَالِدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ الْمَرءَ إِنَّمَا يَحْشُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ، أَيْ : حَبَّ دِينِيَّا ؛ ولهذا قال : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ^[٥] .

وقال الترمذى^(١) عند تفسيره هذه الآية : حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن سماعة بن حرب [قال^[٦] : سمعت مصعب بن سعد يحدث عن أبيه سعد ، قال : نزلت فئي أربع آيات . فذكر قصة وقالت أم سعد : أليس قد أمرك الله بالبر ؟ والله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر ، قال : فكانوا^[٧] إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاما^(٨) ؛ فأنزل الله^(٩) : ﴿ وَوَصَّيْنَا إِلَيْنَا إِلَيْهِ بِوَالِدِيهِ حَسَنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ^[١٠] الآية . وهذا الحديث رواه الإمام أحمد ومسلم . وأبو داود والنسائي أيضاً ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ إِيمَانًا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَيْسَ جَاهَةً نَصْرٌ مَنْ رَأَيْكَ لِيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَنَمِينَ ﴿١١﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ظَاهَرُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ



(٢) سنن الترمذى حديث (٣٠٧٩) ، والمسند (١٨١/١) ، وصحىح مسلم حديث (١٧٤٨) ، وسنن أبي داود حديث (٢٧٤٠) .
(*) - أَيْ : فتحوا فمهما .

[٢] - في خ : « قالوا الوالد » .

[١] - في ز ، خ : « إِلَيْهِ » .

[٤] - في ز : « وَكَانُوا » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

يقول تعالى مخبراً عن صفات قوم من المكذبين^[١] الذين يدعون الإيمان بأسنتهم ، ولم يثبت الإيمان في قلوبهم ، بأنهم إذا جاءتهم فتنة ومحنة في الدنيا اعتقدوا أن هذا من نعمة الله تعالى - بهم ، فارتدوا عن الإسلام ؛ ولهذا قال : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فَتَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ .

قال ابن عباس : يعني فتنته أن يرتد عن دينه إذا أُوذى في الله . وكذا قال غيره من علماء السلف . وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْدُ اللَّهَ عَلَى حِرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَأْنَ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فَتْنَةٌ أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدِّينَ وَالآخِرَةُ ذَلِكَ هُوَ الْخَسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ .

ثم قال : ﴿وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّنْ رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كَمَا مَعَكُمْ﴾ أي : وإن^[٢] جاء نصر قريب من ربك - يا محمد - وفتح ومغام ، ليقولن هؤلاء لكم : إننا كمنا معكم ، أي إخوانكم في الدين ، كما قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَرْبَضُونَ بِكُمْ فَلَمَّا كَانَ لَكُمْ فُتُحَ مِنَ الْهَمَّ لَكُمْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِ لَنْصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَغْنِمَكُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، وقال تعالى : ﴿فَعُسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفُتْحِ أَوْ أَمْرًا مِّنْ عَنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِيْنِ﴾ وقال تعالى مخبراً عنهم هاهنا : ﴿وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّنْ رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كَمَا مَعَكُمْ﴾ ثم قال تعالى : ﴿أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمُ بِمَا فِي صُورِ الْعَالَمِينَ﴾ ، أي : أو ليس الله بأعلم بما في قلوبهم ، وما ثكنته ضمائرهم وإن أظهروا لكم الموقفة ؟

وقوله : ﴿وَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ أَمْنَا وَلِيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ ، أي : وليخبرن الله الناس بالضراء والسراء ، ليتميز هؤلاء من هؤلاء ، ومن يطبع الله في الضراء والسراء ، ومن إنما يطيعه في حظ نفسه ، كما قال تعالى : ﴿وَلِنَبْلُوْنَكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُو أَخْبَارَكُمْ﴾ ، وقال تعالى بعد وقعة أحد التي كان فيها [ما كان]^[٣] : ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيذرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَبْيَزَ الْخَيْثَيْتَ مِنَ الطَّيْبِ﴾ الآية .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَتَبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَمِيلِنَّ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ١٢ وَلَنَحْمِلْ أَفْقَالَهُمْ وَأَفْقَالًا مَعَ أَفْقَالِهِمْ وَلَيَسْتَعْلَمَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْدَرُونَ ١٣

يقول تعالى مخبراً عن كفار قريش : إنهم قالوا لمن آمن منهم واتبع الهدى : ارجعوا عن دينكم إلى ديننا واتبعوا سبيلنا ، ﴿وَلَنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ ، أي : وآثامكم - إن كانت لكم آثام

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ت : « لَئِنْ » .

[٣] - ما بين المقوفين سقط من ز ، خ .

في ذلك - علينا وفي رقابنا ، كما يقول القائل : « افعل هذا وخطيتك في رقبتي ». قال الله تكذبنا لهم : ﴿ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ، أي : فيما قالوه : إنهم يحملون^[١] عن أولئك خطاياهم فإنه لا يحمل أحد وزر أحد ﴿ وَإِنْ تَدْعُ مُشْتَقَةً إِلَى حَمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا يَصْرُوْنَهُمْ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلِيَحْمِلُنَّ أَنْقَالَهُمْ وَأَنْقَالًا مَعَ أَنْقَالِهِمْ ﴾ إخبار عن الدعاة إلى الكفر والضلالة أنهم يوم القيمة يحملون أوزار أنفسهم ، [وأوزاراً أُخْرَى]^[٢] بسبب من^[٣] أضلوا من الناس من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئاً ، كما قال تعالى : ﴿ لِيَحْمِلُوْا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يَضْلُّلُوْنَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَرَوْنَ ﴾ .

وفي الصحيح^(١) : « من دعا إلى هدى ، كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيمة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلاله كان عليه من الإثم مثل آلام من اتبعه إلى يوم القيمة من غير أن ينقص من آلامهم شيئاً » .

وفي الصحيح^(٢) : « ما قتلت نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفلاً^(٣) من دمها ، لأنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قُتِلَ » .

وقوله : ﴿ وَلِيَسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُوْنَ ﴾ أي : يكذبون ويختلقون ، من البهتان .

وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديتاً فقال : حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صدقة ، حدثنا [عثمان أبو حفص بن أبي العاتكة]^[٤] حدثني سليمان بن حبيب المخاربي ، عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال : إن^[٥] رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بلغ ما أرسل به ثم قال : إياكم والظلم فإن الله يعزم يوم القيمة فيقول : وعزتي لا يجوزني اليوم ظلم ! ثم

(١) تقدم تخریج الحديث عند الآية : ٢ من سورة المائدة .

(٢) تقدم تخریج الحديث عند الآية : ٣٠ من سورة المائدة .

(٣) الكفل : الحظ ، والنصيب .

(٤) البتاعة : الحقوق في المال .

[١] - في ز : « يحملوا » .

[٢] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « أوزار آخر » . [٣] - في ز ، خ : « ما » .

[٤] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : [عثمان بن حفص بن أبي العالية] وجاء في تفسير ابن أبي حاتم : عثمان ابن حفص بن أبي العاتكة . وكلاهما تحريف .

[٥] - في خ ، ز : « قال » .

ينادي مناد يقول : أين فلان بن فلان ؟ فيأتي يتبعه من الحسنات أمثال الجبال . فيشخص الناس إليها أبصارهم حتى يقوم بين يدي الله الرحمن - عز جل - ثم يأمر المنادي فينادي : من كانت له تباعة - أو : ظلامة - عند فلان بن فلان ، فهلتم . فيقبلون حتى يجتمعوا قياماً بين يدي الرحمن . فيقول الرحمن : أقضوا عن عبدي . فيقولون : كيف تقضي عنه ؟ فيقول لهم : خذوا لهم من حسناته . فلا^[١] يزالون يأخذون منها حتى لا يبقى له حسنة وقد بقي من أصحاب الظلamas . فيقول أقضوا عن عبدي . فيقولون : لم يبق^[٢] له حسنة . فيقول : خذوا^[٣] من سيراتهم فاحملوها عليه . ثم تَرَعَ النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية الكريمة : ﴿ وَلِيُحْمَلُ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلِيُسَأَّلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ .

وهذا الحديث له شاهد في الصحيح من غير هذا الوجه .

وقال ابن أبي حاتم^(٤) : حدثني^(٤) أحمد بن أبي الحواري ، حدثنا أبو بشر الخذاء عن أبي حمزة البisanī^(٥) ، عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال : قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يا معاذ ، إن المؤمن يسأل يوم القيام عن جميع سعيه ، حتى عن كحل عينيه وعن فنات الطينة بإصبعيه ، فلا الفيتك^(٦) تأتي يوم القيمة وأحد أسعد بما آتاك الله منك » .

وَلَقَدْ أَرَسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَمَّا فَرِيقَتِهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخْذَهُمُ الْأُطْوَافَاتِ وَهُمْ ظَلِيمُونَ ﴿١٤﴾ فَاجْبَرْنَاهُ وَاصْحَبْنَاهُ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا مَائِيَةً

لِلْعَلَمَيْنِ ﴿١٥﴾

هذه تسلية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد - صلوات الله وسلامه عليه - يخبره عن نوح - عليه السلام - : أنه مكث في قومه هذه المدة يدعوهم إلى الله ليلاً ونهاراً ، [سرما] وإجهارا^[٧] ، ومع هذا ما زادهم ذلك إلا فراراً عن الحق ، وإعراضها عنه وتكتيبياً له ، ما آمن معه منهم إلا قليل ، ولهذا قال : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخْذَهُمُ الطَّوفَانُ ﴾

(٤) شخص إليه يبصره : فتح عينيه ولم يطرف بهما ، متأنلاً أو متزعجاً .

(٥) ورواه أبو نعيم في الحلية (٣١/١٠) من طريق إسحاق بن أبي حسان ، عن أحمد بن أبي الحواري به .

[١] - في ز ، خ : « ولا » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « حدثنا » .

[٤] - في ت : الشمالي .

[٥] - ما بين المعقوفين في ت : « وسرما وجهاراً » .

وهم ظالمون **﴿﴾** ، أي : بعد هذه المدة الطويلة ما نجع فيهم البلاغ والإذار ، فأنـتـ يا محمد - لا تأسـف علىـ من كـفر بـك من قـومك ، ولا تـخـرـن عـلـيـهـم ، فـإـن الله يـهـدـي مـن يـشـاءـ ويـضـلـ مـن يـشـاءـ ، وـيـبـدـهـ الـأـمـرـ إـلـيـهـ تـرـجـعـ الـأـمـرـ ، **﴿﴾** إـنـ الـذـينـ حـقـتـ عـلـيـهـمـ كـلـمـةـ رـبـكـ لـاـ يـؤـمـنـونـ . وـلـوـ جـاءـتـهـمـ كـلـ آـيـةـ حـتـىـ يـرـوـاـ العـذـابـ الـأـلـيمـ **﴿﴾** وـاعـلـمـ أـنـ اللهـ سـيـظـهـرـكـ وـيـنـصـرـكـ وـيـؤـيدـكـ وـيـذـلـ عـدـوكـ وـيـكـبـتـهـمـ وـيـجـعـلـهـمـ أـسـفـلـ السـافـلـينـ قـالـ حـمـادـ بـنـ سـلـمـةـ ، عـنـ عـلـيـ بـنـ زـيـدـ ، عـنـ يـوسـفـ بـنـ مـاهـكـ ، عـنـ اـبـنـ عـبـاسـ قـالـ : بـعـثـ نـوحـ وـهـوـ لـأـرـبـعـينـ سـنـةـ وـلـبـثـ فـيـ قـوـمـهـ أـلـفـ سـنـةـ إـلـاـ خـمـسـيـنـ عـامـاـ ، وـعـاـشـ بـعـدـ الطـوفـانـ سـتـيـنـ عـامـاـ ، حـتـىـ كـثـرـ النـاسـ وـفـشـواـ .

وقـالـ قـاتـادـةـ : يـقـالـ : إـنـ عـمـرـ كـلـهـ أـلـفـ سـنـةـ إـلـاـ خـمـسـيـنـ عـامـاـ لـبـثـ فـيـهـمـ قـبـلـ أـنـ يـدـعـوـهـمـ ثـلـاثـمـائـةـ سـنـةـ ، وـدـعـاـهـمـ ثـلـاثـمـائـةـ وـلـبـثـ بـعـدـ الطـوفـانـ ثـلـاثـمـائـةـ وـخـمـسـيـنـ سـنـةـ .

وـهـذـاـ قـولـ غـرـيبـ ، وـظـاهـرـ السـيـاقـ مـنـ الـآـيـةـ أـنـ مـكـثـ فـيـ قـوـمـهـ يـدـعـوـهـمـ إـلـىـ اللهـ أـلـفـ سـنـةـ إـلـاـ خـمـسـيـنـ عـامـاـ .

وقـالـ عـونـ بـنـ أـبـيـ شـدادـ : إـنـ اللهـ أـرـسـلـ نـوـحـاـ إـلـىـ قـوـمـهـ وـهـوـ اـبـنـ خـمـسـيـنـ وـثـلـاثـمـائـةـ سـنـةـ ، فـدـعـاـهـمـ أـلـفـ سـنـةـ إـلـاـ خـمـسـيـنـ عـامـاـ ، ثـمـ عـاـشـ بـعـدـ ذـلـكـ ثـلـاثـمـائـةـ وـخـمـسـيـنـ سـنـةـ .

وـهـذـاـ أـيـضاـ غـرـيبـ روـاهـ اـبـنـ أـبـيـ حـاتـمـ ، وـابـنـ جـرـيرـ ، وـقـولـ اـبـنـ عـبـاسـ أـقـرـبـ وـالـلهـ أـعـلمـ .

وقـالـ الثـورـيـ ، عـنـ سـلـمـةـ بـنـ كـهـيـلـ ، عـنـ مجـاهـدـ قـالـ : قـالـ لـيـ اـبـنـ عـمـرـ : كـمـ لـبـثـ نـوحـ فـيـ قـوـمـهـ ؟ قـالـ : قـلـتـ : أـلـفـ سـنـةـ إـلـاـ خـمـسـيـنـ عـامـاـ . قـالـ : فـإـنـ النـاسـ لـمـ يـزـالـوـ فـيـ نـقـصـانـ مـنـ أـعـمـارـهـمـ وـأـحـلـامـهـمـ وـأـخـلـاقـهـمـ إـلـىـ يـوـمـكـ هـذـاـ .

وـقـولـهـ : **﴿﴾** فـأـنـجـيـنـاـ وـأـصـحـابـ السـفـيـنـةـ **﴿﴾** ، أي : الـذـينـ آـمـنـواـ بـنـوـحـ - عـلـيـهـ السـلـامـ - وـقـدـ تـقـدـمـ ذـكـرـ ذـلـكـ مـفـصـلـاـ فـيـ «ـسـوـرـةـ هـودـ» وـتـقـدـمـ تـفـسـيرـهـ بـمـاـ أـغـنـيـ عنـ إـعادـتـهـ .

وـقـولـهـ : **﴿﴾** وـجـعـلـنـاـهـ آـيـةـ لـلـعـالـمـينـ **﴿﴾** ، أي : وـجـعـلـنـاـ تـلـكـ السـفـيـنـةـ باـقـيـةـ إـمـاـ عـيـنـهاـ كـمـ قـالـ قـاتـادـةـ : إـنـهـاـ بـقـيـتـ إـلـىـ أـوـلـ الـإـسـلـامـ عـلـىـ جـبـلـ الـجـوـديـ ، أـوـ نـوعـهـاـ جـعـلـهـ لـلـنـاسـ تـذـكـرـةـ لـنـعـمـهـ عـلـىـ الـخـلـقـ كـيـفـ خـاجـمـ زـمـنـ^[1] الـطـوفـانـ كـمـاـ قـالـ تـعـالـىـ : **﴿﴾** وـآـيـةـ لـهـمـ أـنـاـ حـمـلـنـاـ ذـرـيـتـهـمـ فـيـ الـفـلـكـ الـمـشـحـونـ * وـخـلـقـنـاـ لـهـمـ مـنـ مـثـلـهـ مـاـ يـرـكـبـونـ . وـإـنـ دـشـأـ نـفـرـقـهـمـ فـلـاـ صـرـيـخـ لـهـمـ وـلـهـمـ يـنـقـذـوـنـ . إـلـاـ رـحـمـةـ مـنـاـ وـمـتـاعـاـ إـلـىـ حـيـنـ **﴿﴾** وـقـالـ تـعـالـىـ : **﴿﴾** إـنـاـ لـمـ طـغـيـ مـاءـ حـمـلـنـاـكـمـ فـيـ الـجـارـيـةـ لـنـجـعـلـهـ لـكـمـ تـذـكـرـةـ وـتـعـيـهـاـ أـذـنـ وـأـعـيـةـ **﴿﴾** وـقـالـ مـاهـنـاـ : **﴿﴾** فـأـنـجـيـنـاـ وـأـصـحـابـ السـفـيـنـةـ وـجـعـلـنـاـهـ آـيـةـ لـلـعـالـمـينـ **﴿﴾** وـهـذـاـ مـنـ بـابـ التـدـريـجـ مـنـ الشـخـصـ إـلـىـ الـجـنـسـ ، كـقـولـهـ تـعـالـىـ : **﴿﴾** وـلـقـدـ زـيـنـاـ السـمـاءـ الدـنـيـاـ بـعـصـابـيـعـ وـجـعـلـنـاـهـ رـجـوـمـاـ لـلـشـيـاطـيـنـ **﴿﴾** ، أي : وـجـعـلـنـاـ نـوعـهـاـ ، فـإـنـ

[1] - فـيـ تـ : «ـمـنـ» .

التي يرمي بها ليست هي التي زينة للسماء . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَّةٍ مِّنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَا نَطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ ولهذا نظائر كثيرة .

وقال ابن حجرير : لو قيل إن الضمير في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا هَا ﴾ عائد إلى العقوبة ، لكان وجها والله أعلم .

وَإِنَّ رَهِيمَ إِذَا قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَقْوُهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْ شَيْئًا وَتَخْلُقُونَ إِنْكَارًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَلَمَّا تَكَذَّبُوا فَقَدْ كَذَبَ أُمُّهُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا آتَلَغُ الْمُتَّيْبِ

يخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الخنفاء : أنه دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والإخلاص له في التقوى ، وطلب الرزق منه وحده لا شريك له وتوحيده في الشكر فإنه المشكور على النعم لا مشكري لها غيره ، فقال لقومه : ﴿ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَقْوُهُ ﴾ أي : أخلصوا له في [١] العبادة والخوف ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي : إذا فعلتم ذلك حصل لكم الخير في الدنيا والآخرة واندفع عنكم الشر في الدنيا والآخرة .

ثم أخبرهم أن الأصنام التي يعبدونها والأوثان ، لا تضر ولا تنفع وإنما اختلفتم أنتم لها أسماء ، سميتوها آلهة وإنما هي مخلوقة مثلكم . هكذا روى العوفي عن ابن عباس . وبه قال مجاهد ، والسدي .

وروى الوالبي عن ابن عباس : وتصنعون إفكا ، أي : تتحتونها أصناما . وبه قال مجاهد - في رواية - وعكرمة ، والحسن ، وقاتدة وغيرهم ، واختاره ابن حجر رحمه الله .

وهي لا تملك لهم رزقا ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ وهذا أبلغ في الحصر كقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ ﴾ ﴿ رَبُّ ابْنِ لَيْ بَنْدَكَ بِيَتَا فِي الْجَنَّةِ ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ فَابْتَغُوا ﴾ ، أي : فاطلبوا ﴿ عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ ، أي : لا تعبدوا [٢] غيره ، فإن غيره لا يملك شيئا ، ﴿ وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ ﴾ أي : كلوا من رزقه وأعبدوه وحده ، واشكروا له على ما أنعم به عليكم ﴿ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ، أي : يوم القيمة ، فيجازي كل عامل بعمله .

[١] - سقط من ت . [٢] - في ت : « عند » .

وقوله : ﴿ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَبْتُ أُمَّةً مِّنْ قَبْلِكُمْ ﴾ ، أي : فبلغكم ما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسول ، ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمَبِينُ ﴾ ، يعني إنما على الرسول أن يبلغكم ما أمره الله - تعالى - به من الرسالة ، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، فاحرموا لأنفسكم أن [١] تكونوا من السعداء .

وقال قنادة^(٢) في قوله : ﴿إِن تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أَمَّا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ، قال : يُعزى نبيه صلى الله عليه وسلم . وهذا من قنادة يقتضي أنه قد انقطع الكلام الأول ، واعتراض بهذا إلى قوله : ﴿فَمَا كَانَ جَوابُ قَوْمِهِ﴾ .

وهكذا نص على ذلك ابن حجر أيضًا والظاهر من السياق أن كل هذا من كلام إبراهيم الخليل - عليه السلام - [٢] يحتاج عليهم لإثبات المعاد لقوله بعد هذا كله : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابُ قَوْمِهِ﴾ ، والله أعلم .

أَوْلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يَبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ
۝ قُلْ مَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَا الْخَلْقُ ثُمَّ اللَّهُ يُثْنِي شَاءَ
الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ
وَإِلَيْهِ تُشْبُونَ ۝ وَمَا أَنْشَأَ مِمْحَرِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا
لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُغَایِبُ اللَّهُ
وَلِفَاقِيهِ أَوْلَئِكَ يَبْسُوْا مِنْ رَحْمَقِ وَأَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
۝

يقول تعالى مخبراً عن الخليل - عليه السلام - : إنه أرشدهم إلى إثبات المعاد الذي ينکرون، بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم ، بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكورةً ، ثم وجدوا وصاروا أناساً سامعين مبصرين . فالذي بدأ هذا قادر على إعادته ، فإنه سهل عليه ، يسيراً لديه .

ثم أرشدتهم إلى الاعتبار بما في الأفاق من الآيات المشاهدة من خلق الله الأشياء : السموات وما فيها من الكواكب النيرة الثوابت [٣] ، والسيارات ، والأرضين وما فيها من مهاد وجبال ،

(٦) تفسير الطبرى (٢٠/٨٩).

[٢] - ما بين المعقوتين في ز، خ : « لقوله » .

[١] - سقط من : خ .

[٣] - في ز ، خ: « والثوابت » .

وأودية وبراري وفقار ، وأشجار ، وأنهار ، وثمار ، وبحار . كل ذلك دال على حدوثها في أنفسها ، وعلى وجود صانعها الفاعل الختار ، الذي يقول للشيء : كن ، فيكون ، ولهذا قال : ﴿أَوْ لَمْ يَرُوا كِيفَ يَدْعُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ، كقوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ ثُمَّ قال تعالى : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كِيفَ بَدَا الْخَلْقُ ثُمَّ الَّلَّهُ يَنشِئُ النَّشَأَةَ الْآخِرَةَ﴾ ، أي : يوم القيمة ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ . وهذا المقام شبيه بقوله تعالى : ﴿سُرِّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخالقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يَوْقُنُونَ﴾ .

وقوله : ﴿يَعْذِبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ ، أي : هو الحاكم المتصرف ، الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، فله الخلق والأمر ، مهما فعل فَعَدَل ، لأنَّهُ المالك الذي لا يظلم مثقال ذرة ، كما جاء في الحديث الذي رواه أهل السنن^(٧) : «إِنَّ اللَّهَ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ». ولهذا قال تعالى : ﴿يَعْذِبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تَقْبُلُونَ﴾ ، أي : ترجعون يوم القيمة .

وقوله : ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِعَجَزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ ، أي : لا يعجزه أحد من أهل سماواته وأرضه ، بل هو القاهر فوق عباده ، وكل شيء خائف منه ، فقير إليه ، وهو الغني عما سواه .

﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلَقَائِهِ﴾ ، أي : جحدوها وكفروا بالمعاد ، ﴿أُولَئِكَ يَسْوَأُونَ رَحْمَتِي﴾ ، أي : لا نصيب لهم فيها ، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ، أي : موجع في الدنيا والآخرة .

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِقُوهُ فَأَنْجَنَّهُ اللَّهُ مِنْ أَنَّا، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنَ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا أَنْخَذْتُهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلَادَنَا مَوَدَّةً بَيْنَنَا فِي الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بِعَصْبَتِنَا بِعَصْبِنَا وَيَلْعَبُ بِعَصَبَتِنَا بَعْضًا وَمَأْوَاتِنَا أَنَّا، وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرٍ

٢٥

(٧) رواه أبو داود في السنن حديث (٤٦٩٩) ، وابن ماجة في السنن حديث (٧٧) من حديث أبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما .

يقول تعالى مخبراً عن قوم إبراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم ، ودفعهم الحق بالباطل : إنه ما كان لهم جواب بعد مقالة إبراهيم هذه المشتملة على الهدى والبيان ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرْقُوهُ﴾ ، وذلك لأنهم قام عليهم البرهان ، وتوجهت عليهم الحجة ، فعدلوا إلى استعمال جاههم وقمة ملتهم ، ﴿فَقَالُوا ابْنُوا لَهُ بَيْتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِّمِ﴾ * وأرادوا به كيداً لجعلناهم الأسفلين ﴿إِلَّا﴾ ، وذلك أنهم حشدوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة ، وحوطوا حولها ، ثم أضرموا فيها النار فارتفع لها لهب إلى عنان السماء . ولم توجد^[١] نار قط أعظم منها ، ثم عمدوا إلى إبراهيم فكتفوه وألقوه في كففة المجنون ، ثم قذفوا به فيها ، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً ، وخرج منها سلاماً بعد ما مكث فيها أياماً ولهذا وأمثاله جعله الله للناس إماماً . فإنه بذلك نفسه للرحمـن ، وبجسده للنيرـان ، وسخا بولده للقرـيان ، وجعل ماله للضـيفـان ، وللهـذا اجتمع على مجتهـه جميع أهل الأديـان .

وقوله : ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ ، أي : سَلَّمَهُ مِنْهَا ، بَأْنَ جَعَلَهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وسَلَامًا ، ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَقَالَ إِنَّا اتَّخَذْنَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُوتَانَا مُوْدَةً بَيْنَنَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ، يقول لقومه مقرئاً لهم وموبيحاً على سوء صنيعهم ، في عبادتهم الأوّلـان : إِنَّا اتَّخَذْنَا هَذِهِ لِتَجْتَمِعُوا عَلَى عِبَادَتِهَا فِي الدُّنْيَا ، صَدَاقَةً وَأَلْفَةً مِنْكُمْ ، [بعضكم بعض]^[٢] فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . وهذا على قراءة من نصب ﴿مُوْدَةً بَيْنَنَا﴾^(١) ، على أنه مفعول له ، وأما على قراءة الرفع فمعناه^[٣] : إِنَّا اتَّخَذْنَا هَذِهِ يَحْصُلُ لَكُمْ الْمُوْدَةُ فِي الدُّنْيَا فَقَطُّ ، ﴿ثُمَّ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ ينعكس هذا الحال ، فبقي هذه الصدقة والمودة بعنة وشأنـا ، فـ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِعْضُ﴾^(٤) [أي : تتجادلون ما كان بينكم]^[٤] ، ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾^(٥) ، أي : يلعن الآباء المتبعـون ، والتابعـون^[٦] الآباء ، ﴿كُلَّمَا دَخَلْتَ أُمَّةً لَعْنَتْ أَخْتَهَا﴾^(٧) ، وقال تعالى : ﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لَعْنَدُهُ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ و قال هاهـنا : ﴿ثُمَّ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِعْضًا وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَا وَأْكِمَ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^(٨) ، أي : ومصيركم ومرجعكم بعد عـرصـات الـقيـامـة إلى النـار ، وما لكم من نـاصـر يـنصرـكم ، ولا منـقـذ يـنقـذـكم من عـذـاب الله . وهذا حال الكـافـرـين ، فـأـمـا المؤـمنـونـ فـبـخلافـ ذلك .

قال ابن أبي حاتم^(٩) : حدثنا محمد بن إسماعيل الأحسـيـ، حدثـنا أبو عاصـمـ الشـفـيـ الـرـبيعـ ابن إسماعـيل^[١٠] عن^[١١] عمـروـ بنـ سـعـيدـ بنـ جـعـدةـ بنـ هـبـيرـةـ الـخـزـوـيـ، عنـ أـيـهـ ، عنـ جـدـهـ ، عنـ

(١) انظر القراءات في هذه الآية في كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص ٤٩٨ - ٤٩٩).

(٨) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط حديث (٤٨٠٣) من طريق محمد بن إسماعيل الأحسـيـ به ، وقال : « لا يروى عن أم هـانـيـ إلا بهذا الإسنـادـ ، تفردـ بهـ أبو عـاصـمـ ». وقال الهـيشـيـ في المـجـمـعـ (٣٥٥/١٠) :

[١] - في تـ : « تـوـقـدـ ».

[٢] - ما بين المـعـكـوفـينـ فيـ زـ ، خـ : « بـعـضـكـمـ بـعـضـاـ ». [٣] - فيـ زـ ، خـ : « مـعـنـاهـ ».

[٤] - ما بين المـعـكـوفـينـ سـقطـ منـ : خـ ، زـ .

[٥] - فيـ زـ ، خـ : « الـمـتـبـعـونـ ». [٦] - فيـ زـ ، خـ : ابنـ . وهو تـحـريـفـ .

أم هانئ - أخت علي بن أبي طالب - قالت: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم « أخبرك أن الله - تعالى - يجمع الأولين والآخرين يوم القيمة في صعيد واحد ، فمن يدرى أين الطرفان [١] ؟ فقالت : الله ورسوله أعلم . ثم ينادي مناد من تحت العرش : يا أهل التوحيد ، فيشربون - قال أبو عاصم : يُرْفَعُونَ رُوْسَهُمْ - ثم ينادي : يا أهل التوحيد . ثم ينادي الثالثة : يا أهل التوحيد ، إن الله قد عفا عنكم . قال : فيقوم الناس قد تعلق بعضهم ببعض في ظلامات الدنيا - يعني : المظالم - ثم ينادي : يا أهل التوحيد ، ليُعْفَ [٢] بعضكم عن بعض وعلى الله الثواب ».

﴿ فَأَمِنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّيٍّ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَوَهَبَنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلَنَا فِي ذِرْيَتِهِ الْشَّبَّوَةَ وَالْكَتَبَ وَأَتَيْنَاهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الْصَّالِحِينَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن إبراهيم : إنه آمن له لوط ، يقال : إنه ابن أخي إبراهيم ، يقولون هو : لوط بن هاران بن آزر يعني : ولم يؤمن به من قومه سواه ، وسارة امرأة الخليل . لكن يقال : كيف الجمع بين هذه الآية ، وبين الحديث الوارد في الصحيح [٣] : « أن إبراهيم حين مر على ذلك الجبار ، فسأل إبراهيم عن سارة : ما هي منه ؟ فقال : أختي . ثم جاء إليها فقال لها : إني قد قلت له : إنك أختي فلا تكذبني ، فإله ليس على وجه الأرض مؤمن غيرك وغيري ، فانت أختي في الدين » . وكان المراد من هذا - والله أعلم - أنه ليس على وجه الأرض زوجان على الإسلام غيري وغيرك ، فإن لوطا - عليه السلام - آمن به من قومه ، وهاجر معه إلى بلاد الشام ، ثم أرسل في حياة الخليل إلى أهل « سدوم » وإقليمها ، وكان من أمرهم [٤] ما تقدم وما سيأتي .

وقوله : ﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ﴾ ، يحتمل عود الضمير في قوله ﴿ وَقَالَ ﴾ على لوط ، لأنه أقرب المذكورين ، ويحتمل عوده إلى إبراهيم - قال ابن عباس والضحاك : هو المكتنى عنه بقوله : ﴿ فَأَمِنَ لَهُ لُوطٌ ﴾ أي : من قومه ثم أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة من بين أظهرهم ، ابتعاء إظهار الدين والتمكن من ذلك ، ولهذا قال : ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ ﴾ أي : له العزة ولرسوله وللمؤمنين به ، ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في أقواله وأفعاله وأحكامه القدرة والشرعية .

وقال قتادة : هاجرا جميعاً من « كوثي » وهي من سواد الكوفة إلى الشام . قال : وذكر لنا

= « فيه أبو عاصم - الريبع بن إسماعيل - منكر الحديث ، قاله أبو حاتم » .

[١] - في ز ، خ : « الطرفين » .

[٢] - في ز ، خ : « إبراهيم » .

أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إنها ستكون هجرة بعد هجرة ، ينحاز أهل الأرض إلى مهاجر إبراهيم ، ويقى في الأرض شرار أهلها حتى تلفظهم أرضهم وتقدّرهم روح الله ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تبكيت معهم إذا باتو^[١] ، وتقليل معهم إذا قالوا ، وتأكل ما سقط منهم .

وقد أنسد الإمام أحمد^[٢] هذا الحديث فرواه مطولاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال^[٣] :

حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب قال : لما جاءتنا بيعة يزيد بن معاوية ، قدمت الشام فأخبرت يمّقام يقومه نوف البكالي ، فجئته إذ جاء رجل ، فانتبذ الناس ، وعليه خميصة وإذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص . فلما رأه نوف أمسك عن الحديث ، فقال عبد الله : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنها ستكون هجرة بعد هجرة ، فينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم ، لا يقى في الأرض إلا شرار أهلها ، فتلفظهم أرضهم ، تقدّرهم نفس الرحمن ، تحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تبكيت^[٤] معهم إذا باتو^[٥] ، وتقليل معهم إذا قالوا ، وتأكل منهم من تخلف » . قال : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « سيخرج الناس من أمتى من قبل المشرق ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم - كلما خرج منهم قرن قطع ، كلما خرج منهم قرن قطع ، حتى عدّها زيادة^[٦] على عشرين مرة - كلما - خرج منهم قرن قطع^[٧] حتى يخرج الدجال في بيتهم » .

ورواه أبو داود^[٨] عن أبي داود ، وعبد الصمد كلامهما ، عن هشام الدستوائي^[٩] عن قتادة به .

وقد رواه أبو داود في سننه^[١٠] ، فقال في كتاب الجهاد : باب ما جاء في سكني الشام . حدثنا عبد الله بن عمر ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني [أبي]^[١١] ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(٩) صحيح مسلم حديث (٢٣٧١) .

(١٠) المستند (٢٠٩/٢) .

(١١) المستند (٢٠٩/٢) .

(١٢) سنن أبي داود حديث (٢٤٨٢) .

[١] - في ز، خ : « ناموا » .

[٢] - في ت : « قال » .

[٣] - في ز، خ : « فبكيت » .

[٤] - في ز، خ : « ناموا » .

[٥] - في ز، خ : « زياد » .

[٦] - في ز، خ : « بن سوائي » .

[٧] - سقط من : خ ، ز . وثبتناه من سنن أبي داود

[٨] - سقط من : خ ، ز . وثبتناه من سنن أبي داود

« ستكون هجرة بعد هجرة ، فخيار^[١] أهل الأرض أزمهم مهاجر إبراهيم ، ويقى في الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضهم وتقذرهم نفس الرحمن ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير » .

وقال الإمام أحمد أيضًا^[٢] : حدثنا يزيد ، أخبرنا أبو جناب يحيى بن أبي حيّة ، عن شهر ابن حوشب قال : سمعت عبد الله بن عمر قال^[٣] : لقد رأينا وما صاحب الدينار والدرهم بأحق من أخيه المسلم ، ثم^[٤] لقد رأينا بأخر الآن والدينار والدرهم أحب إلى أحدهنا من أخيه المسلم ، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لئن أنتم اتبعتم أذناب البقر ، وتباعتم بالعينة ، وتركتم الجهد في سبيل الله ، ليلزمكم الله مذلة في أعقاكم [ثم لا تنزع]^[٥] منكم حتى ترجعوا إلى ما كنتم عليه ، وتتوبوا إلى الله عز وجل » . وسمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « لتكونن هجرة بعد هجرة إلى مهاجر أيكم إبراهيم ، حتى لا يقى في الأرضين إلا شرار أهلها وتلفظهم أرضهم وتقذرهم روح الرحمن ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تقيل حيث يقيلون^[٦] » ، وتبث حيث يسيتون وما سقط منهم فلها^[٧] ». ولقد سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « يخرج من أمتي قوم يسيتون الأعمال ، يقرعون القرآن لا يجاوز حناجرهم » . قال يزيد : لا أعلم إلا قال : يحرق أحدكم علمه مع علمهم ، يقتلون أهل الإسلام ، فإذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم ، فطربى لمن قتلهم وطربى لمن قتلوه . كلما^[٨] طلع منهم قرن قطعه الله . فردد ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشرين مرة ، أو أكثر ، وأنا أسمع » .

وقال الحافظ أبو بكر اليهقي : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل ، أخبرنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا أبو النضر إسحاق بن يزيد ، وهشام بن عمار الدمشقيان قالا : حدثنا يحيى بن حمزة ، حدثنا الأوزاعي ، عن نافع - وقال أبو النضر ، عن حدثه ، عن نافع - عن عبد الله بن عمر : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « سيهاجر أهل الأرض هجرة بعد هجرة ، إلى مهاجر إبراهيم ، حتى لا يقى إلا شرار أهلها ، تلفظهم الأرضون وتقذرهم روح الرحمن ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تبث معهم حيث ياتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا ، لها ما سقط منهم » .

غريب من حديث نافع . والظاهر أن الأوزاعي قد رواه عن شيخ له من الضعفاء ، والله^(١) المسند (٢/٨٤) ، وقال الهيثمي في المجمع (٥/٢٥١) : « فيه أبو جناب الكلبي وهو ضعيف » . وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/٣٨٠) : « سنده لا يأس به » .

[١] - في ز ، خ : « يختار » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في خ ، ز : « قالوا » .

[٤] - في ز : « مثلها » .

[٥] - في ز : « وكلما » .

[٦] - في خ ، ز : « قالوا » .

أعلم . وروايته من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أقرب إلى الحفظ .

وقوله : ﴿ ووَهْبَنَا لِهِ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكَلَّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ [١] أَيْ : إِنَّهُ لَمَا فَارَقَ قَوْمَهُ أَقْرَبَ اللَّهُ عَيْنَهُ بِوُجُودِ وَلَدِ صَالِحٍ نَبِيًّا [وَوَلَدَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ صَالِحٌ نَبِيٌّ] فِي حَيَاةِ جَدِّهِ . وَكَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ : ﴿ وَوَهْبَنَا لِهِ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ ، أَيْ : زِيَادَةً ، كَمَا قَالَ : ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ . أَيْ : وَبِوَلَدِ لَهُذَا الْوَلَدِ وَلَدِ فِي حَيَاتِكُمَا ، تَقْرَبُ بِهِ أَعْيُنَكُمَا . وَكَوْنُ يَعْقُوبَ وَلَدًا لِإِسْحَاقَ نَصٌّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ ، وَثَبَّتَ بِهِ السُّنْنَةُ النَّبُوَّيَّةُ ، قَالَ اللَّهُ : ﴿ أَمْ كَتَمْ شَهَادَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لَبَّيْهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهَهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ .

وفي الصحيحين [١٤] : « إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنَ الْكَرِيمِ يُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ ». .

فَأَمَّا مَا رَوَاهُ الْعُوْفِيُّ عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ قَالَ : هَمَا وَلَدَ إِبْرَاهِيمَ . فَمَعْنَاهُ أَنَّ وَلَدَ الْوَلَدِ بِمِنْزَلَةِ الْوَلَدِ ، إِنَّهُمْ هَذَا أَمْرٌ لَا يَكَادُ يَخْفَى عَلَى مَنْ هُوَ دُونُ أَبِنِ إِبْرَاهِيمَ .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذَرِيَّةِ النَّبُوَّةِ وَالْكِتَابِ ﴾ ، هَذِهِ خَلْمَةٌ سُنْنَةٌ عَظِيمَةٌ ، مَعَ اتِّخَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ خَلِيلًا وَجَعْلَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا ، أَنْ جَعَلَ فِي ذَرِيَّةِ النَّبُوَّةِ وَالْكِتَابِ ، فَلَمْ يَوْجُدْ نَبِيٌّ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَّا وَهُوَ مِنْ سَلَالَتِهِ ، فَجَمِيعُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ سَلَالَةِ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ ، حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ عِيسَى ابْنُ مُرْيَمَ فَقَامَ فِي مُلْثِمِهِمْ مُبَشِّرًا بِالنَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْفَرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ ، خَاتَمُ الرُّسُلِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ مِنْ صَمِيمِ الْعَرَبِ الْغَرَبَاءِ ، مِنْ سَلَالَةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . وَلَمْ يَوْجُدْ نَبِيٌّ مِنْ سَلَالَةِ إِسْمَاعِيلَ سَوَاهُ ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ .

وقوله : ﴿ وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴾ ، أَيْ : جَمِيعُ اللَّهِ لَهُ بَيْنَ سَعَادَةِ الدُّنْيَا الْمُوْصَلَةِ بِسَعَادَةِ الْآخِرَةِ ، فَكَانَ لَهُ فِي الدُّنْيَا الرِّزْقُ الْوَاسِعُ الْهَنِيُّ ، وَالْمَنْزِلُ الرَّحِبُ ، وَالْمُورَدُ الْعَذْبُ ، وَالزَّوْجَةُ الْحَسَنَةُ الصَّالِحةُ ، وَالثَّنَاءُ الْجَمِيلُ ، وَالذِّكْرُ الْحَسَنُ ، فَكُلُّ أَحَدٍ يَحْبُّهُ وَيَتَوَلَّهُ ، كَمَا قَالَ أَبْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَقَاتِلِهِمْ ، مَعَ الْقِيَامِ بِطَاعَةِ اللَّهِ مِنْ جَمِيعِ الْوَجُوهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى ﴾ ، أَيْ : قَامَ بِجَمِيعِ مَا أَمْرَهُ بِهِ وَكَمْلَةِ طَاعَةِ رَبِّهِ ؛ وَلَهُذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴾ ، كَمَا قَالَ

[١٤] صحيح البخاري حديث (٤٦٨٨) من حديث ابن عمر ، ولم أجده عند مسلم .

[١] - ما بين المعقودتين سقط من : خ ، ز .

تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتَلَ اللَّهَ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَعْمَهِ اجْتِيَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

وَلَوْطًا إِذَا قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَحْشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّكِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابُ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا يَعْذَابَ اللَّهِ إِنْ كَثُنَتْ مِنَ الْأَصْدِيقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

يقول تعالى مخبرًا عن نبيه لوط - عليه السلام - أنه أذكر على قومه سوء صنيعهم ، وما كانوا يفعلونه من قبيح الأفعال ، في إيتائهم الذكران من العالمين ، ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم ، وكانتوا مع هذا يكفرون بالله ويكتذبون رسوله ويخالفون ويقطعون السبيل أي : يقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم ، ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ أي : يفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها ، لا ينكرون بعضهم على بعض شيئاً من ذلك ، فمن قائل : كانوا يأتون بعضهم ببعضًا في الملا . قالوا مجاهد . ومن قائل : كانوا يتضارطون ويتضاحكون . قالته عائشة - رضي الله عنها - والقاسم . ومن قائل : كانوا يناظرون بين الكباش ، ويناقرون بين الديوك ، وكل ذلك كان يصدر عنهم ، وكانوا شرّاً من ذلك .

وقال الإمام أحمد^(١) : حدثنا حماد بن أسامة ، أخبرني حاتم بن أبي صغيرة ، حدثنا سماك بن حرب ، عن أبي صالح - مولى أم هانئ - عن أم هانئ ، قالت : سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن قوله عز وجل : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ قال : « يخذفون أهل الطريق ، ويسيرون منهم ، وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه » .

ورواه الترمذى ، وأبن جرير ، وأبن أبي حاتم ، من حديث أبيأسامة حماد بن أسامة ، عن [١] أبي يونس القشيري - حاتم بن أبي صغيرة - به . ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن لا نعرف إلا من حديث حاتم بن أبي صغيرة ، عن سماك .

(١) المسند (٣٤١/٦) ، وسنن الترمذى حديث (٣١٩٠) .

[١] - سقط من : ز ، خ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا محمد بن كثير ، عن عمرو بن قيس ، عن الحكم ، عن مجاهد : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْنَّكَرِ ﴾ ، قال : الصفيرون ، ولعب الحمام ، والجلاهق^(١) والسؤال في المجلس وحل أزرار القباء .

وقوله : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابُ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا بَعْذَابَ اللَّهِ إِنْ كَنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ وهذا من كفرهم واستهزائهم وع纳دهم ، ولهذا استنصر عليهم نبي الله فقال : ﴿ رَبُّ ، الْصَّرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

وَلَمَّا جَاءَتِ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشَرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهَلِّكُوْنَا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَلَمِيْنَ ﴿٢١﴾ قَالَ إِنِّي فِيهَا لُوطًاٰ قَالُوا تَخْبِرْ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَتَحْجِسُنَا وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتُهُ كَانَتِ مِنَ الْفَاجِرِيْنَ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتِ رُسُلُنَا لُوطًاٰ سَوْءَ بِهِمْ وَضَافَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخْفَ وَلَا تَخْزُنْ إِنَّا مُنْجِوْكُ وَأَهْلَكُ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتِ مِنَ الْفَاجِرِيْنَ ﴿٢٣﴾ إِنَّا مُنْزَلُوْنَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُوْنَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ رَكَنَنَا مِنْهَا آيَةً بِيَنْتَهِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُوْنَ ﴿٢٥﴾

لما استنصر لوط - عليه السلام - الله عليهم بعث^[١] الله لنصرته ملائكة فمروا على^[٢] إبراهيم - عليه السلام - في هيئة أضيف فجاءهم بما ينفي للضيف ، فلما رأى أنه لا همة لهم إلى الطعام نكراهم وأوجس منهم خيفة ، فشرعوا بيوانسونه وبышرونوه بوجود ولد صالح من امرأته سارة - وكانت حاضرة - فتعجبت من ذلك ، كما تقدم بيانه في سورة « هود » و« الحجر » . فلما جاءت إبراهيم البشري^[٣] ، وأخبروه بأنهم أرسلوا لهلاك قوم لوط ، أخذ يدافع لهم ينظرون ، لعل الله أن يهدى بهم . ولما قالوا : إننا مهلكو أهل هذه القرية^(٤) قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لنجنيه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين^(٥) ، أي : من الهاكلين ؛ لأنها كانت تمالئهم على كفرهم وبغتهم ودب THEM ثم ساروا من عنده فدخلوا على لوط في صورة شباب حسان ، فلما رأهم كذلك^(٦) سيء بهم وضاق بهم ذرعاً^(٧) أي : اهتم بأمرهم ، إن هو أضافهم خاف عليهم من قومه ، وإن لم يضفthem^(٨) خشي عليهم منهم ، ولم

(٤) قال في القاموس : الجلاهق - كثلاطط - البندق الذي يرمى به .

[١] - في خ : « بعثه » .

[٢] - في ز ، خ : « مع » .

[٣] - في ت : « بالبشرى » .

[٤] - في ت : « يضفهم » .

يعلم بأمرهم في الساعة الراهنة . ﴿ قَالُوا لَا تُخْفِنَنَا إِنَّا مُنْجُوكُهُ وَأَهْلُكُهُ إِلَّا امْرَأُكُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِرِينَ * إِنَّا مُنْزَلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقُرْيَةِ رِجَزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ ﴾^[١] ، وذلك أن جبريل - عليه السلام - اقلع قراهم^[١] من قرار الأرض، ثم رفعها إلى عنان السماء ثم قلها عليهم . وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين يبعد ، وجعل مكانها بحيرة خبيثة متنعة ، وجعلهم عبرة إلى يوم النداء ، وهم من أشد الناس عذابا يوم المعاذ ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ۖ وَلَقَدْ تَرَكَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً ۝ ، أي : واضحة ، ۖ قَوْمٌ يَعْقُلُونَ ۝ ، كما قال : ﴿ ۖ وَإِنَّكُمْ لَتَمْرُونَ عَلَيْهِمْ مَصْبِحِينَ وَبِاللَّيلِ أَفْلَأَ تَقْلُونَ ۝ .

**وَإِنَّ مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ
وَلَا تَعْشُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٢٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَلَمَّا خَذَّلُهُمُ الرَّحْمَنُ فَأَصْبَحُوا**

فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ

يخبر تعالى عن عبده ورسوله شعيب - عليه السلام - : أنه أنذر قومه أهل مدين ، فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ، وأن يخافوا بأس الله ونعمته وسطوته يوم القيمة ، فقال : ﴿ ۖ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ ۝ .

قال ابن جرير : قال بعضهم : معناه : واحشوا اليوم الآخر . وهذا كقوله تعالى : ﴿ ۖ لَمْ كَانْ يُرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۝ ثُمْ نَهَا هُمْ عَنِ الْعِيْثَةِ^[٢] فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ ، وَهُوَ السَّعْيُ فِيهَا وَالْبَغْيُ عَلَى أَهْلِهَا وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْقُصُونَ الْمَكِيَالَ وَالْمِيزَانَ ، وَيَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى النَّاسِ ، هَذَا مَعَ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَأَهْلَكُهُمُ اللَّهُ بِرِجْفَةِ عَظِيمَةٍ زَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِلَادَهُمْ ، وَصِيَحَّةِ أَخْرَجَتِ الْقُلُوبَ مِنْ حَنَاجِرِهَا ، وَعَذَابَ يَوْمِ الظَّلَّةِ الَّذِي أَزْهَقَ الْأَرْوَاحَ مِنْ مُسْتَقْرَرِهَا ، إِنَّهُ كَانَ عَذَابُ يَوْمِ عَظِيمٍ . وَقَدْ تَقْدَمَتْ قَصْتَهُمْ مِبْسُوتَةً فِي « سُورَةِ الْأَعْرَافِ » وَ« هُودَ » وَ« الشَّعَرَاءَ » .

وقوله : ﴿ ۖ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝ قال قتادة : ميتين . وقال غيره : قد ألقى بعضهم على بعض .

**وَعَادَا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقَرْوَنَ وَفِرْعَوْنَ
وَهَامَنْ ۗ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُؤْمِنِينَ يَأْتِيَنَّ فَلَسْتَ كَبُرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا**

[١] - في خ : « قراهم » .

[٢] - في خ : « العيث » .

**سَيِّقَيْنَ ﴿٢﴾ فَكُلَّا أَخْذَنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلَنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخْذَنَهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣﴾**

يخبر تعالى عن هؤلاء الأمم المكذبة للرسل كيف أبادهم وتنوع في عذابهم ، فأخذتهم بالانتقام منهم ، فعاد قوم هود ، وكانوا يسكنون الأحقاف وهي قرية من حضرموت ببلاد اليمن ، وتمود قوم صالح وكانوا يسكنون الحجر قريتا من وادي القرى ، وكانت السرب تعرف مساكنهما جيدا ، وتمر عليها كثيرا . وقارون صاحب الأموال الجزيلة ومفاتيح الكنوز الثمينة . وفرعون ملك مصر في زمان موسى ووزيره هامان القبطيان الكافران بالله ورسوله ، ﴿٢﴾ فـ **فَكُلَّا** أخذنا بذنبه ﴿٣﴾ ، أي : كانت عقوبته بما يناسبه ، ﴿٢﴾ فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ﴿٣﴾ ، وهم عاد ، وذلك أنهم قالوا : من أشد منا قوة !! فجاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرد ، عاتية شديدة الهبوب جدا ، تحمل عليهم حصبة الأرض فتقلبها عليهم ، وتقتلعهم من الأرض فترفع الرجل منهم إلى عنان السماء ثم تنكسه على أم رأسه فتشدّه فيقي بذنب بلا رأس كأنهم أحجاز نخل منقر . ﴿٢﴾ ومنهم من أخذته الصيحة ﴿٣﴾ ، وهم ثمود ، قامت عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة ، من تلك الناقفة التي انفلقت عنها الصخرة ، مثل ما سألوا سوء بسواء ومع هذا ما آمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفرهم ، وتهددوا نبي الله صالحًا ومن آمن معه ، وتروعدوهم بأن يخرجوهم ويرجموهم ، فجاءتهم صيحة أخمدت الأصوات منهم والحرקות . ﴿٢﴾ ومنهم من خسفنا به الأرض ﴿٣﴾ ، وهو قارون الذي طغى وينى وعنتا وعصى رب الأعلى ، ومشى في الأرض مرحًا وفرح ومرح وتأه بنفسه ، واعتقد أنه أفضل من غيره ، واحتلال في مشيته فخسف الله به ويداره الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيمة . ﴿٢﴾ ومنهم من أغرقنا ﴿٣﴾ ، وهم فرعون ووزيره هامان ، وجنوده عن آخرهم ، أغرقوا في صيحة واحدة ، فلم ينج منهم مخبر ، ﴿٢﴾ وما كان الله ليظلمهم ﴿٣﴾ ، أي : فيما فعل بهم ، ﴿٢﴾ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿٣﴾ ، أي : إنما [فعل] ذلك بهم جزاء وفاقا بما كسبت أيديهم .

وهذا الذي ذكرناه ظاهر سياق الآية ، وهو من باب اللف والنشر وهو أنه ذكر الأمم المكذبة ، ثم قال : **فَكُلَّا أَخْذَنَا بِذَنْبِهِ** ﴿٣﴾ ، أي : من هؤلاء المذكورين ، وإنما نبهت على هذا لأنه قد روي أن ابن جرير^[١] قال : قال ابن عباس في قوله : **فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلَنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا** ﴿٢﴾ ، قال : قوم لوط . **وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا** ﴿٣﴾ ، قال : قوم نوح . وهذا منقطع عن ابن عباس ؟ فإن ابن جرير لم يدركه . ثم قد ذكر الله في هذه السورة إهلاك قوم نوح بالطوفان ، وقوم لوط

[١] - في خ ، ز : « جرير » .

يأنزال الرجز من السماء ، وطال السياق والفصل بين ذلك وبين هذا السياق .

وقال قتادة : ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبَةً﴾ ، قال [١] : قوم لوط ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخْذَنَهُ الصِّحَّةَ﴾ : قوم شعيب . وهذا بعيد أيضاً لما تقدم ، والله أعلم .

مَثُلُ الَّذِينَ أَخْذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثُلِ الْعَنْكَبُوتِ أَخْذَتْ بَيْتًا
وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبَيْوَاتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ أَعْزَى الرَّحْمَنِ ﴿٤٢﴾ وَتَلَكَ
الْأَمْثَالُ نَضَرِّيهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴿٤٣﴾

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من [٢] دون الله ، يرجون نصرهم ورزقهم ، ويتمسكون بهم في الشدائدين ، فهم في ذلك كيت العنكبوت في ضعفه ووهنه [٣] ، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت فإنه لا يجده عنده شيئاً ، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء . وهذا بخلاف [المسلم المؤمن] قلبه لله ، وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع فإنه مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، لقوتها وثباتها .

ثم قال تعالى متوعداً لمن عبد غيره وأشرك به : إنه تعالى يعلم ما هم عليه من الأعمال ، ويعلم وما يشركون به من الأنداد ، وسيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم .

ثم قال تعالى : ﴿وَتَلَكَ الْأَمْثَالُ نَضَرِّيهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ ، أي : وما يفهمها ويتدارها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه .

قال الإمام أحمد [٦] : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثني ابن لهيعة ، عن أبي قبيل ، عن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال : عقلتُ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألف مثل .

وهذه منقبة عظيمة لعمرو بن العاص - رضي الله عنه - حيث يقول تعالى : ﴿وَتَلَكَ الْأَمْثَالُ نَضَرِّيهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ .

[٦] المسند (٤/٢٠٣) ، وقال الهيثمي في المجمع (٨/٢٦٤) : «إسناده حسن» .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : «ووهاته» .

[٣] - في ز ، خ : «ووهاته» .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثنا أبي ، حدثنا ابن سنان ، عن عمرو بن مُرْة ، قال : ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحقرني ، لأنني سمعت الله تعالى يقول : ﴿وَتَلَكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ .

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَتُلَّ
مَا أُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَلَا قُوَّىٰ الشَّكَوَةُ إِنَّكَ أَصْكَلَهُ تَنَاهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى مخبرا^[١] عن قدرته العظيمة : إنه خلق السموات والأرض بالحق ، يعني : لا على وجه العبث واللعب ﴿وَلَجْزِي كُلِّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ . ليجزي الذين أساءوا بما عملوا وليجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ .

وقوله : ﴿إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ . أي : لدلة^[٢] واضحة على أنه تعالى المفرد بالخلق والتدير والإلهية .

ثم قال تعالى أمراً رسوله والمؤمنين بتلاوة القرآن ، وهو قراءته وإبلاغه للناس ، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَهْبِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ، يعني : أن الصلاة تشتمل على شيئين : على ترك الفواحش والمنكرات ، أي : إن مواطنتها تحمل على ترك ذلك ، وقد جاء في الحديث^[٣] من رواية عَمَّارٍ ، وابن عباس ، مرفوعاً : « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم ترده من الله إلا بعده »^(١٧) .

【 ذكر الآثار الواردة في ذلك]

قال ابن أبي حاتم^(١٨) : حدثنا محمد بن هارون المخري الملاس ، حدثنا عبد الرحمن بن نافع أبو زياد ، حدثنا عمر بن أبي عثمان ، حدثنا الحسن ، عن عمار بن حصين ، قال : سئل

(١٧) أما حديث عمار بن حصين ، فقد أخرجه ابن أبي حاتم - كما سيأتي - من طريق عمر بن أبي عثمان عن الحسن عن عمار به ، والحسن لم يسمع من عمار بن حصين . وأما حديث ابن عباس ، فقد رواه الطبراني في المعجم الكبير (٥٤/١١) من طريق ليث ، عن طاوس ، عن ابن عباس به .

(١٨) وهذا الحديث فيه علتان ذكرهما الشيخ ناصر الدين الألباني في الضعيفة وهما : ١ - الانقطاع بين الحسن - وهو البصري - وعمار بن حصين ، فإنهم اختلفوا في سماعه منه فإنه ثبت ، فليلة عنونة الحسن فإنه مدلس معروف بذلك .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ت : « له دلالة » .

[٣] - في ز ، خ : « حديث » .

النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله : « إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر » ، قال : « من لم تنهي صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له » .

وحدثنا علي بن الحسين^(١٩) ، حدثنا يحيى بن أبي طلحة اليربوعي ، حدثنا أبو معاوية ، عن ليث ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : « من لم تنهي صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم يزدد بها من الله إلا بعداً » . ورواه الطبراني من حديث أبي معاوية .

وقال ابن جرير^(٢٠) : [حدثنا القاسم^[١] ، حدثنا الحسين ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن العلاء بن المسبب ، عن ذكره ، عن ابن عباس في قوله : « إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر »] ، قال : فمن لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهي^[٢] عن المنكر ، لم يزدد بصلاته من الله إلا بعداً . فهذا موقف .

قال ابن جرير^(٢١) : وحدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا علي بن هاشم بن البريد ، عن جوير ، عن الضحاك ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلی الله علیه وسلم أنه قال : « لا صلاة لمن لم يطع الصلاة . وطاعة الصلاة أن تنهي عن الفحشاء والمنكر » . قال : وقال سفيان : « قالوا يا شعيب أصولاً تأمّل؟ قال : فقال سفيان : إِنَّ اللَّهَ تَأْمُرُهُ وَتَنْهَاهُ .

وقال ابن أبي حاتم^(٢٢) : حدثنا أبو سعيد الأشعري ، حدثنا أبو خالد ، عن جوير ، عن الضحاك ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم - وقال أبو خالد مرتة : عن عبد الله - : « لا صلاة لمن لم يطع الصلاة ، وطاعة الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر » .

وال موقف أصبح كما رواه الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : قيل لعبد الله : إن فلاناً ليطيل الصلاة؟ قال : إن الصلاة لا تنفع إلا من أطاعها^(٢٣) .

٢ - جهالة عمر بن أبي عثمان ، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٢٣/١٣) وقال : « سمع طاووساً ، روى عنه يحيى بن سعيد » .

(١٩) المعجم الكبير (١١/٥٤) وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء : « إسناده لين » .

(٢٠) تفسير الطبراني (٩٩/٢٠) .

(٢١) تفسير الطبراني (٩٩/٢٠) وفيه جوير وهو متوفى .

(٢٢) ذكره السيوطي في الدر المنشور (٤٦٥/٦) مرفوعاً ، وقال : « أخرج عبد بن حميد وابن جرير ، وابن مردوه بسند ضعيف » فذكر الرواية التي قبلها .

[١] - ما بين المعرفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « تنهاء » .

وقال ابن جرير ^(٤) : [قال عليٌّ ، حدثنا إسماعيل بن مسلم ^[١] ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم : « من صلی صلاة لم تتهه عن الفحشاء والمنكر ، لم يزد بهما من الله إلا بعدها ». والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود ، وابن عباس ، والحسن ، وقادة ، والأعمش ، وغيرهم ، والله أعلم .]

وقال الحافظ أبو بكر البزار ^(٢٥) : حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا جرير - يعني ابن عبد الحميد - عن الأعمش ، عن أبي صالح ، قال : أراه عن جابر - شك الأعمش - قال : قال رجل للنبي صلی اللہ علیہ وسلم : إن فلاناً يصلِّي فإذا أصبح سرق ، قال : « سينهاء ما يقول » .

وحدثناه ^(٢٦) محمد بن موسى الحَرَشِي ^[٢] ، حدثنا زياد بن عبد الله ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن جابر ، عن النبي صلی اللہ علیہ وسلم بنحوه - ولم يشك - ثم قال : وهذا الحديث قد رواه غير واحد عن الأعمش ، واختلفوا في إسناده ، فرواه غير واحد عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة أو غيره ، وقال قيس : عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، قال جرير وزياد : عن عبد الله ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن جابر .

وقال الإمام أحمد ^(٢٧) : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش قال [أبو صالح أخبرنا ^[٣] عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى النبي صلی اللہ علیہ وسلم فقال ^[٤] : إن فلاناً يصلِّي بالليل ^[٥] فإذا أصبح سرق فقال : « إله سينهاء ما يقول ». وتشتمل الصلاة أيضًا على ذكر الله تعالى ، وهو المطلوب الأكبر ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَذَكْرُ اللَّهِ أَكْبَر﴾ ، أي : أعظم من الأول ، ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ أي : يعلم جميع أقوالكم وأعمالكم .

وقال أبو العالية في قوله : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ قال : إن الصلاة فيها

(٢٣) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/٢٩٨) من طريق زائدة ، عن عاصم ، عن شقيق ، عن ابن مسعود قال : لا تفع الصلاة إلا من أطاعها ثم قرأ عبد الله : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ... ﴾ الآية .

(٢٤) تفسير الطبرى (٢٠/٩٩) وهو من مراسيل الحسن .

(٢٥) مسنون البزار حديث (٧٢١) « كشف الأستار ». وقال الهيثمي في الجمجم (٢٥٨/٢) : « رجاله ثقات » .

(٢٦) « كشف الأستار » حديث (٧٢٢) .

(٢٧) المسند (٢/٤٤٧) ، ورواه البزار في مسنده كما في « كشف الأستار » حديث (٧٢٠) من طريق الأعمش به ، وقال الهيثمي في الجمجم (٢٥٨/٢) : « رجاله رجال الصحيح » .

[١] - ما بين المعقودين في ز ، خ : ثنا علي بن إسماعيل بن مسلم ، وهو تحريف . والمشتبه من تفسير ابن جرير .

[٢] - في ز ، خ : أرى أبا صالح ، والمشتبه من المسند . [٣] - في خ ، ز : « الحرشي » .

[٤] - في ز : « قال » .

ثلاث خلال^[١] ، فكل^[٢] صلاة لا يكون فيها شيء من هذه^[٣] الخلال فليست بصلاة : الإخلاص ، والخشية ، وذكر الله . فالإخلاص يأمره بالمعروف ، والخشية تنهاه عن المنكر ، وذكر الله القرآن يأمره وينهاه .

وقال ابن عون الأنباري : إذا كنت في صلاة فأنت في معروف ، وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر ، والذي أنت فيه من ذكر الله أكبر .

وقال حماد بن أبي سليمان : «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» يعني : ما دمت فيها .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : «ولذكر الله أكبر» ، يقول : ولذكر الله لعباده إذا [ذكروه]^[٤] أكبر من ذكرهم إيه ، وكذا روى غير واحد عن ابن عباس . [وبه قال مجاهد وغيره .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشجع ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن داود بن أبي هند ، عن رجل ، عن ابن عباس^[٥] : «ولذكر الله أكبر» ، قال : ذكر الله عند طعامك وعنده منامك . قلت : فإن صاحبنا لي في المنزل يقول غير الذي تقول ؟ قال : وأي شيء يقول ؟ قلت : قال : يقول الله : «فاذكروني أذركم» ، فلذكر الله إيانا أكبر من ذكرنا إيه . قال : صدق .

قال : وحدثنا أبي ، حدثنا النفيلي ، حدثنا إسماعيل ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : «ولذكر الله أكبر» ، قال : لها وجهان ، قال : ذكر الله عند ما حرمه ، قال : وذكر الله إلياكم أعظم من ذكركم إيه .

وقال ابن جرير^(٢٨) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن ربيعة قال : قال لي ابن عباس : هل تدرى ما قوله تعالى : «ولذكر الله أكبر» ؟ قال^[٦] : قلت : نعم . قال : فما هو ؟ قلت : التسبيح والتحميد والتکبير في الصلاة ، وقراءة القرآن ، ونحو ذلك . قال : لقد قلت قولًا عجبا ، وما هو كذلك ، ولكنه إنما يقول : ذكر الله إلياكم عند ما أمر به أو نهى عنه - إذا ذكرتموه - أكبر من ذكركم إيه ، وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس . وروي أيضًا عن ابن مسعود ، وأبي الدرداء ، وسلمان الفارسي ، وغيرهم ، واختاره ابن جرير .

(٢٨) تفسير الطبرى (٢٠/٩٩) .

[١] - في ت : « خصال » .

[٢] - في ز ، خ : « هذا » .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من ز ، خ .

[٤] - ما بين المعقوفين في خ ، ز : « في قوله » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

﴿ وَلَا يُحِدُّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِأَنَّى هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ
وَقُولُوا إِعْمَانًا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَيَحْدُّ وَنَخْنَنَ لَهُ ﴾

﴿ ٤٦ ﴾ مُسْلِمُونَ

قال قادة وغير واحد : هذه الآية منسوخة بآية السيف ، ولم يبق معهم مجادلة ، وإنما هو الإسلام أو الجزية أو السيف .

وقال آخرون : بل هي باقية أو محكمة لمن أراد الاستبصار^[١] منهم في الدين ، فيجادل بالتي هي أحسن ، ليكون أبغض^[٢] فيه كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحَكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ وَجَادَلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهَتَّدِينَ ﴾ ، وقال تعالى لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون : ﴿ فَقُولُوا لَهُ قُولًا لِّئَلَّا^[٣]
يَذَكِّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ وهذا القول اختاره ابن جرير^[٤] وحكاه عن ابن زيد .

وقوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ ، أي : حادوا عن وجه الحق ، وغُمِّوا عن واضح
المحجة ، وعandوا وكابروا ، فحيثما يتقل عن^[٥] الجدال إلى الجلاد ، ويقاتلون بما يرددون
ويمعنهم ، قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رَسُولًا^[٦] بِالْبَيْنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ
الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِقَوْمَ النَّاسِ بِالْقُسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعَ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُولُهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ فَوْيِي عَزِيزٌ ﴾ قال جابر : أمرنا من خالف كتاب الله أن نضر به بالسيف .

قال مجاهد : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ ، يعني أهل الحرب ، ومن امتنع منهم من^[٧] أداء
الجزية .

وقوله : ﴿ وَقُولُوا إِعْمَانًا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ ، يعني : إذا أخبروا بما لا يعلم
صدقه ولا كذبه ، فهذا لا تقدم على تكذيبه ، لأنَّه قد يكون حقًا ولا على تصديقه فعلمه أنَّ
يكون باطلًا ، ولكن تومن به^[٨] إيماناً مجملًا معلقاً على شرط ، وهو أن يكون متزلاً لا مبدلاً ولا^[٩]
مؤولاً .

قال البخاري رحمه الله^(٣٠) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عثمان بن عمر ، ثنا^[١٠] علي بن

[١] - في ز ، خ ، ز : « الاستئصال » .

[٢] - تفسير الطبراني (٢/٢١) .

[٣] - صحيح البخاري حدیث (٤٤٨٥ ، ٧٣٦٢) .

[٤] - في ت : « من » .

[٥] - في ت : « أَخْبَرْنَا » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

المبارك ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كان أهل الكتاب^[١] يقرءون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبواهم وقولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم ، والهداية^[٢] واحد ونحن له مسلمون ». وهذا الحديث تفرد به البخاري .

وقال الإمام أحمد^(٣) : حدثنا عثمان بن عمر^[٤] ، أخبرنا يونس ، عن الزهراني ، أخبرني ابن أبي ثمرة أن أبا ثمرة الأنباري أخبره أنه بينما هو جالس عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جاءه رجل من اليهود ، فقال : يا محمد ، هل تتكلم هذه الجبنازة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أعلم » . قال اليهودي : أنا أشهد أنها تتكلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : « إذا حديثكم أهل الكتاب فلا تصدقونهم ولا تكذبواهم ، وقولوا : آمنا بالله ورسله وكتبه ، فإن كان حقاً لم تكذبواهم ، وإن كان باطلًا لم تصدقواهم » .

قلت : وأبو ثمرة هذا هو : عمارة . وقيل : عمار . وقيل : عمرو بن معاذ بن زرارة الأنباري ، رضي الله عنه .

ثم لعلم أن أكثر ما يحذثون به غالباً كذب وبهتان ، لأنه قد دخله تحريف وتبدل وتغيير وتأويل ، وما أقل الصدق فيه ! ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحاً !

قال ابن جرير^(٤) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا أبو^[٤] عاصم ، حدثنا سفيان ، عن سليمان بن عامر ، عن عمارة^[٥] بن عمير ، عن حرثيث بن ظهير ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : لا تسألو أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، إما أن [تكذبوا بحق أو تصدقوا]^[٦] بياطلا ، فإنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا وفي قلبه^[٧] تالية^[٨] تدعوه إلى دينه كمالية^[٩] المال .

[١] المسند (٤/١٣٦) .

[٢] تفسير الطبراني (٤/٢١) .

[٣] - في خ ، ز : « العوراء » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ت : « عمار » .

[٦] - سقط من : خ .

[٧] - في ز ، خ : « مالية » . والمثبت من تفسير الطبراني . وجاء في النهاية (١/١٩٦) تليت له تالية من حقه

وثلاؤة ، أي يقيت له بقية .

[٨] - في ز ، خ : « كمالية » .

وقال البخاري ^(٣٣) : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، أخبرنا ابن شهاب ، عن عبيد ^[١] الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل إليكم على رسوله - صلى الله عليه وسلم - أحدث ، تقرعونه محضًا لم يُشَبَّه ، وقد حذثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيره ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هو من عند الله ؛ ليشتروا به ثمنًا قليلاً ؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسائلهم ؟ لا والله ما رأينا منهم رجالاً يسألونكم عن الذي أنزل عليكم .

وقال البخاري ^(٣٤) : وقال أبو اليام ، أخبرنا شعيب ، عن الزهرى ، أخبرني محمد ^[٢] بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطاً من قريش بالمدينة - وذكر كعب الأحبار - فقال : إن كان من أصدق هؤلاء الحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب ، وإن كنا مع ذلك لنبلو ^[٣] عليه الكذب .

قلت : معناه أنه يقع منه الكذب لغة من غير قصد ؛ لأنه يحدث عن صحف هو يحسن بهاظن ، وفيها أشياء موضوعة ومكذوبة ، لأنهم لم يكن في ملتهم حفاظ متقدون كهذه الأمة العظيمة ، ومع ذلك وقرب العهد وضعت أحاديث كثيرة في هذه الأمة ، لا يعلمها إلا الله عزوجل ومن منحه الله علمًا بذلك ، كل بحسبه ، ولله الحمد والمنة .

وَكَذَلِكَ أَنْزَلَنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَبَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ
هَتَّلَّأَ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِإِيمَانِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَسْأَلُ
مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَبٍ وَلَا تَخْطُلُ بِسَمِينَكَ إِذَا لَأْرَتَابَ الْمُبْطَلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ
مَا أَنْتَ بِيَنْتَهٰ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِإِيمَانِنَا إِلَّا
الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾

قال ابن جرير : يقول الله تعالى : كما أنزلنا الكتب على من قبلك - يا محمد - من الرسل ، كذلك أنزلنا إليك هذا الكتاب . وهذا الذي قاله حسن ومناسبة وارتباط جيد .

وقوله : **﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَبَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾** ، أي : الذين أخذوه قتلوا ^[٤] حق تلاوته

^(٣٣) صحيح البخاري حديث (٧٣٦٣) .

^(٣٤) صحيح البخاري حديث (٧٣٦١) .

[١] - في خ ، ز : « عبد » .

[٢] - في خ ، ز : « عبيد » .

[٣] - في ز ، خ : « لتلوا » .

[٤] - في ز ، خ : « قتلوا » .

من أحياهم العلماء الأذكياء كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي ، وأشباحهما .

وقوله : ﴿ وَمَنْ هُؤْلَاءِ مِنْ يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ . يعني : العرب من قريش وغيرهم ، ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾ ، أي : ما يكذب بها ويجادل حقها إلا من يستر الحق بالباطل ، ويغطي ضوء الشمس بالوصائل ، وهيئات !

ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُطْ بِيْمِينِكَ ﴾ ، أي : قد لبست في قومك - يا محمد - [من ^[١] قبل أن تأتي بهذا القرآن ثُمَّمَا لَا تَقْرَأُ كِتَابًا وَلَا تَخْسِنَ الكِتَابَةَ ، بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب . وهكذا صفتهم في الكتب المتقدمة كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَمِيَّ الَّذِي يَجْدُولُهُ مَكْتُوبًا عِنْهُمْ فِي التُّورَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا مِنَ الْمُنْكَرِ ﴾ الآية . وهكذا كان صلى الله عليه وسلم - إلى يوم القيمة - لا يحسن الكتابة ولا يخطط سطراً ولا حرفًا بيده بل كان له كتاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم . ومن زعم من متأخري الفقهاء كالقاضي أبي الوليد الجاجي ومن تابعه ، أنه - عليه السلام - كتب يوم الحديبية : « هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله » فإنما حمله على ذلك روایة في صحيح البخاري : « ثم أخذ فكتب » . وهذه محمولة على الروایة الأخرى : « ثم أمر فكتب » . ولهذا اشتدى النكير من فقهاء المغرب والشرق على من قال بقول الجاجي ، وتبرعوا منه ، وأنشدوا في ذلك أقوالاً وخطبوا به في محافلهم وإنما أراد الرجل - أعني الجاجي ، فيما يظهر عنه - أنه كتب ذلك على وجه العجزة ، لا أنه كان يحسن الكتابة ، كما قال - عليه الصلاة والسلام - إخباراً عن الدجال ^[٣٥] : « مكتوب بين عينيه كافر » . وفي روایة : « كف ر ، يقرؤه ^[٣٦] كل مؤمن » .

وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت - عليه السلام - حتى تعلم الكتابة ، فضعف لا أصل له ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو ﴾ أي : تقرأ ﴿ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ﴾ لتتأكد النفي ﴿ وَلَا تَخْطُطْ بِيْمِينِكَ ﴾ ، تأكيد أيضاً و^[٣٧] خرج مخرج الغالب ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحِيهِ ﴾ وقوله : ﴿ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبَطَّلُونَ ﴾ ، أي : لو كنت تخططها ^[٤٤] لارتفاع بعض الجهلة من الناس فيقول : إنما تعلم هذا من كتب قبله مأثورة عن الأنبياء ، مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أمي لا يحسن الكتابة : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكَتَبْهَا فَهِيَ تَلْقَى عَلَيْهِ بَكْرَةً وَأَصِيلَّهُ ﴾ ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السُّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ ، أي :

(٣٥) رواه البخاري في صحيحه حديث (٧١٣١) من حديث أنس رضي الله عنه .

[١] - في ت : « يقرؤها » .

[٢] - في ت : « تحسنها » .

[٣] - في ز ، خ : « أو » .

[٤] - في ز ، خ : « أو » .

القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق أمراً ونهياً وخبراً ، يحفظه العلماء ، يسره الله عليهم حفظاً وتلاوة وتفسيرها ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يُسِرَنَا الْقُرْآنَ لِذِكْرِ فَهُلْ مِنْ مَدْكُرٍ ﴾ ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم ^(٣٦) - : « ما من نبي إلا وقد أعطي ما أمن على ^[١] مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا ». .

وفي حديث عياض بن حمار - في صحيح مسلم ^(٣٧) - : « يقول الله تعالى : إلى مبتليك وبتيل بك ، ومنزل عليك كتاباً لا يفسله الماء ، تقرؤه نائماً يقطان ». أي : لو غسل الماء محل المكتوب فيه لما احتاج إلى ذلك المحل كما جاء في الحديث الآخر ^(٣٨) : « لو كان القرآن في إهاب لما ^[٢] أحرقه النار » لأنه محفوظ في الصدور ، ميسر على الألسنة ، مهميin على القلوب ، معجز لفظاً ومعنى . ولهذا جاء في الكتب المتقدمة ، في صفة هذه الأمة : « أناجيلهم في صدورهم ». .

واختار ابن جرير ^(٣٩) أن المعنى في قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أَوْتَوْا الْعِلْمَ ﴾ ، بل العلم بأنك ^[٣] ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتاباً ولا تخطه ييمينك آيات بيات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب . ونقله عن قتادة وابن جريج ، وحكى الأول عن الحسن فقط . قلت : وهو الذي رواه العوفي عن عبد الله بن عباس ، وقاله الضحاك ، وهو الأظهر ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ ، أي : ما يكذب بها ويبخس حقها ويردها إلا الظالمون ، أي : المعتدون المكابرلون ، الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلْمَةُ رَبِّكُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْجَاءُهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يُرَاوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ .

وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَقْتَ عَلَيْهِ مَا يَأْتِي مِنْ رَبِّهِمْ قُلْ إِنَّمَا أَلَّا يَأْتِي مِنْ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوْلَئِكَ يَكْنِي هُمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يَسِّرَنَا عَلَيْهِمْ

(٣٦) رواه البخاري في صحيحه حديث (٧٢٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وسيأتي إن شاء الله .

(٣٧) صحيح مسلم حديث (٢٨٦٥) .

(٣٨) رواه أحمد في مسنده (١٥١/٤) من حديث عقبة بن عامر ، وتقديم الكلام عليه في فضائل القرآن .

(٣٩) تفسير الطبراني (٥/٢١) .

[١] - في ز ، خ : « عليه ». .

[٢] - في ت : « ما ». .

[٣] - في خ : « يماثل ». .

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرْحَمَةً وَذَكَرَى لِقَوْمٍ يُتَمَثِّلُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ
بَيْتِنِي وَبَيْتَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ عَامَّا
بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الظَّاهِرُونَ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في تعنتهم وطلبهم آيات - يعنون - ترشدهم إلى أن محمدًا رسول الله كما جاء صالح بناته .

قال الله تعالى : ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ، أي : إنما أمر ذلك إلى الله ، فإنه لو علم أنكم تهتدون لأجابكم إلى سؤالكم ، لأن ذلك سهل عليه يسير لديه ، ولكنه يعلم منكم إنما قصدكم التعتن والامتحان فلا يجيبكم إلى ذلك ، كما قال تعالى : ﴿وَمَا مَنَّا نَعْنَى أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبُوهَا أَوْ أَنْ يَكُونُوا مُبْرِرَةً فَظَلَّمُوا بِهَا﴾ .

وقوله : ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مِّنْ نَّبِيٍّ﴾ ، أي : إنما بعثت نذيرًا لكم بين النذارة فقلت أني ^[١]
أبلغكم رسالة الله ، و﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلَلْ فَلَنْ يَجِدْ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ وقال تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ هُدَىٰ وَلَكُمْ إِنَّمَا يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ .

ثم قال تعالى مبيناً كثرة جهمهم ، وسخافة عقولهم ، حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد فيما جاءهم - وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تزيل من حكيم حميد ، الذي هو أعظم من كل معجزة ، إذ عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته ، بل عن معارضته عشر سور من مثله ، بل عن معارضته سورة منه - فقال تعالى : ﴿أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ بِتِلْيَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ ، أي : أو لم يكفهم آية أننا أنزلنا عليك هذا الكتاب العظيم الذي فيه خبر ما قبلهم ، ونبأ ما بعدهم ، وحكم ما بينهم ، وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب ، ولا ^[٢] تختالط أحدًا من أهل الكتاب ، فجئتهم بأخبار ما في الصحف الأولى ، ببيان الصواب مما اختلفوا فيه ، وبالحق الواضح البين الجلي ، كما قال تعالى : ﴿أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ .

وقال تعالى : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ آيَةً مِّنْ رَبِّهِ أَوْ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيْنَهَا مَا فِي الصُّورِ
الْأُولَئِي﴾ .

وقال الإمام أحمد ^(٤٠) : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثني سعيد بن أبي سعيد ، عن

^(٤٠) المسند (٣٤١/٢) ، وصحيح البخاري حديث (٤٩٨١) ، وصحيح مسلم حديث (١٥٢) .

^[١] - في ت : «أَنْ» . ^[٢] - في ت : «ولم» .

أيه ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي [١] ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أورته وحيًا أوحاه الله إلي ، فارجو أن تكون أكثرهم تابعًا يوم القيمة ». أخرجاه من حديث الليث .

وقال الله تعالى : « إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » ، أي : إن في هذا القرآن لرحمة ، أي : بيان [٢] للحق ، وراحة للباطل ، وذكرى بما فيه حلول النقمات ونزول العقاب بالمكذبين والعاصين ، لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » .

ثم قال تعالى : « قل كفى بالله ببني وبنكم شهيدا » ، أي : هو أعلم بما تفبرون فيه من التكذيب ، ويعلم ما أقول لكم من إخباري عنه ، بأنه أرسلني ، فلو كنت كاذبًا عليه لانتقم مني ، كما قال تعالى : « ولو نقول علينا بعض الأقواب . لاخذنا منه باليمن . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين » ، وإنما أنا صادق عليه فيما أخبرتكم به ؛ ولهذا أيدني بالمعجزات الواضحات ، والدلائل القاطعات .

« يعلم ما في السموات والأرض » لا تخفي عليه خافية « والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون » ، أي : يوم معادهم سيجازيهم على ما فعلوا ، ويتقابلهم على ما صنعوا ، من تكذيبهم بالحق واتباعهم الباطل ، كذبوا برسول الله مع قيام الأدلة على صدقهم ، وأمنوا بالطوغait والآوثان بلا دليل ، سيجازيهم على ذلك ، إنه حكيم عليم .

وَسَعْجِلُوكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجْلُ مُسَمَّى لِجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَانِئُهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٣ يَسَعْجِلُوكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطٌ بِالْكُفَّارِينَ يَغْشِيُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ قَوْفِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

٥٤

يقول تعالى مخبرًا عن جهل المشركين في استعجالهم عذاب الله أن يقع بهم ، وبأن الله أن يحل عليهم ، كما قال تعالى : « وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو اثنا بعذاب أليم » ، وقال هاهنا : « ويستعجلونك بالعذاب ، ولو لا أجل مسمى لجاءهم العذاب » ، أي : لو لا ما حَسِّنَ الله من تأخير العذاب إلى يوم القيمة لجاءهم العذاب قريبا سريعا كما استعجلوه .

[١] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز ، خ : « بيان » .

ثم قال : ﴿ وَلِيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً ۚ أَيْ : فجأةً ۖ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنْ جَهَنَّمْ لَخِيطَةً بِالْكَافِرِينَ ۚ أَيْ : يَسْتَعْجِلُونَ الْعَذَابَ [١] ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ لَا مَحَالَةٌ .

قال شعبة : عن سماك ، عن عكرمة قال في قوله : ﴿ وَإِنْ جَهَنَّمْ لَخِيطَةً بِالْكَافِرِينَ ۚ أَيْ : قال البحر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا عمر بن إسماعيل بن مجالد ، حدثنا أبي ، عن مجالد ، عن الشعبي : أنه سمع ابن عباس يقول : ﴿ وَإِنْ جَهَنَّمْ لَخِيطَةً بِالْكَافِرِينَ ۚ أَيْ ، وجهنم هو هذا البحر الأخضر ، تنشر الكواكب فيه ، وتحكم فيه الشمس والقمر ، ثم يستوقد فيكون هو جهنم .

وقال الإمام أحمد [٤] : حدثنا أبو عاصم ؛ حدثنا عبد الله بن أمية ، حدثني محمد بن حبي [٢] ، حدثنا صفوان بن يعلى ، عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « البحر هو جهنم » قالوا ليعلمي ؟ فقال : ألا ترون أن الله يقول : ﴿ نَارًا أَحاطَ بِهِمْ سَرَادِقَهَا ۚ أَيْ ، قال : لا ، والذي نفسي بيده لا أدخلها أبداً حتى أعرض على الله ، ولا يصيبني منها قطرة حتى أعرض على الله - عز وجل - هذا تفسير غريب وحديث غريب جداً ، والله أعلم .

ثم قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ ۚ أَيْ ، كَقُولَهُ تَعَالَى : لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمْ مَهَادٍ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ ۚ أَيْ وَقَالَ : لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظَلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظَلَلٌ ۚ أَيْ وَقَالَ : لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وَجْهِهِمِ النَّارِ وَلَا عَنْ ظَهُورِهِمْ ۚ فَالنَّارُ تَغْشَاهُمْ مِنْ [٣] سَائِرِ جَهَاتِهِمْ ، وَهَذَا أَبْلَغُ فِي الْعَذَابِ الْحَسِيِّ .

وقوله : ﴿ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ أَيْ ، تهديد وتقرير وتوييج ، وهذا عذاب معنوي على الفوس ، كقوله : ﴿ يَوْمَ يَسْجُونُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِمْ ذُوقُوا مَسْ سَقْرَ ۗ إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَنَا بِقَدْرِهِ ۚ أَيْ وَقَالَ : يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمْ دُعَاءً . هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تخزون ما كنتم تعملون ۚ ذُوقُوا فَسْتَكْمُمُ هَذِهِ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تكذبون ۚ .

يَعْبَادُ الَّذِينَ مَآمَنُوا إِنَّ أَرْضَنِي وَسِعَةً فَإِنَّمَا فَاعْبُدُونِي ⑤٦
الْمَوْتُ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ⑤٧ وَالَّذِينَ مَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَبَوْتَهُمْ مِنْ

[٤] المسند (٤/٢٣٣) ، وقال الهيثمي في الجموع (٠/٣٨٦) : « رجال ثقات » .

[١] - في ت : « بالعذاب » .

[٣] - في ت : « عن » .

[٢] - في خ ، ز : « جنى » .

الْجَنَّةَ عُرِفَ بِهِ مِنْ تَحْنِنَاهُ الْأَنْهَارُ خَلَدِينَ فِيهَا نِعَمُ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ٥٨
صَبَرُوا وَعَلَى رِتَبِهِمْ يَنْوَكُونَ ٥٩ وَكَائِنٌ مِنْ دَائِبِهِ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا
وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٦٠

هذا أمر من الله لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين ، إلى أرض الله الواسعة ، حيث يمكن إقامة الدين ، بأن يوحدو الله ويبعدوه كما أمرهم ، وللهذا قال : ﴿ يَا عَبْدِي [الذِّينَ آمَنُوا] إِنَّ أَرْضَيِ وَاسْعَةً فَلَا يَأْمُرُ فَاعْبُدُونَ ﴾ .

قال الإمام أحمد^(٤) : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثني مجبيير بن عمرو القرشي ، حدثني أبو سعد الأنصاري ، عن أبي يحيى مولى الزبير بن العوام ، عن الزبير العوام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «البلاد بلاد الله والعباد عباد الله ، فحيثما أصبتي خيراً فأقم». ولهذا لما صاح على المستضعفين بمكة مقامهم بها ، خرجنوا مهاجرين إلى أرض الحبشة ليأمووا على دينهم هناك ، فوجدوا هناك خير المترفين ، أصححة التجاشي ملك الحبشة - رحمه الله - آواهم وأیدهم بنصره ، وجعلهم سيئما^(٥) ببلاده ، ثم بعد ذلك هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الباقون إلى المدينة النبوية يشرب المطهرة .

(٤٢) المسند (١٦٦)، وقال الهيثمي في الجمع (٤/٧٢): « فيه جماعة لم أعرفهم ».

(*) - أي : آمنين ، وهي كلمة حبشية ، وثُرُوی بفتح السين . وقيل : سيوم : جمع سائم ، أي تسومون في بلدي كالغم السائمة لا يعارضكم أحد (النهاية ٤٣٤ / ٤٣٥) :

[١] - ما بين المكوفتين سقط من : ز . [٢] - في خ : « سهوما » .

[٣] - ما بين المعقوفين في ت : « ووافاه أتم ». [٤] - في ز ، خ : « لنسكتنكم » .

الأعداء ، وفارقوا الأهل والأقرباء ، ابتغاء وجه الله ، ورجاء ما عنده وتصديق موعده .

قال ابن أبي حاتم رحمة الله ^(٤٣) : حدثني أبي ، حدثنا صفوان المؤذن ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن أخيه زيد بن سلام ، عن جده أبي سلام الأسود ، حدثني أبو معانق ^[١] الأشعري : أن أبا مالك الأشعري حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه ^[٢] « أن في الجنة عرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وأطاب الكلام ، وأباح الصيام ، وأقام الصلاة والناس نiam » .

﴿ وَعَلَى رِبِّهِمْ يَتُوكِلُونَ ﴾ فِي أَحْوَالِهِمْ كَلَّهَا فِي دِينِهِمْ وَدِنَاهُمْ ثُمَّ أَخْبَرُهُمْ تَعَالَى أَنَّ الرِّزْقَ لَا يَخْصُصُ بِيَقْعَةً ، بَلْ رِزْقُهُ تَعَالَى عَامٌ لِخَلْقِهِ حَيْثُ كَانُوا وَأَيْنَ كَانُوا ، بَلْ كَانَتْ أُرْزَاقُ الْمُهَاجِرِينَ حَيْثُ هَاجَرُوا أَكْثَرُ وَأَوْسَعُ وَأَطْيَبُ فَإِنَّهُمْ بَعْدَ قَلِيلٍ صَارُوا حُكَّامَ الْبَلَادِ فِي سَائرِ الْأَقْطَارِ وَالْأَمْسَارِ ، وَلَهُذَا قَالَ : ﴿ وَكَأُلِّينَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴾ ، أَيْ : لَا تَطْبِقُ جَمْعَهُ وَتَحْصِيلَهُ ، وَلَا تَوْسِعَ شَيْئًا لِنَدَدَ ﴿ اللَّهُ يُرِزِّقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ أَيْ : اللَّهُ يُتَقْبِضُ لَهَا رِزْقَهَا عَلَى ضَعْفِهَا ، وَيُسْرِهَا عَلَيْهَا ، فَيُبَعِّثُ إِلَيْهِ كُلَّ مُخْلُوقٍ مِنَ الرِّزْقِ مَا يَصْلَحُهُ حَتَّى النَّرْ فِي قَرَارِ الْأَرْضِ ، وَالظَّهِيرَ فِي الْهَوَاءِ وَالْحَيَّاتَ فِي الْمَاءِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ، وَيَعْلَمُ مُسْتَرُهَا وَمُسْتَوْدِعُهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مَبِينٍ ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم ^(٤٤) : حدثنا محمد بن عبد الرحمن ^[٣] الهرمي ، حدثنا يزيد - يعني ابن هارون - حدثنا الجراح بن ^[٤] منهال الجزائري - هو أبو العطف - عن الزهري ، عن رجل ، عن ابن عمر قال : خرجت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى دخل بعض حيطان المدينة ، فجعل يلتقط من التمر ويأكل ، فقال لي : « يا ابن عمر ، مالك لا تأكل ؟ » قال : قلت : لا أشتته يا رسول الله . قال : « لَكُنِي أَشْتَهِيهِ وَهَذِهِ صِبَغَةُ مَنْذُ لَمْ أَذْقَ طَعَاماً وَلَمْ أَجِدْهُ ، وَلَوْ شَتَّتَ لِدَعْرَتِ رَبِّي فَأَعْطَانِي مَثْلُ مَلِكِ قِصْرٍ وَكَسْرَى ، فَكَيْفَ ^[٥] بِكَ يَا ابْنَ عَمْرٍ ؛ إِذَا بَقِيَتِ فِي قَوْمٍ يَخْبِئُونَ رِزْقَ سَنَتِهِمْ بِضَعْفٍ ^[٦] الْيَقِنُ ؟ » قال : فَوَاللَّهِ مَا بِرْحَانَا وَلَا يَرْهَنَا حَتَّى نَزَلْتَ : ﴿ وَكَأُلِّينَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يُرِزِّقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ

(٤٣) ورواه الإمام أحمد في مسنده (٣٤٣/٥) من طريق أبي معانق ، عن أبي مالك به ، وسيأتي عند الآية : ٢٠ من سورة الزمر .

(٤٤) ورواه البغوي في تفسيره (٢٥٣/٦) من طريق إسماعيل بن زراوة ، عن الجراح بن منهال به - وقال الشوكاني في فتح القدير (٢١٣/٤) : « وهذا الحديث فيه نكارة شديدة خالفة لما كان عليه النبي - صلى

[١] - في ت : « معاوية » .

[٢] - في ابن أبي حاتم : عبد الرزاق .

[٣] - في ز : « عن » .

[٤] - في ز : « لضعف » .

[٥] - في ز : « وكيف » .

العليم) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات ، فمن كنز دنياه يريد بها حياة باقية فإن الحياة بيد الله ، ألا وإنى لا أكنز ديناراً ولا درهماً ولا أخباً رزقاً لغد [١] » .

هذا حديث غريب ، وأبو العطوف الجزري ضعيف .

وقد ذكروا أن الغراب إذا فَقَسَ عن فراشه البيض ، خرجنوا وهم بيض ، فإذا رأهم أبواهم كذلك ، نفر عنهم أياماً حتى يسود الريش ، فيظل الفرج فاتحاً فاه [ينفرد] [٢] أبوه فيقبض الله [٣] له طيراً صغاراً كالبرغش [٤] فيغشاها [٤] فيتفقون منه تلك الأيام حتى يسود ريشه والأبوان يتقدانه كل وقت ، فكلما رأوه أبيض الريش نفرا عنه [٥] ، فإذا رأوه قد أسود ريشه عطفاً عليه بالحضانة والزرق ، ولهذا قال الشاعر :

يا رازق النَّعَابُ (**) في عشه وجابر العظم الكسيير المهيض
وقد قال الشافعي في جملة كلام له في الأوامر ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم :
« سافروا تصحوا وترزوا » .

قال البيهقي (٤٥) : أخبرنا إملاء أبو الحسن [٦] علي [بن محمد [٧] بن عبدان ، أخبرنا
أحمد بن عبيد ، أخبرنا محمد بن غالب ، حدثني محمد بن سنان ، حدثنا محمد بن عبد
الرحمن بن رِذَاد [٨] - شيخ من أهل المدينة - حدثنا عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سافروا تصحوا وتغنموا » . قال : ورويناه عن ابن عباس .

وقال الإمام أحمد (٤٦) ، حدثنا ابن لهيعة ، عن ذِرَاج ، عن عبد الرحمن بن

الله عليه وسلم - فقد كان يعطي نساءه قوت العام كما ثبت ذلك في كتب الحديث المعتبرة ، وفي إسناده
أبو العطوف الجزري وهو ضعيف ، أ.هـ مستفاداً من حاشية تفسير البغوي .

(٤٧) البرغش : البعض اللسان .

(٤٨) النَّعَابُ : فُرخ الغراب .

(٤٩) السنن الكبرى (١٠٢/٧) ، ورواه ابن عدي في الكامل (٦/١٩٠) من طريق محمد بن عبد الرحمن بن رواد به ، وقال : « لا أعلم برويه غير الرواد هذا ، عامة ما يرويه غير محفوظ » وقال ابن أبي حاتم في العلل (٣٠٦/٢) : « سألت أبي عن هذا الحديث فقال : هذا حديث منكر » .

(٥٠) المسند (٢/٣٨٠) وفيه ابن لهيعة ودراج ضعيفان .

[١] - في خ ، ز : « لأحد » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « ابن أحمد » . والمثبت من البيهقي [٨] - في ز ، خ : « وارد » .

[٥] - في ز ، خ : « ابن أحمد » . والمثبت من البيهقي [٨] - في ز ، خ : « وارد » .

حجيرة^[١] ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سافروا تربعوا وصوموا تصحوا ، واغزوا تغنموا » .

وقد ورد مثل حديث ابن عمر عن ابن عباس مرفوعاً ، وعن معاذ بن جبل موقعاً^[٢] . وفي لفظ : « سافروا مع ذوي الجدود والميسرة »^[٤٧] .

وقوله تعالى : « وهو السميع العليم » أي : السميع لأقوال عباده ، العليم بحركاتهم وسكناتهم .

وَلَيْنَ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنَّ
يُوْقَنُونَ ﴿٢١﴾ اللَّهُ يَسْعِطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ يَكُلِّ
شَيْءٍ عَلَيْهِ ﴿٢٢﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتُهُمْ مَنْ تَرَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءَ فَأَخْبَأَهُ أَنَّ الْأَرْضَ مِنْ
بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكَثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى مقرراً أنه لا إله إلا هو . لأن المشركين - الذين يعبدون معه غيره - معتبرون أنه المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر ، وتسخير الليل والنهر وأنه الخالق الرازق لعباده ، ومقدر آجالهم واختلافها واحتلافهم أرزاقهم فقاوت بينهم ، فمنهم الغني والفقير ، وهو العليم بما يصلح كلاماً منهم ، ومن يستحق الغنى من يستحق الفقر ، فذكر أنه المستبد بخلق الأشياء المتفرد بتدييرها ، فإذا كان الأمر كذلك فلم يعبد غيره ؟ ولم يتوكلا على غيره ؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته ، وكثيراً ما يقرر^[٣] تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الروبيبة . وقد كان المشركون يعترفون بذلك ، كما كانوا يقولون في تلبيتهم : « ليك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ثلكه وما ملك » .

(٤٧) أما حديث ابن عباس ، فرواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠٢/٧) ، من طريق بسطام بن حبيب ، عن القاسم ، عن أبي حازم ، عن ابن عباس مرفوعاً ، ورواه ابن عدي في الكامل (٥٧/٧) من طريق نهشل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، مرفوعاً . وقال : « هذه الأحاديث كلها عن الضحاك غير محفوظة » . ولم أجده عن معاذ موقعاً ، وسيأتي مرفوعاً ، وجاء من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً . ورواه ابن عدي في الكامل (٤٥/٣) عن سوار بن مصعب ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، مرفوعاً وقال : « سوار هذا عامة ما يرويه غير محفوظ » .

(٤٨) رواه الديلمي في مسنون الفردوس حديث (٣٣٨٧) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وذكره السيوطى في الجامع ورمز له بالضعف وأعلمه المناوى لإسماعيل بن زياد .

[١] - في ز ، خ : « حجيرة » .

[٢] - في ز ، خ : « مرفوعاً » .

[٣] - في ز ، خ : « يقدر » .

وَمَا هَنِئُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَلَعْبٌ وَلَكِنَ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهُمُ الْحَيَاةُ لَنَّ
كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا
بَخَّسُوكُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا أَتَيْنَاهُمْ وَلَيَتَمْنَعُوا فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

يقول تعالى مخبراً عن حقاره الدنيا وزوالها وانقضائها ، وأنها لا دوام لها ، وغاية ما فيها لهو ولعب : ﴿٤﴾ وَلَكِنَ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهُمُ الْحَيَاةُ لَنَّ أَيْ : الحياة الدائمة الحق الذي لا زوال لها ولا انقضاء ، بل هي مستمرة أبد الآباد .

وقوله : ﴿٥﴾ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَيْ : لَأَثْرَوا مَا يَقْنَى عَلَى مَا يَنْفَى .

ثم أخبر تعالى عن المشركين أنهم عند الاضطرار يدعونه وحده لا شريك له ، فهلا يكون هذا منهم دائناً ، ﴿٦﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، كقوله : ﴿٧﴾ وَإِذَا
مَسَكُمُ الظُّرُفَ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَاهُ فَلَمَا نَجَّاكُمْ [١] إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴿٨﴾ وَقَالَ
هَاكُمَا : ﴿٩﴾ فَلَمَا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ .

وقد ذكر محمد بن إسحاق ، عن عكرمة بن أبي جهل : أنه لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ذهب فارساً منها ، فلما ركب في البحر ليذهب إلى الحبشة اضطربت بهم السفينة ، فقال أهلها : يا قوم ؛ أخلصوا لربكم الدعاء ، فإنه لا ينجي هاهنا إلا هو . فقال عكرمة : والله إن كان لا ينجي في البحر غيره ، فإنه لا ينجي أيضاً غيره في البر ، اللهم ؛ لك على عهد لعن خرجت لأذهبن فلأضعن يدي في يد محمد فألجدنه رعوفاً رحيمًا . وكان كذلك .

وقوله : ﴿١﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا أَتَيْنَاهُمْ وَلَيَتَمْنَعُوا فَهذا « اللام » يسميهَا كثير من أهل العربية والتفسير وعلماء الأصول « لام العاقبة » ، لأنهم لا يقصدون ذلك ، ولا شك أنها كذلك بالنسبة إليهم ، وأما بالنسبة إلى تقدير الله عليهم ذلك [٢] وتقييده إياهم لذلك [٣] فهي « لام التعليل » . وقد قدمنا [٤] في قوله تعالى : ﴿٢﴾ لِيَكُونُ لَهُمْ عَذَّابًا وَحْزَنًا .

أَوْلَئِمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا إِمَانًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَيَاَنْبَطَلِ يُؤْمِنُونَ

[١] - في ز ، خ : « أَنْجَاكُمْ » .

[٢] - في خ ، ز : « يَعْدُونَ » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعقودين في ت : « تَقْرِيرًا لِذَلِكَ » .

[٥] - ما بين المعقودين في ت : « تَقْرِيرًا لِذَلِكَ » .

وَيُنْعَمِهِ اللَّهُ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَبَ
يَا لَعْنَى لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثُوَى لِلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِينَا
لَتَهْدِيَنَّهُمْ سَبِيلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

يقول تعالى مرتئاً على قريش فيما أحظمهم من حرمه^[١] ، الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والبادي ومن دخله كان آمناً ، فهم في أمن عظيم ، والأعراب حوله ينهب بعضهم بعضاً ، ويقتل بعضهم بعضاً ، كما قال تعالى : ﴿لِإِلَيَّ لَفِيفُ رَحْلَةِ الشَّتَاءِ وَالصَّيفِ . فَلَيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جَوْعٍ وَآمَنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾

وقوله : ﴿أَفِبِالْباطِلِ يَؤْمِنُونَ وَيُنْعَمِهِ اللَّهُ يَكْفُرُونَ﴾ ، أي : أفكان شكرهم على هذه النعمة العظيمة أن أشركوا به ، وعبدوا معه الأصنام والأنداد ، وبدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البار^[٢] ، وكفروا ببني الله وعبده ورسوله ، فكان اللائق بهم^[٣] إخلاص العبادة لله ، وأن لا يشركوا به ، وتصديق الرسول وتعظيمه وتوقيره ، فكذبوه وقاتلوه وأخرجوه من بين أظهرهم ؛ ولهذا سليمهم الله ما كان أنعم به عليهم ، وقتل من قتل منهم يدر ، وصارت الدولة^[٤] لله ولرسوله وللمؤمنين^[٥] ، ففتح الله على رسوله مكة ، وأرغم آنفهم^[٦] وأذل رقابهم .

ثم قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾ ، أي : لا أحد أشد عقوبة من كذب على الله فقال : إن الله أوحى إليه ولم يوح إليه شيء . ومن قال : سأنزل مثل ما أنزل الله . وهكذا لا أحد أشد عقوبة من كذب بالحق لما جاءه ، فال الأول مفتر ، والثاني مكذب ، ولهذا قال : ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثُوَى لِلْكَافِرِينَ﴾ ؟ .

ثم قال : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ ، يعني الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين ، ﴿لَتَهْدِيَنَّهُمْ سَبِيلًا﴾ ، أي : لتُبصِّرُنَّهُمْ سَبِيلًا أي : طرقنا^[٧] في الدنيا والآخرة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، حدثنا عباس الهمданى أبو أحمد - من أهل عكا - في قول الله : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَتَهْدِيَنَّهُمْ سَبِيلًا، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْخَيْرِينَ﴾ ، قال : الذين يعلمون بما يهدون يهدونهم لما لا^[٨] يعلمون . قال أحمد بن أبي

(*) - الدولة : الغلبة .

[١] - في خ ، ز : « حرمه » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ ، ز : « آنفهم » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في ز ، خ : « لهم » .

[٦] - في ز ، خ : « آنفهم » .

[٧] - في خ ، ز : « طرقنا » .

الخواري : فحدثت به أبا سليمان الداراني فأعجبه ، وقال : ليس^[١] ينبغي لمن أللهم شيئاً من الخبر
أن يعمل به^[٢] حتى يسمعه في الآخر ، فإذا سمعه في الآخر عمل به ، وحمد الله حين وافق ما^[٣]
في نفسه .

وقوله : « وإن الله لمع الحسينين » . قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا عيسى بن جعفر قاضي الري ، حدثنا أبو جعفر الرازى ، عن المغيرة ، عن
الشعبي قال : قال عيسى ابن مريم عليه السلام : إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك^[٤] ،
و[٥]ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك . والله أعلم .



انتهى بحمد الله وحسن توفيقه المجلد العاشر
ويليه إن شاء الله تعالى المجلد الحادى عشر وأوله تفسير سورة الروم

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في خ ، ز : « فيما » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في خ : « عليك » .

الفهرست

٥	تفسير سورة الحج
٤١	أذان سيدنا إبراهيم بالحج
٧٣	دفاع الله عن المؤمنين
١٠٣	تفسير سورة المؤمنون
١١٢	بيان كيفية خلق الإنسان
١٥٩	تفسير سورة النور
١٧١	ما جاء في اللعان
١٧٩	قصة الإفك
٢٠٤	الأمر بالاستدلال
٢١٢	أمر المؤمنين بغض أبصارهم
٢١٦	أمر المؤمنات بغض أبصارهن
٢٢٦	الأمر بنكاح الأيامى المؤمنات
٢٣٤	تفسير قوله تعالى ﴿الله نور السموات والأرض﴾
٢٤١	الأمر ببناء المساجد
٢٨٣	تفسير سورة الفرقان
٣١٩	صفات عباد الرحمن
٣٣٧	تفسير سورة الشعراء
٣٣٩	قصة سيدنا موسى مع فرعون
٣٥٠	قصة سيدنا إبراهيم مع قومه
٣٥٦	قصة سيدنا نوح مع قومه
٣٥٨	قصة سيدنا هود مع قومه
٣٦٤	قصة سيدنا لوط مع قومه
٣٣٦	قصة سيدنا شعيب مع قومه
٣٩١	تفسير سورة التعليل
٣٩٢	قصة سيدنا موسى مع فرعون
٣٩٥	قصة سيدنا داود وسليمان
٤١٤	قصة سيدنا صالح مع قومه
٤٣٠	قصة الدابة التي تخرج من الأرض
٤٣٦	النفح في الصور

٤٤١	تفسير سورة القصص
٤٤٣	نبأ سيدنا موسى مع فرعون
٤٨١	قصة قارون
٤٩٣	تفسير سورة العنكبوت
٤٩٨	نبأ سيدنا نوح مع قومه
٥٠٠	نبأ سيدنا إبراهيم مع قومه
٥٣١	الفهرست